



مهرجان القراءة للجميع



للشبان : محسن شعلان

مصر بعد العصور

على محبوب أحمد كمال الطوبجى سعد شعبان

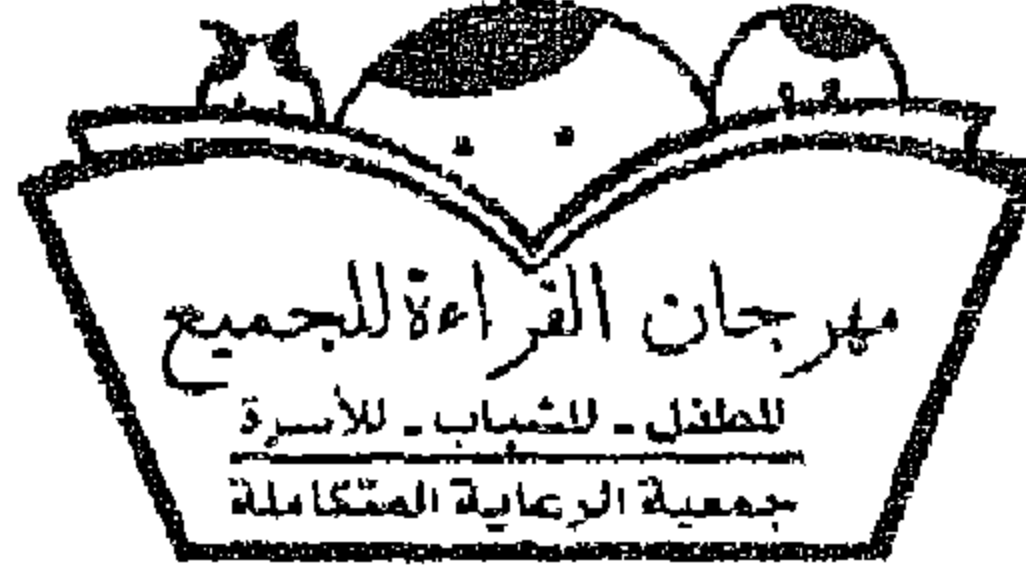


مصر بعد العصور

تأليف

على محبوب أحمد كمال الطوبجى

سعد شعبان



مهرجان القراءة للجميع
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة / سوزان مبارك

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف العام

د. ناصر الأنصارى

الإشراف الطبائى

محمود عبد المجيد

الفلاف والإشراف الفنى

صبرى عبد الواحد

تقديم

● منذ خمسة عشر عاماً أطلقت السيدة الفاضلة سوزان مبارك فكرتها الرائدة عن مشروع القراءة للجميع، هادفة إلى إتاحة فرصة القراءة لجميع أفراد الشعب، بعد أن كانت أسعار الكتب قد وصلت إلى أرقام كبيرة لا تحتملها ميزانية كل راغب في القراءة والمعرفة.

● ولا شك أن أى مؤرخ للحركة الثقافية في مصر سوف يتوقف كثيراً عند فكرة هذا المشروع، وأثره الكبير على الثقافة والمثقفين في مصر في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين.

● وقد أسهمت الهيئة المصرية العامة للكتاب في هذا المشروع «بمكتبة الأسرة» التى تصدر بانتظام منذ أحد عشر عاماً، وتستعد لخطوة أخرى من التطوير فى عامها الثانى عشر.

● لقد قدمت هيئة الكتاب على مدى السنوات من ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٤م ومن خلال مكتبة الأسرة بسلاسلها المختلفة ٣١١٣

عنواناً فى مختلف فروع المعرفة، طُبعت منها أكثر من ٣٧ مليون نسخة وطرحتها فى الأسواق بأسعار زهيدة فى متناول الجميع، تبدأ من عشرة قروش وتتدرج، ولا تزيد عن ثلاثة أو أربعة جنيهات للكتب الكبيرة الحجم، أو متعددة الأجزاء.

● وهذه الأرقام تعطى دلالة لعدد المستفيدين من القراء، ولعل جزءاً كبيراً منهم من القراء الجدد.

● ولكن المستفيد لم يكن القارئ وحده فقد عادت الفائدة أيضاً على مجموع الكُتَّاب الذين أسهموا فى مكتبة الأسرة، وقد بلغ عددهم ١٣٦٨ كاتباً كما عادت الفائدة أيضاً على المطابع، ودور النشر الأخرى التى شاركت فى المشروع. وبالتالى فالفائدة قد عمّت كل الأوساط الثقافية المهتمة بالكتاب.

● وقبل انطلاق مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٥م خلال الشهر القادم نعيد طرح حوالى مائة عنوان فى ثوب جديد، ويُعتبر ذلك مقدمة لانطلاقة أخرى لمكتبتنا.

● فإلى اللقاء مع مكتبة الأسرة ٢٠٠٥م الشهر القادم بإذن الله.

ناصر الأنصارى

القاهرة

مايو ٢٠٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَنَسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



السيد الرئيس محمد حسني مبارك

هَذَا الْكِتَابُ

صَدَرَتْ عِدَّةُ كُتُبٍ عَنِ الْمَعْرَكَةِ ، أَشَادَتْ كُلُّهَا بِدَوْرِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ فِيهَا وَتَحَدَّثَتْ عَنْ بَطُولَاتِ وَابْتِكَارَاتِ رِجَالِهَا ، غَيْرَ أَنَّ كُلَّ مُطْلِعٍ يَلْمَسُ أَنَّ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةَ كَانَتْ لَهَا دَوْرٌ أَعْمَقُ مِمَّا ذَكَرَتْهُ تِلْكَ الْكُتُبُ ، وَأَكْثَرُ إِيْجَابِيَّةٍ مِمَّا سَجَلَتْهُ .

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ ، سَجَلُ مُؤَلِّفِهِ دَوْرَ الْقَوَاتِ الْجَوِّيَّةِ ، كَأَحَدِ أَجْهَازَةِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ الرَّئِيسِيَّةِ ، بِدَقَّةٍ وَتَفْصِيلٍ ، كَمِثْلِ أَدْوَارِ الْأَجْهَازَةِ الْأُخْرَى ، وَبِحَكْمِ إِدْرَاكِ مُؤَلِّفِهِ لِهَذَا الدَّوْرِ .

وَسَيَقِفُ التَّارِيخُ الْعَسْكَرِيُّ طَوِيلًا ، بِالْدَّرْسِ وَالتَّمْلِيصِ أَمَامَ مَلْحَمَةِ الْبَطُولَاتِ الَّتِي سَجَلَهَا جُنُودُ مِصْرَ ، وَأَبْطَالُهَا فِي مَعْرَكَةِ السَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَرٍ . وَيَشْرَفُنِي أَنْ أَقُولَ أَنَّ زَهْرَةَ شَبَابِ مِصْرَ مِنْ رِجَالِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ الَّذِينَ فَدَوْا مِصْرَ بِأَرْوَاحِهِمْ ، سَتُظَلُّ ذِكْرُهُمْ حَيَّةً فِي ضَمِيرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي أَعَادُوا لَهَا كِرَامَتَهَا ، وَأَسْمَعُوا الْعَالَمَ صَوْتَ عِزَّتِهَا

إِنَّ الْإِنْصَافَ يَقْتَضِي الْقَوْلَ ، بِأَنَّ مَوْضُوعَ الْكِتَابِ ، لَمْ يَعْزُ بِالْمَعْرَكَةِ وَحْدَهَا ، بَلْ تَطَرَّقَ إِلَى آثَارِهَا ، وَعَالَجَ كَثِيرًا مِنْ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ فِي أَمْتِنَا ، وَرَسَمَ أَبْعَادَ مَا فَرَضَتْهُ الْمَعْرَكَةُ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ فِي رُكْبِ الْحَضَارَةِ فِي مِصْرَ .. لِذَلِكَ فَهُوَ كِتَابٌ لِكُلِّ وَطَنِي وَكُلِّ مُثَقِّفٍ .

تَهْنِئُ لِلْمُؤَلِّفِينَ بِكِتَابِهِمْ ، وَأَرْجُو لَهُمْ مَزِيدًا مِنْ النَّتَاجِ الْفِكْرِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ .

وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْعِزَّةُ لِمِصْرَ

مِنْ بَارِكِ

مُحَمَّدُ بَارِكُ

مقدمة الطبعة الثانية

لقد اقتضت الأمور إدخال بعض التعديلات
إلى فصول الطبعة الأولى من هذا الكتاب، لأن
ظروف الإصدار تأتي في ظلال السلام الذي
تنعم به مصر، وفي ركب الديمقراطية
التي تظلل مجتمعا.

وإن كان كل ما حرر عن معركة العبور
قد عني بالدرجة الأولى بالنتائج العسكرية لها،
فإن كتابنا يركز على النتائج السياسية والاجتماعية
والنفسية التي دخلت على مجتمعا.

والله ولي التوفيق

سعد شعبان
أحمد كمال الطوبجى
علاء محبوب

القسم الأول

الجولات العربية - الاسرائيلية

مقدمة فلسطينية

حرب فلسطين

حرب السويس

حرب ٥ يونيو

الباب الأول

مقدمة فلسطينية

القضية الفلسطينية

هي جوهر النزاع

العربي الاسرائيلي

الأطماع اليهودية

ليس هناك من جديد ، يمكن أن يضيف معلومات ، على تلك التي يختزنها التاريخ عن فلسطين . . اذ أن العالم أجمع ، والجمهير العربية بأسرها ، أصبحت تملك المعلومات الوافية ، عن هذه المشكلة .

فمنذ أكثر من قرن من الزمان ، والمسألة الصهيونية ، تهدد وجود العرب في فلسطين . . وتتوالى الأحداث لتثبت تصميم المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، على « تهويد فلسطين » ، ابتداء من المؤتمرات الصهيونية ، مروراً بوعده « بلفور » ، والهجرة اليهودية ، وحرب ١٩٤٨ وعدوان ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

ولم توقظ هذه الأحداث العرب ، الا بعد وقوعها ، وكيثوثتها أدرا واقعا .

وبالمعرفة الصحيحة لمخططات العدو وغاياته ، أمكن التعرف على مدى خطره على الحقوق العربية .

ويزداد الايمان ، وتصلب العزائم ، ويشتد القتال . . وتتحقق يقظة العرب ، بحرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، التي تجمع العرب حولها ، فأفاقوا على نهار النصر الساطع المبين .

وينبئنا التاريخ عن بداية أطماع اليهود ، في خلال القرن السادس عشر ، عندما ازداد ضعف الدولة العثمانية ، فظهر مشروع « دافيد روبيني » الذي كان يدعو اليهود العرب ، الى غزو فلسطين وانتزاع أراضيها ، بمساعدة زعماء يهود أوروبا ، كخطوة لتكوين دولة يهودية في أراضي فلسطين . . بيد أن هذا المشروع قد لاقى استنكارا ، ولم يكتب له وجود .

وثمة مشروع يهودي آخر ، لتاجر من الدانمارك يدعى « أوليجر باولي » ، تقدم به الى « لويس الرابع عشر » ملك فرنسا ، الذي رفض بتضامن ملك انجلترا ، هذا المشروع .

وتندلع الثورة الفرنسية ، ويحاول اليهود استغلال مبادئها الداعية الى الحرية والمساواة . . وحينما أصبح « نابليون بونابرت » رجل فرنسا الأول ، خرج اليهود من أحيائهم ، ليندمجوا في المجتمع الفرنسي . . ولكن شدة العداء بين اليهود والمسيحيين ، جعلت « نابليون » يرغم اليهود على العودة الى عزلتهم في أحيائهم .

وحيثما أراد « نابليون » (عام ١٧٩٩) ، السيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، رأى أن يستفيد من اليهود فأعلن في الصحف الرسمية ، عن دعوة يهود أفريقيا وآسيا ، الى موافاة جيشه بمصر ، ليدخلوا معه الى « اورشليم » . وراجت في فرنسا دعوة يهودية ، الى اغتنام هذه الفرصة لتحقيق أطماعهم . . . الا أن القضاء على الحملة الفرنسية في مصر ، وانسحاب « نابليون » منها ، قضى على أحلام اليهود .

الى أن جاء عام ١٨٤١ ، عندما احتضن الانجليز « الايرل أوف شافيتري » فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . . فوضع مشروعا أسماه « الأرض بغير شعب ، للشعب بغير أرض » .

وتشكلت جمعية « عشاق صهيون » (عام ١٨٨٤) ، التي دعت الى احياء اللغة العبرية ، للتمهيد للهجرة الى فلسطين . وتخيب آمال اليهود ، حين منعت الدولة العثمانية ، اليهود من دخول فلسطين ، كما أوقفت الحكومة الروسية هجرة اليهود . . وبذلك تم تحديد الهجرات اليهودية .

ويأتى « تيودور هيرتزل » (١٨٦٠ - ١٩٠٤) ، وهو صحفي ولد في بوادبست ، ليكرس جهوده للقضية اليهودية ، على أثر « مذبحه ليشيينف الشهيرة في روسيا القيصرية التي كانت تضطهد اليهود بعنف وقسوة ، على أثر فضيحة أخرى لضابط يهودي فرنسي اتهم في قضية جاسوسية عرفت باسم قضية « دريفوس » . . وانتهاز « هيرتزل » هاتين الحادثتين ، لاثارة عطف الدول الأوروبية ، وساعده في ذلك كاتبان فرنسيان هما « اميل زولا » و « كليمانصو » .

وقد نادى « هيرتزل » ، أن اليهود يلاقون الاضطهاد في كل دولة ، وأنهم لن يستطيعوا الخلاص من طبائعهم التي تثير عليهم كراهية وبغض الناس . . ولذا لابد أن يعيش اليهود معا ، في دولة واحدة تحقق لهم السيادة على أنفسهم . ومن هنا وجد « هيرتزل » الأرضية السياسية المناسبة ليضع كتابه « الدولة اليهودية » الذي ضمنه توجيه اليهود ، الى أن يكون لهم كيان يهودي خالص لهم .

واستطاع « هيرتزل » أن يجمع ٣٠٠ مندوب عن جميع يهود العالم وعن الهيئات اليهودية العالمية ، في أول مؤتمر صهيوني عقد في مدينة « بال » السويسرية . . وبذلك اجتمع اليهود لأول مرة في التاريخ ، منذ ١٨ قرنا ، حول مائدة واحدة . وتدارس المؤتمر الوسائل الكفيلة باعادة بناء دولتهم التي زالت على أيدي الرومان .

وحدد المؤتمر الصهيونى الأول ، أن الصهيونية هي القومية الجديدة للشعب اليهودى ، وأنها حركة ترمى الى انشاء وطن شرعى معترف به للشعب اليهودى . . وحدد مكانه فى أرض فلسطين . ورسم المؤتمر وسائل تحقيق ذلك فى قراراته التى جاء فيها :

١ - تشجيع الاستعمار اليهودى فى فلسطين ، والعمل على رفع مستوى اليهود المقيمين فى فلسطين فى نشاطهم الزراعى والصناعى والتجارى .

٢ - تنظيم الحركة اليهودية ، وتأليف يهود جميع الدول فى جماعات محلية .

٣ - تنمية الوعى القومى اليهودى فى كل دولة .

٤ - حث الدول على تأييد الأهداف الصهيونية .

ومن واقع هذه القرارات ، أصبحت الصهيونية ، تمثل الوجه السياسى لليهودية ، الذى يهدف الى اقامة دولة يهودية صهيونية فى فلسطين .

البحث عن وطن

وتتوالى المؤتمرات الصهيونية ، حتى كان خامسها (عام ١٩٠١) وفيه تقرر انشاء البنك الوطنى اليهودى ، لشراء الأراضى فى فلسطين ، واقامة المستعمرات عليها ، والسعى لانشاء جامعة عبرية فى فلسطين . وتحرك « هيرتزل » - الذى لقبوه بـ « نبي الصهيونية الروحي » - لمقابلة السلطان عبد الحميد (١) ، ليحصل منه على ما يحقق أطماع اليهود فى فلسطين . . الا أن السلطان عبد الحميد ، رفض تماما كافة المغريات والعروض التى قدمها « هيرتزل » ، والتى كان منها رشوة مغلقة على هيئة هدية للسلطان بمقدارها ٥٠ مليون جنيه ذهباً لخزانة الدولة و ٥ ملايين أخرى لخزينة السلطان الخاصة ، وذلك مقابل الرجاء بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين .

واتجه « هيرتزل » الى بريطانيا . . وعرضت عليه الحكومة البريطانية « أوغندة » لاتخاذهاوطنا قوميا . ولكن الصهيونيين رفضوا العرض ، وأصرروا على فلسطين . واقترح « هيرتزل » استقرار اليهود فى جزيرة قبرص أو شبه جزيرة سيناء . الا أن « تشمبرلين » وزير

(١) السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى (١٨٤٢ - ١٩١٨) اعتلى عرش تركيا (١٨٧٦ - ١٩٠٩) .

المستعمرات البريطانية ، قرر أن أهالى قبرص ، لن يسمحوا لليهود بالاستقرار فى جزيرتهم . أما عن سيناء ، فقد تسلم « هيرتزل » خطاب توصية للورد « كرومر » المعتمد البريطانى فى القاهرة . . الا أن دراسة طبيعة الأرض بمنطقة العريش لم تحقق ذلك .

وعرض « تشمبرلين » اقطاع اليهود أراض فى مستعمرة شرق افريقيا . . ثم عرض أيضا ، منح اليهود هضبة قريبة من مدينة « نيروبي » عاصمة كينيا البريطانية . ولكن « هيرتزل » رفض كل هذه العروض وتسمك بانشاء هذا الوطن فى فلسطين .

ويموت « هيرتزل » (عام ١٩٠٤) ، ويتولى الدكتور « حاييم وايزمان » زعامة الصهيونية ، ويرأس المؤتمرات الصهيونية التى اعتبرت « العبرية » لغة التخاطب الرسمية ، وقررت انشاء جامعة عبرية فى القدس . . كما تم اقرار خطة « وايزمان » التى أطلق عليها « الصهيونية التوفيقية » ، التى تدعو الى التسلسل البطيء الى فلسطين ، باقامة المستعمرات اليهودية ، لتكون دعامة وأساس المجتمع الصهيونى . هذا وقد نجح « وايزمان » فى أن يجمع شمل الصهيونيين ، وأخذت جمعية « عشاق صهيون » تنفذ نشاطها من أجل توطين اليهود ، فى أراضى فلسطين ، التى كان يبلغ عدد سكانها وقتئذ (عام ١٩١٤) حوالى ٦٩٠ ألفا ، كان منهم ٩٠ ألفا من اليهود .

وعلى « بلفور » الأسود

وأتيحت الفرصة للدكتور « وايزمان » فى عام ١٩١٦ ، حينما أصبح رئيسا لمعامل البحرية الانجليزية ، للاتصال بالورد « بلفور » وزير البحرية ، وعرض عليه مشكلة اليهود وآمالهم . . وكان « وايزمان » قد ساعد الانجليز بمجهوداته واكتشافه لمعادلة تحضير مادة «الاسيتون» التى تستعمل فى صناعة المتفجرات ، مما أدى الى اكتسابه عطف الانجليز .

وأصغى « بلفور » الى مطالب « وايزمان » بكل اهتمام ، مما شجع الزعماء الصهيونيين ، على تقديم برنامج خاص بآدارة فلسطين وتوطين اليهود فيها ، والاعتراف بجنسية خاصة باليهود ، وانشاء شركة تتولى شراء الأراضى الفلسطينية لتوطن اليهود عليها .

وكان لزاما على بريطانيا ، بعد انتصارها فى الحرب العالمية الأولى ، أن تحتفظ بكيانها فى منطقة الشرق الأوسط للمحافظة على طرق مواصلاتها عبر مستعمراتها ، فى امبراطوريتها التى لا تغيب عنها الشمس .

النص الأصلي لم يرد بالتفصيل بمقتضى القانون

Foreign Office.

November 2nd, 1917

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object. It being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Y. L. Cohen
Amos

ويتلمس « وايزمان » طريق أطماعه عبر مصالح بريطانيا ، خاصة عندما تولى « لويد جورج » رئاسة الوزراء وتعين اللورد « بلفور » وزيرا للخارجية . . ويتقدم الصهيونيون بمذكرة رسمية بمطالبهم في فلسطين (آخر يناير ١٩١٧) الى الحكومة البريطانية ، وعقدت جلسة رسمية للتفاوض في تلك المطالب ، حضرها « سايكس » ممثلا للحكومة البريطانية ، والذي أبدى عطفًا كبيرًا على المسألة اليهودية .

وبدأ الصهيونيون يعدون صيغة التعهد البريطاني الذي يحقق فلسطين اليهودية . . وهو ما سمي فيما بعد بوعده « بلفور » الذي خرج الى الوجود في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، على هيئة رسالة رسمية ، بعث بها « بلفور » الى اللورد « روتشيلد » وأشار فيها الى عطف حكومة جلالة الملكة على الأمن الصهيونية ، وعن عزم الحكومة البريطانية على اقامة وطن قومي يهودي ، والتمهيد لدولة يهودية في فلسطين .

وهكذا وقعت فلسطين بين شقي الرحى . .

الصهيونية التي اختارتها وطنا قوميا لليهود . .

والامبريالية الدولية ، التي تريد أن تجعل منها « نقطة ارتكاز » فوق أرض العرب ، لتحرس منها مصالحها ، ولتقاوم بها كل متمرّد على استغلالها واستثمارها .

تحت الانتداب البريطاني

نجحت الصهيونية العالمية ، في ضغطها على بريطانيا ، لاصدار وعد « بلفور » . . وبالتالي ، اعتبرت بريطانيا أن اصدارها هذا التصريح ، كان بمثابة اجراء حربي ضد قوات أعدائها من دول المحور ، بجانب مساندة اليهودية العالمية ، التي ضغطت على الحكومة الأمريكية ، لدخول الحرب الى جانب الحلفاء ، والى أن يصدر الرئيس الأمريكي « ويلسن » بيانا جاء فيه :

« ان الدول الحليفة ، مع تأييد حكومتنا وشعبنا لذلك - دون تحفظ - قد قررت أن تضع في فلسطين أساسا لدولة يهودية » .

ويوافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء (٢٥ ابريل ١٩٢٠) ، على أن تقوم بريطانيا ، بالانتداب على فلسطين ، تطبيقا لوعده « بلفور » . . كما وافقت عصبة الأمم على ذلك (٢٤ يوليو ١٩٢٢) ، بعد أن أعد

وثيقة الانتداب ، خبراء الصهيونية من الانجليز والأمريكيين من أمثال . .
« هربرت صمويل » و « فيلكس فرانكفورتير » .

وقد نجح الزعيمان الصهيونيان « الدكتور حاييم وايزمان »
و « ناحوم سوكونوف » ، فى الضغط على الحكومة البريطانية لقبولها
الانتداب على فلسطين .

ودخل الانتداب البريطانى على فلسطين ، مرحلة التنفيذ الرسمى
فى ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ . وجدير بالذكر أن المادة الثانية من وثيقة
الانتداب ، قد نصت على أن سلطات الانتداب :

« مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية ،
تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى وعن تطور أنظمة الحكم الذاتى وضمان
الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس
والدين » .

ويعتبر ذلك تنفيذا كاملا لوعده « بلفور » من خلال فرض الانتداب
البريطانى على فلسطين .

متى شعر العرب بالخطر الصهيونى ؟

قبل الحرب العالمية الأولى ، كان السلام سائدا على أرض فلسطين،
وسائدا بين العرب واليهود بشكل خاص . . وان كان سلاما بين فريقين،
ليس لأى منهما علاقة بالآخر . ولم تكن هناك أبدا مشاكل بين العرب
واليهود .

حتى جاء « هيرتزل » فأرسى قواعد الفكر الصهيونى ، فأبرز الفرق
الشاسع بين اليهودية كدين وعقيدة ، وبين الصهيونية التى هى دين
العصابات فقط .

ان اليهودية لم تناد أبدا بطرد العرب من ديارهم . وما أن أخذ
شبح الصهيونية يزحف بخطواته الى فلسطين ، حتى زرع الحقد
والكراهية بين العرب واليهود .

وكان اليهود يتمتعون فى الدول الاسلامية ، بالمعاملة الطيبة
الشاملة لكافة حقوق المواطنين . . بل ان اليهود الشرقيين قد اندمجوا
تماما مع المسلمين فى كثير من النواحي الثقافية والاجتماعية لدرجة أنه
قد أطلق على اليهود فى العالم الاسلامى أنهم . . « عرب فى كل شىء » ،
ما عدا الدين .

على عكس ما كان يحدث فى معظم الدول الأخرى ، شرقا وغربا ،
من مذابح لليهود ، وحركات مناهضة لهم ترمى الى ما يشبه القضاء على
اليهودية .

ولأول مرة ، خلال عام ١٩١٨ ، أحس عرب فلسطين بخطر يهددهم ،
تمثل فى بعثة صهيونية قدمت الى فلسطين يوم ٤ أبريل ١٩١٨ ،
برئاسة الدكتور « حاييم وايزمان » . وقد أتاح كل من حاكمى القدس
ويافا من الانجليز ، الفرصة للبعثة الصهيونية للاجتماع مع أعيان
فلسطين .

وتحدث « وايزمان » وكان يترجم حديثه الى العربية « سنورس »
الحاكم العام البريطانى . فأبرز مشاعر الأخوة بين العرب واليهود ،
وان عودة اليهود الى فلسطين ، لوصل الماضى بالحاضر ، واعادة خلق
مركز فكرى وأدبى ، وأن هذا المظهر الروحى ما هو الا المعنى الحقيقى
للوطن القومى .

قد تركت هذه الزيارة ، انطبعا سيئا فى نفوس العرب ، شعرت
به سلطات الانتداب البريطانى واستشعر العرب خطر الصهيونية الذى
سيحقق بهم . فكونوا الجمعيات ، وقدموا الاحتجاجات ، وأقاموا
المظاهرات ضد وعد « بلفور » والهجرة اليهودية .

تقسيم الوطن العربى

وفى عام ١٩٠٧ ، صدر قرار بالتسليم الى فلسطين ، وصدر تقرير
« كاميل بنرمان » عن المؤتمر الاستعمارى الذى عقد فى لندن ، والذى
أكد على ضرورة فصل الشرق العربى عن مغربه ، وذلك باقامة حاجز
بشرى . وكان من أهم ما جاء فى التقرير :

« ان البحر الأبيض المتوسط ، هو الشريان الحيوى للاستعمار ،
لأنه الجسر الذى يصل الشرق بالغرب ، والممر الطبيعى الى القارتين
الآسيوية والافريقية وملتقى طرق العالم . ويكمن الخطر المهدد للعالم
فى هذا البحر ، ففى حوضه مهد الأديان والحضارات ، وعلى شواطئه
الجنوبية والشرقية ، يعيش شعب واحد له من وحدة تاريخه ودينه ولغته
وآماله ، كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد ، وتتوافر له فى ثرواته
الطبيعية وكثرة تناسله - كل أسباب القوة والتحرر والنهوض . ويكمن
الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية فى تحرر هذه المنطقة
وتثقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها وتجميعها واتحادها تحت

عقيدة واحدة • لذا على الدول ذات المصالح المشتركة ، أن تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأة ، وعلى إبقاء شعبها في حالة تفكك وجهل وتخلف » •

ثم أوصى التقرير في نهايته كضرورة سريعة بما يلي :

« ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي عن الجزء الآسيوي من هذه المنطقة ، عن طريق إقامة حاجز بشري قوى وغريب ، ويكون صديقا للاستعمار وعدوا لسكان المنطقة » •

ثم في عام ١٩١٧ كان وعد « بلفور » المشؤوم • الذي بعده ، تنكر يهود فلسطين الوطنيون لعرب البلاد ، وعلاوة على ذلك فقد اشتركوا في أعمال الصهيونيين لتهديد فلسطين •

وكان أن غدر الحلفاء بالعرب جميعا ، عقب انتصارهم في الحربين العالميتين • الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) •

ففي الحرب العالمية الأولى ، كانت بريطانيا في حاجة الى تأييد ومعاونة العرب • فأرسل السير « مكماهون » خطابا الى الملك الحسين (١) « شريف مكة » يضمنه وعد حكومة بريطانيا باستقلال الأمة العربية ، اذا ما أيد العرب قضية الحلفاء ووقفوا الى جانبهم •

وصدق العرب • وأخلت بريطانيا بوعودها •

وتنشب الحرب الثانية ، وتحتاج بريطانيا مرة أخرى ، الى معاونة العرب ووقوفهم معها ضد دول المحور • فاذا ببريطانيا تصدر « الكتاب الأبيض » في (١٧ مايو ١٩٣٩) لتطمئن العرب على مصير فلسطين •

وينتصر الحلفاء ، ومرة أخرى يخلون بوعودهم •

وأكثر من ذلك • بلغ الغدر بالوعد بعد الحرب العالمية الأولى ، الى حد تقسيم الوطن الى وحدات سياسية :

— الحجاز للملك الحسين •

(١) الحسين بن علي ، شريف مكة (١٨٥٦ - ١٩٣١) • • • • • ثار مع الانجليز على الحكم التركي (عام ١٩١٦) ونادى بنفسه ملكا على الحجاز • كافاه الانجليز بتعيين ابنه « عبد الله » أميرا على شرق الاردن ، ابنه « فيصل » ملكا على العراق تحت الانتداب البريطاني • ثم هزمه الملك « عبد العزيز بن سعود » (عام ١٩٢٤) واستولى على الحجاز وأقام فيها المملكة العربية السعودية وهرب الملك الحسين الى قبرص •

- استولى الانجليز على العراق ، حتى اذا ما ثار (عام ١٩٢٠) ولوا عليه فيصل بن الحسين .
- واستولت فرنسا على سوريا ولبنان .
- اقتطع شرق الأردن وأصبح امارة تولاهها الملك عبد الله بن الحسين .
- أما اليمن ، فقد سلمها الأتراك الى الامام يحيى حميد الدين عقب جلائهم عنها (عام ١٩١٨) .
- أما مصر . . فقد نالت استقلالها ، بعد الغاء الحماية البريطانية عنها (عام ١٩٢٢) ، والتي كانت قد أعلنت عليها أثناء الحرب العالمية الأولى .
- وهكذا عمل الاستعمار ، على تقويض وحدة الأمة العربية . . كما عملت كل من بريطانيا وفرنسا ، على تقوية قبضتها على الدول الخاضعة لانتدابها ، ووضعت الدولتان حدودا سياسية صناعية ، ونظما مختلفة في السياسة والاقتصاد لتضعف من الصلات القومية بين العرب .
- وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وكما هو العهد بالاستعمار ، أخلت بريطانيا بوعدها قبل فلسطين . . بل واتفقت اليهودية الصهيونية مع بريطانيا ، على اغتصاب حقوق العرب في فلسطين ، ليحل مكانهم اليهود الواردون من شتات العالم .

اليهود وأمريكا

اتجه الصهيونيون بنشاطهم الى الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما أحسوا بأن بريطانيا تسير في فلسطين على طريق الحذر ، لتلافي اثاره الرأي العام العربى .

واستغل اليهود ، جهل الرأي العام الأمريكى ، بما يدور في فلسطين بل وفي الشرق الأوسط ، لكسب شعور الحكومة الأمريكية . . حتى أن أول عون رسمى أمريكى لإسرائيل ، قد تنفذ في عهد الرئيس « روزفلت » ، على هيئة تصريح « بلتيمور » الذى صدر في (مايو ١٩٤٢)، متضمنا :

- ضرورة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، كجزء لا يتجزأ من العالم الحر .
- اطلاق الهجرة اليهودية لفلسطين .
- انشاء جيش يهودى معترف به ، يحارب تحت رايته الخاصة .

وبعد وفاة « روزفلت » تولى « ترومان » رئاسة أمريكا ، ومارس
الصهيونيون ضغطهم على الرئيس الجديد ، ليحقق لهم مطامعهم
وأغراضهم .

ولم يكن من الصعب على الصهيونيين ، اثناء سير الحرب العالمية
الثانية ، التكهن بانتصار الحلفاء وعلى قيادتهم أمريكا .

واستعدادا لما سيكون عليه عالم ما بعد الحرب ، استغلت
الصهيونية أسلوب الضغط للحصول على تأييد أصحاب النفوذ السياسى
فى الحكومة الأمريكية ، لصالح المخططات والأهداف الصهيونية . .
وتركز النشاط الصهيونى فى قلب نيويورك نفسها .

وكان أول تجاوب للتدخل الأمريكى لصالح الصهيونية ، هو
ضغط الرئيس « ترومان » على « أتلى » رئيس حكومة بريطانيا ، للسماح
العاجل بدخول ١٠٠ ألف يهودى من ضحايا النازية ، الى فلسطين .

ومضت الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا ، فى الطريق الذى
رسمته لهما الصهيونية ، لتحقيق الوطن القومى لليهود فى فلسطين
ولخلق دولة يهودية بها .

بؤادر النكبة

كانت حكومة فلسطين الانجليزية ، تحت التصرف المطلق
للوکالة اليهودية ، خلال فترة الانتداب البريطانى (١٩٢٠ - ١٩٤٨) . .
فى الوقت الذى أهملت فيه حقوق العرب ، وهم أغلبية السكان
الأصليين لفلسطين .

وأصبحت فلسطين ، فى حدودها الصغيرة ، تضم ثلاث لغات
رسمية هى العربية والانجليزية والعبرية ، فى وقت كان اليهود فيه لايزيدون
عن ٧٪ من سكان فلسطين الأصليين .

وأخذت بريطانيا تمهد لقيام الدولة اليهودية الموعودة . وتكونت
فى فلسطين ، حكومة انجليزية عسكرية ، قامت فى ظلها ، الجمعية
الصهيونية برئاسة « وايزمان » والتى تتألف من يهود انجلترا وفرنسا
وايطاليا ، ووضعت هذه الجمعية ، البرنامج الصهيونى الذى يجب أن
تتبعه بريطانيا ، من أجل انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين
والتمهيد لدولة اسرائيل .

وكافح عرب فلسطين كثيرا ، لمواجهة الأطماع اليهودية ، وكانوا
بين نارين . . الوکالة اليهودية من جهة ، وحكومة الانتداب المتحيزة
تماما لليهود من جهة أخرى .

واندلعت نيران الثورة العربية .. وتوالى ثورات عرب فلسطين لتدخل طورها الايجابى .. فكانت ثورة القدس (عام ١٩٢٠) - وثورة « يافا » المشهورة (مايو ١٩٢١) - واضطرابات القدس (٢ نوفمبر ١٩٢١) - وحوادث « يافا » (مارس ١٩٢٤) - واضطرابات (أغسطس ١٩٢٩) التى سادت جميع أنحاء فلسطين وقتل فيها حوالى ٢٠٠ يهودى أكثرهم فى الخليل والقدس ويافا ، وكان سببها اعتداء اليهود على البراق النبوى الشريف وثورة الشيخ « عز الدين القسام » (٢ نوفمبر ١٩٣٥) والتى تحولت الى حركة عصيان مسلح ضد اليهود وحكومة الانتداب .

حتى كانت الثورة العربية الكبرى ، التى بدأت فى (١٧ أبريل ١٩٣٦) بتحركات اليهود بعرب « يافا » ، وتدخلت القوات البريطانية لحماية اليهود والبطش بالعرب العزل من السلاح ، وشمل الجهاد عموم فلسطين فى ثورة عارمة لتحرير البلاد من الاستعمار والصهيونية .. ووصلت قوات متطوعة من سوريا والعراق منضمة الى عرب فلسطين ، وطالبت « اللجنة العربية العليا » برئاسة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين فى ثورة عارمة لتحرير البلاد من الاستعمار والصهيونية .. فى وقف الهجرة اليهودية ، وتشكيل حكومة دستورية تمثل الشعب الفلسطينى بأكثريته العربية الساحقة .

وانتصر الثوار الفلسطينيون ، فى معظم ما خاضوه من معارك ، مع قوات بريطانيا العظمى بدياباتها وطائراتها ومدافعها . ودام الاضراب العام ستة أشهر ، قدم فيها عرب فلسطين أعظم التضحيات . ويثس الانجليز تماما من اخماد الثورة ، بعد أن استعملوا جميع أنواع البطش والوحشية والارهاب .

وأخيرا توصل الانجليز بالمكر والحيلة والدسائس ، وأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لانهاء الاضراب ، واعدوا بالنظر فى مطالب العرب . وبالفعل تدخل ملوك العرب وامراؤهم فى (١١ أكتوبر ١٩٣٦) لانهاء الاضراب .

وكم من لجان تدخلت للتحقيق وتهدة الجو بين العرب واليهود فى فلسطين .. ولكن كانت لها مآرب استعمارية وصهيونية ، هى الوصول الى الهدف المرسوم لانشاء دولة اسرائيل . بل اجتهدت معظم هذه اللجان فى ابراز رأى بعض اليهود لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

وكان للعرب استنكارهم ووقوفاتهم فى وجه هذه المناورات المكشوفة .

استعداد اليهود

استغلت الصهيونية ، الحرب العالمية الثانية ، لتقوى اقتصاديا وعسكريا وتنظيميا . . فمثلا :

– استغل اليهود فرصة اقتراب الجيش الألمانى من فلسطين ، للتسليح والتدريب وتكوين جيش دفاعى ومستعمرات حصينة .

– الاستفادة من عطف العالم على اليهود الذين عذبته النازية الألمانية .

– قامت جمعيات سرية يهودية تعمل على شكل منظمات عسكرية مثل . . عصابات « الهاجانا » و « الأرجون » و « شتيرن » و « المكابى » .

وأقبل يهود فلسطين على حمل السلاح ، وأخذوا يستعدون منذ عام ١٩٤٤ ، وأعلنوا باسم « الجمعية العسكرية اليهودية » فتح أبواب فلسطين لليهود . وفى خريف عام ١٩٤٧ ، أعلنت الجمعية عن عزمها على انشاء دولة يهودية كبرى فى وطنهم التاريخى .

فلسطين وهيئة الأمم المتحدة

ودخلت مسألة فلسطين الى قاعات هيئة الأمم المتحدة ، وتألفت لجنة دولية (٢٨ أبريل ١٩٤٧) للتحقيق فى تلك المشكلة . وانقسم أعضاء اللجنة الى فريقين ، أحدهما يؤيد تقسيم فلسطين ، والثانى يؤيد إقامة اتحاد فيدرالى بين العرب واليهود فى فلسطين . . وكانت الأغلبية . . مع رأى الأول .

ونتيجة لضغط أمريكا والصهيونية ، أقرت اللجنة فى (٣ سبتمبر ١٩٤٧) بصفة مبدئية ، فكرة التقسيم ، وأحالت الموضوع الى لجنة أخرى رأت أن تجتمع مع جميع ممثلى اليهود . فأخذت وجهة النظر اليهودية ، دون أن تحصل اللجنة على أى وجهة نظر عربية .

وقد تضمن تقرير اللجنة :

– انتهاء الانتداب على فلسطين .

– تقسيم فلسطين وانشاء دولة اسرائيل .

– ابقاء القدس وما حولها تحت وصاية الأمم المتحدة .

وفاز قرار تقسيم فلسطين بأغلبية ثلثي الأصوات .
وكان الأمم المتحدة ، بهذا العمل ، قد أنهت وصاية عصبة الأمم على
فلسطين . . لتعطيها لليهود .

أنهار الدماء العربية

وفرضت الصهيونية وجودها بالارهاب في فلسطين . وراحت
العصابات اليهودية تفرض الذعر والابادة والدمار في جميع القرى
الفلسطينية ، وأخذت تكيل للعرب ضرباتها بكل وحشية وحقد وتجرد
من الضمير الانساني .

وكان ذلك بقصد بث الذعر في صفوف العرب وحملهم على الفرار
من ديارهم وقراهم واحلال اليهود بدلهم .

وكانت مذبحة « دير ياسين » الرهيبة (٨ أبريل ١٩٤٨) ، حيث
اتبعت فيها عصابات « الأرجون » و « الهاجاناه » أحدث أساليب الاجرام
الدموى .

وقد قامت عصابة « الأرجون » بقتل جميع سكان القرية ، رجالا
ونساء وشيوخا وأطفالا ، بما يبلغ ٢٥٤ نفسا ، قطعت أوصالهم ومثلت
بجثث القتلى .

وكانت السيارات اليهودية في القدس ، تعلن بمكبرات الصوت ،
« اهربوا من القدس قبل أن تقتلوا » . . و « ان لم تتركوا منازلكم ، فان
ما حل بدير ياسين سيكون مصيركم » .

وهنا كان اليهود ينفذون تعاليم التوراة . . « اذاعة الذعر عن
طريق مذابح مرسومة » .

وعقدت عصابة « الأرجون » مؤتمرا صحفيا ، أعلنت فيه تفاصيل
المذبحة وما أنجزته من وحشية ، ولتعلن بأن ذاك هو بداية غزو
فلسطين .

وسرعان ما انتشرت أخبار المذابح في طول فلسطين وعرضها ،
واستشعر العرب الخطر ، فأخذ الأهالي يفرون بأرواحهم تاركين خلفهم
دورهم ، الأمر الذي دفع العرب الى الهجرة على أوسع نطاق .

وقد تباهى « مناحيم بيغن » في كتابه « الثورة » بهذه الوحشية
قائلا :

« . . سيطر العرب على عرب فلسطين نتيجة لمذبحة دير ياسين ،
التي كان لها من التأثير ، ما يساوى قوة ست كتائب من الجنود . . أما
فى بقية أنحاء فلسطين ، فقد بدأ العرب يفرون هلعاً . .

ولولا مذبحة دير ياسين لما كانت اسرائيل » .

وتبلغ جرائم الانجليز واليهود بشاعتها العظمى فى فلسطين .
وتبدأ جامعة الدول العربية فى انشاء جيش الانقاذ الفلسطينى من
المتطوعين العرب .

وتمر الأيام بسرعة تفوق سرعة الأحداث الدامية التى تمر على
أرض فلسطين . حتى يقترب يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ .

قيام دولة اسرائيل

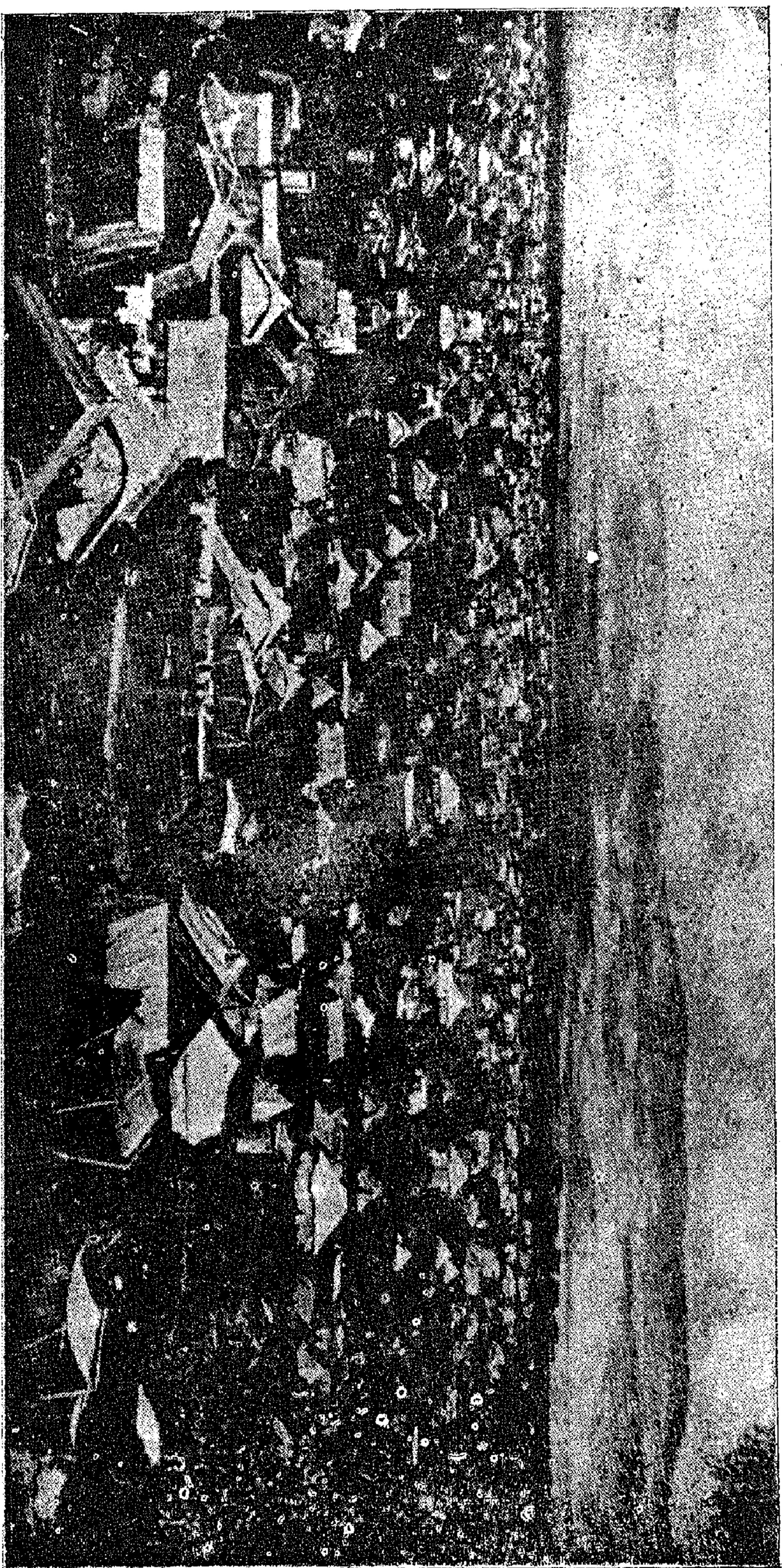
وعندما أعلنت الساعة الرابعة بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ مايو
١٩٤٨ فى تل أبيب . . اجتمع أعضاء المجلس القومى اليهودى وممثلو
الحركة الصهيونية ومندوبو الصحف ، فى قاعة « الموزيون » . ووقف
« بن جوريون » ليعلن قيام دولة اسرائيل ابتداء من الدقيقة التى ينتهى
فيها الانتداب البريطانى . . ليلة (١٥ مايو ١٩٤٨) .

وبعد مرور ١١ دقيقة من اعلان قيام دولة اسرائيل ، أعلنت
الولايات المتحدة الأمريكية اعترافها بالدولة الجديدة ، وتبعتها «جواتيمالا»
فى نفس اليوم ، ثم الاتحاد السوفيتى يوم (١٨ مايو ١٩٤٨) . وتلا
ذلك اعترافات سائر الدول .

وقبل أن يغادر الدكتور « حاييم وايزمان » أمريكا ، ليتعين أول
رئيس لاسرائيل ، اجتمع مع «ترومان» الذى وعده بتقديم كافة المساعدات
التي تحتاج اليها اسرائيل ، وأن الولايات المتحدة الامريكية ، مستعدة
لتقديم المساعدة فى حالة الحرب مع العرب .

وقد اعترفت بإسرائيل ، هيئة الأمم المتحدة وقبلتها بين أعضائها
فى (١١ مايو ١٩٤٩) .

وهكذا ظهرت الى الوجود مشكلة الفلسطينيين ، الذين لحقت بهم
مأساة كونهم أصبحوا لاجئين مشتتين فى الدول العربية وفى أنحاء
العالم .



مخيمات اللاجئين

الباب الثاني

حرب فلسطين

١٥ مايو من عام النكبة الكبرى
أسمتها الصهيونية حرب التحرير
من الاستعمار العربي

الفدائيون المصريون

مساء يوم (٦ مايو ١٩٤٨) ، تحركت قوات المتطوعين المصريين تحت قيادة الشهيد البطل البكباشي « أحمد عبد العزيز » . قائد القوات الخفيفة أو الفدائيين ، من « العريش » الى « رفح » عابرة الحدود الفلسطينية الى « خان يونس » لتمهيد الطريق أمام الجيش المصرى .

وقامت هذه الجماعات الفدائية ، بشن عديد من الهجمات على المستعمرات اليهودية وقامت بتدميرها والاستيلاء على كثير من مدرعات العدو وكميات ضخمة من المؤن والأسلحة والذخائر .

وقد تميز البطل أحمد عبد العزيز ، ببراعة تطبيقه لأسلوب المباغطة والمفاجأة فى الهجوم . حتى أطلقوا عليه لقب النمر .

ودمرت القوات الفدائية مستعمرة « كفار ديروم » قرب « دير البلح » ، واحتلت مرتفعات « على المنظار » على مشارف « غزة » ، ومنها كانت تقوم بواجب حراسة الطريق وتمهد لتقدم القوات النظامية .

وواصل الفدائيون تقدمهم حتى دخلوا « الخليل » ووصلت مقدمتهم تجاه « بيت لحم » وحققت الاتصال بين قوات الأردن ومصر يوم (٢٤ مايو ١٩٤٨) ، وأخذت قوات المتطوعين ، تقوم بأخطر العمليات ، التى أصبحت فيما بعد أساسا لدراسة المقاومة والفدائيين . وأوقعت بالعدو اليهودى أكبر نسبة من الخسائر ، خاصة فى معارك (رامات راحيل) ، و (صور باهر) . كما تعاونت فى معارك جنوب القدس ، مع قوات الجهاد المقدس والمقاومة الشعبية الفلسطينية .

وعندما كان البطل أحمد عبد العزيز ، متوجها الى « غزة » يوم (٢٢ أغسطس ١٩٤٨) فى عربته الجيب للاجتماع بالقيادة ، وبالقرب من « عراق المنشية » مركز القوات النظامية المحاصرة قرب « الفالوجا » أطلقت على السيارة رصاصة من مركز مصرى للمراقبة طاشت الى صدر البطل فاخرقته وأسلم الروح . وطيب الله ثراه فى « عراق المنشية » حيث دفن بها .

وقد ذكر موقف القوات الخفيفة وتوزيعها بالجبهة الأمامية فى تقرير كتبه الشهيد البطل فى « بيت لحم » يوم (١٨ يونيو ١٩٤٨)
مقدرا فيه الموقف العسكرى لقواته :

« الخط الأمامي يمتد من « صور باهر » شرقا و « بيت صفافا » غربا ، على هيئة نصف دائرة ، سيطرت بئيرانها الجانبية على بروز العدو في مستعمرات « رامات راحيل » و « أرتونة » و « تل بيوت » و « ماعوز حاييم » . . وتشرف مواقعنا على جميع أحياء القدس الجديدة والمستعمرات اليهودية غربها ، والفضل في احتلال هذا الخطر الحاكم ، يرجع الى سرعتي في التقدم من « بئر سبع » وسبق العدو في احتلاله ، مما حرمه من موقع هام » .

تحرك الجيوش العربية النظامية

وتحركت القوات العربية يوم (١٥ مايو ١٩٤٨) ، في طريقها الى دخول فلسطين ، واقتحم الجنود العرب الحدود الفلسطينية بشجاعة وحماس عظيمين ، وكانت مناطق عمل الجيوش العربية كالاتي :

- الجيش المصري ، يعمل في القطاع الجنوبي متجها الى « تل أبيب » .
- الجيش الأردني ، يعمل في قطاع القدس متقدما من « باب الطرد » الى « حيفا » .
- الجيش السوري ، يعمل في القطاع الشمالي ، ويتقدم من « الجليل » الى « حيفا » .
- الجيش العراقي ، يعمل في القطاع الأوسط ، ويتجه من « مرج ابن عامر » الى « حيفا » .
- الجيش اللبناني ، ويعمل في القطاع الشمالي ، ويدافع عن حدود لبنان .
- الجيش السعودي ويعمل مع الجيش المصري .
- الفلسطينيون . . ويعملون من الداخل في سهل « شارون » .

ولم تكن هناك خطة منسقة للجيوش العربية المشتركة ، اذ لم تزد الخطة النهائية لتحرك الجيوش العربية ، عن قرارات شفوية اتخذها مؤتمر الجامعة العربية في دمشق يوم (١٠ مايو ١٩٤٨) ، وفيها تعين الملك عبد الله قائدا للجيوش العربية بناء على طلبه .

وقد تغيرت خطة عمل الجيش العربي على أرض فلسطين ، قبل تحركه بثمان وأربعين ساعة ، وشمل التعديل تحركات جيوش الأردن والعراق وسوريا .

ولم تكن هناك خطة بالمعنى العسكري السليم ، بل تعين لكل جيش هدف يصل اليه فى وقت معين ، ومن ثم وحسب الموقف تكون أوامر المعركة .

وقد مرت حرب فلسطين بأربع مراحل :

ـ المرحلة الأولى :

ابتدأت يوم (١٥ مايو ١٩٤٨) يوم دخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وانتهت يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) أول أيام الهدنة الأولى .
وكان النصر حليف الجيوش العربية . . اذ حاصرت القوات المصرية القدس الجديدة وفيها نحو ١٠٠ ألف يهودى (٤ يونيو) . . واقتربت الجيوش العربية من « تل أبيب » .

ـ المرحلة الثانية :

ابتدأت بانتهاء الهدنة الأولى يوم (٩ يونيو ١٩٤٨) ، وانتهت عند قبول الهدنة الثانية (١٨ يوليو ١٩٤٨) . ولم ترجح كفة الجيوش العربية لعدم التنسيق فيما بينها ، خاصة وقد تخلى الجيش الأردنى عن « اللد » و « الرملة » وعن مواقعه فى المنطقة الجنوبية وتركها لليهود .
واتضح فى هذه المرحلة أن بعض القوات العربية ، كانت ملزمة بتنفيذ سياسة حكوماتها وهى عدم التعدى على خطوط التقسيم .
وبذلك وضح لليهود أن الجبهة الوحيدة التى تقاثلهم هى جبهة الجيش المصرى .

ـ المرحلة الثالثة :

ابتدأت يوم أن خرق اليهود الهدنة يوم (١٤ أكتوبر ١٩٤٨) بهجومهم المفاجئ على القوات المصرية فى جنوب فلسطين . ودار القتال بعنف فى أكثر من موقع ، وشدد اليهود ضغط هجومهم على « المجدل » وحاصروا « الفالوجة » . وبحماس ذاتى حاولت القوات العراقية الاتصال بالقوات المصرية بالفالوجة ، الا أن « جلوب » قائد القوات الأردنية حال دون ذلك .

وفرضت هدنة ثالثة يوم (٧ يناير ١٩٤٩) . . وبحضور وسيط هيئة الأمم « رالف بانس » ، اجتمع فى جزيرة رودس ، مندوبون عن مصر واسرائيل ، حيث تم الاتفاق على هدنة بغرض انتهاء عمليات القتال يوم (٢٤ فبراير ١٩٤٩) ، وتم انسحاب قوات الفالوجة ، وتم تبادل الأسرى ، ووضع قطاع غزة تحت ادارة القوات المصرية .

٢- المرحلة الرابعة :

وقد تمت فى (مارس ١٩٤٩) . وفيها سلم الجنرال « جلوب » لليهود ، الجزء الجنوبى من النقب ، كما سلمهم ميناء « أم الرشراش » (وأسموه ميناء « ايلات » فيما بعد) على خليج العقبة . ولأول مرة فى التاريخ ، يتم فصل الوطن العربى فى آسيا ، عن قرينه فى أفريقيا .

ويكفى ادراكا لأهمية النقب بالنسبة لليهود ، أن نذكر أن اليهود قد قتلوا « برنادوت » (سبتمبر ١٩٤٨) حينما أوصى فى مقترحاته أن يكون النقب فى الدولة العربية . . فقتله اليهود رسميا لأن القتلة معروفون . وإذا أجزى لنا التعليق على هذه الهدنة . . فان الهدنة الأولى التى فرضتها الدول الكبرى ، وأعلنتها من قاعة مجلس الأمن (٩ يونيو ١٩٤٨) . . حولت نتائج الحرب الى جانب اسرائيل . ومن هذا التاريخ ، واسرائيل تعتمد على هذه المساندة واعتبرتها من أقوى ركائز أمنها القومى ودعم وجودها . . وأصبحت اسرائيل البادئة فى جولاتها ضد العرب . .

واغتصبت من نصرها - فى ١٩٤٨ - نيفا وعشرين ألف كيلو متر مربع من الأرض العربية الفلسطينية ، بزيادة ٣٠٪ عن نصيبها من قرار التقسيم الجائر ، الذى أصدرته الأمم المتحدة فى (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) .

وكان رد فعل الهزيمة فى فلسطين ، فى أوساط الجيش المصرى بالغ المرارة ، لدرجة ألهمت حماس الضباط الأحرار الذين بدأوا يحكمون تنظيمهم ويمدون نطاقه . . وتنتهى حرب فلسطين (عام ١٩٤٨) . . كما أرادوا لها أن تنتهى .

ويصرح « بن جوريون » :

« أما السيف الذى أعدناه الى غمده ، فانه لم يعد الا مؤقتا . . اننا سنستلمه حين تتهدد حريتنا فى وطننا ، وحينما تتهدد رؤيا أنبياء التوراة . . فالتشعب اليهودى بأسره سيعود الى الاستيطان فى أرض الآباء والأجداد ، الممتدة من النيل الى الفرات » .

الباب الثالث

حرب السويس

٢٩ أكتوبر

من عام العدوان ١٩٥٦

أفشل عدوان في التاريخ

حدث العدوان الثلاثي الغادر على مصر . يوم (٢٩ أكتوبر ١٩٥٦) . .
في أكبر مؤامرة اشتركت فيها اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا .
وتعتبر الأحداث التي مرت بها مصر ، خلال الأعوام السابقة لعام
١٩٥٦ . بمثابة ناقوس الخطر الذي تعالت دقاته ، فكان له دوى أذيع
أعداء الأمة العربية .

واشتدت الحرب الباردة في منطقة الشرق الأوسط العربي ، وانماقم
فيها الصراع بين الاستعمار وبين مصر .

وثمة أحداث من جانب حكومة الثورة المصرية ، هزت الاستعمار
وأفقدته السيطرة على أعصابه . . كان من أبرزها :

- ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، وقع الرئيس عبد الناصر بالأحرف الأولى على
اتفاقية الجلاء . ويبدو رد فعل هذه الاتفاقية على اسرائيل واضحاً في
تصريح رئيس وزرائها من أن مثل هذه الاتفاقية بين مصر وبريطانيا
تعني . . « التخلي عن اسرائيل لتواجه قدرها ومصيرها » .

- ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، أحس الاستعمار الغربي والصهيونية العالمية ،
بأن مسيرة الثورة المصرية ، تقضي على أحلامهم ومشروعاتهم في المنطقة
العربية ، وكان لزاماً على الأعداء أن يتحركوا ليتخلصوا من الرئيس
عبد الناصر . . وبالفعل جرت محاولة لاغتياله في مساء ٢٦ أكتوبر
بينما كان يشرح لجموع الشعب في ميدان المنشية بالاسكندرية ،
نصوص اتفاقية الجلاء .

- أول نوفمبر ١٩٥٤ ، أعلنت ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي . .
وفتحت مصر أبوابها على مصراعها مرحبة بأحرار الجزائر ، وقدمت
لجيش التحرير الوطني الجزائري كافة المساعدات ، واستقبلت
المعسكرات المصرية ثوار الجزائر لتدريبهم . . حتى انطلق قادة فرنسا
ينادون بأن القاهرة وليست الجزائر ، هي المكان الذي يمكن أن تنتهي
فيه ثورة الجزائر .

- ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، شنت اسرائيل على غزة غارة انتقامية ، وازدادت
حوادثها الاستفزازية خلال عام ١٩٥٥ .

- ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ ، الانتصار في معركة احتكار السلاح .
وكان توتر الموقف على خطوط الهدنة مع اسرائيل ، من أهم البواعث التي دفعت الرئيس عبد الناصر ، الى البحث عن مصائد جديدة للحصول على الأسلحة منها ، بعد فشل المحاولة التي بذلت مع الدول الغربية . وعقدت صفقة الأسلحة مع الكتلة الشرقية وكانت ضربة صائبة إذ أتاحت لمصر ، وللمرة الأولى في تاريخها ، أن تتحرر من سيطرة الغرب من الناحية العسكرية .
- في أوائل عام ١٩٥٦ ، استقبلت القاهرة جميع الزعماء الجزائريين الذين حكمت عليهم فرنسا بالاعدام أو السجن ، حيث كونوا « لجنة التحرير الوطني » . وردا على ذلك قامت حكومة فرنسا بشن حملة كراهية ضخمة ضد مصر وركزت كراهيتها في شخص الرئيس عبد الناصر .
- ١٦ مايو ١٩٥٦ ، اعترفت حكومة الثورة المصرية بدولة الصين الشعبية ، فكانت مصر أول دولة عربية تعترف بها . ولم يعجب أميركا هذا الاعتراف ، لأنه أفسد خطط الاستعمار الأمريكي الذي يعمل على عزل الصين الشعبية عن دول العالم .
- ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، تم جلاء القوات البريطانية المحتلة (٨٠ ألفا) عن الأراضي المصرية ، ورفع العلم المصرى فوق أرض القناة .
- السد العالي . . وبرز مشروع تمويل تنفيذه الى الوجود ، وهو من أهم المشروعات الاقتصادية التي عنيته حكومة الثورة المصرية بتحقيقها .
- ١٩ يوليو ١٩٥٦ ، أصدرت لجنة الاعتمادات فى مجلس الشيوخ الأمريكى قرارا حظرت بموجبه تقديم أى معونة مالية لبناء السد العالي . كما سحبت الحكومة الأمريكية رسميا عرضها بمبلغ ٥٦ مليون دولار لتمويل مشروع السد العالي .
- ٢٠ يوليو ١٩٥٦ ، سحبت بريطانيا عرضها بمبلغ ١٥ مليون جنيه تقريبا لتمويل المشروع . كما أعلن رئيس البنك الدولى ، انه نظرا للقرار الانجلو - أمريكى فان البنك لا يستطيع أن يقرض مصر مبلغ ٢٠٠ مليون دولار التى وعد بها منذ أسبوع سابق .
- ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم قناة السويس . . اذ لم يكن هناك أمام مصر الا أن تعتمد على نفسها كلية لتمويل مشروع السد العالي . . ولم يكن ليتم ذلك الا بضربة صائبة ، تستعيد بها مصر حقا أساسيا من حقوقها .

رد فعل التأميم

كان اعلان تأميم قناة السويس بمثابة انفجار شديد أطيح بعقول سياسة الغرب ، الذين اعتبروا قرار الرئيس عبد الناصر ، من أكبر الأزمات منذ الحرب الكورية .

وفي اليوم التالي للتأميم ، بينما كانت وزارة الخارجية البريطانية تتصل بفرنسا حليفها في حلف شمال الأطلسي ، وكان خبراء الخزانة البريطانية يحسبون نتائج التأميم بحساب الجنيهاً وبراميل البترول والمنافع العديدة التي يفوقها التأميم على بريطانيا . وبينت الأرقام أن استعادة مصر لقناة السويس ، تعتبر بمثابة الضربة القاضية على المصالح البريطانية في الشرق الأوسط .

وفي يوم الجمعة (٢٧ يوليو ١٩٥٦) اتصل « ايدن » نليفونيا ، بمسئو « بينو » وزير خارجية فرنسا الذي أوعز الى « ايدن » ان يطلب من قادة قواته المسلحة ، اعداد الخطة اللازمة للقيام بعمل عسكري ضد مصر . وكتبت صحف بريطانيا وفرنسا عن ضرورة تزويد اسرائيل بمزيد من الأسلحة .

أما فرنسا . . فكانت في ثورة أشد وأعنف من ثورة بريطانيا ، اذ كان احساسها بقرار التأميم ، كأن مصر قد هاجمت فرنسا واحتلتها . . فقد كانت شركة قناة السويس آخر معقل دولي هام للرأسمالية الفرنسية . أما أمريكا . . فكانت مشغولة بالحملة الانتخابية . . فقد كان « ايزنهاور » - الذي كان يعتمد في دعايته الانتخابية على وصفه « أميراً للسلام » - يعمل على إعادة انتخابه في شهر (نوفمبر ١٩٥٦) .

الا أن قرار التأميم لم يؤلم أمريكا بنفس القوة التي تأثرت بها فرنسا وبريطانيا ، اذ لشركة القناة أجمل الذكريات التاريخية بالنسبة لهما . أما اسرائيل . . فمنذ عقدت مصر صفقة الأسلحة التشيكية ، و « بن جوريون » يردد دائماً أن مصر تشكل الخطر الأكبر الذي يهدد كيان الدولة اليهودية ويزعزع مستقبل اسرائيل . ولذا اعتزمت اسرائيل أن تقوم بحرب وقائية لتدمير الجيش المصري وأسلحته الجديدة .

وانتهزت اسرائيل مشكلة قناة السويس ، وراحت تزيد المشكلة اشتعالاً ، وتوغر صدر فرنسا ضد مصر . . وتمكنت اسرائيل من اقناع فرنسا التي أقنعت بدورها بريطانيا ، لتهيئة مشروعاتها العدوانية . وهكذا كان حلف التواطؤ الاسرائيلي الفرنسي البريطاني ، الباعث على العدوان الثلاثي على مصر .

بدء العدوان

- وفي الساعة الرابعة والنصف مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ..
- بدأ الهجوم الاسرائيلي الغادر على الاراضى المصرية .
- دخلت الوحدات المدرعة الاسرائيلية ، بسرعة الى مراكز الحدود فى القطاع الجنوبي من الحدود الاسرائيلية المصرية .
- تم اسقاط ٣٩٥ من جنود المظلات الاسرائيليين فى ممر متلا .
- قامت ١٢ طائرة ميسستير بدوريات فوق القناة .
- طارت الى اسرائيل ، وحدات من سلاح الطيران الفرنسى ، من التى كانت تخدم أغراض حلف شمال الأطلسى .
- قامت من قبرص طائرات النقل الفرنسية لاسقاط الأسلحة والتعيينات للقوات الاسرائيلية المتقدمة .
- وصدر الانذار البريطانى الفرنسى ، الذى تسلمه كل من السفيرين المصرى والاسرائيلى يوم (٣٠ أكتوبر ١٩٥٦) الذى جاء فيه ، بأن ينسحب كل من الطرفين المصرى والاسرائيلى ١٠ أميال من القناة فى طرْف ١٢ ساعة ، والا ستحتل القوات البريطانية والفرنسية بورسعيد والاسماعيلية والسويس .
- وقبلت اسرائيل الانذار .. ورفضته مصر بالطبع .
- وفى يوم (٣١ أكتوبر ١٩٥٦) .. بدأ الهجوم الجوى على مصر .
- فقد انطلقت من حاملات الطائرات البريطانية والفرنسية ومن قاعدة قبرص العسكرية حوالى ٢٠٠ طائرة بريطانية وفرنسية .
- وتحركت قطع الأسطول البريطانى والفرنسى لاستكمال خطة الغزو .
- التى كانت فى البداية تهدف الى نزول القوات البريطانية والفرنسية فى ميناء الاسكندرية ، ثم تغير مكان النزول ليكون فى بورسعيد .
- وفى ليلة ٣١ أكتوبر .. أصدر الرئيس عبد الناصر أوامره بالانسحاب العام للجيش من سيناء ، ووقف اشتراك القوات الجوية المصرية فى هذه المعركة غير المتكافئة .
- ونسف الجيش السورى ثلاث محطات لدفع البترول على خط أنابيب البترول العراقى . وقطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها مع بريطانيا وفرنسا ، وقررت وقف بيع البترول السعودى لهما .

وفى أول نوفمبر ١٩٥٦ . سدت قناة السويس وتوقفت الملاحة تماما عبرها .

واشتدت الغارات الجوية البريطانية الفرنسية على المطارات المصرية ، قامت بها أكثر من ٢٠٠ طائرة متحالفة بمعدل غارة جوية كل ربع ساعة . وأمام قوى التحدى الاستعمارية ، قبل الشعب المصرى التحدى وعقد العزم على احراز النصر أمام القوى الغاشمة . وتمت بنجاح خطة انسحاب الجيش المصرى من سيناء .

وفى يوم ٥ نوفمبر . اشتدت الغارات على بورسعيد تمهيدا للهجوم عليها ، غارات جوية وبحرية ، لتغطية انزال القوات البريطانية والفرنسية من الجو والبحر .

ونم الاسقاط الجوى بينما كانت هناك قافلتان بحريتان بريطانية وفرنسية . فى طريقهما لانزال قواتهما على شواطئ بورسعيد وبورفؤاد . واستطاعت قوات العدوان أن تحتل أجزاء من بورسعيد وبورفؤاد ورأى الرئيس عبد الناصر أن يتأخر فى الرد على العدو ، ليكسب الوقت الكافى ، الذى تتمكن فيه الدول الكبرى من التدخل لوقف العدوان ، ولاثارة أعضاء هيئة الأمم المتحدة .

وبالفعل أرسلت روسيا الى مجلس الأمن لعقد جلسة طارئة ، لبحث التدابير الفورية الواجب اتخاذها لوقف عدوان بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر .

وأرسل رئيس وزراء روسيا رسالة الى الرئيس الأمريكى « ايزنهاور » والى « جى موليه » ورسالة جافة الى « بن جوريون » ، كما تسلم السفير البريطانى فى موسكو مذكرة من وزير خارجية روسيا ، لابلغها الى « ايدن » والتي كانت تتضمن انذارا بالتدخل العسكرى السوفيتى .

وتحول العدوان الثلاثى على مصر . الى أزمة دولية ، تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة .

ولمس أطراف العدوان ، جدية الانذار الروسى . مما دفع اسرائيل الى الانسحاب من مغامرة العدوان متخلفة بذلك عن بريطانيا وفرنسا ، ووضعتهما فى أسوأ وضع .

واجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى لدراسة الموقف ، الذى وصل الى ضغط أمريكى على بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، لوقف اطلاق النار فورا .

واذعنت بريطانيا وفرنسا لارادة غالبية الأمم المتحدة ، وقررتا إيقاف القتال اعتبارا من منتصف ليل (٦ نوفمبر ١٩٥٦) .

وتحت الضغوط المتعددة . . . والتي من أهمها الجحيم الذي أعدته المقاومة الشعبية في بورسعيد ، والشعب المصري لقوات العدوان . . . لم تجد فرنسا مفرًا ومعها بريطانيا من الجلاء تدريجيا بمجرد وصول قوات الأمم المتحدة . . . لما اتفق على قيام الأمم المتحدة بالمعاونة في تطهير القناة ، بعد انسحاب المعتدين نهائيا من منطقة القناة .

ووصلت القوات الدولية الى مطار « أبو صوير » وبورسعيد يوم ٢١ نوفمبر . . .

وفي منتصف ليل ٢٢ نوفمبر . . . كان آخر جندي من قوات الاعتداء يركب آخر سفينة للانسحاب عن بورسعيد التي عادت حرة لمصر .

وحطم أهالي بورسعيد تمثال ديليسبس . . . وارتفع علم مصر عاليا .

هذا وقد تم انسحاب اسرائيل ، في أعقاب دخول قوات الطوارئ الدولية التي وصلت الى مشارف غزة يوم ٦ - ٧ مارس ١٩٥٧ ، وكانت هذه القوات قد تسلمت « شرم الشيخ » يوم ٢ مارس .

وهكذا لم يزد دور اسرائيل في هذه الجولة ، عن مجرد مخلب قط لفرنسا وانجلترا :

- لاختفاء أنفاس التحرر .
- واعاقة ركب التطور العربي .
- وكبت الانتفاضات التحررية .
- ووقف تيار المد الثوري لتطهير أرض العرب من الاستعمار والاستغلال .
- ووقف العالم أجمع - حكومات وشعوبا - يدين هذا العدوان الامبريالي الغربي المتواطئ مع اسرائيل ضد العرب . . . ولأول مرة في التاريخ .
- تتكاتف أمريكا مع روسيا ، على سحق هذا العدوان بعنف وجدية .

وانتزعت اسرائيل عام ١٩٥٦ ، حق الملاحة البحرية والجوية عبر خليج العقبة العربي .

ولم يرض اسرائيل ذلك . . . فقد أوضحت عن مكنون نواياها التوسعية ، على لسان « موسى شباريت » في تصريح له نشرته « جيروساليم بوست » عام ١٩٥٥ . . . اذ يقول :

« ان اسرائيل . لن يكتب لها البقاء ، ما لم تشن حربا وقائية على الدول العربية ، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول . حتى تضمن سلامتها ، وحتى تحقق الحلم ، الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية . . ألا وهو اقامة امبراطورية اسرائيلية . ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قويا يخشاه الجميع » .

وخلاصة غايات العدوان الثلاثى على مصر ، نلخص أهدافه فى الآتى :

١ - تعطيم الثورة فى مصر . . لأنها مصدر خطر على اسرائيل ، بعد تعطيم احتكار السلاح .

٢ - ارجاع النفوذ الاستعماري الى قناة السويس ، وحرمان الشعب المصرى . من أكبر مورد له . يدر عليه سنويا ، أكثر من مائة مليون جنيه استرلينى .

٣ - تعطيم الحصار الاقتصادى العربى لاسرائيل . . وذلك بفتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية .

الباب الرابع

حرب ه يونيو

.. من عام النكسة ١٩٦٧

التخطيط الاسرائيلي

جاءت نتائج الجولة الثالثة (عام ١٩٥٦) مخيبة لآمال اسرائيل . .
واسنخلصت من فشلها ، يقينا بأن تواطؤ بريطانيا وفرنسا معها كان السبب
فى انتكاس هذه الجولة . .

وقامت أجهزة التخطيط الاسرائيلية ، بتحديد الهدف السياسى
العسكرى الجديد لجولة قادمة . . ووضعت الخطوط العريضة للعمل
المطلوب انجازه ضد العرب ، مرتكزة على :

- النهضة التكنولوجية .
- تطوير نوعى لقدراتها المسلحة الذاتية .
- تعويض النقص بمعونات مستترة لا تكشف أمام الرأى العام العالمى .
- وتحقيقا لذلك ، كان على اسرائيل أن تستبدل السلاح الجوى البريطانى
الفرنسى ، الذى حقق لها (عام ١٩٥٦) الضربة الجوية المفاجئة . . بسلاحها
الجوى بمفرده وقدراته الذاتية على تحقيق هذه المهمة عام ١٩٦٧ .
- ونالت بقية الأسلحة نفس التطوير والاهتمام . . عدا السلاح
البحرى . اعتمادا على وجود الأسطول السادس الأمريكى فى مياه البحر
المتوسط .

وقد كشف عن ذلك الاعداد والاستعداد ، تصريح العميد « مردخاى
هود » قائد السلاح الجوى الاسرائيلى فى أعقاب الجولة الثالثة (١٩٦٧)
يقوله :

« ان سلفى ، عازر وايزمان ، يعود اليه كل الفضل اذ بدأ الاعداد
لهذه الحرب غداة أن حرمنا من ثمار النصر عام ١٩٥٦ » .
هذا وقد حدد مجلس الحرب الاسرائيلى ، فى أعقاب جولة ١٩٥٦ ،
الهدف السياسى للجولة القادمة ضد العرب ليكون :

« تشييت أركان دولة اسرائيل على الصعيدين العالمى والاطار المحلى ،
كخطوة مرحلية فى الطريق المرسوم لانشاء دولة اسرائيل الكبرى » .
وكان ذلك يشكل هدفا سياسيا مركبا ، تنبثق منه عدة أهداف
سياسية عسكرية هى :

- ايقاع نكسة عنيفة بالطفرة العربية التقدمية .

- إيقاف هزيمة عسكرية ساحقة بكل القوات المسلحة العربية المتاخمة لإسرائيل ، تفقدتها الثقة في النفس ، وثقة الشعوب العربية في فاعليتها . . . كما توفر لإسرائيل مرحلة هدوء نسبي تالية ، تستغلها في تنمية قدرات الدولة بمعدل عال ودون معوقات .
- قلب نظم الحكم التقدمية في الدول المهزومة .
- تجميع مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في المجال الدولي والمحلي .
- تحقيق مكاسب اقليمية ، بإقامة عاصمة إسرائيل الكبرى في القدس . وتعديل بعض أجزاء الحدود بما يوفر لإسرائيل أمنا قوميا أفضل ، وتأمين الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس .
- فرض الحل السياسي الثلاثي لمشكلة فلسطين من وجهة نظر إسرائيل . ورمي الهدف السياسي أيضا الى شحن معنويات الجبهة الداخلية الإسرائيلية ، وزيادة ترابط أشقات سكانها المختلفي الجنسية ، وإثارة إعجاب الممالئين لها في شتى أنحاء العالم ، سعيا وراء المعونات والتبرعات والهبات .

أما العرب

- وبقدر ما أعدت إسرائيل وجهزت ، والتزمت بأسس ومبادئ الحرب في كل جولة من جولاتها الثلاث . . . وبقدر ما حشدت وعبأت من قدرات مادية ومعنوية . . .
- بقدر ما تهاون العرب في الاعداد والتجهيز . . . وبقدر ما فشتوا وششتوا من امكانيات ، وأضاعوا من قدرات هباء وبلا مبالاة . . .
- وحاجة العرب أصبحت بين القوى المضادة :
- سلامة حشد الامكانيات .
 - جدية عقد المقارنات بين القوى المضادة .
 - حسن استغلال القدرات .
 - كفاءة وضع الخطط .
 - مرونة السيطرة على المعركة .
 - صلابة الارادة ورباطة الجأش في الأزمات .
 - واقعية تحليل مختلف العواقب المحتملة .
 - الاستعداد الجوى للملاقاة ضخامة الجهد المطلوب في الصراع .
 - معرفة جذور مستقبل القضايا العربية مع الصهيونية .

التمهيد المعنوي الاسرائيلي للعدوان

أخذت اسرائيل ، منذ أول عام ١٩٦٧ ، تعلن - مموهة على العالم عامة وعلى العرب بوجه خاص - عما تعانيه من ازمات داخلية وبطالة وهبوط معدل اسنشمار رؤوس الأموال الأجنبية فيها . وارتفاع نسبة نزوح المهاجرين منها الى الخارج ، وتوقف تيار الهجرة اليهودية . بل وراح « بن جوريون » يعلن على العالم من تل أبيب .

« ان مستقبل دولة اسرائيل أصبح غير مضمون » .

واستصرخت اسرائيل الصهيونية العالمية . واستنجدت بالاستعمار الامبريالي للمحافظة على ما أسمته حياتها ، كقاعدة تؤمن مصالحهما في منطقة الشرق الأوسط والوطن العربي العنيد .

واقتنصت اسرائيل ، أعمال تنظيمات الفدائيين الفلسطينيين (الفتح) وجناحه العسكري (العاصفة) . لتسبغ على ما بيتته للعرب من خطط عدوانية صفة الاضطراب والحتم .

وكانت مصر وسوريا ، على رأس الأنظمة العربية ، التي تحمل شعارات الدفع الثوري ، ولهما مع اسرائيل حدود مشتركة ، واتجاهات عمل عسكري مباشر . ولهذا وقف « اسحق رابين » رئيس الأركان العامة الاسرائيلية ، يعلن من اذاعة اسرائيل يوم (١٢ مايو ١٩٦٧) :

« اننا سنشن هجوما خاطفا على سوريا ، وسنحتل دمشق لنسقط الحكم فيها . ثم نعود » .

وهكذا خططت الصهيونية والامبريالية ، للعدوان على العرب منذ مطلع عام ١٩٦٧ . وعلى ضوء هذا التواطؤ الخفي ، جاء الهجوم على سوريا في (٧ أبريل ١٩٦٧) - استخدمت فيه اسرائيل ، قوة متفوقة شنت بها ضربة قوية ، استمرت حوالي ٢٤ ساعة ، بغرض اسقاط الحكم الثوري السوري ، ولقيام حكم آخر عميل .

ولكن لم يحقق هذا الهجوم ، أى شئ من أهداف اسرائيل - ثم تحول ذلك ، الى تخطيط لاعداد هجوم شامل على سوريا ، بحجة أنها تشجع أعمال الفدائيين داخل الأراضي المحتلة . وأخذ المستعمرون الاسرائيليون يتهمون سوريا ويؤلبون عليها الرأي العام العالمي وسارح وزير خارجية اسرائيل واجتمع في (١٠ مايو ١٩٦٧) بجميع سفراء اسرائيل بالخارج لاقناع الدول التي يعملون فيها بخطورة الوضع على الحدود السورية الاسرائيلية والتأكيد بأن سوريا هي المسؤولة عن اراقة الدماء الصهيونية .

وفى معركة التمهيد النفسى للعدوان المبيت على العرب ، صرح ليفى اشكول رئيس حكومة اسرائيل بأن :

« حرب العصابات أمر لا يقبله العقل ، ولا يمكن ترك الأمر له فى اسرائيل . ومن الواضح أن سوريا هى مصدر التخريب والمخربين الذين يقدون اليها » .

ودارت عجلة استعدادات الصهيونية الامبريالية تخطط للعدوان على العرب .

ماذا فعلت مصر ؟

وفجأة تعثرت الخطط الاسرائيلية يوم (١٤ مايو سنة ١٩٦٧) عندما أعلنت مصر عن مؤامرة تدبر فى الحفاء للهجوم على سوريا تحدد لها يوم (١٧ مايو ١٩٦٧) .

كما علقت الدوائر السوفيتية (١٦ مايو ١٩٦٧) على التهديدات الاسرائيلية :

« ان حشد القوات الاسرائيلية فى المنطقة المجردة من السلاح يثبت ان اسرائيل تشكل - خلافا لمصلحتها - مصدرا للتوتر فى الشرق الأوسط . . وانها بذلك تعمل على وضع العراقيل فى طريق سوريا » .

ولم تكن اسرائيل أو الدوائر الاستعمارية ، تتوقع تدخل مصر . . علما بأنهم كانوا يعرفون بالاتفاقية العسكرية المعقودة بين مصر وسوريا « ٤ نوفمبر ١٩٦٦ » ، اعتمادا على انهماك مصر فى اليمن بما لا يسمح لها بمد سوريا بالعون العسكرى الكافى .

وقررت مصر يوم (١٩ مايو ١٩٦٧) استخدام حقها فى سحب قوات الطوارئ الدولية من أراضيها ، وعلى طول خط الهدنة بينها وبين اسرائيل . واستجاب سكرتير هيئة الأمم المتحدة لهذا الطلب . . وأعقب ذلك الانسحاب اعلان من جانب مصر يوم (٢٢ مايو) بغلق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

وجاء قرار مصر قاسيا على اسرائيل . . وكان على الامبريالية والصهيونية العالمية المتآمرين على العرب ، أن تقف مع اسرائيل فى البحث عن خطة جديدة .

وبعد أن حضر ملك الأردن الى القاهرة ووقع اتفاقا عسكريا مشتركا يوم (٣١ مايو ١٩٦٧) .

وجدت اسرائيل أن تبادر بالمفاجأة . . وكان ما كان يوم (٥ يونيو ١٩٦٧) .
وكانت الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة .

نكسة الهزيمة

فى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ . . شنت اسرائيل حربا خاطفة غادرة على مصر ، امتد لهيبها الى سوريا والاردن .
وتمكن اسرائيل من التقدم فى الاراضى العربية فاحتلت :
- الضفة الغربية للمملكة الأردنية بما فيها القدس .
- مرتفعات الجولان السورية حتى القنيطرة .
- قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء حتى الضفة الشرقية لقناة السويس .
وأغارت الطائرات الاسرائيلية على منطقة قناة السويس ، وعلى المطارات المصرية . . وفى أقل من ثلاث ساعات ، تحول السلاح الجوى الى حطام . وفى سيناء . . كانت القوات المسلحة المصرية ، بمعظم أعدادها وعتساده . . تدهلهم مفاجأة الحرب ، ثم يزداد ذهولهم تماما عندما تصدر اليهم الأوامر المتضاربة من قيادتهم بالاسراع فى سحب القوات .
وعلى الرغم من أنه كان عدد من الوحدات التى سيطر عليها قادتها فتماسكت وصمدت وقاتلت قتال الأبطال . . الا أن الكارثة قد حاقت بباقي القوات ، فأودت بكافة معداتها وبحياة آلاف من صفوف الضباط وخيرة الجنود .
كارثة أحالت جيشا نظاميا الى أشنتات ليس له هم الا الانطلاق المنجاة صوب القناة .

النظرة الدولية

وبمعايرة هذا العدوان بمواثيق الأمم المتحدة ، نجد أنه يعتبر خرقا فاضحا لاتفاقيات الهدنة ، وانتهاكا اثيما لميثاق الأمم المتحدة .
ولذلك ، انعقدت جلسة طارئة لمجلس الأمن يوم (٥ يونيو) ووضع « أوثانت » السكرتير العام أمام المجلس تقريرا ضمنه قيام اسرائيل بالبدء بالعدوان . . وبدلا من ادانة هذا العدوان ، رضى المجلس لمشيشة أمريكا وبريطانيا وأنصارهما ، حتى توصل يوم (٦ يونيو) الى قرار بالاجماع تضمن اتخاذ الحكومات المعنية تدابير عاجلة لوقف اطلاق النار فورا وانهاء النشاط الحربى فى المنطقة .

وتغاضت اسرائيل عن هذا القرار واستمرت فى عدوانها وعادو المجلس بحث الأمر يوم (٧ يونيو) ٠٠ ولا تبالى اسرائيل باجماع الآراء وتسير فى عدوانها على المرتفعات السورية .

ويعادو المجلس يوم (٨ يونيو) بحث مشروع قرار روسى آخر بادانة اسرائيل والمطالبة بوقف الأعمال العسكرية الاسرائيلية ضد الدول العربية . وهنا قاومت أمريكا هذا المشروع لأنه يدين اسرائيل ، ثم قدمت أمريكا مشروع قرار طالبت فيه :

- بوقف اطلاق النار فقط .

- واجراء مفاوضات بين الأطراف المعنية للوصول الى اتفاقات تشمل الانسحاب وتباعد القوات العسكرية .

ونظرا لاحتمال عدم الموافقة على هذا المشروع ، تقدم رئيس مجلس الأمن أخيرا بمشروع قرار ، تمت الموافقة عليه بالاجماع يوم الجمعة (٩ يونيو) ويقضى بوقف العمليات الحربية فورا .

استفادت اسرائيل - من خلال عدم احترامها لقرارات مجلس الأمن التى استمرت طوال أربعة أيام - استفادت امتداد اعتداءاتها على الأراضى السورية حتى وصلت الى « القنيطرة » .

وبلا أى جدوى ، يتنقل موضوع أزمة الشرق الأوسط التى خلقتها حرب ٥ يونيو بين جنابات هيئة الأمم المتحدة بمجالسها ولجانها المختلفة . وتتمادى اسرائيل فى غيها ، وتتصرف فيما استولت عليه من أراض عربية وكأنها باقية عليها الى الأبد امتدادا لسياستها التوسعية .

مغانم اليهود

فى خطاب ألقاه « موسى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق يوم (٥ يوليو ١٩٦٨) أمام اتحاد شباب الكيبوتز فى هضبة الجولان السورية جاء فيه :

« ان آباءنا قد وصلوا الى الحدود التى اعترف بها مشروع التقسيم عام ١٩٤٧ . وأن جيلنا قد وصل الى حدود عام ١٩٤٩ . أما جيل الأيام الستة ، فقد وصل الى السويس والأردن وهضبة الجولان . وهذه ليست النهاية ، لأن هناك بعد خطوط وقف اطلاق النار ، خطوطا جديدة تصل الى ما وراء نهر الأردن ، وقد تصل الى لبنان وسوريا الوسطى » .

- وفى أعقاب جولة يونيو ١٩٦٧ :
- احتلت اسرائيل مساحة من الأراضى العربية تبلغ ٦٥ ألف كيلو متر مربع وهى مساحة تزيد على ثلاثة أمثال مساحة اسرائيل الأصلية .
 - نجحت فى الوصول الى المياه المفتوحة للمبحر الأحمر .
 - اكتسبت عمقا استراتيجيا طالما عانت اسرائيل من ضحائته ، أمن قلب الدولة من التهديدات المستمرة ، فيما بين تل أبيب غربا وبيسان شرقا وحيفا شمالا .
 - أصبحت حدود اسرائيل ، بما تحتله من أرض عربية ، تمر فوق موانع طبيعية هامة .. بين القنيطرة شمالا ، وأخدود نهر الأردن والبحر الميت ووادى عرابة وخليج العقبة شرقا ، ثم خليج السويس وقناة السويس جنوبا ، وساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا .. واكتسبت اسرائيل من كل ذلك مزايا عسكرية واضحة .
 - استولت اسرائيل على مغانم اقتصادية ، كموارد سيناء الطبيعية من بنرول وفحم ومنجنيز وخامات معدنية ، وثروة سمكية وزراعية ، علاوة على عائد سياحى مباشر .. وكلها مكاسب اقتصادية يمكن أن تغطى تكاليف الاحتلال العسكرى وتخفف من أعبائه على الاقتصاد الاسرائيلى على الزمن الطويل ..

عواقب عربية

- كان أبرز التغيرات وأشدها أثرا على الجانب العربى :
- انتزاع المبادأة المطلقة من العرب ..
 - المشاكل الحادة المتخلفة عن موضوع القناة ومنطقة السويس ..
 - غلق ميناء العقبة بصفته المنفذ الوحيد للأردن ..
 - حساسية منطقة القنيطرة باعتبارها نقطة الوثوب نحو دمشق ..
 - انتزاع منابع نهر الأردن ومنابع الليطانى والوزانى وبنياس ..
 - سلب مدينة القدس ذات المركز الدينى الكبير بالنسبة للاسلام بلام والمسيحية .

التوسع الاسرائيلى

- يعتمد التوسع الاسرائيلى - الهادف الى انشاء اسرائيل الكبرى على النهج المرحلى ، وفقا للمخططات الصهيونية .. أى بالتصاعد أو الانتقال بعد استنفاد مكاسب أحد الظروف ، الى مرحلة جديدة ، تقفز منها الحركة

الصهيونية الى مطالب أخرى جديدة ، بحيث يكون حدها الأدنى فيها « .
هو ما كان حدا أقصى في المرحلة السابقة ويعنى ذلك ، في السياسة
الصهيونية ، أن يكون مبدأ « اللاتراجع » هو الحد الأدنى للمطالب
الصهيونية ، في كل وضع . . . وأن تكون « الواقعية » هي الحد الأقصى لما
نطالب به الحركة الصهيونية ، في كل ظرف طبقا لأوضاعه وامكانياته . .
مع استغلال عنصر « المرونة » الذي يسمح لها بتكييف الوسائل واخضاعها
لرغبتها . .

وعلى ذلك فان عمليات اسرائيل العسكرية التي تعتمد دائما على
ما يحيط بها من ظروف عامة . . ترتكز أساسا على عاملين :

الأول : أن يكون التوسع المرحلي ، في حدود طاقة اسرائيل ، التي
ترتبط بقدرتها العسكرية على احتلال أرض جديدة والسيطرة عليها وحماية
حدودها الجديدة .

(في ٥ يونيو ، استطاعت اسرائيل أن تتقدم بسرعة داخل أراضي
كل من مصر وسوريا والأردن . . ولكنها توقفت عن التقدم عند حدود
قناة السويس ونهر الأردن والقنيطرة . . وكان في امكانها التقدم الى ما هو
أكثر من ذلك لولا حجم طاقتها وقدرتها) .

الثاني : انزال ضربات قاصمة على ما تعتدى عليه من دول . . عملا
بتعاليم حكماء صهيون : « كلما ازدادت قوة ، وجب أن يزداد غيرك ضعفا » .

عندما احتلت اسرائيل الضفة الشرقية للقناة . أصبحت معظم المدن
والمنشآت المصرية في دائرة نيران مدفيعيتها . علاوة على اضعاف مصر
اقتصاديا باقفال القناة . واحتلال الضفة الغربية من الأردن خلق للأردن
مزيدا من الأعباء المالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية . أما سوريا ،
فقد لحقتها الأضرار الجسيمة اذ أن هضبة الجولان التي احتلتها اسرائيل
تمثل المطرقة الفولاذية بيد سوريا تنهال بها على العدو لتحد من أطماعه .
بالإضافة الى تشريد أكثر من مائة ألف مواطن) .

أى أن اسرائيل باحتلالها شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية لنهر
الأردن وهضبة الجولان . . كانت تهدف الى انزال ضربة قاصمة بالدول
العربية الثلاث ، تضطرها بعد ذلك لقبول أى شروط للمصلح قد تفرضها
اسرائيل عليها .

ولعل ذلك ما جعل موشى ديان يقول بعد حرب ٥ يونيو :

« ان حدود اسرائيل ، أصبحت طبيعية على جميع الجبهات . .
باستثناء لبنان » .

وليس أدل على هدف إسرائيل التوسعي ، من الخريطة المرسومة على مدخل الكنيسة الاسرائيلي . . اذ رسمت حدودها - في هذه الخريطة - من النيل الى الفرات ، كما أطلق في الخرائط المدرسية على الدول المجاورة لاسرائيل ، تعبير « البلاد الاسرائيلية المحتلة » .

الرفض العربي

بعد هزيمة يونيو ، تركزت جهود اسرائيل والامبريالية والصهيونية العالمية على شيء أساسي هو . . احتلال الانسان العربي . .
فشمة مخطط اعلامي خبيث يستهدف هذا الاحتلال الغريب لاقتناع الانسان العربي ، بالتخلي عن القتال والتحرير ، وجره الى الاعتراف بالأمر الواقع .

وما ذلك الا ترجمة هزيمة لقبول الهزيمة والتكيف مع الأوضاع الجديدة التي أوجدتها .

فان أكثر ما يشغل بال اسرائيل والامبريالية ، هو الرفض العربي الذي يخلق مناخ الاصرار على التحرير وحرب التحرير .
والصمود هو الذي يستطيع أن يقلب كل المخططات المعادية ، ويبعث في المنطقة العربية رياح التحرر والتحرير .

حقيقة التاريخ

ان كانت اسرائيل قد انتصرت في حرب ١٩٦٧ ، فلأنها بدأت الحرب أولا ، ولأنها وجدت المجال لتركيز قوتها على جبهة واحدة ، ثم انتقلت بها الى الجبهات الأخرى .

وقد اتفق الخبراء العسكريون العالميون الذين درسوا تفاصيل حرب ٥ يونيو ، اتفقوا جميعا ، على أنه رغم الخسائر التي حاققها بالطيران المصري فانه لو كان قد تحقق التحرك العسكري العربي على طول الجبهات العربية الاسرائيلية في الساعات الأولى للحرب - وفق خطة محددة - لكانت نتيجة الحرب غير تلك التي كانت .

القسم الثاني

الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة

مقومات النصر

٦ أكتوبر والمفاهيم

العسكرية الجديدة

الجهة في الشرق

الباب الأول

مقومات النصر

الاصرار المصري

بعد ٥ يونيو ٠٠ كان لا بد من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحى الثورى لحرب التحرير وامتلاك أسلحتها الاستراتيجية .

وكانت التصريحات الاسرائيلية - فى الفترة ما بين ١٩٦٧ الى ما قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - تكشف عن نيات اسرائيل لكسب الوقت والتسويق فى السعى الى تسوية مشكلة الشرق الأوسط .

ولعل أخطر ما صرح به الاسرائيليون ، هو قولهم :

« ثمة فارق كبير بين إعادة صحراء ، وإعادة أراض يقطنها

اليهود » .

فقد أقامت اسرائيل المستعمرات التى يقطنها اليهود ، فى معظم الأراضى العربية المحتلة ، ابتداء من مرتفعات الجولان وانتهاء بصحراء سيناء .

وتشير مخططات اسرائيل الى استبعاد التخلي عن صحراء سيناء كلها . اذ ان تغيير وجودها فى بعض أجزائها ضرورة استراتيجية لا يمكن اغفال أهميتها ومن هنا كان الاصرار الأمريكى على التسوية الجزئية . . الأمر الذى رفضته مصر نهائيا ما لم يقترن بتعهد صريح بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة كلها . . أى الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ . ودائما ما تعتمد اسرائيل على اقرار سياسة الأمر الواقع وفرضها على العرب . . وذلك للأسباب الآتية :

- يعتقد الاسرائيليون أن زمام المبادرة فى أيديهم دائما ، وديم بهذا الاعتبار يملكون حق تقرير ما اذا كانوا سوف ينسحبون من بعض الأراضى العربية المحتلة ، أو ما اذا كانت حدود وقف إطلاق النار هى حدودهم الآمنة .

- تعتمد اسرائيل على التأييد الأمريكى لها ، الذى يبيح استخدام « الفيتو » كلما تعرضت اسرائيل لخطر الادانة .

- يشق الاسرائيليون بأن أمريكا ، قدمت وستقدم لهم كل ما يحتاجون اليه من أسلحة أو من معونات مالية بالاضافة الى الدعم السياسى . . مما يوفر لها صمودا طويلا الأمد .

— نسنفيذ اسرائيل من ظروف التهدة الدولية . للابقاء على الحالة الراهنة أطول فترة ممكنة . . . معتقدين أن الحالة الراهنة لا بد أن ننحول الى أمر واقع كما حدث عام ١٩٤٩ يوم تجاوزوا حدود التقسيم ووصلوا الى ميناء ايلات في خليج العقبة .

— وندعو اسرائيل الى المفاوضات المباشرة مع العرب ، وتدفع أمريكا الى نبني هذه الدعوة . . . ونعلم اسرائيل أن هذه المحاولة غير مجدية مع العرب ومن ثم فهي بذلك تكسب قطاعات كبيرة من الرأي العام الدولي ، الذي يرى مرونة دعوة اسرائيل وما يقابلها من رفض العرب .

الصبر والصمت

أما كيف تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة . « فلا سبيل الى ذلك الا بالحرب » . . . كما قال الرئيس محمد أنور السادات . . . وكان لا بد من توافر القوى العربية من أجل التصدي لاسرائيل . وانطلاقا من هذا الواقع ، اعتمد الرئيس السادات على الحقائق بالعمل والفعل ، في ثلاثة اتجاهات :

— خطة الدبلوماسية المصرية المكشفة بهدف الوصول الى تأييد عالمي للقضية العربية في مواجهة العدوان الاسرائيلي . . .

— خطة الوحدة العربية بهدف جمع شمل العرب دون البحث عن تفصيلات من أجل مواجهة اسرائيل .

— خطة اعداد القوات المسلحة المصرية اعدادا كاملا لخوض المعركة المصرية الحتمية وقدم الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، هذا التحديد الواضح الى مجلس الشعب في (يناير ١٩٧٣) من أجل النجاح في التحرير والوصول الى السلام . . . وذلك بعد أن واجه الرئيس السادات الواقع بكل أبعاده في شجاعة .

والرئيس السادات — ابن مصر تربي سياسيا ونضاليا من خلال حركة التحرير المسلحة ضد الاحتلال البريطاني لمصر في الأربعينيات . . . وقد خاض — منذ أن تولى رئاسة جمهورية مصر العربية — على رأس وحدة القوى الوطنية ، معارك شرسة متعددة الجوانب ، ضد كل من يحاول ان يتعامل مع سوق الرقيق السياسي وعناصره الانهزامية في مصر وفي غير مصر ، والذي يحاول أن يستغل تناقضات المرحلة الراهنة من ناحيتنا العربية . وقد حقق الرئيس السادات الحرية والديموقراطية والعلم

والايمان علاوة على مبدأ الصبر والصمت الذى وضعه خلال الفترة السابقة
لحرب أكتوبر .

ومن خلال الممارسة الديمقراطية الحقيقية فى مصر ، علم الشعب
المصرى أن مسئولية معركة التحرير ليست مسئولية القوات المسلحة
وحدها ، انما هى أيضا مسئولية الشعب . . ليست مسئولية شعب مصر
فحسب بل مسئولية الشعوب العربية كلها .

وقد برزت من خلال مناقشات مجلس الشعب المصرى ، ان المعركة
التحريرية ذات شقين مترابطين . . أحدهما يتعلق بالوجود العسكرى
الاسرائيلى ، والثانى يتعلق بالدعم الأمريكى الذى يضمن هذا الوجود لذلك
كان اصرار الرئيس السادات على وجوب التصدى لاسرائيل وأمريكا معا :
- التصدى لاسرائيل بالقوة المسلحة .

- ولأمريكا عبر التصدى لمصالحها التى تشمل المنطقة العربية كلها .

مقدمات المعركة

ومن البديهيات الضرورية للمعركة ، والتى تسهل وضع حساب
دقيق لميزان القوى .

- أن القوة البشرية فى مصر وسوريا ، تزيد بمراحل كبيرة عن القوة
البشرية فى اسرائيل .

- أن كبر القوة البشرية يستتبع بالضرورة قدرة قتالية توازى قيمتها
. . اذا سار التدريب فى مجراه الحقيقى .

- أن قدرة السلاح توازى أيضا القدرة البشرية مع فارق نوع السلاح
وامكانياته فالمعروف أن الحروب تعتمد على أحدث الأسلحة . وقد
استطاعت اسرائيل الحصول على أحدث الأسلحة الأمريكية فى حين
حصل العرب على بعض هذه الأسلحة . واذا كانت اسرائيل تملك
نوعا من التفوق ، فان القوة العربية تملك القدرة على ألا يحقق هذا
التفوق كل ما تزعم اسرائيل القدرة على تحقيقه .

- أن المقارنة بين ما زودت به اسرائيل وما تزودت به كل دولة عربية . .
(دون اغفال الأوضاع الجغرافية وأوضاع خطوط وقف اطلاق النار)
هذه المقارنة تفرض وجوب ألا تخوض دولة عربية بمفردها الحرب ضد
اسرائيل بل أن تشترك الجبهات العربية كلها فى القتال أو على الأقل

الجبهتان المصرية والسورية لمنع اسرائيل من تركيز امكانياتها العسكرية كلها على جبهة واحدة .

- أن أنواع السلاح التي حصلت عليها الدول العربية تيسر لها قدرة كافية فيما اذا استخدمت كلها على سائر الجبهات . . مع اعتبار الوضع الجغرافى ، أى أنه اذا كانت إحدى الدول العربية ، تفتقد القدرة على ضرب مواقع العدو فى عمق أرضه بسبب وضعها الجغرافى فان الوضع الجغرافى لدولة أخرى قد يوفر لها هذه القدرة .

- أن كل حرب لا تعتبر ناجحة الا اذا تمكن احد الطرفين المتحاربين من تسديد ضربات حاسمة الى مواقع الطرف الآخر الخلفية التي تشمل مراكز امداداته وتموينه ومواصلاته . . ومن هنا كانت حروب الاستنزاف محدودة القيمة والأهمية ، وهى تعتبر بذلك حروبا سياسية أكثر منها حروبا فعلية .

- أن الاشتباكات البرية تلغى تفوق السلاح الجوى عندما تكون القواعد الأساسية ذات حماية كافية .

- أن الدول العربية تملك من الطاقات البشرية والاقتصادية ما يجعلها أكثر قدرة على الصمود ، فى حرب طويلة الأمد نسبيا ، من اسرائيل التي اعتمدت دائما على الحروب الخاطفة التي تعتمد أن تدور رحاها خارج أراضيها .

- أن الحرب النفسية تعتبر نصف الحرب الفعلية . . وتعتمد الحرب النفسية أساسا على المعنويات العالية وعلى الثقة بالقوات المحاربة .

- أن مجرى الحرب يتحكم بالمواقف السياسية وليس بالعكس وأن ما يؤخذ بالحرب أو خلالها لا يمكن أن يؤخذ فى حالة السلم .

ومن منطق هذه البديهيات ارتكزت السياسة المصرية التي أرسى الرئيس السادات قواعدها الحكيمة . . على بعض الخطوط العريضة التي تحقق القدرة على انتزاع المبادرة من اسرائيل بعد أن تعذر على العرب ارغام اسرائيل على الانسحاب عن طريق المبادرات والوساطات والمقررات الدولية . وتبرز أهم هذه الخطوط فى الآتى :

- عدم السماح لاسرائيل بتركيز قوتها على جبهة واحدة .

- اشغال الجبهات العربية كلها فى نفس الوقت .

- وضع الطاقات الاقتصادية والبشرية كلها فى خدمة المعركة .

- اطلاع الشعب على حقيقة ما يجرى فى ميادين القتال .

- تهيئة الشعب المصرى - مسبقا - لتقبل أمر أساسى ، وهو أن لا حرب بلا خسائر أو تضحيات ، ولا توقع انتصار من أى نوع كان فى اللحظات الأولى للمعركة .

جدية العمل العسكرى

- وكان لا بد لمصر - حكومة وشعبا - من العمل بأقصى قدر من الطاقة والاحساس بالمسئولية ، نحو توفير المناخ الصحى الثورى لحرب التحرير . . . وفقا للمعطيات الآتية :
- بناء وحدة القوى الوطنية والقومية فى كل وطن عربى بحيث تنبع منها وبأسرع وقت - وحدة العمل الثورى العربى من خلال تنظيم واحد واستراتيجية مشتركة تصوغها الارادات الحرة .
- تحديد حلفاء حركة التحرير العربى . . . بما فى ذلك اليهود الذين يعادون - قولا وممارسة - الصهيونية كحركة استعمارية عنصرية ويعترفون بالحقوق القومية للشعب الفلسطينى .
- صياغة الاقتصاد القومى على أساس اقتصاد حرب وتوزيع التضحيات اجتماعيا .
- استخدام سلاح البترول العربى استخداما جديدا ومخططا بأبعاده المختلفة ضد العدو .
- المساندة المادية والمعنوية ، ودون أى تحفظ للثورة الفلسطينية . . . والاعتراف بحقوقها القومية المشروع فى استخدام الأراضى العربية الاستراتيجية من حول العدو .
- بذل المزيد من الجهد وحشد كل الطاقات والامكانيات ، للوصول الى موقف عربى متماسك موحد ينعكس على قوة عسكرية وسياسية واقتصادية ذات فعالية لمقابلة معارك المصير التحررى .
- دعوة العرب الى نبذ كل الخلافات والمعارك الثانوية والهامشية واعطاء المرتبة الأولى للمعركة الأساسية .

الاستفادة من حرب الاستنزاف والمواجهة

- ١ - اعتمدت حرب الاستنزاف على :
 - (أ) أساليب عسكرية ذات كفاءة عالية فى التخطيط والتنفيذ (وذلك باعتراف القادة العسكريين الاسرائيليين أنفسهم) .

(ب) المبادرات الفردية للضباط والجنود ، كما اتضح فى معركة جزيرة شدوان .

(ج) استخدام المدفعية بصورة أدق وأكثر كفاءة .

(د) غارات القوات الخاصة وعمليات القناصة والطيران .

(هـ) مواكبة العمليات بتدريبات مستمرة على أعلى مستوى ولمختلف الأغراض وتطعيم مستمر بروح الحرب والقتال .

٢ - وأكدت عمليات المواجهة العسكرية مع العدو :

(أ) كفاءة الطيار المصرى فى ضربه لأهداف العدو بدقة واعتراض طائراته المغيرة .

(ب) كفاءة المقاتل المصرى تدريبيا وتسليحا وروحا قتالية عالية .

(ج) نجاح القوات المصرية الخاصة فى ضرب أهداف العدو فى عمق سيناء ونقل اشتباكات المواجهة الى الخطوط الخلفية للعدو فى تلاحم مباشر مع قواته (باعتراف اسرائيل نفسها) .

(د) كفاءة وسائل الدفاع الجوى فى مواجهة الطائرات المغيرة وعدم تمكنها من تحقيق أهدافها .

(هـ) كفاءة المدفعية المصرية فى اصابة أهدافها بدقة وضرب محاولات العدو المستمرة لتعزيز أو تدعيم خطه الأول الى جانب تغطية عمليات العبور والعودة .

(و) نجاح ويقظة أجهزة الرصد المصرية فى تتبع تحركات العدو الأرضية والجوية بكل دقة .

٣ - وكان تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل (١) :

(أ) تجميد حركة القوات الاسرائيلية فى سيناء داخل خنادق ثابتة .

(ب) انهالك الجنود ماديا ومعنويا وهم قابعون فى خنادقهم ولا يستطيع أى منهم أن يرفع رأسه حتى لا تخرقه على الفور رصاصة قناص مصرى .

(ج) ائزال خسائر يومية بالقوات الاسرائيلية .

(١) عن مجلة « بارى ماتش » الفرنسية .

(د) تركيز أنظار الحكومة الاسرائيلية على جبهة القناة ، حيث يتساقط القتلى فيها يوميا وتندوى أخبارهم فى كل اسرائيل فتزيد شعور الاسرائيليين باستحالة تحقيق ما وعدهم به قادتهم .

(هـ) عجز السلطات العسكرية الاسرائيلية عن حماية قواتها الموجودة فى جبهة القناة وانه ليس باستطاعة العدو أن يتحمل ما ينتابه من خسائر يومية لوقت طويل .

(و) ظهور علامات الضيق والتذمر الشديد على جنود اسرائيل بسبب شدة وعنف النيران المصرية .

(ز) أدى سقوط عدد كبير من طائرات « سكاي هوك وفانتوم » على جبهة قناة السويس وسوريا الى هبوط معنويات الطيارين الاسرائيليين وأسقطت أسطورة تدريبهم العالى وتفوقهم الفنى .

وكان المقاتل المصرى هو الذى خاض حروب الاستنزاف والمواجهة . وهو الذى ساهم فى كسر معنويات المقاتلين الاسرائيليين فقد تعلم المقاتل المصرى الجندية وبرع فيها الى أقصى حد برا وجوا وبحرا وسار فى منطلقاتها بنجاح وثبات .

تطوير القوات المسلحة المصرية

كان أول ما استفادت به القوات المسلحة بعد الهزيمة هو . . معرفة قوة العدو وأساليبه فى القتال والاستفادة من هذه الأساليب والفصل التام بين الاستراتيجية والتكتيك ، وسد الثغرات المفتوحة التى كان يستعملها العدو للمرور الى العمق حتى أصبح الجيش فى وضع يستطيع معه أن يرد طبقا لمبدأ العمق اذا حاول الاسرائيليون شن اعتداءات فى عمق مصر .

واستطاعت القوات المسلحة المصرية اللحاق بالتكنولوجيا العسكرية الحديثة وحصلت - فى سرية تامة - على أحدث المعدات الالكترونية البالغة الدقة بجانب القيام بالتغييرات المستمرة على المعدات والأسلحة وفقا لتقارير مراكز الاختبار ومعاهد التطوير الفنية المصرية .

وتقول التقارير العسكرية الغربية انه :

(نتيجة للدراسات التى قامت بها مكاتب الأبحاث المصرية أخرجت

الصناعات الجوية السوفيتية أسلحة تتلاءم مع حاجات مصر سواء بالنسبة لطبيعة أرضها أو بالنسبة لطبيعة أجوائها) .

وقد استطاع الطيار المصرى المقاتل أن يطوع أنواع طائراته بالشكل الذى يتناسب مع أجوائه . . فقد قاتل الطيار المصرى وقام بمناورات قتالية ببراعة بطائرات الميج (٢١) وانتصر على الفانتوم الاسرائيلى . . الأمر الذى حمل الدوائر العسكرية الغربية على الاعتقاد بأن مصر قد حصلت على طائرات (الميج ٢٣ قبل أن تحصل عليها فعلا . .) .
هذا وقد طورت مصر قواتها المسلحة طبقا للأسس الآتية :

أولا : تحديد المهام والتنظيم والتخطيط

- ١ - تحديد حجم القوات المسلحة على أساس مهمة واحدة هى « القتال » مع التفرغ تفرغا كاملا ، وطبقا للامكانيات الموجودة وقوة العدو .
- ٢ - الضغط على أهمية الدفاع الجوى ، باعتباره المهمة الاستراتيجية الأولى .
- ٣ - اعتماد هيكل تنظيمى جديد يحقق توحيد خط القيادة والسيطرة ودفع العناصر الشابّة المثقفة الى مراكز القيادة لكى تتحمل المسئولية عن طريق العلم والتمرس فى القيادة .
- ٤ - اعتماد الشورى والمناقشة فى التفكير والتخطيط ضمن مجالس حرب خاصة ، دون المساس بحق القيادات فى التصرف الفردى فى ظروف القتال .

ثانيا : مبادئ الاختيار والاعداد

- ١ - تجنيد الشباب المؤهل علميا لأداء الخدمة الوطنية الاجبارية .
- ٢ - اعتماد العلم والجهد والخبرة وحدها أساسا للترقية وأيضا للمناصب القيادية .
- ٣ - التركيز على الوحدة العنصرية للوحدة المقاتلة وهى الضابط وجنوده والمعدة والسلاح .

ثالثا : مبادئ استخدام السلاح

التدريب على استخدام السلاح بشكل مستمر وفعال ، ارتكازا على العوامل الآتية :

- ١ - التدريب
- ٢ - حجم القوات وتسليحها .
- ٣ - القدرة القتالية .
- ٤ - الروح المعنوية .

حى على القتال

قبل حرب ٦ أكتوبر ، كان الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية يصور الموقف فى الشرق الأوسط كما يلى :

« ان عوامل الانفجار موجودة ، وشحنة البارود ما زالت هناك فى المنطقة الخطرة فى الشرق الأوسط . وجميع الأطراف تتأهب . واعتقد أن الانفجار سيتأخر ، ريثما تتاح الفرصة لنا لدراسة المشكلة على الطبيعة .

ان الجميع يطالبوننا بأن نتدخل ، دون أن يحددوا لنا كيف ، والسبيل الذى علينا دخوله .

أبقى على المشكلة مجمدة الآن ، ونضغط على الأطراف للابتعاد عن جهاز التفجير ، وبعدها نبدأ فى دراسة الحلول ؟ » . ولكن القدر لم يترك المشكلة مجمدة . .

فقد أطلق الرئيس السادات ، فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، الشرارة نحو جهاز التفجير ، ليشتمل كل شىء لاسرائيل على ضفة قناة السويس الشرقية محطما أسطورة خط بارليف المحصن والنقط الحصينة مدمرا كل شىء فيها . . ويعبر المقاتل المصرى الى مكان الجندى الاسرائيلى ليلقنه أحدث فنون القتال بالمواجهة .

وتندفع الطائرات المصرية المقاتلة الى قلب سيناء ، فى رحلات قتالية لتدمير مطارات العدو ومراكز قياداته ومحطات الرادار ومحطات الشوشرة .

وفى نفس توقيت بدء المعركة ، أطلقت سوريا رجالها ونسورها ، ليصلوا اليهود نارا حامية ، مقتحمين عليهم قمم جبال الشيخ ومتقدمين بكل جرأة وثبات وعناد نحو الجولان . . وقامت طائرات النقل المصرية بدورها فى نقل الفرق الخاصة لتسقطهم خلف مواقع العدو فى مواقعه المتقدمة فى سيناء . لايقاعه فى شباك المباغنة المصرية . وكان يغلف هذه التحركات قصف المدافع وقذائف الصواريخ على هيئة غلالة محكمة من النيران ، على طول جبهة القتال ، لتحمى أرض مصر ورجال مصر . . وتهدى لهم جميعا أنجح معركة للعبور فى تاريخ الحروب ، تحت حماية غطاء جوى محكم يثبت تفوق القوات الجوية المصرية . . وعن هذا يقول « هيرتزوج » فى اذاعة اسرائيل العبرية من القدس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (الساعة ٢٢١٥ بتوقيت جرينتش) موجهها حديثه للجبهة الجنوبية فى سيناء :

« ان أهم أمر فى تقييم قدرة العدو (أى المصريين) على التمسك بمعبره شرق قناة السويس ، هو التفوق الجوى . وان قوة عسكرية محرومة من هذا التفوق ، ستجد من الصعب عليها أن تحفظ ذلك المعبر » .

وكانت الحرب مفاجأة استراتيجية كاملة . لم يتحملها الاسرائيليون أنفسهم . . فقد تكسر جدار الخوف العربى ، وتسرب الخوف بكل سرعة الى قلوب الاسرائيليين ، ففقدوا الثقة فى أنفسهم وفى قادتهم وراحوا يفرون وهم لا يلوون على شىء . . تاركين خلفهم كل ما لهم ، الى أصحاب الأرض الحقيقين .

وقد بدأت فصول هذه المعركة التاريخية المجيدة فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وانتهت يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

وبين هذين التاريخين استعاد الجيش المصرى والجيش السورى شرفهما ، بل استعادت الجيوش العربية سؤددها . . فى الوقت التى تصدعت فيه الاستراتيجية الاسرائيلية ، وراح رؤساؤهم وقادتهم يفيقون من كابوس هزيمتهم ليجتثوا عن حل لوجودهم .

وكانت معارك أكتوبر العربية ، مشار دهشة أكبر خبراء العالم العسكريين ، فقد أثبت الجيش المصرى والسورى ، فى ساحات القتال قدراتهما وبراعتهما فى استخدام أعقد أسلحة القتال الحديثة بكفاءة لم يكن يتوقعها العدو الاسرائيلى الذى أجمته المفاجأة تماما وشلت ما قد يكون لديه من قدرات .

وجاء فى دراسة قامت بها وزارة الدفاع الأمريكية فى (٥ نوفمبر ١٩٧٣) عقب توقف القتال مباشرة :

« انه ثبت أن الدبابات كانت معرضة للاصابة بالصواريخ المصرية المضادة للدبابات بصورة شديدة » .

وعلى سبيل المثال . . قام المصريون بتدمير نحو ٢٠٠ دبابة اسرائيلية فى الأيام القليلة الأولى من الحرب على جبهة السويس باستخدام القذائف الموجهة كهربائيا .

كما ثبت - على نحو ما تقول الدراسة - مجال آخر تفوق فيه المصريون بوضوح ، وهو مجال الأسلحة الخفيفة الحركة المضادة للطائرات . . تلك الأسلحة التى نجحت فى إلحاق خسائر جسيمة بالطيران الاسرائيلى لم تكن متوقعة على الإطلاق (دمرت القوات العربية ثلث الطيران الاسرائيلى فى الأسبوع الأول من الحرب - وزادت النسبة الى

النصف بعد ذلك - بينما فشل الاسرائيليون في تدمير المطارات العسكرية المصرية ، التي أعاد المصريون تحصينها بالدشم هذه المرة ، حتى أجبروا خصمهم على التخلي عن الاستمرار في المحاولة) . وكانت عملية العبور الى الضفة الشرقية للقناة ، مذهلة للغاية ، اذ لم يكن أحد من الخبراء العسكريين يتوقع أن تتم بهذا القدر الذي لا يذكر من خسائر . وقد خصصت جريدة « الصنداي تايمز » في عددها الصادر يوم (١٤ أكتوبر ١٩٧٣) مكانا بارزا لنشر وصف مراسلها في الجبهة ، لعملية العبور المصري . وتحت عنوان « في ١٥ دقيقة كان الجسر يقام على القناة » كتب مراسل انجليزى يقول : « وتحت مظلة المدفعية ، وفي حماية الضربات الجوية ، عبر المصريون فى زوارق مطاط ، ليكتسحوا أى مراكز اسرائيلية قد تكون مسيطرة على النقاط المختارة لاقامة الجسور . ووراء المشاة جاء المهندسون وكثيرون منهم مزودون بأخر طراز من الجسور العائمة التي يمكن نشرها ، بمعدل ١٥ قدما فى الدقيقة ، وبما يكفل اقامتها فى معظم أجزاء القناة فى ربع ساعة أو أقل » .

واقد أثر قيام حرب أكتوبر « فجأة » على اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية وانتقل صراع الشرق الأوسط المتجمد الى الصدارة فى سسلهم الاهتمامات العالمية . وبتعبير « ريمون آرون » عالم الاجتماع الصهيونى الفرنسى المعروف فى مقال نشره فى « الفيجارو » يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٣ :

« لقد كانت حرب أكتوبر من أكبر المفاجآت العصرية » .

أما عن سير القتال فى معارك أكتوبر ، فيعلق « دور ميدلتون » الحبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط . . قائلا :

« تشير جميع التقارير التى وصلت الى المصادر الغربية ، الى ان الجيوش العربية قاتلت بعناد وحماسة . . وكانت القيادة على مستوى كتائب المشاة والدبابات على مستوى مرتفع . . كما كانت القيادة العربية العامة ، تتسم بالفطنة والحكمة . .

كما كان أهم تطور تكنولوجى على المستوى العربى ، وهو استخدام القوات العربية للأسلحة الخفيفة بفاعلية وكفاءة لحماية المواقع المتقدمة وحشود القوات ضد الهجمات الجوية المدرعة المضادة الاسرائيلية .

لقد أكدت عملية العبور للقناة المصرية ، ان تلك القوات قد تطورت تكنولوجيا وأثبتت تلك العملية الجريئة ، أن المصريين قادرون على تحقيق النجاح والتصرف بانضباط » .



الملك فيصل في زيارة للجبهة

(عندما عبر الملك فيصل ، قناة السويس لزيارة الجبهة ، مع الرئيس السادات ، واستمع الى تفاصيل معارك الاستيلاء على تحصينات خط بارليف .. قال جلالتة :

- ان هذا من فضل الله ، نحن معكم الى آخر هذه الأرض »
ثم أضاف جلالتة :

- « ان أهلى الغالى على نفسى ، هو أن أصلى ركعتين لله فى المسجد الأقصى » ..

مظاهر الهزيمة الاسرائيلية

أوردت جريدة « نيويورك تايمز » فى عددها الصادر فى (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣ . صفحة ١ - ٦) .. مقالا جاء فيه أن من أدلة الهزيمة الاسرائيلية الاستيلاء على مناطق قوية حصينة لم يكن يفتحها أى بشر ، وكان الاسرائيليون يحتلونهم شرق قناة السويس ، وفى مرتفعات الجولان .

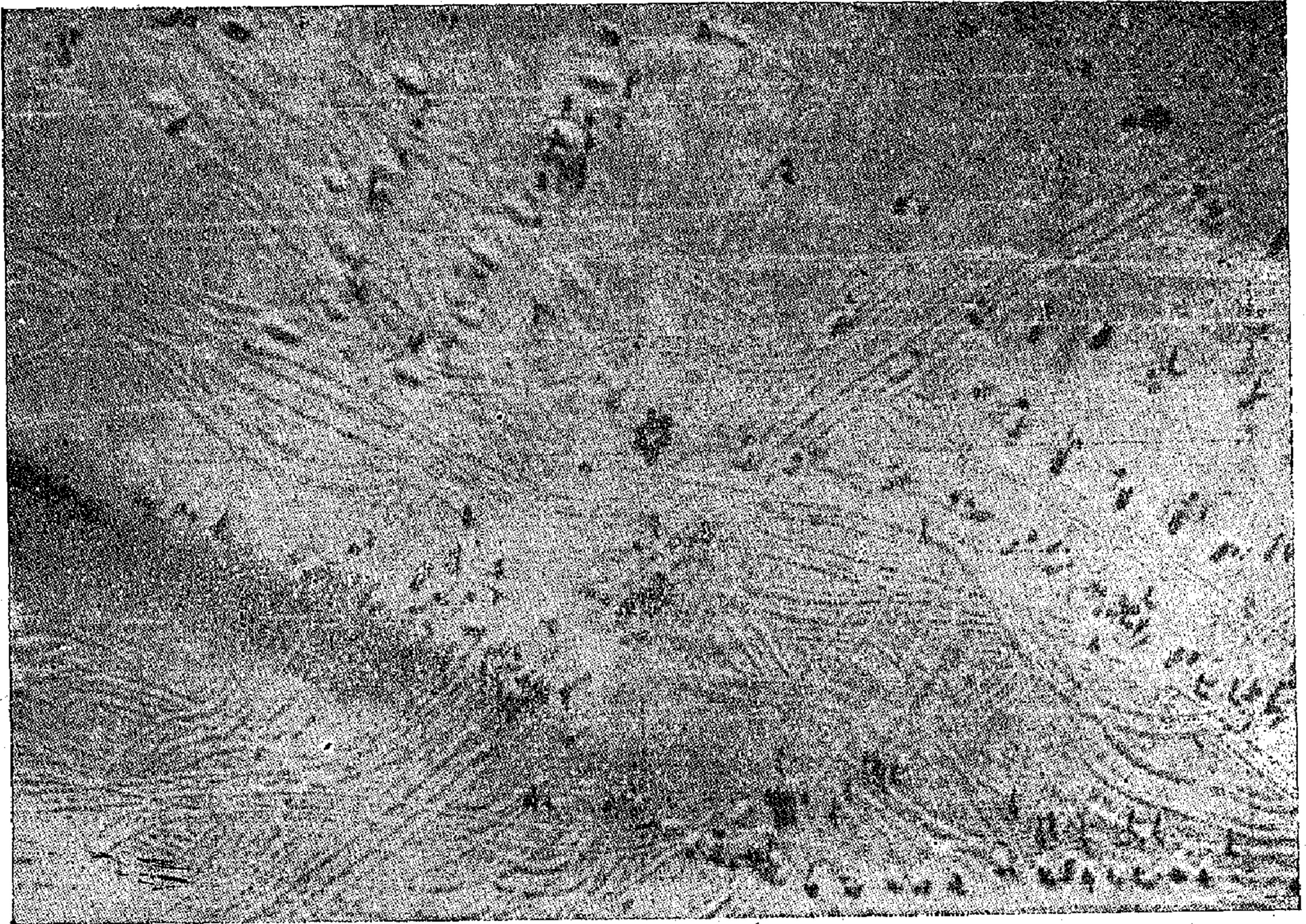
وكانت نفسية الاسرائيليين بعد حرب ١٩٧٣ ، محل اهتمام واضح من الصحفيين ، وهذا ما عبرت عنه مجلة « الايكونومست » البريطانية بقولها :

« ان حرب أكتوبر قد تركت اسرائيل في حالة ذهول من الصدمة » .
ومن أهم المظاهر لهزيمة اسرائيل :

- اضطرار اسرائيل الى المبالغة في تقدير خسائر العرب ، بما يعكس الهزيمة الاسرائيلية المعنوية .

- تغيرت صورة الجيش الاسرائيلي في صحافة العالم على اختلاف اتجاهاتها ومواقفها من اسرائيل والصهيونية العالمية . فقد أصبحت العبارات « الجيش الاسطورة » و « الجيش الذي لا يقهر » موضع رفض في كثير من صحف العالم .

- ان الجرح الذي أصاب اسرائيل من حرب أكتوبر قد دعم مطالب أولئك اليهود الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التي يمكن الدفاع عنها .



القتلى الاسرائيليين في أحد المواقع

- انخفاض مستوى التفوق الجوى الاسرائيلى الذى كانت الولايات المتحدة والدوائر العسكرية الغربية ، تأخذه كأمر مسلم به . وأصبح السلاح الجوى الاسرائيلى يقاتل دون أن يتمتع بميزة التقدم التكنولوجى .
- ضعف المخابرات الاسرائيلية التى كان جهاز الحرب الاسرائيلى يعتمد عليها .
- تعاني اسرائيل من الآثار الاقتصادية الناجمة عن حرب أكتوبر ، والتى بدأت تؤثر بشكل واضح داخل اسرائيل .
- ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلى أمام الجيوش العربية ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، أصداء بالغة العنف فى المجتمع الاسرائيلى .
- انخفضت الهجرة الى اسرائيل بنسبة ٣٣٪ فى الأشهر الستة الأولى من عام (١٩٧٤) نتيجة لما أحدثته حرب أكتوبر من اضطراب اقتصادى وعدم استقرار سياسى . كما أن مئات الألوف من اليهود قد غادروا اسرائيل الى مواطنهم الأصلية .
- وهكذا حطمت حرب أكتوبر ، اسطورة الجبروت الاسرائيلى ، كما منحت أية انطباعات سابقة عما كان يشيعه اليهود والصهيونيون من أن العرب لا يستطيعون القتال .

من نتائج حرب أكتوبر

- أدت حرب أكتوبر الى اثبات وجود وتغيير صورة المقاتل المصرى وقدراته .
- غيرت حرب أكتوبر ، لسنوات قادمة ميزان القوى فى الشرق الأوسط .
- أظهرت الحرب ، أن العرب قادرون على تشغيل الأسلحة الحديثة والالكترونيات المعقدة فى ميدان القتال . ومن ذلك استخدام القوات المصرية للصواريخ بكفاءة .
- فى تعليق للخبير العسكرى الأمريكى « دور ميدلتون » فى صحيفة « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ . أشار الى أن « القوات الجوية المصرية قد ظهرت على مستوى عال بصورة لم تكن متوقعة حيث أظهر الطيارون المصريون أنهم لا يفتقرون الى الجسارة كما يتفق الخبراء فى شئون الطيران ، على أن القتال فى جبهة سيناء ، قد أظهر قدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البرية .
- أثبتت حرب أكتوبر - كما أعلن الخبراء العسكريون - أن سلاح الصواريخ بأنواعها المختلفة ، قد غير استراتيجيات القتال التى سادت منذ الحرب العالمية الثانية ، وحد من فاعلية أسلحة الطيران والدبابات .

— كشفت هذه الحرب ، بفضل مهارة جندي المشاة المصرى ، انه يمكن التغلب على الدبابات من جانب المشاة المسلحة تسليحا مكثفا بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ٠٠ (كما حدث عند تدمير اللواء المدرع بالكامل ، الذى كان يقوده العقيد عساف ياجورى) .

— كان لاستخدام سلاح الضغط البترولى العربى ، أثره الفعال ، الذى يتضح من خلال موضوع عن « حرب البترول » تناولته صحيفة « التايمز » اللندنية فى افتتاحيتها يوم (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) ٠٠ جاء فيه :

« ان قطع الامدادات البترولية العربية عن أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية واليابان ، سيخلق وضعاً خطيراً ٠٠ وسيؤدى بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، الى تولد ضغط معين على أمريكا من جانب حلفائها ، لتضغط بدورها على إسرائيل حتى تتبنى موقفا معتدلا » .

— كان للحصار البحرى الذى ضربه الأسطول البحرى المصرى ، على مضيق باب المندب جنوب البحر الأحمر ، أثره الفعال فى القضاء على حجة إسرائيل فى استراتيجيتها « شرم الشيخ » .

كما ساعد احكام الحصار ، على وقف الواردات الاسرائيلية مثل : النفط الوارد من ايران ، والكبريت الذى عرقل الانتاج فى مناجم النحاس الاسرائيلية .

— قضت مقاطعة الدول الافريقية لاسرائيل ، على الأحلام الاسرائيلية فى استنزاف ثروات القارة واستغلال أسواقها لتسويق الانتاج الاسرائيلى .

ما بعد الحرب

لقد ثبت للعالم أجمع ، أن العرب دخلوا حرب رمضان ، بقوتهم الذاتية ٠٠ وان قرار المعركة قد اتخذه الرئيس المؤمن أنور السادات .

وجاء « هنرى كيسنجر » الى منطقة الحرب ، ودرس المشكلة على الطبيعة .

• وكان فصل القوات .

• وجرى العمل لتمهيد الطريق الى مؤتمر جنيف ٠٠

وفتح العرب صفحة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة ودمشق وبين واشنطن .

لقد كان أساس المشكلة بين العرب وأمريكا ، هى الصهيونية بكل ما تحمله من نيات عدوانية .

وفى الماضى ، حاولت الدبلوماسية الأمريكية بكل ما لديها من مخططات وعقول الكترونية ومخابرات وصداقات • ان تفكك العالم العربى •

ولم تفلح أمريكا فى القضاء على التجمع العربى فى أوقات الشدة • • بل انها تحالفت سرا مع عدوها الاتحاد السوفيتى ومعسكره الاشتراكى ، بأمل تقسيم النفوذ فى منطقة الشرق العربى •

ولا غرابة فى ذلك التعاون • • فاذا كانت الرأسمالية تعادى وحدة العرب لتستطيع السيطرة على الوطن العربى • • فان الشيوعية أيضا ، تعمل فى اطار التفكيك لتسهيل السيطرة العقائدية •

ويزور الرئيس الأمريكى « نيكسون » بعض الدول العربية ، ولأول مرة بدأ العرب يتكلمون لغة واحدة ويتخذون خطوات واحدة • • فكانت طلبات العرب التى أسمعوها للرئيس الأمريكى ووزير خارجيته، تنحصر فى :

- احترام قرارات هيئة الأمم المتحدة •
- الاعتراف الكامل بحق الشعب الفلسطينى •
- إعادة القدس الى أهلها •

وانتظارا لما بعد ذلك •

ما زالت القوات المسلحة المصرية على أهبة الاستعداد لأى مفاجآت فى الموقف ، واسرائيل أيضا ، تتوقع الا يدوم الحال على ما هو عليه • • فقد كتب المحرر العسكرى الاسرائيلى « ايتان هيفر » فى صحيفة « بد يعوت أحررون » مقالا ترجمته مؤسسة الدراسات الفلسطينية • • يقول فيه :

« ان الدول العربية قد تحارب من جديد • • وعلى اسرائيل ان تسعى للسلام ، وتستنفذ كل احتمالات التسوية ، ضمن خطة مواصلة الهجوم • • وواجبنا اليوم أن نتأهب للحرب ، وكأنها وشيكة الوقوع • لقد أخرجت حرب رمضان الجيش الاسرائيلى عن توازنه ، فقد كانت حربا قاسية جدا • لقد ولدت الحرب آلاف العبر ، ومن المهم أن نعرفها ونتعلمها ونطبقها فى أقرب وقت •

وستكون الفترة المقبلة صعبة بالنسبة الى الجيش الاسرائيلى فى السنوات القادمة ، وسيكون عليه أن يستوعب معدات لم تكن فى حيازته قبل الآن ، وأن يتعلم كيف يستخدمها على أفضل وجه • • وألا يكون نفس الجيش الذى خرج من حرب يوم الغفران • ولا بد أن نذكر دائما ، بأنه لدى مصر مفاعل ذرى » •

وجاء فى خطاب ألقاه الجنرال المتقاعد « آريل شارون » أمام خريجي معهد التكنولوجيا فى حيفا :

« .. اذا حدث فى بضع سنوات ، أن أصبحت مصر على وشك الحصول على أسلحة ذرية ، فان اسرائيل لن يكون أمامها خيار ، الا شن حرب فظيعة وغير ضرورية .. وأنا متشائم بشأن فرص السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الاسرائيليين يخدعون أنفسهم ، اذا ظنوا أنهم على طريق التسوية .. » .

وهكذا ، فالمتتبع لتصريحات العدو ، على لسان المسؤولين الاسرائيليين ، يستطيع أن يكون صورة واضحة لنوايا العدو .

لقد ضمدت مصر جراح نكسة الهزيمة . وتخلصت من عيوبها وحاربت وانتصرت ، وحطمت الأسطورة ومعها الجيش السورى والبلاد العربية . ولا رجعة أبدا للهزيمة .. بل الى الأمام دائما نحو النصر .

التقصير .. من أقوالهم

ارتبطت كلمة « التقصير » فى أذهان الاسرائيليين ، بعيد « يوم الغفران » ، بسبب ما واجهته اسرائيل فى حرب أكتوبر ، من فشل عسكرى ونكسات داخلية .

ومن أسرار حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ما أفصحت عنه الصحف الاسرائيلية بنفسها ، وما نشرته من معلومات عن وضع الجبهة الاسرائيلية فى هذه الحرب .

وقد عبر أحد المعلقين الاسرائيليين عن الجو الذى سيطر على اسرائيل نتيجة هذه الحرب فقال : « اعتقد أن القنوط والكدر ينبعان من حقيقتين احدهما ذاتية ، اذ ان الشعب الاسرائيلي اعتاد منذ ٦٧ الشعور بأنه يستطيع أن يعمل كل ما يريد . بل جرى كلام ان اسرائيل هى الدولة الكبرى الثالثة فى العالم . وقد عكس ذلك شعورا ذاتيا بالعظمة .. والحقيقة الثانية موضوعية ، فقد اتضح لنا فى أكتوبر ١٩٧٣ أننا لسنا فى فراغ من القوى وأن هناك مقاومة عسكرية ، مدعومة من دول كبرى ، وأن هناك تيارا تاريخيا سياسيا يسير فى الاتجاه المضاد . بعد ١٩٦٧ بدلا من أن نحاول اجراء تسوية فى المنطقة دار الجدل بيننا حول الانسحاب الى كيلومتر أو عدمه ، وجرى بيننا نقاش حول أرض اسرائيل الكبرى . يعنى أننا شغلنا بأمور ثانوية بدلا من أن نجد حلا . لم نحل شيئا ، وحسبنا أن العالم سيتوقف لكنه لم يفعل . وفى العالم مسارات تاريخية لا تتوقف . الا أننا تجاهلناها . وكان هذا فى رأى خطأ اسرائيل الأكبر » .

ومن الواضح أن حرب أكتوبر ، قد أثرت على تصرفات الجنرال « موسى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلي . ويعلق على ذلك « مارك جيفن » في صحيفة « عال هامشمار » فيقول :

« من الواضح لي دون جدال ، ان الحرب التي أدت الى انهيار فلسفة ديان ، أدت في لحظات معينة الى انهياره هو شخصيا ، وصحيح أن لـديان قدرة لا بأس بها على التكيف مع كل وضع تقريبا ، ولكن ديان اليوم ليس ديان ما قبل حرب يوم الغفران . وخلال الحرب ، شاهدنا ، وسمعنا كيف تتحطم خرافة ديان القادر على كل شيء » .

وتطرق جيفن الى لقاء ديان برؤساء تحرير الصحف الاسرائيلية ، (يوم الثلاثاء ٩/١٠/١٩٧٣) ، فقال : « كان ما أذهلنا جميعا ، هو تقديره أننا سنضطر الى الانسحاب في سيناء الى خطوط جديدة ، اذ ليس في استطاعتنا صد المصريين وارجاعهم الى ضفة القناة الغربية » .

ونقل جيفن عن ديان قوله : « ربما كان في استطاعتنا محاولة ذلك ، ولكننا سنندفع ثمن هذه المحاولة غاليا ، في ميزان القوى الحالي ، لأن قوة الجيش الاسرائيلي الأساسية يجب أن تدافع عن دولة اسرائيل ، وليس عن الصحراء » .

وقال جيفن ان ديان كان ينوى الظهور في برنامج تليفزيوني ، يقول فيه هذه الحقيقة الى الشعب الاسرائيلي ، واعترف جيفن بأن قرار ديان ذلك أثار ذهولا لدى الجميع ، لأن الجمهور الاسرائيلي لم يكن معدا لتقبل مثل هذه الاخبار ، لأن التقارير الصحفية كانت تنطوي على مبالغة للأفضل ، سواء بسبب نقص المعلومات الوثيقة أم بسبب الرغبة في تشجيع السكان . الا أن جولدا مائير هي التي منعت ديان من تنفيذ خطته .

ويقول جيفن : « ومن جولدا نفسها ، حصلنا على اقرار بانها هي التي أمرت ديان حقا بالامتناع عن الظهور في ذلك المساء على شاشة التليفزيون . وكانت لديها أسباب وجيهة لالغاء ظهوره التليفزيوني . فقد كانت تعلم بالكتابة التي يعيشها وزير الدفاع ، منذ مساء الأحد . ففي ذلك اليوم ، اليوم الثاني من الحرب ، وعندما لم تتحقق توقعات ديان ، وكان الوضع على الجبهات حرجا جدا ، جاء وزير الدفاع الى رئيسة الحكومة ، وعلى شفثيه اقتراح بالانسحاب من مرتفعات الجولان وسيناء معا ، ووصف الوضع بصورة مكدره جدا ، واعتبر الانسحاب الملاذ الأخير » .

وتابع جيفن حديثه عن انهيار ديان ، فقال : « وعندما رفض اقتراح ديان المذهول بالانسحاب من الجولان وسيناء ، توقف وزير الدفاع ، عن التدخل في ادارة الحرب ، وأصيب ديان بالذعر خلال المراحل اللاحقة من

الحرب أيضا ، وكان خوفه ناجما عن احتمال عدم انتهاء هذه الحرب . لأن للعرب نفسا طويلا ، ولأنه ، في هذه المرة ، يقف ضدنا عالم عربى كبير وموحد » .

وأورد جيفن من أقوال ديان ما يأتى :

« لا أرى دلائل على الاستسلام من جانبهم ، حتى لو دخلنا القاهرة ودمشق . العالم العربى بأسره ضدنا ، ١٠٠ - ٢٠٠ مليون عربى ، من الجزائر الى الكويت ، ولديهم الوقت والصبر . يستطيعون أن يخسروا ويرفضوا الكلام عن وقف القتال . لو عرضوا علينا العودة الى الخطوط السابقة فى سوريا ومصر كشرط لوقف القتال ، لما رفضنا ذلك . وإذا بدأت احتمالات لوقف قتال حقيقى ، فسأشعر بارتياح كبير » .

وكشف زئيف شيف المراسل العسكرى لصحيفة « هاآرتس » أسراراً جديدة عن اليوم الثالث للحرب (٨ من أكتوبر) الذى ذكر انه أهم يوم فى الحرب على الجبهة المصرية ، وشبه المعارك التى جرت فيه بالمعركة حول ستالينجراد ومعركة هيدواى البحرية فى المحيط الهادى خلال الحرب العالمية الثانية .

وقال شيف :

« فى ذلك اليوم قام الجيش الاسرائيلى ، بمساعدة قوات الاحتياط ، التى استطاعت التجمع فى الجبهة ، بأول هجوم مضاد على الجبهة المصرية . وقد صد هذا الهجوم الاسرائيلى ، وتكبدنا خسائر جسيمة . وبقي الكثير من رجالنا ، سواء المصابين أم الأصحاء ، فى الميدان دون امكان انقاذهم ، ووقع قائد كتيبة مدرعات اسرائيلى فى الأسر (١) .

« كانت القيادة العليا للجيش الاسرائيلى مقتنعة بأننا سنعتبر القناة فى اليوم نفسه . وأرسل تقرير الى الحكومة يفيد أن العبور بدأ . وظهر أن التقارير الواردة من الميدان غير صحيحة . وأحدث هذا الفشل هزة عنيفة . وكانت هذه هى الهزة الثانية بعد المفاجأة التى داهمتنا ظهر يوم الغفران » .

وفى الحقيقة هدد القتال ، فى ذلك اليوم ، مصير معظم تحصينات القناة التى لم تكن سقطت بعد . ففى مساء ذلك اليوم ، شعرنا للمرة الأولى ، وبصورة ملموسة ، بأننا وقعنا فى خطأ بالنسبة الى تقدير ميزان القوى ، وتأثير أنواع معينة من الأسلحة فى ميدان القتال . وأدركنا أننا أخطأنا فى بناء قواتنا » .

(١) « العقيد عساف ياجورى » .

وتحدث شيف عن « حرب الجنرالات » فى الجبهة الجنوبية التى نتجت عن أحداث يوم (٨ أكتوبر » والفشل الذى منيت به القوات الاسرائيلية وتحدث عن الخلافات بين « جوينين » قائد جبهة سيناء ، و « شارون » وكيف أثرت هذه الخلافات فى سير المعارك . وبالتالى ، لم تستطع قيادة الجيش الاسرائيلى تنفيذ الخطط التى أعدتها فى السابق ، لمواجهة احتمال عبور مصرى . وقال فى هذا الصدد :

« كان مفهوم الجيش الاسرائيلى هو نقل الحرب الى الجانب الثانى ، الى اراضى العدو . وكان من الواضح ، دائما وأبدا ، أنه فى حالة عبور مصرى للقناة ، سيشن الجيش الاسرائيلى هجمات مضادة فورية . وبعد ذلك يبدأ هجوما مضادا موازيا واسع النطاق ، ويعبر القناة . وكان الهدف هو العبور من خلال استغلال الهجوم المضاد . ولهذا الغرض ، أعدت القيادة ، خلال سنوات ، خططا مفصلة للعبور ، فى عهد شارون عندما كان قائد المنطقة ، حتى أنه جرى تمرين على عبور كبير فى سيناء » .

وأشار شيف الى البيانات « غير الصحيحة » التى كانت تصل من الجبهة ، فذكر أن :

« الاحساس بأن كل شئ يسير بموجب الخطة ، وأن الجيش الاسرائيلى يصد المصريين ، استمر حتى ما بعد الساعة الخامسة صباحا . وفى الساعة ١٩٠٥ ، قال « جوينين » لرجال القيادة ، ان الوضع فى الجبهة الجنوبية استقر ، لذلك فهو يزمع نقل قوة « دان شومرون » الى الشمال . وبعد ذلك بدقيقة ، انقلب كل شئ رأسا على عقب . ووصلت الأخبار المقيتة التى غيرت الصورة . وهى أنه لم يبق من ٢٦٤ دبابة التى يقودها اللواء « ألبرت مندler » ، سوى ١٠٠ دبابة سليمة . واتضح فجأة أنه لم يبق اتصال ، فى الجبهة الوسطى ، الا بجزء صغير من الدبابات . واتضح ، أيضا ، انه خلال بضع ساعات ، فى الظلام الذى خيم بين منتصف الليل وبين الساعة الخامسة صباحا ، فقد الجيش الاسرائيلى عشرات الدبابات » .

وكشف « شيف » عن أعمال رجال الصاعقة المصريين (الكوماندوز) ، فكتب قائلا :

« والآن بدأت أكثر الساعات رهبة فى الجبهة المصرية . وقال جوينين لرجاله فى غرفة العمليات ان الصمد سيكون صعبا ، وقد يخسرون اراضى . وفى ذلك الوقت أبلغت غرفة العمليات أن قوات كوماندوز مصرية توغلت فى العمق وتهاجم أهدافا فى المنطقة . ولدى سماع القادة العسكريين فى غرفة العمليات هذا النبأ سارع كل منهم الى حمل سلاحه

الشخصى فى غرفة العمليات ، كما أغمى على شخص يعمل على أجهزة اللاسلكى » .

ثم يتابع مقاله قائلا :

« ان رجال الكوماندوز المصريين هاجموا قوة الدبابات الأولى التابعة لبيرون بقيادة نتكا ، وكان الكمين المصرى يضم ١٥٠ رجلا ، وأطلقوا صواريخ ساجر وبازوكا أر . بى * جى . ، وخلال الضربة النارية الأولى أحرقت دبابتان وعربة مجنزرة ، وقتل سبعة أشخاص ، وجرح ٢١ ، ونشبت معركة * ولم يستسلم أحد من المصريين » .

وأشار شيف الى فشل الميراج فى هجمة خاصة قامت بها طائرات الميراج ضد أحد الجسور المصرية . وأضاف : « ثمة شهادة أخرى على خطورة الوضع فى الجبهة ، ظهرت لدى وصول وزير الدفاع فى غرفة العمليات * فقد وصل اليها (يوم ٧ أكتوبر) فى الساعة ١١ر٤٠ وقبل ذلك ، طلب قائد طائرته الهبوط هناك ، ولكن جونين اقترح أن يتخلى وزير الدفاع عن الفكرة خوفا من رجال الكوماندوز المصريين » .

وقد تخلى ديان عن الهبوط بالقرب من غرفة العمليات ، وهبط فى مكان آخر ، ثم جاء الغرفة بمجنزرة * وعندما اطلع ديان على خطورة الوضع ، اتصل لاسلكيا برئيس الأركان طالبا مساعدة جوية للجنوب . ولم يسمع من المحادثة سوى صوت ديان ، وهو يقول (فعلا ، دجانيا أهم) خاطب ديان قائد المنطقة الجنوبية قائلا :

« هذه حرب صعبة ، وليست اشتباكا * يجب الانسحاب الى خط ثان ، الى الجبال * والتحصن هناك * ستحصلون على مساعدة جوية ، ولكن ليس قبل صباح الغد * يجب ترك خط المياه ، لا ينبغى الاعتماد على التحصينات * لا أرى أن الوضع سيتغير * وليس من المنطق مهاجمتهم ، ولا أن يحاول الرجال فى التحصينات الهجوم ليلا » .

وعندما سئل ديان عن مصير الجرحى أجاب :

« الأصحاء يحاولون عبور الخطوط ، والجرحى لا خيار الا أن يتقوا فى الأسر » .

الباب الثاني

حرب ٦ أكتوبر

والمفاهيم العسكرية
الجديدة

فوق الأحداث

ليس يعنينا هنا أن نتتبع أحداث عمليات السادس من أكتوبر وتطوراتها يوما بيوم ، أو ساعة بساعة . بل يعنينا ما هو أهم من تسجيل الأحداث وما هو أعمق أثرا وأكثر بعدا . وهو ما أدت اليه هذه الأحداث من تغيير فى الفكر العسكرى ومن تحول فى تكنولوجيا الحرب .

ان المفاهيم العسكرية ليست تعاليم صماء ، ولا هى نوافيس ثابتة ، بل هى مزيج من اجتهادات متعددة ، تختلط فيها حنكة الادارة ، بشجاعة الرجال ، وتذوب فيها مهارة الفرد مع كفاءة السلاح ، وتتحكم الروح المعنوية للمقاتل فى سرعة الأداء . ورغم ما تذخر به ترسانات الأسلحة من أنواع العتاد ، ورغم ما بلغته التكنولوجيا الحديثة من تقدم فى عتاد الحرب فمازال العنصر البشرى الى يومنا سيد الموقف ومازال كما قال المشير أحمد اسماعيل « **السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح** » . والدروس المستفادة من كل حرب ، أهم فى الدراسة لدى القادة من مجرد تتبع الأحداث ، فمنها يحللون ويستنبطون ، وعلى ضوء نتائجها يجددون السلاح ، ويغيرون أساليب التكتيك ، وخطط الهجوم ، وطرق الدفاع .

وعلى ضوء الاجتهادات العسكرية ، تتحسن نوعيات السلاح ، ويطور المصممون فى صناعته . ومحك التجربة فى ذلك كله ، الحروب الصغيرة أو الصراعات المحدودة .

لقد كانت الحرب الأهلية الاسبانية التى اشتملت عام ١٩٣٦ محك تجربة ، استفادت منها دول أوروبا الغربية عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ . وأنت حرب كوريا ، ثم فيتنام وعلى ضوء نتائجهما أضيف الى ترسانات الأسلحة العالمية كثير من العتاد والسلاح ، ليختلط فيها ما هو قديم بما هو جديد . وحسبنا مثال واحد أن مدرعات اليوم غير مدرعات أمس التى كان يستعملها رومل فى حرب الصحراء الغربية مثلا . لقد دخل على هذه المدرعة وحدها تطور هائل مس كيانها فى الذخيرة التى تتسلح بها والمعدات الألكترونية التى تحملها ، والدروع التى تحمى جوانبها . لذلك ليس بدعا أن يستفيد المحللون العسكريون ، من أحداث الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة ، التى كانت تجربة جادة لاستخدام السلاح بكل صنوفه سبعة عشر يوما كاملة .

ولقد كان السوفييت ينظرون اليها ، نظرتهم الى حقل تجارب للسلاح الذى نستخدمه سوريا ومصر . وكذلك كانت أمريكا تنظر الى السلاح الذى يستخدمه الاسرائيليون ، نظرة النجاح أم الفشل .

ومن منطلق عمق الادراك ، للتحويلات العسكرية التى أحدثتها عمليات السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، أتى حديث الرئيس محمد أنور السادات يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، « بأن التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام هذه العملية » .

ويرتكز هذا الادراك على عدة حقائق من أهمها :

- أن ست سنوات ونصف سبقت الحرب ، تم فيها اعداد واستعداد وتجهيز وتسليح وتدريب .
- ان الجزء الأكبر من الاعداد الهندسى للحرب ، ثم لعبور مانع مائى عريض ، ذى مزايا خاصة هو قناة السويس .
- ان خط بارليف ، الذى امتد بطول القناة من شمالها الى جنوبها ، كان يمثل عقبة كأداء أمام الهجوم المصرى ، للافراط فى تحصينه ، والمغالاة فى تسليح نقطه القوية .
- ان الصحراء المفتوحة التى دارت فيها أحداث الحرب ، لها طبيعتها ومميزاتها التى تحكم كثيرا من قواعد الحرب ، وأصول التكتيك .
- ان أرض المعركة حفلت بالآلاف من قطع السلاح الشرقى والغربى المتنوعة الخصائص ، بين دبابة ومدفع وصاروخ ومجنزرة .
- ان سماء المعركة عجت بمئات الطائرات ، التى تقذف حممها نحو أهداف الأرض ، وتنوعت أنواع هذه الطائرات بين مقاتلات ، وقاذفات ومقاتلات قاذفة وهيليكوبتر ، لتؤدى مهاهما متعددة ومتنوعة .
- ان أرض المعركة ، كان يحفها بحران كبيران ، هما البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وكان للقوات البحرية دورها فى العمليات .
- ان دور الدفاع الجوى المصرى فى المعركة ، كان جديدا فى أساليب الحرب الحديثة حيث تميز بتكوين حائط منيع من الصواريخ متفاوتة المدى والارتفاع .
- ان جندى المشاة كان له دوره التقليدى كعصب لكل خطوات العملية ، ودور جديد بالصواريخ سهلة الحمل .

- ان الحرب رغم كونها فوق رقعة محدودة وبين دول نامية فقد صلصمت فيها صنوف سلاح مختلفة ، بعضها أحدث ما عرف في التكنولوجيا العسكرية ، من صواريخ محدودة المدى ، ومعدات اليكترونية .
- ان كفاءة الرجال في ادارة الحرب ، كانت تحكمها عوامل غير منظورة تتأرجح بين كفاءة القيادة المصرية ، ودقة الاعداد ، واستغلال عامل المفاجأة ، وارتفاع الروح المعنوية .

نظرة الى النتائج

عقب كثير من المحللين العسكريين ، على نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ في مختلف الدول ، سواء أمريكا أو روسيا أو أوروبا أو اسرائيل أو الدول العربية . وفي تحليلاتهم القوا الضوء على فكر جديد في الحرب ، وقواعد جديدة استحدثت استخدمها ، ونظريات حديثة بعثت الى الوجود . ولكن الذى لا شك فيه أن هذه التحليلات ، تعتمد فى كثير من استنادها على نتائج معلنة ، أو وثائق صريحة أو احصائيات ثابتة ، وتعتمد كذلك على الاستقراء والتخمين والاستنتاج .

ولذلك فان ما توصلنا اليه من تحليلات ، يمكن أن نعتبره بعضا من كل ، ونتائج لها ما بعدها من نتائج أخرى ، قد تكون أكثر دلالة ، وأعمق أثرا . ذلك أن الحرب لها اسرارها التى لم يعلن عنها بعد ، ولها دقائقها التى ما زالت تضمها الخزانات ، بل ولها نتائجها التى ما زالت طي الكتمان فى صدور الرجال ، ممن أداروا رحاها ووضعوا خططها وأحصوا نتائجها . وأهم من ذلك كله ، أن الصراع الذى اشتعلت بسببه هذه الحرب ، ما زال محتدا ، وما زال قائما ، وما تم ليس أكثر من مرحلة قد يعقبها مراحل أخرى . ولذلك قد تتوالى النتائج .

وقد برز من المحللين العسكريين - غير العرب - الجنرال الفرنسى « أندريه بوفر » رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية فى فرنسا ، والخبير العسكرى الأمريكى « دور ميدلتون » ، والباحث السوفيتى « شرايبر » . وأعلنوا آراءهم فى تحول الفكر العسكرى العالمى على ضوء نتائج حرب أكتوبر .

كما عكفت مراكز ومعاهد ولجان عسكرية عليا فى مختلف الدول على دراسة هذه النتائج ووضع التقارير عنها ، ومنها :

- معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن .
- معهد الدراسات الاستراتيجية فى استكهولم .

- مركز الدراسات الاستراتيجية في باريس .
- اللجنة العسكرية لحلف شمال الأطلسي .
- أكاديمية العلوم العسكرية الباكستانية .
- أكاديمية ناصر العسكرية في القاهرة .
- كلية القادة والأركان في دمشق .

بل لقد حضرت الى القاهرة لجان عسكرية من عدة دول ، لاجراء دراسات واقعية عن حرب أكتوبر وأبرزها وفد عسكري أمريكي ضم خمسة من كبار المتخصصين العسكريين ، ووفد آخر سوفيتي . ووفد عسكري هندي يرأسه رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة . أضف الى ذلك مئات المراسلين العسكريين ، الذين تدفقوا الى جبهة القتال من شتى الدول ، وتناول كل منهم الموضوع من وجهة نظره .

ولعله من العجيب أن مئات الكتب قد طبعت عن حرب أكتوبر ، فأرخت لأحداثها وسجلت حوادثها ، وعلقت عليها ، خلال شهور قليلة ، كثير منها ظهر في أوروبا وبعضها ظهر في أمريكا . أغلبها انحاز لوجهة النظر الاسرائيلية ، وبعضها سجل الحقيقة مجردة ، وما زلنا في مصر ، نقرأ كل عدة أيام عن كتاب جديد تدفع به المطابع الى المكتبات . وما زالت مطابع بيروت النشطة ، تخرج الى الأسواق يوما بعد يوم بكتاب أو كتيب جديد يدور حول نفس الموضوع .

هذا السيل الجارف من الكلمات المقروءة ، يعالج بعضه الفكر العسكري الجديد الذي ظهر الى الوجود مع أحداث حرب أكتوبر . وليس من باب الفخر القول بأن حرب أكتوبر لم تكن فقط ملحمة في البطولات من جانب الجنود العرب ، بقدر ما هي درس للأجيال المقبلة ، يمكن أن تلمدهم بنور الخبرة .

غير أن هناك حقيقة لا بد من الإشارة اليها في معرض هذا الحديث ، وهي أن المحقق يجد نفسه غارقا بين صفحات هذه الكتب ، تشده الكلمات ، وتشده الصور لأنها كلها عنيت بما كان وركزت على تسجيل الأحداث ، أما ما سيكون فلم يعرض له الا القليل منها .

لذلك كان همنا الأول هو أن نرتفع فوق تسجيل الأحداث ، فهذه مهمة المؤرخين وأن ننظر الى النتائج ، وهذا واجب المحللين . ومن ثم فإن موضوعنا هنا يعالج بالدرجة الأولى ، ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تحولات في منطقة الشرق العربي ، وفي الفكر العالمي وان كان هذا قد يقتضينا أحيانا أن نلقى بالأضواء على التاريخ نستخلص منه ملامح المقارنة

بين ما كان وما سيكون . وينفرد هذا الباب بمعالجة ما طرأ على الفكر
العسكري وما سيضطر العسكريون الى ادخاله على ترسانات الأسلحة من
تعديلات .

وسيقتضينا ذلك عقد مقارنات بين الأسلحة العربية ، والأسلحة
الاسرائيلية وتفنيد مزايا كل منها . ولكن أخذا بأسلوب عدم التعرض
لما يقع تحت طائلة السرية ، لن نعرض الى أعداد ، أو الى أسماء خلاف ما
رفعت عنه السرية ، ونشر عنه في الصحف الغربية أو العربية . وقبل
الخوض في أية تفاصيل ، والتطرق الى أية نتائج نجد لزاما القول بأن
التحولات في الفكر العسكري التي أحدثتها حرب أكتوبر ، لم تقف عند
نطاق التكتيكات المحددة التي لا تمتد خلف ميادين القتال ، بل تطرقت الى
الاستراتيجيات التي تربط الجبهات . فقد كان أروع ما في هذه الحرب
التنسيق الكامل بين سوريا في الشمال ومصر في الجنوب ، ووراءهما
دعم عربي منسق ، أحسن البعض في وضعه وكأنه مارد من الامكانات
المادية والاقتصادية والبيروقراطية والمعنوية تساند المعركة مما تديرها ،
وأعطتها بعدا تجاوز حدود التكتيك . ومن ثم وقف العالم يقدم احترامه
للعرب حيث لا احترام الا للقوة ، وحيث لا احترام للحق اذا لم تسانده
قوة .

ولكى لا يتشعب بنا الحديث ، سنمس جوانب من العمليات العسكرية
لابراز ما أسفرت عنه من تحولات في الفكر العسكري ، عامدين الى تقسيمها
وفقا لنوعيتها وخصائصها . فلا يعقل أن يختلط القول عن المدرعات
بالحديث عن الحرب الإلكترونية ، أو أن ندخل الدروس المستفادة من
الطيران مع ما طرأ على حرب المدرعات .

الفصل الأول

التخطيط للمفاجأة

بين المفاجأة • • والخداع

وضع بعض أساطين الفكر العسكري عدة مبادئ للحرب ، لاخصاص دراستها لقواعد العلم وقد اعتبرها بعضهم كنبأليون كثيرة ومتعددة تفوق المائة مبدأ عدا ، واعتبرها بعضهم فى العصر الحديث مبادئ معدودة ، لا تزيد عن العشرة بينما تختصرها المدرسة الاستراتيجية الحديثة التى يقف على رأسها « كلاوز فيتز » الى خمسة مبادئ فقط • غير أن هؤلاء هؤلاء يضعون مبدأ المفاجأة ضمن المبادئ العامة التى يجب الارتكاز عليها لتحقيق النصر ، ومن خلاله يمكن تحقيق المبادأة للسيطرة على الخصم وذلك مصداقا لقول الرسول الكريم « الحرب خدعة » • والحقيقة ان التكنولوجيا الحديثة فى ظل الصواريخ والطائرات السريعة وثورة الاتصالات الالكترونية قد أعطت عنصر المفاجأة أبعادا جديدة ، حيث يمكن السيطرة على الميدان خلال دقائق معدودة • ودفعت به الى مقدمة كل العناصر ، حيث يتوقف على تحقيقه كل ما يأتى بعده • بل لقد بلغ الأمر ببعض قادة الحروب النووية ، القول بأن النصر لمن يملك زمام المبادأة فى الحرب خلال الدقائق الأولى ، وظلوا سنوات طويلة يحسبون كم دقيقة تحقق النصر ، لو تأخر الرد المعادى • ومع تقدم التكنولوجيا هبط العدد من عشرين دقيقة الى ما لا يجاوز ثلاث دقائق •

ولذلك نجد هناك نظريات فى علم الحرب تقسم المفاجأة الى أنواع تبعا لحجم القوات المشتركة فيها بين مفاجأة تكتيكية على مستوى القوات المتحاربة فى ميدان ، وبين مفاجأة تعبوية على مستوى الجيش ، وبين مفاجأة استراتيجية على مستوى الدولة •

والحق يقال أن المفاجأة فى حرب أكتوبر أثبتت من جانب العرب على مستوى التنسيق بين سوريا ومصر لتشمل جبهتين متباعدتين ، لتوقع إسرائيل فى لجة من الارتباك والتخبط •

ولا بد من وقفة هنا لنسترجع أن هزيمة الأمة العربية عام ١٩٦٧ ، أثبتت على غرة ، وفى غفلة من الزمن بسبب المفاجأة الاسرائيلية التى أخذت بأسلوب الغدر والمباغطة •

وعلى حد تعبير الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه « وتحطمت الأسطورة عند الظهر » • فان هناك فارقا بين المفاجأة الغادرة والمفاجأة

المشروعة التي مارسها جيش مصر وجيش سوريا • فهى من صميم العمل العسكرى ، ووسط حلقات الصراع المحتوم وتحت سمع وبصر عدو نجحنا فى أن نصم أذنيه للحظات ، وأن نحول أنظاره لكى نأخذه على غرة •

والحقيقة أن أساليب الخداع التى اتخذت فى مصر كانت على مستويات متعددة شملت المستوى الدولى ، والمسرح السياسى ، ووسائل الاعلام ، وجيشين منتشرين على مواجهة طولها ١٨٠ كيلو • لذلك كانت من الحبكة والدقة بحيث تعتبر ضربة صائبة للمخابرات الأمريكية المركزية ، التى لا تبذ فى دقة تجميع المعلومات فى الخفاء • ورغم أن أمريكا تقهر العالم بالعلم والتكنولوجيا ، وتفصح أسرار كل القارات سلبا وإيجابا ، لمن يشاء ولمن لا يشاء بواسطة أقمارها الصناعية ، ولديها من وسائل التجسس والتصنت الالكترونية ما كان مضرب الأمثال سواء فى حرب فيتنام أو خلال معارك سيناء عام ١٩٦٧ ، كمثل السفينة « بيوبيلو » ، والسفينة « لىبرتى » ، فإن كل هذا لم يجمع من المعلومات ما كان يمكن أن ينبىء بأخبار الحرب • والحقيقة المرة ، أن أطرافا من المعلومات تناهت الى اسرائيل ، عن الحشود والتحركات المصرية والسورية ، ولكن هناك فارقا بين تجميع المعلومات ، وتحليلها • فلا جدوى من المعلومات دون محاولة استشفاف ما يعنيه أمر ما يختفى وراءها من مدلولات • لذلك فهناك فى أجهزة مخابرات كل دولة من يكلف بتجميع المعلومات سواء بواسطة التصوير الجوى أو الأقمار الصناعية أو العملاء أو التصنت اللاسلكى • ولكن أهم من هؤلاء من يقومون على تحليل هذه المعلومات واستخدام القياس والمنطق للولوج الى مدلول هذه المعلومات • وهذا ما حدا ببعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « بأنهم رأوا وسمعوا ولكنهم لم يفهموا » • والأمر الواضح أن الأمر لم يقتصر على عدم الفهم فقط بل لقد غرق القادة الاسرائيليون العسكريون والسياسيون على السواء فى الشعور بالاستهتار والاستهانة بقدرات العرب ، مما قوى لديهم الاحساس باستبعاد أى اقدام على العمل المسلح فى حرب شاملة • بعد أن ثبت فى روعهم أن العرب لا يتقنون غير التناحر بالخطب والكلمات وأنهم قد استناموا الى الهزيمة ، بلا أمل فى اليقظة • ولو شئنا أن نسترجع الماضى ونرى أبعاد الصورة التى أغرقتهم فى هذا الاستهتار ، فسنجد أن حالة الوفاق الدولى التى فرضت فلسفتها على العلاقات الدولية كانت نهاية المطاف فى دفع الاسرائيليين الى ذلك • فقد طالبت مدة الركود العسكرى فى المنطقة ، واصطلحوا على تسميتها بحالة « **الاسلم والاحرب** » ، وبعد اللقاء الثانى بين قطبى أمريكا وروسيا ، طلعا على العالم بأن أنسب الحلول لقضية الشرق الأوسط هى حالة « **الاسترخاء العسكرى** » التى يغط فيها أطراف المشكلة آنذاك • وكأن قضية

الشرق الأوسط ، أو قضية الحق العربى أصبح مكانها اللائق ثلاجة الأمر الواقع القائم على بؤادر استسلام العرب لسياسة القهر .

ومن ثم أتت المفاجأة العربية كوقع الصاعقة على المخابرات المركزية الأمريكية ، وعلى الفكر الأمريكى كله بل وعلى الفكر الأوربى كذلك . وقد ورد تقرير احدى لجان الكونجرس الأمريكى عن ذلك « ان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للقتال ، والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لفترة طويلة ، واخفائها عن أعين الاسرائيليين ، أمر يجب أن يلقى اهتماما كبيرا » .

على مستوى الدولة

وتنعكس الأساليب فى الأخذ بأسباب الخداع الاستراتيجى على مستوى أجهزة الدولة العليا فى مصر ، خلال عدة صور منها :

● عدم صدور أى اشارة أو بادرة اعلامية من أجهزة الاعلام المصرية تشير الى المعركة ، أو تذكى الحماس ، أو تهيبى الأذهان ، رغم أن النائب الأول لرئيس الوزراء (الدكتور عبد القادر حاتم) كان الوزير المشرف على هذه الأجهزة .

● وجود عدد كبير من الوزراء فى الخارج بين ٤ أو ٥ وزراء ، منهم وزير الخارجية ، (الدكتور محمد حسن الزيات) الذى كان فى لقاء مع وزير خارجية أمريكا فى اليوم السابق لبدء القتال .

● تعتمد رئيس الجمهورية فى خطابه قبيل أيام من المعركة وفى ذكرى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٨ سبتمبر أن يدر فى خطابه على ذكر المعركة ، مر الكرام وفى ختام حديثه بقوله :

« أيها الاخوة والأخوات ... لعلكم لاحظتم أن هناك موضوعا لم أتعرض له . ولكننا نعرف هدفنا ونحن مصممون على تحقيقه . وأن ندخر فى هذا السبيل جهدا أو نبخل بتضحية . وأن أتحدث اليوم عن هذا طويلا . ولكننى فقط أقول أن تحرير الأرض كما قلت مرارا هو المهمة الأولى التى تواجهنا . وسوف نحقق هذا الهدف بإذن الله . إنها ارادة هذا الشعب . بل إنها ارادة الله » .

موحيا للعالم باهتمامه بالأمور الداخلية كاصدار العفو عن المبعدين من رجال الصحافة ، والطلبة المعتقلين رهن التحقيق فى المظاهرات .

● تعتمد أجهزة الاعلام المصرية التركيز على تصريحات الوزراء المختصين عن جهود توفير الغذاء واغراق الأسواق إبه بمناسبة شهر رمضان ، ايجاء بالانصراف الى عادة الاهتمام بأنواع خاصة من الأغذية خلال هذا الشهر .

والحقيقة أن الظروف الدولية قد ساعدت على استقطاب اهتمام أجهزة المخابرات الاسرائيلية بموضوعات هجرة اليهود عبر أراضي النمسا . فتحولت الأنظار الى تهديدات الفدائيين الفلسطينيين لقطارات اليهود ومعسكر تجمعهم في قلعة شوناو . وأتت قمة هذا الاهتمام في وجود ماثير رئيسة وزراء اسرائيل في فيينا لمباحثات مع المستشار النمساوي كرايسكي حول هذه القلعة .

على مستوى القيادة

عمدت قيادة القوات المسلحة الى أساليب عديدة للخداع التعبوي على مستوى القوات كلها . وقد أتت هذه الأساليب استكمالا لحلقات الحفاظ على سرية قرار بدء المعركة ، وتوقيتها .

وفي سبيل الحفاظ على هذه السرية ، عمدت القيادة العامة للقوات المسلحة الى ضغط أعداد الضباط التي تعمل في أعداد الخطة ، بالإضافة الى الدقة في انتقائهم . ولم يكن على علم بتوقيت المعركة ، الا عدد قليل منهم .

ومن الأساليب المجدية التي ثبتت جدواها ، تعتمد عدم نسخ المكاتبات المتعلقة بالخطة على الآلة الكاتبة ، وقيام كل ضابط مسئول عن أى جزء منها بكتابتها بخط يده .

وكانت الخطة الشاملة طي دفتي مجلد يحتفظ فيه « اللواء محمد عبد الغنى الجمسى » رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة - آنذاك - والذي كان عمله بمثابة المحور الذى تدور حوله الرحى ، فى مختلف الأسلحة والقوات .

ومع قلة عدد الأشخاص الذين شاركوا فى وضع الخطط التفصيلية فى كل ادارة أو سلاح أو قوات متخصصة ، فقد أثبت رجال مصر أنهم على مستوى المسئولية فى حمل الأمانة . ولم تظهر حالة واحدة لتسرب المعلومات الى خارج القوات المسلحة ، أو الى أية أجهزة أخرى مدنية . فقد كانت التوجيهات المعنوية تعنى بتلقين الجميع أن تبقى الأسرار حبيسة فى الصدور ، عن الزوجات والأصدقاء وحتى عن الذين لا يتعلق عملهم بها . ورغم أن قرار المعركة كان قد اتخذ ، والقيادة فى حالة تأهب أثناء

مرحلة العد التنازلى ، فان الأمر كان يستلزم وضع كثير من الامكانيات والطاقات المدنية فى حالة تأهب واستعداد ، كالمستشفيات والمرافق وأجهزة النقل . ولكن كانت هذه الأجهزة قد تعودت على مثل هذه الحالات فى السنوات السابقة عدة مرات . وكان هذا المطب يتكرر فى العام الواحد عدة مرات عند قيام القوات المسلحة ، بأى مشروع ، أو مناورات .

وكان الشعور السائد لدى كثير من قادة القوات المسلحة الصغار الذين لا يعملون فى الجبهة ، ولدى كثير من الأجهزة الحكومية التى تتعلق عملها بها ، أن هناك مناورة عسكرية كبرى .

ولعل هذا الظن . كان هو نفس الظن الذى ساور الأعداء ، أو الذى أوحى به الظروف للمخابرات الأمريكية . فقد كان من عادة القوات المسلحة ، أن تقوم بمناورة كبرى على مستوى القوات كلها عند حلول كل خريف .

ولقد زاد من حبكة هذا الظن مظاهر خداع ذكية ، أميط اللثام عن بعضها ، وما زال بعضها الآخر طى السرية . ومن هذه المظاهر :

✳ تعتمد تسريح عدد كبير من الجنود قبل توقيت المعركة بمدة ثمان وأربعين ساعة . وتفننت الأجهزة فى اعلان واشاعة هذا النبأ على جموع الشعب . وفى الوقت نفسه كانت عملية استدعاء آلاف الجنود الفنيين من الاحتياط قائمة على قدم وساق .

✳ أذيع على صفحات الجرائد ، فتح باب أداء العمرة للضباط ، على دفعات . وكان هذا الأمر غير متيسر من قبل ، بل كان الضابط لا ينال أجازة سنوية غير عدد قليل من الأيام قد لا تتجاوز أسبوعا .

وعلى نفس المنوال ، سمح للضباط وضباط الصف ، بدفع رسوم أداء فريضة الحج ، على أساس تنظيم السفر لأدائها على دفعات تشرف عليها القوات المسلحة .

على مستوى الجبهة

فاذا ما انتقلنا الى الجبهة ، حيث انتشرت مئات الوحدات التى تضم كل منها آلاف الرجال يمثلون فى مجموعهم جيشين كاملين ينتشران فوق جبهة يبلغ طول مواجهتها ١٨٠ كيلو مترا بحذاء قناة السويس بكاملها وأعماقها تنسحب حتى القاهرة حيث قاعدة الامداد الرئيسية ، وهناك كانت التعليمات قد نفذت بصرامة لتمثل فى مجموعها محصلة خطة الخداع

كلها . وقد كان المؤدى المنشود أن يحس العدو أن الجيش يقوم بمناورة الخريف التدريبية مثل ما تكرر خمس مرات خلال العاملين السابقين .

* وفى حديث للسيد وزير الحربية أدلى به لأحد محررى الصحف ، أوضح أن أسلوب حشد الوحدات وتزايدها ، كان يتم فى هدوء ووفق مخطط بدأ منذ عدة شهور قبل بدء المعركة حيث كان يدفع بوحدة كبرى كلواء الى الأمام يقوم بتدريباته ، ثم يسحب غير كامل الى الخلف بعد أيام موحيا بأنه أنهى تدريبه ولكن تتخلف منه فى الجبهة وحدة ككتيبة ، لذلك درج العدو على تعود مراقبة وحدات تتقدم نحو الجبهة ، وأخرى تتركها .

* وبينما كانت مهمات العبور هى الدالة القوية التى يمكن أن يستشف منها العدو نوايا العبور ، فإن الدفع بها الى الجبهة كان يتم فى هدوء كذلك ، حيث كان يدفع بها الى الجيوش تحت جناح الظلام ، وتتحرك قولاتها من مخازنها فى صناديق خاصة ، وتحت أغطية تصور لرائيها أنها من مهمات المهندسين . وفى الجبهة تودع فى حفر شأنها شأن ما يكس من تشوينات الجيوش تحت أغطية خاصة .

* ولقد صدرت الأوامر للقوات التى ستعبر القنساء بعد نفخ قوارب العبور بالهواء المضغوط الا فى اللحظات الأخيرة قبل ساعة الصفر ، حيث كان صوت الهواء المضغوط يمكن أن يكشف من الضغنة الأخرى للقناة .

* لم تصدر الأوامر للضباط والجنود الصائمين ، أن يفطروا الا فى مرحلة الإعداد للعبور .

* رغم أن السائر الترابى على الضفة الغربية للقناة ، كان يخفى أغلب تحركات القوات خلفه ، فإن قمة الخداع أتت فى دفع جماعات صغيرة من كل وحدة ، أمام هذا السائر سميت جماعات الكسل . وكلفت بمهام ، تعتبر أغرب ما يمكن أن يكلف به جندي . فقد كانت الأوامر لهم أن يستحم بعضهم فى القناة على غرار ما يفعلون كل يوم ، وأن يجلس بعضهم على حافتها حاسرى الرؤوس بلا خوذاة ، يمسكون القصب أو يصطادون السمك أو يلقيون بقشر البرتقال فوق المياه ، ويلعبون كرة القدم . بينما يقوم آخرون برى الحقائق التى تكسو مساحات كبيرة من المباني أمام مدينة الاسماعيلية .

هكذا كان كل ركن فى الصورة يوحى بأن الأمور تمضى كما مضت آلاف الأيام السابقة ، فى هدوء .

التخطيط لساعة الصفر

يمثل اختيار توقيت بدء المعركة ، عملاً اتخذ فيه الأسلوب العلمى بأجلى صورة . وعن هذا المعنى عبر المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية بقوله « لقد كان تحديد يوم (ي) عملاً علمياً على مستوى رفيع . ان هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير وسوف يدخل التاريخ العلمى المحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » .

ولو شئنا تحليل هذا العمل فحسبنا أن نعرف أن توقيت مثل هذا العمل المصيرى يرتبط بعدة عوامل . تدخل فيها دراسة احصائيات عن الطقس ربما تمتد لعدة أعوام لاستخلاص نتيجة واحدة ، ويستلزم دراية بأحوال فلكية متعلقة بالقمر والنجوم وهيول الشمس ، ويستوجب معرفة لمناسيب المياه فى المد والجزر عبر القناة .

ولعلنا نذكر أن عدوانه عام ١٩٥٦ اختير له يوم ٢٩ من شهر أكتوبر لأن فصل الخريف فى مصر يتميز بجو مستقر أشبه بجو الربيع ، ويسوده طقس صحو وغير ممطر .

ومعروف أن القمر يكتمل بدماء فى اليوم الرابع عشر الهجرى . ولكن الأيام الخمسة السابقة ليوم اكتمال البدر ، تعتبر ليالى مقمرة يغمرها بنوره حيث يكون القمر فى التربيع الأول ، وفى مثل هذا النور يمكن للقوات المتحاربة العمل فى ضوء كاف للقيام بمثل مد المعابر ، واقامة الكبارى ، ولتدفق المعدات فوقها لتحتل مواقعها .

ولقد ساعد على تحقيق المباغته لاسرائيل - كما سبق القول - انشغال مخابراتها بقضية قلعة شوناو فى النمسا ، واستعداد حكومتها للانتخابات العامة فى الوقت الذى كان فيه قرار بدء المعركة قد تم .

ولاختيار الشهر واليوم والساعة ، تكمن الموازنة بين عدة عوامل لاختيار أنسبها .

* عن الشهر :

اختير شهر أكتوبر ، بسبب جو الخريف الصافى . ولطول فترة الليل به حيث يبلغ اثنى عشرة ساعة بما يسمح بمواصلة العمل بعد العبور طوال الليل . ولواقعة حلول شهر رمضان به ، حيث يظن انشغال المسلمين بالصيام عن العمل . كما أنه فى هذا الشهر يوافق حلول ثلاثة أعياد يهودية تعطل فيها الأعمال ، ويكاد العمل يصل فيها لدى غلاة المتدينين

من اليهود الى حد التحريم . وفى أغلب هذه الأعياد يقبع اليهودى فى منزله ، أو فى دور العبادة .

* وعن اليوم :

اختير يوم السادس من أكتوبر ليوافق العاشر من رمضان حيث يكون الليل مقمرا . وليوافق يوم السبت ، وهو يوم عيد الغفران لدى اليهود . وفى مثل هذا اليوم يكون الفرق بين منسوب مياه القناة أثناء المد والجزر غير كبير .

* وعن الساعة :

اختيرت الساعة الثانية لتكون قمة المفاجأة فى عدم تعود الجيوش على ذلك حيث شاع بدء المعارك فى أول ضوء أو آخر ضوء . ولعلنا نذكر أن العدو عندما قام بضرب مطاراتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ فى الساعة التاسعة ، اعتبر ذلك مفاجأة لأن المتحاربين تعودوا على بدء الحرب فى أعقاب الفجر . ولكن كان اختيار الساعة الثانية ليتيح مدة تقرب من أربع ساعات قبل غروب الشمس ، تكون كافية لتحقيق ضربات الاحباط التى يقوم بها الطيران والمدفعية وأفواج العبور الأولى ، وتكون كافية لنقط المراقبة وطائرات الاستطلاع لتصوير نتائج هذه الضربات . وليبدأوا بعد حلول الظلام فى مد كبرى العبور .

وخلال هذه المدة الوجيزة يصعب على العدو الرد قبل حلول الظلام حيث تكون مطاراته معطلة ويلزمه على الأقل ست ساعات لاصلاح ممراتها . ولذلك فلن يستطيع القيام بهجوم مضاد ، كما لن تتمكن طائراته من العمل بحرية الا فى صباح اليوم التالى .

وفى مثل هذا الوقت تكون الشمس كما يقول العامة فى « عين العدو » مائلة عن السحب وتميل نحو المغرب ، حيث يصعب على العدو متابعة الحركة فى هذا الاتجاه .

محصلة المفاجآت

أتت محصلة خطط الحداغ ، وأخذت الحكومة والقيادة المصرية بأساليب السرية والأمن ، باحداث المفاجأة فى كامل صورتها لدى قادة اسرائيل . ولم تتحرك القيادة الاسرائيلية لاعلان حالة التعبئة العامة الا صباح يوم السادس من أكتوبر . وعندما أخذت الاذاعة تردد نداء « قدر اللحم » . لم يكن هذا النداء يصل الا للقليلىين الذين يسمعون الاذاعة فى هذا اليوم .

وحتى هؤلاء الذين تركوا ملابسهم المدنية وارتدوا على عجل سترة الميدان تجمعوا فى مناطق التجميع تمهيدا لترحيلهم الى الميدان . وأصابهم الملل قبل الظهير . عندما لم يجدوا أى بادرة تنذر ببدء الحرب .

وفى تقرير لاحدى لجان الكونجرس الأمريكى عن الحرب وما يشير الى خطط المفاجأة المصرية الفقرة التالية :

« بالاضافة الى أن عملية العبور تعد فى ذاتها مظهرا مؤكدا لتحسن القدرة القتالية ، فان عملية التمويه والخداع التى صاحبت الاستعداد المصرى للمقتال والقدرة على كتمان هذه الاستعدادات لفترة طويلة واخفائها عن أعين الاسرائيليين أمر يجب أن يلقى اهتماما كبيرا » .

الفصل الثاني

ملحمة العبور

بين تمهيد المدفعية ، وتجهيز المهندسين
وجسارة المشاة ، وبطولات الصاعقة



« سوف نسلم أعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صواريخها .. »

محمد أنور السادات

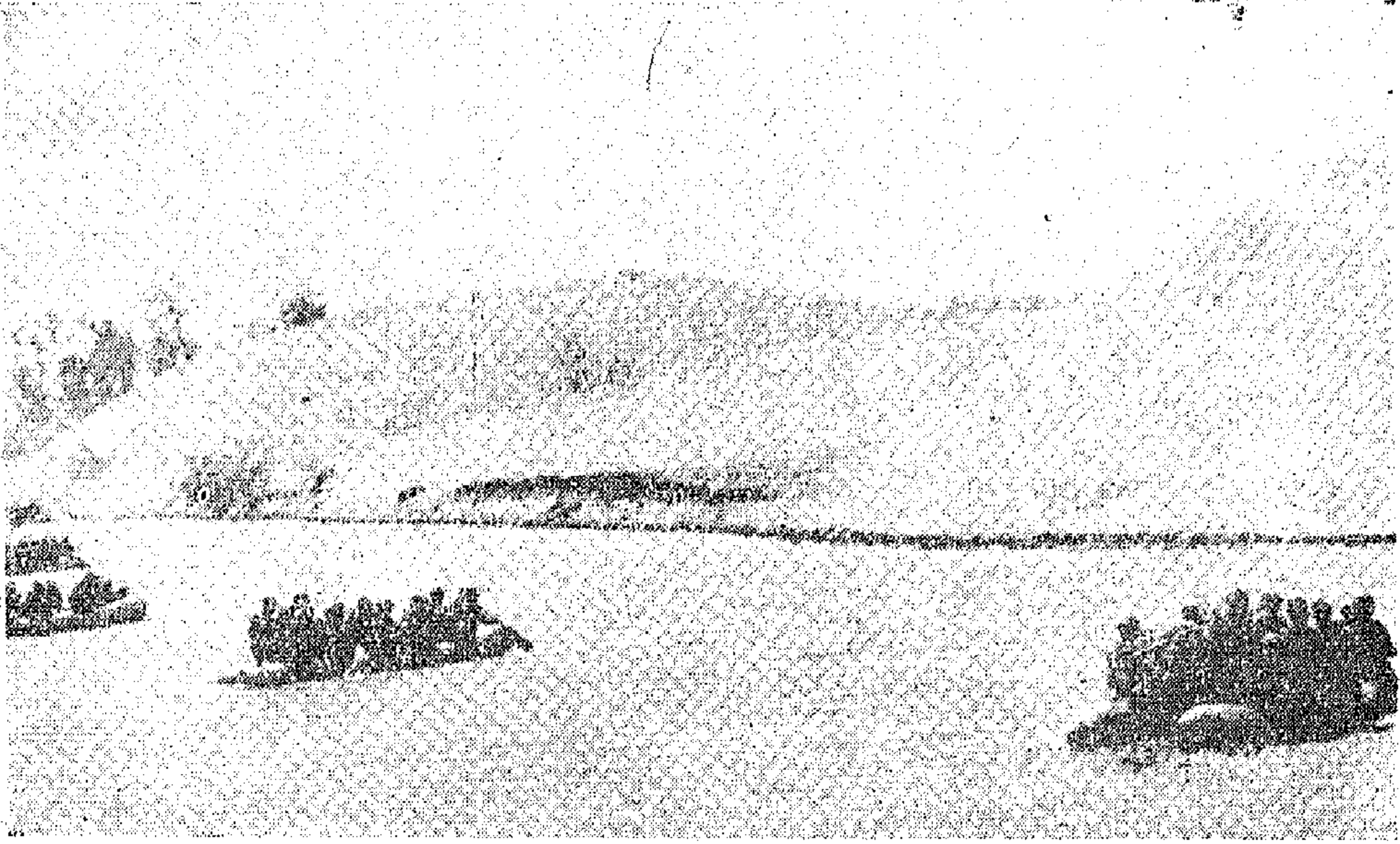
الحرب عبر أوسع الموانع المائية

تمثلت أهمية خط بارليف كخط دفاعي ، في ارتكازه على قنناة السويس كمانع مائي يوازيها ولا يبعد عنها الا قليلا ، فأثت جهود الهندسة العسكرية التي بذلت في تصميم نقطة الحصينة مضاعفة لاعاقة أى تقدم لعبور القنناة من الغرب الى الشرق . ذلك أن قنناة السويس وحدها تعتبر في العرف العسكري مانعا فريدا وصعبا يختلف عن سائر الأنهار في كونها :

- تنحدر شواطئها من الجانبين انحدارا حادا بواسطة حواف تتكون من الأحجار المتماسكة ، للاحتفاظ بالقنناة كخط ملاحى بحرى . ومن ثم فان اجتياز القنناة بأى وسائل للعبور - كالدبابات البرمائية ، أو القوارب يلزم له اعداد هندسى مسبق .
- ان القنناة تمتد لمسافة ١٨٠ كيلو مترا لتفصل بين الجيشين الثانى والثالث المصريين غربا ، وجيوش اسرائيل المتوزعة فى سيناء شرقا . وتتبدل سرعة اتجاه تيار الماء فى القنناة أربع مرات يوميا . ولذلك يتغير منسوب ارتفاع الماء بها وفقا للمد والجزر ، حيث يبلغ أقصى مداه ١ ¼ متر فى الجنوب . ولذلك كان لزاما اختيار أنسب الأوقات للعبور استغلالا لأنسب أوقات ارتفاع المد .
- يوجد بحذاء الجزء الشمالى من القنناة جنوبى بور فؤاد وحتى جنوب رأس العش منطقة من الأراضى الطينية الرخوة المغمورة بالمياه الضحلة ، والتي تسمى « سبخة » ، حيث يصعب مرور المركبات والأفراد الا فوق مدقات سابقة التجهيز .
- يوجد بحذاء الجزء الجنوبى من القنناة وشمالى بور توفيق تضاريس جبلية حادة ، بخلاف سائر المناطق ، تحد من مرونة حركة الآليات ، وتساعد على أخذ هجمات مرتفعات حاکمة .



کباری العبور . . مدت خلال ساعات



قوارب العبور

● يتراوح عرض القناة بين ١٠٠ ، ١٨٠ مترا وفى بعض الأحيان تصل الى ٢٢٠ مترا ، بينما يتفاوت عمقها بين ١٤ ، ١٨ مترا ، وتتسع القناة اتساعا غير عادى عند بحيرتين أصغرهما بحيرة التمساح جنوبى مدينة الاسماعيلية ، والأخرى هى البحيرات المرة الأكثر اتساعا والتي تمتد لمسافة أطول قبيل السدس الجنوبى من القناة شمالى مدينة السويس .

وهذه البحيرات لاتصلح كمناطق للعبور نظرا لعرضها البالغ لامكان تعرض القوات العابرة خلال وقت طويل للنيران المعادية .

● وجود سد ترابى بحذاء الشاطئ الشرقى للقناة ، نتج عن عمليات تعميق القناة قبل اندلاع حرب ١٩٦٧ ، حيث ألقت به الكراكات المصرية عمدا على هذا الجانب غير الآهل بالسكان .

ولقد استغل الاسرائيليون وجود هذه الكميات الهائلة من الرمال وأكملوا الثغرات التى بينها ، وزادوا من ارتفاعها ، وجعلوا منها سسدا

متصلا ليشراوح ارتفاعه بين ١٢ ، ٢٠ مترا . ويصعد أحيانا فى بعض المناطق الصالحة للعبور الى ٣٠ مترا وأزاحوها غربا لتلامس حافة القناة تماما وتنحدر نحوها بزاوية ميل حادة . ومن ثم أصبح هذا السد ضمن الموانع الطبيعية التى تجعل من العبور عملية صعبة لفرد المشاة والدبابات البرمائية . ولا بد من الإشارة الى أن بعض أجزاء هذا السد الترابى كانت من الرمال المفككة المنهالة فى أكوام فوق بعضها ، ولكن بعضه الآخر كان من الطفلة الطينية الأكثر تماسكا ، والتى تتحول الى طينة لزجة عند سقوط الماء عليها . وفى جوف هذه الرمال أقام العدو نقط مراقبة حصينة .

ولا بد من أن نضيف الى ذلك أن هذا السد ، لم يكن يشكل مانعا فحسب بل كان ستارا كثيفا أيضا يخفى وراءه كل تحركات العدو ، ولا بد لكشفها من وجود كل نقط المراقبة فى مستوى أعلى من ارتفاع السد .

وقد قام المصريون على الشاطئ الغربى للقناة باقامة سد ترابى آخر لاختفاء تحركاتنا خلفه عن أعين الأعداء ، ولكن كان من السهل فتح ثغرات فيه عند الرغبة . وكان لزاما أيضا أن نقيم مصاطب عالية فوق هذا السد الترابى لدباباتنا ، وهذا يعنى جمع رمال وأتربة قدرت بما يزيد على عشرة ملايين متر مكعب .

كل هذه الخصائص الطبيعية الفريدة فى نوعها جعلت من قناة السويس مانعا مائيا ، صعب العبور أمام القوات المصرية ، ومن ثم فإن الخبرات العسكرية لعبور الموانع المائية المعروفة فى العالم لم تكن تكفى لأن تحقق لمصر ما تريد . بل لم تكن عمليات العبور فى التاريخ العسكرى بالأمور المستحيلة ، وإن كانت من العمليات الصعبة التى تتميز بكثرة خسائرها . والتاريخ يحكى لنا كم من ألوف الجنود لقوا حتفهم ولم يستطيعوا أن يحققوا شيئا عند محاولة عبور المستنقعات الصناعية التى اصطنعها الألمان فى شمال فرنسا لعاقة غزو الحلفاء فى نورماندى فى الحرب العالمية الثانية . ومثل ما اصطنعته القوات الهولندية لعاقة تقدم القوات الألمانية عبر أراضيها المنخفضة . وحدث نفس الأمر غرب الاسكندرية عام ١٩٤٢ لعاقة تقدم الزحف الألمانى الذى كان يقوده رومل عبر الصحراء . بل أن فرقا كاملة لقيت مصيرها المروع وهى تحاول اجتياز هذه المستنقعات الضحلة .

ورغم أن التكنولوجيا العسكرية الحديثة قد دلت ، كثيرا من مشاكل العبور ، وأصبحت هناك الدبابات البرمائية التى تستطيع الطفو فوق سطح الماء ، وأصبحت المعابر والكبارى العسكرية ، أكثر تطورا ، وأكثر سهولة فى تركيبها ، إلا أن الموانع المائية مازالت عقبة كأداء فى طريق الجيوش . تقف الى جانب المدافع ، وتشكل صعوبة للمهاجم ،

وتحتاج الى تجهيزات خاصة ، ونسب الخسائر فيها لكل الأطراف أعلى من نسب خسائر أى عمليات تتم فوق مناطق ذات طبيعة أخرى .

ولابد من الإشارة الى ان العدو الاسرائيلي ضاعف من مشاكل عبور القناة باقامة خزانات للمواد الملتهبة تحت سطح الأرض على جانب القناة يسمح كل منها ٢٠٠ طن من النابالم ، أو الجازولين ولذلك كان يصعب تدميرها بالمدفعية . وجعل هذه المستودعات على مسافات متقاربة ، وأوصلها بشبكة من الأنابيب تنتهى تحت سطح مياه القناة . وهذه المواد الملتهبة لها خاصية الطفو فوق المياه ، واذا ما اشعلت جعلت من سطح الماء أتونا طافيا يمكن أن تندلع منه ألسنة اللهب الى ارتفاع متر ، وترتفع درجة الحرارة الى ٧٠٠ درجة مئوية لتحرق أية قوارب أو عبارات أو دبابات برمائية . كما يمكن ان يطيح بالكبارى التى تمتد ويجعلها هشيما تذروه الريح بعد حين . بل لقد تمادى الاسرائيليون فى وصف آثار هذه الخزانات ، بأن حرارة النيران الناجمة عن هذا السعير ، يمكن أن تشوى الأسماك التى فى قاع القناة ، وتلفح الأشخاص الذين يبعدون عنها الى مسافة ٢٠٠ متر .

ولم تكن هذه الخزانات ، معدة لتفرغ محتوياتها مرة واحدة ، بل كان يمكن تغذيتها وتجديدها ما تفرغه فوق السطح ، عبر شبكة أنابيب ووحدات دفع يتم تشغيلها من النقاط الحصينة فى خط بارليف .

كل هذه العقبات الطبيعية ، والصناعية ، شكلت من قناة السويس مانعا مائيا أسطوري الصعوبة . وهذا ما جعل تركيز العسكريين المصريين بالدرجة الأولى على تدريب الجنود على عمليات عبور الموانع المائية . ولم تفقد القيادة المصرية ايمانها بإمكان اجتياز كل هذه العقبات . فقد صرح مسئول عسكري مصرى كبير عقب إحدى المناورات « ان قناة السويس تعتبر أصعب مانع مائى فى العالم ومع ذلك فاننا سوف ننجح فى اقتحامه بإذن الله » .

خط بارليف وبيت العنكبوت

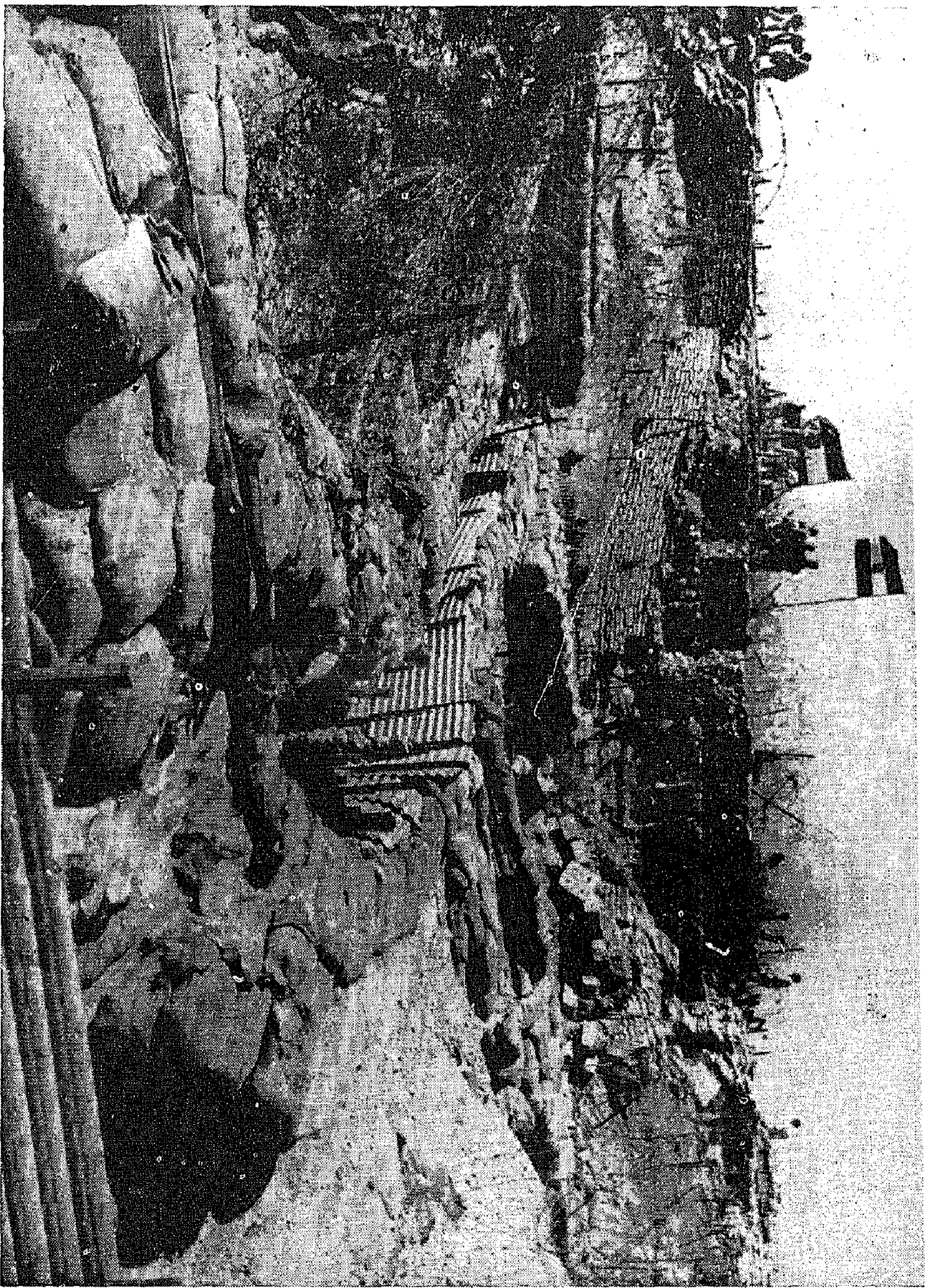
أحيا خط بارليف الذى أقيم موازيا لشاطئ القناة الشرقى موات نظرية عسكرية قديمة ، عن الخطوط الدفاعية المحصنة تحت الأرض . فقد كان آخر العهد بهذه الخطوط هو خط « ماجينو » الفرنسى الذى بلغ عمقه ثمانية أذوار وأقيم بحذاء الحدود الفرنسية الألمانية . وازاء تحصيناته المنيعة ، لم يجد هتلر وسيلة المتغلب عليه الا تفاديه والالتفاف من حوله ، عبر أراضى بلجيكا . وأمام خط ماجينو ، كان يرقد خط

« سيجفريد » الألماني كذلك . وكلاهما لم يلعبا في الحرب العالمية الثانية أى دور ، وبالتالى لم تكن الأدوار الطائلة التى أنفقت عليهما الا هباء ضائعا . وبعد الحرب العالمية الثانية أقام الأمريكيون الخط . للدفاعى «مينيسونا » داخل الأراضى الكورية .

ولقد أتى خط بارليف ليعكس الفكر اليهودى الراسخ فى عقولهم منذ ما قبل الاسلام ، وليعيد الى الأذهان حصون خيبر التى وصفها القرآن الكريم « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . والحقيقة أن خط بارليف الذى عصفت به القوات المصرية فى أكتوبر ١٩٧٣ لم يكن الجهد الأول « لبارليف » بل كان المحاولة الثانية له . فقد سبق أن أطاحت المدفعية المصرية خلال حرب الاستنزاف بخطه الأول ، الذى لم يكن أكثر من حصون متناثرة على هيئة دشم محصنة يبرز أكثرها فوق سطح الأرض ، فدكتها المدفعية المصرية دكا وانتهت حرب الاستنزاف التى لعبت فيها مدفعية الميدان المصرية دورا تاريخيا خلال أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، وانتهى معها خط بارليف الأول . وعلى ضوء الدرس الذى تلقاه بارليف عن خطه الأول ، وضع تصميم خطه الثانى . وبكل المقاييس العسكرية ، وبكل موازين الهندسة العسكرية ، وبكل معايير التسليح ، يمكن القول ان خط بارليف الثانى كان أكثر خطوط الدفاع الثابتة مناعة فى التاريخ ، وكان أكثرها تحصينا وأحسنها تجهيزا . ومن ثم أغدق فى الاتفاق عليه ، اذ بلغت جملة تكاليفه ما يقرب من ٢٣٨ مليون دولار وتطل الاستراتيجية الاسرائيلية من خلف المغالاة فى تحصين هذا الخط خلال تصريحات العسكريين الاسرائيليين . الذين اطمأنوا الى استحالة عبوره أو اجتياز نقطه الحصينة . ففى أكثر من مناسبة صرح « ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى « وبارليف » رئيس الأركان وصاحب فكرة الخط ، أن هذا الخط سيكون الصخرة التى يتحطم عليها عظام المصريين ، وسيكون مقبرة الجيش المصرى . وشط خيال الاسرائيليين فى تصور مدى مناعة الخط ، بالاضافة الى عائق السد الترابى ، وتجهيزات اتصال مياه قناة السويس ، فصرح قادتهم « ان المصريين لا يعرفون أى جحيم سوف ينصب عليهم عندما يضعون أقدامهم خارج الضفة الغربية للقناة » . وأن الخط غير قابل للتدمير حتى بالقنبلة الذرية .

وفى غرور قالت مائير يوما « أن تصور عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية يعتبر اهانة للذكاء » .

ولعلنا لو استطلعنا خريطة الخط نفسه وطريقة تحصينه ، ترتسم أمامنا صورة واضحة عن مناعته .



• في ست ساعات ، حطم المقاتل المصري خط « بارليف » الذي تكلف ٢٣٨ مليون دولار .

● لم يكن الخط نفسه متصلا ، بل تكون من عدة نقط حصينة بلغت (٢٢) موقعا ، تضم (٣١) نقطة حصينة • يكسو كل منها مساحة تتراوح بين ١٠٠٠ و ٤٠٠٠ متر مربع •

● تمتد النقط والمواقع من رأس العش جنوبى بور فؤاد شمالا حتى الشط شمالى بور توفيق جنوبا • وبفواصل فيما بينها متفاوتة تصل الى أربعة أو عشرة كيلو مترات أحيانا • وقد أختير موقع كل نقطة لتتحكم فيما حولها من هياث وطرق وتركز عدد كبير من النقط فى القطاع الجنوبى من القناة الذى يؤدى الى ممر متلا •

● تتكون كل نقطة من عدة طوابق تغوص أغلبها تحت الأرض ، وتعلو حتى تصل الى ارتفاع الساتر الترابى الذى يصل الفراغات التى بينها •

وهكذا أتت هذه النقط كأنما هى قلاع حصينة بنيت وسط هذا الساتر • ولقد وضحت المغالاة فى تحصينها بالأسمت المسلح ، والأحجار الصلبة ، التى تحتويها شبك تجعل من مجاميعها كتلة واحدة • بالاضافة الى قضبان السكك الحديدية المنتزعة من خط سكة حديد سيناء ، الى شكاير الرمال • وكلها طبقات بعضها فوق بعض لتتحمل القصف المباشر حتى قنابل عيار ١٠٠٠ رطل •

● يضم كل موقع ، ملاجئ للأفراد مزودة بمزاغل ، مراقبة بالمناظير البيروسكوبية ، والتلسكوبية ، ومواقع للأسلحة الخفيفة والثقيلة ، بالاضافة الى ملاجئ للنوم ، ومخازن للمؤن • ويكسو الموقع من أعلاه وجوانبه أسلاك شائكة ، تمتد عبر قضبان حديدية وتوزع حوله حقول ألغام تعد بالآلاف ، لتعوق أى هجوم عليه •

● واذا ما هبطنا الى داخل الموقع وجدنا أجزاءه المختلفة ، تربط فيما بينها خنادق مواصلات محصنة الجوانب بألواح الصاج والعوارض الخشبية ، وشكاير الرمل • وأنه مزود بالأسلحة الخفيفة من رشاشات ومدافع مضادة للدبابات ومرابض للمدافع الهاون ، والمدافع المضادة للطائرات فى تنسيق للنيران بين المواقع المتقاربة • وأغلب مداخل الموقع مزودة بأبواب من الصلب السميك وألواح الحديد • وفى المواقع التى كانت مجهزة لوجود دبابات ، كانت هناك تجهيزات تسمح لهذه الدبابات بالصعود فوق مزلق لتضرب منها ، ثم تعود لتهبط فوق منحدرات لتختفى •

● وتجهز كل نقطة دفاعية بمطبخ للطعام ومياه جارية وكهرباء



علم اسرائيل •• هبط من فوق مواقع بارليف

ومستودع أغذية • وكل موقع به طبيب مقيم ومركز اسعاف
وبلدوزر لفتح الطريق عند انهيار الرمال دون طلب معونة من سلاح
المهندسين • وليتحقق له استقلال شبه ذاتي •

● يتصل كل موقع بالمواقع الأخرى سلكيا ولاسلكيا بالاضافة الى
اتصاله بالقيادات المحلية • مع ربط الخطوط التليفونية بشبكة
الخطوط المدنية في اسرائيل ليستطيع الجندي في الخط أن يحدث
منزله في اسرائيل •

العبور واجتياح الخط

قبل أن تبدأ ملحمة العبور ، كانت أكثر من مائتى طائرة مصرية تدك أهداف العدو فى سسيناء بضربتها المركزة المذهلة . وكان أكثر من ألفى مدفع يلهبون خط المواجهة بالنار . وكان ثمانية آلاف جندى يتفرون على أهبة الاستعداد لركوب زوارق العبور .

وما كادوا يجتاحون خط بارليف بعد دقائق من ساعة الصفر ، التى حددتها القيادة المصرية يوم العاشر من رمضان ، حتى تهاوت نقط الخط كما يتهاوى بيت العنكبوت . وخلال الاثنتى عشرة دقيقة الأولى من بدء العبور تهاوت النقطة الحصينة الأولى ، لتثبت أنها على مناعتها كنمر من الورق ، يرعب ولا يخمش . وارتفع علم مصر فوق أغلب نقط الضفة الشرقية . وخلال اليوم الأول دمر ١٤ موقعا ، وخلال اليوم التالى تهاوت تسعة مواقع . وبعد أيام كان حلم اسرائيل قد أصبح حلما ، وتبخرت ملايين الدولارات التى تدفقت من يهود أمريكا ، مع رمال الصحراء ، عندما صدرت الأوامر بنسف كل الخط ، وترك بعض تحصيناته للذكرى لا غير .

ومع هذا النصر ، الذى أذهل العالم فى سرعته أنكر قادة اسرائيل ما كانوا قد قالوه عن مناعة الخط وحصانته ونيرانه ومناعته . وأصبح فى عرف ديان « شريحة من الجبن الجربير به من الثقوب أكثر مما به من الجبن » بينما تنصل بارليف صاحب فكرة الخط من زعمه عن مناعة الخط وقال « ان جيش الدفاع الاسرائيلى لم يستعمل اصطلاح « خط بارليف » اطلاقا ، والصحافة فقط هى التى تداولت هذا الاصطلاح . وأن أى شخص عادى ليدرك أن عشرين تحصينا لم تكن لتوقف وحدها هجوما شاملا » .

ولابد من الوقوف أمام حقيقة العبور ، وقفة تأمل ودراسة ، لأننا كما قلنا لا يعيننا تسجيل الأحداث ، بل يهمننا ما بعدها . ذلك أن الدراسة ستنتهى بنا الى التأكد من أن مشاكل عبور قناة السويس أكبر مانع مائى عرف فى تاريخ الحروب ومصاعب اجتياز السد الترابى ومخاطر نقط خط بارليف الحصينة كأنما كانت مسألة رياضية أمام القادة العسكريين ، لها افتراضاتها ، ولها أيضا حلولها . ولكل حل طريقة بل أكثر من طريقة ، وكان عليهم اختيار أنسبها .

ولم تكن هناك فرصة لنسيان فرض من الفروض ، أو تجاهل مشكلة من المشاكل والا أثر ذلك على بلوغ الحل . ومن ثم أتت حلول كل مشكلة على حدة ثم تجمعت الحلول ، لتنسج قرارا كان معلقا به مصير أمة ، وكرامة

القومية العربية كلها ، ومكانة جيش تدريب وأعد نفسه ستة أعوام كاملة ، لهذه اللحظة الحاسمة .

ومن حقنا ونحن ننظر الى النتائج أن نلقى الضوء على هذه الحلول ، لكي ندرك أن أغلبها كان ابتكارا فى الهندسة العسكرية يستحق من العسكريين وقفة لا للتأمل ولكن للدراسة .

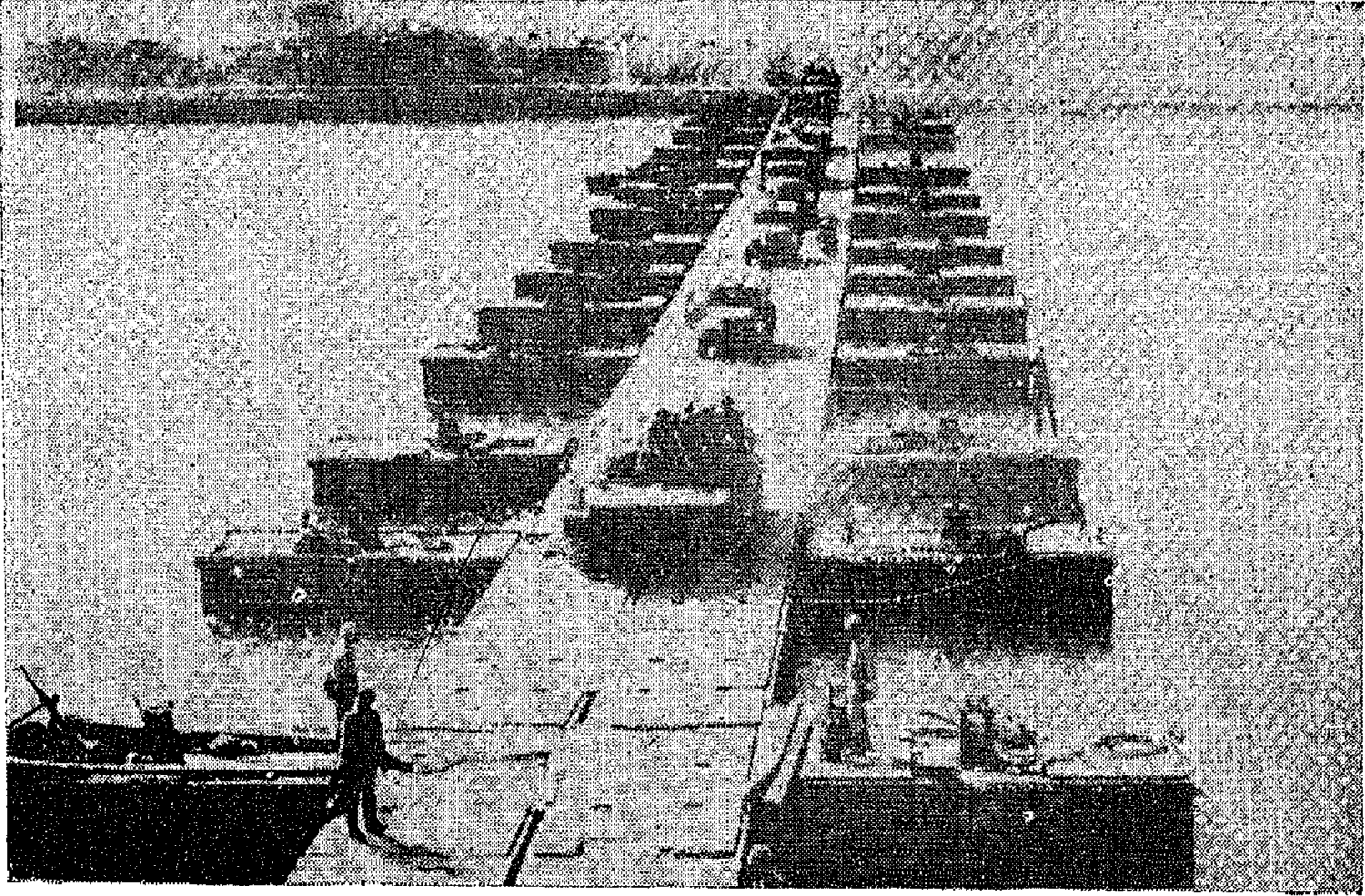
وهنا لابد من الاشارة بأن سلاح المهندسين المصرى ، قد لعب دورا تاريخيا فى ترجمة هذه الحلول للواقع ، والتدريب على سرعة العمل بها تحت نيران المعركة . وفى الوقت الذى احتدم فيه سعي القتال ، كان مدير هذا السلاح « اللواء مهندس جمال محمد على » يشرف بنفسه على مد جسور العبور أمام الجيش الثالث ، وبينما كان نائبه « اللواء مهندس أحمد حمدي » يمد الجسور فى منطقة أخرى ، ولقى ربه كأنبل ما يمضى الرجال فى لحظات أداء الواجب .

* تسلل أفراد من جنودنا قبل بدء العبور وسدوا مواسير خزانات المواد الملتهبة المنتهية الى الماء ، بواسطة حقن من الأسمنت سريع الشك . فأصبحت مئات الأطنان من هذه المواد حبيسة داخل خزاناتها ولم يفلح العدو فى اشعال حريق واحد .

* جرت دراسة دقيقة مسبقة لاتجاهات التيار فى القناة ، كان من نتيجتها أن مئات القوارب التى أخذ الجنود يعبرون بها القناة تبهر وهى فوق الريح ، ليبلغوا الجانب الآخر من القناة ، ويتسلقوا السد الترابى فوق سلالم ذات عوارض خشبية تربطها الجبال وزلاقات من الصاج بعد أن كانت آلاف المدافع قد دكت الحصون بمقذوفاتها ، ومهدت لمقدمهم .

* ابتكرت طريقة حديثة لفتح الثغرات فى السد الترابى ، هى طريقة مبتكرة اقترحها ضابط مهندس شاب ، وأثبتت فاعليتها ، فى فتح الثغرة الواحدة فى السد الترابى خلال ٣ - ٥ ساعات . سميت هذه الطريقة باسم « التجريف » أو « مدافع الماء » وتعتمد على ضخ المياه من القناة نفسها بواسطة طلمبات تحت الضغط العالى . وخلال ساعات كانت عشرات الثغرات قد فتحت فى السد الترابى ، وأزالت ٩٠ ألف متر مكعب من الأتربة التى كد العدو فى تكديسها خلال سنوات . أزالها المهندسون بالمياه المضخوخة عبر ٦٠ ثغرة مختلفة وكأنا كانوا يستخدمون مدافع مائية .

* وبالتدريب المتوالى استطاع المهندسون خفض الزمن اللازم لاقامة الكبارى والمعابر عبر القناة من أيام الى مدد قصيرة هبطت الى



سيظل ما قام به المهندسون العسكريون المصريون - قبل واثناء حرب أكتوبر - بمثابة صفحة فخار مديدة في تاريخ الحروب . فقد قاموا ببناء المواقع الحصينة كوحيدات الصواريخ وما يقابلها من المواقع الكاذبة ، شمل اقامتها ١٢٥ مليون متر مكعب في أعمال الحفر والردم ، ونحو ٢ مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة ، وإقامة آلاف الملاجئ تحت الأرض وإقامة الطرق الداخلية بهذه المواقع - ناهزت أطوالها ٤٠٠٠ كيلومتر (ما يعادل المسافة من القاهرة الى طرابلس الغرب) .

٦٥ ساعات • وخلال سنوات النكسة أمكن لهم تصنيع أجزاء كثيرة من معدات العبور محليا بواسطة شركات القطاع العام المدنية • وكانت شبكة طويلة من الطرق المرصوفة على الضفة الغربية بلغت أطول من ألف كيلو متر قد تشابكت خطوطها لتسهل تحركات قواتنا • كما كانت منازل خاصة للمعدات قد أقيمت بطول القناة على مسافات متقاربة لكي لا يستطيع العدو تحديد اتجاه الهجوم •

✽ لذلك لم تكد جماعات الاقتحام تتدفق وتؤمن رؤوس الجسور في الضفة الشرقية ، حتى بدأت وحدات المهندسين في تمهيد الأرض اللازمة لرأس كل جسر ، وخلال ساعات ، ليوم الأول ، كان ١٢ جسرا عائما قد أقيموا • • وعليها تدفقت جموع الدبابات والمضخات والمدافع الثقيلة الى سيناء •

هكذا أتت الجهود المصرية من قبل المهندسين والعسكريين لوضع الحلول لمصاعب العبور ابتكارات تتسم بالبساطة القائمة على ذكاء ووضوح الرؤية ، وليس استعراض العضلات • ولكن وراءها حقيقة مضنية عن تدريب قاس • وحسبنا أن نتصور كم مليون متر مكعب كان لازما تجميعها على هيئة سد ترابي يمثل ارتفاع السد الحقيقي ، لكي تتدرب عليها جماعات الاقتحام والعبور • وكم مليون متر مكعب من الخرسانة المسلحة استخدمت ، ومن البازلت رصفت ، ولذلك اتيح للجندى المصرى، تنفيذ خطة مواجهة العدو في حصونه من الأمام وليس من الخلف ، أو بالالتفاف حوله • وهذا ما عمدت القيادة اليه عند وضع الخطة ، رغم انه أصعب الحلول • وبدأت الملحمة بين الشجاعة والمناعة ليثبت للعالم أن الشجاعة أهم • وانقلبت فى غمضة عين حصون بارليف المنيعه مصايد كمصايد الجرذان ، يحتبس الاسرائيليون داخلها • وانتهت فكرة بالية الى العدم ، لتثبت أن بارليف لا يملك الا عقلية بالية ، عمدت الى فكرة بالية وتمسكت بها فى محاولة بلهاء للعودة الى حصون الأجداد فى خيبر وبنو قريظة •

والحقيقة التى لا يمكن اخفاؤها أن الابتكارات الهندسية المصرية للتغلب على ما خلقه الاسرائيليون من المصاعب ، اتسمت بالبساطة • فحفنة صغيرة من الأسمنت سريع الشك كانت قادرة على ايقاف اشتعال ٢٠٠ طن من النابالم • وسلم من الحبال والخشب ، كان قادرا على أن يصنع طريقا لشجاع ليعتلى السد الترابى • وطمبات توربينية تضخ الماء كانت قادرة على تقويض السد نفسه • وهذه كلها وسائل ليست فى سجلات التكنولوجيا الحديثة ، ولا تحتاج عقولا ألكترونية لتشغيلها ولكن



كشفت معارك حرب العبور ، عن المعدن الحقيقي للمقاتل الاسرائيلي
.. وأسفرت عن مئات الأسرى في كل موقع *

كان الرجال المؤمنون بعدالة قضيتهم ذوى عقول أكثر قدرة من كل العقول
الالكترونية على الحل فى بساطة ، وبهدوء .

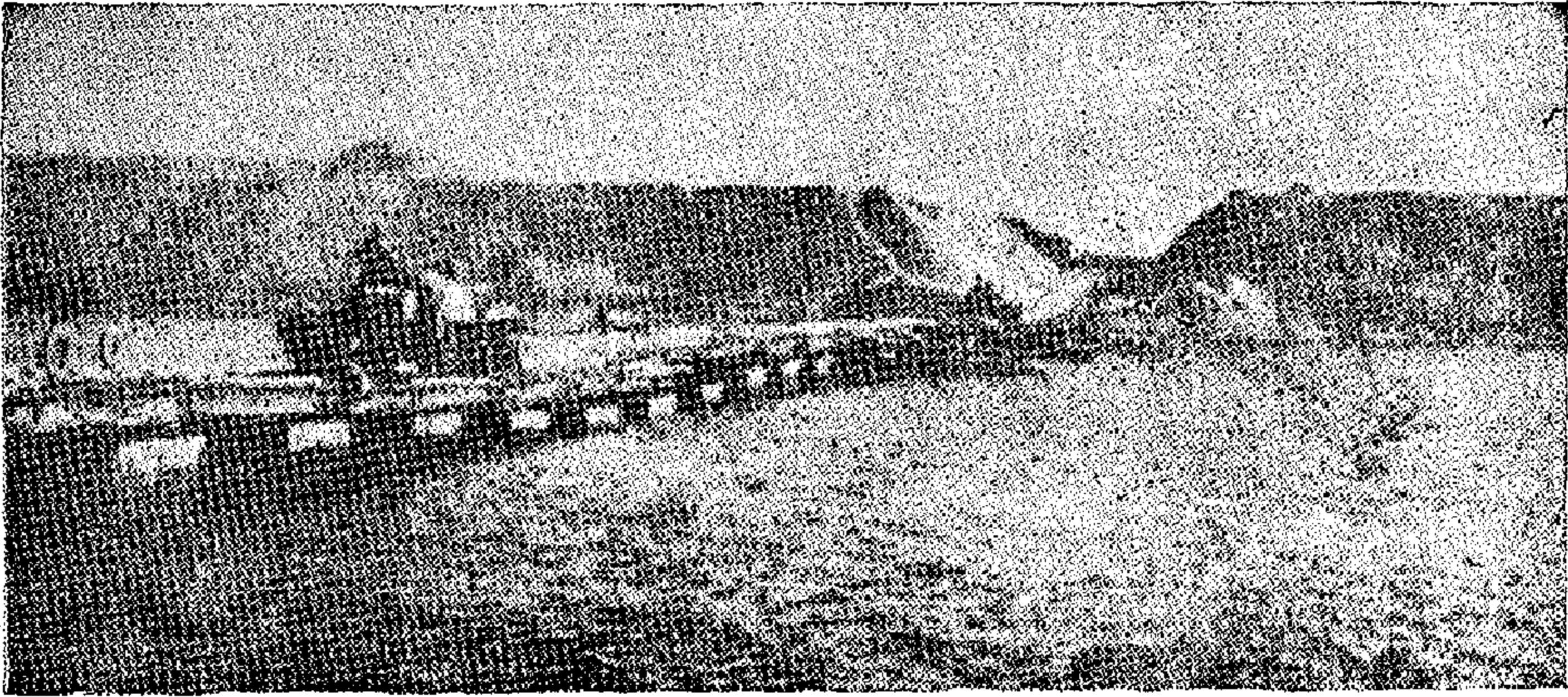
وهناك حقيقة أخرى لا بد ألا تغيب عن البال . . أن الفضل كله فى
نجاح خطة العبور ، وما توالى بعدها من انتصارات مرجعه الى استغلال
عنصر هام من عناصر الحرب وهو عنصر المفاجأة . . وتدير حسن
استخدام للوسائل . وأتى الأنين الاسرائيلى أمام هذه المفاجأة على لسان
الجنرال ديان بعد أن فقد العدو توازنه خلال أقل من ست ساعات :

« هنا حرب صعبة . . معارك المدرعات قاسية . . ومعارك الجو
فيها مريرة . . . انها حرب ثقيلة بأيامها . . . ثقيلة بدمائها » .

صناع التاريخ

ان ملحمة العبور ، عمل مشترك جهز له المهندسون ، ومهدت له
المدفعية وكان طليعته المشاة والصاعقة .

لقد شهدت الجبهة قبل المعركة حشداً لمدافع الميدان ، قل أن وجد
فى التاريخ مثله ، اذ حشد (٢٠٠٠) ألفاً مدفع بمواجهة طول القناة ،
وعندما بدأ القصف فى الساعة ١٤٠٥ أى فى ساعة الصفر ، بغرض تمهيد
أرض المعركة ، ظن العدو هذا الزئير حرب استنزاف جديدة . لقد كان



شقت مدافع الماء ثغرات فى السد الترابى خلال ساعات

معدل تساقط القنابل بمعدل ١٧٥ قنبلة كل ثانية . أخذت تتساقط فوق حصون العدو في عملية التمهيد اللازمة للعبور . فاستهدفت تدمير تحصينات خط بارليف ، وفتح ثغرات في حقول الألغام ودك مراكز المراقبة ، وتغطية عملية العبور .

وبينما كانت المدفعية تقوم بأعمال « تمهيد النيران » ، كان ٨٠٠٠ ثمانية آلاف جندي من المشاة يستعدون لاقتحام القناة بقوارب المطاط ، وهم يمثلون موجة الاقتحام الأولى حاملة أسلحتها الخفيفة ، ميممة وجهها شطر الثغرات التي فتحتها المدفعية في حقول الألغام . وفي الساعة ١٤٢٠ بدأت هذه الموجة الأولى تتدفق عبر القناة ، وتتعالى هتافات المؤمنة « الله أكبر . . . الله أكبر » . وتخفق معها قلوب خمس فرق مشاة تتوزع على طول القناة على هيئة جيشين يحتلان المنطقة غرب القناة وبطولها ، وبأعماق متفاوتة . هما الجيش الثانى فى الشمال حتى الاسماعيلية ، والثالث فى الجنوب من الاسماعيلية حتى السويس . وما فتئت موجات الاقتحام الأولى تتوالى على الضفة الشرقية ، تحمل معها سلالم الجبال لتتسلق الحاجز الترابى ، وتجرح خلفها عربات خفيفة ، معبأة بالذخيرة ، حتى ارتفعت الأعلام المصرية فوق الروابى بعد دقائق من بدء العبور . لقد ارتفع أحدها بعد عشر دقائق وآخر بعد ١٧ دقيقة ، وآخر بعد ٢٢ دقيقة .

كانت مدفعية العدو ، قد خرسست تماما ، فقد أجهزت عليها مدفيعتنا ، وأتى التمهيد النيرانى بشماره . وكانت مواشير المدافع أبان العبور ، مشرعة الى عمق أكبر فى سيناء ، لتصب نيرانها على العمق التكتيكى فتدك حصون الخط ، وتحيل قلاعها الى مقابر بلا مداخل ، ولا مخارج ، وتنزل به الشلل .

ومن المدهش ألا يسجل التاريخ أن مدفعا اسرائيليا واحدا لم يستطع الرد على مدفيعتنا حتى مرور ساعة على بدء العبور .

لقد ظلت المدفعية تمهد مسرح المعركة بالنيران أمام قواتنا . وكان من أعظم الآثار قيام بعض ضباط المدفعية بالعبور مع الافواج الأولى ليعملوا فى نقط توجيه النيران من الضفة الشرقية ، بالإضافة الى نقط المراقبة التى انتشرت خلف خطوط العدو وفى أعماقه .

كما سيذكر التاريخ أن مصر قد استطاعت بهذه الحفنة من الجنود أن تستخلص الأرض من غاصبيها فى حرب تقليدية ، يخطط فيها السلاح الأرضى ، بالقنبلة اليدوية ، بالمدفع الرشاش وبمدفع الميدان والصاروخ .

لقد كان الهدف تحرير الأرض ، ومن ثم فقد كان جل الاعتماد على جندي المشاة ، عصب الحرب ، يسانده التفكير العلمي . لقد تطورت رسالة المشاة بتطور التكنولوجيا العسكرية وأصبح جندي المشاة ، لا ينطلق على رجله طوال الوقت ، بل يحمل على المجنزرات وفي المصفحات ، ويطوى الأرض بها . كما أصبح لا يحمل نفس السلاح الذي كان يحمله أسلافه ، بل تطورت أسلحته الى قاذفات اللهب والصواريخ . لقد استخدمت قوات المشاة في الخطة المصرية بغزارة ، وبأسلوب لم يختلف كثيرا عن أساليب الحرب التقليدية . ولكنه اعتمد الى حد كبير على كفاءة الرجال ، وغزارة أعدادهم . ان جنديا واحدا يقود جماعة صغيرة هو الرقيب « **محمد عبد العاطي** » استطاع أن يصطاد ٢٣ دبابة معادية . ذلك بفضل عاملين أولهما ، رباطة الجأش التي تنطلق من روح معنوية عالية ، وبفضل سلاح مستحدث هو الصاروخ المضاد للدبابات الذي يستطيع حمله فرد ويعمل عليه بمفرده دون حاجة الى تجهيز هندسي خاص ، أكثر من حفرة يقبع فيها ، ويستطيع حفرها خلال دقائق ليحمي نفسه .

لقد لعبت هذه الصواريخ دورا بارزا في الحرب ، جعل قوات المشاة تستطيع الوقوف وحدها في الميدان قبل أن تتدفق مدرعاتنا الى الضفة الشرقية .

وبانطلاق موجات الاقتحام الأولى عبر القناة ، وتمركزها على الضفة الشرقية لها وبخاصة في اقتحام حصون خط بارليف ، أصبحت المهمة المباشرة قد نفذت باقتدار وأهم ما فيها تأمين رؤوس الكبارى التي أخذت نيران المدفعية تزيد من اتساعها . وان مهام المشاة التالية كانت صد أي هجوم مضاد يحاول العدو القيام به للتقدم نحو هذه الرؤوس .

لقد بدأ عبور الموجات الأولى من المهندسين العسكريين الى الضفة الغربية بعد ٢٠ دقيقة من بدء العبور لتأمين عبور المترجلين فى حقول الألغام التي أجهزت على أغلبها المدفعية ، ثم تلا ذلك عبور أمواج أخرى من المهندسين لتجهيز الأرصفة للمعدات وتجهيز معدات الكبارى ، وتوسيع الفتحات فى السائر الترابى ولم تمض ساعتان بعد ساعة الصفر حتى كان رجال سلاح المهندسين يعملون على الضفة الشرقية للقناة ، فى تخصصاتهم العلمية المتشعبة .

ولعل أهم هذه الأعمال كانت عملية تثبيت التربة فى الممرات لتستطيع المركبات والمدرعات السير فوق أرض غير زلقة ، وقد استخدمت

فى ذلك مواد متباينة بين أخشاب وأحجار وشكاير رمل وألواح من الصلب والشباك . وفى نفس الآونة كانت عمليات اسقاط مهمات كبرى العبور ، تمضى قدما وفق خطة محسوبة . وخلال ست ساعات استطاع المهندسون إقامة أول كوبرى للعبور أمام نطاق الجيش بينما أخذت عمليات إنهاء الكبارى الأخرى تتوالى فيما لا يتجاوز تسع ساعات رغم حلول الظلام . ورغم أن ضوء القمر كان كافيا ، إلا أن بعض العوامل الطبيعية وخاصة سرعة تيار المياه فى القناة عطلت انشاء بعض الكبارى أمام الجيش الثالث حتى أقيم خلال ١٦ ساعة .

ولم يبرز نهار السابع من أكتوبر إلا وكان عدد كبرى العبور الثقيل قد أصبح عشرة ، بالإضافة الى عشرة كبرى أخرى للمشاة وعدد كبير من المعديات ولكن بين هذه الكبارى والمعديات أقام المهندسون بعضها من خامات هيلكية صب على أغلبها العدو هجماتته الجوية التى ضاعت سدى .

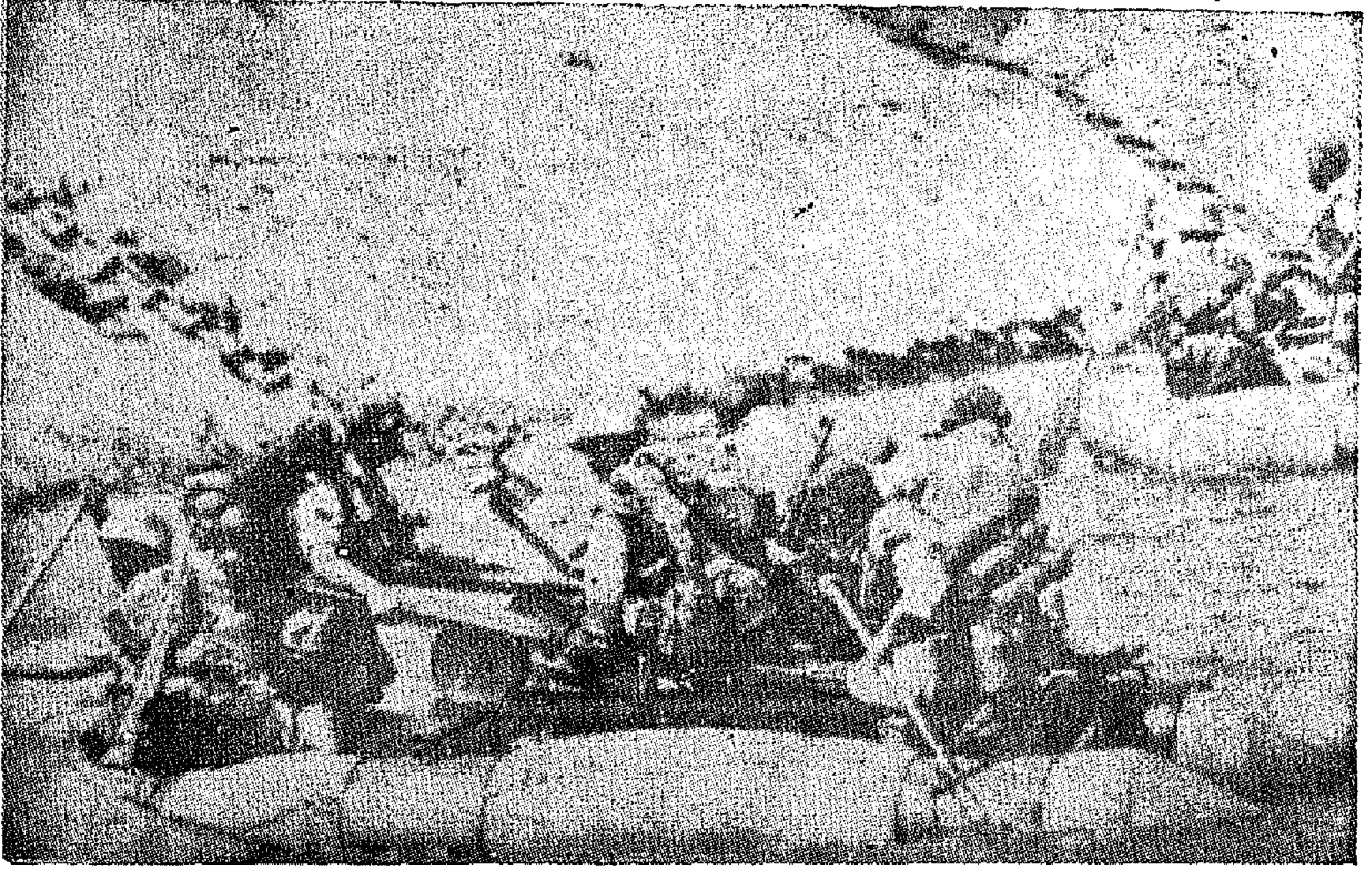
وكان أفراد المهندسين يقيون الأجزاء التى تصاب من القصف المعادى خلال زمن قياسى ليستمر تدفق المعدات .

وخلال ساعات كانت رؤوس الكبارى على الضفة الشرقية قد عززت ، وأمكن رص الألغام على أجنابها . وأصبح للمهندسين واجب آخر جديد ، هو التفرغ للتجهيز الهندسى للمعدات بعمل حفر لها ، وإقامة السواتر ورص الألغام .

وأخذت القوات من كافة الأسلحة تتدفق فوق هذه المعابر التى ركز العدو هجماته عليها ، ولكن مقاتلات القوات الجوية والصواريخ تكفلت بصد هجماته الجوية بينما تكلفت المدرعات وقوات الصاعقة بصد هجماته الأرضية .

وخلال الأربع والعشرين ساعة الأولى من بدء القتال كان ثمانون ألف جندي مصرى يقفون فوق رمال سيناء ، ومع فجر السابع من أكتوبر كانوا قد طووا ثمانية كيلو مترات من رمالها الحبيبة . وخلال هجماتهم كانت خطوط بارليف الثلاثة التى يفصل بين كل منها ٣ - ٤ كيلومترات ، قد تفوز أغلبها وأصبحت بقاياها لا تمثل إلا جيوبا أضعف من أن تقاوم .

وأصبحت قواتنا فى وقفة تعبوية لتطوير الهجوم شرقا .



كانت قوة ايمان المقاتل المصرى ، وكفاءته القتالية ، فى معارك اكتوبر
الساحقة ، ثمرة التدريب الشاق ، والاصرار على تحقيق النصر .

الفصل الثالث

ضربات الطيران

تحقيق السيطرة الجوية

ان خصائص السرعة التي تتميز بها عمليات أية قوات جوية فى العالم والقدرة التدميرية التي تتسلح بها الطائرات ، تجعل لهذه القوات دورها البارز فى ميدان القتال . وهناك فارق كبير بين جيش برى أو أسطول بحرى يعمل تحت غطاء جوى يحمى رأسه ويظل سماءه ، وبين افتقاد مثل هذا الغطاء . ومن ثم فان احراز السيطرة الجوية ، مبدأ من مبادئ تحقيق النصر ، بالاضافة الى كونه باعثا معنويا يشيع الثقة فى نفوس المقاتلين فى الميدان ، ويحقق الأمن لجموع المواطنين المدنيين البعيدين عن حلبة الصراع . والحق يقال ، أن تحقيق السيطرة الجوية كان السمة الرئيسية التي تفرق بين موقفينا فى معارك الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ومعارك الساعات الست عام ١٩٧٣ ، ففي الأولى فقدنا هذه السيطرة فى ساعات ، وطائراتنا على الأرض ، وفى الثانية أحرزناها ، رغم أن العدو يمتلك قوة جوية لا يستهان بها ، ولديه أنواع من الطائرات هي أحدث ما وصلت اليه ترسانات الأسلحة فى العالم .

ورغم أن عمليات العاشر من رمضان قد دامت ما يقرب من سبعة عشر يوما ، فان الكثيرين يحلو لهم أن ينعتوها بأنها حرب الساعات الست . لأن الساعات الأولى فى المعركة كانت حاسمة ، الى الدرجة التي أفقدت العدو توازنه خلال هذه الفترة المحدودة ، وانعكس ذلك على كل عملياته التالية .

ولا شك أن دور القوات الجوية ، خلال هذه الساعات ، كان حاسما ، الى الحد الذي حقق ترنح العدو ، وتخطيه .

وتوالى عمليات القوات الجوية ، مع ايقاعات سيمفونية النصر ، التي عرفتتها قواتنا المسلحة مجتمعة ، حتى ايقاف اطلاق النار .

ومن أبلغ ما قيل فى وصف هذا الدور قول الفريق محمد عبد الغنى الجهمسى رئيس أركان القوات المسلحة ، « أن القوات الجوية ، هي التي بدأت الحرب ، وهي التي أنهتها » .

وهذا القول يعكس فى طياته الاعتماد على خصائص الطيران ، الذي جعل أول نيران عملية (الشرارة) ، وأول عمل لتحقيق المفاجأة والأخذ بزمام المبادأة ، هي الضربة المركزة التي جعلت من ساعة الصفر جحيما يستعر فوق كل أهداف سيناء فى لحظة واحدة .

نظرة الى الوراء

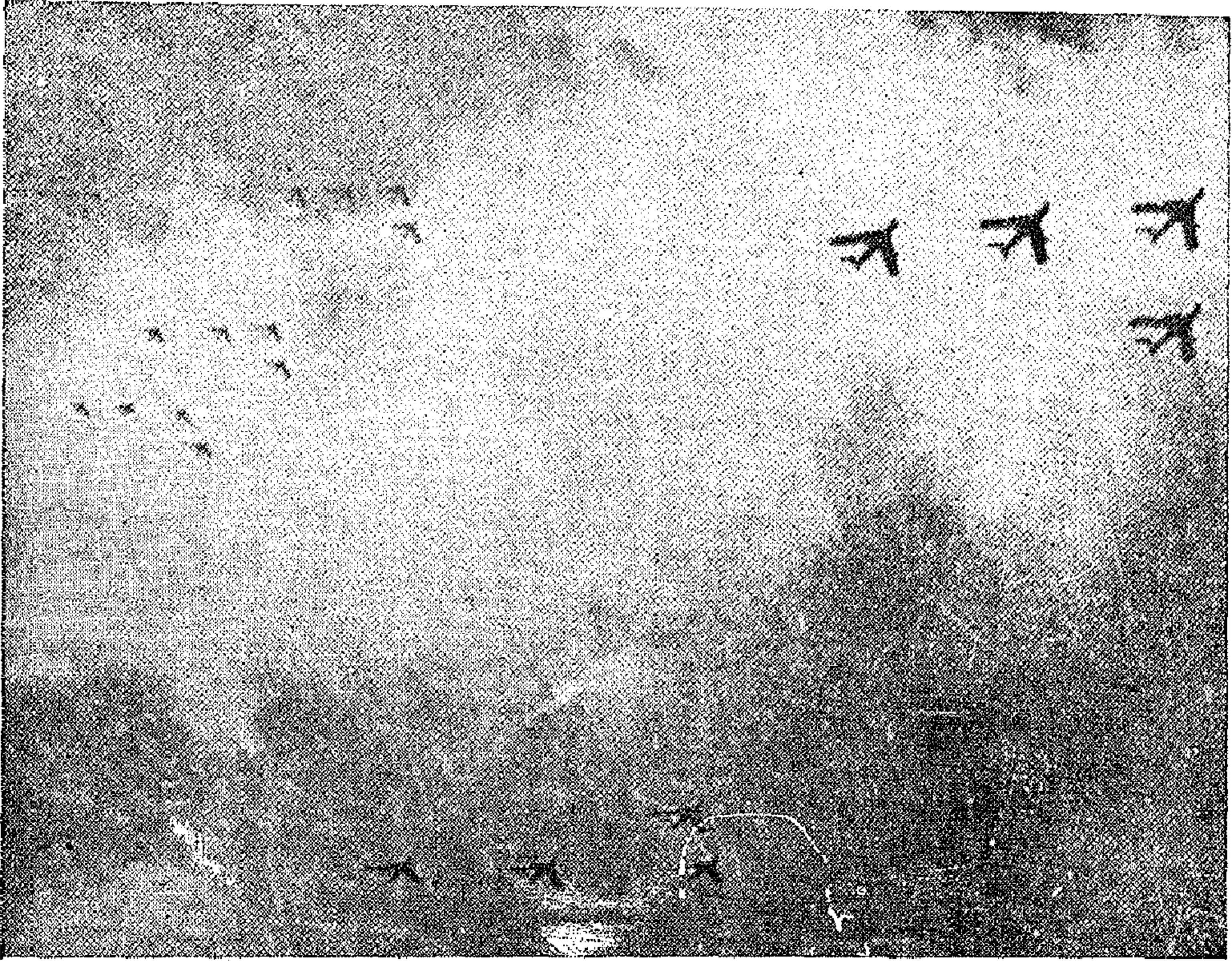
ان الدروس المستفادة من عمليات السادس من أكتوبر لا حصر لها ، وهى محل دراسة من قبل أجيال العسكريين المعاصرة ، والمقبلة . ولا شك أن هذه العمليات ، قد غيرت كثيرا من المفاهيم العسكرية ، ووضعت علماء الاستراتيجية والتكتيك أمام حقائق جديدة بالبحث والتمحيص . ولقد عبر الرئيس أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان التاريخ العسكرى سـيـتوقـف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية السادس من أكتوبر ١٩٧٣ » .

والحقيقة أن الدروس المستفادة من الحرب ، لا يمكن أن نستقيها من المعارك التى دارت وحدها ، ولا أن نستوحيها من ملاحم البطولة التى نضرب بها الأمثال وحسب ، ولكن لابد أن ننظر الى جذورها وأعماقها . لنرى كيف تم الاعداد وكيف كان التجهيز والتخطيط ، وكيف توالى التدريب ، وكيف تم التنسيق فى اعداد الخطة . ويأتى هذا سعيًا وراء الحكمة التى تقول : النصر لا يكتسب خلال العمليات ولكن قبلها . والحقيقة التى لا تغرب عن بال ، أن النصر لا يأتى عفوا ولا يسوقه الله للكسالى والمتواكلين ، ولكن يؤيد به المجتهدين مصداقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ولولا أننا قد غيرنا من أمرنا على ضوء الدروس البليغة التى استفدناها من نكسة عام ١٩٦٧ ، وسعينا الى تلافى كل نواحى القصور ، ما كانت الصورة قد تغيرت عام ١٩٧٣ .

لذلك لابد لنا من نظرة الى الخلف ، لنلقى الضوء على ما كان من قبل حتى تتضح لنا صورة ما تم ، على غرار ما يعمد اليه رجال السينما برجعتهم الى الوراء (زووم باك) ترسم مبلغ الجهد ، وتوضح حجم العمل ، وأبعاد التخطيط .

✽ لقد ضاعفت القوات الجوية من رجالها على مختلف تخصصاتهم ، بين طيار وملاح ومهندس وإدارى وفنى . أن الطائرة الواحدة ، قد يستقلها طيار واحد ، ولكن تتضافر جهود لفيف من المتخصصين بين ٢٠ ، ٢٤ على الأرض لتحقيق أمن وسلامة مهمتها . ومن ثم فإن تأهيل هذه الأعداد الكبيرة من الرجال ، استلزم فتح مئات من فصول التعليم ، فيها احترام العلم ، ومئات من المعامل فيها احترمت التجربة . وذلك لترجم فى النهاية الى مئات من ساعات طيران ، يطيرها كل طيار خاض المعركة .



الى العلى فى سبيل المجد

استمرت القوات الجوية المصرية - بعد قيامها بالضربة الجوية المفاجئة ومنذ صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، وعلى امتداد ٢٢ يوما - فى قتال نشط وتآدية الحماية الجوية بكفاءة قتالية بالغة ، شملت ٥٠ معركة جوية ، منها ٨ معارك تاريخية ، اسقطت فيها ما يقرب من ٩٠ طائرة للعدو ، فوق شمال الدلتا وبورسعيد وقايد والسويس . هذا بجانب قصف احتياطيات العدو ، بلا هوادة والحققت به افدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد ، وتدمير الأهداف المعادية ، فى نحو ١٠٠٠ طلعة جوية .

* وفى الوقت الذى كان فيه أعداد الرجال يمضى على قدم وساق ، كانت الطائرات تتضاعف وتزايد عددا ، ويتزايد معها أعداد المعدات الفنية المكملة لحلقات التعامل معها .

* وكان لابد أن يزيد عدد القواعد الجوية والمطارات ، فوق رقعة الجمهورية ، لتستطيع الطائرات أن تنشر حمايتها على ربوع الدلتا والصعيد ، وأن تطاول قوات العدو من أماكن متفرقة . ولتنتشر الأعداد الكبيرة من الطائرات بلا تكديس فوق مواقع عمل عديدة .

* وقد صاحب جهد انشاء العديد من المطارات الجديدة ، هنا وهناك جهد التجهيز الهندسى ، الذى مهما حاولنا وصفه فلن نستطيع رسم أبعاد ما بذل فيه من فكر وعرق وتعب . وأقل ما يوصف به أنه أهرامات العصر الحديث أقيمت فى كل مطار ، متمثلة فى (دشمة) لكل طائرة ، وملجأ لكل معدة فنية ، وموقع محصن لكل مركز عمليات أو مجموعة قيادة ، وخندق لكل جندي أو عامل .

ولابد ألا نغفل أن هذا التجهيز لم يكن تصميمًا هندسيًا نقل عن الدول الغربية بحذافيره بقدر ما كان فكرا مصريًا أتى ابتكارا وتوالى تطوره على مر الزمن ، بل ليس من قبيل المغالاة القول بأن حلف الأطلنطى ، قد غير من تصميمات دشمة على ضوء ما أنجزه المهندسون المصريون فى دشمةهم .

* كانت الأهداف الرئيسية للتدريب ، هى تحقيق الواجبات التى ستلزم فى العمليات ، ومن ثم أعطى التدريب التعبوى عناية قصوى على هيئة مشروعات مشتركة ، لتحقيق الدور الذى تلعبه القوات الجوية فى معاونة الجيوش والتشكيلات البحرية بالإضافة الى تنسيق جهود الدفاع الجوى بين المقاتلات والصواريخ .

* أوليت عناية خاصة لتدريب الطيارين على أنواع خاصة من الطيران ، كالطيران المنخفض للافلات من شبكات الرادار ، وللباغثة بطاريات الصواريخ المعادية . وتركز التدريب على عمليات مهاجمة الأهداف الأرضية ، بنيران المدافع والصواريخ أثناء الطيران المنخفض . وقد اقتضى ذلك اقامة عديد من ميادين الرمي المزودة بأهداف هيكلية كالمعادية تماما ، يوجه اليها الطيارون مدافعهم وصواريخهم ، ويقذفونها بقنابلهم .

* درب طيارو كثير من أسراب المقاتلات على التخلي عن واجبهم التقليدى فى الحماية ، والاعتراض ودوريات الحراسة ، لكى يستطيعوا القيام بدور المقاتلات القاذفة اذا اقتضى الأمر ذلك .

* تم التركيز على تدريب الطيارين - وخاصة المكلفين بمناوبة حالة الاستعداد الأولى - على الاقلاع فى أزمان قياسية قصيرة ، هبطت الى أن بلغت دقيقتين •

* كان لزاما تنسيق تدريب أسراب المقاتلات على عمليات الاعتراض والتوجيه • وفى هذا المجال تم اعداد جيل من الطيارين والملاحين والمراقبين الجويين ذوى الخبرة ، كانوا قادرين على توجيه مقاتلاتنا لاعتراض الطائرات المعادية تحت مختلف الظروف بما فيها ظروف التداخل الالكترونى المعادى •

كما أوليت عناية كبرى لتدريب التخصصات الفنية المختلفة العاملة فى حقل الاتصالات والاصلاح الهندسى للطائرات والملاحة الجوية والاستطلاع والتصوير الجوى وتفسير الصور الجوية وتشغيل المعدات الفنية الخاصة التى تكمل عمل الطائرات كخزانات الوقود ، والمقومات الكهربائية ، وضغطات الأوكسجين ، وأعمال الورش والتسليح •

* اقتضت ضرورات تدريب كل طيار على العمل من مختلف المطارات ، إعادة تمرکز الأسراب ، فى أدوار متلاحقة بين مطارات الجنوب والشمال • ومع هذه الحركة الدائمة فى تغيير مكان العمل ، اكتسب الطيارون والملاحون والمهندسون والفنيون خبرة العمل فوق مختلف الأراضي ، وفى مختلف الأجواء •

* أضيف الى ذلك سبل منهمر من أساليب الشحن المعنوى للأفراد فى كل المواقع ، بين الحديث بالكلمة والصورة وعبر الكتاب والكتيب ومن خلال الحديث والخطة والاجتماع • للاطلاع على حقائق الموقف واستجلاء كل مستغلق ، لتعميق دراسة القضايا المختلفة •

وكان من أثر ذلك وضوح هذه الشحنة فى مظاهر الايمان التى تحلى بها طيارونا وضباطنا خلال المعارك • فقد كان أغلبهم يتيمنون بلفظ. « لا اله الا الله » على صدورهم أو فوق خوذاتهم • وعمد كثير منهم الى قص شعورهم قبل المعركة تشبها بصحابة الرسول الكريم فى غزوة بدر • ولم يكن نداء أى منهم خلال المعارك الجوية الا « الله أكبر » ترديدا لنداء اخوانهم على الأرض ، عند اقتحام خط بارليف وترديدا لنشيد ارتضته جموع شعبنا معبرا عما فى قلوبهم •

التطوير كان غاية

واستكمالا لجهود الاعداد ، لابد من الاشارة الى أن أساليب جديدة ، أخذ بها ، ليس لها نظير في قوات جوية أخرى ، أوجدتها الممارسة فكانت وليدة شرعية للتجربة والحاجة .

وحسبنا في نطاق ما تستلزمه السرية ، والحفاظ على الأسرار الاشارة الى :

* أنشئ في أغلب المطارات أكثر من ممر واحد ، بعضها متواز ، ليسهل الاقلاع والهبوط في مختلف الظروف الجوية لعدد كبير من الطائرات ، وليكون كل منها بديلا للآخر .

* موهت المشم بذلك ، باستغلال البيئة المحيطة بها ، كما موهت بعض الممرات بما يجعلها صعبة الرؤية من الجو ، على من لا يعرف اتجاهها ومعالم نقط الاقتراب اليها .

* ابتكر استخدام البالونات كوسيلة دفاع سلبية عن المطارات ضد الطيران المنخفض . رغم أن فكرة البالونات قد توارت مع النسيان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

* استحدث استخدام طائرات اعادة الاذاعة ، لنقل المعلومات الى الطائرات أثناء الطيران المنخفض ، حيث يصعب بلوغ الموجات ذات الترددات العالية جدا الا للطائرات ذات الارتفاع العالي .

* اتخذت تدابير فنية تحقق الاستقلال الذاتي لكل مجموعة طائرات في اعادة الملء للتزود بالوقود والتحميل بالقنابل والصواريخ في زمن بلغ قصره أن الطلعات كانت تتوالى وكأنها بلا توقف .

* توصل مهندسو المطارات بالتنسيق مع أجهزة القطاع العام الى تركيب خلطة ساخنة يستطيعون بها سد الحفر التي تحدثها القنابل في الممرات خلال ساعات معدودة بعد أن كان ذلك يقتضى وقتا طويلا .

في البدء . . كانت الضربة المركزة

لو تتبعنا أعمال القوات الجوية خلال المعارك فيمكن ايجازها في الأعمال التالية التي أنهت الى غير رجعة أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلي والتي أثبتت أن التفوق التكنولوجي ، ليس هو وحده عنصر اكتساب النصر ، ولكن يجب أن تؤازره عزائم الرجال . كما ثبت أن خطوات الاعداد والتجهيز في السنوات الست قبل المعركة كانت خطة هادفة من أعمال القيادة العليا ، لها أعماقها ولها خطواتها .

✱ أتت الضربة الجوية المركزة كأول عمل لتنفيذ الخطة « بدر » بواسطة أكثر من ٢٠٠ طائرة ، عبرت كلها خطوط الكشف الرادارى فى ساعة الصفر متجهة الى أهداف سيناء المختلفة . وبعد دقائق كانت مراكز القيادات الاسرائيلية قد أصبحت فى خبر كان ، وتعطلت بطاريات الهوك وعطلت ممرات المطارات والقواعد الجوية ، وتقوضت مراكز الشوشرة ، ومراكز الارسال ، والورش الميدانية ، ومعسكرات تجمع الأفراد .

وهكذا سكت مركز قيادة « أم مرجم » ، وتعطل مركز شوشرة « أم خشيب » وانسحبت الفلول الناجية الى العريش ، وتعطل مطار « المليز » وظل معطلا مدة ثلاثة أيام ، وكمثله أصبح مطار تمادة .

وأنت الضربة الجوية ، بنتائج الاحباط المرجوة منها ، بل بأكثرها مما كان يتوقعه أحد ، وحقت مع نجاح اقتحام خط بارليف افقاد العدو توازنه . ومن ثم قررت القيادة عدم تكرار هذه الضربة ، بهذا العدد الهائل من الطائرات كما كان موضوعا فى الخطة .

✱ بعد تطوير الهجوم عبر قناة السويس ، قامت القوات الجوية بالتركيز على حماية رؤوس الكبارى والمعابر ، بالإضافة الى تشكيل الغطاء الجوى فوق القوات التى عبرت الى الضفة الشرقية .

✱ شاركت المقاتلات القاذفة فى دك حصون خط بارليف التى لم تستسلم لقواتنا العابرة ، مثل نقطة شرق بورفؤاد الحصينة ، وكذلك أهداف العدو التى أقامها بعد الضربة المركزة ووحداته التى دفع بها من الخلف للأمام وخاصة القوات المدرعة .

✱ شكلت المقاتلات مع صواريخ الدفاع الجوى جدار الحماية حول المطارات والمنشآت الحيوية ، والمدن لصد الهجوم عليها .

✱ وضعت نسبة من مجهود المقاتلات فى معاونة قيادات الجيوش البرية والقيادات البحرية ، تطلب مباشرة بواسطة جماعات معاونة جوية ألحقت على هذه القيادات ، وكانت هذه الجماعات على اتصال دائم بمطارات الجبهة لتنسيق التعاون المطلوب .

✱ قامت القاذفات البعيدة المدى بذلك الأهداف الاستراتيجية فى عمق سيناء شمالا وجنوبا كمطارات العريش وشرم الشيخ .

✱ نجحت تشكيلات الهليكوبتر فى اسقاط رجال الصاعقة وعمليات الابرار فى عمق سيناء ، تحت جناح الظلام ، كما واصلت عمليات الامداد لهذه الوحدات خلال مراحل المعركة .

- * استتبسل الطيارون من كافة التشكيلات فى التعامل مع المدرعات والصواريخ المعادية التى تسربت الى الشجرة ، وأصلتها نارا حدت من توغلها وعددت من خسائرها .
- * حقق طيارو الهليكوبتر طلعات ناجحة لامداد الجيش الثالث بالطعام والماء والدواء .
- * وقفت كل الأجهزة الفنية والادارية من كافة التخصصات فى خدمة المعركة على قدم وساق ، ليل نهار .

لغة الأرقام الهيكلية

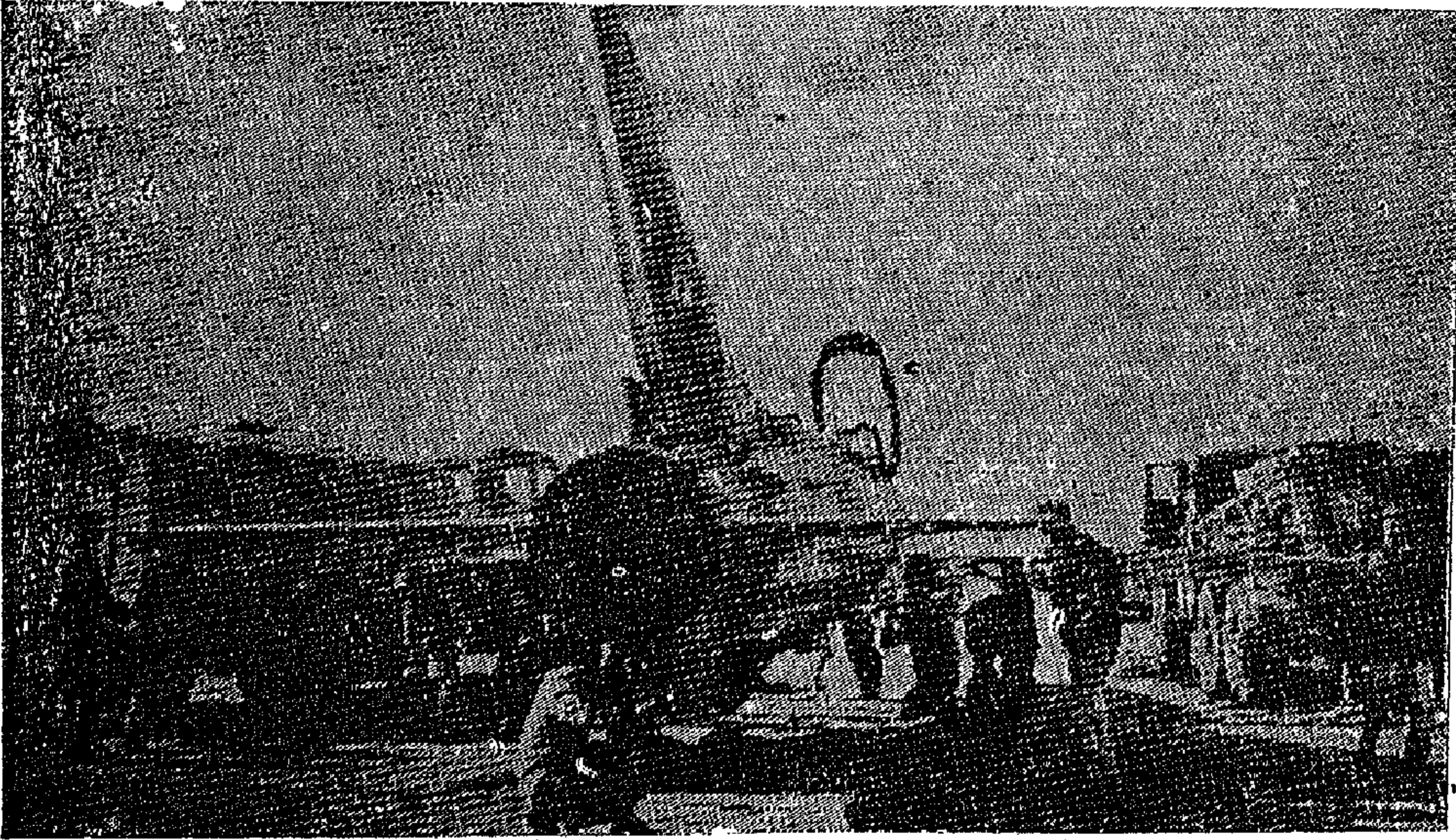
- من تقارير القتال ، ومن خلال تقريرى السيد وزير الحربية وقائد القوات الجوية أمام مجلس الشعب من تصريحات المسئولين تكشف للعالم مقاييس جديدة فى حروب القوات الجوية . ووقف العالم أمام ملحة من حماس الرجال هزت كثيرا من معايير الحروب الجوية . وعلى سبيل المثال لا الحصر :
- * حقق كثير من الطيارين بين (٦ ، ٧) طلعات فى اليوم ضاربين الرقم القياسى المعروف فى العالم وهو (٣ أو ٤) طلعة .
- * دامت بعض المعارك الجوية وخاصة تلك التى تركزت حول بورسعيد ما يقرب من ٥٠ دقيقة . رغم أن الزمن التقليدى لأى اشتباك لا يزيد عن (٧ - ١٠) دقائق . وكان السبب الرئيسى فى ذلك هو تعدد الطائرات المعادية بكثافة بلغت أحيانا (٦٠ - ٧٠) طائرة فى آونة واحدة فضلا عن توفر الوقود لدى طائرتنا لأن المعارك كانت تتم فوق مناطق غير بعيدة عن مطاراتها .
- * لم يتعطل مطار واحد أو قاعدة جوية واحدة خلال المعركة أكثر من (٦ - ٨) ساعات ، رغم تعدد مرات قصفه بالقنابل لمبادرة مهندسى المطارات الى سرعة اصلاح الممرات .
- * انخفضت المدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة الواحدة بالوقود والذخيرة الى ٦ دقائق ، وكان الرقم القياسى الذى تشدقت به اسرائيل عام ١٩٦٧ هو (٨) دقائق .
- * كان تدمير الدبابة الواحدة فى جداول التدمير النظرية يستلزم من (٢ ، ٣) هجمة/ طائرة ، غير أن نسورنا حققوا امكان تدمير أكثر من دبابة واحدة فى هجمة واحدة .
- * حققت التشكيلات أرقاما خرافية فى عدد الطلعات خلال أيام قليلة ، فأحد الألوية الجوية قد أنجزت عدة آلاف من الطلعات خلال أيام المعركة التى لم تتعد سبعة عشر يوما .

ملحمة البطولات

أعادت العمليات الجوية الناجحة ، الثقة الى نفوس نسورنا ، أمام
وهم صقور اسرائيل . ومنذ اللحظات الأولى للمعركة كشف رجالنا عن
أصالة فى المعدن ، نسجت ملحمة من البطولات النادرة فى الجو .

وفى كل تشكيل جوى ، كانت التضحية بالنفس غاية ، والشهادة
قربى الى الله ، وفداء للوطن . ومن أجل ذلك توالى صور للبطولة يجل
عن الحصر عدها ، ويجل عن الوصف شرحها . وفداء لمصر وللعروبة مضى
رجال فى الجو وعلى الأرض ، للقاء ربهم شهداء كأنبل ما ينهى الرجال
الحياة فى سبيل أداء الواجب . وصدق الله العظيم فى قرآنه الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى
نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .



حقق المهندسون والفنيون فى القواعد الجوية ، أعلى درجات الكفاءة ،
فحافظوا على نسبة صلاحية الطائرات ، ونجحوا فى إعادة ملء
الطائرات بالوقود ، وتزويدها بالقنابل والدخيرة ، فى وقت
قياسى .

* أثبت طيارونا ما قاله المشير أحمد اسماعيل « السلاح بالرجل ...
وليس الرجل بالسلاح » ، فقد أفلحت طائرة (بيچ ١٧) فى
اسقاط طائرة فانتوم .

وذهل الكثيرون عندما علموا أن طائرة هليكوبتر أسقطت طائرة
فانتوم معادية . ولم يكن ذلك من قبيل المغالاة ، بل كان حقيقة
تعكس صورة من صور الجسارة .

* عمد كثيرون من طيارينا الى تكرار عدد الهجمات فوق الأهداف
الأرضية التى تعاملوا معها بنيران طائراتهم ، رغم أن عرف القتال
الجوى يستلزم هجمة واحدة . لكن كان ذلك للجهاز على الهدف
كله .

* كثير من الطيارين أصيبت طائراتهم أثناء المعارك الجوية ،
واضطروا للقفز منها بالمظلات ، لكنهم واصلوا الطيران فى نفس
اليوم بلا عرض على الأطباء ، واكتفوا بوضع رباط ضاغط على
ظهورهم .

* فى معركة جوية قوامها (٨٠) طائرة معادية تقريبا اسقط طيار
مصرى واحد خمس طائرات فانتوم وهو يهتف بالاسللى «الله أكبر» .

* مهندس مصرى يعمل على تطهير ممر جوى من القنابل التى سقطت
عليه ، فيلقى ربه ، فيخلفه التالى له فى الرتبة فيلقى نفس المصير ،
ويتوالى الأمر حتى يقود الوحدة ملازم أكمل تطهير أجناد الممر من
(٧٥) قنبلة وأصبح المطار صالحا مرة أخرى .

* جندى سائق يرى قنبلة اهتزازية بجوار الممر ، ويعرف أنها ستنفجر
إذا اقترب منها أحد لتتناثر منها كرات البلى لتصيب الأفراد ،
فيتحرك بعربته ليصبح فوقها فيمتص جسده أغلب هذه الكرات .

* مساعد ميكانيكى يلتقط قنبلة معادية بيديه وهى تندرج فوق
منزلق يؤدى الى دشمة طائرة ويجرى ليلقى بها فى فضاء بعيد عن
الدشمة ، وما يكاد يتركها حتى تنفجر خلفه .

* ولعله ليس سرا القول بأن القوات الجوية اضطرت أن تدخل المعركة
بعد حدوث ثغرة الدفروسوار بطائرات التدريب ، وبواسطة الطيارين
مدرسى الكلية الجوية .

انها طائرات بطيئة بالنسبة لطائرات القتال ، وتجهيزها بالأسلحة
ليس على مستوى المقاتلات أو المقاتلات القاذفة . ولكن الحقيقة أن ادخال
هذه الطائرات فى المعارك الجوية لقصف الأهداف المعادية فى الشجرة ، لم
يكن بسبب قلة فى عدد الطائرات ، ولكن بسبب أجل وأهم .



قدمت أسراب الهليكوبتر المصرية ، المعونة الكاملة للقوات الخاصة ،
طوال مدة حرب أكتوبر



احدى القاذفات المصرية (ميغ ١٧) أثناء قصفها طابورا مدرعا
اسرائيليا من أقصى ارتفاع منخفض
(منعت الرقابة العسكرية الاسرائيلية نشر هذه الصورة)

ولانهاء روح القلق ، التى ألت بأغلب مدرسى الكلية الجوية من الضباط الطيارين ، أعرب أغلبهم عن رغبتهم فى الانضمام لأسراب القتال ، وإبائهم الوقوف من المعركة وقفة المتفرج .

وساعة اتخذ قرار هجوم هذه التشكيلات ، فوجىء العدو بأعداد غزيرة من هذه الطائرات ذات السرعات المحدودة ، ولعل أجهزة الإنذار والاستكشاف لم تكن قد ألفت وجودها فى المجال الجوى . غير أن النتائج الباهرة التى أحرزوها يمكن أن تكون مضرب المثل . وعلى قمتها نجاح أحد هؤلاء المدرسين فى إصابة المعبر الرئيسى للتسلل ، وقصفه بالقنابل ، ثم استشهد .

ان هذه الملحمة من البطولات التى لا يتسع المقام لحصرها هى التى حدثت بالسيد المشير وزير الحربية أمام ممثلى مجلس الشعب الى الكشف عن هذه البطولات بقوله :

« قامت القوات الجوية ، بقيادة اللواء محمد حسنى مبارك ، بأداء مهامها كأروع وأقوى ما يمكن الأداء . وأنى لا أنسى ما قدده طيارو مصر من تضحيات وجهد ، حتى بلغ عدد الطلعات اليومية ، لبعض الطيارين ، سبع طلعات فى اليوم الواحد ، محطمين بذلك الرقم القياسى الذى وصل اليه أكفأ وأقوى الطيارين فى جيوش العالم .

لقد كانوا - بحق - النسر الذين حموا أجواءنا ، وقصفوا مواقع العدو فى كل مكان فى جبهة القتال ، وفى الأعماق البعيدة . . فقصوا على أسطورة الطيران الاسرائيلى ، الذى طالما تغنت به اسرائيل » .

دروس لا تنسى

ان ملحمة البطولات التى نسجها الطيارون والفنيون المصريون فى قيادة الطائرات ، وتشغيلها ، لم تكن هى مفاجأة المعركة الجوية من جانب مصر ، وكل الأرقام القياسية التى تمسك بها المصريون والتي اشرنا اليها سابقا لم تأت وليدة ساعة ، بل كانت حصيلة تدريب شاق ، وثمره شحنة معنوية ضخمة ، جعلت الطيارين جسورين جسارة الأسود ، وجعلت الأطقم الأرضية من مهندسين وفنيين وإداريين فى مثل دقة العلماء . وعلى أيدي هؤلاء تبدلت صورة المعارك الجوية التقليدية ، وأصبح العالم أمام مفاهيم جديدة فى تكنولوجيا ادارة الحروب الجوية ، تأكد منها :

* نجاح عنصر الحشد فى الطيران ، باستخدام أعداد غزيرة من الطائرات فى آن واحد لتوجيه ضربة جوية مركزة الى أهداف العدو .
وأن كان ذلك قد تم من قبل القوات الجوية بأكثر من ٢٠٠



طيارو الهليكوبتر أقاموا جسور
الأبرار والاسقاط والامداد

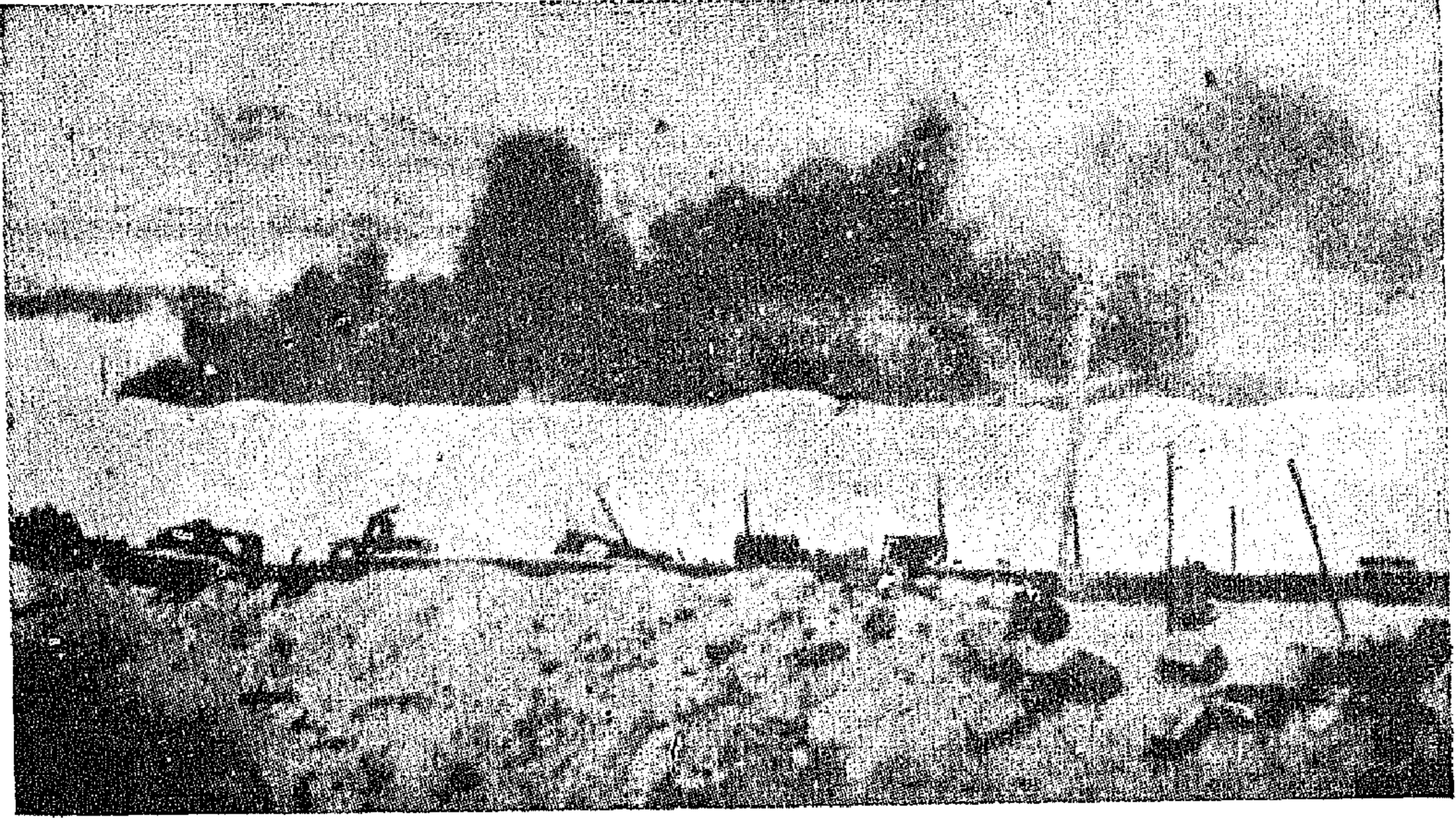
طائرة فان كل طائرة من هذه
الطائرات قد أصابت هدفا
معيّنا . وكان من نتيجة ذلك
أن كثيرا من المطارات الاسرائيلية
- كالمليز ورأس نصراني وتمادا
والعريش - أخرجت من المعركة
منذ لحظاتها الأولى . وبذلك
اكتسبنا السيطرة الجوية وحالة
الشلل التي أصابت القيادة
الاسرائيلية في الساعات الأولى
للمعركة كان مرجعها اصابة
مراكز قيادته بواسطة الطائرات
وخاصة تلك الأهداف التي كانت
دون متناول المدفعية لكونها في
العمق .

★ ثبتت أهمية الروح
المعنوية في رفع الكفاءة القتالية
سواء بين الطيارين أو غيرهم
من الاطقم الأرضية وأكد ارتفاع
هذه الروح أن الاطقم الأرضية
التي تدير حركة العمل في
تجهيز الطائرات واصلاحها
واعادة تزويدها بالوقود
والذخيرة ، تقوم بواجب

خطير . وان عملها يجب أن يكون منسقا الى الحد الذي
يضمن قيام الطلعات في مواعيدها المقررة وبأسرع ما يمكن . ومن ثم
وجدنا أن دور المهندسين والفنيين الميكانيكيين والسائقين وعمال الاصلاح
المدنيين ، ورجال الادارة برز في استبسال وبايقاع منظم خدم جميع
أهداف تحقيق السيطرة الجوية .

وسام شرف وفخار

ان القوات الجوية وقد تحررت من عقدة الذنب التي الصقت بها
ظلما في نكسة عام ١٩٦٧ ، تحس ازاء ما قدمته في معارك رمضان بكثير
من الفخر . فقد استطاع قادتها ورجالها أن يشبتوا للعالم أن التجهيز



آثار القصف الجوي على أحد الأهداف الاسرائيلية في سيناء

السليم والتخطيط الدقيق ، أهم لوازم المارك • وان أوضاع الارتجال التي سبقت نكسة ١٩٦٧ لم يكن للقوات الجوية دور فيها ، ولكن كان قدرها أن تتحمل أوزارها •

ولذلك أفصح الفريق طيار محمد حسنى مبارك فى كلمة له أمام الرئيس محمد أنور السادات عن ذلك بقوله :

« ان قيادتكم يا سيادة الرئيس هي التي جعلت الأمنية واقعا والبعيد قريبا • وقد رفعت شعار العلم والايمان وجعلت من هذا الشعار نبراسا لعملك • وبالعلم جعلت الحرب تخطيطا لا ارتجالا • وبالايمان جمعت المؤمنين تحت لوائك جيشا وشعبا فى معركة المصير ، فأكدت للعالم أجمع أن ايماننا عمل وليس تشدقا » •

ولعل أهم وسام شرف رد للقوات الجوية اعتبارها ، ثناء الرئيس « محمد أنور السادات » على بطولات القوات الجوية بقوله : -

« ان ما قمتم به وما أنجزتموه خلال معركة أكتوبر عمل من أروع ما قامت به أية قوة جوية عبر التاريخ منذ أن عرف العالم القوات الجوية وحروب القوات الجوية » •

ولقد فند الرئيس صورا فريدة ، للتخطيط الهادى الذى اتسمت به أعمال القوات الجوية والتى يعتبر كل منها وساما بمفرده ، ويحق أن تبقى على الزمن فخرا للأجيال القادمة • ومن المعروف أن ذلك كان أثناء زيارة سيادته عام ١٩٧٤ لحدى القواعد الجوية فى ذكرى يونيو • وحسبنا أن نحيط بهذه الصور :

* « كنت فى غرفة العمليات •• وكنت مندهشا •• قائد سلاح الطيران يعرض على الجيوش أن لديه احتياطيا من الطلعات •• ومستعد جاهز •• والجيوش بتقول لا •• احنا مكتفين • والعادة الى جرت فى تاريخ العالم كله ان الجيوش دائما تصرخ •• تصرخ للقوات الجوية •• وتصرخ تطلب النجدة من القوات الجوية ما بتلاقىهاش لا فى الوقت ولا بالكمية اللي هى عايزاها » •

* « فى حرب أكتوبر اتغيرت الموازين بالكامل •• قائد سلاح الطيران المصرى يعرض على قادة الجيوش ان لديه احتياطى من الطلعات •• يقولوا له متشكرين » •

* « ليوم وأنا أمر فى الجيش الثانى بيحكى لى قائد الجيش الثانى بعدما دخل وأخذ القنطرة وجاى عليه هجوم بلواء مدرع من الشمال ، يطلع ويطلب سلاح الطيران فيطلع سلاح الطيران • ويقول لى قائد الجيش الثانى ان أد كده وقفت مكانى مبهور ونسيت لآنى قعدت أتفرج • الطيارين بينزلوا على الدبابات دبابة دبابة وواخدين داحتهم خالص • بياخذ اللفة بتاعة التيرن (الدوران) مضبوطة وببيجى ويقرب ويطلع اللي وراه وهكذا وكل هجمة بعمود نار • بيحكى لى بيقول لى كنت واقف أتفرج عليه • عمود نار بيطلع بعد كل قصفة من طيار من طيارينا » •

الفصل الرابع

حرب المدرعات

موجات الدبابات المصرية

تعول الجيوش فى تسليحها التقليدى على الدبابات أو المدرعات عامة باعتبارها القلاع المتحركة التى تحمى الرجال وتطوى الأرض وتذكر التحصينات البسيطة ، وتصب النيران فى نفس الوقت من مدافعها . وصناعة المدرعات ليست فى مثل بساطة تصنيع الأسلحة الأخرى ، اذ تحتاج تدريعا خاصا لاجنابها ، ونوعية خاصة لجنازيرها . ومن عجب أن يكون أضعف ما فى الدبابة جنزيرها الذى يحتاج للتبديل بعد عمل عدة ساعات . ولقد أدرك القذائيون ورجال العصابات نقط الضعف فى الدبابات وعملوا فى شتى الدول على اصطياد الدبابات من استغلال مواطن ضعفها . ولقد سمعنا كثيرا عن القنبلة التى تستطيع أن توقف الدبابة لو أحسن دسها بين وصلات جنزيرها ، وعن قنابل مولوتوف الزجاجية التى تستطيع أن تلهب سطح الدبابة بالنيران ، فتجبر طاقمها على الخروج منها .

وفى حروب الجيوش النظامية استخدمت منذ الحرب العالمية الثانية أنواع خاصة من المدافع المضادة للدبابات التى تستطيع داناتها اختراق الدروع ، وأصبحت مدافع م/د ضمن تسليح الوحدات الصغرى حتى مستوى الجماعة المشاة .

غير أن حرب أكتوبر بدلت كثيرا من هذه المفاهيم ، وأولتها الجيوش النظامية فى الدول الكبرى نظرة اهتمام الى الحشد الكبير من الدبابات الذى اندفع ليتطاحن فوق رمال سيناء . ان مثل هذا الحشد لم يعهده العالم منذ حروب رومل فوق رمال صحراء المغرب العربى ، وفوق رمال صحراء مصر الغربية ، ومنذ حروب ستالينجراد فى روسيا فى أواخر الحرب العالمية الثانية . لقد كانت المدرعات فى الحرب العالمية الثانية تعد بالآلاف ، ولكن فى حربنا هذه أصبحت تعد بالآلاف . ولكن النظرة ليست نظرة مجردة الى تصارع أعداد غزيرة من الدبابات قدرها المعلقون بأنها أكثر من ٣٠٠٠ دبابة على كلا الجانبين ، فوق أرض صحراوية مكشوفة . والى مقارنة بين الأنواع حيث تستخدم مصر من الأنواع السوفيتية أنواعا ثقيلة مثل (ج س - ٣) ، ومتوسطة مثل (ت - ٥٤) ، (ت - ٥٥) ، (ت - ٦٢) ، (ت - ٣٤) وأنواعا برمائية مثل (ت - ٧٦) . بينما القوات الاسرائيلية تستخدم أنواعا أمريكية مثل (م - ٦٠ أ) ، (سنتوريون - ٥) ، (سنتوريون - ٧) ، و (باتون - م ٤٨ - أ ٢)

(بانون - م ٤٨ - أ ٣) ، (شيرمان م - ٤) ، (شيرمان - ٥٠)
و (سوبرشيرمان - ٥١) .

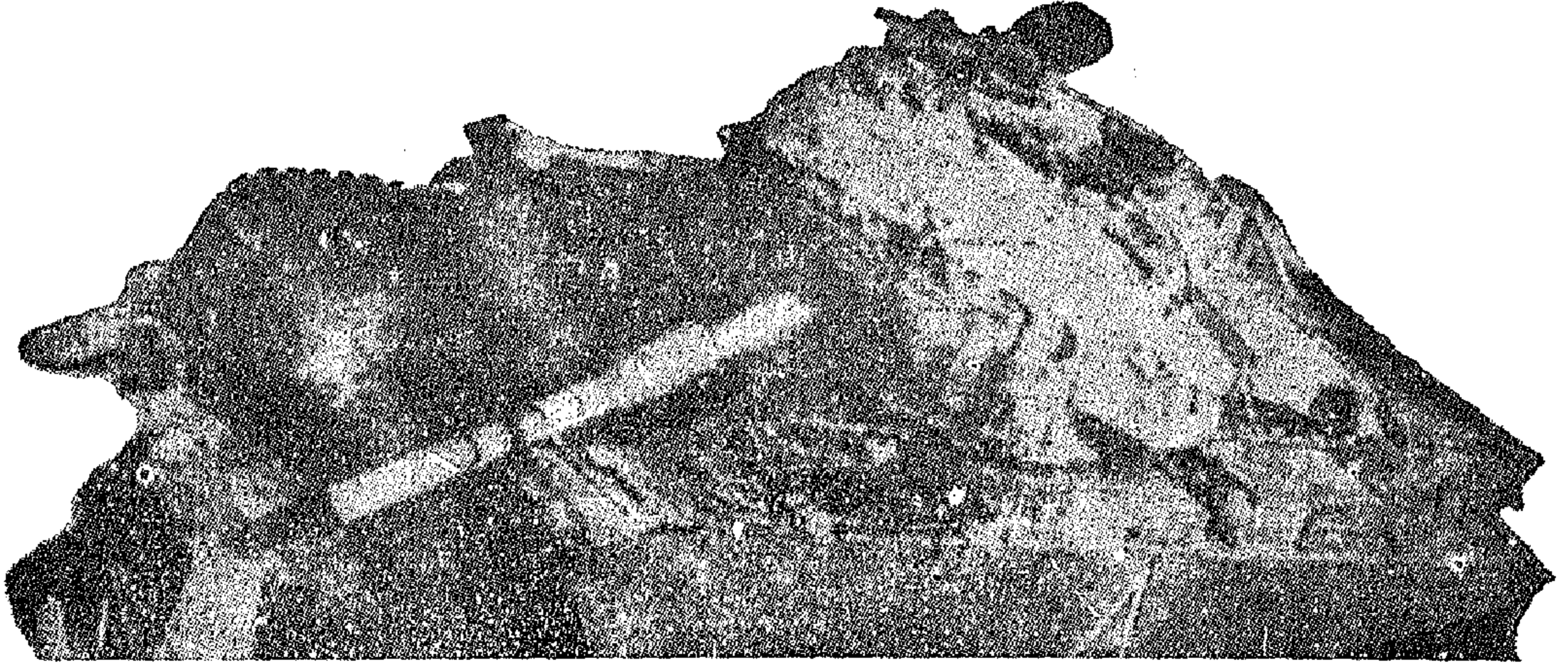
ولكن الحق يقال ان هذه النظرة الى الأعداد والنوع افتقدت أهم عناصرها وهو الرجل . لقد استلقت الانظار أن اسرائيل خسرت خلال الثلاثة أيام الأولى للمعركة ما يناهز ٦٠٠ دبابة في محاولات يائسة للتقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية . وأعجب من ذلك أن أغلب هذه الدبابات لم يفقد في حرب تصادمية بين دبابات معادية ، بل فقدت بجهد الجندي الفرد القابع في حفرة خلف صواريخ فهد البسيطة المضادة للدبابات وبمساعدة جندي الصاعقة أو المشاة الذي يجسر على تعويق حركة الدبابة بالارتقاء في حفرة أثناء عبورهم فوقها ، ودس شحنة ناسفة في جنزيرها .

لقد تمزقت الدبابات الاسرائيلية فوق الرمال كما يتمزق الورق ، وحملت الصحف بصور الدبابات وقد التوت أجزاؤها وانفصلت أبراجها وتمزقت أجنابها وكأنها كانت من الكرتون المقوى . والحقيقة أن تطور تكنولوجيا الصواريخ وضع العالم أمام حقيقة جديدة أن الصاروخ الصغير الذي لا يتجاوز مداه ٢ - ٣ كيلو متر ، يستطيع أن يمزق المدرعة ويجعلها حطاما ، ويحيل طاقمها الى كتلة من الكربون . ولقد سبق الإشارة في الفصل الثانى الى بطولات فردية تجل عن التصور ، كمثال الجندي المصرى (محمد عبد العاطى) الذي استطاع تعطيل ٢٣ دبابة بمفرده . لقد كان كل صاروخ يطلق يدمر دبابة معادية .

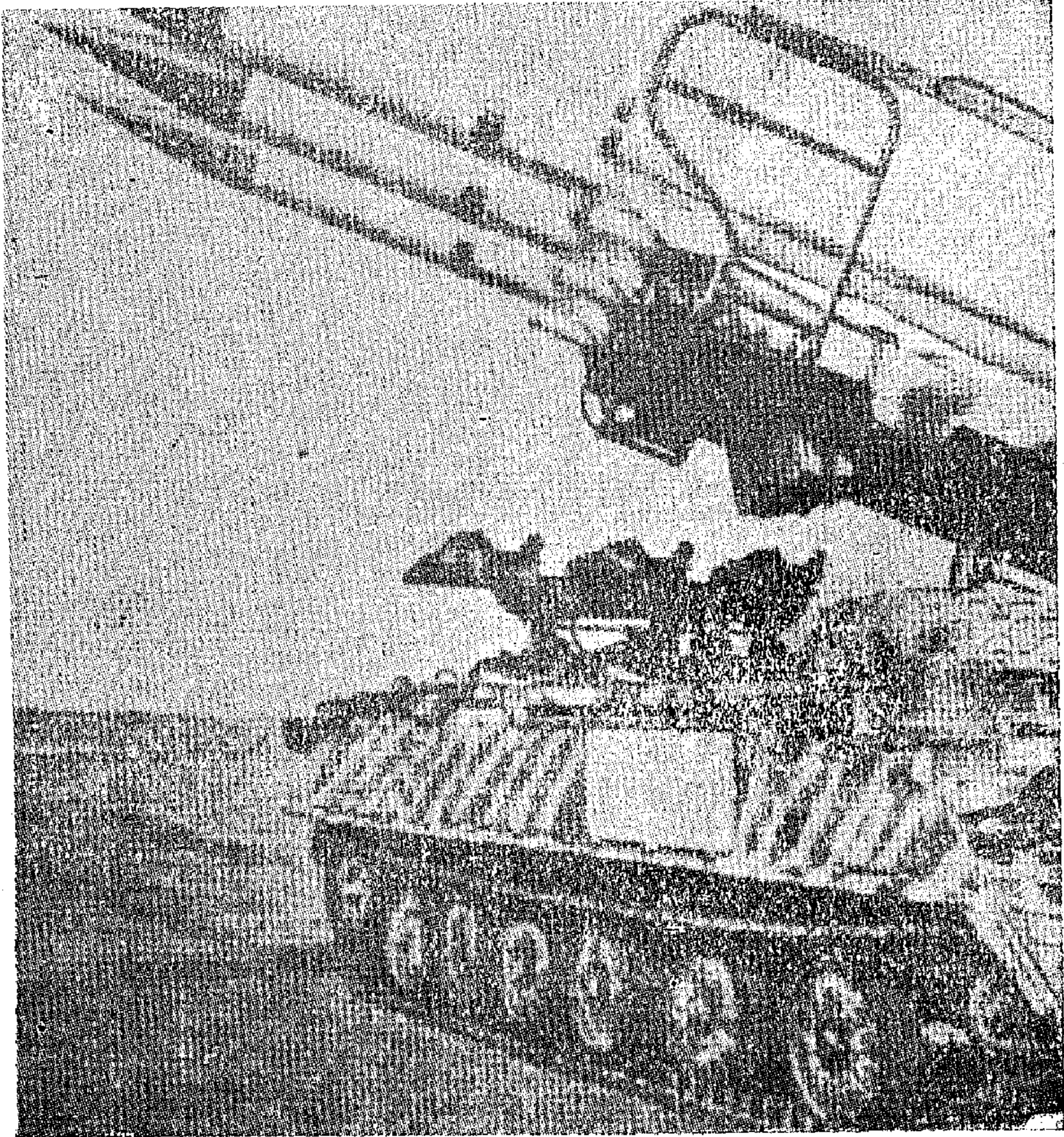
لقد كانت الدبابات الاسرائيلية تستهدف التقدم نحو رؤوس الكبارى المصرية ، وتحاول جاهدة تطويق أجنابها وكانت الخطة المصرية تمضى فى ببطء محسوب لمقاومة كل محاولات جر القوات بعيدا نحو الشرق بغرض تعزيز هذه الرؤوس ، وتحقيق الحماية بالصواريخ فوقها .

وفى اليوم التاسع من أكتوبر أمكن تدمير اللواء المدرع ١٩٠ الاسرائيلى وأسر قائده (عساف باجورى) وهو يمضى فى هذه المحاولات اليائسة ، وكان ذلك بمثابة كسر ذراع اسرائيل التى كانت تهاجم بقوة لواءين مدرعين وكتيبتى دبابات ، ففقدت نصف هذه القوة تماما .

وظلت دبابات العدو خلال الأسبوع الأول للقتال تندفع ارتالها نحو رؤوس الكبارى وتكر عائدة من حيث أتت بعد أن يصاب عدد كبير منها . لقد كان الجنود المصريون لها بالمرصاد . وكأنما كانت اسرائيل تهدف الى جر الدبابات المصرية بعيدا عن قواعد لها لتطيل خطوط امدادها ولكن هذه كانت أكثر التصاقا برؤوس الكبارى لتأمينها ، وكانت قواتنا أكثر ادراكا



وتمزقت الدبابات الاسرائيلية كما يتمزق الورق



دبابة مصرية من حاملات صواريخ « سام 6 »
تقصف طائرات العدو

بأن الهدف هو تحويل المعركة الى بعيد نحو المضائق لكي تبعد القوات عن غطاء الصواريخ .

والحقيقة ان معارك الدبابات أخذت تتطور بالتدريج ، حتى وصلت الى قمته بعد الأسبوع الأول من المعركة . ويمكن القول ان المعركة التصادمية الكبرى بالدبابات تمت يومي ١٤ ، ١٥ أكتوبر عندما حاول العدو (تليين) جانب الجيش الثاني الجنوبي ، لفتح الشجرة نحو الدفرسوار .

وهناك حقيقة يجب عدم اغفالها هي أن العدو كثف من استخدام سلاح الصواريخ المضادة للدبابات عندما أدرك فعاليتها ضده . فقد تدفقت الصواريخ الأمريكية على الجبهة مباشرة من العريش ، ونشطت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تقل هذه الصواريخ من حاملات الطائرات التي كانت تقف بحذاء العريش مباشرة الى ميدان القتال . كما نشطت طائرات الهليكوبتر كذلك في نقل أطقم اطلاق هذه الصواريخ من مكان لآخر بحذاء خط الجبهة الفاصل بين القوات .

ولقد نشطت الاشاعات بأن العدو استخدم العديد من طائرات الهليكوبتر المجهزة للعمل بصواريخ SS 11, TOW المضادة للدبابات . وبذلك دخلت حرب المدرعات في طور جديد ، اذ أصبحت مقاومتها أسهل من الجو .

ولقد دفع العدو في اتجاه الدفرسوار بسرية من الدبابات البرمائية التي عبرت البحيرات المرة تحت جناح الظلام وتسقلت الى مطار الدفرسوار المهجور ، وتوالت من بعدها وحدات مدرعات معادية أخرى أحدثت الشجرة التي تمركزت على الضفة الغربية للقناة حتى أوقف القتال .

ولقد تسقلت مدرعات معادية الى مدينة السويس وحاصرتها ، ولكن جنودنا يساندهم رجال الدفاع الشعبي ، لقنوا العدو درسا بليغا هو أن الرجل أكثر تدريعا من الدبابة ، فقد تحطمت على مشارف السويس عشرات الدبابات وأجبرتها على أن تقف خارجها .

لقد انتهت حرب الشرق الأوسط بسيادة الدبابة على أرض المعركة ، وانتقلت منها الى الصواريخ . والحقيقة الكبرى أن تكنولوجيا الصواريخ هي حرب المستقبل .



التقى عساف بجورى باليهود المصريين أثناء أسر وصل معهم في أحد معايد اليهود بالقاهرة

الفصل الخامس

جدار الصواريخ

غابة الصواريخ المصرية

منذ عام ١٩٦٧ اعتمدت اسرائيل اعتمادا كبيرا على سلاحها الجوى، وأسمته ذراعها الطويل الذى استطاعت به التسيّد على سماء المنطقة . وبهذا السلاح أخذت تعربد فى المنطقة بلا رادع ، بل أخذت تزيد من قوة هذا السلاح باستخدام أنواع متقدمة من الطائرات كالفانتوم الأمريكية التى نسجت عنها الأساطير لتخويف العرب .

وقبل عام ١٩٦٧ كان الدفاع الجوى عن مصر يعتمد على عدد محدود من المدافع المضادة للطائرات وعدد محدود من الصواريخ تخدمها شبكة عتيقة من محطات الرادار . وكانت قوات الدفاع الجوى تتبع عضويا للقوات الجوية . حتى أخذ قرار عام ١٩٦٩ بفصل هذه القوات وتكوين قوة مستقلة تتمثل فيها مناعة الدفاع . ومنذ ذلك التاريخ والعمل قائم على قدم وساق فى اقامة قواعد للصواريخ لحماية المنشآت الحيوية ، والقواعد الجوية والمطارات ، والمدن وخط الجبهة فوق القناة . ولكى تعمل الصواريخ لا بد من أن تخدمها شبكة من المحطات الرادارية لكى توجه الصواريخ الى أهدافها المعادية وتستطيع توجيه المقاتلات أيضا لاعتراض الطائرات المعادية . ذلك أن الدفاع الجوى يعتمد أساسا على الصواريخ والمقاتلات معا ، وينسق دفاعه على أساس استخدام أيهما فى الوقت الواحد . والحق يقال ان التاريخ لم يشهد حشدا فى اقامة قواعد للصواريخ ، كمثل غابة الصواريخ المصرية التى أقيمت فى منطقة القناة وعلى أنساق متفاوتة . لقد مثل هذا الحشد ، جدار حماية ظللت سماء المعركة الى عمق يقرب من ٢٠ كيلو مترا داخل سيناء . وبذلك كان اقتراب المقاتلات الاسرائيلية منه بمثابة نطح لصخرة عاتية . وكأن طيارى المقاتلات المعادية لم يكونوا يصدقون مناعة هذا الجدار ، فركزوا اغارتهم نحوه ، فأصابهم الدمار وحق عليهم قول الشاعر :

كناسطح صخرة يوما ليوهنها

فسلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولقد وقف المعلقون العسكريون أمام مناعة هذا الجدار ، بالدراسة والتحليل للنتائج الباهرة التى أحرزها وجوده . ان الصواريخ (أرض - جو) التى استخدمت بالجدار صواريخ سوفيتية من طراز « سام - ٢ » للتغطية العالية ، « سام - ٣ » للتغطية المنخفضة ، « سام - ٦ » المتحرك على سيارات أو مجنزرات للتغطية الأكثر انخفاضا ، ومثل هذه الصواريخ

تعرفها ترسانات الأسلحة ، ولكنها لم تخصص حربا أو تشترك في معركة فعلية . فمنذ الحرب العالمية الثانية لم يتقارع سلاح الصواريخ بمنزل ما حدث في حرب الشرق الأوسط .

وكتبت مجلة النيوزويك الأمريكية :

(لقد سقطت ثقة إسرائيل في تفوقها التكنولوجي على العرب ، تماما مثلها تهاوت طائراتها بفصل شبكة الصواريخ المصرية العملاقة) .

والحقيقة السافرة ان إسرائيل لم تعط سلاح الصواريخ القدر الكافي من الاهتمام ، كمثل ما أولته مصر . ولكن الواضح أن التقارب بين انساق قواعد الصواريخ المصرية كان من الغزارة الى الحد الذي قلب تكتيكات العدو ، فقد تهاوت طائراته كأوراق في الأيام الأولى للمعركة وقيادته في ذهول ، وكأنها لم تصدق أن الجدار من المناعة الى هذا الحد . ومع هذه المناعة تبخرت أسطورة الفانتوم التي لا تسقط ، والميراج التي لا تسبق . وبذلك أصبحت قواعدنا الجوية في مأمن ، لا يستطيع أن يصل اليها الا نزر يسير من الطائرات المعادية ، يتسلل ضمن أسراب يهوى أغلبها الى رمال الصحراء . ومن ثم استطاعت مقاتلاتنا أن تكمل دور الصواريخ في نسج شبكة الدفاع الجوي المتكامل ، وأصبحت السيادة الجوية لنا فوق سماء المعركة .

لذلك حاول العدو التسلل من منطقة شمال الدلتا حيث تقل كثافة الصواريخ ، اعتمادا على الاقتراب على ارتفاعات منخفضة فوق مياه البحر المتوسط . وخلال يومى ٩ و ١٠ أكتوبر أغارت ٢١٤ طائرة على بورسعيد وصبت فوقها ما يزيد على ١٥٠٠ طن وكان متوسط عدد الطائرات المغيرة عليها خلال الأسبوعين الأخيرين للمعركة بين ٦٠ و ٧٠ طائرة يوميا . ولقد فوجئ العدو في المعركة بوجود صواريخ « سام - ٧ » التي تطلق من أكتاف الجنود ، وتتعامل مع الطائرات شديدة الانخفاض .

وأصبح الجنود من الحنكة بحيث كانوا يصيبون من الطائرات المعادية قدرا كبيرا بهذه الصواريخ ذات المدى المحدود ، ويجبرون ما يفر منها على الارتفاع لتصبح في متناول صواريخ « سام - ٣ » ، « سام ٢ » .

وهكذا كسرت مصر ذراع إسرائيل الطويل المتمثل في قواتها الجوية ، وأصبح لها ذراع أكثر طولا تلطم به هذا الوجه القبيح .

وعندما أدرك طيارو إسرائيل استماتة قواتنا في الدفاع عن بورسعيد ، وامدادها أولا بأول بالصواريخ ، عمدوا الى قطع الطريق البرى ، الممتد اليها بالقصف بالقنابل . ولكن ذلك لم يجد فتىلا وظلت المدينة صامدة .



أحد الصواريخ المصرية المحمولة على الأكتاف

ولا يفوتنا أن ننوه بأن جدار الصواريخ لم يصمم ليظل سماء قناة السويس وحدها ، بل امتد الى مسافة ٢٠ - ٢٥ كيلو مترا داخل سيناء . ولذلك عملت قواتنا التي تدفقت بعد العبور الى سيناء ، تحت حماية هذا الغطاء الذي ظلل سماء المعركة بالتعاون مع المقاتلات . ولم تجد محاولات العدو في جر قواتنا بعيدا عن هذا الغطاء . ولقد لاحظ الكثيرون أن القوات لم تتدفق شرقا نحو المضائق في الأيام الأولى للمعركة ، والحقيقة أنها كانت وقفة محسوبة ، لها أهدافها . فالتجهيز الهندسي لقواعد الصواريخ يجب أن يتم ، وكان نزاما دفع انساق من الصواريخ الى شرق القناة فوق المعابر وتجهيزها للاطلاق . كل ذلك يقتضى وقتا ويستلزم اعدادا .

والحقيقة التي أدركها العدو أنه لا بد من سلاح جديد يتعامل به مع صواريخ هذا الجدار ، ومن ثم ظهرت في الأفق الصواريخ الأمريكية جو - أرض من طراز **المافريك** والتي تعمل بالتوجيه التليفزيونى .

وتدفقت هذه الصواريخ باعداد غزيرة مع طائرات الفانتوم الجديدة التي ظهرت في سماء المعركة لأول مرة بطلائها الفضى وبعضها ليس عليه علامة نجمة داود الاسرائيلية دليلا أنه أتى مع الامدادات الأمريكية العاجلة لاسرائيل .

وكان رد جنود مصر بسيطا على هذه القنابل الدقيقة التوجيه ، ردا يعبر عن الذكاء والتصرف . لقد أطلقوا سحب الدخان حول قواعدهم عند اقتراب الطائرات ، فأصبح توجيه صواريخ « المافريك » مستحيلا ، بينما أصبحت الطائرات في أيديهم .

كما أعمل العدو صواريخ « **شرايك** » الأمريكية ضد محطات رادار الصواريخ ، اذ يوجه اليها من الطائرات عند التقاطه نبضاتها . لكن تقدا الكترونيا استطاع مهندسون الوصول اليه في هذا المجال ، عطل أغلب الصواريخ من هذا النوع لاستطاعتهم المناورة بترددات هذه المحطات في الوقت المناسب .

ان الدروس المصرية المستفادة من حرب أكتوبر في حقل الدفاع الجوى تعتبر اثراء للعسكرية في العالم ، لأن الفرصة لم تسنح من قبل لاستخدام الصواريخ بهذه الغزارة . ولم تكن اسرائيل تعتمد في دفاعها الجوى الا على كفاءة مقاتلاتها الحديثة بجانب صواريخ الهوك أرض - جو .

لذلك ليس بدعا أن نجد أن خلاصات التجربة قد أصبحت من الغزارة الى الحد الذى دفع مصر الى انشاء كلية جديدة للدفاع الجوى ، تستطيع ن تعلم أبناء مصر تجربة لم يشهدها العالم من قبل .

الفصل السادس

معارك البحرية

رجال يقفون البحر بهم

تطل أراضيها على بحرين هما البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، وسواحلنا تمتد الى ما يزيد على ١٦٠٠ كيلومتر ، وعلى الجانب الآخر لا يزيد طول سواحل اسرائيل عن ٤٠٠ كيلو متر .

ومن ثم كان الواجب المنوط بالقوات البحرية المصرية فى المعركة ، واجبا ثقيل يتوزع بين مهام متشعبة . تتمثل فى تدمير القاطع البحرية المعادية . ضرب الموانئ الاسرائيلية وقطع خطوط المواصلات البحرية للعدو . الى جانب الدفاع عن موانئنا وخاصة ميناء بورسعيد الملاصق لخط الجبهة ، وحراسة الشاطئ الشمالى للميناء الذى يمثل جزءا هاما من مسرح العمليات . وبالإضافة الى ذلك كله معاونة الجيوش الميدانية فى أعمالها فى المناطق الملاصقة للبحر ، مثل منطقة بورفؤاد ، والسويس .

وازاء هذه المهام نجد القاطع البحرية المصرية ، تتنوع فى أنواعها وخواصها وتسليحها بين المدمرات والبوارج والغواصات ولنشات الطوربيد ولنشات الصواريخ الموجهة والحررة . أضف الى ذلك نوعية خاصة للقوات التى تعمل معها مثل قوات الصاعقة البحرية ، وقوات الضفادع البشرية كل ذلك تسانده المدفعية الساحلية .

وخليق بنا أن نفخر بهذه القوات التى لها تاريخ مجيد فى الجولات المصرية الاسرائيلية السابقة .

ففى عام ١٩٥٦ سمع العالم عن جسارة شهيدنا المصرى ، « جلال دسوقي » وشهيدنا السوري « جول جمال » فى معركتهما مع البارجة الفرنسية « جان بارت » التى أغرقت أمام سواحل رشيد . وفى عام ١٩٦٧ سمع العالم ، ولما يمض على حلول النكسة بالعرب أربعة شهور عن بطولات رجال لنشات الصواريخ المصرية الذين أغرقوا المدمرة الاسرائيلية « ايلات » أمام سواحل بورسعيد .

لقد فخر الرئيس محمد أنور السادات بذلك ، وأعلن سرا خطيرا فى يونيو ١٩٧٤ ، بأن الصاروخ الذى دمرت به ايلات كان أول صاروخ من نوعه فى العالم بقوله فى حفل للقوات البحرية المصرية : « ان التاريخ

سيذكر لكم أن أول صاروخ أطلق في تاريخ البحرية العالمية كان يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٦٧ حين أطلقت زوارقكم صواريخها على المدمرة ايلات بعد أربعة شهور فقط من الألم والمرارة في يونيو ١٩٦٧ . ومنذ ذلك التاريخ تغيرت الاستراتيجية العالمية وسطر التاريخ ان أول صاروخ بحرى كان مصريةا .

وللبحرية المصرية أمجاد في حرب الاستنزاف ، تشهد بها موقعة جزيرة شدوان في البحر الأحمر ، والتي كشفت للوجود عن نوعية الجندي البحري المستبسلة .

وفي يونيو ١٩٧٤ أيضا ، كشف الرئيس محمد أنور السادات عن سر من أسرار الحرب لم يعلن من قبل ، هو أن ساعة الصفر في المعركة كانت بالنسبة لكل القوات الساعة الثانية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بينما كانت بالنسبة للقوات البحرية وحدها قبل ذلك الموعد بعشرة أيام .

« ان القوات البحرية اتخذت في صمت وفي سرية تامة وفي كفاءة وفي روعة أوضاعها القتالية قبل بدء المعركة بعشرة أيام » .

ذلك أن تحريك القطع البحرية الى مواقعها اللازمة في البحرين الأحمر والأبيض كان يستلزم وقتا . ويقتضى تحميلها بالألغام والصواريخ أعدادا .

ولقد كانت ضربة استراتيجية من الدرجة الأولى قيام القطع البحرية المصرية باغلاق خليج « باب المندب » في أقصى جنوب البحر الأحمر منذ بدء المعركة . لقد تحركت اليه القطع البحرية المصرية من مدمرات وغواصات قبل ساعة الصفر بعشرة أيام . ووفقا لاحكام خطة الخداع كان الاعلان بالقيام بمناورات الحريف السنوية ، وتوجه احدى الغواصات الى باكستان للاصلاح ، وقيام احدى المدمرات بزيارة ودية لليبيا .

لقد كان ذلك ضربة موجهة الى اسرائيل لخلق خطوط امدادها من أقصى جنوب البحر الأحمر ، وخاصة بترول ايران الذي يتدفق اليها عبر هذا البحر الى ميناء ايلات . وبالتالي كان ردا عمليا على تبجح القادة الاسرائيليين الذين ركبهم الغرور بامتلاك الفانتوم فأعلنوا أن البحر الأحمر أصبح بحيرة اسرائيلية . هكذا خنق البحر الأحمر من مدخله ، وأصبح بحيرة عربية . وتبخرت استراتيجية شرم الشيخ المغالى فيها من جانب العصاة الصهيونية ، بالنسبة للملاحاة في خليج العقبة وانتقلت الى أقصى الجنوب في باب المندب .

وبهذه الحركة أيضا ، توقفت التجارة الاسرائيلية المتسلسلة الى افريقيا حيث سد امامها المنفذ الوحيد اليها . وبذلك قضت مصر على حجة اسرائيل فى ان تسيطر على مضائق تيران وشرم الشيخ ، وهما يمثلان أمرا حيويا لتأمين ملاحتها البحرية عبر البحر الأحمر .

وما بدأت المعركة حتى قام عمالقة البحريين الأبيض والأحمر بأروع أدوارهم والتي نوجز تسجيل أهمها فى النقاط التالية :

* عملت القوات البحرية فى معاونة الجيوش الميدانية ، ففى القطاع الشمالى قامت القطع البحرية بقصف النقطة الحصينة شرق بورفؤاد .

* كما قامت بقصف التجمعات المعادية فى « رمانة » ، و « راس برون » ، بشمال سيناء ومناطق شرم الشيخ « و « رأس محمد » . و « رأس سدر » ، « ورأس مسلة » ، بالبحر الأحمر .

* ادارت البحرية المصرية معركة بحرية طاحنة بين البرلس ودمياط يومى ٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٧٣ بقطع لنشات الصواريخ بحز - بحر تلاحمت فيها مع ثمانية زوارق اسرائيلية أغرقت منها أربعة .

* فى ليلة ١٥/١٦ أكتوبر التحمت البحرية مع داورية مكونة من أربعة لنشات اسرائيلية حاولت التسلل الى ميناء الاسكندرية ، فاصطادتها بحذاء خليج أبى قير وأغرقت منها لنشين وأعطبت لنشا ثالثا تعطل أمام رشيد . وأمكن التقاط صاروخ جبرائيل كامل اسرائيلى الصنع من حطامه .

* أغرقت سفينة تجارية اسرائيلية قرب مرفأ بورسودان بواسطة غواصة مصرية فى البحر الأحمر . وأعطبت سفينة انزال جنود أمام شاطئ بورسعيد .

* قامت الضفادع البشرية باغراق حفار فى مرسى ثلثت يعمل فى التنقيب عن البترول فى البحر الأحمر . وكذلك كان الشأن بالنسبة لآبار بلاعيم للبترول حيث تم تعطيل الحفار الذى يعمل به .

* جنوبى مدخل خليج السويس ، كانت البحرية قد ثبتت أعدادا غزيرة من الألغام البحرية ، تسببت فى اغراق عدد (٢) حاملة بترول أولاها السفينة « سيروس » الاسرائيلية وحمولتها ٤٦٠٠٠ طن ، والثانية قطعة صغيرة حمولتها ٢٠٠٠ طن . وهما تحاولان نهب بترول آبار بلاعيم .

* أغارت قوات الصاعقة البحرية على مناطق « أبو درية » فى خليج السويس والشيخ « بيتان » جنوب مدينة الطور .

* لم تكن اللنشات الاسرائيلية تستطيع العمل الا تحت غطاء جوى يحميها وخلال معارك اللنشات تمكنت المدفعية البحرية من اسقاط ١٢ طائرة هليكوبتر معادية . بينما تمكنت مقاتلاتنا من طراز مييج ٢١ من الاجهاز على بعض طائرات الحماية الأخرى وأجبرت كثيرا منها على الفرار .

الباب الثالث

الجبهة في الشرق

تخطيط مسبق

بدأت الحرب على الجبهة السورية في نفس الوقت الذي بدأت فيه على جبهة قناة السويس ، تطبيقا لأمر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية « الفريق أول أحمد اسماعيل » . وتنفيذا لأوامر القيادتين السياسيتين في الدولتين سوريا - مصر . وفي إطار التعاون داخل دول اتحاد الجمهوريات العربية .

ولقد كان الهدف الرئيسى بلا شك فى تنسيق العمل بين الجبهتين . هو حصر العدو بين شقى الرحى لتشيتت قواه ، وضغطه بين فكى الكباشنة . واجباره على توزيع قواته ومجهوده الجوى بين جبهتين متباعدتين .

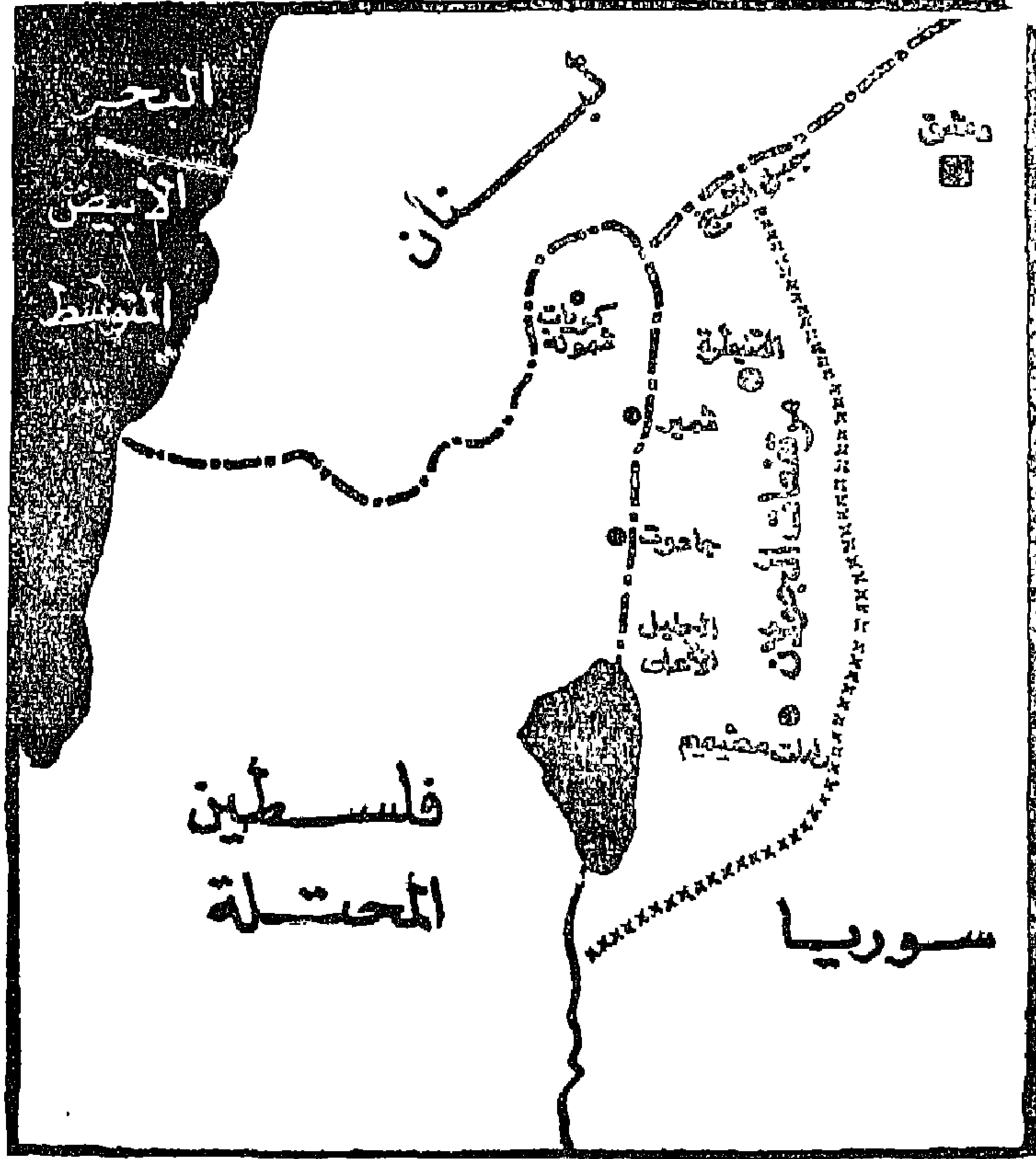
ولا شك أن تخطيطا مسبقا قد تم بين مصر وسوريا فى مجال تنسيق العمل لوضع الخطة ، واحكام عناصر المفاجأة ، فتحققت كاملة على كلا الجبهتين . والمتتبعون لمراحل العمليات يلحظون عناصر تشابه كثيرة بين هذه العوامل فى كلا الجبهتين . وان كانت العمليات فى سوريا قد انفردت بصور وخصائص مميزة .

عوامل معنوية

ويرجع القتال على هذه الجبهة الى عدة أسباب وعوامل . ذلك أن هضبة الجولان محتلة منذ نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ومن قبل هذه النكسة لم تكن اسرائيل تخفى اطماعها فيها، نظرا لموقعها المرتفع المطل على المستعمرات الواقعة شمال الأرض المغتصبة ، ولكونها موقعا استراتيجيا هاما يطل على وادى الأردن .

وهى بالنسبة لسوريا فوق انها أرض سليبة ، تستوجب كل مقومات الكرامة استردادها مهما غلا الثمن فانها أرض خصبة لها خيراتها ، ولها زراعتها وبها مدن وقرى أهلة بالسكان .

وهي غنية بسهول صالحة للمزراعة ، يشقها في الجنوب نهر اليرموك وينتهي بها فرع نهر بانياس في الشمال . وتحف بها بحيرتا طبريا ، والحولة في الغرب ، حيث يهدر نهر الاردن ، وتنحدر بعده الأرض نحو المستعمرات الاسرائيلية المتكاثفة في شمال فلسطين المحتلة .



الجبهة الشمالية في المرتفعات السورية

أهمية هضبة الجولان

كما تتمثل أهمية الجولان بالنسبة لسوريا في كونها خط الدفاع الأول عن العاصمة دمشق التي لا تبعد عنها غير ٤٠ كيلو مترا والتي لا يزيد بعدها عن خط الحدود الفاصلة مع الأرض المحتلة عن ٧٥ كيلومترا . وهي تضم واحدة من أهم المدن السورية القنيطرة ، التي عمل العدو على أحكام يده عليها امعانا في الضغط معنويا على السوريين .

وتتميز هضبة الجولان بشكل أقرب ما يكون الى كونه مستطيلا ذا طول يبلغ ٧٠ كيلو مترا ، وعرض ٢٥ كيلو مترا ، وتنحدر من احافتها الغربية نحو فلسطين ومن جانبها الشرقي بسهول الاردن حتى دمشق ، وهي مرتفعة في الشمال حيث جبل الشيخ ، ومنبسطة الى حد ما في الجنوب حيث وادي نهر اليرموك ، وتتخللها وديان غائرة يصل عمق بعضها حتى ١٥٤ مترا .

وترجع الأهمية الاستراتيجية للهضبة الى سببين رئيسيين . أولهما أنها موقع حاكم تلتقي فيه حدود الأردن وجنوب لبنان بالإضافة الى الافضاء الى السهول المنتهية بدمشق ، ومن ثم فهي تفضي الى حيث تمرركز الفدائيون الفلسطينيون في جنوب لبنان ، والى حيث يقف الجنود الاردنيون كاحتياطي لقوات المعركة في حدود الاردن مع سوريا . وثانيهما أن الطبيعة الصخرية الوعرة للمنطقة ، تضم ذروة جبال مرتفعة شديدة التضاريس ، يشمخ فيها جبل الشيخ أو (حرمون) الى ارتفاع ٢٨٠٠ متر . بينما تمتد في باقى الهضبة مرتفعات تتراوح بين ١٠٠٠ ، ٥٠٠٠ متر . لذلك فهي تطل على المستعمرات الاسرائيلية الشمالية بما لا يقل عن ٣٠٠ متر ، حيث يمكن أن تصل إليها بنيران المدافع ، وتدمرها بالصواريخ .

ولقد استغلت اسرائيل احتلالها لهضبة الجولان منذ حرب يونيو ١٩٦٧ وقامت بتجهيزات هندسية تزيد من مصاعب استرداد السوريين لها . فقد عمدت الى حفر خندق صناعي بحذاء الحدود الشرقية لخط وقف اطلاق النار وبطنته بالاسمنت المسلح ، يبلغ طوله ٣٠ كيلو مترا عرضه ستة أمتار بينما يغوص عمقه الى أربعة أمتار ، وذلك لاعاقبة تقدم المدرعات .

كما أقامت اسرائيل مرصداً عالياً فوق جبل الشيخ ، بلغت قممه الظاهرة ثلاثة أدوار ، بينما يغوص بعمق ٤٠ متراً في الصخر ، وحصناً على غرار دشيم خط بارليف ليكون منيعاً يقاوم القصف ويحوى الاسلحة الثقيلة . ولتطل منه أجهزة المراقبة فتكشف أية تحركات عبر سوريا وفي سهول لبنان .

ولقد كانت الهليكوبتر التي تعمل كخط مواصلات بين اسرائيل وهذه النقطة العالية للمراقبة ، تشهد بوضوح من دمشق .

كما عمدت اسرائيل الى حفر بعض خنادق عميقة في انساق الجبهة ، زودتها بخزانات النابالم كمثل تلك التي كانت مقامة على حافة قناة السمويس ، لتتقلب هذه الخنادق الى أتون مشتعل يعوق كل تقدم .

ولقد أملت طبيعة الجولان الصخرية الوعرة ، على الجيشين السوري والاسرائيلي ، قيودا خاصة على الحركة ، جعلت الاعتماد الأول على المدرعات والمجنزرات تحت غطاء جوى ، حيث تصعب الحركة ، ويعز وجود الأرض المفتوحة لذلك شهدت هذه الرقعة الضيقة والتي لا تتجاوز مساحتها ١٢٠٠ كيلو متر مربع نزالا بين آلاف الدبابات فاقت في عددها ما استخدمه رومل ومونتجمري في حرب العلمين بكثير .

حيث دفعت سوريا بما يقرب من ١٤٠٠ دبابة في أول أيام المعركة وزاد عددها بعدة مئات بوجود التعزيزات العراقية . وقابلتها اسرائيل بعدد يقرب أن يكون مماثلا .

وفي ميزان القوى تقدم سبيل منهمر من الجنود السوريين ، يؤازرهم اخوة مغاربة وقوات جيش التحرير الفلسطيني فاكتمسحوا خط الجبهة الفاصل ، ومضوا كالتوفان المندفع في شتى الاتجاهات يخلصون الأرض من غاصبيها .

وبعد أيام من بدء المعركة لحقت قوات عراقية ، بالجبهة تقود الآليات وتوجه المدافع وتنقض بالطائرات .

المحاور الثلاثة

ويمكن القول بأن العمليات قد تمت على ثلاثة محاور رئيسية عبر الجبهة هي المحور الشمالى ذو المرتفعات والجبال العالية . والمحور الأوسط الأقل ارتفاعا ، وأهم المحاور عسكريا واستراتيجيا . والمحور الجنوبي المنبسط نحو سهول نهر اليرموك المنتهية في الأراضي الاردنية .

وترجع أهمية المحور الأوسط الى كونه أقصر هذه المحاور بعدا عن دمشق . ولأنه يفضى الى مدينة القنيطرة التي استقطبت كثيرا من اهتمام السوريين لاستردادها ومن عناد الاسرائيليين امعانا في التحطيم المعنوى لعدم استثمار السوريين للنصر . ولقد شهد القطاعان الأوسط والشمالى لعبة الدفع والجذب بين السوريين والاسرائيليين ، في هجوم سوري مكتمسح وهجوم اسرائيلي مضاد . بينما لم تكشف كثير من المعارك في القطاع الجنوبي .

ولقد كان هدف اسرائيل الحقيقي ، فى التركيز على القطاع الأوسط من جبهة الجولان بالذات هو محاولة الاقتراب من دمشق ، أو الدخول اليها .

خصائص المعركة

ولقد أتت المعارك السورية ملحمة للبطولات ، وشاركت فيها كل أسلحة القوات المسلحة حيث هاجم السوريون بما يكاد يقرب من ربع مليون جندي بين سورى ومغربى ثم عراقى .

والمتتبعون للمعركة السورية ، يمكنهم تقسيمها الى ثلاث مراحل مختلفة ، تدرجت من الهجوم السورى المكثف ، الى الهجوم الاسرائيلى المضاد الى مرحلة التوازن بين القوتين التى انتهت بوقف اطلاق النار .

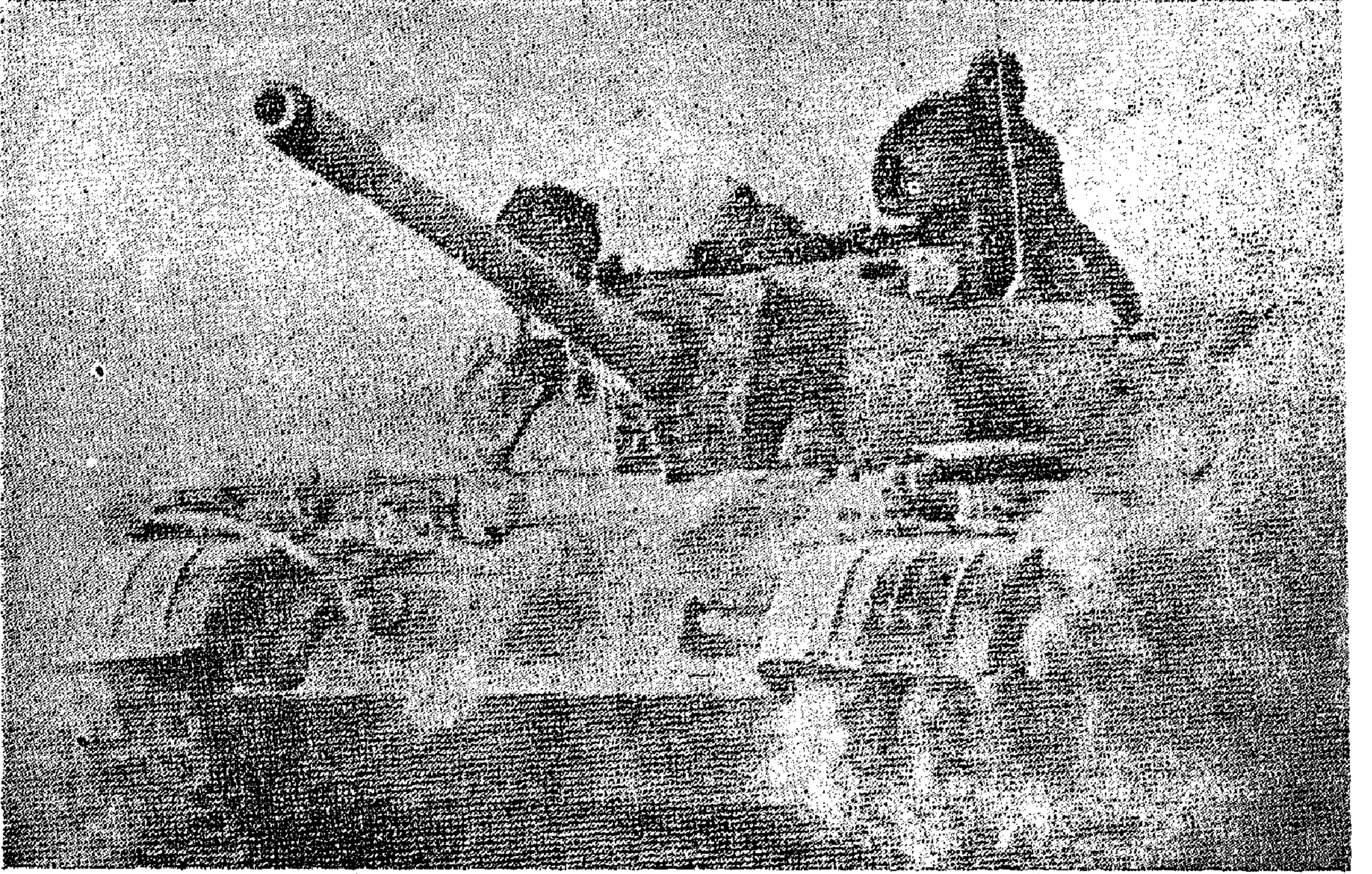
وتجدر الاشارة الى ملامح خاصة وضحت خلال مراحل المعركة فأضيفت عليها طابعا خاصا هى :

- ان السوريين والمغاربة ناضلوا فى استبسال ، عبر عنه اكتساحهم للجبهة فى الأيام الأولى للمعركة وقد احتفظوا بروح معنوية عالية ، أكسبت معاركهم ضراوة وشراسة بهرت جنود العدو وقادته .

- بينما على الجانب الآخر كان الاسرائيليون قد أخذوا بعنصر المفاجأة ، وفقدت القيادة الاسرائيلية توازنها ، وتوزعت قواها بين جبهة قناة السويس والجولان معا . فأجبرت اسرائيل عددا من الطيارين المرتزقة لدخول المعركة قسرا . ووضح ذلك عندما سقط بعض هؤلاء الطيارين ووجدت جثثهم مقيدة بالسلاسل الى مقاعد الطائرات حتى لا يتعجلوا القفز منها أمام جدار الصواريخ السورية .

- ان المعركة بلغت حدا كبيرا من الضراوة الى الحد الذى دفع اسرائيل الى ضرب الأهداف المدنية فى محاولة لانهاؤها ، ولتحويل المعركة عن الجبهة الى الداخل ، مع شل الاقتصاد السورى . وذلك حتى تفرغ من هذه الجبهة وتركز على العمل فى جبهة قناة السويس .

ومن ثم فقد عمدت الى ضرب أغلب الموانى السورية فى اللاذقية وطرطوس ومصافى البترول والاحياء السكنية فى دمشق وحمص وبانياس .



الدبابات العراقية كان لها دور بطولي خارق في الجبهة السورية

وكان الرد السوري حاسما حيث قصفت المدفعية السورية المستعمرات الشمالية لاسرائيل ، والواقعة أسفل جبهة الجولان . كما عمدت سوريا الى توجيه بعض الصواريخ أرض - أرض الى بعض هذه المستعمرات فأصلتها وابلا من حممها واضطرت سكانها الى الرحيل عنها . كما قصفت الطائرات السورية مصافي البترول في حيفا .

ان الخسائر على الجانب الاسرائيلي فاقت كل تصور ، فقد خسرت اسرائيل خلال ثلاثة أسابيع ما يقرب من مائتي طائرة ، وستمائة دبابة وثلاثة آلاف رجل فضلا عن جرح ما يقرب من عشرة آلاف .

ولقد أوجع اسرائيل الحسارة الضخمة في اعداد الطيارين ، فقد أبليت المقاتلات السورية بلاء حسنا في صد الغارات الاسرائيلية ، كما كان جدار الصواريخ السوري فعلا ، بحيث تساقط الطيارون

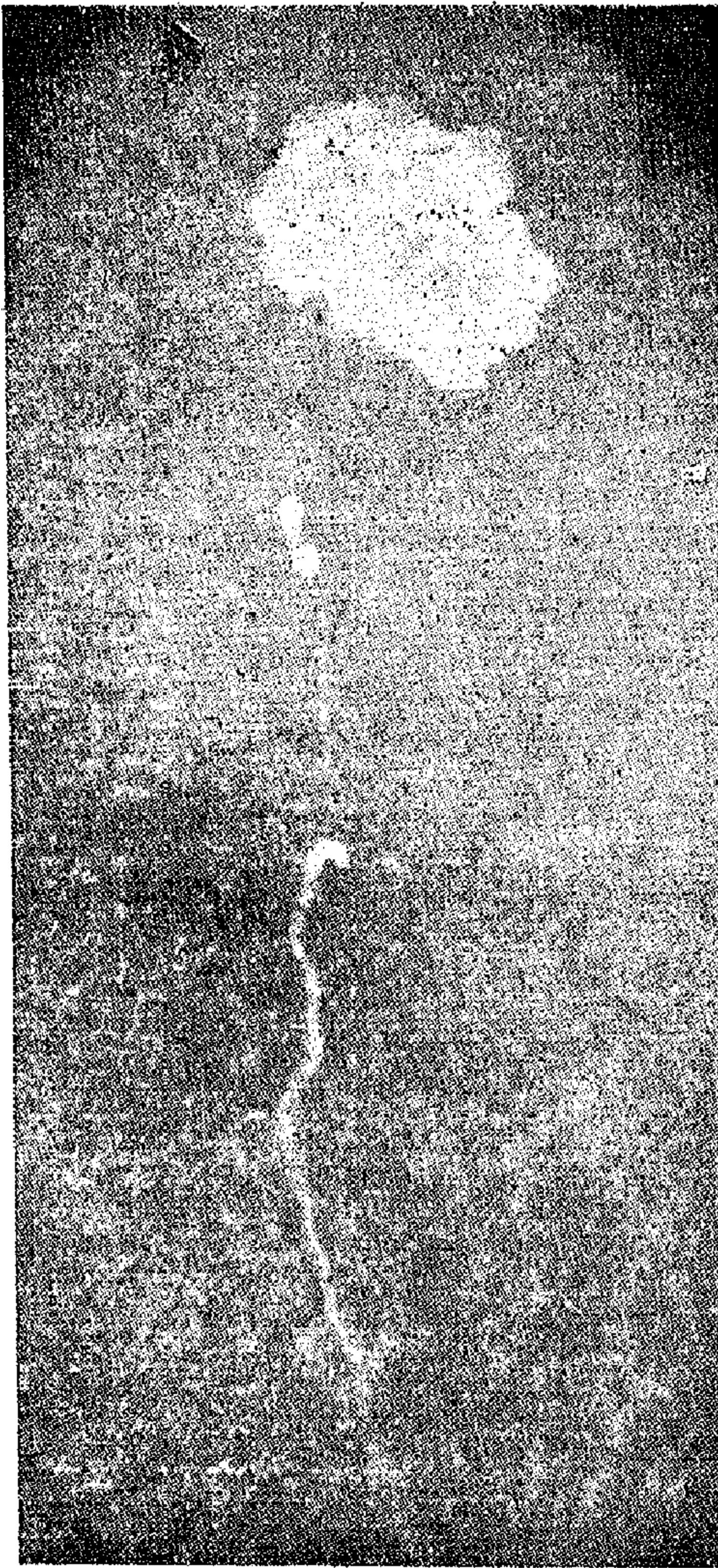
الاسرائيليون بالعشرات كل يوم . ولقد تهكم أحد المراسلين الحربيين على ذلك بقوله « هذه أول مرة في التاريخ ، يجد فيها الطيار الهابط بالمظلة ، احتفالات ضخمة لاستقباله » . فقد اعتاد شباب دمشق وضواحيها تتبع هؤلاء الطيارين وانتظارهم وهم هابطون في الجو .

.. ان الوحدة العربية تجلت في صورة طيبة أزاء المعركة السورية ، فقد شارك فيها منذ أولها جنود مغاربة الى جانب اخوانهم السوريين والفدائيين الفلسطينيين ثم ما لبثت القوات العراقية أن انضمت الى الصراع وشاركت فيه مشاركة فعالة بالمشاة والمدركات والطيران بينما وقفت قوات من السعودية وقوات من الأردن الشقيق على أهبة الاستعداد على حدود الاردن مع سوريا ترقبا لتطورات الموقف .

مراحل الصراع

واذا ما تتبعنا مراحل الصراع الثلاث فان المرحلة الأولى كانت كلها في صالح الاخوة السوريين ، وانتهت باكتساحهم لعدة مواقع على المحاور الثلاثة . وقد بدأت هذه المرحلة في الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر المجيد ، وبدأت على غرار ما تم على جبهة القناة بضربة جوية مركزة قامت بها أكثر من مائة طائرة قاذفة - مقاتلة دكت الأهداف الاسرائيلية في هضبة الجولان المحتلة .

وعاونها ألف مدفع في توجيه وابل من النيران قلبت خط الجبهة الى جحيم مستعر ، وقامت بتمهيد النيران ، للقوات البرية وفي أثر ذلك



صاروخ سوري ينفجر بطائرة العدو

اندفعت جموع من المهندسين والمشاة والمغاوير (الصاعقة السورية) مهدت لوضع الكبارى الهيدروليكية فوق الخنادق الاسرائيلية . فحاضوا معارك تميزت بالتملح بالسلح الأبيض ، وانقابل الشديدة الانفجار . وأفلح هؤلاء فى اكتساح انساق الخنادق وتمهيد المعابر لعدد ١٢٠٠ ألف ومائتى دبابة تدفقت على المحاور الثلاثة للهجوم السورى .

بينما تم فى نفس الأونة اسقاط جوى فى عمق الجولان، وتركز حول المرصد المرتفع فوق جبل الشيخ ، فداهم القوات المعادية التى كانت تحتل وجعل المرصد مقبرة لهم واستولى عليه المغاوير السوريون بعد قتال وحشى ، تم شبرا بشبرا .

واندفعت قوات المشاة المحمولة على المجنزرات الى شتى المواقع الاسرائيلية فاكتسحتها وأصبحت القوات السورية على مشارف القنيطرة نطوقها . ومنيت القوات الاسرائيلية بخسائر كبيرة فى المدرعات والمشاة . ورغم تركيز غطاء جوى اسرائيلى كثيف على الجبهة فان المقاتلات السورية حرمت العدو ميزة السيطرة الجوية ، وفقد العدو فى الأيام الأولى لهذه المعركة الكاسحة عددا كبيرا من الطائرات .

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة الهجوم الاسرائيلى المضاد فقد بدأت بعد خمسة أيام من بدء الحرب ، وقام فيها العدو بهجوم مضاد محموم . وركز هذا الهجوم على المحور الأوسط هادفا مع السوريين من التقدم الاستيلاء على القنيطرة وفى نفس الوقت عامدا الى التهديد المعنوى باحتلال دمشق حيث لا تبعد أكثر من ٤٠ كيلو مترا من أقصر الطرق اليها .

ولقد عزز العدو سبيل مدرعاته المتدفق ، مستغلا تكثيف الغارات الجوية على المواقع التى احتلتها القوات السورية . ولقد وضح أن هذه القوات لم تكن قد أخذت فرصة الوقت الكافية بعد النضال المرير الذى خاضته لكى تدعم تجهيز مواقعها ، كما أن تدفقها نحو الغرب كان قد أبعداها عن غطاء الصواريخ أرض - جو التى لم تستطع ملاحقة الهجوم بتغير مواقعها ، حيث يستلزم التجهيز الهندسى لها وقتا أطول .

ولقد لحقت القوات العراقية بالقوات السورية خلال هذه المرحلة . وجد السوريون والعراقيون معا فى ايقاف حدة الزحف الاسرائيلى ، وخسرت اسرائيل عديدا من الدبابات .

وما أتى يوم ١٤ أكتوبر حتى كان الزحف الاسرائيلى قد أجبر على التوقف .

غير أن السوريين عاجلوا في اليوم التالي بهجوم مريز ثان استمر ثلاثة أيام ودارت رحى حرب طاحنة بين أكثر من ألفي دبابة تركز أغلبها في القطاع الشمالي وبعضها في القطاع الأوسط .

أما المرحلة الثالثة فقد بدأت بعد أن ظل القتال مستعرا احد عشر يوما كاملة . فقد بدأ العدو في تكثيف امداداته من الدبابات بتعزيزات أتت اليه من أمريكا فأفلح في فتح « ثغرة » في الخطوط السورية . ودار قتال مريز حول جبل الشيخ استرد العدو فيه نقطة المراقبة .

واستمر المد والجزر بين القوتين تحت مساجلات بالمدفعية والصواريخ وواضح ان اسرائيل ارهقت في هذه المرحلة بقدر كبير ، وكانت خسائرها في المدرعات والطائرات قد فاقت كل تصور .

بينما كانت القوات السورية والعراقية تحرر المواقع شيئا شيئا . وما أتى قرار وقف اطلاق النار الا وكانت الحدود الفاصلة بين القوات مختلطة الى الحد الذي دفع كيسنجر الى وصفها بأنها مائعة . ولكن النتيجة العامة أن خط وقف اطلاق النار عام ١٩٦٧ قد تغير في الشمال وفي الوسط والجنوب . حيث انبعج لمسافة عشرة كيلو مترات في القطاع الأوسط بحذاء القنيطرة ، بينما انحسر الى الداخل بتحرير السوريين في القطاع الجنوبي بشريط طويل يمتد أكثر من ٢٠ كيلو مترا وبعمق خمسة كيلو مترات .

وبتعبيرات الدبلوماسية ، نعت المراقبون هذا الانبعاث والانحسار ، بأنه ضرب من التوازن . ووصف آخرون الموقف بأن سوريا كسبت المعركة ولكن بالنقط .

ولقد دارت بعد ذلك معركة سياسية حامية الوطيس بين سوريا واسرائيل ، كان فرس الرهان فيها كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية لفك الارتباط بين قواتهما واضطر للانتقال بين عاصمتي الدولتين ما يقرب من ٣٤ مرة .

القسم الثالث

الجولات العربية الاقتصادية

ضربة البترول

رأس المال العربي

« الفائضات البترولية »

الأرصدة العربية

قناة السويس

الباب الأول

خربة البترول

كل نقطة من البترول
تساوي نقطة من الدم
« كليمانصو »

البتروول والسياسة

بعد الحرب العالمية الأولى ، تمكنت بريطانيا وحلفاؤها من بسط نفوذهم على منطقة الشرق الأوسط ، حيث يوجد القسم الأكبر من منابع البتروول العربى . وقد اتسمت سياسة الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم ، بالمحافظة - أولا وقبل كل شىء - على الامتيازات البتروولية . وذلك عن طريق تجزئة العالم العربى وتفتيت قواه وعرقلة نهضته الاقتصادية والسياسية .

فقد أثارت بريطانيا ، العرب ضد الأتراك ، فتمكنت بذلك من السيطرة على الدول العربية وتوصلت الى منابع البتروول العربى . ولكى تؤمن استغلالها لهذه المنابع لجأت بريطانيا الى سياسة « فرق تسد » ، فعمدت الى خلق دويلات عربية مستقلة ارتبطت معها باتفاقيات امتياز طويلة الأمد . وتدخلت عسكريا تحت ستار حماية استقلال الدول المنتجة للبتروول وحرصت تماما على أن تبقى هذه الدول بعيدا عن تيارات الدولة العربية الموحدة . كما وقفت بريطانيا والاستعمار الغربى ، فى وجه حركات التحرر العربى ، وقيام الوحدة العربية ، باعتبارها تهديدا لامدادات الغرب وتمويله بالبتروول .

وأصبح واقعا ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ارتباط التاريخ السياسى للوطن العربى ، بتسابق الشركات الكبرى ، والدول التى تساندها ، لأحكام السيطرة على مصادر النفط العربى واستغلالها . بل ان خريطة الوطن العربى ، قد رسمت على ضوء تقسيم الدول العربية الى مناطق نفوذ تتبع المصالح البتروولية الغربية .

وقد جاء قيام دولة اسرائيل فى قلب المنطقة ، نتيجة طبيعية لمصالح الاستعمار البتروولية ، فقد ساعدت على قيامها الدول الغربية الكبرى . المسيطرة على صناعة البتروول فى الوطن العربى . وهى نفسها التى أصدرت البيان الثلاثى (عام ١٩٥٠) لضمان وجود اسرائيل والتى كانت - وما تزال - تمد اسرائيل بالسلاح وبكافة وسائل الدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى . فأصبحت اسرائيل بذلك ، حليفا طبيعيا للنفوذ الغربى فى المنطقة ، وقاعدة عسكرية أجنبية ، يستعملها الغرب لضرب الحركات التحررية فى العالم العربى واضعاف قوته ، واحكام السيطرة عليه واستنزاف ثرواته البتروولية .

كما ساعد قيام اسرائيل ، على استقطاب اهتمام الرأى العام العربى ،
حول القضية الفلسطينية واستنزاف طاقاته فى النزاع العربى الاسرائيلى ،
واطلاق يد الشركات البترولية ، لممارسة نشاطها وفق مصالحها .

وهكذا عزلت قضية البترول عن محور السياسة العربية ، على الرغم
من أنها حجر الزاوية فى سياسة الدول الغربية فى الدول العربية ، ومن
ارتباطها الوثيق بالقضية الفلسطينية .

وعليه ، فانه لا يمكن بأى حال ، تجاهل معالجة موقف اسرائيل
بمعزل عن قضية البترول ، لارتباط السبب بالنتيجة . . . وكل شئ عدا
ذلك ، فانما قصد به اقضاء الرأى العام والمسئولين العرب ، عن الوضع
الراهن لاستثمارات ثرواتهم البترولية والهائم بالمهمات السياسية
العقيمة .

وبذلك ، أصبحت حياة وقوة العالم العربى ، مرتبطة بالبترول .

البترول يحدد مواقف الدول

ويختلف موقف الدول من النزاع العربى الاسرائيلى ، باختلاف نظرة
كل دولة منها ، الى أساليب تأمين مصالحها البترولية ، فى الدول العربية .

وينعكس هذا الاختلاف ، على سياسة الدول الغربية تجاه العالم
العربى ، وتبرز أهمية الدور الذى لعبه ويلعبه البترول العربى فى التأثير
على السياسة الغربية .

وعلى الرغم من أن بريطانيا وأمريكا ، كانتا من الدول التى تمتعت
حتى الآن بأوفى نصيب من امتيازات البترول . . . الا أنه من المشاهد ،
أنهما كانتا دوما من أشد الدول تحيزا مع اسرائيل .

على عكس ايطاليا وأسبانيا وألمانيا الغربية واليابان . . . وكلها قد
باشرت فى الماضى القريب ، نشاطها البترولى فى منطقة الشرق الأوسط ،
وتحتاج باستمرار الى كميات متزايدة من البترول العربى لسد حاجتها
الاستهلاكية ، فتتخذ هذه الدول مواقف ودية أو حيادية أو على الأقل أخف
عداء من أمريكا وبريطانيا .

أما فرنسا فقد انتهجت سياسة مماثلة لسياسة بريطانيا ، واشتركت
الى جانب اسرائيل وبريطانيا فى العدوان على مصر (عام ١٩٥٦) . . . الا

آنها عقب عودة الجنرال « ديجول » الى الحكم (عام ١٩٥٨) تراجعت عن مواقفها ، بعد أن رأت أن سياسة القوة التي مارستها ضد مصر والجزائر ، لا يمكن أن تؤمن مصالحها البترولية .

البترول العربى والمصالح الأمريكية

أثناء انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز فى الجزائر (٥ سبتمبر ٧٣) . أدلى الرئيس الأمريكى « نيكسون » بتصريحات ، قصد بها تخويف العرب ومجموعة الدول المصدرة للبترول المشتركة فى المؤتمر . الا انه قد جانبه التوفيق ، فقد ازداد تمسك العرب بسياستهم ، ومعهم أصدقاؤهم من دول المعسكر الثالث .

وتحتاج أمريكا ، الى ما يعادل ٨ ملايين برميل من البترول يوميا من الحقول العربية . . . اذ أنه لا يوجد مكان فى العالم ، يمكنه توفير هذه الكميات فى الوقت الحاضر ، غير الدول العربية . وتبلغ نسبة استيراد أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان وبلاد الشرق الأقصى ، لبترول العرب والشرق الأوسط ، ما مقداره ٧٢٪ من صافى وارداتها من البترول .

وسوف يستمر الاعتماد الرئيسى للعالم ، فى مجال الطاقة ، على البترول ، خلال الفترة المتبقية من السبعينيات . . . اذ أنه ليس من المنتظر ، دخول وسائل الطاقة النووية ، فى مجال التنافس لمصادر الطاقة الأخرى ، قبل الثمانينات بل ويحتمل ذلك فى التسعينات . وذلك لأن الأمر سوف يحتاج الى أموال ضخمة لتغيير الأساس الكلى لجميع وسائل الامداد بالطاقة القديمة . . . ومن ثم سيبقى بترول الشرق الأوسط ، هو المصدر الأساسى لاستهلاك العالم .

وتتضم الدول العربية فى أراضيها ، النسبة العظمى من احتياطى البترول العالمى ، فى الوقت الذى يتزايد فيه اعتماد العالم — خاصة أوروبا الغربية واليابان ، بل وأمريكا نفسها على البترول العربى .

فمخزون البترول الموجود فى جوف الأرض العربية ، يمثل ٦٢٪ من مخزون البترول العالمى ، خارج دول المعسكر الشرقى .

وتعتمد دول غرب أوروبا على البترول العربى ، فى ٧٠٪ من استهلاكها . . . كما أن اليابان تعتمد عليه فى أكثر من ٨٥٪ من استهلاكها .

وتتزايد أهمية البترول العربى مع السنين ولا تتناقص . . . لأن المخزون فى أمريكا ذاتها يقل ، ولأن الاستهلاك العالمى للبترول ، يزيد

يسعد أكبر من معدل الاكتشافات البترولية الجديدة . . يضاف الى ذلك .
أن تكاليف استثمار البترول العربى أقل بكثير من تكاليفه فى أى مكان
آخر من العالم .

هذا بجانب ما تؤثر به العائدات البترولية ، على الاقتصاد الأمريكى . .
اذ أن معظم الاحصائيات العالمية ، تشير الى أن أرباح أمريكا من البترول
هى أهم من أرباحها فى جميع أنواع استثماراتها فى العالم الخارجى . .
فهى تمثل ٣٣٪ من كل استثمارات أمريكا المباشرة فى العالم الخارجى .

ويشكل البترول العربى نسبة تتراوح ما بين ٢٠ - ٢٥٪ من
مستوردات أمريكا البترولية . . أو ما يعادل مليون برميل فى اليوم من
البترول الخام . ومعنى الخطر الفعلى ، هو حرمان أمريكا من هذه النسبة .

وفى احصائية نسبية أمريكية ، نجد أن المستوردات البترولية
الأمريكية حتى نهاية ١٩٧٣ تبلغ حوالى ١٣٠ مليون برميل شهريا ،
توزيعها كالتالى :

<u>المصادر</u>	<u>مليون برميل</u>
كندا	٧١٠٠٠٠٠٠
فنزويلا	٢١٨٣٧٠٠٠
نيجيريا	١٨٠٧٧٩٠٠٠
أندونيسيا	٨٠٤٣٧٠٠٠
ايران	٧٠١٤٦٠٠٠

<u>الدول العربية</u>	
السعودية	١٩٠٧٩٤٠٠٠
الكويت	٢٠٢٨٩٠٠٠
مصر	١٠١٤٢٠٠٠
ليبيا	٦٠١٣٥٠٠٠
الجزائر	٥٠١٣٦٠٠٠
دولة الامارات	٣٠١٠٢٠٠٠
تونس	٩٩٣٠٠٠
عمان	٤٥٠٠٠٠
العراق	٣٤٣٠٠٠
قطر	١٦٣٠٠٠

هذا عدا المشتقات البترولية المتفرعة التي تستوردها أمريكا ، والتي تشكل ٣٠٪ من مجموع المستوردات ٠٠ والجزء الأكبر من هذه النسبة من مصادر عربية .

وتشير دراسة معهد « أنتربريز » الأمريكي لبحوث السياسة ، أن البترول العربي ، يؤثر في حياة عدد لا يحصى من الأمريكيين :

« فهناك آلاف الأمريكيين العاملين في شركات البترول ذاتها ، وفي معامل التكرير وشركات النقل جوا وبحرا ، والبنوك والخدمات التي قامت وتمارس نشاطها بسبب البترول ٠٠ ثم هناك ملايين الأمريكيين ، من حملة الأسهم في هذه الشركات كلها ، وكلهم لهم مصالح هامة في العالم العربي لا يعرفون قدرها » .

والمصالح الأمريكية في البترول العربي ، تعتبر مصالح ضخمة ولها أبعاد عميقة اقتصادية وسياسية واستراتيجية ٠٠ هي وان كانت مصدر قوة في الحياة الأمريكية ، الا أنها قد أثبتت في ذات الوقت ، أنها أسلحة عربية للضغط على أمريكا .

وتتمثل المصالح الأمريكية في الآتي على سبيل المثال :

- يشكل انتاج شركات البترول الأمريكية ، نسبة ٦٠٪ من اجمالي الانتاج العربي .

- تتركز المصالح الأمريكية البترولية ، أساسا ، في الدول العربية الكبرى المنتجة للبترول (السعودية ، الكويت ، ليبيا) ٠٠ وتمثل تلك المصالح شركات بترول أمريكية أهمها خمس شركات (أسو ، موبيل ، جلفا ، تكساكو ، سوكال) .

- تحقق شركات البترول الأمريكية من البترول العربي ، أرباحا طائلة في مرحلة انتاج الخام (قدرت بنحو ١٦٠٠ مليون دولار) ٠٠ وذلك نظرا لقلّة رأس المال المستثمر في البترول العربي . علاوة على ما تحققه أمريكا من أرباح طائلة من البترول العربي ، في المراحل المتعاقبة بعد مرحلة الانتاج في أوروبا وغيرها .

- يعود جانب كبير من عائدات الحكومات العربية من البترول ومن دخول المواطنين العرب ، الى الدول الغربية وخاصة أمريكا ، على هيئة ودائع ومدخرات في البنوك واستثمارات وأسهم وسندات وخلافه . وتقدر قيمة الودائع العربية في بنوك أمريكا بنحو ١٥ بليون دولار ٠٠ كما

نقدر قيمة الواردات العربية من السلع الأمريكية بنحو ٨٠٠ مليون دولار سنويا .

- نحصل أوروبا الغربية على كامل احتياجاتها البترولية من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، وتحصل اليابان على ٩٠٪ من احتياجاتها من الخليج العربي . وبالتالي فإن صادرات أمريكا من البترول العربي تشكل نسبة كبيرة في حركة تجارة البترول العالمية وفي واردات أوروبا الغربية واليابان .

- يضع الفكر الأوروبي والأمريكي - منذ زمن بعيد - في تخطيطه السياسي والاستراتيجي ، تأمين الاحتياجات البترولية والاعتماد المتزايد على البترول العربي . ومن مظاهر ذلك في أوروبا قيام « السوق الأوروبية المشتركة » في عام ١٩٥٧ .

الوزن الاستراتيجي للمصالح الأمريكية

كانت اتفاقية « الخط الأحمر » في يوليو ١٩٢٨ هي الطريق الذي دخلت منه المصالح الأمريكية الى العالم العربي . وفي تلك الاتفاقية تحددت نسبة هذه المصالح في بترول المنطقة بـ ٢٣٫٧٥٪ .

وتتضمن المنطقة المشمولة بالخط الأحمر : العراق وشبه الجزيرة العربية (عدا الكويت) وفلسطين ولبنان وسوريا .

وحدث - بعدئذ - أن زادت نسبة المصالح الأمريكية ، بتغلغل شركات البترول الأمريكية في عمليات البحث والتنقيب والانتاج في أراضي باقي دول الشرق الأوسط . فاستحوذت الشركات الأمريكية على بترول السعودية ، كما حصلت على نصف بترول الكويت ، ونصيب في البترول الإيراني .

وبعد حرب السويس (عام ١٩٥٦) ، حصلت المصالح الأمريكية على أكثر من ٩٠٪ من البترول الليبي .

هذا وتعتبر أي زيادات في أسعار البترول الخام العالمية ، دعما لصناعة البترول المحلية الأمريكية ذات التكاليف المرتفعة أيضا .

أما من الناحيتين السياسية والعسكرية ، فإن أمريكا ، بتحكمها في موارد البترول العربي ، إنما تسيطر على أهم مصدر ، يستمد منه حلفاؤها

ودول العالم الثالث ، حاجتهم من الطاقة ٠٠ التي تعتمد عليها حياتهم ويتوقف عليها تقدمهم .

وقد أصبحت الزاوية البترولية ، هي الدافع الرئيسى للسلوك الأمريكى ، فى تعامله مع العالم العربى ٠٠ اذ أن القوة الأعظم فى هذا الزمان ، قد بدأت تعاني من مجاعة ، بينما يملأ الخير رحاب أراضيها .

وهذا الجوع وسط الوفرة ، جاء كنتيجة منطقية ، لعدد من الأوضاع المصطنعة التى فرضتها السياسة الأمريكية ، وسخرت العالم لخدمتها .

ولمناقشة نقطة بداية ما وصل اليه موقف الطاقة فى أمريكا ، يتحتم استعراض هيكل مصادر الطاقة الأمريكية ، كما هو الآن والتغيير المتوقع حدوثه فى المستقبل المنظور ، وذلك من واقع التقارير الأمريكية نفسها .

وعلى ضوء المؤشرات الاحصائية (عام ١٩٧٠) ، بلغ معدل استهلاك أمريكا اليومى من الطاقة بأشكالها الخمسة الرئيسية ٠٠ كما يلى :

النسبة المئوية	معدل الاستهلاك	
٤٤ر٦	١٤٧٠٩	الزيت الخام
٣١ر٥	١٠٤١٧	الغاز الطبيعى
١٩ر٧	٦٤٩٧	الفحم
٣ر٧	١٢٤٧	القوى المائية
٠ر٥	١١٠	الطاقة النووية
١٠٠	٣٢٩٨٠	

ومن الواضح أن الزيت الخام والغاز الطبيعى ، يمدان الاقتصاد الأمريكى والحياة اليومية الأمريكية ، بأكثر من ثلاثة أرباع الطاقة اللازمة لها ٠٠ وأخذت الفجوة تتسع بين الانتاج المحلى لهذين الصنفين والطلب عليهما ، مما عرض شعار الأمن القومى الأمريكى للاهتزاز العنيف .

ولو أخذنا بآخر تقديرات تطوير الاستهلاك الأمريكى من الطاقة ، يتضح أن السنوات حتى عام ١٩٨٥ ، سوف تشهد تغييرا كبيرا فى الاستهلاك نسقا وحجما ٠٠ فعلى الرغم من التطوير السريع ، لمحطات الطاقة النووية ، فان استهلاك البترول ، سيمتزايد بمعدلات تفوق معدلات السنوات العشر الأخيرة ، وسيزيد اسهام البترول فى سوق الطاقة الأمريكية من ٤٤ر٦٪ الى ٤٧ر٣٪ .

ويضيف هذا الموقف ، بعدا ثالثا الى أهمية المصالح الأمريكية في العالم العربى ، اذ يجعل وجهة النظر الرسمية الأمريكية ، تتفتح على نقطتين :

- ان اعتماد أمريكا على بترول الشرق الأوسط ، يضع أمنها فى يد دول أخرى ، ويفقدها مكانة القوة الأعظم . . وهذا ما حدث بعد حرب ٦ أكتوبر ، بتكتل الجهد البترولى العربى .

- ان اعتماد أمريكا المطلق على الاستيراد البترولى ، يلحق أضرار بميزان مدفوعاتها .

وعليه تكون نتائج الحرب الأمريكية الاسرائيلية على العالم العربى ، تحت رحمة سلاح البترول العربى .

وبعد حرب ٦ أكتوبر . . أدركت اسرائيل تماما ، أن التطورات الجارية فى أوضاع سياسة الطاقة الأمريكية ، قد قلصت الزمن المتاح لاستمرار العنف الأمريكى . . ومن هنا يمكن تفسير موقف السلوك الاسرائيلى الحالى ، والذي يتميز بالعصبية والتشنج فى مواجهة الصمود المصرى . اذ أن موجة المد فى التأييد الأمريكى تقترب الآن من ذروتها ، ولا بد أن تبدأ فى الانحسار بعد حرب ٦ أكتوبر ، ومع موقف المقاطعة البترولية العربية . . وسيتطور الخطر مضاعفا ، عندما يدب اليأس فى قلب سياسة اسرائيل من تحقيق أهدافهم ، مع مرور الأشهر القادمة . . خصوصا وتقدر الدوائر الأمريكية المختصة أن صادرات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الى أمريكا سترتفع من ٢٥٠٠٠٠ برميل فى اليوم (١٢٥ مليون طن) عام ١٩٧٠ ، الى ما لا يقل عن ١٠ ملايين برميل فى اليوم (٥٠٠ مليون طن) عام ١٩٨٥ . هذا وسينخفض الانتاج المحلى الأمريكى خلال هذه الفترة من ١١٣٣ مليون برميل فى اليوم عام ١٩٧٠ الى ١١١ فى اليوم عام ١٩٨٥ بما فى ذلك انتاج « ألاسكا » .

هذا بجانب استيراد أمريكا المتزايد من الغاز الطبيعى ، اذ سترتفع حاجات أمريكا من هذه المادة بسرعة من (٦٤٥ مليار متر مكعب) عام ١٩٧٠ الى (١١٠٠ مليار متر مكعب) عام ١٩٨٥ . أى أن هناك عجزا قدره (٤٩٠ مليار متر مكعب) .

وقد بدأت أمريكا بعقد صفقات طويلة الأجل لشراء الغاز الطبيعي العربي تم منها حتى الآن عدة صفقات ، مع الجزائر مجموعها (٢٧ مليار متر مكعب) في السنة ٠٠ ومن المنتظر عقد صفقات أخرى مع الجزائر وغيرها من الدول العربية لمواجهة العجز الأمريكي .

هذا وقد أعلن « جيمس أكينز » مدير دائرة الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية ، في محاضرة ألقاها (٢٩ يونيو ٧٢) بجامعة « جورج تاون » بواشنطن : « ان الطاقة الانتاجية غير المستعملة في حقول البترول الأمريكية ، قد أصبحت شبه معدومة الآن ٠٠ ولم يعد باستطاعة أمريكا أن تساعد حليقاتها الغربية ، وتمدها بالبترول ، في حال انقطاع البترول العربي عنها » .

لقد أخذت احتياجات أمريكا للطاقة تزداد بشدة ، ويعتقد كثير من الخبراء ، أن ذلك سوف يجعل أمريكا - للمرة الأولى في التاريخ - تعتمد الى حد كبير ، على البترول العربي لتأمين حاجات استهلاكها المحلي المتزايد .

وتثير هذه الاحتياجات المتزايدة من واردات البترول الى أمريكا ، الشكوك حول مدى قدرة هذه الدولة (أمريكا) ، على انتهاج سياسة خارجية مستقلة . كما يشكل الاعتماد على الشرق الأوسط (الذي يمتلك نحو ثلاثة أرباع احتياطي البترول المعروف في العالم ، بينما يبلغ احتياطي أمريكا ١٦٪) ضرورة إعادة تخطيط علاقات أمريكا مع دول منطقة الشرق الأوسط .

أما اذا استغنت أمريكا (عام ١٩٨٠) عن استيراد كميات كبيرة من بترول الشرق الأوسط ، اعتمادا على ما لديها من مخزون احتياطي وعلى بترول ولاية آلاسكا الذي اكتشف أخيرا ٠٠ فان ذلك سيكون على حساب تكاليف كبيرة للاقتصاد القومي الأمريكي .

الأهمية الاستراتيجية للبترول العربي

للبنترول العربي ميزاته وخصائصه الفريدة واقتصادياته النسبية ، وله قدرة عالمية في الانتاج ٠٠ اذ أن الدول العربية وحدها ، تنتج حوالى (١٠ ملايين برميل) يوميا ، بينما تنتج أمريكا (٩ ملايين برميل) يوميا ، وتنتج الكتلة الشرقية (٦ ملايين برميل) يوميا ٠٠ وهذا الانتاج العربي لا يمثل سوى ١٥٪ من مخزون البترول في الأراضي العربية ،

مما يجعل الدول العربية ، تستمر في انتاجها للبترول ، اعتمادا على هذا المخزون الضخم ، الذى يمثل ثلاثة أرباع الاحتياطي العالمى لفترة ٧٠ سنة أخرى قادمة هذا عدا ما يستجد من اكتشافات بترولية عربية جديدة .

ويتميز البترول العربى . . بوفرة الانتاج ، اذ أن أضعف الآبار انتاجا فى العالم العربى ، تفوق فى المتوسط ، انتاج أحسن الآبار فى مختلف مناطق البترول فى العالم . . كما يتميز بانخفاض تكلفة الانتاج ، سواء بالنسبة لمقدار الاستثمارات اللازمة للانتاج ، أو بالنسبة لتكاليف التشغيل .

وبجانب غزارة الانتاج وانخفاض تكلفته ، تستهلك البلاد العربية المنتجة له ، كميات قليلة . . بمعنى أن الفائض منه للتصدير أصبح كبيرا جدا ، مما جعل البترول العربى ، من أكبر السلع المتداولة فى التجارة الدولية .

وفضلا عن القدرة العالمية لانتاج البترول العربى فان الموقف يتحول لصالح الدول العربية . . ذلك لأن دول غرب أوروبا قد زاد استهلاكها عن طاقاتها الانتاجية من البترول . . كما أن روسيا ، على الرغم من أن لديها احتياطيات هائلة من البترول ، الا أن أغلبها موجود فى مناطق بعيدة فى سيبيريا ، كما أن انتاجها من البترول لا يكفى احتياجات حلفائها فى حلف وارسو ، بل ان روسيا قد بدأت بالفعل منذ (عام ١٩٧٢) فى استيراد البترول العربى من سوريا والعراق .

وينتاب الخوف الدوائر الأوروبية والأمريكية المستهلكة للبترول العربى ، والذى مبعثه المركز المتميز الذى يكتسبه بترول الشرق الأوسط والعالم العربى . . وكذلك الاعتماد المتزايد من جانب أمريكا والعالم الغربى على هذا البترول .

ويشكل البترول العربى ، موردا ماليا حيويا للاقتصاد الغربى ، وينشأ هذا المورد من مصادر مختلفة . . منها :

- أرباح الشركات العاملة فى الدول العربية . . وتقدر هذه الأرباح فى مرحلة الانتاج ب (٤ مليارات دولار) عام ١٩٧١ ، مضافا اليها أرباح النقل والتكرير والتوزيع .

- الرسوم والضرائب التى تستوفىها حكومات الدول المستوردة ، على البترول العربى المستهلك عندها . . وتقدر هذه الضرائب والرسوم

في دول أوروبا الغربية بـ ٧٥ أضعاف عائدات الدول العربية من تصديرها للبترول الخام .

— يقدر حاليا مجموع رؤوس الأموال الحكومية العربية الموظفة في الدول الغربية بـ ٧ - ٨ مليارات دولار .

بـ ان زيادة استهلاك البترول العربي في الدول الصناعية . يرافقها نمو سريع في صناعات التكرير والبتروكيماويات ، وغيرها من الصناعات والنشاطات الاقتصادية ، المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالقطاع البترولي . لذلك فان دور البترول العربي في اقتصاد الدول الصناعية لا يقتصر على كونه مصدرا من أهم مصادر الطاقة ، بل يتعدى ذلك الى كونه عاملا رئيسيا من عوامل التقدم الصناعي والانماء الاقتصادي العربي .

وعلى ضوء هذه الحقائق ، يتضح أن البترول سيظل الى أمد طويل ، محور العلاقات الاقتصادية والسياسية بين العرب والغرب . وأصبح في امكان العرب ، أن يؤثروا بكل ثقلهم على العلاقات الدولية . وأن يستفيدوا من وضعهم التفاوضي الممتاز ، الذي تمنحهم اياه سيطرتهم على هذه الثروة البترولية الضخمة . في أن يفرضوا حقوقهم المشروعة في حوارهم مع الدول الغربية بشأن النزاع العربي الاسرائيلي . وفي الضغط على الدول التي تساند اسرائيل ، خاصة أمريكا التي تحصل على أكثر من (٢٥ مليار دولار) أرباحا سنوية من استغلال البترول العربي ، وتقدم جزءا كبيرا من هذه الأرباح على شكل معونات عسكرية ومالية واقتصادية لاسرائيل .

الصهيونية والبترول العربي

يتجسم الخطر الصهيوني المباشر على البترول العربي ، في تغلغل الرأسمال الصهيوني في الشركات البترولية الأجنبية العاملة في الوطن العربي ، وفي افلات اسرائيل من شبكة المقاطعة العربية وامتداد سيطرتها الى منشآت البترول العربي .

ومن المعروف أن المؤسسات المالية اليهودية ، الموالية لاسرائيل ، تمكنت من شراء كثير من أسهم الشركات البترولية الغربية التي تعمل في قطاع البترول العربي ، كما أن بعضها الآخر يساهم في تمويل هذه

الشركات بقروض بعيدة الأجل • وعلى رأس هذه المؤسسات اليهودية ،
المصارف وشركات التمويل التي تسيطر عليها عائلة « روتشيلد »
اليهودية الصهيونية (١) •

ويذكر « جان بوفيه » أستاذ التاريخ في جامعة « ليل » الفرنسية
في كتابه عن « عائلة روتشيلد » •• ان شراء هذه العائلة لأسهم الشركات
البتروولية العاملة في البلاد العربية ، يتم أحيانا بصورة مباشرة وأحيانا
أخرى بصورة مستترة • عن طريق شركات التمويل التابعة لهذه العائلة
وأهمها « الشركات الفرنسية للتمويلات البتروولية » • كما ساهمت عائلة
روتشيلد • في تمويل خط الأنابيب الاسرائيلي بين مينائى ايلات وحيفا •

ونمة مؤسسات يهودية أخرى وثيقة الصلة باسرائيل تملك
مساهمات مالية في استثمار البترول العربى ومنها « مؤسسة صموئيل »
و « مؤسسة لازار اخوان » •

وقد تمكنت اسرائيل من التغلب على مصاعب المقاطعة العربية ،
بوسائل لا يمكن للدول العربية أن تؤثر فيها •• فاسرائيل تستورد خام
البترول من فنزويلا وايران واندونيسيا (وهم أعضاء فى منظمة الدول
المصدرة للبترول التى تضم ٧ دول عربية) •• كما أن بعض
الشركات الأجنبية المستثمرة للبترول العربى ومنها شركة « شل » قد
وقعت عقودا طويلة المدى مع اسرائيل لتزويدها بالبترول الخام •

(١) من دراسته أعدها الخبير البترولى « الدكتور نقولا سركيس » بعنوان البترول فى
ميزان القوى بين العرب واسرائيل •

وبعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، استولت اسرائيل على آبار البترول في شبه جزيرة سيناء ، واستغلتها بمعدل (٦ ملايين طن) في السنة .
ولاسرائيل خط أنابيب سعة (٦٠ مليون طن) في السنة ، لنقل البترول من ايلات الى ميناء عسقلان على البحر الأبيض المتوسط . . . وقد حصلت اسرائيل على ضمانات الشركات الأجنبية لاستعمال هذا الخط ، ولو جزئيا ، محل قناة السويس . وهذا يعنى أن اسرائيل ستجنى فوائد اقتصادية وسياسية طائلة بالإضافة الى أرباح النقل التى حرمت منها الدول العربية . . . هذا بجانب استفادة اسرائيل من البترول (الايرانى) لتطوير صناعة التكرير والبتروكيماويات ، التى سجلت فى اسرائيل تقدما سريعا ، رغم أمكانيات اسرائيل الضيفة .

وتذكر مجلة « النيوزويك » الأمريكية (فبراير ١٩٧٣) أن « موسى ديان » وزير الدفاع الاسرائيلى السابق ، كان سباقا الى تقدير حجم تهديد البترول العربى ، على أمن اسرائيل . . . فى اجتماع بالقدس ، مع مجموعة من اليهود الأمريكيين الرأسماليين البارزين ، سألوا « ديان » بصراحة ، عما اذا كان يخشى من أزمة الطاقة المنتشرة فى العالم وتعطش أمريكا المتزايد للبترول ، الذى قد يدفعها الى الارتقاء بين أذرع أعداء اسرائيل الأغنياء بالبترول . . . فأجاب « ديان » بجفاء قائلا :

« انى أفكر كثيرا جدا فى أمريكا ، لاعتقادى أنها تضغط على سياستها الخارجية ، لامتلاك بعض الملوك العرب للبترول » .

وقد قلل هذا التهكم - بعض الشيء - من متانة العلاقات التقليدية الأمريكية الاسرائيلية .

فهل ستتصبح أمريكا فى النهاية ، مجبرة على أسلوب أكثر ليونة مع العرب ، حتى ولو كان فى ذلك الاسراع فى تسوية ، للنزاع العربى الاسرائيلى بشروط فى غير صالح اليهود ؟ . . . لقد سلمت بعض الجهات الحكومية الاسرائيلية بهذا الاحتمال قائلة . . . « انها وجهة نظر لا يمكن استبعادها » .

ويعلن أحد خبراء اسرائيل قائلا . . . « نحن حقيقة ننتظر لنرى ما الذى ينوى أن يفعله الرئيس نيكسون حيال المشكلة » .

حقائق عن البترول

ولابد من إبراز بعض الحقائق عن البترول (١) والتي سوف تسرى على مدى العشر السنوات القادمة . وتشمل هذه الحقائق :

- تستهلك الدول الصناعية . . أمريكا وأوروبا الغربية واليابان معا . . حوالى (٨٠ ٪) من الطاقة فى العالم . . ومن المحتمل أن تتزايد هذه النسبة حتى عام ١٩٨٥ . اذ سوف لا يقل اعتماد هذه الدول عن (٥٠ ٪) من مطالب طاقتها على البترول ، عدا اليابان اذ يتوقع أن تزيد النسبة الى (٨٥ ٪) .
- تستخدم الدول الصناعية ، حوالى (٨٠ ٪) من انتاج البترول اليومى العالمى ، والذي يبلغ (٤٣ مليون برميل) . وسيزيد هذا الرقم ليصبح (١٠٠ مليون برميل) عام ١٩٨٥ .
- تعتمد هذه الاقتصاديات الصناعية ، على البترول المستورد لتحقيق مطالبها . . وتعتمد اليابان وأوروبا على واردات البترول ، بينما تكتفى أمريكا باستيراد (٢٥ ٪) فقط ، من احتياجاتها البترولية .
- بالنسبة لروسيا . . يقدر اجمالى رأس المال اللازم لمقابلة مطالب البترول حتى عام ١٩٨٥ ، بحوالى ٤٠٠ مليون دولار .
- فى عام ١٩٨٥ ، ستعتمد اليابان ودول أوروبا الغربية تماما على البترول المستورد . . وسيبلغ ما قد تستورده أمريكا حوالى (١٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يعادل الانتاج الحالى لبترول الشرق الأوسط .
- تملك الدول الأعضاء فى منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » حاليا نحو (٨٥ ٪) من احتياجات العالم من البترول الخام (عدا روسيا) . وحتى عام ١٩٨٥ ، سيبقى امتلاك هذه الدول لمعظم احتياطي البترول فى العالم .
- من كل الاحتياطي (المؤكد) العالمى الضخم من البترول (٥٥٠ بليون برميل) ، وجد (٩ ٪) فى أمريكا الشمالية - (٥ ٪) فى أمريكا اللاتينية (٩ ٪) فى أفريقيا - (١٢ ٪) فى دول الكتلة الشرقية -

(١) عن مجلة « سيرفايفال » يناير ١٩٧٣ .

(٦٢٪) من احتياطي بترول العالم المؤكد لدى دول الشرق الأوسط بمفردها .

- بالنسبة لروسيا . . كأحد أعضاء مجموعة الدول الصناعية الكبرى فان لديها اعتبارات تتعلق بنوع وسعر وصلاحية وامكانية الحصول على البترول من احتياطات بترولها المحلي . . مما يجعل روسيا تستكمل احتياجاتها البترولية من المصادر الأجنبية .

وقرب روسيا من احتياطي بترول الشرق الأوسط ، يعطيها مميزات جغرافية وسياسية خاصة ، تميزها عن باقي الدول الصناعية الأخرى .

- ان جميع دول العالم الصناعية ، سوف تعتمد باستمرار على الشرق الأوسط ومنطقة الخليج ، بصفتها من أهم وأكبر مصادر البترول . وفي حالة فقد الثقة في استمرار توفير البترول اللازم ، سوف تلجأ الدول الصناعية الى بدائل أخرى مفتوحة لديها ، لضمان حصولها على هذا الخام الحيوى . وثمة منافسة بين ايران والعراق والكويت والسعودية ، قد تأخذ أبعادا جديدة عند اللزوم .

- حتى الآن لم تبدأ الدول الصناعية الكبرى ، فى تنفيذ برامج اكتشاف مصادر الطاقة الجديدة ، التى سيستغرق اكتشافها سنوات من الجهد المضى ويحتاج الى مبالغ ضخمة ، قبل أن تظهر أية نتائج ، يتوقع الحصول عليها قبل من ١٠ الى ١٥ سنة . وفى خلال هذه السنوات ، سيزداد الاعتماد الرئيسى على بترول الشرق الأوسط .

- من قبل كان اهتمام أمريكا الاستراتيجية ببترول منطقة الشرق الأوسط مبنيا على ضمان استمرار تدفقه الى أوروبا واليابان . . أما مستقبلا ، فان أمريكا ذاتها ، ستحتاج الى ضمان وصوله اليها هى الأخرى مباشرة .

- يحتمل أن تصبح روسيا ، فى خلال العشر السنوات القادمة ، منبعاً رئيسياً للغاز الطبيعى . . وبذلك تصبح مصدراً هاماً للطاقة بجانب أن روسيا ستحتاج الى بترول الشرق الأوسط لاستكمال احتياجاتها البترولية . . أى أنها ستدخل فى منافسة الامداد بالبترول مع أوروبا وأمريكا واليابان .

الاستنزاف الاستراتيجي للبتروول العربى

فى صناعة البترول ، يقصد بالاستنزاف الاستراتيجى ، تطبيق سياسات انتاجية أو تصديرية أو استثمارية للعائدات ، قد لا يترتب عليها مضار فنية أو اقتصادية ، بل ربما تحقق مكاسب مؤكدة على المدى القريب . . الا أنها تضر بالأهداف القومية العليا ، أو بمصالح الأجيال المقبلة على المدى البعيد .

ويختلف ذلك عن الاستنزاف الاقتصادى ، الذى قد يتخذ شكل زيادة المعروض من مجموعة دول ، عن حاجة الاستهلاك فى أسواقها الرئيسية . . مما يؤدى الى تعرض الأسعار للهبوط . وقد يلجأ المنتج الى تسويق البترول بأسعار منخفضة عن الأسعار السائدة ، بغية فتح أسواق جديدة .

هذا وقد وضعت منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » . خططا لتقنين الانتاج وتنظيم الزيادة السنوية منه بين أعضائها ، كوسيلة لوقف تدهور أسعار التصدير .

ويتعلق الاستنزاف الاستراتيجى للبترول ، بالأهداف القومية العليا للدولة . . فقد تطبق الدولة ، سياسة انتاجية ، تستهدف زيادة الانتاج بمعدلات لا تحدث استنزافا فنيا للبترول المخزون فى باطن الأرض ، وتحقق بذلك عائدات بترولية أكبر ، وتتيح تدفقات نقدية أسرع ، مما لو أنتج البترول على عدد أطول من السنين .

ولكن كيف توجه هذه العائدات ؟ . . هل تستثمر فى التنمية القومية الشاملة لصالح الأجيال الحاضرة والمستقبلية ؟ . . أو نودعها فى بنوك غير عربية ندعم بها تقدم غيرنا مقابل فوائد تلك البنوك ؟ . . وبذلك يكون التصرف الأخير « استنزافا استراتيجيا » .

واذا كانت العائدات الزائدة ، تجد مجالا للاستثمار القومى ، أليس من الأفضل الإبقاء على هذا البترول فى باطن الأرض ، حتى تتاح لعائداته فرصة الاستثمار فى الأجيال القادمة ؟ . .

واذا كان الدخل القومى ، فى كثير من الدول العربية المصدرة للبترول ، يعتمد على البترول بنسبة تزيد عن (٧٥ ٪) . . وإذا كان عمر الاحتياطي المخزون من البترول فى هذه الدول محدودا بسنوات قليلة . . فماذا يبقى للأجيال ؟ . .

لقد تعرض البترول العربى للنهب سنوات طويلة ، ويعتبر ذلك خسارة استراتيجية ، يجب على العرب أن يعملوا على تلافيها ، بتنويع مصادر احتياجاتهم من السلع وتنويع أسواقهم .. وبذلك يكون العرب قد حققوا هدفا استراتيجيا حيويا .

وقد لجأت الدول العربية ، الى تنظيم انتاج البترول ، محافظة منها على الثروة البترولية .. على أساس :

- أهداف قريبة .. لتحقيق موازنة العرض فى الأسواق بالطلب وحاجة الاستهلاك .

- أهداف بعيدة (استراتيجية) .. تتضمن المحافظة على المواد بصورة فعالة ، لاتاحة الفرصة للأجيال القادمة ، للاستفادة بدورهم ، من موارد بلادهم الطبيعية .

وقف الاستنزاف

ومن أهم أمثلة الاستنزاف الاستراتيجى الحاد ، الذى يتعرض له البترول العربى .. ما يلى :

- تزايد الانتاج من بعض الدول العربية ، بمعدلات كبيرة على حساب عمر الاحتياطى وصالح الأجيال المقبلة .

- تزايد حجم المخزون السلعى البترولى فى أوروبا وأمريكا لمدة تزيد عن ٩٠ يوما فى بعض الحالات وعن ستة أشهر فى حالات أخرى .. لمواجهة احتمالات توقف الضخ من منطقة الشرق الأوسط . وكذلك المخططات التى تنفذها أمريكا ، لاعادة تخزين البترول المستورد فى باطن الأرض لديها كمخزون استراتيجى .

- التلويح من جانب أمريكا واسرائيل بالسيطرة العسكرية المباشرة على منابع البترول العربى .

- الترحيب الذى تبديه بعض الدوائر الغربية ، بسياسة منظمة «أوبيك» فى زيادة الأسعار .

- الحديث عن أزمة الطاقة ، وتكتل الدول المستهلكة للبترول ، لتغطية الاستنزاف الاستراتيجى .

ومن أجل القضاء على هذا الاستنزاف ، تطلب الأمر تحديد الأهداف الاستراتيجية البترولية العربية بوضوح . . فانعقد بالجزائر مؤتمر البترول العربي الثامن (٢٨ مايو - ٣ يونيو ١٩٧٢) .

وكان من أهم قراراته ، ما جاء بالتوصية الرابعة ، التي تدعو الدول العربية المنتجة للبترول ، لوقف جميع أنواع الاستنزاف ، التي يتعرض لها البترول العربي . . وتنص هذه التوصية على :

« ان الاستنزاف السريع ، الذي مارسته شركات البترول الدولية لموارد البترول العربي على امتداد السنين - ولا سيما في السنوات الأخيرة - بما يخالف الأصول الهندسية والفنية والعلمية . . ودون مراعاة للأمانة الواجبة نحو البلاد العربية ، التي عهدت الى الشركات المذكورة باستغلال ثرواتها ، أصبح يشكل خطرا شديدا على مستقبل الشعوب العربية ومصالح أجيالها المقبلة » .

وفي مواجهة هذا الموقف الخطير ، أوصى المؤتمر بما يلي :

أولا : أن تبادر حكومات البلاد العربية ، لتقييم حالة مكامن البترول ، والتأكد من سلامة معدلات الانتاج ، تمشيا مع الطاقات الحقيقية لتلك المكامن ، ومع أفضل المعدلات المكتملة ، حسبما تقدره الدول المنتجة المعنية .

ثانيا : أن تبادر الدول العربية المنتجة ، الى اتخاذ كافة الوسائل الكفيلة بتحقيق الاستفادة القصوى من الغاز الطبيعي المرافق للبترول .

أهمية البترول الصناعية

وتنبثق عن البترول أثناء مراحل تكريره ، أنواع من الزيوت الخفيفة ، التي استطاع العلماء ترويضها وتحويلها الى مركبات ذات جزئيات عملاقة ، منها تشتق الغازات المختلفة . . ومن أهمها : -

- غاز الوقود . . المستخدم في الطهي ، وهو الغاز الطبيعي الخفيف الناتج عن عملية التكرير .

- البترول . . الذي كان من المنتجات الفرعية قبل عصر السيارة . أما الآن ، فهو يؤلف الجانب الرئيسي من مبيعات شركات البترول .

- وقود الطائرات النفثاة . . فقد أخذ الكيوسين يسترد أهميته بوصفه العنصر القاعدى فى وقود النفثات الحديثة .
 - وقود الديزل . . خاصة عندما أصبحت محركات الديزل أهم وسائل حركة القطارات . . كما أن زيت الديزل يستخدم فى النقل البحرى والبرى .
 - زيوت المواقد . . زاد استهلاكها المتدفئة المنزلية . . والخفيف من زيوت المواقد يماثل زيوت المحركات النفثاة .
 - المزلقات والمترسبات . . اذ يتحول واحد فى المائة تقريبا من الحام الى زيت تزليق ثقيل ، كما تشمل المترسبات ، زيت الوقود الثقيل والأسفلت والقطران . . وغيرها .
 - أصناف البنزين العالية الأوكتين .
 - المنتجات البتروكيماوية الفرعية . . كالمداخن والأنسجة الصناعية .
- وتعتبر الصناعة البتروكيماوية ، من أعظم ما حققه العلم لصالح البشرية فى العصر الحديث ، وأصبحت منتجاتها تمثل البدائل عن كثير من المنتجات الطبيعية . . فهناك المطاط الصناعى ، والألياف الصناعية ، ومواد البلاستيك المتنوعة ، والمنظفات الصناعية ، والنايلون وغيرها ، حيث قد ظهرت امكانيات هائلة فى انتاج العديد من الكيماويات التى يربو عددها الآن على ٥٠٠٠ منتج .
- ويهدف العلماء الى أن تواصل الصناعة البتروكيماوية تقدمها ، بحيث تتفوق على الصناعتين البترولية والكيماوية .
- وتتقدم أمريكا ، وغيرها من الدول ، فى مجال الصناعة البتروكيماوية اذ أنها تضم أكثر من (٥٨٠ مصنعا) بتروكيماويا . وتستهلك هذه الصناعة (٤٪) من اجمالى استهلاك أمريكا من البترول .

سلاح البترول

يعتبر البترول سلاحا هاما ومؤثرا فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل وفى علاقاتنا الاقتصادية والسياسية مع الدول الغربية وشركاتها البترولية .

وخطه تصدير المواد الاستراتيجية ، والتى يعتبر البترول من

أهمها ، هي تدبير تلجأ اليه سائر دول العالم في أوقات الحرب والسلام على السواء . . . وثمة أمثلة لذلك ، تتضح في :

– المقاطعة التي فرضتها أمريكا – في الماضي – على التجارة مع كوبا والصين .

– الحظر الذي فرضته ألمانيا الغربية (عام ١٩٦٢) على تصدير أنابيب البترول الى روسيا .

– الحصار الذي فرض على تموين روديسيا بالبترول .

ومن البديهي ، أن الدول العربية لا تقل عن غيرها من الدول ، باستعمال مثل هذا السلاح ، الذي يسد طريق البترول العربي ، في وجه الدول التي تساند إسرائيل وتحرضها على العدوان ، على الرغم من أن هذه الدول ، هي نفسها التي استنزفت الجزء الأكبر من ثروات البترول العربية وتستغل الأرصدة العربية وعائدات البترول العربية ، لدعم اقتصادها ، والمحافظة على ثبات وقوة عملاتها الوطنية .

المقاطعة البترولية العربية

وتعتبر المقاطعة إحدى وسائل الردع ، التي تستخدم للضغط على الدول المعادية أو التي تساند الأعداء . . . بشرط أن تنفذ المقاطعة بعزم وجدية وصمود .

هذا ولا بد أن تقترن المقاطعة ، بسياسة عربية متماسكة ، مبنية على تكييف علاقاتنا البترولية بالغرب ، على ضوء الخطر الصهيوني ، وعلى أساس موقف الدول الغربية من النزاع العربي الإسرائيلي ، مع الاستفادة من القوة التفاوضية الهائلة التي يحتفظ بها العرب بالنسبة الى سيطرتهم على ثلثي احتياطي البترول العالمي .

وفي عام ١٩٤٨ . . . قررت الحكومات العربية ، أن تحرم الدول – التي ساعدت على قيام الكيان الصهيوني . . . من البترول العربي . ولكن بسبب تراجع إحدى الدول عن التنفيذ ، لم ينفذ القرار على الرغم من احتدام القتال على أرض فلسطين .

وفي عام ١٩٥٦ . . . تم قطع البترول فعلا ، وعانت أوروبا شهورا من الحرمان البترولي العربي ، ولكن كان ذلك بقرار من العمال العرب وليس من الحكومات .



عودة عربات الخيل الى أوروبا

- وفى عام ١٩٦٧ .. حاول العمال العرب قطع تدفق البترول
- ولكن لم يدم ذلك طويلا ، بل تم اعدام بعض العمال فى احدى الدول
- وفى أكتوبر ١٩٧٣ .. وعلى مستوى الحكومات وجميع الشعوب العربية تنفذ قرار القطع بالاجماع العربى ، بدقة وشكل تعدى الشعارات والتصريحات الكلامية ، الى اتحاد الكلمة والتنفيذ الايجابى المحكم .

فقد قرر وزراء البترول العرب فى (١٧ أكتوبر ١٩٧٣) خفض الانتاج البترولى فورا بحد أدنى ٥٪ ، تزداد بنسبة ٥٪ أخرى كل شهر ، الى أن يتم الانسحاب من الأراضي العربية التى احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطينى . وتقرر أن يطبق هذا الحظر فى المقام الأول على أمريكا (١) وعلى الدول التى تساند اسرائيل ،

(١) بدراسة بعض خبراء البترول ، ما نشر عن أساليب وقف الضخ ، اتضح أن هناك لغتين فى هذه الأساليب ، نفذ منهما البترول الى أمريكا .. (الأولى) عن طريق جزر « الباهاما » و « أمريكا الوسطى » . اذ أنهما لم ينقطع عنهما البترول . ومن المحتمل جدا أن يحولاه الى أمريكا لعلاقتها بها . ومصدر البترول لهما ليبيا والسعودية . (الثانية) عن طريق شركاء بعض الشركات الكبرى ، الذين مازالوا يتسلمون حصصهم البترولية . فلعل الدول البترولية العربية ، تدقق فى أساليبها ، لاحكام الطوق على أى دولة ترعى اسرائيل وتدعم مخططاتها .

على أن تمنح الدول الصديقة للعرب معاملة خاصة ، تمكّنها من الحصول على نصيبها من البترول العربي .

ثم تطورت المقاطعة ، بأن قرر المجلس الوزاري للدول العربية المصدرة للبترول ، تخفيض انتاج البترول بنسبة ٢٥٪ ، من أساس معدل الانتاج في شهر سبتمبر ١٩٧٣ . وكان المجلس قد قرر تصنيف الدول بالنسبة لتصدير البترول العربي ، الى ثلاثة أصناف :

- الدول الصديقة للعرب .
- الدول التي لها علاقات بإسرائيل .
- الدول التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل .

كما قرر المجلس ، الحرص على الا يتأثر حجم امدادات البترول العربي ، التي تصدر الى الدول الصديقة ، عما كان عليه قبل البدء بخفض الانتاج .

ثم قررت المملكة العربية السعودية وليبيا والكويت وأبو ظبي ، قطع البترول نهائيا عن أمريكا وهولندا .

وبذلك يكون العرب قد استخدموا ، سلاح البترول بأسلوب علمي فعال . . بل وأصبح من الضروري ، استخدام أسلحة الحرب الاقتصادية العربية الأخرى بنفس الأسلوب الذي اتبع في البترول . . وذلك لأن أمريكا :

- تصدر للدول العربية من مختلف السلع والبضائع ، ما قيمته ألف مليون دولار سنويا . . ولو قاطع العرب البضائع الأمريكية ، لسبب ذلك عجزا كبيرا في ميزان المدفوعات الأمريكي .

- تحصل على (٢٢٪) من أجمالي دخلها ، من استثمارات في العالم العربي . . وأنهاء هذه الاستثمارات ، يعني انهيارا جديدا في قيمة الدولار بجانب انهيار آخر في ميزان المدفوعات الأمريكي .

هذا وترى أمريكا ، أن ابقاء عائدات البترول لدى العرب ، كاف لايقاع الضرر بالاقتصاد الأمريكي . وقد شنت جريدة « نيويورك تايمز » حملة على دول الشرق الأوسط المصدرة للبترول ، تدعو فيها الى ضرورة

استخدام هذه العائدات (بلغت ٩ بلايين دولار في ١٩٧٣/٧٢ ، وستبلغ حوالى ٥٠ بليون دولار عام ١٩٨٠) لاصلاح مركز الدولار المتدهور .
الا أن الدول العربية المصدرة للبتروول قد رفضت ذلك .

ولعل الخسائر المتتالية ، التى تعرضت لها مدخسرات الدول العربية (١) على أثر تخفيض سعر الدولار ، تدعوها الى اعادة النظر فى النظام النقدى ، الذى تتعامل به فى تجارتها الخارجية ، وتدفعها الى تبني فكرة تحقيق وحدة نقدية عربية ، أى استخدام دينار عربى كوحدة نقدية عربية ودولية .

وعندما قطع العرب بترولهم عن أمريكا ، فقد أثروا على : -

- قوتها الدفاعية بالنسبة لأساطيلها (الأسطول السادس الذى كان يشترك فى المعركة ضد العرب مباشرة) وأحلافها (كحلف شمال الأطلنطى) .

- أصبح الأمريكى يدفع ضعف ما كان يدفعه ثمننا للبتروول .

- أصبح من المألوف أن ترى مئات من محطات البترول فى أمريكا وقد أغلقت أبوابها .

- تقييد الاضاءة والاعلانات المضئية .

- قامت شركات الطيران الأمريكية ، بتخفيض عدد رحلاتها بنسبة كبيرة ، لتخفيض أستهلاك البترول .

هذا وقد بدأت الاعلانات تظهر فى التليفزيون والصحف الأمريكية :

*** لا تسرع وأنت تقود سيارتك ولا تستعمل الآلات الكهربائية كثيرا .**

*** لا تأخذ حماما كل يوم ، لئلا تستهلك مزيدا من القوة الكهربائية .**

(١) قدرت خسائر الكويت بنحو ٢٠٠ - ٥٠٠ مليون دولار ، وليبيا بحوالى ١٥٠ مليون دولار . وقياسيا على ذلك يمكن تقدير قيمة الخسائر (غير المعلومة) التى لحقت بمداخرات باقى الدول العربية .

أما الموقف العربى تجاه هولندا

تستورد هولندا حوالى ١٣٠ مليون طن من البترول سنوياً ،
مها ٩٤٪ من البترول العربى ، ومن هذه الكميات ، تقوم هولندا
بإعادة تصدير حوالى ٨٠٪ . لذلك فإن قرار قطع البترول العربى عن
هولندا ، كان ضروريا لتمكين العرب من التحكم فى تنفيذ القرارات
الخاصة بدول أخرى ، بالإضافة الى موقف هولندا المؤيد لإسرائيل .

وكانت أمريكا قد أخذت تؤلب دول أوروبا واليابان (باعتبارهما
من كبريات المناطق المستهلكة للبترول العربى) على المنطقة العربية التى
يمكن أن تتحكم فى اقتصاديات الدول الغربية ، عن طريق التحكم فى ضخ
البترول وتحديد الكميات المنتجة منه .

بل أن أمريكا قد دعت الى تكوين حلف « أمريكى - أوروبى -
يابانى » ، لوضع سياسة مشتركة ، تهدف الى حماية مصالح الدول
المستوردة للبترول والوقوف فى وجه أى إجراء تتخذه الدول المنتجة
للبنترول ، سواء بوقف ضخ البترول أو تخفيض الكميات المنتجة منه ،
أو فى حالة رفض قبول الدفع بالدولار ثمناً للبترول ، أو أن تسحب
الدول العربية أرصدها من البنوك الأمريكية .

ولعل غرض أمريكا من هذا الحلف المقترح ، هى خوفها من أن
يستمر تعامل الدول العربية من أوروبا واليابان . فتصبح بذلك
المقاطعة خاصة بأمريكا وحدها .

ومن المؤكد أن هناك شيئاً واحداً ، هو أن شهية أمريكا للطاقة ،
تتزايد بنسبة هائلة ، فى الوقت الذى لم يتمكن إنتاجها المحلى من أن يفى
باحتياجاتها . وهذه هى أزمة أمريكا .

تحذير للسياسة الأمريكية

أبلغ الدكتور « ماير » (المدير المساعد لمركز هارفارد لدراسات
الشرق الأوسط) الكونجرس الأمريكى . بالآتى :

— أن الكثيرين من الزعماء العرب ، وخاصة الذين يخططون منهم
للسياسة البترولية ، يعتقدون أن تأييد أمريكا لإسرائيل ، سوف
يهدد وصول أمريكا الى بترول وغاز الشرق الأوسط فى المستقبل .

- ان انقطاع تدفق البترول والغاز من الشرق الأوسط ، لأسباب سياسية وعسكرية ، هو عامل قد يؤدي الى أزمة طاقة في أمريكا .
- ما لم تكن أمريكا مستعدة لدفع نفقات خيالية لحلول بديلة للطاقة ، فانها ستعتمد بصورة متزايدة على الدول العربية ، من أجل حاجتها من البترول والغاز الطبيعي .
- وبالنسبة الى سياسة العرب وواضعى السياسة البترولية العربية ، فانهم يعتبرون موقف أمريكا من أزمة الشرق الأوسط ذا جانب واحد وضد العرب . . والكثيرون منهم يعتبرون هذا الموقف محرجا لهم، بصفتهم أصدقاء لأمريكا منذ زمن بعيد . . ولكنهم يعتقدون أن موقف أمريكا في هذه الحالة قد ينقلب بالدمار على أمريكا نفسها .
- هذا وقد تكهن رئيس شركة « كونتيننتال » الأمريكية للبترول . . بالآتى :
- بأن ازدياد الاعتماد على بترول الشرق الأوسط ، سيكون ذات تأثير كبير في اقتصاد أمريكا وسياستها الخارجية .
- ان أمريكا قد تضطر في عام ١٩٨٥ ، الى استيراد بين (٤٠ - ٥٠ ٪) من حاجاتها البترولية من مصادر أجنبية ، (أى أربعة أضعاف ما استوردته في عام ١٩٧٣) . وسيأتى الجزء الأكبر من الكميات الإضافية المستوردة من منطقة الشرق الأوسط .
- ان على أمريكا وبقية الدول الغربية ،، بذل المساعى الدولية لإقامة علاقة صحيحة طويلة الأمد ، مع منظمة الدول المصدرة للبترول أوبيك التى تتكون من إحدى عشرة دولة ، أغلبها دول عربية ، ولذلك فهى تسيطر على (٨٥ ٪) من مخزن البترول الخام فى العالم غير الشيوعى خارج أمريكا وكندا . . كما أن بترولها يشكل (٩٠ ٪) من صادرات البترول التى تباع فى الأسواق العالمية .
- ولعل كل ذلك ، يفرض على أمريكا والدول الأوروبية ، القاء نظرة جديدة على سياستها الخارجية ، تجاه منطقة الشرق الأوسط بما فيها من دول عربية .

تأثير سلاح البترول

كانت وقائع حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، موضع درس وتحليل فى معظم الأكاديميات العسكرية بالعالم .

وفى أوائل أكتوبر ١٩٧٤ ، كانت هذه الحرب ، الموضوع الرئيسى فى المؤتمر السنوى المغلق للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن (١) . وركزت الدراسات على تقييم نتائج الحرب من الوجهة الاستراتيجية ، وأزمة الشرق الأوسط ، وتأثير سلاح البترول - الذى استعمل فى هذه الحرب - على النظام الدولى .

وكانت اتجاهات الآراء خلال مناقشة تأثير سلاح البترول (٢) كالاتى :

١ - أبرز سلاح البترول أن العرب اصبحوا قوة على المسرح الدولى ، وأن أرادتهم المتميزة ، كفيلة بالتأثير على ظواهر تتعدى خطورتها الشرق الأوسط وحده ولها الآن أثر اكيد على استقرار وأمن وتماسك العالم الغربى . من هنا برزت الحاجة الى رسم خريطة استراتيجية لعلاقة العالم الأول (الدول الصناعية فى الغرب) بالعالم الثالث بوجه عام ، والعالم العربى بوجه خاص . والا كان العالم الثانى (الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية) هو وحده المستفيد من الشروخ التى قد تصيب التماسك الغربى من جراء تجاهل هذه الخريطة الجديدة .

٢ - كان رأى السائد أن العرب قد أحسنوا استخدام سلاح البترول - دون الذهاب الى الحد الذى يهدد استقرار النظم العربية التى أخذت على عاتقها هذا القرار ، بل بما دعم مركزهم عربيا وعلى الصعيد الدولى ، ودون الوصول به الى الحد الذى قد يحفز على التفكير فى تدخل عسكري قد يهدد السلام العالمى . بل استخدم العرب سلاح البترول بالفعالية التى أشعرت دول الغرب (أوروبا واليابان بالذات) بتبعيتها للبترول العربى ، على الرغم من الجهود التى بذلتها شركات البترول لاعادة توزيع أنصبة الدول

(١) دامت جلسات هذا المؤتمر ثلاثة أيام فى جامعة « ساكس » قرب لندن .

(٢) ملحق جريدة « الانوار » اللبنانية العدد رقم ٤٩٩٨ فى أكتوبر ١٩٧٤ .

بما يخفف أثر الحظر ، وأثر الحد من ضخ البترول على الدول المستهلكة . ولقد استخدم العرب سلاح البترول كرادع لا كعقاب ، وبمرونة ألزمت أطرافاً مستهلكة عديدة ، بانتهاج موقف من أزمة الشرق الأوسط أكثر تفهماً لوجهة النظر العربية .

ولأول مرة ، خلافاً للمحاولات السابقة ، أقدم العرب على الحد من الضخ ، وهم يستندون إلى أرصدة مالية تسمح لهم بخطوة لها هذه الخطورة دون تهديد اقتصادياتهم بأضرار جسيمة ، بل بما أتاح لهم فعلاً مضاعفة أسعار البترول أربعة أضعاف . كما ربطوا الحد من الضخ بهدف سياسى محدد ، وهو تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، مما اكسب الاجراء «قوة تصديق» وفعالية سياسية .

٣ - كان لاستخدام العرب سلاح البترول دور كبير فى تنشيط الدبلوماسية الأمريكية (١) للحد من مضاعفات استخدام هذا السلاح ، والسيطرة عليها قبل إستفحالها إلى حد يتعذر ضبطه .

٤ - أوضح استخدام سلاح البترول ، أن مصالح أمريكا ومصالح حلفائها فى الغرب ، ليست متطابقة ، بل وصل التباين أحياناً إلى حد التعارض .

وارتفعت أصوات أوربية لتؤكد بقوة ، أنها ترفض التذرع بحجة تضامن الغرب لالزام أوروبا بتقبل وجهة النظر الأمريكية ، أو أى تصرف أمريكى دون إبداء أى تحفظ . بل وأصبح لأوروبا الحق فى السعى إلى إقامة تضامن استراتيجى مع أمريكا ، دفاعاً عن مصالح الغرب وكيانه السياسى .

٥ - أبرز استخدام سلاح البترول اهتزاز مركز اليابان بالذات ، من الوجهة الاستراتيجية ، رغم انتمائها إلى الدول الصناعية المتطورة . ان معاهدة التحالف بين أمريكا واليابان ، تحملت بنداً فريداً ينص على التعاون الاقتصادى لا مجرد التضامن العسكرى بين البلدين . ولو كان من شأن الانفراج الدولى تخفيف حاجة اليابان إلى المظلة

(١) تجسم هذا النشاط الدبلوماسى الأمريكى الجديد ، فى انجاز عمليتى فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية ، وتعهد أمريكا بضرورة الاسراع عن تسوية للنزاع مرضية لشتى أطرافه .

النووية الأمريكية ، فإن حرب أكتوبر قد طرحت أمامها ، ضرورة الحصول على مصادر طاقتها من العالم العربى ، بغض النظر عن مصالح الحليف الأمريكى . ولم تجد اليابان مفرا من الانحياز أكثر الى العرب ، وأن تواصل جهودها مستقبلا لتوجد ارتباطات أكثر إيجابية مع العالم العربى .

٦ - أثر استخدام سلاح البترول على دول العالم الثالث تأثيرا ملموسا، ليس فقط بسبب ارتفاع أسعار البترول ، بل لاحتياج الدول الصناعية الكبرى وتباطئها فى تلبية حاجات هذه الدول الفقيرة اقتصاديا وفنيا ، بعد أن استبدت الازمة بها هى الأخرى .

وعليه ، فإن تقدم البنك الدولى بعروض للتخفيف من حادة هذه الفجوة ، التى أصبحت تفصل دول العالم الثالث بعضها عن بعض . كما أيدت آروه فى المؤتمر تؤكد ضرورة أن تضطلع هيئات دولية مماثلة (بما فى ذلك الأمم المتحدة ووكالاتها) بهذا الدور . ولكن وجد ممثلو العالم الثالث فى ذلك ، ما يزيد من تبعية الدول الفقيرة للدول الصناعية، فى وقت تتعرض فيه لأزمات متفاقمة .

وبوجه عام ، كان الرأى ، أن إعادة استخدام سلاح البترول لن تأتى بنتائج ذات مضاعفات مماثلة ، لتلك التى أنتجها خلال حرب أكتوبر . . . فلن ينطوى فى المرة القادمة على عنصر المفاجأة ، إذ أن استخدامه مرة واحدة يعتبر تحذيرا كافيا لاتخاذ تدابير من أجل تخزين احتياطي وتنويع مصادر الحصول عليه ، لدرء خطر تأثيراته كرادع سياسى حالى ، فضلا ، عن تنشيط البحث جغرافيا وتكنولوجيا عن الطاقات البديلة .

معدل الانتاج الشهري والعربي والعالمي من البترول الخام والغاز الطبيعي

الوطن العربي

الغاز الطبيعي (ملايين الأقدام المكعبة)			البترول الخام (آلاف البراميل)		
يونيو ٧٣	مايو ٧٣	يونيو ١٩٧٣	مايو ١٩٧٣		
...	...	١٢٩٨٠	١٣٨٤٠	أبو ظبي	
٢٠	٣٠	٦٨٧	٦٨٤	البحرين	
...	...	٢١٠٠	٢٣٩٠	دبي	
٥١	٦١	٢٨٥٥٠	٢٨٢٥٠	الكويت	
١٥١	١٦١	٢٠٢٠٠	٢٠٤٦٠	العراق	
...	...	٢٨٦٠	٢٨٨٠	مسقط وعمان	
١٠	١١	٥٦٠٠	٥٨٢٠	قطر	
...	...	٧٥٥٤٨	٨٣١٨٠	السعودية	
...	...	١٢٠٠	١٢٠٠	سوريا	
٥٠	٨٧	١١١٠٠	١١١٠٠	الجزائر	
٢٠	٢١	٢١٠٠	٢١٦٠	مصر	
٢٤	٢٩	٢٢٨٩٠	٢٢٦٤٠	ليبيا	
٢٠	٢٤	٠٣	٠٣	المغرب	
٠٢	٠٣	٨٥٠	٨٥٠	تونس	
٠٢	٠٤	١١٠٠	١١٠٠	الأرض المحتلة	
٢٨٠	٤٣١	١٨٧٧٦٨	١٩٦٥٩٧	المجموع	

البلاد غير العربية في الشرق الأوسط.

ايران	٥٨٤٣٠	٥٨٢٧٠	١٤١٢	١٤٢٧
تركيا	٧٠٠	٧٠٠
المجموع	٥٩١٣٠	٥٨٩٧٠	١٤١٢	١٤٢٧

البلاد غير العربية في أفريقيا

أنجولا	١٣٠	١٣٠	١٩	١٧
كابوندي	١٣٢٠	١٣٢٠
الكونغو برازافيل	٤٧١	٤٨٠	٠٢	٠١
جابون	١٤٨٧	١٤٨٠	٠١	٠١
نيجيريا	١٩٤٧٤	١٩٩٨٠	٥٧	٥٦
المجموع	٢٢٨٨٢	٢٣٣٩٠	٧٩	١٧٥

نصف الكرة الغربي

الأرجنتين	٤٢٢٠	٤٢٢٠	١٩٢	٢٠٢
بوليفيا	٥٠٠	٥٠٠	١٢٤	١٣٦
البرازيل	١٦٥٠	١٦٥٠	٤١	٦٢
كندا	١٧٣١٠	١٩٠٠٣	٢٦٧٤	٢٥٢٧
شيلي	٣٥٠	٣٥٠	٢٠٧	٢٤٠
كولومبيا	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١١٧	١٢٨
أكوادور	١٥٠٠	١٩٢٥	٠٥	٠٨
المكسيك	٤٧٥٠	٤٧٥٠	٥٤٤	٦٠١
بيرو	٧٠٠	٧٠٠	٤٠	٦١
ترينيداد	١٦٥٠	١٦٥٠	١٢١	١٣٦
فنزويلا	٣٤١٥٠	٣٣٧٣٠	١٣٨٧	١٤٠٠
المجموع	٦٨٧٨٠	٧٠٤٧٨	٥٤٤٦	٥٥٠١

الدول الأوروبية

٦ر٢	٧ر٨	٤٧ر٠	٤٧ر٠	التمسا
١٨ر١	٢٠ر٠	٢٠ر٠	٣٠ر٠	فرنسا
.....	٤ر٠	٤ر٠	الدانمارك
٥٠ر٢	٥٦ر٠	١٣٠ر٠	١٢٩ر٧	ألمانيا الاتحادية
٤١ر٠	٤١ر٩	٢٠ر٠	٢٠ر٠	إيطاليا
٢٤٦ر٢	٢٤٦ر١	٣٠ر٠	٣٠ر٠	هولندا
.....	٤٠ر٠	٣٨ر١	النرويج
.....	٢٣ر٠	٢٣ر٠	أسبانيا
١٠١ر٧	١٠٠ر٧	٢ر٠	٢ر٠	المملكة المتحدة
٦ر٠	٧ر٩	٧٠ر٠	٧٠ر٠	يوغوسلافيا
٤٦٨ر٤	٤٨٠ر٤	٣٩٦ر٠	٣٩٤ر٣	المجموع

جنوب شرق آسيا والمحيط الهادى

٦ر٧	٧ر٥	أفغانستان
١٢ر٥	١١ر٤	٤٣٦ر٦	٤٣١ر٠	أستراليا
٠ر٦	٠ر٧	٢٠ر٠	٢٠ر٠	بورما
.....	٣٢٠ر٠	٣٢٠ر٠	برونى وماليزيا
١ر٠	١ر١	١٥٠ر٠	١٥٠ر٠	الهند
١١ر٠	١١ر٩	١٣٥٠ر٠	١٣٢٥ر٠	إندونيسيا
٧ر٦	٧ر٨	١٥ر٠	١٥ر٠	اليابان
١١ر٠	١٢ر٤	٩ر٠	٩ر٠	باكستان
٢ر٠	٢ر٨	٢ر٠	٢ر٠	تايوان
.....	٠ر٣	٠ر٣	تايلاند
٥٢ر٤	٥٥ر٦	٢٣٠٢ر٩	٢٢٧٢ر٣	المجموع

العالم غير الشيوعى

١٢٥٩ر١	١٢٧٢ر٨	٣٦٧٥٩ر٥	٣٧٤٠٥ر٥	العالم غير الشيوعى
١٨٨٩ر٣	١٩١٠ر٤	٩٢٠٦ر٠	٩٢١٦ر٠	الولايات المتحدة
٢١٤٨ر٤	٣١٨٣ر٢	٤٥٩٦٥ر٥	٤٦٦٢١ر٥	المجموع

الكتلة الاشتراكية

١٢ر٠	١٢ر٩	٦٠٠ر٠	٦٠٠ر٠	الصين الشعبية
١١٠ر٩	١١١ر١	٢٧٥ر٠	٢٧٥ر٠	رومانيا
٦٨٨ر٤	٦٨٨ر٣	٨٣٧١ر٠	٨٢٨٩ر٠	روسيا
٤٩ر٩	٥٩ر٨	١٠٥ر٠	١٠٥ر٠	بلاد أخرى
٨٦١ر٢	٨٧٢ر١	٩٣٥١ر٠	٩٢٦٩ر٠	العالم
٤٠٠٩ر٦	٤٠٥٥ر٣	٥٥٣١٦ر٥	٥٥٨٩٠ر٥	المجموع

الاحتياطي العربي من البترول الخام والغاز الطبيعي

الغاز الطبيعي (بليون قدم مكعب)	البترول الخام (ألف برميل)	
٧ر٥٠٠	١٨ر٠٠٠ر٠٠٠	أبو ظبي
١٠٠	١٧ر٠٠٠	البحرين
٥٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠	إبي
٢٠ر٠٠٠	٢٨ر٠٠٠ر٠٠٠	العراق
٣٩١ر٠٠	٦٩ر٠٠٠ر٠٠٠	الكويت
١ر٥٠٠	٢ر٥٠٠ر٠٠٠	عمان
٤ر٠٠٠	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	المنطقة المحايدة
٧ر٣٠٠	٣ر٨٧٥ر٠٠٠	قطر
٤٣ر٠٠٠	٧٧ر٠٠٠ر٠٠٠	السعودية
٥٠٠	١ر٥٠٠ر٠٠٠	سوريا
١٣٥ر٠٠٠	٧ر٠٠٠ر٠٠٠	الجزائر
٢ر٨٠٠	٢ر١٠٠ر٠٠٠	مصر
٢٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠	ليبيا
٢٠	٨ر٠٠٠	المغرب
٥٠٠	٤٦٨ر٠٠٠	تونس
٣٩١ر٨٢٠	٣٠٩٦٢١ر٠٠٠	المجموع (١)

(١) يفسر الاحتياطي ، على أنه حجم البترول الباقي في باطن الأرض ، والذي تؤكد المعلومات الجيولوجية والهندسية - الى حد معتدل - امكانية الحصول عليه من الآبار المعروفة ، تحت الظروف الاقتصادية والعملية القائمة .

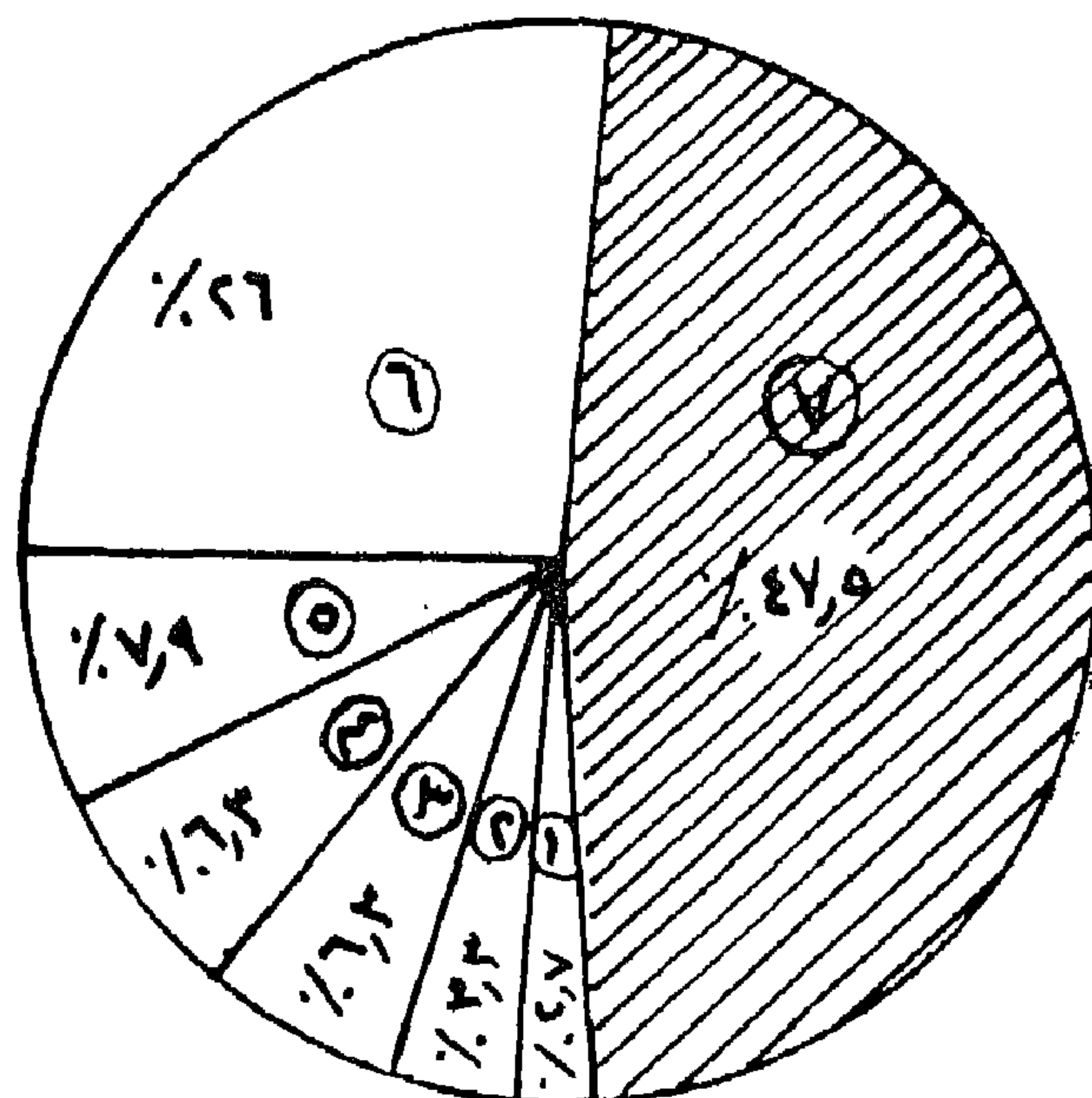
واردات أمريكا البترولية

معدل سبعة أشهر من يناير الى يوليو ١٩٧٤

(بآلاف البراميل يوميا)

مشتقات البترول		البترول الخام		الدولة
النسبة المئوية	المعدل اليومي	النسبة المئوية	المعدل اليومي	
٥ ر	١٣	٣٥ ر	١٢٦	الجزائر
—	—	٩ ر	٣٤	انجولا
١٦ ر	١٥١	٤ ر	٨٥	الباهاما
٨٠ ر	١٨٧	٢٧ ر	٩٦٦	كندا
٤ ر	البحرين ١١	٢٢ ر	٨١	اكوادور
٢ ر	فرنسا ٥	٢ ر	١٠	مصر
٤٣ ر	ايطاليا ١٠٢	٤ ر	٢٢٨	أندونيسيا
٢٣ ر	هولندا ٥٥	١٢ ر	٤٣٩	أيران
٥ ر	اسبانيا ١٣	٣ ر	١١	الكويت
١٩٧ ر	٤٦١	٨ ر	١٠١	جزر الانتيل
٩ ر	٢١	٥٥ ر	٥٥١	نيجيريا
٧ ر	روسيا ١٨	٣ ر	١٣	قطر
٧ ر	١٨	٨ ر	١٧٢	السعودية
٧٠ ر	١٦٥	٩ ر	١٠٥	ترينيداد
—	—	٨ ر	٢٩	تونس
٤ ر	٦١٧	١٧ ر	٤١٧	فنزويلا
—	—	٨ ر	٣٠	اتحاد الامارات
١٤١ ر	٣٢٩	٢ ر	٤٤	الجزر العذراء
٦٩ ر	١٦٠	٨ ر	١٠٤	دول أخرى
١٠٠ ر	٥٨٧٧	١٠٠ ر	٣٥٤٦	المجموع العام

توزيع سعر بيع برميل البترول للمستهلك في أوروبا الغربية
(على أساس متوسط السعر عام ١٩٦٧ (١))



بالدولار	%	
٢٨٥ر	٢٧ر	١ - تكاليف الانتاج
٣٥٠ر	٣٣ر	٢ - تكاليف التكرير
٦٨٠ر	٦٣ر	٣ - سعر النقل البحري
٦٨١ر	٦٣ر	٤ - صافى ربح شركة البترول
٨٥٣ر	٧٩ر	٥ - عائدات الدول المنتجة للبترول
٢٩٠ر	٢٦ر٠	٦ - تخزين - شحن وتفريغ - توزيع - مصروفات أخرى
١٠٠ر	٤٧ر٥	٧ - ضرائب غير مباشرة على رقم المبيعات في الدول المستهلكة
١٠٧٣٩ر	١٠٠ر٠	

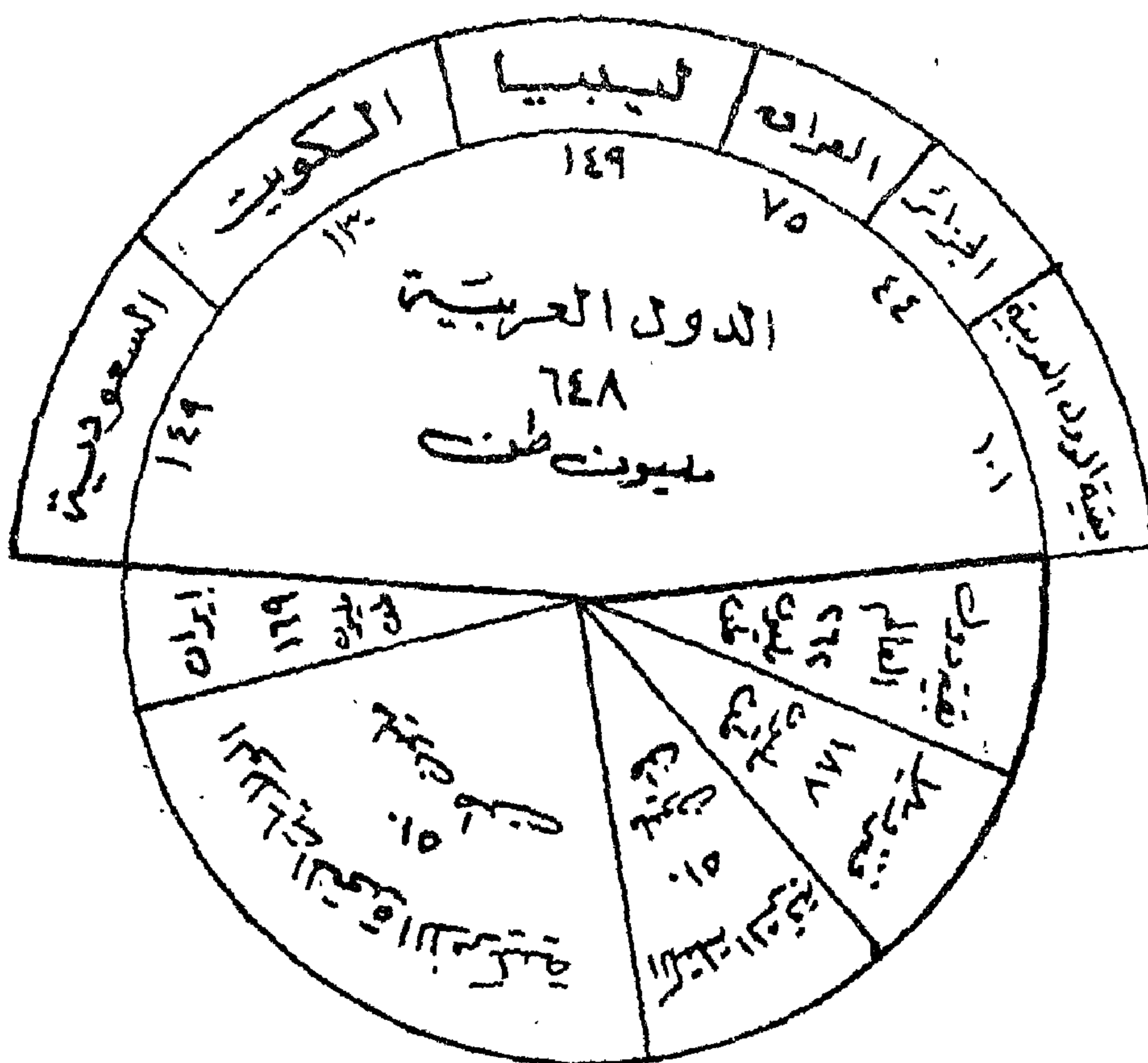
يتبين من أجمالى سعر برميل الزيت ١٠٧٣٩ر دولار ، لا تحصل

(١) المصدر : نشرة « أوبيك » سبتمبر / أكتوبر ١٩٦٩ .

الدول المنتجة للبترول نفسها ، الا على عائدات لا تتعدى ٨٥٣ ر . دولار
اي ٧٩٪ من اجمالي السعر . بينما تحصل حكومات الدول المستهلكة
في غرب أوروبا على نصيب قدره ١٠٠ ر دولار أي بنسبة ٤٧٪ .

الانتاج العالمي للبترول

(بملايين الأطنان - بلغ ٢١٣٨ طناً في عام ١٩٧٠ (١))



(١) المصدر « البترول واقتصاديات موارد » تأليف د. محمد أمين .

صافي دخل شركات البترول الأمريكية

(خلال الربع الأول من عامي ١٩٧٣ ، ١٩٧٤)

نسبة الزيادة المئوية	يناير - مارس		اسم الشركة
	١٩٧٤	١٩٧٣	
(مليون دولار)			
٣٨	٧٠٥	٥٠٨	اكسون
٧٦	٢٩٠	١٦٥	جلف أويل
٦٦	٢٥٨ر٦	١٥٥ر٨	موبيل
٩٢	٢٩٥٣	١٥٢ر٨	سوكال
١٢٣	٥٨٩ر٢	٢٦٤	تكساكو
٣٦	٤٩ر٩	٢١ر٦	امراداهس
٢٢	١٩ر٤	١٥ر٩	اشلانداويل
٨٧	٩٣ر٩	٥٠ر٣	اتلانتك روتشفيلد
٨٧	٨ر٨	٣٦ر٨	سميتز سيرفس
١٣٠	١٠٩ر٢	٤٧ر٥	كرنتمنتال أويل
١٧٣	٧٣ر٦	٢٧	جنى أويل
٩٩	٢٣ر٦	١١ر٩	كيرماك جى
٥٣	٣٠ر٦	٢٠ر١	ماراثون
٧١٥	٦٧ر٨	٨ر٣	اكسدنتال
٥٢	١٢١ر٨	٨٠ر٢	شل أويل
١٥٠	١٠٨ر٦	٤٣ر٤	فليبس
٨١	٢١٩	١٢١ر١	ستاندارد انديانا
٢٩	٢٢ر٦	١٧ر٥	ستاندارد أهيو
٨٥	٩٠ر٨	٤٩ر١	صن أويل
٩١	٧٣	٣٨ر٣	يونيون أف كاليفورنيا
	٣٣٠٨ر٦	١٨٤٩ر٦	المجموع الكلى

المصدر : « ذي يترووليوم ايكونوميست » (يونيو ١٩٧٤) .

الباب الثاني

رأس المال العربي

- الفائضات البترولية

- الأرصدّة العربيّة

العائدات البترولية

تضاعفت ثروة البترول العربى نتيجة :

— اغلاق قناة السويس ، وأثره على رفع أسعار النقل ، وبالتالي رفع أسعار بيع البترول العربى .

— حرب أكتوبر وأثرها فى تغيير موازين القوى ، فأصبحت دول البترول العربى صاحبة الارادة والتحكم فى المنع والمنح ، مما ترتب عليه مضاعفة الطلب على البترول العربى .

ولعل من أكثر ما يخيف الدول الغربية عموما ، وأمريكا بوجه خاص ، هو احتمال تحول العالم العربى ، الى قوة مالية ضخمة ، بفضل عائداته البترولية المتزايدة . . . وتمكنه نتيجة لذلك ، من التحكم فى النظام النقدى العالمى ، وبالتالي فى سياسات الغرب .

والدول المصدرة للبترول تجمعها منظمة « أوبيك » وهذه الدول الأعضاء هى :

الجزائر — العراق — ايران — الكويت — المملكة العربية السعودية — دولة الامارات العربية المتحدة — ليبيا — نيجيريا — فنزويلا — أندونيسيا — قطر — جابون (عضو منتسب) .

كما أن هناك أعضاء فى منظمة الدول العربية المصدرة للبترول وهم خارج منظمة « أوبيك » وهم :

مصر — سوريا — دى — البحرين .

وقد طرأ تغيير فى المعادلة الاقتصادية العالمية ، بفعل البلدان المنتجة للبترول فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . . . ففى أقل من سنة واحدة ، ارتفعت أسعار البترول الى أربعة أضعاف ما كانت عليه ، فزاد ذلك من الأرصدة المتجمعة فى خزائن الدول العربية وايران ، الى حد يفوق الخيال .

ففي سنة ١٩٧٤ وحدها ، سوف تبلغ إيرادات البترول في الثماني دول (٧٢ مليار دولار) مقابل (١٧ مليارا) في سنة ١٩٧٣ . ومن المتوقع أن تصل عائداتها الى ١٥ بليون دولار في سنة ١٩٧٥ .

ومن المحتمل أن تتضاعف هذه العائدات مرة أخرى في عام ١٩٨٥ ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية ، قد تنضم الى أوروبا الغربية واليابان ، كمستوردة كبرى لنفط الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، اذا تفاقمت أزمة الطاقة فيها .

وقد جاء في التقرير السري للبنك الدولي ، أن الأرصدة المتجمعة لدى جميع دول « أوبيك » قد ترتفع الى ٦٥٠.٠٠٠ مليون دولار في سنة ١٩٨٠ ، وحوالي ١٢٠٠.٠٠٠ مليون دولار (١) في سنة ١٩٨٥ .

وعلى هذا ، سوف تتدفق كميات كبيرة من هذه الأموال لتوظيفها في استثمارات خارجية ، حيث سيكون لديها من الأموال أكثر مما يمكن أن تمتصه اقتصادياتها المحلية في المدى القصير .

وتقوم تلك الدول باستغلال ثرواتها البترولية ، بما يدر عليها دخلا سنويا يمكنها من أن تحقق :

- نمووا عاليا جدا في الدخل القومي .
 - معدلات ادخار مرتفعة .
 - الاستثمارات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- وعلى الرغم من كل هذا الاستغلال ، فانه يكون لديها فائض سيبقى متزايدا باستمرار .

ولقد سمحت العائدات البترولية المرتفعة للدول المنتجة للبترول ، بتكوين احتياطي من النقد الأجنبي ، يقدر بحوالي من ١٢ - ١٥ مليارا من الدولارات وذلك في خلال السنتين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . ومن المتوقع أن يزداد هذا الرقم ، خلال السنوات العشر القادمة ، نتيجة لارتفاع أسعار البترول ارتفاعا كبيرا وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

(١) وهذا يعادل عشرة أضعاف القيمة الدفترية للاستثمارات الأمريكية في الخارج كما تعادل أيضا ، ضعف قيمة الذهب الذي تملكه الآن الحكومة الأمريكية .

ويمثل مجموع سكان دول « أوبيك » ٨٠٪ من مجموع سكان العالم وتمثل ٧٨٪ من مجموع مستودعات البترول المعروفة في العالم ، و ٦٢٪ من الانتاج العالمى ، وحوالى ٨٥٪ من تجارة البترول العالمية . وهذا ما يعطيها قوة اقتصادية تفوق حجمها .

ولذلك لزم أن تكون قرارات دول « أوبيك » فى غاية الدقة ، اذ أنها يمكن ان تؤثر على :

- معدل نمو الاقتصاد العالمى .
- توزيع الدخل العالمية .
- مستوى الاستثمارات وتوزيعها .
- أسواق النقد ورؤوس الأموال وفى كيان نموها الاقتصادى .

ويوضح البيان التالى ، توزيع عائدات البترول على دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ، الأعضاء فى منظمة « أوبيك » ، من واقع تقديرات سنة ١٩٧٤ :

بليون دولار	
٢١٠٠	المملكة العربية السعودية
١٨٥	ايران
٨٠٠	الكويت
٧٩	ليبيا
٦٥	العراق
٤٨	أبو ظبى
٣٧	الجزائر
١٥	قطر

وقد أدى هذا التحول الكبير فى الثروات ، الى خلق مشكلات ضخمة ، لموازين المدفوعات للدول المستهلكة للبترول ، ومن المتوقع أن تزداد هذه المشكلة فى المدى القريب . اذ تشير بعض التقديرات الى أن إيرادات البترول فى الشرق الأوسط ، قد تنمو خلال عشر سنوات الى ٥٠٠ مليار دولار كتقدير البنك الدولى (أو الى ألف مليار من مصدر آخر) .

ومن الواضح ، أن الأموال التى تدفعها الدول المستهلكة للبترول ، تمثل عجزا فى ميزان مدفوعاتها الدولى ، ما لم يعد إليها على هيئة أثمان سلع وآلات ، قد تشتريها منها الدول المصدرة للبترول .

وتوضح الأرقام الآتية قيمة المدفوعات ، من واقع تقديرات سنة ١٩٧٤ :

بليون دولار	
٢٠	الولايات المتحدة الأمريكية
٨٥	بريطانيا
٥٠	فرنسا
٦٠	ألمانيا الغربية
٨٠	إيطاليا
٦٠	اليابان

وفيما يلي بيان تطور عائدات الدول المنتجة للبترول وفقا لتقديرات البنك الدولي ومقدرة بملايين الدولارات :

١٩٧٤	١٩٧٣	١٩٧٢	١٩٧٠	١٩٦٥	
١٩٤٠٠	٤٩٠٠	٣١٠٧	١٢٠٠	٦٥٥	السعودية
١٤٩٠٠	٣٩٠٠	٢٣٨٠	١١٣٦	٥٢٢	إيران
١٠٠٠٠	٢٨٠٠	١٩٤٨	١٤٠٦	١١٣٥	فنزويلا
٨٠٠٠	٢٢٠٠	١٥٩٨	١٢٩٥	٣٧١	ليبيا
٧٩٠٠	٢١٠٠	١٦٥٧	٨٩٥	٦٧١	الكويت
٧٠٠٠	٢٠٠٠	١١٧٤	٤١١	غير معروف	نيجيريا
٥٩٠٠	١٥٠٠	٥٧٥	٥٢١	٣٧٥	العراق
٤٨٠٠	١٠٠٠	٥٥١	٢٣٣	٣٣	أبو ظبي
٣٧٠٠	١٠٠٠	٧٠٠	٣٢٥	غير معروف	الجزائر
٢١٠٠	٨٠٠	٥٥٥	٢٣٩	غير معروف	أندونيسيا
١٢٠٠	٤٠٠	٢٥٥	١٢٢	٦٩	قطر
					دول أخرى عدا
					دول أمريكا
					الشمالية
١٧٠٠	٥٥٠	٢٢٢	١٥٠	١٦	والدول الشيوعية
٨٦٦٠٠	٢٣١٥٠	١٤٧٢٢	٧٩٣٣	٣٨٤٧	
					معدل الدخل عن
					البرميل المصدر
٧٢٦٩	٢٢٠٥	١٢٤٧	٠٩٢	٠٧٧	(بالدولار)

مخاوف أمريكا من قوة العرب المالية

فى السنوات الماضية ، ظهرت تحذيرات عدة فى بريطانيا وأمريكا ، من أجل توفير مصادر جديدة للطاقة ، قبل سنة ١٩٨٠ ، وهو الموعد الذى يتوقع فيه جميع الخبراء ، أن تصبح فيه أمريكا مرغمة على استيراد أكبر جزء من بترولها ، من المصادر الرئيسية للبترول الموجودة فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . إذ أن الانتاج المحلى الأمريكى ، قد بدأ يتعثر وأوشك أن يخف بشكل متزايد خطير .

وستبلغ قيمة واردات أمريكا من هذا البترول ، ما يوازي ألف مليون دولار سنويا . وبدأ يتضاعف هذا المبلغ اذا ما واصلت الدول المنتجة للبترول رفع أسعارها كما بدأت تفعل . وربما تصل قيمة مجموع واردات أمريكا من البترول فى سنة ١٩٨٠ الى ٢٠ بليون دولار سنويا .

وتخشى أمريكا على نظام مدفوعاتها المتداعى والمصاب بعجز دائم . اذا وجدت نفسها معتمدة فى بترولها على دول أخرى .

ومن هنا يتحرك العلماء فى أمريكا لاستخراج البترول من مصادر أخرى كالزيت الحجرى ورمال القار والفحم ، وللأسراع بمد خط الأنابيب من آلاسكا ، والتنقيب السريع عن البترول فى الجرف القارى للمولايات المتحدة الأمريكية .

هذا وتسعى أمريكا جديا ، للعثور على وسيلة ، تمكنها من المحافظة على تدفق البترول اليها ، دون أن يؤدى ذلك الى تفويض نظام النقد العالمى ، وإشاعة الاضطراب وعدم الاستقرار فى الأسواق المالية .

فالولايات المتحدة الأمريكية ، يمكن أن تحرم من مصدر حيوى لبترولها ، ليس فقط نتيجة لفعل الدول المنتجة للبترول ، بل قد يكون نتيجة لقوة قادرة على التدخل فى عمليات التمويل . وقد تواجه أوروبا اليابان تهديدا كهذا . وقد تضطر الى الاختيار بين مساعدتها فى وقت تواجه فيه هى نفسها المتاعب (كما حدث أثناء حظر البترول الى أمريكا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣) أو خسارتها كحليفتين .

الاستثمارات العربية

وقد أصبح من الحقائق المعروفة ، أن هناك أموالا عربية طائلة ، يمكن الاستفادة منها ، فى تحقيق التنمية العملية المشتركة . إلا أنه يجب أولا

كفالة الضمانات اللازمة لها ، مما يؤدي الى اتاحة الفرص أمام الأموال العربية لكي تستثمر فى المشروعات العربية ، وخصوصا وأن معظم وجهات النظر العالمية ، تجمع على ضرورة اعتماد الدول النامية على نفسها ، فى مجال التنمية الاقتصادية ، وأن تزيد من نسبة اكتفائها الذاتى فيما بينها .

ولذلك فإن السبيل الوحيد للدول العربية ، لكي تحقق ذلك ، هو انشاء تكتلات اقتصادية اقليمية فيما بينها .

ويمكن تقسيم الدول العربية الى :

- دول لديها فائض كبير من الأموال .
- دول لا تمتلك كل ما تحتاج اليه من أموال ، وقد يكون لديها بعض عناصر الانتاج الأخرى .

ومن المفروض أن تستثمر دول المجموعة الأولى أموالها ، لدى دول المجموعة الأخرى . اذ بغير ذلك ، فإن الأموال العربية سوف تجد طريقها الى أسواق الدول الأجنبية ، حيث تجد دائما الاغراء الكافى ، على الرغم مما قد تتعرض له من خسائر كبيرة ، كما حدث ، من قبل ، نتيجة للازمات النقدية المتعاقبة التى مرت على العالم الغربى .

وقد تذهب الأموال العربية ، الى دول عربية أخرى ، عن طريق وسطاء أجانب ، يستفيدون على حساب الدول العربية المصدرة والمستوردة لرءوس الأموال ، فى الوقت الذى تعتبر فيه هذه الدول ، أحق بكل ربح يتولد عن استثماراتها الخاصة .

وقد خطت الدول العربية ، خطوة موفقة ، باقرارها مشروع « المؤسسة العربية لضمان الاستثمار » (برأسمال مبدئى قدره (١٠ ملايين دينار كويتى) . وسوف تساعد هذه المؤسسة ، على بث مزيد من الثقة فى نفوس المستثمرين العرب ، عن طريق ضمان الاستثمارات بين الدول العربية ، ضد ما قد يهددها من مخاطر غير تجارية فى الدول المضيفة . هذا بالإضافة الى المهام الأخرى المكملة التى ستنبثق عن هذه المؤسسة ، مثل . القيام بالأبحاث الخاصة باعطاء أولويات الاستثمار فى الدول العربية ، والتعاون مع الهيئات المحلية والاقليمية والدولية العاملة فى حقل التنمية والتأمين ، والسعى نحو تحسين مناخ الاستثمار بعقد اتفاقيات تحدد قواعد معاملة الاستثمارات فى الدول المتعاقدة .

هذا ومن المعروف أن « اتفاقية استثمار رءوس الأموال العربية » قد أصبحت سارية المفعول منذ (فبراير ١٩٧٢) بعد أن صدقت عليها كل من مصر وسوريا والعراق والسودان وليبيا .

وتهدف هذه الاتفاقية ، الى أن تبذل كل دولة عربية - مصدرة لرأس المال - جهودها لتشجيع الاستثمارات في الدول العربية الأخرى على سبيل التفضيل ، وتقديم ما قد تلتزم به في هذا الشأن من خدمات وتسهيلات .
كما تبذل الدول العربية المستوردة لرأس المال ، كل جهد وتيسير استثمار رأس المال العربي على سبيل التفضيل ، وفقا لخطة التنمية الاقتصادية فيها .

وتعمل الدول الأعضاء ، على تشجيع استثمار رأس المال العربي ، في المشروعات الاقتصادية المشتركة دعما للتكامل الاقتصادي بين الدول العربية .

وتلتزم الاتفاقيات الدول الأعضاء ، بالمعاملة فيما بينها ، بما لا يقل عن معاملة أى استثمارات أجنبية ، قد تمنحها الدول مزايا خاصة ، على أن تتمتع الاستثمارات العربية تلقائيا بتلك المزايا نفسها فور منحها .

وتعطى الاتفاقية المستثمر العربي ، الحق في تحويل صافي رأسماله المستثمر وصافي عوائده والتعويضات المستحقة ، وكذلك الحق في الإقامة في أراضى الدولة المضيفة لرأسماله ، لممارسة نشاطه الاستثمارى .

والوطن العربى ، الذى يأتى فى مرتبة جيدة بين دول العالم ، من حيث المساحة وعدد السكان ، تعادل مساحته مساحة القارة الأوروبية ، ويأتى بعدد سكانه فى المرتبة الخامسة بين دول العالم كثافة بالسكان . . أرض كبيرة ، وسكان كثيرون ، وموقع استراتيجى ممتاز ، فهو يطل على منافذ عدة لمواجهة العالم . . ففيه قناة السويس المورد الاقتصادى والموقع الاستراتيجى الهام ، ومضيق جبل طارق صلة الوصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسى ، وباب المندب الذى بات يضيق خناقا على اسرائيل (كما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى الحصار البحرى على اسرائيل الذى فرضه الأسطول البحرى المصرى) .

والاقتصاد بوجه عام متخلف تبعى فى الوطن العربى ، من جراء التخلف الفنى الذى أحله الاستعمار فى الدول العربية .

ومن هنا كان من الضرورى الالتزام بالاقتصاد المتكامل بين الدول العربية والسعى وراءه لتنميته . . فالوطن العربى يملك الموارد ورءوس الأموال الضخمة ، التى تمثلها الودائع الموجودة فى بنوك الدول الأجنبية والتى لا بد من استغلالها فى مشروعات التنمية فى الدول العربية .

ولا شك فى أن جهودا كبيرة تبذل ، لخلق المناخ المناسب للأموال العربية ، لاستثمارها داخل الدول العربية نفسها ولا ينقص الا التحرك

الفعلى الواسع لرؤوس الأموال العربية لخدمة الاقتصاد العربى وتنفيذ المشروعات المتفق عليها لتحقيق المؤسسات المقامة أغراضها بين الدول العربية .

وبذلك ، لا بد من أن يكون لهذه التطورات ، انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على اقتصاديات وماليات الدول العربية ، التى يلزمها خطوات معينة للتكيف معها ولتفادى أى آثار سلبية قد تنجم عن بعض هذه التطورات .

منافذ الاستثمار

ان معظم الدول المنتجة للبتروول ، عاجزة عن امتصاص صادرات العالم الغربى اليها ، على مستوى مماثل لمستوى صادراتها البترولية . . وانها مهما فعلت ، فانها لا تستطيع أن تخلق قوة شرائية جماهيرية كبيرة ، نظرا لأن العائدات البترولية تصب فى الحكومات ، مع قلة عدد السكان فى معظم دول الشرق الأوسط .

واذا أصبحت الدول المنتجة للبتروول قوة مالية ، فانها ستتمكن من الاشتراك فى المنافسات الدولية الكبرى .

واذا قامت بنقل أموال من دولة الى أخرى ، فانها ستؤثر على النظام النقدى الدولى .

تماما كما سيؤدى الاختناق فى ايجاد منافذ استثمارية لهذه الأموال ، الى حدوث انتكاسات اقتصادية .

ولكن . . أين وكيف سيعيد منتجو الشرق الأوسط استثمار ثرواتهم البترولية ؟!

والجواب الطبيعى ، أن تركز دول الشرق الأوسط ، على تعزيز اقتصادياتها النامية ، بالاستعانة بالتكنولوجيا والخبرة والمعدات الغربية . . ولكن اقتصاديات المنطقة ، لا يمكنها أن تستوعب الا جزءا من أموالها . وحتى الدول القادرة على الاستيعاب ، أكثر من غيرها ، مثل :

ايران والجزائر . . وهما أكثر دول البتروول سكانا ، سوف تحقق فائضا ، على الرغم من برامجها الواسعة للانماء الاجتماعى والعسكرى والصناعى .

أما الدول القليلة السكان ، والقليلة القدرة على استيعاب أموال الاستثمار ، فانه لا يمكنها الانفاق على مشروعاتها الداخلية ، الا نسبة صغيرة من إيراداتها البترولية .

وتعتبر المملكة العربية السعودية من أكبر الدول المنتجة للبترول في المنطقة وتنفوق أمريكا واليابان في أرصدها النقدية ٠٠ إلا أن عدد سكانها لا يتجاوز ٨ ملايين نسمة ، ومهما تجاوزت حدود الانفاق في أى مشروعات طموحة . فسوف لا تغطى إلا ٢٥٪ على الأكثر من العائدات البترولية .

هذا وتقدر الأموال الزائدة عن حاجة الدول العربية المصدرة للبترول عام ١٩٧٤ كما يلى (١) :

بليون دولار	
١٩	المملكة العربية السعودية
٤	ليبيا
٦	الكويت
٣	أبو ظبي
٣	العراق
٩	الدول العربية الأخرى المصدرة للبترول
٤٤	المجموع

مصالح العرب الاقتصادية

وقد وافق وزراء الاقتصاد العرب ، فى المجلس الاقتصادي العربى ، الذى انعقد أخيرا بالقاهرة ، على اقتراحات هامة تضمنها التقرير الذى أعده المجلس ، عن المصالح الاقتصادية وعلاقتها بالدول الأجنبية .

وقد بلغت الأرصدة النقدية العربية من ١٢ - ١٥ مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وقد تمكن الغرب بفضلها ودون حساب خلال ربع قرن ، من إعادة بناء اقتصاده بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحقيق ازدهار عرقه فى تاريخه .

هذا وقد تأثرت هذه الأرصدة تماما ، من جراء التخفيضات المتتالية لعملات الدول الغربية الرئيسية ، فبلغت خسائر الدول العربية ما يعادل ٣ مليارات دولار .

والوطن العربى ، يضم أقطارا تعاني من نقص كبير فى رأس المال اللازم لتنفيذ مشروعاتها الانمائية .

وعلى ذلك ، فقد طالب تقرير المجلس الاقتصادي العربى ، بضرورة تنسيق العمل العربى فى مجال استخدام المصالح المالية العربية والبترولية ،

(١) حديث السيد / عبد الله الطريقي - مجلة « نפט العرب » أكتوبر ١٩٧٤ .

لخدمة القضايا العربية ، من خلال خطة استراتيجية ، تتفق عليها الدول العربية .

وينضمن التقرير الاقتراحات الآتية :

... انشاء مراكز مالية عربية فى الخارج . . . سواء عن طريق فتح فروع لبنوك عربية فى الدول الأجنبية ، أو التعاون فى تأسيس شركات مصرفية عربية أجنبية مشتركة فى الخارج .

— انشاء سوق مالية عربية .

— توجيه جزء من الأرصدة العربية الخارجية نحو دول صديقة .

— انشاء صندوق الدعم المالى لمساعدة الدول العربية المتضررة .

— انشاء صندوق مالى خاص ، يقدم قروضا وتسهيلات مالية للبلدان العربية لتعويضها عن قروض تمنعها عنها دول أجنبية . . . علاوة على منح قروض وتسهيلات مالية للدول النامية .

— المساهمة فى أكبر الشركات الأجنبية ذات المركز الاستراتيجى العالمى .

وقد طالب المجلس ، توجيه جزء كبير من الموارد المالية العربية فى الخارج ، لحاجة المتطلبات العسكرية والسياسية .

أما بالنسبة للأرصدة العربية الخارجية ، فإنها يمكن أن تؤدي دورا هاما فى السيولة النقدية . . . والفائض المالى العربى الذى يتراكم على شكل دائنية من الدول الغربية ، يستطيع أن يؤثر على مدفوعاتها واحتياجاتها من الذهب والعملات الحرة .

وقد جاء فى احصائيات صندوق النقد الدولى (آخر يونيو ١٩٧١) .
أن حصة الدول العربية من السيولة النقدية (باستثناء) قطر واتحاد الامارات) قدرت بنحو ٨ مليارات دولار ، وانها تمثل ١١٪ من سيولة الدول الصناعية ، و ٤١٪ من سيولة الدول النامية .

وتستغل معظم الدول المنتجة للبترول ، القسم الأكبر من عائدات بترولها ، والتي لا تستطيع استثمارها محليا فى دولهم . . . فى استثمارات شديدة السيولة ، وعلى الأخص فى سوق الدولارات الأوربية القصير الأجل . ولا تعرف بدقة أرقام هذه المبالغ ، ولكن يبلغ من ضخامتها ، أن المصارف الغربية أخذت تشعر بأنها مكشوفة . . . فالمشكلة أن البنوك تقترض من العرب قروضا قصيرة الأجل ، ثم تقترض هذه البنوك عملاءها قروضا طويلة الأجل . وعلى ذلك ، فاذا استرد العرب مالهم ، وقعت البنوك تحت ضغط السيولة .

وثمة تدابير تتخذها البنوك الغربية ، لتخفيض حصة هذه المخاطرة . ومنها أن بعض البنوك خفضت ٢ أو ٣٪ من سعر الفائدة المعروض على ودائع الدولارات الأوروبية قصيرة الأجل ٠٠ وإذا استمر هذا التخفيض ، فقد يكون على المستثمرين العرب أن يختاروا بين :

— أما أن يقبلوا سعر فائدة منخفضا على أموالهم السائلة المودعة لأجل قصير .

— أو يجمدوا أموالهم في استثمارات طويلة الأجل ذات فائدة مجزية .

واجتذابا لاستثمار الأرصدة العربية في الخارج ، تعتمد وزارات المالية في الحكومات الغربية ، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية ، الى ابتكار وسائل جديدة ، لتشجيع العرب على إعادة استثمار أموالهم في استثمارات طويلة الأجل .

فمن المنتظر أن تنشئ واشنطن ، اصدارا خاصا — خارج سوق الأوراق المالية — من سندات دين الحكومة الاتحادية ، يخصص لاستثمارات السلطات النقدية الأجنبية ٠٠ أى حكومات دول البترول العربية . وفي هذه الحالة فإن المشترين — في الواقع — يقومون بسد العجز في ميزانية أمريكا ٠٠ كما يقلل ذلك ، من المبالغ التي تحتاج وزارة المالية الى اقتراضها من السوق المفتوحة ، مما يخفف الضغط على أسعار الفائدة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي خارج العالم العربي ، أخذت بعض العائدات الإيرانية والعربية تتجه الى الاستثمارات العقارية في الخارج ، على الأخص في أمريكا ٠٠ فمثلا :

— يملك العرب ، جزيرة أمام شاطئ ولاية كارولينا الجنوبية كما يملكون بعض العمارات في « الفيفث أفينيو » الشهير في نيويورك ، وفي الحي التجاري في « لاس فيجاس » وفي ولايات جيورجيا وكنتاكي وكاليفورنيا .

— اشترت ايران ربع أسهم مصانع كروب في ألمانيا الغربية .

— بدأ العرب ، وفي مقدمتهم الكويت ، الاستثمار خارج حدودهم . خصوصا في الدول العربية المجاورة التي لا تملك بترولا ٠٠ فالفنادق الجديدة تقام في القاهرة وبيروت والسودان .

أما الكويت التي تضم ٩٠٠ ألف نفس على رقعة من الأرض على الخليج فانها تتطلع الى أماكن بعيدة لاستثمار أموالها . ولديها مجموعة

من المستثمرين الغربيين في شئون الاستثمار ، ومجموعة من شركات الاستثمار وعمليات المشاركة وأخذ هؤلاء يوظفون المال الكويتي في :

- مشروعات الملاحة والتعدين في أفريقيا .
- مصانع الأسمنت في كندا .
- الأملاك العقارية في أمريكا .
- شراء جزيرة « كياواه » أمام شاطئ كارولينا الجنوبية بمبلغ ١٧ مليون دولار . وكلفت إحدى الشركات الكبرى بتحويل الجزيرة الى منتجع رائع .
- وفي مدينة اتلانتا ، يجري بناء مجموعة من الفنادق والمساكن ، نبلغ تكاليفها ١٠٠ مليون دولار ، بتمويل من شركة الاستثمار الكويتية .

الهجوم على الدول المنتجة للبترول

يزداد هجوم الدول الصناعية ضد الدول المصدرة للبترول ، لما تبذله الأخيرة في رفع أسعار البترول .

والواقع ، أن السنوات الثلاث الأخيرة ، شهدت تحولات هامة في تاريخ صناعة بترول الشرق الأوسط . وتتمثل هذه التحولات في قدرة ليبيا على رفع أسعار بترولها الخام (عام ١٩٧٠) . وتأزر دول الخليج وبجاحتها في تحقيق مستويات جديدة للأسعار المعلنة (عام ١٩٧١) . ثم توصلت دول الخليج الى اتفاق جنيف (عام ١٩٧٢) الذي عوض الدول المعنية آثار خفض سعر الدولار . وأسس قواعد تعديل الأسعار المعلنة ، للتعويض عن أي خفض لاحق بسعر الدولار . واقدام العراق على تأمين منشآت شركة نفط العراق وموجوداتها (عام ١٩٧٢) بعد تردد الشركة طوال عشر سنوات في قبول مطالب العراق . وتحقيق أبو ظبي وقطر والسعودية والكويت ، لمطلب المشاركة (عام ١٩٧٢) . وتأمين ليبيا ٥١٪ من الشركات المنتجة (عام ١٩٧٢) واعتبار نسبة الملكية هذه الحد الأدنى المقبول لمشاركة الدول في ملكية البترول فوق أراضيها .

ثم تأتي مبادرة الجزائر ، بدعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لعقد دورة استثنائية حول الموارد الأساسية والتنمية (ابريل ١٩٧٤) فكانت أفضل سبيل لوضع الحوار بين العالم الصناعي والدول المنتجة للبترول في إطاره العربية . وقد قدمت الجزائر في مذكرة الى مؤتمر الجمعية العامة ، الحقائق الآتية :

- اعطاء الأولوية للتنمية .
- وضع نظام اقتصادى جديد ، لأن النظام الحالى هو العائق الأساسى أمام التنمية .
- ضرورة فهم منطق العالم الثالث فى مساعيه لاسترداد خيراته والجهود الكبيرة التى امتدت طيلة سنوات لاستعادة هذه الثروات .
- الايمان بأن تنمية العالم الثالث تخدم أيضا الدول الصناعية ، لأن تنمية العالم الثالث وتحريره اقتصاديا يخدم الانسانية جمعاء .
- وتشكل المذكرة الجزائرية الى المؤتمر ، وثيقة للتنمية ، وبرنامج عمل لانفاق كل قرش من العائدات البترولية الضخمة ، التى يفتح العالم الصناعى عينيه ، للبحث عن سبل لاعادة حقنها اليه من أبواب خلفية .

شركات الاستثمارات والخدمات البترولية

أما وقد بدأت العائدات البترولية ، تتدفق الى أصحابها الشرعيين. بعد مناقشتها على المستوى الدولى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبعد أن توفرت الخطط والدراسات لامتنصاصها واستغلالها ، فقد بات الأمن كبيرا نحو مستقبل عربى أفضل ، مع الشعور القوى والشرابط وتبادل المسئولية ففى اجتماع منظمة الدول العربية المصدرة للبترول « أوبيك » الذى انعقد بالقاهرة (١٠ - ١١ يوليه ١٩٧٤) اتفق على مشروعين من أهم مشروعات المنظمة وهما :

١ - انشاء الشركة العربية للاستثمارات البترولية برأس مال قدره (١٠١٤ مليون دولار) دفع منه بصفة مبدئية (٣٣٨ مليون دولار) . وهدف هذه الشركة ، المساعدة فى اعداد وتقويم وتنفيذ المشروعات الخاصة بالبترول والغاز ، مثل التكرير والأسمدة والبتروكيماويات وغيرها من الصناعات المتفرعة من البترول . وذلك بأن تقوم الشركة بتمويل هذه المشروعات عن طريق تقديم القروض أو المساعدة فى رأس المال .

٢ - انشاء شركة عربية لبناء السفن وترميمها واقامة حوض جاف فى البحرين . وقد اتفقت على انشائه كل من المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا والبحرين وقطر ، ويستتضم الى هذه الدول دولة اتحاد الامارات . وتقرر لهذا المشروع رأس مال قدره (١٠٠ مليون دولار) .

هذا وقد كان بين موضوعات البحث فى مؤتمر (أوبيك) مشروع

(تأجل بحثه) يرمى الى انشاء شركة الخدمات البترولية . . وهو يرمى الى انشاء شركة مشتركة ذات فروع متخصصة فى كل من الخدمات البترولية المختلفة ، مثل . . عمليات دراسة طبيعة الأرض ، والحفر ومعالجة الآبار واختبارها ، وتحليل قلب التربة ، وهندسة الخزانات وخلافه . ومن المنتظر تذليل الصعوبات الفنية والقانونية فى الاجتماع القادم حتى يمكن التوقيع على انشاء هذه الشركة .

اتساع صناعه التكرير

وجدير بالملاحظة ، أن الزيادة الأخيرة فى أسعار البترول (عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣) . . قد شجعت كثيرا من البلدان المنتجة ، على البحث فى انشاء مجمعات واسعة لمصانع البتروكيماويات فى الشرق الأوسط . ويعتبر المراقبون الاقتصاديون الغربيون ، أنه لا مجال لاضافة مصاف جديدة للبترول فى أوروبا الغربية ، بل أن أوروبا نفسها سوف تعتمد أكثر فأكثر ، على الشرق الأوسط للحصول على منتجات البترول المصفاة .

وهناك مخططات لانشاء مصفاتين فى المملكة العربية السعودية واثنتين فى ايران ، وواحدة فى كل من مصر والعراق والجزائر . ومن المعروف أنه توجد مصاف كبيرة للبترول فى الكويت والبحرين وقطر والمملكة العربية السعودية والامارات المتحدة ، تبلغ طاقتها جميعا حوالى نصف مليون برميل تقريبا .

ومن المشاهد ، الازدياد المستمر على الطلب المحلى للمنتجات البتروكيماوية ، فى الدول ذات الفائض البترولى . . ومن هنا كان المقصود بالانشاءات الجديدة فى هذه الصناعات ، هو التوسع فى انتاجها لغمر الأسواق الدولية . وفى هذه الحالة ، فهناك خطر كبير من ازدياد طاقة الانتاج عن حاجة الاستهلاك ، اذا ما اعتبرت بعض هذه الدول ، أن انشاء مجمعات الصناعات البتروكيماوية ، من قبيل الهيبة الوطنية .

الا أن صناعة البتروكيماويات - وهى امتداد طبيعى لصناعة ضخ البترول - تغرى بانماؤها ، لأنها تساعد فعلا على زيادة القيمة الاضافية للبترول ، وتتيح فرصا واسعة لتحسين نوعية الموارد التكنولوجية المحلية . . وعلاوة على ذلك ، فإن صناعة البتروكيماويات ، تتيح قوة دافعة ضخمة لمشروعات التصنيع الأخرى التى تتفرع من صناعة البترول ، مثل استغلال نفايات البترول وخصوصا الغاز الطبيعى الذى يستغل لانتاج الغاز السائل ، وكذلك الصناعات التى تعتمد على الهيدروكربونات ، كمصانع الأسمدة التى تنتج « الامونيا » و « الأوريا » . وتتجلى أهمية الرابطة بين

تنمية الصناعات البتروكيماوية وبين تنمية الصناعات الأخرى ، فى المملكة العربية السعودية بوجه خاص . . فالمملكة العربية السعودية لا تتميز فقط بضخامة وارداتها البترولية ، التى تجعلها أكبر دولة بترولية فى الشرق الأوسط ، بل هى تتميز أيضا بعدد سكانها الكبير نسبيا - وبوجود مواد خام أخرى بها غير البترول . . وهذه العوامل مجتمعة ، تعنى أن التصنيع مشروع عملى وقابل للتنفيذ .

ولكن هناك بعض الجدل ، حول الشكل الذى ينبغى أن يتخذه هذا التصنيع . . وان كان لا يوجد هناك حد للتمويل (اذ تقدر إيرادات البترول فى السعودية بحوالى ٢٣ مليار دولار فى عام ١٩٧٤) الا أن هذا يساعد فى توسيع مجال اختيار مشروعات التصنيع ، والتى منها ، الرغبة فى المشاركة فى تطوير صناعة البترول التى تتضح فى اتفاقيات المشاركة التى عقدتها المملكة العربية السعودية مع شركات البترول ، وفى تحركاتها المستقلة فى ميدان البتروكيماويات .

وفيما يلى بيان تقديرى (١) بإيرادات البترول للمملكة العربية السعودية والكويت والامارات المتحدة من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨٠ بمليارات الدولارات ومليارات البراميل فى السنة :

١٩٨٠	١٩٧٨	١٩٧٦	١٩٧٤	المملكة العربية السعودية
٩ ر ٦	٥ ر ٥	٤ ر ٤	٥ ر ٣	الانتاج
٤ ر ٨	٨ ر ٧	٢ ر ٧	٤ ر ٦	العائد الحكومى
٩ ر ٥٧	٩ ر ٤٢	٧ ر ٣١	٤ ر ٢٣	الدخل
				الكويت
٦٦ ر ١	٥ ر ١	٤ ر ١	٤ ر ١	الانتاج
٤ ر ٨	٨ ر ٧	٢ ر ٧	٨ ر ٦	العائد الحكومى
٩ ر ١٣	٣ ر ١١	٠ ر ١٠	٨ ر ٨	الدخل
				الامارات المتحدة
٠ ر ٢	٦ ر ١	٢ ر ١	٧ ر ٠	الانتاج
٢ ر ٩	٥ ر ٨	٩ ر ٧	٦ ر ٧	العائد الحكومى
٤ ر ١٨	٦ ر ١٣	٧ ر ٨	٤ ر ٧	الدخل

(١) دراسة أعدتها جامعة « درهام » البريطانية نشرتها جريدة الأنوار اللبنانية العدد ٤٩٥٤ يوم الجمعة ٢٣ أغسطس ١٩٧٤ . . وصدر الإحصائية مجلة « الاقتصاد العربى » فبراير ١٩٧٤ . . وتمت الدراسة بالنسبة للثلاث دول المذكورة فقط .

حول استثمار الفائض

ومهما يكن من تفاؤل الخبراء الاقتصاديين بشأن التصنيع في الدول ذات الفائض البترولي ، فليس هناك من يستطيع التنبؤ بأن التصنيع سوف يمتص كل الفائض من إيرادات البترول .

ولهذا فإن الاستثمار في الخارج ، سيظل عاملا مهما في السياسات الاقتصادية للدول البترولية . ومن المحتمل أن يتخذ هذا الاستثمار ثلاثة أشكال :

١ - شراء السندات بنوعيتها الطويلة والقصيرة الأجل .

٢ - شراء عقارات ثابتة .

٣ - المساهمة في تمويل مشروعات التنمية في الدول العربية .

ومن المقدر أن يبلغ مجموع الفائض في إيرادات البترول في دول الخليج (فقط) ، أكثر من ٢٠٠ مليار دولار في عام ١٩٨٤ ، أي ما يوازي مجموع ما يملكه العالم حاليا من أرصدة العملات الأجنبية .

ومن المتوقع توجيه جزء كبير من هذه الأموال ، الى أسواق العملات في أوروبا وأمريكا . ويتوقف ذلك على نوعية إدارة الأموال . فلو وجهتها إدارة جيدة لزادت من استثمارها بنجاح ، أما اذا وجهها سوء الإدارة فمما لا شك فيه أن النتيجة ستميل نحو خفض انتاج البترول مما سيؤثر حتما على مشروعات التصنيع المحلية التي قد تشمل اتفاقيات مشاركة أجنبية .

وكثير من الدول المنتجة للبترول ، ملتزمة بصناديق التنمية الإقليمية . . . غير أن جملة الالتزام تعد صغيرة قياسا الى جملة الإيرادات البترولية ، فمثلا . . . زادت الكويت - حديثا - رأس مال صندوق الكويت للتنمية العربية الى مليار دينار كويتي ، ولكن هذا المبلغ لا يمثل الا ١٥٪ من مجموع الفائض السنوي في إيرادات البترول .

ولعل الفقرة التالية ، الواردة في خطة التنمية السعودية عام ١٩٧٠ ، تعبر بكل دقة عن أمانى جميع الدول ذات الفائض البترولي في التصنيع :
« ان الهدف الأساسي للصناعة ، هو أن تحقق الطاقة العالية للنماء

الصناعى ، بالسرعة التى تسمح بها الاعتبارات التنظيمية والتكنولوجية
والعمالية والمالية . . وبذلك تسهم اسهاما كبيرا فى الاقتصاد وتنويعه .

ولكل من هذه الدول القدرة المالية على تنفيذ برامج التصنيع الكبيرة
. . ولكن قليل منها من لديها الموارد الضرورية لتحقيق هذا التصنيع .

ان جميع هذه الدول غنية من حيث معدل دخل الفرد ، وسيبلغ هذا
المعدل فى كل من المملكة العربية السعودية والكويت عام ١٩٨٠ أعلى المعدلات
العالمية كما تبدو المفارقة فى معدل دخل الفرد ، بما يعادل الفرق فى حجم
سكان كل من الدولتين وهذا عامل حيوى فى مجال التصنيع . ولكن الكثير
من هذه الدول ، تفتقر الى الموارد الاقتصادية الأخرى :

وفى اطار هذا التصنيع ، يبدو دور الاستثمار الأجنبى واضحا . على
ان الاستثمار الأجنبى المباشر فى الدول ذات الفائض البترولى قد لا يكون
هاما ، لأنه حتى اذا كانت هذه الدول تملك موارد بترولية فائضة ، فان
مجرد حجمها سوف يكون عقبة فى طريق الاستثمار الأجنبى الكبير . .
فما تحتاج اليه هذه الدول ، هو خدمات فنية واسعة النطاق ، من المشورة
الفنية فى استثمار الأموال ، الى المساعدة التكنولوجية فى المشروعات
الصناعية .

. . . هذا ما لم تهبط موارد البترول (فى حالة تحول العالم العربى
الى مصادر بديلة للطاقة) فعندئذ يلزم حتما الاستثمار الأجنبى المباشر ،
الذى سيكون له الأهمية القصوى ، فى ربط اقتصاديات هذه الدول بالنسبة
لمشاريع التصنيع ذات المشاركة الأجنبية .

ضرورة دراسة المشاريع

وقد أصبح العالم العربى ، أكثر من أى وقت مضى ، فى حاجة الى
مؤسسات لدراسة المشاريع العربية الكثيرة دراسة فنية واقتصادية ، إذ
أنه فى أغلب الأوقات ، تصطدم عملية تمويل المشاريع ، بنقص الدراسات
الفنية لهذه المشاريع ، مما يحول دون تنفيذ تمويلها .

ونظرا لوفرة أموال البترول العربى ، فقد أخذ المغامرون والنصابون ،
يحاولون الحصول على قطعة - ولو صغيرة - من كعكة المال العربى . وأصبح
من الصعب ، التمييز بين الأشخاص الصالحين وغير الصالحين ، عندما
يفدون الى إحدى الدول العربية لعرض الصفقات . ويعلق على ذلك أحد

الوزراء السعوديين . . « ان شوارع جدة تعج بأصحاب المصارف والمصنوعين، ولا نستطيع أن نميز بعضهم عن بعض » .

وعلى هذا كان من الضروري الاتجاه الى دراسة المشاريع ، على أساس التأكد من جدية مقدميها ، حتى ولو تطلب الأمر الحصول على ضمانات حكومية بالنسبة لقوة أصحاب المشاريع وطاقاتهم المادية وكفاءتهم الفنية وقدرتهم على تنفيذ ما يكلفون به .

وأصبح من الضروري تدعيم « مركز التنمية الصناعية » في القاهرة ، وتزويده بالخبراء والفنيين ، حتى يصبح عمله بالفعل متكاملا ومحققا للأهداف التي أنشئ من أجلها ، ولكي يستقبل أية مشاريع للتصنيع قد تقدم الى المركز لدراستها وتقديم التقارير الفنية بشأنها .

الأغنياء الجدد بين شعوب العالم

(الاحتياطي النقدي والذهبي وحقوق السحب الخاصة على صندوق النقد الدولي لعدد من دول العالم) .

النسبة المئوية للتغير	(بليون دولار أمريكي)		
	الاحتياطي (يونيو ١٩٧٤)	الاحتياطي (يونيو ١٩٧٣)	
٥ر٨	٣٤ر٢	٣٢ر٣	ألمانيا الغربية
٣ر٥	١٤ر٩	١٤ر٣	الولايات المتحدة
١١ر٨	١٣ر٤	١٥ر٢	اليابان
٢ر٤	٨ر٤	٨ر٢	سويسرا
٣٩ر٣	٨ر٢	١١ر٦	فرنسا
١٢٩ر٠	٧ر١	٣ر١	السعودية
٤ر٣	٦ر٧	٧ر٠	بريطانيا
٨ر٣	٦ر٥	٦ر٠	البرازيل
٦ر٩	٦ر٢	٥ر٨	أستراليا
١ر٦	٦ر١	٦ر٠	كندا
٨ر٢	٥ر٦	٦ر١	استراليا
٦ر٨	٥ر٥	٥ر٩	هولندا
٣٥٠ر٠	٥ر٤	١ر٠	ايران
١١ر٧	٥ر٣	٦ر٠	إيطاليا
٩ر٨	٤ر٦	٥ر١	بلجيكا
١٤٢ر١	٤ر٦	١ر٩	فنزويلا
١١ر١	٣ر٠	٢ر٧	ليبيا
١٤١ر٧	٢ر٩	١ر٠	العراق
١٢ر٩	٢ر٧	٣ر١	النمسا
٣ر٨	٢ر٧	٢ر٦	البرتغال

لأول مرة بعد رفع أسعار البترول الخام الى مستواه الحالي ظهرت أسماء بعض الدول العربية ، ضمن الشعوب اغنية ذات الاحتياطات النقدية والذهبية ، مثل ليبيا والعراق . أما المملكة العربية السعودية التي كان احتياطيها النقدي (عام ١٩٧٣) ٣١ بليون دولار نجد أن رقمه قد تضاعف في سنة واحدة (عام ١٩٧٤) الى ٧١ بليون دولار .

المصدر :

إحصائيات صندوق النقد الدولي ، نشرت بمجلة « برنس ورك »

الباب الثالث

قناة التسويس

لمحة تاريخية

فى ٢٥ أبريل ١٨٥٩ . وقف (فرديناند دى ليسبس) فى حفل أقيم بمدخل القناة الشمالى ، ليضرب أول معول فى الأرض ، ليشق بعده عمال السخرة من الأنفار الشداد الشباب المصريين ، بطن الصحراء ، لوصول البحرين الأبيض المتوسط بالأحمر . بعد أن خطب قائلاً :

« باسم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، تضرب أول معول فى الأرض التى ستفتح أبواب الشرق لتجارة الغرب وحضارته » .

وهكذا تحقق حلم « دى ليسبس » الفرنسى ، الذى استطاع أن يوقع الخديوى « سعيد الأول » فى برائته ، ويحمله على توقيع امتياز قناة السويس . وكان هذا الخديوى قد أضاع (عام ١٨٥٦) الى الامتياز ، نصاً جديداً ، بأن يكون أربعة أخماس العمال من المصريين مع بذل المساعدات الحكومية للشركة .

وتم حشد أكثر من ٦٠ ألفاً من عمال السخرة فى القناة ، كان ثلثهم فى محل العمل ، والثلث فى طريق العودة ، والثلث الأخير يربطون بالحبال ليساقوا الى مكان الحفر . هذا عدا ما يزيد على ١٥ ألف من الرؤساء والحراس . وكان عمال السخرة يعملون بلا أجر .

وخصص الخديوى (سعيد الأول ومن بعده اسماعيل) نصف الميزانية العامة للدولة ، للعمل فى القناة ، كما خصص ١٢٠٠ جنيه ذهبى مرتباً شهرياً لـ « دى ليسبس » . مما اضطر سعيد الأول ، الى تسريح ثلاثة أرباع الجيش المصرى لتغطية عجز الميزانية ، ولاستخدام الجنود المسرحين ، للعمل سخرة فى حفر القناة .

وفى ١٨ أغسطس ١٨٦٩ . انتهت أعمال حفر القناة ، وتلاقت مياه البحرين ليتألف منهما ذلك الشريان الحيوى للملاحة . وذلك بعد أن استغرقت مذبحة شق قناة السويس عشرة أعوام ، نذرت فيها مصر بلا

توقف - ماديا ومعنويا ، وحمل المصريون فيها ٧٤ مليون متر مكعب من الرمال والأتربة على أعنتهم وكواهلهم لحفر القناة .

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أفتتحت قناة السويس رسميا للملاحة ، بعبور السفينة « النسر » حاملة على ظهرها ملوك وعظماء العالم ، تتبعها ٧٧ سفينة (منها ٥٠ سفينة حربية) . وأقيمت بهذه المناسبة احتفالات تفوق الوصف ، أنفق عليها الخديوى اسماعيل ببذخ وسعة نحو مليون ونصف مليون من الجنيهات .

وفى ٢٥ نوفمبر ١٨٧٥ باع الخديوى اسماعيل حصة مصر فى أسهم القناة (١٧٧٦٤٢ سهما تمثل سبعة الى ستة عشر من جملة الاسهم) الى بريطانيا بأربعة ملايين جنيه (١) وكان هدف بريطانيا - ممثلا فى « دزرائيلى » رئيس وزرائها - من وراء شراء هذه الصفقة الاشتراك فى ادارة القناة .

وفى مارس ١٨٨٠ تنازل الخديوى توفيق عن حصة مصر فى الأرباح السنوية للشركة وقدرها (١٥٪) (٢) لأحد بنوك فرنسا ، نظير حصوله على (٨٤٩ ألف جنيه) لسداد بعض ديونه .

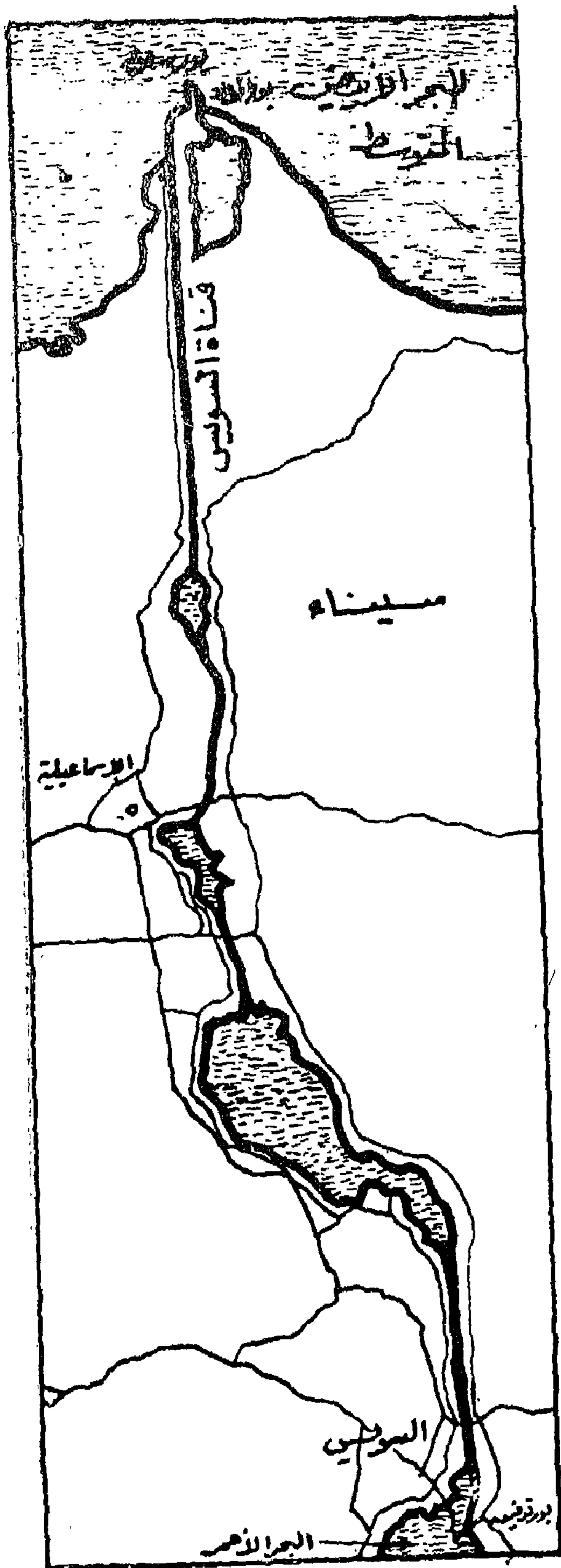
الاحتلال عن طريق القناة

وفى ٢٠ أغسطس ١٨٨٢ احتلت الجيوش البريطانية مصر ، بعد أن تجاهلت حياد القناة ، وبمساعدة الخديوى الذى وقف مع الاحتلال ضد الجيش المصرى بقيادة أحمد عرابى .

ولعب « دى ليسبس » دورا فى هذا الاحتلال ، بأن خدع عرابى وقادته ، بضماناته وتعهداته ، مما جعلهم ينصرفون عن تحصين القناة ، بأن تعهد قائلا : « أقسم لكم بشرفى ، بأن القناة منطقة حياد وبقعة تحرم فيها العمليات الحربية ، ولن يجرؤ بريطانى واحد على النزول الى البر ، وأنا مسئول عن ذلك ان القناة فى عهدي ، ولن تمر فيها أية سفينة حربية ، حسب نصوص المعاهدة الدولية » .

(١) قدرت قيمة هذه الأسهم (عام ١٩١٠) بمبلغ ٣٠ مليون و ٨٦٠ ألف جنيه .

(٢) بلغت هذه النسبة من الأرباح السنوية (عام ١٩٢٨) ٤ ملايين و ٢٤٣ ألف



ولما وصلت جيوش الاحتلال البريطاني الى بور سعيد ، لم يكن غريبا عندما استفسر « عرابى » (وكان سد القناة يراوده) من « دى ليسبس » عن الموقف أن يبرق اليه قائلا :

« لا تعمل عملا ما لسد قناتى (!!) . فانى هنا ولا تخش شيئا من هذه الناحية . . اذ لا ينزل جندى انجليزى واحد الا ويصاحبه جندى فرنسى . وأنا المسئول عن كل ذلك » .

غير أن هذه التصريحات والتعهدات ، لم تمنع « دى ليسبس » من تقديم المعونة والمساعدة لجيوش بريطانيا ، ووضع مهمات الشركة وادارتها تحت تصرفها بعد الاحتلال لمصر .

ولو أن عرابى ، قد سد القناة عند مدخليها الشمالى والجنوبى ، لتعذر على بريطانيا النفوذ الى الاسماعيلية التى اعتبرت قاعدة غزوهم . ويعلق الجنرال « ولسكى » القائد العام لجيوش الاحتلال البريطانى ، على ذلك قائلا : « لو أن عرابى سد القناة ، كما كان ينوى ، لكنا الآن لا نزال فى البحر نحاصر مصر . ان تأخر عرابى ٢٤ ساعة نجانا » .

فعندما تنبه عرابى أخيرا ، وأمر بقطع ترعة الاسماعيلية التى تنقل المياه العذبة ، وقبل أن ينفذ قراره ، وصل الانجليز الى الاسماعيلية ، ليعدوا أهبتهم فى الزحف على مصر .

حرية الملاحة الدولية فى القناة

فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ ، أبرم امتياز قناة السويس وتجدد فى سنة ١٨٥٦ حيث أقره الباب العالى ، وتضمن حرية الملاحة الدولية فى القناة .

وفى (١٨٧٣) أصدرت تركيا ، بالاتفاق مع دول أوروبا ، تصريحاً مشتركاً ، فتحت بموجبه القناة للمرور الحر للسفن الحربية الأجنبية على قدم المساواة .

الا أن حوادث (عام ١٨٨٣) بين مصر وبريطانيا ، أدت الى تخوف الدول على حقوقها الملاحية فى قناة السويس ، فعقدت فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ اتفاقية القسطنطينية ، وكان أهم ما قررت من مبادئ :

— حرية الملاحة التجارية لجميع الدول فى زمنى السلم والحرب .

- حرية مرور البواخر الحربية بشرط سيرها بدون توقف وبدون أن يكون لها الحق في انزال أى عتاد أو جنود .

- حياد القناة . . فلا يمكن فرض الحصار عليها أو مهاجمتها في زمن الحرب .

- تتخذ الحكومة المصرية ، التدابير الضرورية لضمان تنفيذ هذه المعاهدة .

ولقد تعطلت هذه المبادئ ، أثناء الحرب العالمية الأولى ، إذ فرضت السلطات البريطانية (بالنيابة عن مصر) التفتيش على جميع السفن ، على بعد ثلاثة أميال من القناة ، وسدت القناة في وجه سفن الأعداء .

ثم أعيد العمل بهذه المبادئ بموجب معاهدات فرساي ولوزان وعصبة الأمم . . حتى أن إيطاليا عبرت قناة السويس (عام ١٩٣٥) لتضرب الحبشة .

وفي ١٦ أكتوبر ١٩٥١ ، أنهت مصر المعاهدة وحررت القناة . وفي اتفاقية الجلاء (١٩ أكتوبر ١٩٥٢) نص على الاعتراف بأن القناة جزء لا يتجزأ من مصر ، وطريق مائي له أهمية دولية الاستراتيجية والاقتصادية .

وفي عام ١٩٥٦ . . أعلن الرئيس عبد الناصر باسم الشعب ، تأميم قناة السويس .

تأميم قناة السويس

خطت حكومة الثورة المصرية ، بعد الجلاء البريطاني عن مصر ، لانتهاء الإدارة الفرنسية لقناة السويس . . إذ لم يكن من الممكن طرد الشركة الأجنبية من مصر ، وهي تقيم في أحضان ٨٠ ألف جندي بريطاني .

ويلقى الرئيس عبد الناصر خطبته في مساء الخميس ٢٦ يوليو ١٩٥٦ في ميدان المنشية بالإسكندرية . وكانت ساعة البدء ، لتضع السلطة المصرية يدها ، على كل مرافق شركة قناة السويس ، جملة معينة في خطاب الرئيس هي :

« قرار من رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس »
وعند اذاعة هذه الجملة ، كانت السلطات المصرية ، قد سيطرت على جميع مكاتب ومنشآت الشركة في مصر والإسماعيلية والسويس وبور سعيد .

ويختتم الرئيس خطابه بقوله :

« الآن وأنا أتكلم معكم يقوم أخوة لكم من أبناء مصر ، ليديروا شركة القناة . . شركة القناة المصرية لا شركة القناة الأجنبية . . قاموا ليتسلموا شركة القناة ومرافقها ويديروا الملاحة فيها . . فى القناة التى تقع فى أرض مصر ، والتى هى جزء من مصر وملك لها . . نقوم الآن بهذا العمل لنعوض ما فات ولنبنى صروحاً جديدة للعزة والكرامة » .

وسار كل شىء على ما يرام . .

ومضت الملاحة فى القناة (١) فى نظام وهدوء أكثر من ذى قبل .
ورغم محاربة الشركة القديمة ومن يساعدونها فى الخارج ، ارتفع رأس
الادارة المصرية عاليا حتى كاد يجاوز السماء .

ويصرح « ايدن » رئيس الوزراء البريطانى ، فى مؤتمر لندن الذى
انعقد مقترحاً تدويل القناة :

« بعد تأميم قناة السويس يوم واحد ، بدأت أصوات العالم العربى . .
هذه ليست قناة السويس ، وانما قناة العرب . . وبدأت القومية
العربية تتجلى فى أكمل صورها . . وتدفتت على مصر التأييدات من ملوك
وقادة العرب » .

مشروع ناصر لتطوير القناة

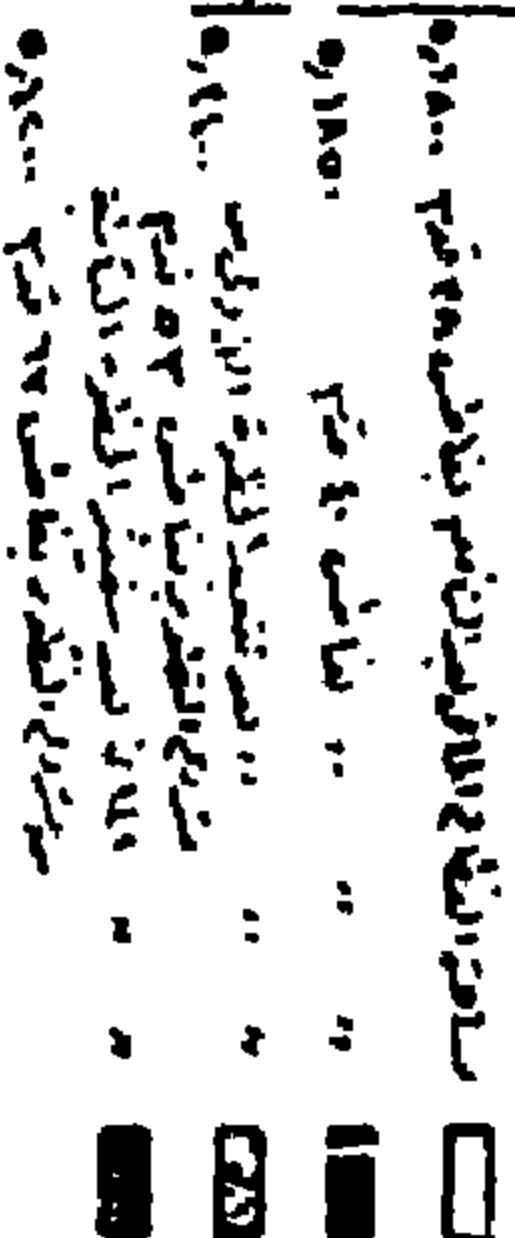
وقد بلغ دخل شركة قناة السويس المصرية فى (عام ١٩٥٥)
٣٥ مليون جنيه (١٠٠ مليون دولار) . . كانت مصر ، التى مات من
أبنائها ١٢ ألفاً فى حفر القناة ، تأخذ منها مليون جنيه فقط .

هذا وقد وصل صافى دخل قناة السويس المصرية ، قبل حرب
يونيو ١٩٦٧ حوالى ١١٠ ملايين جنيه بمختلف العملات الأجنبية .

وقد قامت الادارة المصرية للقناة ، بتنفيذ برامج لتطوير القناة ،
وفقاً للاحتياجات المتزايدة فى مجالات النقل البحرى العالمى . . . وبالفعل
بدأ تنفيذ أولى مراحل « مشروع ناصر » لتطوير القناة فى يناير ١٩٥٨ ،

(١) عبرت القناة فى الأسبوعين التاليين للتأميم ٧٦٦ سفينة ، ولم تتقدم أى دولة
بأى شكوى .




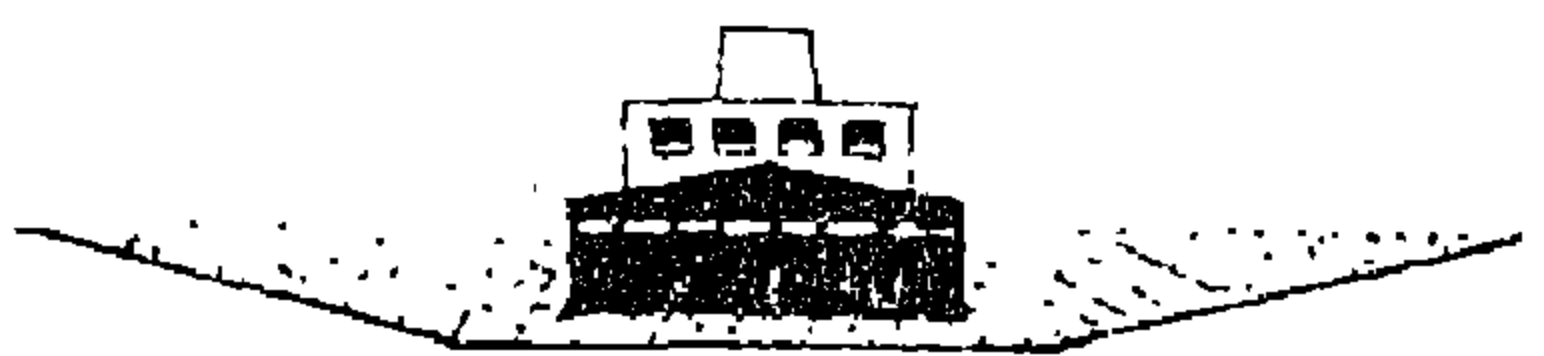

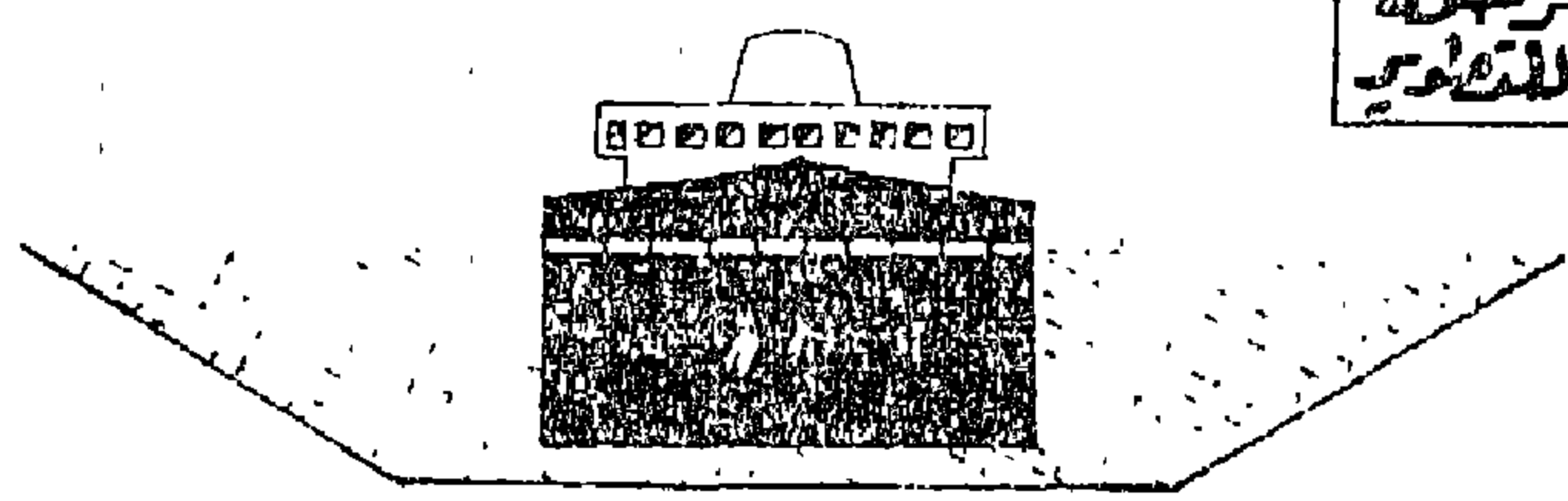
فقط در مریضی که مزاجی است و آلتی که در مریضی که مزاجی است



تَطَوُّرُ الْقَطَاعِ الْمَائِيِّ لِقَنَاةِ السَّوِّسِ

عمق الفاضل
بالقدم

السنة

٢٠	١٨٧٠		متوسط القطاع المائي ٢٠٤ م
٢٨	١٩١٢		متوسط القطاع المائي ٧٢٠ م
٣٣	١٩٣٥		متوسط القطاع المائي ١٠٥٠ م
٣٥	١٩٥٤		متوسط القطاع المائي ١٢٠٠ م
٣٨	١٩٦٦		متوسط القطاع المائي ١٨٠٠ م
٦٧	بعد المرحلة التأهيلية للتطوير		متوسط القطاع المائي ٤٢٠٠ م

وذلك بعد أقل من ١٨ شهرا من التأميم وبعد ٩ أشهر فقط من إعادة فتح القناة للملاحة بعد عدوان ١٩٥٦ .

ونتيجة لتنفيذ هذه المرحلة ، سمح للسفن التي يبلغ غاطسها ٣٧ قدما أن تمر اعتبارا من ٢ مايو ١٩٦٠ ، والتي غاطسها ٣٨ قدما اعتبارا من ٢٩ فبراير ١٩٦٤ . كما قامت الهيئة بتطوير قاطرات السحب لتساير متطلبات الصيانة السليمة للقناة .

وأعلنت هيئة قناة السويس عن بدء المرحلة الثانية من « مشروع ناصر » لتعميق القناة ليصل الحد الأقصى للعمق ٤٠ قدما لممر السفن التي تصل حمولتها ٧٠ ألف طن . وبدأ العمل في (عام ١٩٦٥) وقدر أن ينتهي تنفيذ زيادة الغاطس المسموح به الى ٣٩ قدما ، في منتصف (عام ١٩٦٧) والى ٤٠ قدما في نهاية العام نفسه .

الا أن العدوان الاسرائيلي قد حال دون تنفيذ مراحل التطوير في مواعيدها المقررة .

وثمة مرحلة ثالثة « لمشروع ناصر » تهدف الى توسيع القناة بزيادة مجراها الملاحي ، على خطوتين ٠٠ الأولى الى حوالي ٣٠٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما لممر الناقلات كاملة الحمولة حتى ١٥٠ ألف طن ٠٠ أما الخطوة الثانية فتهدف الى تعميق القناة ليصل حجمها الملاحي الى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس ٦٧ لممر الناقلات حتى ٢٦٠ ألف طن وهي كاملة الحمولة وحتى ٢٩٠ ألف طن للناقلات بدون حمولة .

الثقة في القناة . .

كممر مائي عالمي

ويقول المهندس مشهور أحمد مشهور ، رجل قناة السويس الأول :

« اننا سنبدأ تطهير القناة لحظة نعطي اشارة بذلك . اننا درسنا خطتنا وأعدنا مشروعنا . لكي تعود القناة الى العمل في أقرب وقت ، بعد عودة السلام الظافر . اننا نملك من الامكانيات الخاصة ، ما نستطيع أن نشير به دهشة العالم ، في عملية التطهير وعودة الملاحة ، مثلما أثرتنا دهشته بعد التأميم ، في الادارة ومواجهة انسحاب المرشدين » .

وكانت الصهيونية العالمية قد أشاعت على العالم - سواء في عام ١٩٥٦ ، أو ١٩٦٧ - أن قناة السويس منذ أغلقت في وجه السفن

والناقلات البترولية ، قد أطمّت (أى ترسب الطمي فى قاعها وعلى جانبيها) .
وأصبحت غير صالحة للملاحة . كما نشرت الصهيونية فى الصحف العالمية ، اقتراحا لها بأن تشق قناة فى قلب سيناء ، بدلا من قناة السويس ، تحيط بها مساحة من أرض حياذ ، وذلك لمواجهة حاجة أوروبا وآسيا للنقل البحرى .

الا أن كل ذلك ، لم يخرج عن كونه افتراءات واقتراحات ، مقصودا بها اشاعة تقليل أهمية قناة السويس كممر مائى دولى .

وتعتبر قناة السويس ، أقصر طريق بحرى بين الشرق والغرب ، ويحقق استخدامها فى النقل البحرى ، وفرا كبيرا فى الوقت والتكاليف ، بالقياس الى طريق رأس الرجاء الصالح ، بل أن طريق قناة السويس مفضل ومميز فى خدمة التجارة الدولية ، خاصة ما يتعلق بنقل البترول ، بما يوفره من وقت طبقا لوجهة السفن . .

ونسوق مثالا لذلك البيان التالى (١) :

(المسافة ألف ميل بحرى)						من الطريق
الى مارسيليا	نسبة الوفر	الى هامبورج	نسبة الوفر	الى ليفربول	نسبة الوفر	
١٠٤٢٤ ٤٥٦٣	%٥٦	١١٢٦٨ ٦٥٩٧	%٤٠	١٠٦٨٠ ٦٣٢٣	%٤٢	بومباى رأس الرجاء السويس
١١٤٥١ ٦٥٤١	%٤٣	١٢٠٥٥ ٨٥٥٥	%٢٩	١١٧٠٧ ٨٢١١	%٢١	سنغافورة رأس الرجاء السويس
١٤١٨٠ ٩٤٤٣	%٣٣	١٤٧٨٤ ١١٥٥٧	%٣٣	١١٤٣٦ ١١١١٣	%٢٣	يوكوهاما رأس الرجاء السويس
١١٦٣٤ ٩٣٤٨	%١٩	١٢٢٣٨ ١١٣٦٢	%٧	١١٨٩٠ ١١٠١٨	%٧	ملبورن رأس الرجاء السويس
١٠٧٠٠ ٤٥٠٠	%٥٧					الخليج العربى رأس الرجاء السويس

(١) المصدر : هيئة قناة السويس (١٩٦٨) .

من ذلك يتضح ، أن قناة السويس ستبقى أقصر الطرق وأرخص الممرات المائية في العالم ، إذ أن رسوم قناة السويس أشد اغراء من أى تكاليف عداها ، مما تعتبرها الشركات العالمية - التى تعيش بعقلية تجارية محضة - أفضل وسيلة لضمان أعلى الأرباح عن طريقها .

• • الطين

على رموس الأعداء

أثناء الحرب العالمية الثانية ، توقفت الملاحة فى قناة السويس حوالى خمس سنوات (١) ، لم يرتفع فيها الطمى فى قاع القناة أكثر من ٢٠ سم (أى بمعدل ٤ سم فى السنة) .

ومن الحقائق العلمية المعروفة ، أن الاطماء لا يحدث الا نتيجة للحركة النشيطة للسفينة ، التى تبعثها محركاتها ، فتسبب التيارات المائية ، التى تثير القاع والجوانب ، مما يساعد على ارتفاع نسبة تكس الطمى . وبدون مرور السفينة فى القناة تكاد تتلاشى ظاهرة الاطماء الا بنسبة ضئيلة .

وتختلف تربة قناة السويس على طول قطاعاتها • • ففي الشمال تربة طينية رملية ذات تماسك ، وفى الوسط تربة رملية هى التى تحقق أعلى مستوى فى الاطماء ، أما فى الجنوب فالقاع صخرى لا اطماء فيه .

وعلى ذلك ، فإن كميات الاطماء المتوقعة ، ستكون محدودة أو لا تذكر • • بل من المؤكد ، أنه عند فتح قناة السويس للملاحة ، بعد تطهيرها من آثار الحرب والسفن الغارقة ، فإن السفن ستمر بنفس الغاطس (٣٨ قدما) الذى كانت تمر به قبل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وهكذا تدحض هذه الحقائق والسوابق ، افتراءات اليهود والصهيونية والامبريالية العالمية .

(١) من حديث للمهندس مشهور أحمد مشهور ، رئيس هيئة قناة السويس (نشر بمجلة « المصور » العدد ٢٣٥٤ فى ٢١ نوفمبر ١٩٦٩) • • وكان سير السفن فى القناة مستحوذا لعظم عمله منذ تأميم القناة حتى تبوأ رئاسة هيئة قناة السويس .

اغلاق القناة ••

وأثره على العالم

يمثل استمرار اغلاق قناة السويس ، ضغطا اقتصاديا على الدول الآسيوية النامية ، ويعطل نمو التجارة الدولية بين أوروبا وآسيا وشرق أفريقيا •• فان قناة السويس تخفض المسافات بين جميع دول العالم •

كما تأثر اقتصاد أوروبا كثيرا ، من هذا الاغلاق ، بسبب الوقت الطويل الذى يقطعه وصول بترول الشرق الاوسط والخليج ، بدوران ناقلات البترول حول افريقيا ••

وتضاعفت أجور النقل البحرى لزيادة المسافات البحرية فى النقل البحرى ، بالالتفاف حول افريقيا •• كما زادت أسعار التأمين على السفن والبضائع ، لتعرضها لزيادة مخاطر الرحلة البحرية •• فمثلا : الناقلة التى كانت تقطع ٤٥٠٠ ميل بحرى فقط لتصل من الخليج العربى الى موانئ البحر الأبيض ، اضطرت لتسلك طريق رأس الرجاء الصالح ، قاطعة ١٠٧٠٠ ميل بحرى متعرضة لأخطار ومفاجئات المحيط الجوية ، بدلا من ميناء البحرين الأحمر والأبيض الهادئة •

فبعد انحسار العدوان الثلاثى على مصر (عام ١٩٥٦) تم تطهير القناة وتطوير الخدمة بها ، فارتفع عدد السفن والناقلات التى عبرتها ، وفقا للبيان الآتى (١) :

بيان	١٩٥٦/٥٥	١٩٦١/٦٠	١٩٦٧/٦٦
عدد السفن العابرة	١٣٠٠٠	١٨٠٠٠	٢٠٠٠٠
الرسوم المحصلة (بالجنيه)	٢٧ مليون	٥١ مليون	٩٣ مليون

ثم حدث عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادر ، وأغلقت القناة •

ونشأ سباق عنيف ، بين هيئة قناة السويس وأنشطتها التطويرية المختلفة لتحسين القناة وزيادة كفاءتها لاستيعاب مرور أكبر أحجام الناقلات والسفن وبين ترسانات بناء السفن الضخمة العالمية •

(١) المصدر : «الأهرام» الاقتصادية - أول أغسطس ١٩٧١م •

وتمخضت هذه المنافسة ، عن ارتباط شركات نقل البترول الشهيرة - على الأخص الأمريكية بشركات بناء السفن اليابانية ، لبناء الناقلات الضخمة لتغوض بأحجامها الكبيرة - بما تنقله من بترول - بعد المسافات البحرية .

وفي منافسة يهودية ، دعمتها الصهيونية والامبريالية العالمية ، أنجزت إسرائيل - عقب حرب يونيو وبعد إغلاق قناة السويس - مشروع خط أنابيب « إيلات » على البحر الأحمر و « عسقلان » على البحر الأبيض المتوسط ، مارا بصحراء النقب . . . وذلك لتقصير مسافات نقل البترول . وأشاعت الصهيونية ، أن بناء السفن وناقلات البترول الضخمة ، وكذا استعمال خط أنابيب « إيلات - عسقلان » الإسرائيلي سوف يقضيان تماما على قناة السويس ، بخلق بديل عنها .

وعرف العالم الزيف الصهيوني للتخفايق . . . فلا يمكن لدول العالم الاستغناء عن قناة السويس . . . فهي الشريان التجاري الحيوي الى الآن ، والجسر الثابت المضمون ، بل أغنى مناطق البترول في العالم ، وبين أكثر دول العالم المستهلكة لبترول الشرق الأوسط ودول الخليج .

وقبلى « التوقعات والاجتهادات البترولية العالمية » بأن استهلاك الدول الأوروبية من بترول المنطقة العربية ، سيصل الى (٧٤٥ مليون طن) عام ١٩٧٥ ، وإلى (٩٩٥ مليون طن) عام ٢٠٠٠ .

ولما كانت الطاقة القصوى لخط الأنابيب الاسرائيلي هي (٦٠ مليون طن) سنويا ، فإن تبقى كمية الاستهلاك الأوروبية للبترول العربى لابهة وأنت تفر حتما من قناة السويس . . .

ومن الواضح أن مصر ، قد أدركت الزيادات المتوقعة في حجم استهلاك البترول العربى في دول العالم - وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية التى من المتوقع استيعابها لكميات أكبر من البترول العربى بعد عام ١٩٨٥ - فقررت انشاء خط أنابيب بترول ، بين السويس والاسكندرية . وبالفعل انتهت جميع الخطوات التمهيدية ، ورسا عرض تنفيذ انشاء الخط على شركات أجنبية ، كلفت بالفعل ببدء التنفيذ .

ومن الطبيعى أن العرب ، لم يفتهم دور الاستراتيجية الاسرائيلية ، التى تهدف (بانشائها خط أنابيب بترول على أراضيها) الى وضع عملية نقل البترول العربى والايرانى الى الأسواق الغربية تحت سيطرة اسرائيل . . . مما قد يؤدى الى خلق صدام بين الدول العربية المنتجة للبترول . وعلى العرب أن يواجهوا تلك النوايا المبيتة ، بطريقة حاسمة .

المستقبل للقناة

تخضع توقعات مستقبل قناة السويس ، على الأسس الوطيدة التي تقوم عليها التجارة الدولية التي تمر بالقناة ، والتي سيزيد من أهميتها التطورات الحالية التي تدور في العالم . . بجانب أن مستقبل حركة نقل البترول ستكون بالتأكيد العامل المؤثر في دخل القناة ، إذ أن الرسوم المحصلة من الناقلات، نظير عبورها تمثل ٧٣٪ من اجمالي دخل قناة السويس . . ويعود ذلك على مصر بالفائدة من العملات الصعبة المختلفة .

ان مستقبل القناة لن يزدهر الا بالعلم .

وكان قسم البحوث في قناة السويس ، أحد مآثر التأمين . . إذ يجمع نخبة من العلماء المصريين ، وجعل أساتذة الجامعات ، أهل رأى في كل قضية علمية تمر على مستقبل القناة .

وقد سبق مشروع تطوير وتوسيع القناة ، بحوث ودراسات كثيرة تناولت كل ما يدور ويتعلق ويقترب من أمور القناة . . فشملت الدراسة ، اقتصاديات ناقلات البترول وبناءها وتشغيلها والحجم المثالي لها ، ومستقبل البترول في العالم ومستقبل البترول العربي بصفة خاصة . . بل ودعت هيئة قناة السويس مندوبين عن شركات الملاحة العالمية ، لمناقشة المشروع ، لارتباط أى مشروع ينفذ في قناة السويس بالأوضاع الدولية .

ورغم توقف الملاحة واغلاق قناة السويس ، فإن البحوث والدراسات، كانت تأخذ دورها في هيئة قناة السويس ، لتتسارح مجريات الأمور الدولية . . والآن وقد انفتحت القناة فقد استعدت لاستقبال السفن والناقلات ، وتلاقت مع مصر ، في عبورها الاقتصادي العظيم .

القسم الرابع

ثمار حرب أكتوبر

بعث العسكرية المصرية
القيم الروحية من منطلق جديد
التحول الأميريكي
التعاون العربي الأفريقي
العبور الاقتصادي
التعمير وتطهير القناة
ورقة أكتوبر

الباب الأول

بعث العسكرية المصرية

جولة النصر

الذين تتبعوا جولة الرئيس « محمد أنور السادات » في مدن القناة وفي الجيش الثانى والثالث بسيينا ، أدركوا أن الجولة لم تكن مظهرة دعائية أو موكبا يضم القادة العسكريين والسياسيين . ذلك أن الجولة واكبت أول ذكرى تجيء بعد النصر لتاريخ ٥ يونيو المشؤم ، اذ بدأت فى يوم ٤ يونيو ١٩٧٤ وما حل صباح الخامس من يونيو حتى كان الرئيس فى سيينا بين جنوده يستعرضهم ويحدثهم ، ويقف بينهم معلنا :

« جاء يوم ٥ يونيو ونحن تحت راية النصر »

ان توقيت الجولة كان يحمل أبلغ تعبير للأمة العربية عن محو آثار هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بما سجله جنود مصر فى أكتوبر ١٩٧٣ من انتصارات كانت بمثابة بعث للعسكرية المصرية .

لم يكن التوقيت وحده عقدة ما فى الأمر ، بل حملت الخطب التى ألقاها المشير أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ، وخطب قادة الجيوش ، وممثلى الاتحاد الاشتراكى والوزراء ، مشاعر جياشة تفيض بفرحة النصر ، وأمجاد ما قام به جنودنا ، والدرس البليغ الذى لقينوه للعدو .

غير أن الرئيس محمد أنور السادات أعلن فى موقعين مختلفين خلال هذه الجولة عن نظريتين جديدتين ، لابد لنا عندها من وقفة ، ولابد لنا أمامهما من نظرة تمحيص . هاتان النظريتان هما نظرية « القوة السادسة » ونظرية « بعث العسكرية المصرية » .

القوة السادسة

أشار الرئيس الى « أن العالم بعد ٦ أكتوبر غير العالم قبل ٦ أكتوبر . وأن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن قد أعلن أن العرب أصبحوا يشكلون القوة السادسة في العالم ، بعد القوتين الكبيرتين أمريكا وروسيا ، وبعد غرب أوروبا والصين واليابان . أصبح العرب القوة السادسة في العالم لأن لديهم البترول وهو يمثل الطاقة ، ولديهم رأس المال ، ولديهم أهم من هذا كله وحدة الارادة في استخدام هذه الأسلحة ، وقد استخدمت فعلا في وقت الأزمة وفي وقت المعركة » .

أن قيام القوة السادسة لم يكن وليد يوم وليلة ، ولا ثمرة عفوية لتجمع مبعثه الحماس والانتصار لرابطة الدم ، بل سبقه تخطيط وتجميع دام شهورا ، وتنسيق استمر أعواما ، واتصالات استنفدت كثيرا من الجهد .

ولعلنا نذكر أن أجهزة الجامعة العربية ولجانها لم تكن في وقفة سكون ، فكم من مؤتمرات ولقاءات قمة محدودة وغير محدودة عقدت ، وكم من جولات خاطفة في عواصم الدول العربية تمت ، وحسبنا الجولة الخاطفة التي قام بها الرئيس « محمد أنور السادات » قبل المعركة مرورا بدول الخليج والسعودية وسوريا شقيقة الكفاح والعمل المشترك .

ان قيام القوة العربية لتحتل مكانها السادس بين القوى العالمية ليس الا ترجمة للوحدة العربية . . التي ليس لزاما أن تكون مكتوبة أو معلنة ، فأن أهم ما يجمع العرب هو وحدة المشاعر ووحدة الأمانى ووحدة الغايات . وليس أسهل من استقطاب كل الطاقات العربية ، من كون عدوهم عدوا واحدا يتمتع بكراهيتهم جميعا ، ولا يجد بينهم نصيرا واحدا . يحس بغربة عضوية بين دول المنطقة التي فرض وجوده فيها في غفلة من الزمن .

وقيام هذه القوة السادسة ، تسانده امكانيات استراتيجية ضخمة ، أولها وجود منابع ثروة كبرى من مخزون البترول في الرقعة العربية ، وثانيها ملايين بل بلايين من الجنيهاات التي تمثل أرصدة سائلة مودعة في بنوك أوروبا وأمريكا لو فكر العرب في سحبها منها لاهتز الاقتصاد الأوروبي والأمريكي وأصبح معرضا للتقوض ، وثالثها طاقة بشرية عديدة

تتمثل فى أكثر من مائة مليون عربى وعربية ، فى مقدورها أن تمتص
مع الزمن عضوا غريبا - واسرائيل التى لا يزيد سكانها عن ثلاثة ملايين -
أو أن تبقى على الأقل معزولا محاصرا بينها .

ان قيام هذه القوة العالمية السادسة لم يكن الا ببدء الواجب أعلنه
الأخوة المخلصون فتدفقت جموعهم الى ميادين القتال ، فأصبح الجندى
المغربى والعراقى والأردنى يقاتل على جبهة واحدة الى جانب أخيه السورى .
وغدا الطيار الجزائرى والسعودى والعراقى يقلع بطائره من مطارات
مصر ، وتحقق شعار طالما هفت النفوس اليه ألا وهو شعار « أمة عربية
واحدة » .

ويوم امتزج السلاح العربى وأصبحت الدبابة العراقية يستخدمها
جندى مصرى والطائرات الجزائرية يطير عليها طيار مصرى ، أدرك المحللون
أن تجمع العرب قد خلق فيهم قوة لم تكن معهودة فيهم من قبل .

بعث العسكرية المصرية

أن القول ببعث العسكرية المصرية الحديثة يمثل صفحة جديدة فى
أمجاد أمة عريقة لها ماض وتاريخ مشرق فى نفس المضمار ، ولها أصالتها
وبطولاتها على نفس الدرب . ويأتى اعلان البعث مرتكزا على انقشاع
ضباب غمة النكسة التى جثمت على صدر الأمة العربية ستة أعوام ونصف .
وأنبلاج فجر جديد تحت رايات النصر .

ومن موقف القوة انطلق نداء الرئيس « محمد أنور السادات » من
فوق مواقع حررتها سواعد جنود مصر بعد أن دنستها أقدام الصهاينة ومن
فوق حصون خط بارليف الذى جعله التكتيك المصرى أضحوكة فى التاريخ
العسكرى ، انطلقت صيحة الرئيس :

(ان الموقع الذى نقف عليه الآن ، وقد رأيتهم اعداده والهجوم عليه
والاستيلاء عليه بكامل وثائقه ؛ عمل عسكرى خارق . وأقول : أروع
الأعمال العسكرية كلها . وأنا فخور بهذا لأن أولادى أنجزوا المهمة .
وأقول : ان العسكرية المصرية الحديثة ، بدأت من هنا) .

ان العسكرية المصرية لم تبدأ بهذا من فراغ ، ولم تولد فى مهد
جديد وانما هى تبعث من رقدة عابرة ، وعشرة موقوتة .

وحسبنا أن ندلل على ذلك بوقفات على طريق طويل ، تعتبر معالم

على هذا الطريق لتؤكد أن العسكرية المصرية ليست عرضا أتى غفلة من الزمن .

وليس لنا من فخر نؤكد به هذا القول ، أبلغ من الحديث المنسوب الى رسول الله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فى وصف الجندى المصرى .

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا بها جندا كثيفا فان هذا الجند خير أجناد الأرض » . قيل « لماذا يا رسول الله ؟ » قال « أنهم فى رباط حتى تقوم الساعة » .

ولو تتبعنا الأعمال الحربية للجنود المصريين خلال عصور التاريخ فسنجد لصلاية عود الجندى المصرى وانتصاراته تسجيلات تجل عن الجهر . وحسبنا تتبع هذه الانتصارات خلال القرن الماضى والقرن العشرين وحدهما للتدليل على ما نقول وليس القصد هنا طبعاً تقصى أحداث التاريخ بتفاصيله ، ولا التأريخ لمواقع حربية بذاتها ، ولكن القصد الاشارة الى خلاصات نتائجها .

لذلك لسنا فى حاجة الى الغوص فى أعماق أحداث التاريخ . اكتفاء بالرجوع قرناً واحداً الى الوراء ، لنعرج على أحداث العسكرية المصرية فى عهدها الحديث حتى يستطيع القارئ المعاصر أن يستخلص من وقائعها التى عاش أزمان بعضها ما نريد قوله . . ذلك أننا فى غنى عن الاشارة الى مواكب النصر على ضفاف النيل فى عهد رمسيس وأحمس وفى ظل الحكم الاسلامى ، كما أن العودة الى بطولات الحروب الصليبية ودور جنود مصر ، فيها ارتداد بعيد الى الوراء .

العسكرية المصرية فى الماضى

يمكن القول أن العسكرية المصرية لم تظهر فى صورة منظمة تعتمد على الفلاح المصرى ، ابن مصر الأصيل التابع من أعماق ريفها وصعيدها إلا فى أعقاب اندحار الحملة الفرنسية ، وبدء عهد محمد على .

وعبر مختلف حقبة التاريخ ، ومهما انحلت جنود مصر فى جيشهم شوائب من أمم أخرى ، كالمماليك والسلاجقة والأرناؤوط والأتراك ، فإن روح العسكرية المصرية ظلت كامنة بجوهرها الأصيل فى أعماق الشعب المصرى .

وكانت محصلة ذلك كله ثبوت قدمه ، وذيوع شأنه ، والاعتراف

بقدرته حينما انطلق وغزا وعمل فقد انطلق الجندي المصري ليرفع أعلامه فوق مواقع شنتى فى قارة أفريقيا حتى أقصى جنوبها ، وفى كثير من روابيها فى السودان والصومال والحبشة . ولعلنا لانسى أنه أتى يوم كان حاكم مصر يزهو بأطول لقب من نوعه ، فهو حاكم مصر والسودان ودارفور وكردفان وزيلع وهرر . ويخرج الجندي المصري شمالا صوب ربوع الشام ، ليدير معاركه ، فى عكا وصيدا وحيفا وحمص وطرسوس وانطاكية والاسكندرونة ، حتى بسط نفوذه فوق الأناضول .

وخاضت أساطيله معارك بحرية فذة فى البحرين الأبيض والأسود حتى وصل جنوده القرم ، ليحاربوا فوق جبال الصرب وثلوج روسيا ومرتفعات اليونان ، وفوق روابى كريت وصقلية .

ويمم الجندي المصري وجهه شطر الشرق ، فيسطط سلطانه فوق صحارى شبه القارة العربية ، وتحت حمايته أمنت الأراضى المقدسة .

ولندلل على ذلك ، لنا فى التاريخ وقفات ، توضح لنا ديناميكية العسكرية المصرية فى نفوس أبناء مصر .

— دهمت الحملة الفرنسية مصر عام (١٧٩٨) ولم يكن بها قوات نظامية بالمعنى الذى نفهمه حاليا . فقد ظلت تتلظى بديران الحكم العثماني قرابة ثلاثة قرون منذ عام (١٥١٧) . ورغم ذلك فإن الغزو الفرنسي لمصر لم يكن آمنا منها ، ولم يلق ذلة ولا استكانة من أهلها . فجابته فى القاهرة ثورتين متعاقبتين فى أكتوبر عام (١٧٩٩) ثم فى مارس عام (١٨٠٠) . لم يكن لهذه الثورات قادة ولا زعماء ، ولكن كان لها متطوعون كل منهم قائد وكل منهم جندي ، فانقلب أهالى القاهرة كلهم جنودا بلا زى عسكري ولا تنظيم حربي . انطلقا من زوج الجندي وشعور العزة الكامن فى أبناء مصر ، مما حسر العدوان الفرنسي وأقضى مضجعه فلم يلبث إلا ثلاث سنوات .

— كما باءت الحملة البريطانية عام (١٨٠٧) على الاسكندرية ورشيد بفشل ذريع ولقيت هزيمة منكرة فى رشيد ، فشددت الرحال عن المدينتين بعد احتلال لم يدم غير شهرين لقتت خلالهما درسا بليغا .

ومنذ أن انتظمت لمصر تنظيمات حربية مقاتلة ، عمادها جنود جلهم مصريون يقودهم بعض من الضباط المصريين كذلك ، أصبح للجندي المصرية أمجاد هيأها الحكام . ولعلنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

● معارك الخشود المصرية فى الحرب المورة فى أرض اليونان الوعرة عام ١٨٢٢ ، وفوق أرض جزيرة كريت كذلك .

● معارك الأناضول ، اذ دق الجنود المصريون أبواب الآستانة عندما دفعهم محمد على عام ١٨٣٢ لتهديد مقر خلافة الحكم العثماني ، وللاستيلاء على بلاد الشام .

● انطلاق الجنود المصريين على ارتحال بين عامي ١٨٢٠ ، ١٨٢٢ الى السودان وأعماق جنوب وادي النيل حيث استولوا على مديريات خط الاستواء ، وجاسوا خلال أحراش بحر الغزال وبحر العرب حتى بلغت حملتهم منابع النيل في أقاصى الجنوب حتى بحيرة فيكتوريا .

● ولعل أعجب الحملات المصرية ، تلك التي بعثها سعيد باشا عام ١٨٦٣ الى المكسيك ، معاونة لصديقه حاكم فرنسا نابليون الثالث . ولقد أثبتت الأورطة المصرية التي كان بعض عناصرها أيضا من الجنود السودانيين القدرة على الأعمال البطولية الفذة وسط جنود فرنسا وانجلترا وأسبانيا ، وشهد بذلك كثير من القادة العسكريين الفرنسيين إزاء ما حققته من أعمال فذة في صد الثوار المكسيكيين .

ويوم استشهد قائد هذه الأورطة وهو يؤدي واجبه ، نعتته السلطات الفرنسية ووصفته بأنه كان ذا صفات عسكرية نادرة ، وأنه كان يقوم بواجبه على الوجه الأكمل ، ومقدرا المسئوليات الملقة على عاتقه .

وفى أحد تقارير قادة هذه الحملة من الضباط الفرنسيين وصف جنود الأورطة المصرية - السودانية بأنهم قاموا بأعباء القتال غير مبالين بالنيران المنصبة فوق رؤوسهم ، وأنهم استطاعوا صد قوة معادية تفوقهم في العدد تسع مرات .

وعادت البقية الباقية من صف وجنود هذه الأورطة ؛ وكانوا كلهم يحملون الرتب الاستثنائية التي رقوا اليها ، الى جانب الأوسمة والنياشين والمكافآت التي أنعم عليهم بها ، بعد أن خاضوا ٤٨ معركة لم يهزموا في واحدة منها . واستقبلهم استقبال الأبطال في باريس الامبراطور نابليون الثالث ، وأنعم عليهم عند عودتهم لأرض مصر عام ١٨٦٧ الخديو اسماعيل .

• ثم تجلت روح العسكرية المصرية في أروع صورها أثناء الثورة العراقية عام ١٨٨١ . التي كان مبعثها الحقيقي إباء الضباط المصريين لاستبداد اخلاط الشراكسة والأرناؤوط الأتراك بشئون الجيش وانفرادهم بالمناصب القيادية به ، وتعمدهم اضطهاد المصريين .

ولقد تمثلت أروع صور العسكرية المصرية اباءؤها الضميم فى وقفة
عراىى أمام الخديوى توفيق وسط ميدان عابدين ، ومن خلفه كل الجيش
المصرى فى قوله التاريخى للخديوى بعد أن أعلن أمامه مطالب الأمة
والجيش وبعد أن رفض الخديوى هذه المطالب :

« نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم » •

ومواقف عراىى العسكرية أبان الثورة التى سميت باسمه
لا حصر لها ، ومنها بعث الوجود لمدرسة من ضباط مصر النابغين من
طبقات شعبها ، برزوا فى وقتهم لصد العدوان البريطانى يوم تصدى
لدور الثورة العرابية واحتلال البلاد .. ومنهم :

« طلبة عصمت - محمد عبيد - على فهمى - عبد العال حلمى -
حسن جاد - محمود فهمى - يعقوب سامى - خورشيد طاهر - اسماعيل
صبرى - محمد رضا - خليل كامل - سليمان سامى - مصطفى
عبد الرحيم - عيد محمد كامل - أحمد فرج - اسماعيل ذهنى - راشد
حسنى - أحمد عبد الغفار - عبد الرحمن حسن - محمد بهجت -
محمد أمين - على الروبى » •

وغيرهم ممن كانت لهم مواقف عسكرية فى مواقع حربية أقضت
مضاجع الأسطولين البريطانى والفرنسى وجنودهما فى الاسكندرية وكفر
الدوار والقصاصين والتل الكبير والسويس •

ورغم أن الثورة العرابية باءت بالفشل فى النهاية وأدت الى احتلال
البريطانيين لمصر ، الا أنها كانت محكا حقيقيا للعسكرية المصرية بعثت
فيها الروح وأظهرت فيها بواطن الجلد • فأتت كمرحلة لوقفات مصرية
قديمة مع نابليون وكليبر وفريزر ثم سيمور قائد الأسطول البريطانى
الغازى •

العسكرية المصرية بعد عرابي

• مرت العسكرية المصرية بفترة سكون في أعقاب ثورة عرابي ، وأجهز عليها الاحتلال البريطاني ، شأن كل منتقم . لذلك لم يظهر بعد نفى عرابي قائد عسكري أو بطل من صفوف الجنود ، لأن الجنود أنفسهم لم يكونوا موجودين . ولذلك اقتضت صور هذه البطولة خلال هذه الحقبة على الزعامات السياسية التي أخذت تناوى الاستعمار وتنادى بجلاء المحتلين وحب الوطن وكره المستعمرين ، فبرز من الزعماء مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول .

ولعل اندلاع ثورة ١٩١٩ كان التعبير الحقيقي عن المشاعر الجياشة التي ثارت في نفوس أبناء مصر . ولكن وقتها لم يكن لمصر درع من أبنائها يحميها ، فقد كان المحتلون أنفسهم قابعين فوق أرضها ، لذلك تلقى الطلبة والوطنيون من جماهير الشعب الشاثر الرصاص بصدورهم ، وهم عزل الا من سلاح هزيل .

• وأبان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ لم يكن قد تبلور لمصر جيش الا في صورة بعض أورط المشاة وبطاريات المدفعية . ورغم ذلك فقد كلفت هذه القوات المحدودة بمهام لمؤازرة القوات البريطانية في منطقة قناة السويس ، وسيناء ، والدردنيل والسودان .

• وعام ١٩٣٦ عقدت معاهدة الصداقة بين مصر وبريطانيا ، تلك الصداقة التي ظلت صورية مدة طويلة . وكان من أولى ثمار هذه المعاهدة أنها أتاحت الفرصة للحكومة المصرية لزيادة قوة الجيش ، وتطوير سلاح الطيران (الملكى) المصرى ، والذي كانت قد بدأت نواته عام ١٩٣٢ ببضع طائرات صغيرة ليس لها غير مطار واحد تقلع وتهبط فيه هو مطار المازة .

• ولم يأت عام ١٩٣٩ عند اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، الا وكان لمصر جيش قوامه بضعة آلاف من الجنود ، وبضع مئات من الضباط وقوام عتاده سلاح بريطاني يتألف من المدافع والدبابات والمصفحات والطائرات وبضع قطع بحرية صغيرة ، بالإضافة الى الأسلحة الصغيرة .

ورغم الحجم المحدود للقوات المصرية ، فقد انيطت بها مهام حربية ثانوية في منطقة قناة السويس والصحراء الغربية وفوق أرض مصر نفسها ، وشاركت قواتها مشاركة فعالة في اكتساب خبرة القتال في الدفاع والهجوم ، بالإضافة الى مهارات القتال الفنية في أعمال الامداد البرى ، والاستطلاع البرى والجوى ، والدفاع الساحلى وحراسة الموانىء ، وبث الألغام البحرية ، واعداد غرف العمليات ، وتنظيم الدفاع الجوى السلبى ، ومراقبة الطائرات ورفع البالونات والخدمات الطبية ، وتسجيل الأسرى ، وحماية القوافل البرية والبحرية ، وصد الاغارات الجوية المعادية بالمدفعية المضادة للطائرات ، وأعمال الأنوار الكاشفة لاكتشاف الطائرات ، وتسجيل الأرصاد الجوية فى طبقات الجو العليا ، وحراسة الحدود .

وما وضعت الحرب أوزارها الا وكان لفيف من الجنود والضباط المصريين ، الذين خلصت نوعياتهم من كل أخلاط الأجناس الأخرى من مماليك وأكراد وأتراك وأرناؤوط ، قد أصبحوا ذوى خبرة علمية فى فنون القتال . ولا يفوتنا الاشارة - الى علم من أعلام العسكرية المصرية فى هذه الحقبة له تاريخ فريد فى نوعه وهو الفريق « عزيز المصرى » الذى تميز بوقفات نضالية وبطولية نادرة ، والذى يعتبر الأب الروحى لأبطال العسكرية المصرية المعاصرين .

• وفى محك التجربة الفعلية للقوى ، فى حرب فلسطين أو الجولة العربية - الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ ، ثبت أن العسكرية المصرية الكامنة فى جنود وضباط أبناء جيش مصر بخير . فقد أثبتت بطولات جعلت شرادم وعصابات الصهيونية فى مأزق رغم مساندة الدول الكبرى لها وكأنها فى مسابقة أو مباراة تأييد لهذه العصابات ، فقد كان بعضها يعمل بتمويل من أمريكا والبعض برجال من روسيا والبعض الآخر بمتطوعين من دول وسط أوروبا .

ورغم افتقار الجيوش العربية التى تحركت جميعها نحو أرض فلسطين الى التنسيق والتخطيط فيما بينها . وافتقار قيادات كل جيش منها الى حنكة القتال المدرب ، وخاصة أمام عصابات من المتطوعين ، فقد طفت فوق سطح الأحداث أعمال بطولات خارقة أتى بها متطوعون وضباط وجنود مصريون ، نخص بالذكر منهم :

« البطل أحمد عبد العزيز - أحمد المواوى - فؤاد صادق - سيد طه - معروف الحضرى - جمال عبد الناصر - زكريا محيى الدين - عبد الحكيم

عامر - كمال الدين حسين - صلاح سالم - عبد اللطيف بغدادى - حسن
ابراهيم - جمال سالم » .

غير أن أهم ما تكشف أمام هؤلاء الأبطال كان قضية أخلاقية عمادها قيادات الحكم نفسه فى مصر . اذ تبين أن أغلب أسلحة الجيش المصرى فاسدة ارتشى الذين اشتروها غير مباينين بأرواح زملائهم ، وإن أهم ما ينقص الجيش بعد السلاح هو العلم العسكرى والتنظيم الحديث .

وعلى أضواء نيران الأسى من تجربة راح ضحيتها المئات من أرواح الشهداء ، بزغ فجر جديد على أيدي زهرة من الضباط المصريين . تمثلت فيهم بقوة روح العسكرية المصرية بأسى تجربتها الأليمة فى فلسطين ، فاسموا تشكيلهم « الضباط الأحرار » ، وعلى أيديهم تفجرت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، لتقود مصر الى عهد جديد .

العسكرية المصرية بعد ثورة يوليو ١٩٥٢

- أتت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كشجرة من ثمار العسكرية المصرية ، فأبطالها كلهم من نخبة الضباط الأحرار ، هب يساندتهم بقية أفراد الجيش ، وشعب مصر بأسره .

وكان أحد الأهداف الستة لهذه الثورة التى أعلنت منذ الساعات الأولى لقيامها ، هدف يقرر « ضرورة بناء جيش وطنى قوى » . وكان الاحساس الحقيقى لصانعى الثورة أن تسليح الجيش آنذاك كان أكلوبة صنعها الملك الذى طرد ، مع المستعمرين ، بما يكفى لحبك تمثيلية متقنة أمام شعب أعزل . ولا عجب ، فقد كانت أولى مهام هذا الجيش التشريفيات والاستعراضات وحماية نظام الحكم الملكى ، كما كان افتقاره الى السلاح الحديث المتطور ، والعتاد الثقيل الذى يجعله قادرا على خوض معارك حربية ، سببا فى اندحاره عائدا من فلسطين ، تاركا اياها لشرادم الصهاينة .

- ما حل عام ١٩٥٤ حتى كان البريطانيون قد اقتنعوا بأن استثمارهم فى احتلال قناة السويس مستحيل ، وبعد جلسات مفاوضات ناجحة أعلنت اتفاقية الجلاء فى أكتوبر ١٩٥٤ .

ثم ما حل عام ١٩٥٥ حتى أحدثت الثورة المصرية الوليدة انقلابا فى ميزان التسليح بين القوى العالمية . فقد فتح جمال عبد الناصر باب الشرق

الأوسط الذي كان مغلقا أمام دول الكتلة الاشتراكية التي تنزعها روسيا ،
على مصراعيه • وتدفع السلاح السوفيتي على مصر ومن بعدها سوريا •
وأصبح للجيش المصري سلاح شرقي وعقيدة تنظيمية عسكرية جديدة ،
اصطلح على تسميتها « العقيدة الشرقية » •

وسرعان ما أصبحت طائرات « ميغ - ١٥ » تظلل بحمايتها سماء
القاهرة وتدفقت مدافع ومركبات ودبابات ومجنزرات سوفيتية الى الوحدات
المصرية في الصحراء الشرقية والغربية • وأخذت قطع بحرية سوفيتية
مكانها قرب شواطئ مصر الشمالية • وغدت أجهزة الرادار والمعدات الفنية
الشرقية تشكل عماد ترسانة الأسلحة المصرية ، تأتي إليها أحيانا من
روسيا ذاتها وأحيانا أخرى من تشيكوسلوفاكيا الدائرة في فلكها •

ومع هذا التطوير في التسليح ، تدفق سيل غزير من المعلومات الى
عقول ضباط مصر على كافة المستويات ، بدءا بالقيادات العليا التي انتظم
عدد كبير منها في دورات عسكرية متقدمة لدراسة فنون الحرب والقيادة
على المستويين التكتيكي والاستراتيجي • فأصبح لمصر في سنوات معدودة
جيش أخذ في القوة ، وقيادة آخذة في التبلور ، يقف وراءهما شعب له من
الوعي رصيد كبير • ولقد هزت صفقة الأسلحة الشرقية لمصر ، أمريكا
وأوروبا هذا عنيقا ، وجعلتهما يقفان في تحفز لهذه الطفرة العسكرية ،
التي لم يكن لها مثيل في التاريخ منذ سنوات مضت قبل هذا العهد :

وآنذاك كانت الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية قد
استوت على أوجها في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية فلم يكن غريبا أن
تذكي هذه الصفقة أوار هذه الحرب غير المعلنة ، وتزيد شقة التباعد
الايدولوجي بينهما • لذلك لم يكن غريبا أن تفكر الدول الغربية في طريقة
فعالة لاجهاض هذا الجهد وافراغ العسكرية المصرية من شحناتها •

ولقد سنحت الفرصة كاملة في اعلان تأميم قناة السويس في يوليو
١٩٥٦ ذلك المرفق الذي كان بمثابة البقرة الحلوب لأكثر من دولة أوروبية ،
والتي لم يكن يصيب مصر من دخلها غير فئات مائدة السادة •

عندئذ تأمرت انجلترا وفرنسا مع مقلب القط اسرائيل لافتحال سبب
يعطى هذه الدولة الصنيعة ذريعة الاعتداء على مصر • ولم تكن الحشود
الاسرائيلية التي تكاثرت أمام الحدود السورية بأكثر من تمشيلية لكي تهدد

مصر بأن أى اعتداء على شقيقتها سورية يعتبر عدوانا عليها فتحول العدو بحشوده نحو سيناء ميمما وجهة شطر قناة السويس . وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وجهت إنجلترا وفرنسا اندازهما الى مصر واسرائيل التى اجتاحت حشودها أرض سيناء بالابتعاد عن قناة السويس من كلا جانبيها .

وجابهت العسكرية المصرية امتحانا قاسيا فى صد العدوان ذى الثلاث شعب والمتعدد الاتجاهات،والذى تدير دفته دولتان كبيرتان وصنيعة لهما . وادراكا من الرئيس جمال عبد الناصر لاستراتيجية المعتدين ، صدر الأمر بانسحاب الجيش المصرى من سيناء الى غرب القناة ، ليتفرغ للدفاع عنها وحدها ، وليتفرغ لصد الهجمات الانجليزية والفرنسية على مدن القناة من الجو والبحر الأبيض شمالا نحو بورسعيد ، والبحر الأحمر جنوبا نحو السويس . وكان التصور قبل هذا يلوح فى امكان هبوط هؤلاء الغزاة غرب الاسكندرية لاجتياح شمال الدلتا والتقدم نحو بورسعيد .

ولقد أثبتت العسكرية المصرية الوليدة والتى لم يكن قد مضى على اعادة تسليحها بالأسلحة الشرقية غير عام تقريبا ، أنها قد استوعبت ما لديها من سلاح .

وفوق مدن القناة وحولها ، وفى البحار القريبة منها ظهرت بطولات مصرية فى البر والبحر والجو ، سطرت للعسكرية المصرية صفحة فخار فى التاريخ . فقد احبط نفر قليل من ضباط المدفعية الساحلية المصرية تقدم عدة بوارج حربية بريطانية نحو السويس . وأغرق ضابط زوارق الطوربيد المصرية الصغيرة البارجة الفرنسية الضخمة (جان بارت) أمام شواطئ دمياط تحت أمره بطل من أبطال البحرية المصرية هو الشهيد « **جلال دسوقي** » يؤازره بطل سورى منخرط فى التدريب بها هو الشهيد البطل « **جول جمال** » .

وقامت وحدة مدفعية مضادة للطائرات فى جلد بطولى باحباط هبوط فرنسى بجنود المظلات على مدينة بورفؤاد فعطلت هجومه اثنى عشرة ساعة كاملة ، واستبسلت كل التشكيلات المصرية فى بورسعيد فى صد العدوان الذى كان يوجه ضرباته من الجو والبحر . وفوق أرضها قام آلاف الشهداء من المدنيين والعسكريين على السواء بواجبهم المقدس فى الذود عن شرف الوطن . وكان أروع ما فى المعركة التحام تام بين الجيش والشعب أعطى للعالم أروع أمثلة الفداء .

وبعد أن أفلح العدو في احتلال بورفؤاد وشطر من بورسعيد ، ووقف عاجزا عن احتلال شبر واحد من السويس ، أحس المعتدون أنهم في مصيدة بعد أن أقضت مضجعهم وحدات الصاعقة التي تسلمت الى صفوفهم . ولقد لعبت الاستراتيجية الدولية دورها في لعبة الشد والجذب بين الكتلتين الشرقية والغربية فلم تكن أمريكا تبارك هذا العدوان وهددت روسيا باستخدام صواريخها إذ لم يقف عند حد وانتهت الغزوة الفاشلة في ٢٣ ديسمبر من نفس العام .

العسكرية المصرية في حجم جديد

رحل آخر جندي من الحملة الانجلو - فرنسية عن بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ وانسحبت شراذم العملاء الاسرائيليين من سيناء الى مواقعها في ١٤ يناير ١٩٥٧ ، وأقر المجتمع الدولي وضع بوليس دولي ليفصل بين مصر واسرائيل ، وليؤمن الملاحة البحرية في خليج العقبة وشرم الشيخ . وبذلك انسدل الستار على تمثيلية هزلية كان هدفها الرئيسي الارادة المصرية واجهاض وليدها العسكري . لكن هذه التجربة أوقعت الغرب في شر أعماله ، فقد تأكدت سيطرة المصريين على ادارة قناة السويس وتأكد تدفق السلاح السوفييتي في المنطقة وتضاعف احساس العسكرية المصرية بكيانها . ومع طبول النصر التي أخذت تدقها أجهزة الاعلام المصرية ، وضعت خطط مضاعفة أحجام كل التشكيلات الحربية المصرية في البحر والبر والجو ، وتدفق السلاح غزيرا من الاتحاد السوفييتي ومن حليفته تشيكوسلوفاكيا .

والحق يقال ان أجهزة الاعلام أعطت أبعادا لانتصارات مصرية لم تكن في الحسبان ، وجعلت من فكرة انسحاب الجيش من سيناء أيديولوجية خارقة رسخت في أذهان البعض أنها أسلوب الحرب الوحيد في سيناء .

وفي غمار الفرحة بالنصر ، اذن مؤذن في الشرق بنداء جديد ، بعث الحياة في القومية العربية الكامنة في أعماق شعوب المنطقة ، والتي لم تكن تمثل الا آمالا تتراقص في أحلام المخلصيين من أبنائها . فقد أعلنت الوحدة العربية بين سوريا - ومصر في فبراير ١٩٥٨ ، وكان ذلك في حقيقته ثمرة لتعاون تلقائي بين البلدين بدا واضحا ابان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ عندما عطلت سوريا خطوط ضخ البترول الى مصافيه على البحر الأبيض .

وأخذت العسكرية المصرية بعدا جديدا فى الامتداد الى القطر الشمالى (سوريا) . وبين يوم وليلة أصبح السلاح السورى والمصرى صنوان . ورغم أن روسيا لم تكن تبارك هذه الوحدة ، ووقفت منها موقف الجمود لأنها لا ترحب بأى تجمع قومى أو اقليمى ، فقد أخذت عقود الأسلحة تترى على الاقليمين الشمالى والجنوبى . ومعها انخرط آلاف من الضباط المصريين فى دورات دراسية تخصصية فى الاتحاد السوفيتى لاتقان فنون القيادة والتكتيك والأعمال الفنية ، حيث أثبت الضباط والجنود المصريون أنهم على مقدرة ذهنية لاتقان استخدام أعقد معدات القتال . ورسخت أقدام العقيدة الشرقية فى مصر . ولم يأت عام ١٩٥٩ الا وأصبح للجمهورية العربية المتحدة غواصات بحرية كانت مصدر قلق لإسرائيل . ولم يأت عام ١٩٦٠ الا واستكملت تصميمات الطائرة العربية النفاثة المقاتلة « القاهرة » ورغم أن ركب الوحدة بين مصر وسوريا انفرط عقده عام ١٩٦١ وأصبحت القومية العربية بنكسة . الا أن عام ١٩٦٢ جاء مبشرا بفتح جديد هو اطلاق الصاروخين « الظافر والقاهر » من نوع أرض / أرض ، فدخلت العسكرية المصرية بذلك عالم التسليح الصاروخى وأصبحت قوة لا يستهان بها . ثم شهد نفس هذا العام (١٩٦٢) ، تحولا كان فى الواقع المنعطف فى ركب العسكرية العربية ، اذ اندلعت الثورة فى اليمن فى سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وأطاحت بحكم الامام ، على يد الضابط « عبد الله السلال » الذى وجد نفسه وسط عالم عربى غير متماسك تبدد قواء المنازعات والتناقضات ، فاستنصر بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة التى ظلت تحتفظ بنفس الاسم استمساكا بفكرة الوحدة العربية .

العسكرية المصرية فى اليمن

وكان قرار نجدة اليمن بمشابة رى الصحراء بمياه النيل ، فقد بدا طلب المعونة فى صورة طائرة لنقل الرئيس السلال لتفقد القبائل واستمالتها للوقوف بجانب ثورته ، ثم بطلب حماية قادة الثورة باعداد من رجال الصاعقة ، ثم بطلب حماية أراضى اليمن نفسها من الرجعية اليمنية التى هربت الى الجبال وأخذت تؤلب القبائل . لذلك تدفقت على اليمن أسراب من الطائرات المصرية المقاتلة وأسراب أخرى قاذفة مقاتلة ، وجنود وكتائب ومدافع ودبابات والحشود التى أخذت تتدفق نحوها من السعدونية ومن الربع الخالى . ولم يمض غير شهور قليلة حتى

أصبح ١/٤ الجيش المصرى وقواته فوق ربوع اليمن . وهنا لابد من وقفة لنحلل فى ميزان المكاسب والخسائر ماذا أفادت العسكرية المصرية فى حرب اليمن ، التى ظلت تتصاعد باستمرار وتشكل استنزافا لطاقت مصر العسكرية والاقتصادية على السواء .

والحق يقال أن حرب اليمن لم تكن صورة للحرب المنظمة ولا صورة من حرب العصابات ، بل كانت صورة فريدة فى نوعها ، فقد كانت حربا من طرف واحد تتمثل فى جيش يطارد حفنة من المتمردين ، كل سلاحهم عتاد عتيق ليس تجاوزا أن بعضه كان من سلاح القرن الماضى . وكل مؤونتهم حفنات من شعير ودقيق وزبيب ومأواهم رؤوس الجبال وجحورها وكهوفها . هم بعد ذلك منصرفون عن كل صور الحياة لا شأن لهم بها .

وكان يحركهم المال وعصبية القبيلة ، بلا فهم أو وعى أو عقل . اذ لك لم يكن غريبا أن يقف قبلى واحد يتخذ موقعا عاليا فوق ربوة أو يختفى فى تجويف من تجاويف الجبال ليعطل مسيرة رتل من العربات والمجنزرات والدبابات . هم يقصفونه بأحدث الأسلحة ، وهو يصطاد رجالهم واحدا اثر الآخر ، ويعطل مسيرتهم . ولم يكن غريبا أن يستطيع قناص يمنى واحد أن يصوب بندقيته نحو طائرة مصرية . فيصيبها فى غفلة من قائدها .

وكانت الحلول أحيانا ، ان تقوم الطائرات بقصف الجبل ذاته ، لتتخلص من هذا التمرد . أو تركز المدفعية طلقاتها على الجبل ، لعلها تفلح فى اصابة الكهف المجهول الذى يقبع به المتمرّد .

ومضت حرب اليمن ، هكذا . . بلا محاور للقتال ، فى جبهات لا حدود لها وفوق أرض طبيعتها جبلية ، وضد قوم تسود بينهم أحكام القبلية بآفاقها المحدودة ، يمكن أن يشتروا بالمال وأن يموتوا لأتفه الأسباب . ولعله من الحق القول بأن الريال لعب دورا فى حرب اليمن كما لعبت الطائرة والدبابة والمدفع . ذلك أن بعض القبائل كان ولاؤها مرهونا بتدفق الريالات على رجالها ، فاذا ما توقفت ، انقلبوا الى الطرف الآخر يبيعونه ولاءهم ويأخذون منه ليطلقوا رصاصهم نحو صدور جنود مصر . وأصبحت العسكرية المصرية متورطة فى عمل يصعب الانسحاب منه، ويمزق نفوس رجالها شعور دينى ، يتمثل فى استنكار محاربة مسلم لمسلم وعربى لعربى ، مهما كانت منازعتهم . فى حين مضى بعض الضباط يتهايمسون مستنكرين البطش بالقرى الآمنة لمجرد أن بعض أنصار الامام مختبئون بها . وأولع بعضهم بالحساب ، فأحصى القنابل التى اسقطت فوق جبال

اليمن . وخلص الى أنها لو كانت اسقطت فوق الجزيرة البريطانية لكانت قد دكتها . وتعرضت مصر للتشهير من بعض الدول العربية الأخرى ، التي وجدت الفرصة سانحة للقول بأنها طامعة فى بعث امبراطورية تمتد الى آفاق تبعد عن اراضيها بآلاف الكيلو مترات بينما كانت الدول الكبرى سعيدة بهذا التورط ، الذى كان بمثابة البشر التى تزداد عمقا يوما بعد يوم . فقد كان من مصلحة أمريكا فعلا أن تستمر مصر فى هذه المباراة التى تستنزف كل قواها . كما كانت روسيا سعيدة بالسلاح الذى تبيعه لمصر فتحوله بدورها الى جبهة لا أول لها ولا آخر .

وكانت النتيجة أن أصبح اقتصاد مصر كسكير يترنح .

ولكن وقفة العسكرية المصرية لم تذهب سدى ، ولم تكن أخطاء السياسة حائلا دون أن يمضى جيش مصر فى تحقيق رسالته وحمل أمانته فوق أرض تبعد عن الوطن ما يقرب من خمسة آلاف كيلو متر .

ف فوق روابى اليمن وجباله استشهد مئات الأبطال من ضباط وجنود مصر ولم تؤرق ضمائرهم نزعات ولا أهواء ، وحركهم قول الله « وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » . وتخضبت رمال اليمن بدماء زكية ضربت أروع الأمثال فى الذود عن الحق ، ومحاولة ردع الظالمين . ومن أبطال العسكرية المصرية فى اليمن شهداء لقوا ربهم كأروع ما يمضى حملة المسئوليات ، استبسالاً فى أداء الواجب :

« الملازم / نبيل الوقاد » أول شهداء القوات البرية .

« الملازم طيار / راجى عز العرب » أول شهداء القوات الجوية .

وغيرهم الآلاف ، من جنود وضباط . وتحت ظلال العسكرية المصرية دخلت صور حضارية الى ربوع اليمن السعيد الذى ظل رازحا تحت نير الجهل والظلم قرونا . وفى ركب العسكرية المصرية باليمن دبّت المدنية الحديثة فى جسد أمة أنهكها الفقر والمرض والجهل بأبسط أصول الحياة . بيد أن كل الجهود العسكرية والمدنية كانت بمثابة قطرات ماء فوق أرض قاحلة أمتصتها وبقيت كما كانت ، فقد رجع اليمن بعد خمس سنوات من الكفاح والتضحية والعمل سعيدا كما كان ، ولم يتغير فيه غير لون الحكم وحده ، حتى دهمت الشرق العربى نكسة ١٩٦٧ .

أعباء على كاهل العسكرية المصرية

فيما بين يوليو عام ١٩٦١ ويونيو ١٩٦٧ ، ورغم الانخراط في حرب اليمن ، لم تكن العسكرية المصرية لتكف عن النمو ، حجما وتسليحا وتدريباً . فكانت تشكيلاتها في نمو مطرد وكان السلاح يأتي من الاتحاد السوفيتي وحده ، ويدفع ثمننا له من محاصيلنا الزراعية وصناعاتنا المحلية مثل القطن والأرز والبصل والأحذية والأقمشة . وكان استيعاب الجندي المصري لسلاحه يمضي على قدم وساق ، ونوعية السلاح في تحسن مع الزمن فالميج - ١٥ حلت محلها الميج - ١٧ الأكبر سرعة والأحسن تسليحا ثم أتت بعدها الميج - ١٩ ثم الميج - ٢١ وكذلك كان الشأن بالنسبة للدبابات والمدافع وأجهزة الرادار والصواريخ .

والحق يقال إن محاولات زيادة حجم القوات المسلحة المصرية كان يحكمها عاملان . العامل الأول سياسي تمليه المنافسة التي يجب أن يشهر بها العدو الإسرائيلي الذي ظل يهدد ويتوعد ، والعامل الثاني إمكانيات محدودة من المال والعتاد لا تتماشى مع هذا الحجم المطلوب . ولذلك أتى تشكيل بعض الوحدات ، كمخلوق مسخ مقضى عليه بالهلاك بعد حين . وكانت القضية قضيعة كم لا كيف، وكان كل ما يعنى المستوطنين أسماء رنانة واعدادا مغلوطة ومبالغ فيها ، ولم يكن المستوى يأتي الا في المرتبة الأخيرة من التفكير والتخطيط . ولنا أن نتصور كيف يمكن أن يكون مستوى تشكيل مقاتل برى أو جوى أو بحرى ونسبة استكمال الرجال فيه ٤٠٪ مثلا والعتاد لا يتجاوز ٥٠٪ . ولم يكن مهما كيف يمكن أن يكون عليه مستوى هؤلاء الرجال ، بهذا الاستكمال الشكلي الهزيل . كما لم يكن مهما كيف يمكن لهؤلاء الرجال أن يحققوا مهامهم وواجباتهم العسكرية .

ولا يفوتنا أن نذكر ان مصر شهدت في يوليو ١٩٦١ الثورة الاشتراكية بغرض تحقيق العدالة الاجتماعية بين طبقات الشعب . وتمثلت هذه الثورة في اعلان قوانين يوليو الاشتراكية التي خلقت في مصر نظاما اقتصاديا جديدا في طريق التحول الى الاشتراكية ، هو نظام مشاركة الدولة في رأس مال المؤسسات العامة الانتاجية والاستهلاكية على السواء .

ولذلك استولت الحكومة على بعض المؤسسات بطريق التأميم وتعويض مؤسسيها ، ودخلت الحكومة كشريكة في بعض المؤسسات الأخرى . وكان التأميم قد شمل البنوك ودور الصحف وعدة مرافق هامة

قبل ذلك بسنوات ، كما تحققت أحلام المخططين في خلق نواة الصناعة الثقيلة ، ومسايرة ركب التطور العلمى الحديث ، اذ استكمل انشاء مصنع للحديد والصلب فى حلوان ، واقيم مفاعل ذرى فى انشاص ، وافتتحت عدة مصانع للذخيرة الحربية الثقيلة وتحددت الملكية الزراعية بمائة فدان للفرد الواحد ، وبدأ سكان الوجه البحرى والقاهرة ينعمون بليال سعيدة وهم أمام شاشات التليفزيون . ولذلك أحست العسكرية المصرية أن عليها واجبات اجتماعية بجانب واجباتها العسكرية ، وكان ذلك التزاما بحماية الثورة لتأكيد حماية المكاسب التى حققتها للطبقات الكادحة ، ولمحو الظلم الاجتماعى الذى تبدى فى سيطرة الأجانب على الاقتصاد بكل شعبه ومرافقه ، وعلى أغلب الأراضى الزراعية ، الى جانب استئثار طبقة الرأسمالية المتحكمة التى لا تزيد عن ١/٢٪ من تعداد الأمة بكل خيراتها . ولذلك لم يكن غريبا أن تمثل العسكرية المصرية دور الدرع لحماية الثورة ولم يكن غريبا كذلك أن يناط بها مهام أخرى ، تتعلق بمصالح الجماهير المباشرة كوضع حلول لأزمة المواصلات ، ووضع خطوط تنفيذ مشروع السد العالى ، ووضع نهاية لوجود الاقطاع فى الريف والمدن .

ولعله ليس تجاوزا القول بأن هذه الواجبات التى ألقيت على كاهل القوات المسلحة كانت بمثابة طريق تحول ببعض رجالاتها الى غير تخصصهم ، والى انصرافهم عن واجبههم الأساسى فى زيادة القوات المسلحة منعة .

لذلك أتت النتيجة الحتمية ، وهى زيادة ضعف التشكيلات العسكرية التى كانت تعنى بالكم دون الكيف ، ويستبد بها الحجم دون الامكانيات .

وأهم من ذلك كله ، أن ركب التطوير فى القوات المسلحة ، كان يسير فى اتجاه واحد لا ينشئ عنه ، هو اتجاه العقيدة الشرقية وحدها ، دون أن يشخص ببصره الى دول المعسكر الغربى . وكان الاحساس بارتباط الاشتراكية العربية بالاشتراكية السوفيتية ، احساس الوجود الذى لا ينفصم ، كالزواج الكاثوليكي .

ومضت العسكرية المصرية ترفل فى حللها الزاهية ، مزهوة بانتصارات اليمن ومزهوة بتضخم حجمها وكثرة عددها .

عدوان يونيو ١٩٦٧

فى مايو ١٩٦٧ تكررت اللعبة المعتادة من قبل اسرائيل ، لعبة الحشود تجاه سوريا • وبات وشيكا وقوع هجوم مدبر على الاراضى العربية • وتكرر العمل المضاد العربى تماما كما حدث عام ١٩٥٦ •

فقد تدفقت الجيوش المصرية على جبهة سيناء ، لتحول الضغط على سوريا نحوها •

وتحقق القول فعلا ، اذ اندفعت الالوية الاسرائيلية نحو الجنوب وتخلت عن الجبهة السورية •

وكان الزحف العربى غزيرا بشكل لم يعهد من قبل ، وكان احساس رجل الشارع أن فرقة فى المنطقة على وشك الوقوع • وكان احساس الكثيرين أن الأمر لا يعدو أن يكون مظاهرة عسكرية ، الغرض منها تخويف اسرائيل •

وكثر الجدل بين مرجح لوقوع الحرب ، ومستتهين بوقوعها ، حتى فاجأت القيادة العربية العالم بقرار ابعاد قوة الطوارئ الدولية عن خليج العقبة وشرم الشيخ ، واغلاق الملاحة فى وجه السفن الاسرائيلية بخليج العقبة •

وتكهرب الجو ، وادرك العالم ان شيئا خطيرا على وشك الوقوع • فتحركت اجهزة هيئة الأمم المتحدة ، وكان « أوثانت » السكرتير العام لهذه الهيئة فى طريقه لمصر عندما صفعه القرار ، فواصل رحلته ، وكما حضر عاد ، بخفى حنين •

وتوترت العلاقات مع أمريكا ، بعد أن كانت الجفوة قد طالت لسنوات بينها وبين مصر •

ولعبت روسيا دور الناصح الأمين ، بالتوجيه بعدم البدء بالعدوان ، لأن البادئ سيكون أظلم ، وسيحقيق به ما لا تحمد عقباه •

ووقع المحذور ، وبدأت اسرائيل بالعدوان يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ على ثلاث دول عربية هى سوريا والأردن ومصر • وارتكز عدوانها على قواتها الجوية أول الأمر ، فأغارات بمئات الطائرات على هذه الجبهات وأصلتها من نيرانها المفاجئة ما أصابها بالشلل •

ووجدت العسكرية العربية ، والعسكرية المصرية على الأخص نفسها أمام حقائق مؤسفة أولها تفكك القيادة ، وثانيها أن مستوى تدريب الأفراد والتشكيلات الصغرى كان مرضيا ، ولكن التنسيق مع التشكيلات الكبرى كان ضعيفا ، وثالثها عدم التنسيق بين الجبهات .

ورغم أن إسرائيل لم تفاجئ الجبهات الثلاث بهجومها ، ورغم أن « الفريق عبد المنعم رياض » كان يقود الجبهة الأردنية وأرسل إنذاره إلى مصر يتوقع الهجوم قبل حدوثه بثلاث ساعات ، فإن هذه الفترة لم تكن كافية لأجهزة القيادة المفككة لتفريق من سباتها .

وأخذت القيادة العسكرية بعدما باغتتها المفاجأة تتخبط في تيه من التصرفات الهستيرية ، بلا تعقل فأنت نتائجها فضائح في عرف العسكرية التقليدية . وطفا على سطح الأحداث ضعف التشكيلات التي كان يكتفى بتسميتها وتطبيق هيكل مهتز لها ، دون النظر إلى مستواها .

وكانت قاصمة الظهر في المفاجأة الاسرائيلية ، تدمير الجزء الأكبر من القوات الجوية المصرية وهي رابضة على الأرض في مطاراتها قبل أن تتمكن الطائرات من صد الهجوم . وتعطيل الغالبية العظمى من المطارات تعطيلًا اقتضى إصلاحه عدة أيام .

وبذلك انتزعت إسرائيل عنصر السيطرة الجوية ، وأصبح زمام الموقف ملك يديها . ووجد الجيش البرى المنتشر فوق سيناء كلها ، في أيديولوجية الانسحاب التي كانت ملاذه في حرب ١٩٥٦ منفذا له بعد أن افتقر إلى الغطاء الجوى ، وأحس أنه بلا قيادة ، فقد كانت القيادة العسكرية عاكفة على البكاء ، وهي تصدر أمر الانسحاب .

وأصيبت الأمة العربية بنكسة أصابت كياناتها بهزة عنيفة - وتراقصت معه هيبتها أمام العالم . ولكن الحقيقة المرة أن العدو دخل إلى سيناء واحتلها من عيوبنا نحن ، قبل أن يتسلل من حدودنا .

غير أن الشعب المصرى ، هب في وقفة رجل واحد ، وأبى الهزيمة ورغم بوادر النكسة العسكرية أعلن تماسكه واستمسكه بقيادة جمال عبد الناصر ودعاه لعدم التخلي عن منصبه عندما لوح بهذه الرغبة .

وكانت هذه الوقفة نقطة انطلاق للقيادة السياسية لتجدد نفسها ، وتنفض عنها كثيرا من السلبيات والمعوقات ، ولتعيد تنظيم القوات المسلحة من جديد على أسس جديدة .

وشهدت مصر وهى فى وقفة منكسرة ، بارقة أمل فى العسكرية المصرية التى أثبتت أن معدنها أصيل وجوهرها لن ينطفىء . وبدأت القوات المسلحة تتصدى للعدو فى خطوطه الجديدة ، وهى تستخدم البقية الباقية من سلاحها أحسن استخدام . ويجل عن الحصر عمليات رجال الصاعقة الذين كبدوا العدو خسائر جسيمة ، ونسفوا كثيرا من أسلابه التى كان ينوى سحبها الى عمق سيناء .

ولم يمض على العدوان الا أقل من شهر حتى كانت وحدات صغرى تقوم بأعمال خارقة من أبرزها وحدة « رأس العرش » التى ضربت أروع المثل فى الصمود والجلد ، وسط مستنقعات وأحراش وأرض رخوة جعلت من الوحدة المصرية كجزيرة وسط يـم ، ولكنها ترفع علم سيادتها .

وشهد يوم ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ أروع قتال بطائرات القوات الجوية على ضفتى القناة وفى أعماق سيناء ، الأمر الذى جعل قوات العدو تظن أن مصر على وشك القيام بهجوم مضاد ، فانسحبت أغلب وحداتها الى قرب العريش .

وفى يوم ٢١ أكتوبر من نفس العام ، سجلت البحرية المصرية فى فخار أروع أعمالها ، باغراق البارجة الاسرائيلية « ايلات » امام شواطئ بورسعيد بوحدة صغيرة من زوارق الطوربيد . فكان عملا هز العدو من أعماقه وأثبت له ان عرين الأسود لن يفرغ من أشباله .

وبانت العسكرية المصرية تواصل ليلها بنهارها فى استعداد وتدريب وتحصيل واستيعاب للسلاح . ولا يفوتنا أن نذكر علما من أعلام العسكرية المصرية فى هذه الحقبة ، هو « الفريق عبد المنعم رياض » الذى أبى الا أن يلقي ربه مستشهدا من مواقع جنوده أثناء حرب الاستنزاف .

وأخذ السلاح يتدفق على مصر من الاتحاد السوفيتى ومعه خبراء للتدريب عليه . والحق يقال ان احساس أى مصرى بهؤلاء الخبراء لم يتعد النظرة الى صديق ولكنها نظرة يشوبها شئ من الحذر ولا تكتنفها مشاعر الانفتاح العربى السمع الذى لا يقيد قيود .

ولعله ليس سرا القول بأن قرار قيادة هؤلاء الخبراء والمستشارين ، بعد أن تدارسوا موقف القوات المسلحة المصرية عقب النكسة ، كان أن الأمر يستلزم ثلاث سنوات على الأقل لكى تستطيع مصر أن تنهض من كبوتها .

وأخذت عقود الاسلحة السوفيتية ، تترى واحدا أثر الآخر لتعويض
ما ترك من سلاح فى سيناء ، وملء الفراغ العسكرى الذى أصاب المنطقة .

ورغم أن قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) صدر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧
بضرورة انسحاب اسرائيل الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ، ورد فى كلمات
بعض الأمور الى نصابها ، الا أن اسرائيل مضت فى غيها ، ولم تتخل عن
صلفها ، لذلك حرصت العسكرية المصرية على تأكيد وجودها ، وفى الوقت
الذى كانت تقوم فيه بإعادة تنظيم القوات ، واستيعاب السلاح ، كانت
تشارك فى عمليات فك المصانع فى منطقة قناة السويس وإخلائها من
سكانها وإيوائهم فى الخلف استعدادا للمواجهة .

وحمل الشعب فى وقفته خلف قواته المسلحة شعارا جديدا هو « **يد تبارب** » وبدأت فى المنطقة « **حرب الاستنزاف** » تديرها مصر
بوسائل تقليدية على طول جبهة القناة بآلاف المدافع التى أخذت مواقعها
فى اتساق بطول القناة كلها . وأخذت حرب الاستنزاف صورها المتبادلة
من الطرفين ، تتركز من جانب مصر على آلاف المدافع ، وتتركز من جانب
اسرائيل على مئات الطائرات تغير على المواقع المصرية .

ووسط حرب الاستنزاف تدفق سميل من حملات التشكيك فى
قدرات العسكرية المصرية على الصمود ، أو الهجوم . وكان مصدر هذه
الحرب النفسية بلا شك العدو نفسه بأجهزته المعنوية المنظمة ، ولكن كان
يغذى هذه الحملة وجود أرض خصبة لدى بعض طبقات الشعب المصرى
لتقبل الافتراءات وخاصة تلك التى تقدم اليه فى صورة نكت أو فكاهات
يسرى بها عن نفسه .

وكانت العسكرية المصرية بين آن وآخر تسجل ضربة قاضية
لاسرائيل تصيب منها موضع الشلل ، وتنهب العالم أجمع الى أن الذين
يحاربون هم رجال مصر ، وليس السوفييت . وقد كانت الحملات تهون من
شأن الطيار والضابط المصرى ، وتلصق أى نصر يعتمد على الأجهزة
التكنولوجية الحديثة الى السوفييت . والحق يقال ان السوفييت لم يكونوا
يحاربون ، ولا يقودون ولا يصدرون الأوامر بالحرب ، ولكن يشاركون
القادة المصريين فى اعطاء المشورة فقط . بل لقد كانوا فى معظم الأحيان
يتخرجون صراحة من حدوث أى مواجهة عالمية لو شاركوا بأنفسهم فى
الحرب . ومضت السنوات الثلاث التى حدها السوفييت ، وكل جندى
وضابط فى مصر شغله الشاغل الاستعداد للصامت وكأنه يقول متى
سننتقم . ومضت بعدها عدة شهور والمحللون ينظرون الى الأمر نظرة فيها
ادراك بأن الأمر أعمق مما كانوا يتصورون .

لقد حرص السوفييت على أن يكون السلاح نوعية خاصة ، هو أن يكون سلاحا دفاعيا لا هجوميا .

ووسط هذه اللجة من العمل والاستعداد والصراع ، شاءت ارادة الله أن تختار لجوارها ابنها الوفي الذي قادها وسط ظلمات النكسة ، الرئيس جمال عبد الناصر ، فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

وانفجر بين طبقات الشعب ، وبين الضباط والجنود أتون من الحزن ، مبعثه أن الأمة فقدت رئيسها . ويوم أعلنت وفاته هب كل الناس هبة واحدة حار فيها علماء النفس ، فأسموها ظاهرة « **الحزن الجماعى** » والحقيقة أنها كانت تقديرا من الشعب المخلص الذى قاده . شبابه كله .

وتولى رئاسة الجمهورية ، النائب الأول للرئيس عبد الناصر ، وهو ابن من أخلص أبناء مصر ومن أكثرهم خبرة وشجاعة ووفاء وتفتحاً وإخلاصاً ، هو « **محمد أنور السادات** » الذى أعاد « مصر » نورا مشعا ونارا على الأعداء .

العسكرية المصرية مع السادات

ليست العسكرية المصرية فى عهد السادات ثوبا جديدا ، يمكن أن نسميه ثوب الجدية والعمل فى صمت ، واتخاذ الأسلوب العلمى فى التخطيط للحرب . ولم يكن غريبا على أول رئيس فى مصر ، يحترم العلم ومفعم بالايمان ورفع فى أول أيام حكمه شعار « **العلم والايمان** » . ومن منطلق العلم كأسلوب ، والايمان كطريق ، أخذ التخطيط للمعركة يأخذ بعدا جديدا لا علاقة له بالخطب الرنانة ، وبعبدا عن حلزونات السياسة ، وبعبدا عن تأثير مراكز القوى التى لم تجد لها مكانا أليق من السجون .

وكان شغل السادات الشاغل منذ أول أيام حكمه هو التخطيط للمعركة بعد أن وضح له أن أساليب الحلول السلمية المائة فى المائة بعيدة مفاهيم العصر ، وأن الحل الوحيد لابد أن يكون عسكريا تعقبه سياسة رائدة .

وبصدد تطوير السلاح للاعداد للمعركة ، انتقل السادات بنفسه الى الاتحاد السوفيتى ثلاث مرات متعاقبة ليتعاقد على نوعية السلاح المطلوب .

ولعل مقاييس السوفييت المادية ، غفلت عن الأتون المتأجج في نفوس أبناء القوات المسلحة المصرية ، رغم العدد الضخم من مستشاريهم وخبرائهم ، الذين كان ظنهم أن الروح المعنوية لدى الشعب والجيش لن تسمح بقيام أية حرب أو حتى مناوشة ، وإن الشعب قد استناب للهزيمة بعد أن طال أمدها .

ولعل اليأس من وقفة السوفييت المتطلعة ، لا إلى الأمام ولا إلى الخلف هي التي جعلت السادات يتخذ للاستراتيجية المصرية طريقا آخر ، كان بعيدا عن ظنون الغرب والشرق على السواء . فقد أتى قراره بالاستغناء عن المستشارين والخبراء السوفييت في يوليو ١٩٧٢ فكان ضربة مفاجئة لم يكن يتوقعها أحد .

وكان للأمر صدى في مصر . . خفف السادات من وقعه بالقول بأنه « وقفة مع الصديق » . فقد خلصت العسكرية المصرية ، وأصبحت القوات المسلحة مصرية بنفسها ولنفسها ، فلا يعقل أن يحارب السوفييت بدلا من رجالنا ولا مع رجالنا . ولذلك أتت محصلة أمرهم في النهاية خيالا ، أصدق تعبير عنه قوله تعالى « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كما مثل العنكبوت اتخذت بيتا » ولعلهم أساءوا الظن ، عندما شط بعضهم في تصور أن الأمر خلفه اتفاق سري مع الغرب . وكان وقعها أعجب على الغرب نفسه الذي لم يفهم شيئا ، وظن أن مصر أصبحت في وضع لن يمكنها من شيء إلا الرضى بالأمر الواقع .

وغفل هؤلاء عن أن الرئيس السادات قد حرر ارادة مصر واستقطب الطاقات العربية ليجعل منها استراتيجية عالمية جديدة ، تستطيع أن تقول كلمتها للغرب والشرق على السواء . وإن هؤلاء الذين لديهم ترسانات السلاح قد غفلوا عن أن العرب لديهم ما هو أهم من هذا السلاح ، بل وما يتحكم في تصنيعه وتشغيله إلا وهو البترول .

ومضى عامان في عمر الزمان ، كقرنين في عمر التاريخ ، كرس فيهما السادات كل الجهود من أجل المعركة ، وعبأ فيهما الطاقات لخدمتها ، وعن سياسة متطورة جديدة في المجالات الدولية والعربية والافريقية اجتذب السادات الانظار لعدالة قضية مصر ، وقضية فلسطين ، وبطلان أسلوب إسرائيل . وصدرت القرارات تلو القرارات في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية والاقليمية تشجب العدوان الاسرائيلي ، وتعريه من ثوب التضليل الذي اكتسى به .

ويوما بعد يوم أصبحت الدول العربية تستعيد ثقتها في جدية مصر للاستعداد للمعركة ، وبكونها الوطن الأم لكل آمال العروبة .

ووضع السلاح العربى كله فى خدمة المعركة فى أغلب الدول العربية، ولم يصبح السلاح وحده هو العنصر الحاكم فى الحرب ، بل دخلت معه الى الميدان أسلحة أخرى ، أهمها الدهاء ، والبتروول ، والكلمة الموحدة والأرصدة العربية فى البنوك الأوروبية والأمريكية .

ولزم الأمر ، تغييرا شاملا لبعض القيادات العسكرية خاصة وقد ولى الرئيس السادات أمر وزارة الحربية الى « الفريق أول أحمد اسماعيل » .

وانطلقت العسكرية المصرية بقيادتها العليا الحكيمة متحررة من كل عوامل القصور ، لتضع القرار .

وفى خط متواز مع الاعداد والتجهيز المحكم للمعركة سارت السياسة الخارجية لمصر فأخذت مسارا الى جميع الدول العربية ، على هيئة زيارات للرئيس السادات للملوك والرؤساء العرب ، تمخضت عن تعضيد وتأزر متكامل ووضع كافة الامكانيات العربية العسكرية والاقتصادية فى خدمة المعركة . . اذا ما أطلق الرئيس السادات شرارتها . وفى سرية وحكمة اتخذ القرار التاريخى للمعركة قبل موعدها بعدة شهور ومضت مصر تستعد للتنفيذ .

بذلك أتى قرار المعركة مصريا مائة فى المائة ، لا الشرق راض عنه ولا الغرب يتوقعه واندلعت الشرارة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى ساعة لم تخبرها من قبل حروب العالم .

لم تبدأ الحرب مع الشرارة ولكن كانت الحرب قد بدأت منذ وضع السادات قراره قبل ذلك بشهور ، ولكن مع الشرارة أتى انطلاق العسكرية المصرية لتكشف عن وجهها ، وتبهر العالم ببطولات تجل عن الوصف وتفوق كل تصور .

ومع بطولات ٦ أكتوبر التى سارت على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية لقن الاسرائيليون درسا لن ينسوه . فقد كانت المرة الأولى التى يتخلى فيها الجندى الاسرائيلى عن موقعه بقوة السلاح ، وذلك أن الجولات الثلاث السابقة بين اسرائيل والعرب لم تملأ العقليّة الاسرائيلية الا بالغرور والصلف ، والجري وراء وهم هو أن جيش اسرائيل لا يهزم .

ومع بطولات ٦ أكتوبر غسل العار الذى لحق بالعسكرية المصرية فى ١٩٦٧ وأثبت شباب مصر ورجالاتها من جيشها وشبيعتها أنهم حملوا

مسئولية القرار ذودا عن وطنهم فى ابناء وكرامة الشرفاء الأحرار . وأنت بطولاتهم أغرب من الخيال . ولعل آلاف الصفحات لن تكفى لتسجيلها ومئات الكتب لن تستوعبها .

ومع هذا النصر ، أتى نداء السادات للعالم أجمع عن بعث العسكرية الحديثة .

ولعل مناسبة اعلان هذا البعث فى ذكرى ٥ يونيو المشئومة ، ومن فوق موقع من أعتى مواقع خط بارليف الذى استولت عليه قواتنا ، فيه تسجيل للتاريخ يشير الى عملاق جديد ، يعيد للأذهان أمجاد الآباء والأجداد وبطولات لا نعرفها الا فى بطون الكتب .

ان العسكرية المصرية الجديدة فى عهد السادات ، ليست وليدا جديدا بل هى بعث لعملاق ، كبا كبوة ، وعشر عشرة ، ثم نهض ليقول للتاريخ كلمات ستبقى على الزمن .

وقفة مع الأبطال

لا يكتمل الحديث عن العسكرية المصرية فى عصرها الحديث بدون التعرض لصانعيها ، ولا يمكن أن تؤرخ للعسكرية بأحداثها ، دون أن تبرز أبطال هذه الأحداث .

ولعل الدافع الذى حدا بالرئيس محمد أنور السادات ، ليعلن للعالم بعث العسكرية المصرية من سيناء ، هو ما بهره من انتصارات رجال الجيش الثانى والثالث أثناء تفقده ما استولوا عليه من مواقع خط بارليف ، وما سجلوه من انتصارات فى عبور القناة .

من منطلق الانتصارات يأتى صوت القائد ، ليردد حقيقة غابت فى زحام الأحداث ، وتاهت وسط أفراح النصر ، وكأنه يقول للعالم أن النصر لم يأتنا جزافا ، ولكننا بتوفيق من الله أخذناه ، وفى سبيله بذلنا الروح والدم . وليس هذا بجديد علينا فان لنا فى التاريخ ماضيا عريقا فى نفس المضمار ، وسيرى العالم للعسكرية المصرية بعثا جديدا ، على طريق جديد .

ان نماذج العسكرية المصرية الحديثة تتمثل فى القادة الذين عزفوا أروع لحن سمعته مصر فى تاريخها الحديث ، بعملهم المنسق ، الذى لعب

فيه « المشير أحمد إسماعيل » دور المايسترو القدير ، العارف بكل تفاصيل
اللعن .

والذى عاونه فيه رئيس أركانه « الفريق سعد الشاذلى » أول الأمر
الى أن حل محله « الفريق محمد عبد الغنى الجسمى » الذى كان يعمل
رئيسا لهيئة العمليات .

وكان للجسمى دور يعتبر بمثابة المحرك للدراسات التفصيلية واعداد
الخطط والذى لعب دورا مشهودا ودقيقا فى مفاوضات الكيلو ١٠١ .

وسيقف الدارسون لتاريخ العسكرية المصرية أمام شخصيات قادة
الأسلحة التى حملت عبء المعركة تخطيطا وتنفيذا ، كل فى مجال اختصاصه
وهم :

قائد القوات البحرية

قائد الدفاع الجوى

قائد القوات الجوية

الفريق فؤاد ذكرى

الفريق محمد على فهمى

الفريق طيار محمد حسنى مبارك

وأمام قادة الجيوش الميدانية التى حملت عبء المعركة فى سيناء
ووضعتها موضع التنفيذ :

قائد الجيش الثانى الميدانى

قائد الجيش الثالث الميدانى

اللواء عبد المنعم خليل

اللواء عبد المنعم واصل

والذين حل محلهم ابان المعركة :

قائد الجيش الثانى الميدانى

قائد الجيش الثالث الميدانى

اللواء فؤاد عزيز غالى

اللواء أحمد بدوى

ومع هذه الصيحة ، لا بد لنا من وقفات مع شخصيات من صناع الانتصارات ، الذين هم من معالم هذا التاريخ .

وقبل أن نشير الى أى منهم لا بد من القول أن البطل الحقيقى ، وأبا الأبطال ، هو الذى اتخذ القرار ، فأتى قراره عبورا لكل نوازع الخوف وهواجس الضعف ، وانطلاقا الى العزة ، وتحقيقا للكرامة العربية .

لقد دخل « أنور السادات » التاريخ من أوسع أبوابه لا كزعيم سياسى محنك ، ولا كقائد عسكرى شجاع ، ولكن كمصرى وكعربى تهملت فى شخصيته كل معانى الكرامة .

ولقد كان قراره بإنهاء الوجود السوفىيى فى مصر ، عملا لا يقل شجاعة عن أخذ قرار المعركة . وسيمبقى أنور السادات فى القلوب ، كصاحب أهم قرارات فى تاريخ العسكرية المصرية وفى تاريخ الأمة العربية وجهاء رد الكرامة الى العسكرية المصرية ، ووضعها فى خضم المعركة أمام العالم لتثبت وجودها .

ولعل أسلوب التخطيط العلمى ، والانفتاح على أساليب العلم الحديث كان الوسيلة الفعالة التى سلك بها السادات طريقه . فكم سمعناه يردد أن قرار المعركة لا بد أن يأتى بعيدا عن التشنجات والانفعالات . ولا بد أن يأتى محسوبا ، بموازين العلم والمقاييس لتحقيق النجاح .

ان وقفنا مع القائد البطل ، ستقودنا حتما الى أبطال آخرين بعضهم أحياء وبعضهم جرحى أصابهم تشويه وبعضهم لقوا الله كأئبل ما يمضى الرجال من حملة المسئوليات الثقالة . هؤلاء وعوا أبعاد رسالتهم فى المعركة فبذلوا أثمن ما يملكون رخيصة فى سبيل تحقيق واجبهم .

من هؤلاء من كان دوره بسيطا كجندى ربض فى موقعه أو خلف موقعه أو تحت طائرته ، أو قرب جهازه . ومن هؤلاء من كان دوره جسيما ، يتمثل فى التخطيط أو القيادة أو وضع الخطط ، أو تشغيل جهاز أو قيادة طائرة ولكن ليس بالضرورة أن يعلن أنه بطل ، وكل من قام بواجبه بطن .

من هؤلاء من عاش ، ومن هؤلاء من لحق بالشهداء والصدىقين وحسن أولئك رفيقا . لذلك فإن الأبطال المجهولين ، أكثر من الأبطال ذائعى الصيت آلاف المرات . ومن هنا فإن وقفنا أمام نصب الجندى المجهول فى أى مناسبة تأكيداً لهذا المعنى الدقيق .



الوزير وقادة القوات الرئيسية للقوات المسلحة

الفريق حسنى مبارك - الفريق فؤاد ذكري - الفريق محمد على فهمى - الفريق محمد الجهمسى - المشير أحمد اسماعيل

الباب الثاني

القيم الروحية

أهدى قائد الفرقة ١٨ مشاه التي حررت
القنطرة شرق إلى الرئيس محمد أنور السادات
أثناء زيارته للمدينة في شهر يونيو ١٩٧٤ أول
علم مصرى رفع على ضفة القناة • وقد كتب
عليه « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » •
وتحت هذه العبارة كتبت خمس آيات من
القرآن الكريم •

وعندما قدم العلم الرئيس قال «ما كتبت
هذه الآيات البيّنات على علم ، إلا ونصره
الله يا سيادة الرئيس » •

القيم الروحية بين الأصالة والاجتهاد

من الخطأ الظن أن ما نعنيه بانطلاقة القيم الروحية بعد ٦ أكتوبر
يمس شيئاً من جوهرها أو يغير شيئاً من أصولها • فلعله من البين أن
رسالات السماء لا يمكن أن تغير منها الأحداث سواء أكانت نصراً أو
هزيمة • ولكن ما نعنيه هو أن الاجتهادات فى تطبيق تعاليم السماء ، باب
لم يغلق بعد • ولعله من مزايا الاسلام كرسالة سماوية أنه يفتح هذا الباب
على مصراعيه ، ويحبذ تجديده فتحه كل يوم •

كما أن تطبيق تعليمات الرسالات السماوية ، وخاصة جانب العبادات
منها ، تلك التى تعنى بالشق الذى بين العبد وربّه ، قد يكون تطبيقاً
عادياً ، يضافى عليه التكرار نوعاً من الرقابة • ولا تزكى فيه الحرارة
إلا الأحداث الجسم التي تهز كيان الانسان ، فتوقظ مشاعر الايمان فى
نفسه ، وتزكى روحه لتلجأ فى خشوع لباريها •

لذلك فقولنا بان القيم الروحية أخذت منطلقاً جديداً بعد ٦ أكتوبر ،
لا يعنى أن جوهرها الالهى قد مس ، ولكن حرارة الأخذ بها كانت فى
أوجها لدى الجندى المصرى قبل وأثناء المعركة • وبعد أن عمت عليه نعمة

الله بالنصر والتوفيق ، أصبحت مشاعر الشكر والعرفان بالجميل ، لازمة من لوازم المجتمع العربى . ولا شك أن ذلك لم يكن وليد صدفة ، ولا بعث فى يوم وليلة ، ولا كان هزة أو شطحة من شطحات الروحانيات ، بل كان عملا من أعمال البناء .

فبناء الأرواح فن له أصوله وقواعده ، كبناء الأجسام والبنيان .
ومن هذا المنطلق نتحدث ، محاولين لقاء الضوء على ما كان ، وما نأمل أن يكون ، ولعل الأخذ بالأسباب مع توفيق الله ، يغير حالنا الى أحسن .

مهبط الرسالات

كانت منطقة الشرق العربى مهبط جميع الرسالات السماوية . التى حملها موسى وعيسى عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ، بل ان رسالة التوحيد القديمة الضاربة فى أعماق التاريخ ، أيام اخناتون ، كان مستقرها مصر . لذلك ليس بعجيب أن نرى أصالة العقائد مستقرة فى أعماق نفوس أهل المنطقة ، وعلى هدى تعاليمها تقوم جل تصرفاتهم ، وحول رحاها تدور فلسفاتهم وأفكارهم .

ولكن جذوة الايمان ، تلتهب أحيانا ، وتخفت أحيانا أخرى . فهى بين شد وجذب ، وفقا لظروف الحكم ، وألوان الترف وصروف الحياة . ولعل تقلبات الدهر تمثل الناقوس الذى ينبه الأذهان كل حين ، ليدكر الانسان بأن فوقه خالقا قديرا .

لقد كانت مصر المهد الذى ترعرع فيه موسى ، وكان الموئل الذى لاذ به السيد المسيح رضيعا على ذراع مريم البتول ، وكانت الأرض الحصبة التى استقرت فيها تعاليم الاسلام ، والتى منها انطلقت شرارات النور الى المغرب العربى ثم منه الى أوروبا .

وفى مصر قام الأزهر الشريف منذ أكثر من ألف عام ، ليحتفظ للاسلام تراثه ، وللقليم الروحية جذوتها . ولقد ظلت هذه الجذوة متفاوتة فى اتقادها حتى كان الحدث الذى هز الشرق العربى ، وزلزل كيان المسلمين ، عندما وقعت نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فرنت الأبصار الى السماء خاشعة تدعو (يارب رحماك) . فقد كانت الجذوة مهددة أن تقع تحت أقدام دنسة ، تحركها الصهيونية العالمية .

محنة

لم تكن نكسة ١٩٦٧ الا الحلقة الأخيرة فى محنة أصابت القيم الروحية ، وكانت بمثابة ردة الى الخلف عطلت ركب المؤمنين .

وفى هذا العهد ، كان القابض على دينه كالقابض على الجمر ، يتلظى به حتى يحترق . وكان كل مناد بالتمسك بتعاليم الدين أو الرجوع اليه ينعت بأنه رجعى ومتخلف .

وأتى على مصر عهد ، أطاحت مراكز القوى فيه بشيخ صغير المنصب ، وقف ليقول للحاكم قولاً حقاً يستند الى الدين عن تصرفات لا تليق ، وعن زى غير محتشم تدخل به النساء المساجد . لم يقل الرجل منكراً ولا شططاً ، بل جهر برأيه عندما كان الجهر بالرأى جريمة لا تغتفر ، وعندما لم يكن مسموحاً بغير الهمس أو الصمت . . أو الموت .

كان الحديث يدور عن موضحة المينى جيب ، والميكروحيب ، وكانت موضحة وليدة لم تنتشر فى الشرق العربى بعد . ولم تجد مراكز القوى للرجل مكاناً الا خلف الشمس ، ليصبح فى مكان لا يستطيع ان يتكلم منه . فتحول بين يوم وليلة من شيخ يؤم المصلين ويعظهم ، الى (خادم) مسجد ينظف دورات المياه والمراحيض ! . لأنه أتى بجريمة شنعاء عندما قدم النصيح للحاكم ، من فوق منصة المفروض فيها انها كانت منبرا للتعبير عن الرأى .

ولم تمض غير أسابيع قليلة ، حتى كانت هذه الموضحة قد تسربت الى أغلب بيوت مصر ، وأصبحت كل سيدة أو فتاة لا تتبعها فى عداد المتخلفات .

وحقيقة الأمر كله تنجلي فى الحديث النبوى الشريف : « ان الله يزع بالسلطان ، ما لا يزع بالقرآن » . فقد غفل حكام هذه الآونة وقتذاك أن يكونوا قدوة للشعب ، ومضوا وكأنهم مع الدين فى حرب ، وناصبوا القيم الروحية العداء .

فى هذا الجو المكهرب البغيض ، عاش الناس قبيل أن تحقيق بهم النكسة . ولعل نظرة الى خارج مصر آنذاك ، تعطينا صورة لما أحاط بشباب العالم من موجات انحلال ما زالت سائدة بينهم الى اليوم ، أطاحوا

فيها بالقيم الروحية ، وغلبت عليهم مادتهم ، وفضلوا الله وراء غرائزهم .
ثم لعل نظرة مدققة الى الأفكار التي كانت سائدة في مصر خلال هذه
الآونة ، تصور لنا تيار الاتحاد الذي استشرى .

لذلك عندما حلت ظلمات النكسة ، كانت قدرا منطقيا ، لانحلال
وتمزق الشباب ، والتيار الفكري الملحد ، فحق على الأمة العربية قوله تعالى
« **واذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا** » .

(سورة الاسراء آية ١٦)

ومع ضباب النكسة ، أفاق الغافلون الى حقائق لم تكن تخطر لهم
على بال . وهب رجال مخلصون كانوا يتلظون بجمر التمسك بدينهم ،
وانطلق رجال الفكر يقولون قول الحق .

« يا قومنا ، كفاكم غيا ، وأجيبوا داعي الله ، فما حاق بنا ، لم يكن
الا ثمرة من ثمار عملنا » .

وكان منطقيا توجه الناس الى ربهم في الشدائد : « **واذا أنعمنا على
الانسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** » .

(سورة فصلت آية ٥١)

وتجددت في مصر دعوة تنادى بالعودة الى الله ، والى العقيدة والايان،
لنظهر أنفسنا ونزكيها ونعود الى أمجاد سلفنا من الصالحين . وكانت
عودة للحق ، والعودة للحق فضيلة ، لكنه كان درسا بليغا .

والعليمون ببواطن الأمور ، يتأملون في الحكم الالهية ، كيف أتى
هذا الدرس النبليغ بعد محنة جعلت اليأس يدب الى النفوس . لم تكن
النكسة الا غطاء كشف عن الادران التي علقت بالشوب ، كالامتحان الذي
أبان للطلبة عن مستواهم ، فأفاق الغافلون واستيقظ المصلحون .

ولذلك ، لم يكن غريبا ان نجد آلاف اللوحات تذكر الناس « **وما النصر
الا من عند الله** » و « **ان تنصروا الله ينصركم** » . وقديما كان الزعماء
يخطبون فلا يذكرون اسم الله ولو مرة واحدة .

ولا عجب أن نجد أن القوات المسلحة قد رفعت لها شعارا « انتصهي
أو الشهادة » فقد أدرك المفكرون فيها أن الايمان جذوة يمكن أن تثير
الحماس ، وتزكى النفوس . . وان القيم الروحية ركيزة لا يمكن اغفال
أمرها ، وان الشهادة غاية من غايات المؤمنين ، وقربى الى الله فى أداء
الواجب .

الرجل بين الشعار والقذوة

وبنظرة فاحصة ، نظر الرئيس أنور السادات الى المجتمع المصرى
بعد أن تولى قيادته ، فوجد أنه ينقصه أهم المقومات فنادى بين الناس
بالحرية وسيادة القانون .

وجعل لعهد شعارا ، رفعه ليتمسك به الجميع ، ويجعلوا منه أسلوبا
للحياة ولأول مرة سمع الناس شعار « العلم والايمان » . . بعد أن كانوا قد
ألفوا أن يسمعوا أن الايمان قرين للرجعية والتخلف .

وحسبنا أن نتأمل شعار « العلم والايمان » لنجد أن كل دروس
النكسة الأليمة قد تبلورت فيه . ولو تأملنا سر هزيمة العرب فى ثلاثة
حروب متوالية . لوجدنا أن ما كان ينقصهم هو الايمان بالمبدأ والعقيدة
والوحدة .

وكانت تبدد قواهم الفرقة والتنازع لأنهم لم يكونوا مخلصين فى
دعواهم ، وكانت تنقصهم الخبرة بالسلاح والعتاد والتكنولوجيا الحديثة
والأخذ بأساليب الادارة العليا فى الحرب والاقتصاد ، فأتت أعمالهم سطحية
لا عمق لها ولذا حاقت بهم الهزيمة كأمة لا تتقن شيئا .

حقيقة الأمر أن الشرق لو صح ايمانه بالله ، وأعطاه أبعاد الصدق
والعمق ، لانطلق الى غاياته فى حرارة كما انطلق السلف الأول ممن لم
يكونوا يملكون من الدنيا الا حطامها . ولكنهم كانوا قد باعوها فأقبلت
عليهم ، وكانوا قد آثروا الموت فوهبت لهم الحياة الكريمة .

بهذا الايمان استطاعت حفنة صغيرة من أوائل العرب المسلمين أن
تهز عرشى كسرى وقيصر . واستطاعت خلال مدة وجيزة من عمر التاريخ
أن تنشر دينها فوق رقعة شملت ما بين المحيط الأطلسى غربا الى الخليج
العربى شرقا .

بهذا الايمان ، ظلت فلسفة الاسلام تفرض وجودها وتنشر نورها ،
وتصدر علما الى كثير من دول العالم لمئات السنين . ويوم استنار المسلمون
الى متاع الدنيا منه يعبون ، وانصرفوا عن العلم معرضين ، انصرف عنهم
توفيق الله ، الذى لا يصيب الا المجتهدين .

ونحن اليوم غير أجدادنا بالأمس ، ايماننا وعلمنا . كما أن حالنا اليوم
يختلف عن الدول المتقدمة فى أوروبا وأمريكا ، فى كل شؤون الحياة لأنهم
أخذوا بأساليب العلم ، ونبذناها نحن . ومضوا فى طريقهم على هديها
واتسعت بيننا وبينهم الشقة ، فلا الايمان تمسكنا به ، ولا العلم سرنا فى
ركابه ، فأتى أمرنا مسخا ليس له قوام .

وليس لزاما أن نقصر تفكيرنا عن العلم ، ونلصقه بالكراسة والقلم
والكتاب أو بالصناعة والتكنولوجيا والأجهزة الحديثة . بل نعنى بالعلم
أسلوبا يتسرب الى كل شئ مهما صغر أو كبر . ونعنى به أسلوبا فى
الادارة ، سواء ادارة المصنع أو المدرسة أو مرفق المواصلات أو وزارة الرى .
ونعنى به تخطيطا سواء كان تخطيط ميزانية الدولة ، أو تخطيط اصلاح
الشوارع أو وضع حل لتزايد السكان .

كل هذه أو تلك أمثلة تضيفى الشمول على الأخذ بأساليب العلم فى
الحياة .

غير أن الحقيقة أن هذا الشعار وهذه المظاهر التى أشرت اليها ،
ليست من تعاليم الاسلام ولا لازمة من لوازمه ، ولكن حسبنا أنها دلالات ،
تحدد النفس المؤمنة التى خلفها .

وحسبنا عن صدق الايمان أن نتطلع الى عمق ما تنطوى عليه شجاعة
اتخاذ قرار الحرب . ان ذلك بلا شك قمة من قمم الايمان . فقد كانت
روح اليأس قد حلت بشباب الأمة قبل كهولها . وكانت حالة اللا سلم
واللا حرب قد اسلمتنا الى حالة من الاستكانة والخوف . وكانت أبواق
الحرب النفسية التى تقنن العدو فى توجيهها الى آذاننا ، قد فاقت كل
الأصوات . وكانت الظروف الدولية قد انتهت الى حالة الوفاق التى جعلت
الشرق على غير استعداد لمعاداة الغرب بسببنا .

وأتى قرار المعركة ، مفاجأة ، تحمل كل معانى الايمان . الايمان
بالحق وبنصر الله الذى أخذ على نفسه العهد بنصرة المؤمنين « وكان حقا
علينا نصر المؤمنين » .

هنا •• تجب الصلاة

وثمة صورة من الصور الحية ، نستشف منها مدى عمق الايمان •

فأثناء زيارة الرئيس « محمد أنور السادات » للجبهة في يونيو ١٩٧٤ ، مر على أحد المواقع الحصينة في خط بارليف عند عيون موسى ، ووقف أمامه قائد الوحدة التي حررت الموقع الذي يعتبر حصنا منيعا ؛ أنفق عليه العدو وحده عشرة ملايين جنيه استرليني ، وأخذ يشرح للرئيس قائلا ان العدو كان قد أحاط الموقع بثلاثين ألف لغم ، وانه كان يضم ستة مدافع أوتوماتيكية من عيار ١٥٥ مم ، وأمام كل منها باب من الحديد الذي يبلغ سمكه ١٧ سنتيمترا وكان بالموقع عشرة خطوط نيران ، كل خط منها عبارة عن ثمانى دانات لكل مدفع • كما كان يطلق ٢ طن من الذخيرة في الدقيقة ، دفاعا عن الموقع الذي كانت تكسوه طبقات من الخرسانة المسلحة والرمال والأحجار •

استطرد القائد يشرح للرئيس ، كيف هاجم الموقع ، وكيف طوقه ، وكيف اقتحمه ، وكيف هرب أفراد العدو منه ، وكيف أسرههم رجاله واستولوا على أسلحتهم •

كل ذلك عادى ، بالنسبة لرجال صنعتهم الحرب ولكنه ليس كذلك بالنسبة لرجل مؤمن •

وقد توجه أحد المراسلين الصحفيين الأجانب بسؤال الى الرئيس عن انطباعاته ، بعد أن لمس ضخامة العمل الذي أتى به جنوده ، فأثنى رده معبرا عن عمق ايمانه :

« انى لا أستطيع أن أقول أكثر من انها كانت معجزة ولا أستطيع أن أتحدث أكثر من ذلك • فالانسان يجب أن يصل فى هذا الموقع » •

هذا القول البليغ على قصره ، يحمل بين طياته دلائل الايمان ، فأى شكر لله أعمق من الصلاة ؛ وأى حمد لله أجل من السجود له ، تبسيحا له وتبجيلا لنصره ؟

الايمان والبطولات فى المعركة

ليس من قبيل المغالاة القول بأن البطولات الخارقة التى أتاها جنودنا وضباطنا فى المعركة ، لم تكن الا صورة من صور الايمان ، ومحصلة من محصلات العمل المعنوى الذى أثمر فى القوات المسلحة . ولعل سنوات النكسة الست بظلمها البغيض الذى جثم فوق النفوس ، لم تكن الا بمثابة الياى ، أحكمت القوى الروحية الضغط عليه ، لينطلق بكامل قوته وقت بدء المعركة . فجاء العمل العسكرى معجزة لم يكن يتوقع بعضها أحد .

ومن هنا أتى قول الرئيس بليغا ومعبرا :

« الشعب هو صانع الأسلحة التى حققت المعجزة ، وهى أسلحة لم تصنع من الفولاذ فقط ، ولكن صنعت بالايمان والاصرار » .

ولسنا فى حاجة الى الاشادة بالبطولات ، وتحليل صورها ، فقد شهد العالم أجمع بها ، ووعى أبعادها أعداؤنا قبل أصدقائنا . ولكننا فى حاجة الى وقفات مع بواعث الايمان التى صنعت هذه البطولات ، لنذكر أبعاد الدور الذى لعبته الطاقات الروحية فى احياء النفوس ، واسترخاص الموت ، وضرب أروع الأمثلة فى التضحية بالنفس .

وقد يكون لزاما ، قبل الخوض فى الحديث عن أى من هذه البطولات ، أن نقف فى خشوع أمام صورة باهرة سبقت كل أحداث المعركة ، وأتمت قبيل ساعة الصفر بقليل . صورة تخلب كل الألباب وتهز جميع المشاعر ، وتحرك كل وجدان . لقد انتظم مئات الألوف من الجنود والضباط المسلمين فى مواقعهم على جبهة القناة فى صفوف متراصة ، يؤدون صلاة الحرب . نصفهم يصلى ونصفهم يحرس ثم يتبادلون مواقعهم عملا بسنن الحرب الاسلامية . ومضى معهم أخوانهم الأقباط يرتلون فى نفس اللحظات ، ترانيم من الانجيل . وفى نفس اللحظات كان كبار قادة القوات المسلحة ، يؤدون نفس الصلوات قبل ساعة الصفر فى غرف العمليات .

وما فرغوا من الصلاة حتى بدأوا العمل الذى ظلوا يتدربون على القيام به أكثر من ست سنوات ، والذى كانت نتائجه تراود أحلام كل منهم .

من هذه الصورة ، يمكن ان نستشف الدور الذى سيطرت به القيم الروحية على وجدان الذين أداروا المعركة تخطيطا وقيادة وتنفيذا . لقد كانوا فى رحاب الله متكئين عليه ، باسطين أرواحهم بلا خوف ، لا هم لهم

الا أداء واجبه . كل منهم قد سأل النصر والتوفيق . وكل منهم قد رفع يديه الى السماء فى دعوات . وحسبنا أن نتذكر قول الرسول الكريم « الدعاء مع العبادة » .

وحسبنا كذلك أن نذكر قوله تعالى فى الحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه :

« لئن تقرب الى عبدى شبرا تقربت اليه ذراعا ، ولئن تقرب ذراعا تقربت اليه باعا ، ولئن أتانى يمشى أتيتته هرولة » .

حسبنا ان نذكر ذلك لنقول ان الله تجلى على هؤلاء النفر من عباده المخلصين الذين لجأوا اليه بدعاء حار لينصرهم ، فاستجاب لهم وكان معهم فى المعركة . فقد كان دعاؤهم « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، وكان الله وكيلا بعملهم ان يؤتى ثماره . لقد أوضح تقرب القيادة الى الله اسم الخطه نفسها « بدر » تيمنا بغزوة الرسول الأولى التى نصره الله فيها .

ونعل اختيار توقيت موعد المعركة خلال شهر رمضان المبارك كان اختيارا موقفا . فقد أجمع ذلك فى النفوس المؤمنة ذكريات بدر أول غزوات المسلمين ، وأعاد أمام المحاربين انتصارات الرعيـل الأول من أجدادهم . أضف الى ذلك تلك المسحة الروحية التى تكسو نفوسنا جميعا ، فى الشرق العربى ، عندما يحل بنا هذا الشهر الكريم وتزكو نفوسنا بصيامه ، ونجد كل المتدينين وكثيرا من غير المتدينين ، يؤدون فريضة الصيام امتثالا لأمر الله وقربى اليه . وفى هذا الشهر الكريم ، يعم الناس جو روحانى ، وتلف أجواءهم مشاعر لها جلالها ، وتحوطهم من السماء رعاية ربانية . وحسبنا قول رجال الدين أن الشياطين تسلسل عند حلوله ، فتسمو أرواح المتعبدين مع قلة تناول الطعام . اذ كان هذا حالنا فى رمضان بلا حرب ، فما بالك أثناء القتال ، الذى آمن جنودنا بأنه قتال فى سبيل الله .

أضف الى ذلك أنه وقر فى نفوس الكثيرين أن المسلمين يتحولون فى رمضان الى كسالى صبرهم قليل ، وعملهم أقل ، وهم خلاله أكثر منهم فى أى وقت آخر ميلا للنوم بالنهار والسهر بالليل . وهم فى رمضان واهنين نتيجة الجوع ، لا يفعلون شيئا خلال يومهم الا الاستعداد للاقبال على وجبات دسمة فى أول الليل وفى آخره .

لذلك أتى توقيت المعركة خلال هذا الشهر ، الذى لا يندرج تحت تعاليم الاسلام شيء مما علق به من خبث العقول ، قمة فى عمليات المفاجأة مع العناصر الأخرى التى بوغت بها العدو .

من هذه الوقفة الخاشعة بين يدي الله ، يمكن أن نتصور مواقف أخرى أخذت تترى مع أحداث المعارك ، كل منها يمكن أن يكون صورة من صور الايمان التي سيجملها التاريخ لتكون قدوة لأبنائنا وأحفادنا .

- لقد قرأنا عن واقعة أول علم رفعه جنودنا على تباب الضفة الشرقية للقناة بعد أن عبروها . لقد كان على العلم عبارة « لا إله الا الله محمد رسول الله » وتحتها خمس آيات من القرآن الكريم .

- ورأينا صور طيارينا وقد سجلوا نفس العبارة على أحزمة الأمان التي تطوق صدورهم أو على الخوذات التي تغطي رؤوسهم .

وقد حرص كثير من هؤلاء الطيارين على حلاقة شعر رؤوسهم قبل أول طلعات المعركة تشبها بأبطال بدر ، وأطلقوا على أنفسهم جند الله .

- وفوق مياه القناة ، وأثناء عبور آلاف قوارب المطاط ، لم يكن يعلو صوت الا نداء جنودنا « الله أكبر .. الله أكبر » .

- وكانت هذه الأنشودة الالهية هي ترنيمة الشعب بأسره ، وهو يتابع جنوده بقلبه وحسه . وفي الوقت الذي كان فيه مهندسون يقيمون الجسور عبر القناة كانت أرواح هؤلاء الجنود تعبر جسور الايمان الى السماء بالدعاء .

كل هذه وغيرها من عشرات المواقف المشابهة ان عبرت عن شيء ، فانما عن مسحة ايمان تلبست بكل جنودنا في المعركة ، وليس أصدق من هذا تطبيقا لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (سورة الأنفال آية ٤٥)

ومن خلف جنودنا وقف شعبنا بأسره ، يدعو الله في ساعة العسرة طلبا لنصره ، وتقربا اليه . ان هذه الصلاة على ما فيها من ضعف انساني قد يتخيله البعض ، قد شملت كل معاني العبودية لله ، والتسليم له سبحانه وتعالى واللجوء اليه والتوكل عليه .



لا اله الا الله فوق رؤسهم وعلى قلوبهم

ولعل الشعور الدينى الذى ساد جو المعركة ، بين شعبنا وجنودنا على السواء ، كان له ما يصاحب هذا الشعور عادة من مغالة وتجاوز ، فقد حكى البعض عن كثير من خوارق الأحداث وما يعد من قبيل المعجزات . فقد سمعنا عن الأشباح البيضاء التى كانت تجثم فوق دبابات العدو ، حتى اذا اقترب منها جنودنا لم يجدوها . وسمعنا عن السحابة التى ظلمت مطارا بكامله وقت اغارة طائرات العدو عليه ، ثم انقشعت بعد أن أعمت طياريه عن مكانه . وسمعنا عن المطر الذى انهمر فجأة وبدون مناسبة فوق النار التى اشعلتها قنبلة معادية . وعلمنا بأمر الماء الذى انبثق وسط صفوف الجيش الثالث ، وهو يعانى من نقص الماء والغذاء وقت حدوث الشجرة .

هذه وتلك من خوارق الأمور ليست الا دليلا على حرارة الايمان ، واستجابة الرحمن ، لدعوات عباده على الأرض . وحسبنا ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام :

« رب اشعث اغبر لو أقسم على الله لأبره » . وان حدث بعضها فليس ذلك الا بتوفيق الله وبحلول عنايته . ولسنا نستكثر هبوط الملائكة على المؤمنين ، لتمدهم بأمر الله ومدده ، كما حدث فى بدر :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله ألا بشرى ولتطمئن به قلوبكم . وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (سورة الأنفال آية ١٠)

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (سورة آل عمران الآية ١٢٤ : ١٢٥)

« اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (سورة الأنفال آية ١٢)

وما حدث فى بدر ليس مثارا للتهكم ، ولا أحجية من الأحجيات ، فالملائكة مخلوقات نورانية ، تستطيع بقدرة الله أن تتشكل ، ولو بعثها الله لتمد المؤمنين بالعون فليس ذلك خرافة .

وقد تأتى المعونة الالهية على صورة التهيؤ ، والاحساس النفسى التى تعبر عنها آيات القرآن الكريم .

« قد كان لكم آية في فئتين التقتا • فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة • يرونهم مثليهم رأي العين • والله يؤيد بنصره من يشاء • ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » (سورة آل عمران آية ١٣)

« اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراهم كثيرا لفشتلتم وانتازعتم في الأمر • ولكن الله سلم أنه عليهم بذات الصدور • واذ يريكهم وهم اذ التقيتهم في أعينكم قليلا • ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » (سورة الأنفال آية ٤٤)

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا • وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا • وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من ضياضهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » (سورة الأحزاب آية ٢٦)

ومن صور التوفيق الرباني ، التي لا جدال فيها نسبة أو معدلات الخسائر التي حدثت بين جنودنا عند عبور قناة السويس • ان كل فنون التكتيك العسكري لها مقاييسها ومتوسطاتها الحسابية في النجاح والخسارة بين الرجال والعتاد • ولقد كانت كل حسابات السوفييت مثلا عن الخسائر في عبور مائع مائي عريض كقناة السويس تشير الى نسبة ٤٠ ، ٥٠٪ من الرجال والعتاد • بل لقد شط بهم الأمر في بعض الأحيان الى القول بأنها نسبة قد تبلغ ٨٠٪ • وارتكزت اسرائيل في دفاعها على هذا المانع الطبيعي ، فأقامت السد الترابي على حافة الضفة الشرقية للقناة • وأقامت خط بارليف وأنفقت عليه ٢٣٨ مليون دولار • وأقامت عليه نقطا حصينة استخدمت في تحصينها كل فنون الهندسة العسكرية • فجعلت من التحصينات طبقات فوق أخرى ، من خرسانة مسلحة الى (شكائر) الرمل ، الى أحجار تضمها الشباك تركز فوق قضبان السكك الحديدية • كل هذه التحصينات كانت كفيلا أن تبقى القابعين تحتها في مأمن ، مطمئنين الى عدم نفاذ القنابل ودانات المدافع اليهم •

أضف الى ذلك أن اسرائيل أقامت مضخات لضخ النابالم والسوائل الملتهبة على حافة القناة ، لكي تجعل من سطحها أتونا ملتهبا يشوي العابرين لها •

لذلك كانت نسبة الخسائر في تقديرات الحاسبين لها ، مرتفعة غاية الارتفاع • وكان كل قائد تخطر هذه النسبة بباله ، يقف مترددا أمام مشاعره الانسانية • كيف يمكن أن تحدث مذبحة فوق هذه المياه ؟ •

ولو كان أى من القادة العسكريين قد أدخل المقومات السائدة قبل المعركة فى عقل اليكترونى لكانت النسبة قد أثته أكثر ارتفاعاً مما كان بقدر الخبراء ، سواء المصريون منهم أو الغربيون . ولكن العقل الاليكترونى والسوفييت ، وبعض المؤمنين أيضاً ، ليست لديهم القدرة على قياس العناية الإلهية بنسب أو بأرقام . فليست مقومات النصر فى كل الأحوال تقوم على المقارنات والحسابات والتقديرات .

فهناك عنصر معنوى ، غير خاضع للمقياس أو الحساب . ومن الخطأ الزعم بأنه عنصر مساعد غير أساسى ، فهو عنصر جذرى يلعب أهم الأدوار . فلننظر للحساب الربانى ، عندما يدلل على ما يصفه البلهاء بأنه من المعجزات .

« ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين . وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .
(سورة الأنفال آية ٦٦)

ان تقدير الموقف الإلهى مرده الى الصبر ، وأقل نسبة فى القوى رجل مؤمن ، برجلين من الأعداء ، وعتاد فى يد مؤمنين بعتادين فى يد الأعداء . وأتت نسبة الخسائر فى العبور المصرى للقناة ، مذهلة ومحيرة لكن المحللين العسكريين مصريين وأجانب . فقد أتت أقل من واحد على عشرة مما كانوا يقدررون :

ان هذا التوفيق ، وغيره مما لم نذكره هنا لم يكن الا منحة من الله لعباده المؤمنين ، كما حدث مع سلفهم الأولين « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

نوعية الحرب

انقضى زمن طويل منذ انتهت الحروب الصليبية ومنذ تكسرت حرايبها على عتبات الشرق المقدسة . ودار ابن لقمان فى المنصورة قائمة لتشهد على حماقة الذين أثاروا هذه النعرة المنكرة فى القرون الماضية وأشعلوا هذه الحرب . ولم تعد عقول عامة الناس فى أغلب شعوب العالم تتقبل الجرى وراء نعرات عصبية ترتكز على الدين ، وتجعل من العقائد مادة تنازع وخصام مسلح فيما بينها .

لقد وقف الى جانب العرب ما يقرب من ألف مليون مسلم تضمهم دول العالم ، ادراكا بأن الوجود الصهيونى نفسه - رغم أنه يرتكز على عصبية عقائدية - فهو يهدد الكيان العربى والمنطقة .

ومن هنا وجدنا الجندى المصرى مسلما كان أو مسيحيا ، والجندى السوري شيعيا كان أم درزيا ، والفدائي الفلسطينى كاثوليكيًا كان أم مارونيا ، يعملون معا ، جميعا لتحقيق هدف واحد ، هو إيقاف الزحف الصهيونى ، وضربه حيثما احتل .

ولو بسطنا الحقائق لوجدنا أن اسرائيل - الطرف الآخر فى المعركة - هى قمة الوجود المرتكز على التعصب الدينى والتي تعتمد فى وجودها على بعث أفكار دينية قديمة . وما اليهود والصهيونيون وبنو اسرائيل الا أسماء متعددة لقوم يدينون بدين واحد ، ويريدون أن يتجمعوا فى مكان واحد . ليمارسوا تعصبهم له بدلا من تفرقهم وسط شعوب أخرى .

وترتكز أفكار الصهيونية العالمية ، فى تحريك الطليعة اليهودية التى تحتل فلسطين حاليا ، على تجميع يهود العالم فى هذه الرقعة بعثا لأمجاد دينية قديمة لبنى اسرائيل . وجريا وراء أحلام قوم موسى فى « الوطن القومى » .

ومن المنطقى أن يقوم وطن كل سكانه من اليهود ، على العصبية الدينية ، فاليهود منذ وجدوا قلة فى العدد ، لأنهم بطبيعتهم الدينية المتعصبة ، أقل العقائد ميلا للذوبان فى العقائد الأخرى ، وبالتالي فهم أقلهم اندماجا فى الشعوب التى يعيشون بها . وتعاليم دينهم فيها من الطقوس والتعاليم مما يجعل لبعضهم لا يفضون بها لغيرهم ، فهى ليست ديانة مطروحة على بساط التفاعل العقلى كالاسلام ، بل تسرى بطريق التناقل من جيل لجيل . ولها خلفياتها وكتبها غير المعلنة ، أكثر مما لها أمام الناس فى المحافل ودور العبادة .

وحسبنا دليلا على قيام مجتمع للتعصب الدينى فى اسرائيل ، أن بها حزبا دينيا له خطره وكلمته هو حزب مزراحى . ويلعب الحاخامات دورهم السياسى بجانب واجباتهم الدينية ، فى الحكومة ومجتمع المستعمرات وفى التشكيلات العسكرية أيضا ، اذ يرتدى رجل الدين اليهودى زيه فى صفوف المحاربين . وتبدو سيطرة الأفكار الدينية على عقلية المحاربين

الاسرائيليين جلية في حرصهم على جمع جثث قتلاهم في المعارك بشتى الطرق ، وتحت كل المخاطر ، عملا بتعاليم الدين الذى يبشر بالبعث اليهودى ، وضرورة الدفن فوق أرض يملكها بنو اسرائيل .

ونحن لو حللنا أعمال العصابات الصهيونية منذ عهد الوصاية البريطانية على فلسطين وأعمال المؤسسات العسكرية لاسرائيل ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ ، فسنجدها تتسم بميزة الافراط فى العنف ، وتوخى روح الارهاب والتخويف ، بطرق بشعة يأنف منها الضمير الانسانى وتشهد على ذلك مذابح دير ياسين فى أبريل ١٩٤٨ وقبية فى أكتوبر ١٩٥٣ ، وكفر قاسم فى أكتوبر ١٩٥٦ .

والحقيقة أن تصوير السلطة الالهية ، بغير حقيقتها تعتبر صورة قاصرة .

ولننظر الى القرآن الكريم كيف صور ذلك :

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة الأعراف آية ٥٤) .

« ان ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة يونس آية ٣) .

« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء » .

(سورة هود آية ٧) .

«الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » .

(سورة الفرقان آية ٥٩) .

« الله الذى خلق السموات والأرض وهما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » •

(سورة السجدة آية ٤) •

المذك أنت جولات اليهود الأربعة مع العرب ، من خلفية دينية لدى الصهاينة • ومن واقع رد ظلم بين من قبل العرب •

والحقيقة أن عدم حرص العرب على إعلانها حرباً دينية فى أى من هذه الجولات ، ينبع من سماحة نفسية ، مصداقها انصهار الأديان السماوية ، الاسلام والمسيحية ، فى المنطقة عبر آلاف السنين بما أدى الى تعايشها تحت ظلال العدل فوق صعيد واحد • ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك ، أصدق تعبير :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى • ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » •

(سورة المائدة آية ٨٢) •

أصوات ملحمة

فى أعقاب المعركة ، وبعد حدوث الثغرة ، تصاعدت أصوات منكرة بثت أفكاراً خشي أصحابها انبعاث الروح الدينية الى منطلق جديد خلقه انتصار الأمة العربية التى جددت تمسكها بدينها ، وأملته تمجيد الناس لبسالة وشجاعة أبطالنا •

لقد نادى أصحاب هذه الأصوات بارجاع الأصل فى الانتصارات الى ماديات الاعداد والاستعداد للمعركة وحدهما ، وعدم القول بأن هذه الانتصارات كانت منحة وتأييداً من الله استناداً الى كون الحياة الحديثة - فى فكرهم - فعلاً ورد فعل وحساب النصر فى أى حرب ، أساسه

المهارة فى تطبيق التكنولوجيا الحديثة على ترسانة الأسلحة وأن الفضل فى الانتصارات يجب أن نرجعه الى وفرة السلاح ونوع العتاد .

هذه الأصوات المنكرة نعتت كل نسمات الايمان التى تصاعدت مع الانتصارات التى خلقت مع أرواح الشهداء ، نعتتها بأنها جرى وراء التخلف ورجعة الى الوراء مع الجهل والخرافات .

والحقيقة أن ولاء هذه الأصوات يتلفح بستار الاحاد وانكار وجود الاله ، زعما بأن العلم الحديث هو دين هذا العصر وديده . ولسنا فى حاجة الى الجدل مع هذه العقول الخربة ، فليس هذا مجالنا هنا . . . وحسبنا أن شعوب الشرق العربى قد لفظت موجة الاحاد خارج حدودها وأغلقت الباب أمامها الى غير رجعة .

ومن هذا الادراك ، أتت هذه الأصوات مفضوحة ، تعلن عن نفسها فالدين أيا كان ، اسلاما كان ، أو مسيحية هو مصدر رعب خطير ، وخطر مزلزل لدى هذه الموجات الاحادية الجوفاء . وحقيقة الأمر ومردده جهل أصحاب هذه الأصوات وجهل فلاسفتهم وجهابذتهم عن حقائق يقوم عليها الاسلام الحنيف فى فكره عن الحرب ، واستخدام القوة المسلحة لرد الأعداء . اذ تركز هذه الحقائق أول ما تركز على أن الاسلام لا يوقر فى روع المسلم التمسك بالغيبيات وخوارق الأمور ، بل ينمى فيه التمسك بناموس العقل ومنطق الأحداث . وليس أدل على ذلك من تأكيد ومنطق القرآن من أنه لا نتائج بدون عمل :

« ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

(سورة الرعد آية ١١) .

والقيام بأى عمل لابد له من اعداد :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

(سورة الأنفال آية ٦٠)

ان هؤلاء لا يدركون أن الاسلام قد قرر للمسلم أن الله ليس نصير الكسالى ولا المتواكلين ، ولا الضعفاء ولا الخائفين . وأنه دين يحث على

الأخذ بالأسباب وعدم الجرى وراء الحظ ونفحات السماء ، ويترجم أحداث الحياة الى عمل ، وخاصة تلك الأعمال التى لها علاقة بمصير الشعوب والحروب بين الأمم . وحسبنا هذه الآيات :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فان انتهوا فان الله بهما عاملون بصير . وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير . »

(سورة الأنفال آية ٣٩)

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . »

(سورة النساء آية ٧٥)

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين . »

(سورة الأنفال آية ٥٨)

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم . »

(سورة النساء آية ٧١)

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين . »

(سورة التوبة آية ١٢٣)

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض . »

(سورة محمد آية ٤)

لذلك ندع هؤلاء لأوهامهم ، ونقول لهم أن المعركة سبقها اعداد وتدريب وتجهيز وحشد وتعبئة وجهد اتصال وربط ورباط وعمل متواصل دام أثناء الليل وأطراف النهار . فاذا أتى نصر من الله جزاء على هذا العمل وشئتم أن تحرفوه عندما نذكر الله فى فرحنا ، كشفتم بذلك عن

هويتكم وتبعيتكم لتقولوا ما لا نقول ، ولتفصـحوا عن خبث نفوسكم الملحـدة . ولكي نعرفكم الحقيقة في ايجاز ، ودون مواراة أو خوف ، ان مصر ٦ أكتوبر ، هي مصر المؤمنة بالله وبالحق . وستظل مؤمنة ، ولا يسعنا الا أن نقول لكم موتوا بغيظكم أنتم وسادتكم من أئمة الالحاد هناك .

تعانق الهلال والصليب

ان كيان الأمة المصرية قائم على المسلم والمسيحي منذ مئات السنين في تعايش هادئ تظلمه عقيدتا الاسلام الحنيف والمسيحية السمحة . ولم تفلح مؤامرات الاستعمار في فسخ ترابط هذه الأمة ، على مر الزمان ، سواء وقت السلم أو وقت الحرب . وفي كل لحظة هبت على الأمة وقف المسيحي الى جانب أخيه المسلم ، كتفا الى كتف ويـدا واحدة توجه سـهاها نحو صدور العدو المشترك .

وقد أرسى قواعد هذه المشاعر منذ فجر الاسلام عقيدة المسلمين في قبـط مصر منذ نطق الرسول الكريم قوله ، قبل فتح مصر بعدة سنوات :

« الله الله في قبـط مصر فانهم سيكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله » .

ولقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله ، سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا فيها جنـدا كـثيفا ، فان فيها خير أجناد الأرض . فقال أبو بكر : ولم يا رسول الله . ؟ قال : لأنهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة » .

وعن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« استوصوا بالقبـط خيرا ، فانكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال العدو » .

ولقد فوت الرئيس المؤمن « محمد أنور السادات » على أذنان الأعداء ، فرص خلق بذور الشقاق بين المسلمين والمسيحيين التي حاولوها قبيل المعركة . وكان الهمس الذي يدور فى الخفاء بين غلاة المتعصبين من هؤلاء وهؤلاء ، كضباب سرعان ما ينقشع أمام أى لقاء وبمجرد بزوغ شمس الحقيقة .

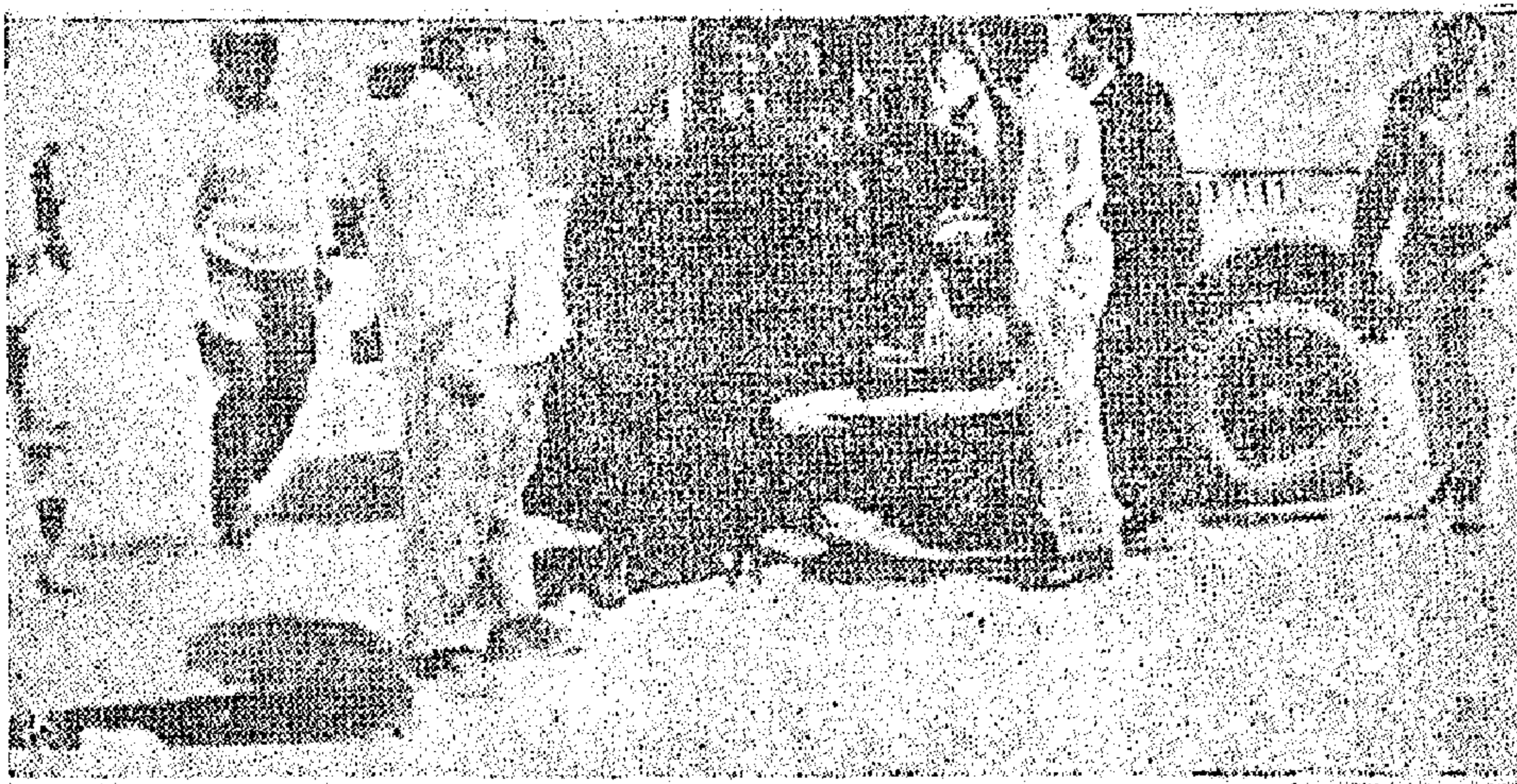
ولم يكن هناك تعبير ابان المعركة ، عن وحدة عنصرى هذه الأمة أبلغ من تنصيب قبطى قائدا لأحد جيشى الأمة هو اللواء « فؤاد عزيز غالى » قائد الجيش الثانى ، الذى ظل يزاول أعماله بعد المعركة .

لم يكن ذلك مسرحية ، ولا افتعالا ، قصد به تخريبص الألسنة وسد الأفواه ، بل كان ردا مفحما على هؤلاء الذين روجوا اشاعة كاذبة أن ضابطا قبطيا ، كان السبب فى حدوث الشجرة . وأتى هذا التقليد لمنصب قيادى ، تعبيرا عن تماسك عنصرى أمة تظلل ضميرها ديانتان سمحتان .

ولعل من أبلغ آثار المعركة ، أن محافظ الاسماعيلية ، وهو يعيد تعمير المدينة ، أبقى من المباني التى عليها آثار العدوان ، مبنى كنيسة ومسجدا ليظلا مهدمين كما شاء لهما المعتدون .

ووراء ذلك كله أصالة تمتد جذورها فى القبطى والمسلم على السواء ، تجعل الهلال والصليب متعانقين فوق صعيد مصر على الدوام . يعبر عن ذلك تصدى الأقباط فى مصر لمحاولات اسرائيل - على المستوى الدولى - التبرؤ من دم المسيح ، حيث أعلن « البابا شنودة الثالث » ازاء هذه المحاولات : « ان اليهودية كدين قد انتهت بوجود المسيحية » .

وتصدى أبناء الكنيسة القبطية فى الجامعات المسكونية ومحافل الفاتيكان لهذه المحاولات بشجاعة واصرار .



الباا شنودة فى الجبهة



اللواء فؤاد عزيز غالى
قائد الجيش الثانى

ان مصر ظلت منذ أكثر من ألف سنة بوتقة ينصهر فيها المسلم
والمسيحي ، ليضيئا للبشرية معا ، دون تفرقة • يعبر عن ذلك الشاعر
المسلم فؤاد الخليل :

ان العروبة لا يفرق بينها بعد التآلف قبلة أو هيكلا
أينا لهم ضميم وبين حقوقهم عيسى المخلص والنبي المرسل

بل لقد كان أحمد شوقي أمير الشعراء ، أبعد وضوحا في التنويه
بما بين القبطي والمسلم من رابطة ، في قصيدته بعنوان (يا شباب الديار)
التي قال فيها :

انما نحن مسلمين وقبطا أمة وجدت على الأجيال
نحن من طينة الكريم على الله ومن مائه التفراح الزلال
والى الله من مشى بصليب فى يديه ، ومن مشى بهلال

أو فى قصيدته بعنوان (الهلال والصليب) التي قال فيها :

جبريل أنت هدى السماء وأنت برهبان العناية
أبسط جناحيك للذين هما الطهارة والهداية
وزد (الهلال) من الكرامة و (الصليب) من الرعاية

وستظل أبيات شوقي هذه وأمثاله ، على الدهر ، نواقيس تذكر
المصريين فى كل محنة بأصالة المصرى ، مسلما كان أو قبطيا •

وهذا ما أشارت اليه ورقة أكتوبر عن الوحدة الوطنية بقولها :

« وليس أدل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من أن هذا
الشعب كان يمر بالأحداث والتغيرات العميقة ، محتفظا بدرجة نادرة من
الوحدة الوطنية والانسجام القومى ، مازالت مضرب الأمثال فى العالم »

ولقد كان قمة مظاهر هذا التعانق قيام البابا شنودة الثالث
بطريك الكرازة المرقسية بزيارة الجبهة قبيل المعركة وفى أعقابها • وفى
حديثه للضباط والجنود كان يكرر فخره بكونه ضابطا احتياطيا سابقا

وفى زيارته لمدينة (السويس) كرر فخره بكون كنيسة المدينة
ظلت أبان المعركة مقرا لإدارة العمليات • وخلف قداساته وهو يؤدى
الصلاة كان أحد الشماسة ضابطا قبطيا يحمل رتبة الرائد •

ان دماء الشهداء التى زكت بها رمال سيناء ، لم تفرق بين مسلم ومسيحي ، وشرف وكرامة مصر ، كانا معلقين فى عنق هذا وذاك .

وليس هذا بدعة فى أهل مصر ، الذين مازالوا يفسحون صدورهم لمحافل اليهود فوق صعيد الوادى ، يؤدون فيها صلواتهم آمنين . ورغم أن اليهود فى مصر بضعة آلاف ، فهم مازالوا يتمتعون بحقوقهم كمواطنين مصريين .

القيم الروحية فى ورقة أكتوبر

لم تغفل ورقة أكتوبر أهمية الطاقات الروحية فى حياة الانسان المصرى المقبل على مستقبل عريض بعد أن سادته روح أكتوبر العظيم .

وأشارت الى أن من أبرز صفات الشعب المصرى « تمسكه بالايمان ، واعتزازه بالأصالة » .

أم يكن هذا الايمان هو الذى جعله يتصدى لفرير وغزوته ، ولنابليون وحملته ، ولسيمور ومدافع اسطوله ؟ وأنه بهذا الايمان صبر ، وتجلد حتى حطم أسطورة ديان وأضحوكة بارليف .

ولعل ورقة أكتوبر تشير الى مفهوم جديد للانسان اليوم ، بريقا عن التعصب متبرئا من الشوائب ، متطهرا من كل ما علق به فى عصور الاضمحلال من خرافات . ولذلك يمكن أن نخرج بمعانى الايمان فى ضوء العقل الى آفاق أوسع ، اعتمادا على تجديد حبه فقهاء الاسلام للتصرف فى شئون الدنيا وفقا لظروف تغيرها . وهذا لن يمس أصالة الدين فى جوهره ، ولن يطمس هوية حضارتنا الدينية فى شئ ، بل يمكن أن يثرى تجاربنا فى ضوء العقل ، وبنور اخضاع أمورنا للتجربة والنقد . فيجعلنا أكثر قدرة على تجديد أنفسنا ، وأكثر تمسكا بأصالة منبعا .

ومن ثم فقد ركزت ورقة أكتوبر على رفض اتهام كل تجديد بأنه رجعة للوراء ، أو كل نظرة الى الماضى بأنها خطوة رجعية الى الخلف ، فتوضح بذلك انعدام الحواجز بين التمسك بالأصالة والانطلاق الى التجديد .

« نحن نرفض أن تكون الأصالة نظرة الى الوراء تقوض الماضى لأنه انقضى ، ونرفض التجديد . فليس كل ما كان فى الماضى مشرقا ، ولكن

فيه بعض التخلف . ونحن نرفض من جهة أخرى أن نمسخ شخصيتنا القومية باسم محاكاة المظاهر المادية أو السلوكية لمجتمعات أخرى .

وتركز ورقة أكتوبر على عدم تعلق الانسان المصرى بمظاهر المادية الخادعة المنسلخة عن قيمها الروحية ، جريا وراء متع حياة زائفة . وتؤكد أن حياة بلا ايمان كجسد بلا روح . وحسبنا أن موجة القلق الذى الشباب الذى انفلت عيار القيم لديه مع نداء التحلل باسم « الهيبيز » لم تكن الا ثمرة الانفلات وراء سراب المتعة الخالصة من أى التزام . وكانت هذه الموجة تعبيرا عن القلق الذى يمكن أن يحيط بنفسية انسلخت من كل معايير الايمان .

لكنها أخيرا لم تجد لها مستقرا ، ولا مرفأ أمان الا أن تعود الى بر الأمان ، فانحسر تيارها الى ركب الايمان من جديد .

وعن التمسك بالقيم الروحية ورد فى الورقة :

« اننا لابد أن نتمسك بقيمنا الروحية والأخلاق فى مواجهة الاستمتاع المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لأن تلك القيم هى من السمات الأصيلة لحضارتنا . ولأن الحضارات التى تجاهلتها تعرف الشقاء النفسى وسط الوفرة المادية » .

ولعل أروع ما ورد فى ورقة أكتوبر « وضع كسوة الايمان فوق كيان الاشتراكية تبرئة لها من شبهة التبعية للاشتراكية الملحدة » .

ان الاشتراكية ليست حكرا على روسيا ، بل سبق بها الاسلام هؤلاء الذين يتشدقون بعادتها اليوم ، وتخطئهم الوسيلة فى تطبيقها على أنفسهم قبل غيرهم ، ويخطئهم النجاح فى وضعها موضع التنفيذ .

« اننا يجب أن نفهم الاشتراكية بالعقل وبالقلب معا . ولذلك لا يجب أن ننقطع عن التفكير فى جماهيرنا الأكثر حرمانا . وفى وسائل توفير أكرم سبل العيش والأمان والتقدم لها . فالأهم تقاس بمستوى قاعدتها العريضة لا بمستوى قممها الضيقة » .

الباب الثالث

التحول الأمريكى
ووقف اطلاق النار

وقفه الحياد المصرية

هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع من التحول ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة ازاء مصر بالذات ، كمركز للكفاح العربى فى أزمة الشرق الأوسط ؟

ان استرجاع ما كان بين مصر وأمريكا الى الذهن منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، خليق بالقاء ما يكفى من الضوء على صورة ما كان يسمود العلاقات بين الدولتين ، منذ ذلك التاريخ ، من نزاع حاد وضع تحول أمريكا عنه فى مرتبة الاستحالة . ويكفى فى هذا الصدد استعراض أبرز معالم هذه الصورة ، مع التجاوز عما شابها من مؤامرات وتحريض وضغوط مباشرة أو غير مباشرة كانت تلتطخ وجه الصورة بين الحين والحين .

فى الثامن والعشرين من ديسمبر ١٩٥٥ استقبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر سفير أمريكا فى مصر ، المستر هنرى بايرود ، ليسمع منه قرار أمريكا بالمساهمة فى بناء السد العالى بشروط ترتب على رفض مصر لها بعد دراستها أن اكتشفت أمريكا ، فى يوليو ١٩٥٦ ، أن مصر بحصولها على صفقة الأسلحة التشيكية مقابل القطن المصرى يجعل من الوفاء بالتزاماتها ازاء المشروع أمرا مشكوكا فيه . ولم يكن هذا بمستغرب ، فقد كان معروفا ان سياسة الولايات المتحدة ازاء النظام الثورى فى مصر ، بصفة عامة ومنذ قيامه ، تتركز فى اسقاط هذا النظام أو ارغامه على الركوع . وكان سحب العرض الأمريكى بالطريقة التى أعلن بها جون فوستردالاس ، وزير الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت ، قرار سحب العرض ، تطبيقا عمليا لهذه السياسة .

ولقد يقال أنه لم تكد تمضى أسابيع قليلة على هذا الاجراء العنيف حتى كان نفس جون فوستردالاس ، فى أكتوبر ١٩٥٦ ، يقود بنفسه حملة ادانة العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى على مصر . ولكن الأسباب الكامنة وراء هذه الادانة كانت تملئها مصالح أمريكا وسياساتها ازاء الشرق الأوسط ، وفى مقدمة هذه الأسباب أن حلفاء أمريكا أخفوا عنها خططهم لغزو مصر ، وأنهم نسوا فيما أقدموا عليه أنهم يعتمدون فى حمايتهم على مظلة نووية أمريكية ، وأنهم اختاروا ثوقيتا (سخيفا) فى

رأى الرئيس الأمريكى ايزنهاور لأن الانتخابات الأمريكية كانت على الأبواب ،
ولأنه كان قد رشح نفسه للبقاء فى البيت الأبيض ببرنامج انتخابى أساسه
السلام .

فاذا أعوزنا البرهان على أن أمريكا لم تكن تجرى فى تصرفاتها الا
وراء مصالحها الخاصة ، لكفى أن نذكر أن العدوان الثلاثى ما كان ينقشع
غباراه حتى تقدمت أمريكا بمشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى المنطقة بحجة
صيانة أمنها واستقلالها وانقاذها من الشيوعية الدولية ، فى حين كان
الواضح أن المشروع لا يعدو تدخلا مقنعا فى شئون الشرق الأوسط عامة
والعالم العربى بوجه خاص . حتى اذا ما تصدت مصر للمشروع جن جنون
أمريكا ، ودفعها الغيظ والحقد الى حبك سلسلة المؤامرات والضغط
والعدوان غير المباشر ، والتي شملت ما أطلق عليه دالاس اسم سياسة حافة
الحرب ، والضغط على الدول لاجل إغلاق أسواقها فى وجه المحاصيل المصرية ،
ومحاولات تطويق مصر بحلف بغداد ، ووقف امداد مصر بمعونات القمح
بأمل تجويع شعبها ، وغمر اسرائيل بالأسلحة التى أمدتها بها جونسون
بعد توليه الرئاسة الأمريكية ، ثم مساندة العدوان الاسرائيلى الغادر على
مصر فى يونية ١٩٦٧ ، مما حدا بمصر الى قطع علاقاتها مع أمريكا .

ونعود الى سؤالنا السابق وهو (هل كان يمكن أن يتحقق أى نوع
من التحول الأمريكى ، على أى مستوى ، فى سياسة الولايات المتحدة التى
انبعتها ازاء مصر ؟) .

والجواب ، رغم كل شيء ، هو (نعم) . ولسوف نؤمن بهذا الرأى ،
حتى قبل أن نستعرض فى هذا الفصل من الكتاب البرهان القاطع عليه ،
لأننا عدنا بالذاكرة الى ما أثبتته تاريخ العلاقات الدولية من أن السياسة
الخارجية لأية دولة ، ما هى الا تعبير عن استجابات واستغلال للمظروف
والملايسات الدولية ، الدائمة منها أو الطارئة على السواء .

ولقد يتبادر الى الذهن ، مسبقا وعلى أساس من التحول الأمريكى
الذى نلمسه اليوم فى العلاقات بين أمريكا من جهة وبين كل من مصر
واسرائيل من جهة أخرى ، أن هذا التحول الذى يجرى لصالح مصر لا يعدو
تحولا خلقته ظروف طارئة لا تلبث أن تتبخر ، فتعود بتبخرها الأوضاع الى
ما كانت عليه . ولكن لا شك أنه من حقنا فى نفس الوقت أن ننظر الى
المساندة الأمريكية السابقة والمطلقة لاسرائيل باعتبار أنها كانت بنت ظروف
طارئة عفت عليها الأحداث ، وأن تيار التحول الأمريكى المتدفق حاليا هو
عودة من ثم بالأوضاع الى مجراها الصحيح الذى يتفق وطبائع الأشياء
والذى يجب أن يستقر فيه .

ومهما يكن من أمر ، فالجواب الشفافى هو بالقطع أنه لا يوجد فى السياسة الدولية ، ولا حتى فى غيرها من العلاقات الانسانية ، ما يعتبر (مكتوبا أبديا) لا حول عنه . بمعنى أن كل شئ فى هذه العلاقات عبارة عن حركة وتحول لا يتوقعان ، وأن التغيير يحدث اذا تغيرت المواقف والظروف فتغيرت بتغيرها العلاقات .

لقد كان لأمريكا فى الشرق الأوسط مجموعة من الأهداف الدائمة قامت عليها العلاقات بينها وبين دول الشرق الأوسط .

كانت هناك أولا حماية وضممان أمن إسرائيل بتأثير من قوى الضغط الصهيونى داخل إسرائيل وخارجها ، وثانيا ضمان الحصول على البترول العربى واستمرار تدفقه بسعر معقول الى أمريكا وحلفائها ، وثالثا عدم افساح موضع قدم للاتحاد السوفىيتى داخل المنطقة العربية بأمل استكمال حلقات الحزام النووى الذى تسعى أمريكا لتطويق الكتلة الشرقية به ، ورابعا استبعاد النفوذ الأمريكى فى المنطقة وجعله النفوذ الأوحى فيها دون منازع ، وخامسا الحيلولة دون قيام قوة عربية كبرى فى الشرق الأوسط بما فى ذلك حجب الدور المصرى الطبيعى فى تجميع هذه القوة .

ولم يكن بالمستساغ ، ولا هو حتى بالمتيسر ، أن تصون أمريكا بنفسها أهدافها فى الشرق الأوسط ، وهى على بعد آلاف الأميال منه ، الا اذا أقدمت على احتلال المنطقة واستعمارها على نحو ما كان سائدا قبل صحوة الأمم الصغرى التى أيقظتها ثورة مصر فهبت تطلب استقلالها وتحصل عليه .

وفى نفس الوقت ، فشلت كل مساعي أمريكا فى تحقيق لون من الاستعمار المقنع باسم ملء الفراغ أو اقامة الأحلاف أو شراء الحرية أو تقديم المعونات المشروطة ، الا فى القليل النادر وعلى نحو لم يحقق أثارا يعتد بها .

وكان الحل الوحيد ، ولعله واحد من أسباب قيام إسرائيل ، أن نقف أمريكا بكل ثقلها وراء إسرائيل ، ترعاها وتضمن أمنها وتمدها فى سبغها بقوام حياتها ، من المدفع الى رغيف الخبز - كما قال الرئيس محمد أنور السادات فى أكثر من مناسبة - كى تتخذ منها العصا الغليظة التى تحفظ بضرباتها المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، بعد أن برهنت إسرائيل على صلاحيتها لهذا الدور فى حروب ثلاثة لم تجد العسكرية المصرية خلالها فرصتها للقتال .

وظل الوضع كذلك الى أن حدث التحول الأمريكى الذى تفرد له هذا الفصل . ونحن لن يجافينا التوفيق لو قررنا أن التحول الأمريكى ، من حيث النظرة الى قضية الشرق الأوسط عامة ، لم ينشأ من فراغ أو كان ابن نزوة طارئة لا يساندها واقع . اذ على العكس تماما ، كان التحول الأمريكى نتيجة منطقية لمقدمات يمكن ردها الى أزمات أربع أخذت برقبة الولايات المتحدة ، حكومة وشعبا ، وترتبت كلها على معطيات السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ . وتلك كانت :

- أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا .
- أزمة الوفاق الأمريكى السوفيتى .
- أزمة رأى العام الأمريكى .
- أزمة حلف الأطلسى التى ترتب عليها تحول أوروبا عن أمريكا الى العرب .

ومع استبعاد الأزمة الأخيرة للتنويه عنها ضمن الحديث عن معركة البترول ، يمكن اجمال الأزمات الثلاث الأولى ، كأسباب للتحول الأمريكى ، على النحو التالى :

أولا :

أزمة هزيمة اسرائيل عسكريا

فى الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ انطلقت الشرارة ، وبدأت عجلة القتال دورانها اللاهث المظفر . ولعله من حقنا أن نستعيد أمجاد ما حدث وألا نمل استذكارها . فتحت ستار من نيران المدفعية ، وفى حماية مظلة من القوات الجوية الضاربة ، عبر المشاة المصريون فى زوارق المطاط قناتهم ليكتسحوا المراكز الاسرائيلية المسيطرة على النقاط التى اختيرت لاقامة جسور العبور .

وراء المشاة اندفع المهندسون مزودين بآخر طراز من جسور الأطواف العائمة ملدها عبر القناة بمعدل خمسة عشر قدما فى الدقيقة ، وبما يكفل اقامة الجسر فى ربع ساعة أو أقل .

ثم تدفقت فرق مدافع الماء ، الابتكار المصرى والأول من نوعه فى تاريخ الحروب ، لفتح الثغرات فى استحكامات خط بارليف ، بما يتيح لدباباتنا شق طريقها الى قلب سيناء . وقبل أن تتمكن المدرعات الاسرائيلية من قطع

المسافة من تلال سيناء الى حيث يمكنها التدخل فى عملية العبور ، كانت دبابتنا قد عبرت جسورها فعلا وانتشرت فى شرق القناة لاقامة رموس الجسور .

وحاول من بقوا على قيد الحياة من حامية خط بارليف تنفيذ الاوامر التى صدرت بانسحابهم الى استحكامات الدفاع الاسرائيلية ، على مسافة ثلاثين ميلا الى الوراء ، ولكن الوقت لم يسعفهم قبل أن تسحقهم الدبابات المصرية .

وفى أوائل فترة ما بعد الظهر فى الشرق الأوسط ، التى توافق انفجر على الشاطئ الشرقى لأمريكا ، أوقف هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية من نومه فى الجناح الذى كان يشغله بفندق بلازا فى نيويورك . وعندما تلقى أنباء العبور كان من الواضح أنه لا يملك معجزة دبلوماسية يواجه بها الموقف . وكان كل ما استطاعه هو الاتصال فى ذلك الصباح الباكر بكل من وزيرى خارجية مصر واسرائيل ، وباناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفييتى فى واشنطن ، ثم الاتصال بالرئيس الأمريكى نيكسون لابلاغه النبأ الذى لم يكن أحد فى الولايات المتحدة ، بل ولا فى العالم بأسره على استعداد لمجرد الظن أنه قد يحدث يوما .

وكان أول قرار اتخذه نيكسون هو اصدار تعليماته الى وزير خارجيته بأن يطلب عقد اجتماع مجلس الأمن لمناقشة القتال الدائر واصدار قرار بوقف اطلاق النار . وفى نفس الوقت أصدر البيت الأبيض بيانا مؤداه : (أن وزير الخارجية ، بناء على توجيهات الرئيس الأمريكى ، قد أجرى مشاورات دبلوماسية واسعة النطاق منذ لحظة بدء القتال لرفع الأمر الى الأمم المتحدة ولطلب عقد مجلس الأمن) .

كان ما يخشاه نيكسون هو أن تنضم دول عربية أخرى الى القتال وأن تنتشر العمليات الحربية على نحو يصعب بعده لم شعثها ، وأن تنتهى بتدمير اسرائيل وازالتها من فوق خريطة الشرق الأوسط .

وكان واضحا أن الولايات المتحدة تتحدث من مركز القوة الذى اعتادت اطلاق دعواتها الى العالم من فوق منبره ، ولكن عاملا جديدا لم يكن فى الحسبان انزل بمنبرها أولى الشروخ التى حاقت به ، والتى تصاعدت بتصاعد انتصارات القوات المصرية الباسلة وتقدمها الوطيد داخل سيناء ، وعلى كل الجبهات ، مكتسحة أمامها فلول جيش اسرائيل . وكان هذا الشرح يتمثل فى البيان الذى أصدرته حكومة الاتحاد السوفييتى ،

والذى حمل اسرائيل نتائج عدوانها المتكرر على الدول العربية ، فى لهجة قاطعة كانت تساندها هذه المرة انتصارات مصر .

قال البيان (ان مسئولية تطور الأحداث الراهنة فى الشرق الأوسط وعواقبها تقع كلها على اسرائيل وعلى الدوائر الرجعية الخارجية التى تشجع اسرائيل دائما فى أطماعها العدوانية) .

وقال : (من المعروف أن الدول العربية قد أظهرت قدرا هائلا من ضبط النفس والاستعداد للسعى الى تسوية سياسية للنزاع على أسس عادلة . ولكن جهود الدول العربية ، وجهود الأمم المتحدة وجميع القوة المحبة للسلام فى سبيل التوصل الى سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط ، قد اصطدمت بموقف العرقلة الذى أصرت اسرائيل على انتهاجه . والأحداث الراهنة فى الشرق الأوسط هى نتيجة مباشرة لاستمرار العدوان الاسرائيلى) .

ثم أكد البيان (ان الاتحاد السوفيتى اخلاصا منه لسياسته القائمة على مبدأ تأييد الشعوب الساعية الى الحرية والاستقلال ، يلتزم بموقفه كصديق يوثق به للدول العربية . وأن الاتحاد السوفيتى ، وهو يدين السياسة التوسعية الاسرائيلية ، يؤيد بكل تصميم المطالب الشرعية للدول العربية ، بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧) .

وكانت هذه الفقرة الأخيرة من البيان السوفيتى ، المطالبة بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، بمثابة الضربة الأولى التى نزلت بالايديولوجية الأمريكية نحو الشرق الأوسط ، والتى جعلتها تبادر بحس النبض الدول استطلاعا للنوايا . وعلى طول ساعات السابح من أكتوبر ، لم تسفر الاتصالات التى أجرتها عن نتيجة مشجعة ليس فقط فى وجود من يؤازر اتجاهاتها من بين الدول بل وأيضا ، وهو ما أنزل بالعقلية الأمريكية صدمة أى صدمة ، فى وجود العدد الكافى من الدول التى ترى ضرورة فى مجرد عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن .

رفض الاتحاد السوفيتى ورفضت الصين الشعبية ، فى صراحة تامة ، أن يصدر المجلس نداء الى أطراف النزاع بوقف إطلاق النار . ورفض كورت فالدهايم ، السكرتير العالم للأمم المتحدة ، أن يصدر نداء عاما واكتفى بدل ذلك ببحث وفود الدول المتحاربة على أن تنصمح حكوماتها بضبط النفس .

وسناد الأمم المتحدة شعور بأن أغلبية أعضاء المجلس الدائمين وغير الدائمين ينتظرون معرفة ما سيكون عليه الموقف العسكرى والاستراتيجى على مسرح العمليات الحربية .

رجن جنون الولايات المتحدة . فقد كانت التقارير كلها تنص على أن جيش مصر يشق خطوط اسرائيل كما يشق سكين ساخن قطعة من الزبد ، وتوحي بأن الموقف العسكرى والاستراتيجى من ثم سوف يؤثر بشدة على مواقف هذه الدول بشأن دعوة مجلس الأمن الى الانعقاد .

ومضت أمريكا تهدد البعض وتتوسل الى البعض الآخر . واذا كانت الدول الأعضاء قد وافقت على أن ينعقد المجلس فى التاسعة والنصف (بتوقيت القاهرة) من مساء الثامن من أكتوبر ، فقد تأخرت الجلسة عن موعدھا الى ما بعد منتصف الليل بدقائق بسبب المشاورات حول معالجة الموقف .

وبمنطق القوة الأمريكية الذى ألقته الولايات المتحدة ، والذى بدأت تهرزه بشدة ضربات القوات المسلحة المصرية ، افتتح جون سىكالى مندوب الولايات المتحدة الجلسة بمطالبته مصر واسرائيل (بوقف عمليّاتهما العسكرية ، وبالعودة الى مواقعهما قبل اندلاع العمليات العسكرية) .

ومن فوق منبر القوة المصرية الذى شيدته قرار السادات بخوض القتال ، والذى بدأت تسائده بشدة نفس ضربات القوات المسلحة المصرية ، لم يرد الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر على المندوب الأمريكى ، وعبر بدل ذلك عن وجهة نظره بقوله (ان الذى يجب أن تطالب به الولايات المتحدة هو العودة الى مواقع ما قبل اندلاع معارك يونيه ١٩٦٧ ، أما اذا كانت أمريكا تعنى دعوتنا الى اعطاء جزء من بلادنا الى المحتل ، فاننى لا أستطيع أن أفهم ذلك ، ولن أرد عليه) .

ووقف جاكوب ماليك مندوب الاتحاد السوفىيتى ليعلن (أن المجلس لا يستطيع اصدار قرار جديد فى الظروف الراهنة ما دامت اسرائيل لم تتعهد بوضوح بالجللاء عن الأراضى العربية المحتلة) .

ووقف هوانج هوا مندوب الصين الشعبية ليعلن (أن القرار الوحيد الذى يجب أن يتخذه المجلس هو قرار باذانة اسرائيل ، وأمرها بالجللاء عن كل الأراضى العربية المحتلة ، بعد أن كسر العرب حالة اللاحرب والاسلم ، مما يعكس صحوة جديدة للدول العربية والشعب الفلسطينى) .

ويمثل هذه القرارات عبرت خمس دول أخرى عن وقوفها ضد آمال اسرائيل ومساعى الولايات المتحدة ، هى غينيا والهند وكينيا والسودان ويوغوسلافيا .

وبما يجرى هذا المتجرى قررت فرنسا انها ستعمل على الاحتفاظ
بوقف متوازن فى كل المناقشات .

ثمان من دول مجلس الأمن الاحدى عشرة أدارت ظهورها للولايات
المتحدة . وكانت النتيجة أن أرجأ مجلس الأمن جلسته الى أجل غير مسمى .

وداقت الولايات المتحدة مرارة الفشل ، ولعل هذا الموقف العالمى كان
ما بقى من الأسبوع الأول من القتال عن سعيها عبثا لاستصدار قرار من
الدافع الأول لما اتجهت اليه من اعادة حساباتها ، وان لم تتوقف طوال
مجلس الأمن بوقف القتال .

وفى خلال هذا الأسبوع الأول قدمت الانتصارات المصرية المتوالية
الكثير من معطيات حسابات الولايات المتحدة .

رأت أمريكا أن استخدام مصر واسرائيل لمثل هذه الأعداد الكبيرة
من الدبابات التى اشتبكت فى الصراع ، على جبهة صغيرة نسبيا ، ومن
جانب دولتين صغيرتين ، يعتبر حدثا لم يسبق له مثيل فى التاريخ
العسكرى ، بما فى ذلك القتال الذى خاضته الولايات المتحدة والاتحاد
السوفييتى وبريطانيا وألمانيا فى الحرب العالمية الثانية .

ورأت أن طيران اسرائيل الذى طالما هددت به العالم العربى من أقصاه
الى أدناه ، قد أصيب بضربة قاصمة على يده فتيان مصر البواسل الذين
أقسموا أن لا يعود الواحد منهم الى قاعدته الا بعد نصر يشبه به وجوده ،
أو استشهاد يسد به بعض ما فى عنقه لوطنه .

ورأت أن معارك الدبابات التى أدارتها مصر فوق تراب سيناء قد
فاقت أكبر معارك الدبابات فى الحرب العالمية الثانية ، وأن مصر قد خاضت
باقتدار قتالا ضاريا لم تعرفه الحرب العالمية الثانية نفسها فى أخطر
مراحلها .

ورأت أن الضربات التى نزلت باسرائيل لم تقتصر على جهد المدرعات
والطيران ، بعدما صرح به الجنرال كالمان الاسرائيلى فى ١٣ أكتوبر ٧٣ من
(ان القوات المصرية الخاصة تدخل سيناء من كل مكان ومن كل اتجاه وبكل
الوسائل ، بطائرات الهليكوبتر والقوارب وسيرا على الأقدام ، لتقاتل
بشراسة وهى مسلحة بأحدث الأسلحة) .

ورأت أن وفاق القمة الذى اتجه الى تجميد الموقف عند حالة اللاسلم
واللاحرب ، لم يعق مسيرة مصر صوب غايتها عندما قررت توجيه شئونها
بارادتها الوطنية وحدها .

ورأت أن إسرائيل بجيشها الذي لا يقهر ، وطيرانها الذي دللته باسم الذراع الطويلة ، وخطها الحصين الذي أنفق عليه بارليف ٣٨٠ مليون دولار ، لا تعدو جميعا سوى أساطير صنعتها الدعاية البارعة .

ورأت أن الجندي المصري في حقيقته عملاق بغير غرور ، صبور بغير استسلام ، عبقرى حرب بغير نزعة من أى نوع الى العدوان . طالب سلام لا يفكر فى السلامة .

ومن هنا كانت معطيات الأسبوع الأول من القتال لا تبشر بخير . ونحولت جهود الولايات المتحدة الى مسعى واحد ، هو وقف القتال بأسرع ما يمكن والا ضاعمت إسرائيل لو سارت مجريات الحرب على ما هى سائرة عليه . وبدأ هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة يعمل بمعدل عشرين ساعة يوميا فى البحث عن أية وسائل تنهى المذبحة الدائرة ، وفى مقدمة نشاطه بالطبع يكفل تهبيط القتال والابطاء فى سرعة دوران عجلته اللاهثة .

ولكى يهىء لجو مفاوضات مع السوفييت ، طلب من قيادات مجلس النواب تأجيل الاقتراح الذى كان المفروض أن يجرى على مشروع قانون التجارة الخارجية ، خشية ادخال تعديلات قد تشير الحكومة السوفييتية وتفسد محادثاته الدبلوماسية معها . ولقد تأجل الاقتراح فعلا من ١٧ الى ٢٥ أكتوبر .

جسر من الامداد العسكري لاسرائيل

والى جانب جهود وزارة الخارجية الأمريكية لوقف القتال . بدأت جهود وزارة الدفاع الأمريكية فى محاولة الإبقاء على إسرائيل فوق قدميها الى أن يتم التوصل الى الحل المنشود لوقف القتال . فبعد أن قدرت مخبرات الولايات المتحدة أن ما تبقى فى يد إسرائيل من السلاح ، بعد هذا الأسبوع الأول من القتال ، لا يكفى لغير أسبوعين آخرين اذا استمر القتال البرى والجوى بنفس القوة التى جرى عليها ، أوصت فى الثانى عشر من أكتوبر بحتمية تعويض بعض الخسائر العالية التى تكبدتها إسرائيل وخصوصا فى الطائرات والدبابات ، بامدادات مما تحت يد الجيش الأمريكى سواء فى داخل الولايات المتحدة أو فى أوروبا أو مناطق أخرى من العالم .

وبدأت عجلة الامداد الموصى به دورانها الفوري عن طريق ما عرف باسم جسر الامداد العسكرى لاسرائيل . وأعلنت المصادر العسكرية الأمريكية فى صراحة أن الولايات المتحدة فى سباق مع الزمن لتعويض اسرائيل عن خسائرها الجسيمة والمتصاعدة على نحو هفرع ، وأن الأولوية فى هذه التعويضات تعطى بصفة خاصة لطائرات الفانتوم ، وصواريخ شرايك (جو / أرض) المضادة لشبكات الرادار بالذات ، والدبابات (م - ٦٠) التى تعتبر أحدث وأثقل الدبابات فى ترسانة الأسلحة الأمريكية .

بيد أن ما حدث كان مذهلا من وجهة النظر الأمريكية ، فعلى الرغم من هذا الامداد لم يطرأ على الموقف تغيير يذكر . وحتى السابع عشر من أكتوبر ارتفعت خسائر اسرائيل الى مائة طائرة فانتوم و ٥٠ طائرة سكاى هوك مع عديد من أنواع الطائرات الأخرى . أما الجدير بالذكر . فهو أن دوائر وزارة الدفاع الأمريكية امتنعت عن تحديد جنسية الطيارين الذين تولوا قيادة طائرات النجدة الجوية الى اسرائيل والذين ذهبوا ولم يعودوا . كما اكتفت بالتنويه بأن معدل ارسال شحنات الأسلحة والدخائر لاسرائيل تتراوح ما بين سبعمائة وثمانمائة طن يوميا . وفى مصر . ابتداء من الساعة الثانية ظهر الثامن عشر من أكتوبر ، بدأت تظهر فى سماء المعركة طائرات من طراز فانتوم لم تجد اسرائيل الوقت الكافى لتمويهها وطلائها بلون سلاح الطيران الاسرائيلى ، وبدأ جليا أن الطيارين الذين يعملون عليها يبلغون مستوى رفيعا فى الأداء . ونفى نفس الوقت استولت قواتنا البرية على دبابات من طراز (م - ٦٠) ، تراوحت قراءات عداداتها جميعا بين ١٣٠ و ٦٥٠ كيلو مترا ، مما أثبت أنها كانت تصل الى ميناء ومطار العريش لتتجه منهما مباشرة الى ميدان القتال .

حتى اذا ما لم تظهر أى بادرة تبشر بأن الامدادات الأمريكية ستلعب دورا مؤثرا ، تقدم نيكسون ، فى التاسع عشر من أكتوبر ، بطلب الى الكونجرس ينادى فيه الموافقة على اعتماد جديد لبرنامج ضخ من المساعدات العسكرية لاسرائيل ، يصل فى مجموعه الى ٢٢٠٠ مليون دولار .

قال نيكسون فى رسالته الى الكونجرس أن هذه الاعتمادات سوف تعطيه المرونة الكافية للوفاء بالتزامات أمريكا فى الشرق الأوسط والاحتفاظ بتوازن فى المنطقة ، ذلك التوازن الذى يعنى أن يفوق ما تملكه اسرائيل وحدها من السلاح كل ما تملكه الدول العربية مجتمعة .

وقال أن نفقات تعويض اسراييل في السلاح والعتاد (عالية جدا)
وأن الحكومة الأمريكية تكلفت ما قيمته ٨٢٥ مليون دولار من الأسلحة والعتاد
لاسرائيل خلال الاثنى عشر يوما الأولى فقط من بدء القتال) .

وقال إن شحنات العتاد الأمريكى لاسرائيل تضمنت كميات كبيرة من
الذخيرة ، والصواريخ (جو / جو) و (جو / أرض) ، والمدفعية الثقيلة
والأجهزة الحربية للطائرات المقاتلة ، كما تضمنت امدادات لتعويض الخسائر
فى الدبابات والطائرات وغيرها من المعدات .

وقال ان اسراييل كانت تسدد ثمن الشحنات العسكرية السابقة نقدا
أو قروضا طويلة الأجل ، ولكن حجم المعارك الأخيرة أزهق امكانيات اسراييل
المالية ، كما أن اتساع الصراع خلق احتياجات تتجاوز قدرة اسراييل على
تسوية مشترياتها من أمريكا وأصبح ضروريا تزويدها بالمعدات بالمجان .

وقال أن الحكومة الأمريكية تبذل كل جهد ممكن لانقاذ اسراييل بوضع
نهاية مشرفة وسريعة للقتال خلال أيام ، ولكن الأمر يحتاج الى تخطيط
حكيم لاحتمال استمرار القتال لمدى أطول .

هذه البيانات التى ضمنها الرئيس الأمريكى رسالته الى الكونجرس ،
تعتبر اعترافات صريحة أولا بمدى ما وصلت اليه اسراييل وما هو فى
انتظارها على أيدي فتيان مصر فى البر والبحر والجو ، وثانيا ببعض الحقائق
عن جسر الامداد الجوى الى اسراييل حتى التاسع عشر من أكتوبر .

وحتى التاسع عشر من أكتوبر أيضا كان التشريع الذى تقدم به
نيكسون قد بلغ فى حجمه ضعف ما حصلت عليه اسراييل من أمريكا خلال
الربع قرن من تاريخها ، كما اعترف المتحدثون باسم وزارة الدفاع
الأمريكية ، ضمن ما أدلوا به من اعترافات أخرى ، تثبت أن مصر كانت
تحارب اسراييل ومعها أمريكا اعتبارا من اليوم الثالث أو الرابع من بدء
القتال .

وعلى سبيل المثال ، اعترف الجنرال دانييل جيمس بأن الحكومة
الأمريكية سبق أن استدعت بعض قوات الاحتياطى من سلاح الطيران
للاشتراك فى الجسر الجوى بين واشنطن واسراييل وأن (عددا محددا)
من القوات الجوية الأمريكية العاملة موجود حاليا فى اسراييل ، كما توجد
« مجموعة من أطقم الخدمة الأرضية الأمريكية فى مطار تل أبيب للاسهام
فى سرعة تفريغ شحنات المعدات العسكرية التى بلغت ٣٥٠٠ طن حتى
ذلك التاريخ - واعترف بأنه من بين كل مائة طائرة فقدتها اسراييل منذ

بداية المعارك رغم الدعم الأمريكي بالطيارين ، أسقطت على الأقل ٢٤ طائرة من طراز فانتوم ، وانه لهذا السبب كانت أمريكا ترسل الطائرات طراز فانتوم وسكاى هوك بمعدل ٢٠ طائرة يوميا . وبأن عملاء إسرائيل في أمريكا يدفعون للطيار الأمريكي خمسة آلاف دولار في الشهر لقيادة المقاتلات .

وعن جسر الامداد العسكرى الأمريكى لإسرائيل ، نشب فوق رؤوس الأيام لنستمع الى كنيث كيتنج ، سفير أمريكا فى إسرائيل ، وهو يقرر ضمن محاضراته التى ألقاها فى السادس عشر من نوفمبر ان السلاح الذى نقل الى إسرائيل عن طريق الجسر الجوى الأمريكى بلغ وزنه أكثر من ٢٧ ألف طن خلال ٥٦٠ رحلة بالطائرات الأمريكية الضخمة من طراز جالاكس وغيرها ، خلال شهر كامل ، وذلك بالإضافة الى ما نقلته الطائرات الإسرائيلية وما نقل بطريق البحر .

مبادرة السادات للسلام

فى السادس عشر من أكتوبر وقف الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ليقدم حساب الأيام العشرة الأولى من القتال . ومن قاعة المجلس نقلت الاذاعات ونقل المراسلون العالميون ، ونقلت الأقمار الصناعية ، شيئاً جديداً على العالم كل الجدة ، ان كان قد ترك فى الساحة السياسية العالمية شعوراً فليس غير الاحترام العميق لابن مصر الذى كان بموقفه خير تعبير للمعدن المصرى .

لقد كانت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل تتحدث وأنفها فى السماء طوال أيام زهو ما قبل السادس من أكتوبر ، عن معاقبة الدول العربية بالحرب . وفى مجلس الشعب تحدث رئيس مصر ببساطة ، بعد أن كسا أرض سيناء بأشلاء جنود وعتاد وطيران إسرائيل ، عن أن هدفه تحرير الأراضى العربية من الاحتلال الاسرائيلى .

وفى اللحظات التى كانت القوات المسلحة المصرية تسجل فيها أروع ضروب البطولات والبسالة والتصميم على استرداد الشرف ، مد الرئيس المصرى من مركز القوة والنصر هذا يد السلام تحمل فوق باقة من الخار مشروعاً للسلام ، فى صورة دعوة لعقد مؤتمر للأمم المتحدة لبحث اقرار سلام دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

وبرزت صور ثلاث من ردود الفعل لما عرضه السادات . ففي الولايات المتحدة تنفست الحكومة الصعداء وهي تجفف عرق الخجل في ترحيبها بالمشروع المصري . وفي اسرائيل مسحت الحكومة دموع التماسيح وهي تشكو من أن جو المشروع في حقيقته جو املاء مواقف ، بدليل ان الرئيس المصري ربط مؤتمر السلام بالموافقة المسبقة على أن تجاب مصر الى مطالبها بمعدل مائة في المائة . وفي بقية دول العالم احتارت الحكومات بين الإعجاب والتقدير لمصر الظافرة ورئيسها الحكيم ، وبين السخط والزراية بالحقق الأمريكى والغرور الاسرائيلى .

وبدأت واشنطن مرحلة جديدة من النشاط المحموم فى محاولة انقاذ اسرائيل من المزيد من الضربات ، مستندة فى هذه المرة الى سماحة مصر التى عبرت عنها بموافقتها المشروطة على وقف القتال . وكان طبيعيا أن نتجه واشنطن أول ما نتجه الى الاتحاد السوفيتى الذى كان بعد الوثوق من انتصار مصر يصر على أن تسيّر العمليات الحربية فى طريقها قدما .

ورغم التكتّم الشديد الذى التزمته الدوائر الرسمية الأمريكية ، فإن العمل الدبلوماسى الذى قام به هنرى كيسنجر وراء الكواليس ، فى اتصالاته التى كان يجريها كل يوم مع أناتولى دوبرينين سفير الاتحاد السوفيتى فى واشنطن كانت توحى بأنها تستهدف التوصل الى موافقة الاتحاد السوفيتى على وقف القتال ، أولا ، ثم التوصل بعد ذلك الى مشروع قرار تتقدم به الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى مجلس الأمن .

كان وجه الصعوبة يتبلور فى أن على أمريكا أن تتحول عن سياساتها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة تماما لمصر .

كانت وجهة نظر الولايات المتحدة أن يعقب وقف القتال عودة الطرفين المتجاربين الى مواقف ما قبل السادس من أكتوبر ، وكانت مصر تسخر جميع العالم من مثل هذه الفكرة .

وكانت اسرائيل تلوح بأنه لا يمكن الربط بين وقف اطلاق النار واجراء تسوية شاملة للقضية وكانت مصر تصر على أن يقوم وقف القتال على أساس عودة الأطراف الى مواقف ما قبل يونية ١٩٦٧ ، وبأن يكون نص مشروع القرار غاية فى الدقة والوضوح .

وكان وجه الصعوبة يتبلور فى أن على الولايات المتحدة أن تتحول عن سياساتها السابقة المؤيدة تماما لاسرائيل والمعارضة على طول الخط لمصر .

ولقد بدأ هذا التحول ، فى تردد وعلى استحياء ، تحت ضغط النصر
المصرى الساحق .

اقتنعت الولايات المتحدة بأن نجاح العمليات العسكرية المصرية قد
زج بإسرائيل فى وضع سياسى مهلئ ، وأنه دمر رصيذا ضخما ليس
فقط من ثقة الرأى العام الأمريكى فى إسرائيل ، بل وأيضا من ثقة الرأى
العام الاسرائيلى فى تفوقه الدائم ، مما يعنى فى حد ذاته أن تل أبيب
سوف تدرك ببطء ، ولكن حتما ، أن التوصل الى حل مع مصر هو الاختيار
الوحيد المفتوح أمام إسرائيل وأنه لم يعد يمكنها الاعتماد على تحقيق انتصار
عسكرى آخر ، فى الحرب القائمة أو فى المستقبل .

واقتنعت الولايات المتحدة بأن خسائر إسرائيل التى بلغت خلال
عشرة أيام فقط ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل وحوالى ٧٠ دبابة ، وما يغادل
ثلث سلاحها الجوى ، رغم ضآلة خسائر مصر نسبيا ، كانت تعرض إسرائيل
لحرب استنزاف لا قبل لها بها .

واقتنعت الولايات المتحدة بأن إقامة الجسر الجوى لامتداد إسرائيل
بالذخيرة والسلاح أن كان قد منحها القدرة على إطلاق النار دفاعا عن نفسها
(وكانت بعض الامدادات من هذا الجسر الجوى تصل الى الميدان مباشرة .
وفى آخر أيام المعركة وصلت الطائرات دون أن تغير علاماتها نظرا لكبر
الخسائر) فقد عجز عن ضمان نصر إسرائيلى منير فى اللحظة الأخيرة .

واقتنعت الولايات المتحدة بأن ما لدى مصر من القوى البشرية
والمهارات الفطرية يكفل استخدام أعقد الأسلحة ، وأن أفضل الحلول أمام
إسرائيل من ثم هو قبول حل وسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهى
بدمارها .

وتحولت الولايات المتحدة ، للمرة الأولى ، من الضغط على مصر الى
الضغط على إسرائيل ، لحملها على قبول الحل المنطقى الذى أصبح ابتلاعه
بعد السادس من أكتوبر أكثر صعوبة بسبب فشل إسرائيل الواضح
ووقوفها أمام العالم عارية . وبرزت صورة التحول الأمريكى فى اتفاق
كل من الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى على التقدم الى مجلس الأمن
بمشروع حقق كل شروط مصر ، وأدار ظهره لكل مطلب اسرائيلى .
وهكذا ، فى صباح الثانى والعشرين من أكتوبر ، أصدر مجلس الأمن قرارا
يوقف إطلاق النار فى مدى ١٢ ساعة من صدوره ، حتى إذا ما درسه
الرئيس السادات ووافق عليه ، أصدر الفريق (المرحوم المشير) أحمد

اسماعيل فى الساعة السادسة و ٤٥ دقيقة من نفس اليوم أمره الى القوات المسلحة المصرية بوقف القتال .

كان القرار واضحا كل الوضوح فيما يتعلق بانسحاب اسرائيل من كل الاراضى المحتلة وفيما يتعلق بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين . وكان هذا ما أراده الرئيس السادات وما كانت تماطل فيه اسرائيل .

الثغرة أو « قصة غزالة »

ثم كانت قصة الثغرة ، وما أطيب أن يقدم كل مؤرخ لعمليات أكتوبر العظيم ، لأبناء اليوم والغد ، ما يعرفه عن حقيقة مغامرة التسلل الاسرائيلى المعروفة الى الشاطئ الغربى من القناة فى ظل وقف اطلاق النار .

لقد كانت اسرائيل تحاذر دائما من أى تورط أحقق فى عمليات غرب قناة السويس . وفى حرب يونيو ١٩٦٧ مثلا ، حرب الأيام الستة كما أطلقت عليها اسرائيل ، كان الطريق مفتوحا أمامها عبر القناة حتى القاهرة ، ولكن هذا الطريق عبر القناة وحتى القاهرة كان فى نظر اسرائيل فما رهيبا لتدوين لا يرحم ، ويعتبر السير فيه فى اتجاه واحد خافلا بمخاطر أولها الامتداد البعيد بأكثر مما يتحمل الجيش الاسرائيلى ، وثانيها الذوبان فى مناطق الكثافة السكانية . ولهذا توقفت اسرائيل فى عام ١٩٦٧ على الضفة الشرقية دون أن تجرؤ على العبور ولو بقارب واحد من المطاط .

ثم بدأ التفكير عام ١٩٧٠ فى عملية محددة غرب القناة فى أعقاب حرب الاستنزاف الشهيرة . وعندما نجحت مصر فى بناء حائط الصواريخ الذى أنزل بالطيران الاسرائيلى - وهو سلاح الردع الأساسى - العجز عن العمل فوق القوات المصرية ، وفى ذلك الوقت وجدت اسرائيل انها ستعرض لمأزق أخطر إذا حدث واستؤنفت الحرب أو إذا حدثت وفكرت مصر فى القيام بعملية أكبر لعبور القناة ، وهكذا بدأ التفكير فى عملية محددة فى الغرب ، تضطلع فيها مجموعة عمل خاصة بمهمة فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرية يستغلها الطيران الاسرائيلى فى تدمير الحائط كله ووضع قوات الجبهة المصرية تحت رحمته .

واستهوت الفكرة الجنرال شارون عندما عين قائدا للجبهة الجنوبية فشارك فى التخطيط لها ، واختار بنفسه مجموعات عناصرها ، كما اختار لها الاسم الكودى الذى عرفت به وهو (الغزالة) ، على أساس من التصور

للمعملية وهي تعبر القناة بقفزة واحدة وتتواكب هنا وهناك بخفة ، ثم تفر عائدة عن حيث أتت ، أو يلحق بها الصياد ولكن بعد أن تكون قد فتحت للطيران ثغرة في السماء .

وفي السادس من أكتوبر فوجيء شارون بجندى المشاة المصرى يجد فرصته ويطارد دبابات اسرائيل بصواريخ مولتكا ، وبكتائب المدرعات الملحقة بفرق المشاة المصرية ، وبالقوات المصرية تحارب كما قال الجنرال اندريه بوفر وهو يزور ميادين القتال (بأكفأ مستوى يعرفه العصر) .
أو كما عبر شارون نفسه لزميله الجنرال جونين من (أنهم يرقصون على أنغام مصرية ولا بد من وقف ذلك فورا) . ولقد تجسست في ذهن شارون فكرة (الغزالة) ، ولكن جونين رفضها بشدة وبادر بالاتصال بتل أبيب مستنجدا . وهرع حاييم بارليف الى الجبهة لتنسيق القيادة بين الجنرالين المتخصصين . فكان رأيه أن الموقف ما زال مبكرا للتفكير في عملية انتحارية كعملية (الغزالة) ، وأن القتال قد يمتد أياما بعد صدور قرار بوقف اطلاق النار يحمي (الغزالة) في الغرب ، وأن الخسائر العالية لا تسمح ببعثة ألوية مدرعة قد تشتت الحاجة اليها اذا طورت مصر هجومها في الشرق ، وان هناك فرقة مصرية كاحتياطى غرب القناة وتدخلها كقيل بقتل الغزالة فورا ، وانه لا بأس من الاستعداد للتنفيذ بشرط انتظار اشارة البدء لو تهيأت الظروف .

وفي العاشر من أكتوبر ، ونتيجة للالاحاح الدائم من شارون ، وبتأييد من ديان الذى كان يقف أمام العالم عاريا ينحرق شوقا الى أية عملية براقية ، صدرت الاشارة الى شارون بأن يكون جاهزا للعمل في ظرف ست ساعات بعد أن أصبح النجاح فى صدور قرار وقف اطلاق النار مؤكدا . وبعد أن أصبح جسر المعونات الأمريكية سيلا دائما التدفق ، وبعد أن عبرت الفرقة المصرية الاحتياطية الى سيناء لتخفيف الضغط عن الميدان السورى .

ومسحت طائرات الاستطلاع الأمريكية التى تطير بلا قائد ما بين بورسعيد والسويس لتحديد أنسب مكان لخلق ثغرة تتيح التسلسل بأدنى حجم من الخسائر . وتحدد مكان الشجرة عند منطقة دفرسوار فيما بين طرفى انتشار الجيشين الثانى والثالث . وفى الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين ١٥ أكتوبر قفزت (الغزالة) وبدأت بقفزتها أكثر المغامرات العسكرية فى التاريخ حمقا وأشدّها تهورا وبعثا للرعب . كما يشهد بذلك منطوق الاشارات التى كان يبعث بها شارون من عربة قيادته المحروسة بخمس مصفحات .

اشارات تسبب قادة التشكيلات لترددهم فى اللحاق به أمام هجمات الجيش الثانى المضادة - واشارات تسبب سلاح المهندسين لتأخره فى مد

الجسور للمدرعات التي ستعزز الطلائع الأولى - وإشارات تسبب الجنرال افراهام آدان قائد لوائى مدرعات التعزيز لتردده فى العبور ، وهكذا .

ولأيام سادت الفوضى الشاملة هذا القطاع الغربى من الجبهة ، وهى الفوضى التي جعلت الغزاة تظهر فى صورة (الأرنب) فلا يعيرها الصياد اهتمامه الكافى ، مما ساعد شارون من حيث لا يدري .

وصدر قرار وقف إطلاق النار فى الثانى والعشرين من أكتوبر فالتزمت به مصر ولم يلتزم به شارون لسبب بسيط ، هو انه لم يكن من وجهة النظر العسكرية البحتة يجرؤ على الجمود بقواته فيبقىها معرضة ومكشوفة الى حد خطير ، وهكذا واصل تقدمه مكرها صوب الجنوب حتى السويس . ثم ماذا ؟

أصبح وضع (الغزاة) فى نطاق مقدرة العمل المصرى ، بعد أن أمكن حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية لتطويقها واحكام الحصار من حولها .

وفى محادثات جنيف التي دارت تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة للفصل بين القوات ، وعن ادراك تام لخطورة وضع القوات الاسرائيلية ، قال رئيس الوفد المصرى فى صراحة تامة (ان أحدا لا يستطيع أن يخيفنا بهذه الشجرة فنحن نعرف قيمتها العسكرية فهى معرضة تماما) وكان الجنرال جور رئيس الوفد الاسرائيلى يعرف هذا جيدا ، فكان رده المائع (أن قوادنا يرون أن هناك فوائد كثيرة تعود علينا من بقاء هذه الشجرة ويرون امكان استغلالها . واما عن التعبئة فنحن نستطيع احتمالها سنة وستين) .

وقال رئيس الوفد العسكرى المصرى (ليكن . فلتبق الشجرة وتعودوا الى خطوط ٢٢ أكتوبر) فكان رد جور بسرعة (ان هذا مستحيل عسكريا) .

وفى القاهرة ضحك الرئيس السادات وقال (نحن نعرف حدود الموقف فى ٢٢ أكتوبر ، وأنا أهذى المسز مائير عشرة كيلو مترات زيادة عليه) .

وعلى طول مرحلة محاولات الفصل بين القوات ، كانت المناقشات تدور فى وزارة الدفاع الأمريكية حول قيمة الشجرة .

كان الجنرال شارون المغرم بالتعبيرات المبرقشة يقول (ان الشجرة مسدس مصوب الى قلب مصر ، ثم انها جبل حول عنق الجيش الثالث) وكان يتصور انه قد حصل لاسرائيل على ميزات عسكرية تساوم بها

للحصول على بعض المكاسب السياسية . ولكن أمريكا بخبراتها العسكرية والمأهولة بكل أطراف الموقفين العسكري والسياسي ، كان لها أكثر من رأى فى الموقف .

فيما يختص بالشجرة رأت أمريكا ان الغزاة قد أدت ما يمكن اعتباره دورا نفسيا ، أما عسكريا فان استحالة اقدم القوات الاسرائيلية على الزحف فى اتجاه القاهرة ، كان يعنى أن على (الغزاة) أن تبقى حيث هى ، حيث باب الاحتمالات مفتوح على مصراعيه . وعلى سبيل المثال لا الحصر .

كان هناك احتمال سد الشجرة ، مهما كانت خسائر مصر فى تحقيق ذلك مما يضع طريق امداد وتموين القوات الاسرائيلية واستمرارها فى أى قتال موضع شك كبير .

وكان هناك احتمال اختراقها وهى مجمدة فى مكانها من أكثر من اتجاه وتطويقها وتصفيتها .

وكان هناك ما بدأ فعلا من بلوغ قوات الشجرة مناطق الكشافة السكانية وتعرضها بالتالى لحرب استنزاف يومية تخشاهها اسرائيل ، حتى لو كان ضحاياها قتيلا واحدا فى اليوم الواحد . وهكذا رأت أمريكا فى (الغزاة) بعد أن أخذت مثل موقف البقرة داخل السلخانة ، أن شارون ليس بيده مسدس موجه الى قلب مصر ، ولا حبل حول رقبة جيش مصر الثالث ، وأن على مغامرته أن تنتهى . وقد انتهت كما نرى وانتهت معها خدمته العسكرية كلها .

وبعد نشوب الحرب ، راح الشعب الاسرائيلي يتساءل :

لماذا لم تتنبأ حكومته بالهجوم المصرى الكاسح ، وكانت تتفاخر دائما ببراعة أجهزة مخابراتها ؟

ولماذا لم تصل أوامر التأهب ، فى الوقت المناسب ، فى كل أنحاء جبهة القناة ؟

ولماذا تم التقهقر المزعور ، من خط بارليف حصنهم الخصين . فى فوضى كلفت البلاد الكثير ؟

وقد عقد الجنرال اريك شارون نفسه ، عدة مؤتمرات صحفية ، ونشرت له جريدتى « الجارديان » و « النيوز تايمز » ، عدة اتهامات تشير الى الأخطاء التى وقع فيها القادة ورئاسة أركان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، فيصرح قائلا :

(ان الجنرال شموئيل جويني وحاييم بارليف ، قد منعاني من اختراق الصفوف المصرية ثم تركاني دون امدادات ، فلم أتمكن من احتلال الاسماعيلية . ان هذه العصاةة من الأفاقين ، مسئولة عن كل الكوارث التي حلت بنا) .

ويرد عليه الجنرالات المتهمون :

(ان شارون ذاته لا يعتبر معصوما من الخطأ ، فان ثغرتة التي يتغنى بها ، كانت عملية فاشلة عسكريا دفعت اسرائيل ثمنا باهظا لها في القتلى والجرحى والمعدات ، مخالفا بذلك تعليمات رئاسته مرات عديدة) .

وفيما يختص بالموقف العسكري عامة رأت أمريكا ان خرافة الجندي الاسرائيلي الذي لا يقهر قد تبخرت بعد أن كادت ترسخ في الأذهان ، وان الجندي الاسرائيلي بدا عاديا ولا يمتاز بغير التدريب الجيد ، وان في مقدور أى جندي آخر على نفس المستوى من التدريب ان يتصدى له وان يهزمه .

وفي نفس الوقت رأت أمريكا أن الجندي المصري يعتبر من أشجع الجنود في العالم وأكثرهم صلابة ، وانه لا يدانيه أحد في الصبر وقوة الاحتمال ، وانه يستطيع أن يعيش على نصف التعيين المقرر لغذائه دون أن يتأثر استعداده للقتال .

وعلى الجانب الاسرائيلي رأت أمريكا أن مصر نجحت نهائيا في تسر الجمود الذي كان يحيط بأزمة الشرق الأوسط ، وأن طريق العودة لم يعد مفتوحا أمام أية ردة ، بعد أن تغيرت صورة مصر أمام عالم كان يحسبها جثة هادمة فاذا هي بركان قادر على الثوران ، ورأت أن منطق اسرائيل في الحدود الآمنة منطق مضروب ، وانه لا قناة السويس كمانع ، ولا خط بارليف كمائق حال بين مصر والحركة ، والقتال ، والانتصار .

كما رأت ان شرم الشيخ ليس لها الأهمية الكبرى التي كانت اسرائيل تبني عليها مطامعها في سيناء ، وانه ليست مفتاحا لميناء ايلات الاسرائيلي بعد أن سقط هذا المفتاح جنوبا لمئات ومئات من الأميال ، كى يستقر في أقصى جنوب البحر الأحمر عند باب المندب ، وان استراتيجية عربية جديدة للبحر الأحمر قد وضعت هذا المفتاح في يد العرب دون منازع .

وكانت محصلة تقديرات الولايات المتحدة وحساباتها تقطع بان على الموقف الأمريكي ازاء الشرق الأوسط ان يتحول الى مجرى جديد . . . لقد أصبح واضحا أن اسرائيل لا تستطيع من الناحية الاقتصادية أن تصمد بمعدل العمليات الذي نصبت مصر ميزانه لأكثر من ثلاثين يوما ، وأن عجز

اسرائيل عن كسب معركة حاسمة خلال أسابيع ثلاثة من بدء القتال يعتبر
في صالح مصر على طول الخط ، خصوصا بعد ما كشفت عنه طائرات
الاستطلاع الأمريكية من ان مصر قد حرصت على أن تبقى قوتها الجوية
الرئيسية بعيدا عن العيان وخارج نطاق المعارك .

وأصبح واضحا أن نجاح العمليات المصرية قد زج باسرائيل في وضع
سياسي عالمي ضعيف ، ودمر رصيда ضخما حتى من ثقة الاسرائيليين
أنفسهم في تفوقهم الدائم على العرب ، وان هذا يعنى أن على الولايات
المتحدة أن تفهم مبكرا وسريعا ما سوف تفهمه اسرائيل ببطء ولكن حتما ،
وهو أن التوصل الى حل مع مصر خصوصا والعرب عموما قد أصبح الاختيار
الوحيد المتاح لاسرائيل ، بعد أن لم يعد في مقدورها تحقيق انتصار عسكري
في هذه الحرب أو في المستقبل .

وأصبح واضحا أنه لا مفر من اقناع اسرائيل بأنها حتى لو كسبت
معركة في سيناء فان الحرب قد غيرت تغييرا أساسيا من المشكلة
الاستراتيجية التي تواجهها ، وأن مصر تملك كما اتضح القوى البشرية
والمهارات التي تكفل استخدام الأسلحة الحديثة ، وأن الأفضل لاسرائيل
من ثم قبول الحل الوسط بدل مواجهة حرب استنزاف قد تنتهي بتدميرها
تماما .

وعند هذا الرأي اتفقت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي على
اتفاق وطيء على أنه لا بد من انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية المصرية
والتخلي عن التراب المصري والعربي .

الفصل بين القوا ٠٠

أول اختبار لنوايا أمريكا

فى نطاق عنوان هذا القسم من الكتاب يتعذر القول بأن سعى أمريكا الخثيث لوقف القتال كان واحدا من ظواهر التحول الأمريكى عن التأييد المطلق لاسرائيل . ولعل العكس أقرب الى الصحة ، بعد ما أثبتناه من أن ما بذلته أمريكا لوقف القتال كان دافعه ما اقتنعت به بعد الحساب الدقيق من أن اسرائيل لن تقوى ، رغم جسر الامداد الجوى ، على مواصلة القتال . أما الاختبار الحقيقى لاتجاهات أمريكا نحو التحول فكان فيما بذله هنرى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، من ضغوط سافرة ومستترة لارغام اسرائيل على الاستجابة لشروط مصر فيما عرف بأزمة الفصل بين القوات .

مباحثات الكيلو ١٠١

كانت قوات اسرائيل قد اتخذت من الكيلو ١٠١ على طريق (القاهرة - السويس) مربضا خيل لها انها تستطيع منه قطع الامدادات عن الجيش الثالث عبر السويس . ورأت قوات الطوارئ الدولية اتخاذ هذه النقطة مركزا للمباحثات العسكرية بين القوات المصرية والاسرائيلية ، لوضع خطة تنفيذ قرار مجلس الأمن بشأن العودة الى خطوط الثانى والعشرين من أكتوبر . وكان صاحب الدور الأول فى التعبير عن تحول أمريكا فى أزمة الفصل بين القوات ، وفيما أعقب ذلك من خطوات ، هو الدكتور هدى كيسنجر ، وزير خارجية الولايات المتحدة .

كانت المرة الأولى التى وجد كيسنجر نفسه فيها منغمسا فى القضية الفلسطينية بوجه عام ، ترجع الى عام ١٩٦٧ حين زار اسرائيل ، ولم يكن قد شغل منصبا رسميا بعد ، ليقترح عليهم انتهاز فرصة النصر الزائف فى التقدم بعرض محدد للسلام . وفى تلك المناسبة ، أخذت الاسرائيليين العزة بالنصر الموهوم فلم يعبأوا برأى كيسنجر ، بل ولعلمهم سخرؤا منه .

وكوزير لخارجية الولايات المتحدة ، كانت زيارة كيسنجر الأولى للقاهرة ، للعمل على تشبيت وقف اطلاق النار والعودة الى خطوط الثانى

والعشرين من أكتوبر ، وهى الخطوط التى اتخذت منها اسرائيل تكاة للمماطلة بدعوى انها لا تعرف ولا غيرها يعرف أين تقع خطوط المانى والعشرين من أكتوبر .

مباحثات جنيف العسكرية

واذا كانت الاضطرابات قد نشبت عند الكيلو ١٠١ بسبب رفض القوات الاسرائيلية الترحيح عنه لقوات الطوارىء الدولية ، فان المباحثات العسكرية التى تقرر عقدها فى جنيف تحت اشراف الأمم المتحدة لوضع خطة الفصل بين القوات تعثرت هى الأخرى بسبب مفاوضات اسرائيلية من نوع جديد ، أضاعت الجلسات فى قضايا فرعية كالمطالبة بالبحث عن جثث ضائعة لبعض الاسرائيليين أو بلافراج عن جاسوس اسرائيلي قبض عليه فى مصر ، أو بوقف تقدم القوات المصرية على جميع الجبهات لاحتلال مواقع جديدة ، وما الى ذلك من المراوغات . وكان فى ذلك من الأسباب ما يكفى لاثارة ثائرة نيكسون وتكليفه كيسنجر بالانتقال الى الشرق الأوسط وعدم العودة الا بعد ارغام اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن .

ولقد كانت هناك أسباب أربعة لها وزنها فى اختيار كيسنجر لوضع حد لهذه الأزمة . وكان أول هذه الأسباب أنه ممن يؤمنون بأن تحريك الأمور يكفى لايجاد المنافذ الى الحلول ، وقد برهن على صواب وجهة نظره هذه فى مناسبات ثلاث تنفست لها أمريكا الصعداء بعد نجاحه فى فيتنام وبكين وموسكو .

والسبب الثانى أن يهوديته بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط كانت خليقة باكسابه نوعا من المناعة ضد جماعات الضغط اليهودية فى المجتمع الأمريكى .

والسبب الثالث أنه يكره الفشل بعد ما حققه من نجاح دولي . أما السبب الرابع فهو توفر ما يشجعه على خوض معركة اقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وهو بالذات السياسة الحكيمة التى عالج بها الرئيس أنور السادات الأمور ، وفيه هذا الصدد بالذات يقول كيسنجر (فى عام ١٩٦٧ أثارت مصر الدنيا علينا ، وكانت النتيجة أن موجة عداة عارمة سادت المنطقة كلها فعطلت أية رغبة للولايات المتحدة فى أداء دورها . . أما فى عام ١٩٧٣ فقد تصرف الرئيس السادات بهدوء أكثر . وسواء أكانت أمريكا مخطئة أم غير مخطئة ، فقد فتحت مصر الباب أمام أمريكا لدور ترغب فى القيام به وتحس انها قادرة عليه) .

وبطائره الخاصة ذات المحركات الأربعة ، مع أربعين من طاقم أعماله بين مساعدين وصحفيين ، حمل كيسنجر معه اختصاصات كل من وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي ، لبدء تنفيذ وجهة نظر أمريكا بعد هزيمة إسرائيل ، والتي عبر عنها بقوله عند افتتاح جلسات مباحثات جنيف العسكرية في العشرين من ديسمبر : (ان الهدف النهائي يجب أن يكون تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه ، وهو القرار الذي كان يستهدف إعادة السلام في الشرق الأوسط بعد حرب يونيو ١٩٦٧) ، ثم ما أضافه في نهاية كلمته من (أن اتفاق السلام يجب أن يتضمن الانسحاب . . الحدود المعترف بها . . تدابير أمن كانشاء مناطق منزوعة السلاح . . ضمانات . . اقرار المصالح المشروعة للفلسطينيين والاعتراف بأن القدس تضم أماكن تعد مقدسة بالنسبة للأديان الثلاثة الكبرى) .

وبدأ كيسنجر سلسلة تنقلاته اللاهثة بين مصر وإسرائيل ، في مسعاها للفصل بين القوات باصرار وجلد كانا حديث العالم بأسره .

في ١١ يناير وصل كيسنجر أسوان ، حيث كان يقيم الرئيس أنور السادات ، قادما من واشنطن . وبدأ محادثاته مع الرئيس فور وصوله حوالي التاسعة مساء ولأكثر من ساعة ، كى يستأنفها طويلا في اليوم التالي - وفي هاتين الجلستين حدد الرئيس السادات بحزم موقف مصر ، مبينا أنه يرتكز على أن يرتبط الفصل بين القوات ارتباطا وثيقا بالانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي العربية المحتلة ، وأن ترتبط حقوق شعب فلسطين ارتباطا وثيقا بالحل الشامل للقضية ، كما يرتكز على رفض أى خفض للقوات المصرية في سيناء أو أى اقتراح بانسحابها من شرق القناة .

وفي ١٢ يناير ، بمجرد انتهاء الجلسة الثانية مع الرئيس السادات ، طار كيسنجر الى تل أبيب . وهناك وضع الحكومة الاسرائيلية أمام الامر الواقع . فبعد أن نوه بأن إسرائيل قد حولت الموقف عند الكيلو ١٠١ الى قضية قائمة بذاتها ، والموقف في جنيف الى ساحة للتقدم بالمطالب الجانبية وتلقى الردود بالرفض ، طالب الحكومة الاسرائيلية بابداء رأى واضح في الموضوع دون مراوغات أو مداورات ، منذرا بأن على هذا الرأى سيكون تصرف الولايات المتحدة في المستقبل ، ومرددا - كما نوهت بذلك صحف إسرائيل - الكثير مما ورد على لسان الرئيس السادات في خطبه وأحاديثه ، وفي مقدمته :

(ان على الاسرائيليين ، أن يختاروا بين تسوية سلمية تشمل انسحابا تاما وبين تصعيد جديد بعد أن أصبح من المستحيل استمرار الموقف الحالي لأطول من ذلك) .

واذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد اضطرت الى الدخول جدياً في الموضوع ، والتقدم بتحفظاتها في حدود الفصل بين القوات ، فلا شك أن السبب كان مرجعه التحول الأمريكي الذي عبر عنه كيسنجر بضغطه الحازم ، والذي عبرت عنه صحيفة ها آرتس الاسرائيلية بقولها ، وكأنما هي تتلمس للاسرائيليين العزاء (ان اهتمامنا بأمن بلادنا لا يجب أن يذهب بنا الى حد قيام مواجهة بيننا وبين الولايات المتحدة ، تضاف الى مواجهتنا مع الدول العربية) .

وفي ١٣ يناير وبعد ساعات من مغادرته أسوان ، عاد كيسنجر اليها طائراً ليعرض على الرئيس السادات ما طرحته اسرائيل من تحفظات درسها الجانب المصري ، ووضع في مقابلها مشروعاً مصرياً للفصل بين القوات . مصحوباً بخريطة تحدد مفهوم وحدود الانسحاب الاسرائيلي ، وبشروط أساسية هي أولاً أن يتم الانسحاب للفصل بين القوات من طرف واحد هو الجانب الاسرائيلي ، وثانياً أن يكون الانسحاب مرتبطاً بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بالانسحاب الكامل ، وثالثاً أن يكون الانسحاب محكوماً بجدول زمني واضح ومحدد .

وفي ١٤ يناير ، قبيل الساعة التاسعة مساءً ، طار كيسنجر من أسوان الى تل أبيب حاملاً المشروع المصري ، وهناك قضى معظم الليل في محادثات خاصة مع أقطاب اسرائيل ، شهدتها الغرفة التي نزل بها في فندق الملك داود ، واستطاع خلالها اقناع الجميع بأن شروط مصر لا راد لها ، وأن أمريكا ستقف بكل ثقلها وراءها اذا لزم الأمر . ولذا ما أشرق نهار ١٥ يناير حتى كان مجلس وزراء اسرائيل قد بدأ اجتماعه القدرى ليحدد شروطه في حدود الارادة المصرية ، مطالباً أولاً بوجود قوات للأمم بتكوين دوريات مصرية اسرائيلية مشتركة على الضفة الشرقية للقناة المتحدة على الضفة الغربية للقناة عند انسحاب اسرائيل منها ، وثانياً للتفتيش على السلاح ، وثالثاً بصدور اعلان من مصر بانتهاء العمليات العسكرية ضد اسرائيل ، ورابعاً بالاشارة الى مسألة تطهير القناة وعودة الملاحة فيها ، وخامساً بعدم ربط الفصل بين القوات بالحل النهائي للمشكلة ، وسادساً بأن يكون هناك مقابل للانسحاب الاسرائيلي من غرب القناة في شكل تخفيف للوجود المصري على الضفة الشرقية منها .

وفي ١٦ يناير في الصباح الباكر ، كان كيسنجر في طريقه الى أسوان بطريق الجو ليعرض على الرئيس السادات مقترحات اسرائيل - وسخر الرئيس من المقترحات ككل ، وبين في وضوح أن مشكلة الفصل بين القوات ، من وجهة النظر المصرية ، تقوم على أسس لن تتنازل مصر

عنها بأى حال من الأحوال ومهما ترتب على عدم استجابه اسرائيل لها من نتائج ، هي أولا أن الفصل مسألة عبيكريه بحتة ولكنها جزء من قرار مجلس الأمن الذى يعتبر الفصل بين القوات مرحلة وليس هدفا ، وثانيا أن الفصل ليس ميزة تعطى لمصر ولكنه يمثل أول تحرك نحو تنفيذ قرار الانسحاب التام من جميع الأراضي العربية ولا يمكن بالتالى منح اسرائيل مقابل له من أى نوع ، وثالثا ان التحرك يجب أن يرتبط بالانسحاب الكامل وفقا لجدول زمنى لمراحل محددة ، ورابعا أن تطهير القناة مسألة تخص مصر وحدها وليس لأى طرف آخر أن يتدخل فى اقراره أو عدم اقراره وخامسا ان الهدف النهائى يجب ان يكون الجلاء الكامل واسترداد حقوق شعب فلسطين ، وأخيرا ان الأمر لم يعد يحتمل المزيد من المراوغة عن طريق الأخذ والرد . . وهكذا ، فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم (١٦ يناير ١٩٧٤) . وبعد اجتماعات دامت سبع ساعات ونصف الساعة طار كيسنجر بقرار مصر الأخير الى تل أبيب فوصلها قبيل منتصف الليل ، لبدأ على الفور سلسلة اجتماعاته التى استمرت ما بقى من الليل ، والتى أعقبها اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى منذ الصباح الباكر .

وفى ١٧ يناير ، بعد أسبوع كامل قضاه كيسنجر متنقلا بطائرته بين أسوان وتل أبيب ، صدر فى الساعة التاسعة مساء ، فى كل من القاهرة وتل أبيب ، البيان الرسمى الذى ينص على انه : (طبقا لقرار مؤتمر جنيف ، فان حكومتى مصر واسرائيل ، بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، قد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة . وسيوقع على الاتفاق كل من رئيس أركان القوات المسلحة لمصر واسرائيل ظهر الجمعة ١٨ يناير بالكيلو ١٠١ على طريق القاهرة السويس . وقد طلبت الأطراف من الجنرال انزيو سيلاسفو قائد قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة ان يشهد التوقيع) .

وبنبرات الفرحة الغامرة ، طلب الرئيس نيكسون الاتصال بالرئيس السادات فى أسوان ، فى نفس المساء ، لينبئه باقرار اتفاقية الفصل بين القوات . بل لقد ذهب الرئيس الأمريكى الى ما هو أبعد من هذا . بأن أذاع بنفسه القرار عن طريق الراديو والتليفزيون من البيت الأبيض ، وعلى الهواء مباشرة ، مختتما كلمته بأن العمل الرئيسى الذى يشغله فى الوقت الحاضر (هو تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة ، والدول العربية كلها) .

ويبقى أن نسجل أن أبرز بنود اتفاق الفصل بين القوات كانت ، كما أرادتھا مصر ، تقضى بأن تتوزع وتنتشر كل القوات المصرية على الجانب الشرقى من القناة ، وتتوزع وتنتشر القوات الاسرائيلية بما فيها القوات

التي غرب القناة عند منطقة الممرات بسفوح جبال الجدى ومثلا (حوالى ٣٨ كيلو مترا داخل سيناء) وبأن ترابط بين الطرفين قوات طوارئ تابعة للأمم المتحدة .

وهكذا برهنت أمريكا على اتجاهها نحو التحول بسبب ما نزل بإسرائيل من هزيمة نكراء .

وهكذا تحركت القضية ولم يعد هناك سبيل للعودة بها الى حالة الجمود . . حالة اللاسلم واللاحرب .

ونعود الى التحول الأمريكى فى محاولتنا لحصر ما حتمه من أزمات .

ثانيا :

أزمة الوفاق الأمريكى السوفيتى

كان لسياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - كما أصبحت تعرف عامة - نقاد متشددون منذ أعلن عنها . حتى اذا ما كان السادس من أكتوبر ، وما ترتب عليه من تعارض فى موقفى القمتين ، ازداد النقد وسادت العالم الغربى بوجه خاص فكرة أن الوفاق قد مات .

وكانت عقدة العقد تكمن فى أن أمريكا تريد بأى ثمن وقف القتال منذ لحظة نشوبه خشية تدمير إسرائيل ، فى حين كان الاتحاد السوفيتى يرى أن مصر قد أحكمت الضربة ، وأن العجلة يجب أن تواصل دورانها ما دامت قد تحركت الى الأمام . وأيا كان الأمر فقد مضت مصر قدما لتثبت بالقتال ، قرارا وتنفيذا ، أن وفاق القمة الأمريكى السوفيتى لا يعوق مسيرة الدول الصغرى التى تقرر تسخير دفة شئونها بإرادتها الوطنية .

وطلعت شمس الثانى عشر من أكتوبر ، بعد أسبوع من بدء الحرب ، لترى الولايات المتحدة أن هناك كارثة حقيقية تلوح فى الأفق متربصة بإسرائيل . وهاج مجلس الشيوخ الأمريكى فانقسم على نفسه . ففي هذا اليوم ، وقف السناتور هنرى جاكسون ، حامى حمى الصهيونية العالمية ، ليصرخ مناديا بأن الأزمة قد أثبتت أن الوفاق مع الروس مبنى فوق رمال متحركة وأن على أمريكا أن تقف بصلاية وراء إسرائيل بما يكفل عودة القوات الى موقف ما قبل السادس من أكتوبر .

وقد ألح السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة الشؤون الخارجية ،

فى نفس الجلسة العاصفة ، على ضرورة السماح للقوات المصرية بالبقاء حيث هى بمجرد التوصل الى قرار بوقف اطلاق النار ، بأهل ان يتيح الوضع الجديد للطرفين المتصارعين استخدام الموقف الجديد كمدخل الى تسوية ما .

وبدا الوفاق يهتز من أساسه عندما استجابت الولايات المتحدة ، تحت ضغط أنصار هنرى جاكسون ، الى مطالبته أمريكا بالوقوف فى صلابة وراء اسرائيل فبدأ الجسر الجوى يمتد فيما بين اسرائيل ومختلف القواعد الحربية الأمريكية ، حاملا العتاد والذخيرة من كل نوع . وردا على هذا ، لم يتوان الاتحاد السوفييتى فى تزويد مصر ببعض ما كانت تطلبه من قبل من عتاد ، ولكن بعد أن دفعت الجزائر لموسكو مائة مليون دولار .

ورغم جسرى الامداد هذين ، بالسلاح الأمريكى لاسرائيل ، وبالسلاح السوفييتى ذى النوعية الخاصة لمصر ، فقد دفع الحرص على عدم انهيار الوفاق كلا من واشنطن وموسكو الى الابقاء على اتصالهما الوثيق ، فى نفس الوقت الذى كانتا ترسلان فيه الطائرات والدبابات والذخائر التى تقتل المصريين والاسرائيليين معا .

وترتب على هذا موقف شاذ ، ربما كان الأول من نوعه فى تاريخ الحروب . فباحتدام المعركة ، ازداد حجم الأسطولين الأمريكى والسوفييتى ونشطت مناوراتهما فى البحر الأبيض المتوسط ، مع الحرص كل الحرص على تجنب أى صدام بينهما . وبدأ وزيراً خارجيتى القمتين اتصاليهما الوثيق . وتم انشاء خط ساخن بين الدولتين الكبيرتين على وجه السرعة . ومضى الاتحاد السوفييتى يرسل طائرات وسفن الشحن الى الموانئ المصرية تحت بصر الأسطول الأمريكى السادس فى البحر الأبيض المتوسط ، فى حين مضت الولايات المتحدة ترسل طائرات النقل الضخمة المحملة بالعتاد علانية وعلى مرأى من الأسطول السوفييتى فى نفس البحر . ومضت سفن كل من الطرفين تسبح مشحونة بالعتاد فوق غواصات الطرف الآخر لتمر بسلام .

وبمرور الأيام ، تحولت هزة الوفاق الى أزمة مفعمة بالانفعال . كان الرأى العام فى الولايات المتحدة الأمريكية يرى فى حرب السادس من أكتوبر مثالا لطغيان الصراع المحلى على شخصية الدولتين الأعظم ، مما يعتبر واقعا خطيرا . وكان الرأى العام فى الاتحاد السوفييتى يرى أن هذه الحرب قد فجرت سؤالا كئيبا هو (هل تستطيع الولايات المتحدة حقا تحسين علاقاتها مع دولة تختلف معها تماما فى نظرتها الى الشئون الدولية ؟) .

وكان الرأى العام فى الولايات المتحدة يرى فى مساندة السوفييت لمصر ودعوتهم باقى العرب الى المشاركة فى القتال ، أن جهود تحسين

العلاقات بين القمتين قد أخفقت ، وأن الولايات المتحدة قد تعرضت للخداع عندما آمنت بهذه الجهود . وكان الرأي العام في الاتحاد السوفييتي يرى أن الاعتدال الذي مارسته موسكو منذ بدأ القتال يكفي للبرهنة على أن موسكو مهتمة بالوفاق ، وأن الدور قد جاء على الولايات المتحدة لكي تثبت أنها تشاطره نفس الاهتمام بنفس القدر ، وأن الكثير يتوقف على استعداد واشنطن لممارسة نفوذها على إسرائيل . وبمعنى آخر ، أصبح السؤال الحقيقي كما تراه موسكو ، كحل لأزمة الوفاق ، هو ما اذا كانت واشنطن تملك القدرة على الضغط على إسرائيل وحملها على قبول حل أصبح ابتلاءه أكثر صعوبة بعد أن عرّتها هزائمه تماما أمام المجتمع الدولي .

ومن مركز القوة أملت مصر شروطها لوقف القتال ، أثناء زيارة وزير الخارجية السوفييتي للقاهرة في ١٩ أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، وفي مقدمتها انسحاب إسرائيل الى حدود ١٩٦٧ الصادر به قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

واستنادا الى مركز مصر دعا رئيس الحكومة السوفيتية وزير خارجية أمريكا ، الى موسكو لدراسة الشروط ، فخرج هنري كيسنجر فورا الى هناك مع وفد من المستشارين . وفي الجلسات التي عقدت يومي ٢٠ و ٢١ أكتوبر توصل الطرفان الى انه لا مفر من قبول شروط مصر .

وفي طريق عودته الى واشنطن ، توقف كيسنجر في إسرائيل ليخطر المسئولين بما استقر عليه رأي أمريكا ، وهو قبول شروط مصر . ولعل هذه كانت المرة الأولى التي شعرت إسرائيل فيها بمرارة التحول الأمريكي .

وفي بواكير الثاني والعشرين من أكتوبر أقر مجلس الأمن ، بالاجماع ، القرار المشترك الذي تقدمت به كل من موسكو وواشنطن ، والذي تمسكت به مصر كشرط لوقف القتال .

واعتمد مجلس الأمن ، قرار وقف اطلاق النار رقم ٣٣٨ ، في الجلسة رقم ١٢٤٧ في ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأصدره في نفس الوقت ، جاء فيه : (يدعو مجلس الأمن جميع الأطراف في القتال الدائر ، الى وقف اطلاق النيران والانتهااء الفوري لكل نشاط عسكري ، في مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة بعد لحظة اقرار المجلس لهذا القرار ، وذلك في المواقع التي يحتلونها الآن .

ويدعو مجلس الأمن كل الأطراف المعنية الى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار في تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بجميع أجزائه .

ويقرر مجلس الأمن ، أن تبدأ المفاوضات فوراً وفي وقت واحد مع وقف إطلاق النار بين الأطراف المعنية ، تحت الاشراف الملائم ، بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط) .

ثم أقر مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٩ المعتمد من المجلس ، في الجلسة رقم ١٢٤٨ بتاريخ أكتوبر ١٩٧٣ ، ونصه :

١ - يؤكد قراره بشأن الوقف الفوري لجميع أنواع إطلاق النار ، وكل الأعمال العسكرية . ويدعو بالحاح الى إعادة قوات الجانبين الى المراكز التي كانت تحتلها لحظة سريان وقف إطلاق النار .

٢ - يطلب الى السكرتير العام اتخاذ التدابير لارسال مراقبي الأمم المتحدة فوراً ، للاشراف على مراعاة وقف إطلاق النار بين قوات اسرائيل وجمهورية مصر العربية ، مستخدماً لهذا الغرض أفراد الأمم المتحدة الموجودين الآن في منطقة الشرق الأوسط ، وفي مقدمتهم الأفراد الموجودون بالقاهرة) .

وقبلت مصر القرار طبعاً فنفذته في ٢٢ أكتوبر بصدر أمر الرئيس السادات بوقف القتال ، في حين انتهزت اسرائيل الفرصة لما حسبتها كسباً ، وما أدركت أمريكا مع خبراء العالم العسكريين أنه مصيده ، وأن موقف اسرائيل بعد تسللها الى غرب القناة قد زاد من سوء موقفها في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تحاول فيه انتشارها من الهوة التي تردت فيها .

وتكهرب الجو ، خصوصاً فيما بين موسكو وواشنطن . وبدأت سلسلة من الاخطارات الحازمة تنتقل بين الجانبين ، كانت في الواقع اختباراً لارادات معقدة بشأن الأزمة .

وطلب الاتحاد السوفييتي عقد مجلس الأمن فوراً . وفاجأت زوسيا العالم بما طالب به الرئيس السوفييتي يوم ٢٤ أكتوبر من ارسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة الى الشرق الأوسط . ثم زاد من حدة الأزمة ما لاحظته واشنطن من تحول مماثل ومحير في الأمم المتحدة ، فهناك بدأ مندوب السوفييت ، جاكوب مالك ، يتحول فجأة من المطالبة بمجرد تأكيد جديد لقرار وقف إطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ، الى المطالبة باتخاذ قرار يقضي بارسال قوة مشتركة من أمريكا وروسيا الى قناة السويس .

ثم صاحب هذه الاتجاهات ما هو أدهى وأمر . فقد لاحظت وكالة المخابرات الأمريكية التي تعتمد أساساً على عمليات رصد التحركات السوفيتية الكترونياً في البر والبحر والجو ، أن سفن الانزال السبع

والسفينتين المحملتين بالطائرات الهليكوبتر لنقل الجنود ، والتي كانت كلها ترابط في شرق البحر الأبيض المتوسط قبل ذلك بأسبوع ، قد بدأت تتحرك في دائرة .

وسجل المرصد الإلكتروني في نفس الوقت اشارات بوضع سبع فرق من القوات المحمولة جوا (نحو ٤٩ ألف جندي) في حالة تأهب واستعداد ، بينما تم وضع فرقة منها في درجة من التأهب أعلى خلال النهار ، بحيث أصبحت مستعدة للتحرك بمجرد صدور الأوامر اليها بذلك .

وفي نحو الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم ، أرسل الرئيس السوفييتي نداءه الأول الى الرئيس الأمريكي ، في شكل مذكرة بإرسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة لاقرار السلام في الشرق الأوسط .

ومرت الساعات دون رد فعل من جانب أمريكا . حتى اذا ما كانت الساعة العاشرة تقريبا من نفس المساء ، وصلت أمريكا مذكرة ثانية تنذر بأن الاتحاد السوفييتي قد يضطر الى تدبير العمل منفردا . وبمراجعة تقارير المخابرات عما تم رصده الكترونيا من الاستعدادات الرسمية ، كانت الصياغة الوحيدة للموقف في رأى وزيرى الخارجية والدفاع الأمريكيين معا ، هى أن الاتحاد السوفييتي قد عقد العزم على وضع قوات في الشرق الأوسط .

ودعى مجلس الحرب الأمريكى للاجتماع على عجل . وتليت على أعضائه المذكرة السوفيتية الحازمة التى تقول ضمن ما تقول (اننا نلج بشدة فى أن يرسل كلانا قوات لتنفيذ وقف اطلاق النار ، واذا لم تفعلوا ذلك فقد نرى أنفسنا مضطرين لتدبير العمل منفردين) . وفى حوالى الساعة الحادية عشر مساء ، تم اتفاق مجلس الحرب بسرعة على اتخاذ شكل معدل من أشكال التأهب كرد عسكري من جانب الولايات المتحدة ، يستهدف أثناء الاتحاد السوفييتي عن العمل وحده .

ووقع الاختيار على (حالة الدفاع رقم ٣) ، وهى (أمر بالاستعداد لتلقى مزيدا من الأوامر التى قد تأتى) . وبصدور هذا الأمر دخل الوفاق الأمريكى السوفييتي فى مرحلة النزع الأخير .

واذا كان الموقف قد تم نقله الى سائر الدول الأعضاء فى حلف الأطلسي ، عن طريق أجهزة وزارة الدفاع الأمريكية ، حوالى الساعة الثانية صباحا ، مما أثار امتعاض تلك الدول رغم ادعاء وزارة الدفاع أن التأخير نجم عن عيوب فى أجهزة الاتصال ، فان الموقف أبلغ أيضا الى وزارة الخارجية ، حيث أثار امتعاضا ولكن فى الاتجاه الآخر .

وصفت الوزارة المذكورة السوفيتية فى بيانها على لسان هنرى جاكسون أحد أعضاء مجلس الشيوخ والعضو البارز فى لجنة القوات المسلحة ، بأنها (كانت وحشية وقاسية) وأن لهجتها تصل الى حد التهديد من جانب الاتحاد السوفييتى (بأنه ذاهب الى الشرق الأوسط) . وقال (اننا نقف على حافة الحرب مرة أخرى ، والموقف حرج للمغاية) . وقال (ان المذكورة لا تتفق مع مبادلات الوفاق التى جرت بين كيسنجر وبين الزعماء السوفييت خلال زيارته الأخيرة لموسكو) . وقال (اذا ذهب الاتحاد السوفييتى الى الشرق الأوسط فلن يغادره ، ولقد أدت التحركات السوفيتية الى تعرية وهم الوفاق مع الولايات المتحدة بسبب مطامع الروس فى أن يكون لهم قدم فى الشرق الأوسط يهيمن على قناة السويس ويصل الى منطقة بترول الخليج ، واذا تحقق هذا الهدف فسيكون كارثة) .

ووصفت الحكومة السوفيتية اعلان حالة التأهب الأمريكى ، على لسان الرئيس السوفييتى فى حديثه الهادى الى نحو ثلاثة آلاف مندوب فى مؤتمر السلام الذى كان منعقدا فى ذلك الوقت ، بأنها (ليست سوى طبل أجوف من نوع لم يشهد له العالم مثيلا من قبل) . وبأنها (باطلة وسخيفة ولا تعدو محاولة لارهاب الاتحاد السوفييتى) . وبأن (الذى حدث هو أن الاتحاد السوفيتى قد أرسل فعلا فريقا من المندوبين لمراقبة وقف اطلاق النار ، عددهم ٨٠ فردا ، وأنه قضى بذلك على آخر خطر من اتساع نطاق أزمة الشرق الأوسط ، بأن أرغم الأمريكيين على أن يفعلوا المثل رغم تردددهم ، وبذا تحقق الوجود المباشر للقوتين العظميين على مسرح الأحداث فى الشرق الأوسط ، مما تشعر ازاءه موسكو بأنها قد حققت انتصارا دبلوماسيا كبيرا من موقف بدا وكأنه يهدد بحدوث أزمة مماثلة لأزمة كوبا) .

أما البيان الرسمى السوفييتى فقد صدر وهو أكثر تشددا فى مهاجمته بقسوة قرار أمريكا اذ قال (ان أية تفسيرات يقدمها نيكسون لهذا القرار ستكون باطلة وسخيفة ولا تساعد على المحافظة على الانفراج الدولى والوفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى) . وأن صانع القرار (قد أخطأ العنوان ولم يحسن اختيار من يوجه قراره اليه) .

ووجدت أمريكا نفسها ، للمرة الثانية ، بين أن تتسبب فى قيام حرب نووية تدمر العالم من أجل عيون اسرائيل ، وبين أن تتحول عن الخط الذى كان يدفعها فى عماء ودون تدبر وراء الرغبات الاسرائيلية . واختارت الحل الأخير مرغمة . وهرع كيسنجر الى مجلس الأمن يدعو الى الاجتماع ، ويتقدم بطلب الاقتراع على اقتراحه بإنشاء قوة للسلام ، تستبعد منها الدول الكبرى . وأجرى الاقتراع ، فوافق المجلس

مجتمعا على الاقتراع ، وعلى التنديد بإسرائيل ، وعلى مطالبتها بوقف القتال والانسحاب ، ليس فقط من الضفة الغربية للقناة ، بل على أساس مباحثات تنتهى بالانسحاب الكامل من جميع الأراضى العربية .

وفى مناسبة هذا التحول الأمريكى الثانى لم تسكت إسرائيل ، فانفجرت تعترف على صفحات جريدة معاريف ، أوسع صحفها انتشارا ، بأن الولايات المتحدة (تمارس ضغطا قويا على إسرائيل لسحب قواتها) .

وان حكومة الولايات المتحدة (تطالب القيادة الاسرائيلية ، تحت ضغط من الحكومة السوفيتية بالانسحاب دون تردد) . وأن أمريكا تقول بصراحة لإسرائيل (ان من مصلحتها ومن مصلحة أمريكا أن تنسحب القوات الاسرائيلية) .

ثالثا :

أزمة رأى العام الأمريكى

لقد يبدو غريبا القول بأن رأى العام الأمريكى تسبب فى أزمة لا تقل آثارها عما سببته أزمة الهزيمة الاسرائيلية ، أو الوفاق الأمريكى السوفيتى ، أو أزمة حلف الأطلسى التى خلقها سلاح البترول ، ولكن رأى الأمريكى أثار أزمة - بعد انقياده الأعمى وراء الحكومة الأمريكية وإسرائيل - كانت واحدة من أسباب التحول الأمريكى التى لعبت دورها البارز .

ويكاد لا يخطئنا البحث لو قلنا أن أزمة رأى الأمريكى بدأت فى الحادى والعشرين من أكتوبر ، بعد أسبوعين من بدء القتال ، بالصيحة الجريئة التى أطلقها القس الأمريكى فيليب بيريجان ، الذى سبق أن حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات بسبب معارضته السياسات الأمريكية فى فيتنام ، بعد أن قبض عليه لتهمة مزورة هى محاولة نسف البيت الأبيض وخطف كيسنجر .

أمام مؤتمر الأمريكين من أصل عربى الذى عقد فى واشنطن ، شن بيريجان هجوما عنيفا على إسرائيل ، وأعلن تأييده القوى لمقترحات الرئيس السادات الخاصة باقرار السلام فى الشرق الأوسط .

قال (انى آمل - بتأييدى مقترحات الرئيس السادات - أن أحبيب على أولئك الذين يحاولون تصوير الحرب الدائرة على أنها الانتفاضة الأخيرة لبقاء إسرائيل على قيد الحياة ، والأمر ليس كذلك . . وعلى أولئك

الذين ينتقدون هذه الحرب فيصورونها على أنها تأييد لآبادة إسرائيل من الوجود ، والأمر ليس كذلك أيضا . وعلى أولئك الذين يعتبرون انتقاد سياسة الولايات المتحدة انحيازاً إلى جانب الاتحاد السوفييتي ، مع أن الأمر ليس كذلك) .

وقال (ان الأمر ليس كذلك ، لا لمجرد أن الحكومة الأمريكية التي تسببت في كثير من مظاهر الشقاء في العالم تؤيد إسرائيل . . ولا لمجرد أن اليهود الأمريكيين أو الاسرائيليين قد ربطوا تأييدهم أو خضوعهم بما يريده نيكسون . . أن الأمر ليس كذلك في الواقع لأن إسرائيل تفعل ما تريده الولايات المتحدة أو المركب الصناعي العسكري الأمريكي أن يفعلوا . بأسلوبه التقدمي العدواني ، ولأن إسرائيل تقوم بدور العميل للسياسة الأمريكية) .

وقال بعد أن انتقد الرئيس نيكسون وحكومته بسبب التأييد المطلق لإسرائيل بدون شروط ، (لو أن العالم أخذ بخطة الرئيس السادات لأمكن انقاذ الشرق الأوسط من تلك الفوضى التي يعانيها ، والا فان كثيراً من أسباب الشقاء سوف تستمر ، وسوف يتحمل الرئيس نيكسون وموشي ديان وجولدا مائير ، وخليفتهم كيسنجر وزر ما يحدث في هذا العصر من جرائم) .

وكأنما كان الرأي العام الأمريكي في انتظار الشجاع الذي يجاهر برأيه . اذ ما كادت تمر أربعة أيام على صيحة النفس بيريجان ، حتى وقف جون بادو ، سفير أمريكا الأسبق في القاهرة ، أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب الأمريكي ، ليقول في ٢٤ أكتوبر (ان امكان ايجاد تسوية واقعية لأزمة الشرق الأوسط ، أفضل الآن منها قبل نشوب الحرب ، وينبغي على الولايات المتحدة أن تمارس بعض الضغط على إسرائيل من أجل الوصول إلى تسوية) .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه جون بادو يدلي برأيه أمام مجلس النواب كان جيمس هلمز ، عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كارولينا الشمالية ، يقدم مع ثلاثة من الأعضاء إلى المجلس رأيه بأن أمريكا تواجه موقفاً يتنازع فيه طرفان لا يعتبر أي منهما عدواً لأمريكا ، ثم يقدم اقتراحاً يقضى أولاً بإعادة انشاء إدارة مدنية في كل من سميناء والجولان والضفة الغربية تحت سيطرة كل من مصر وسوريا والأردن ، وثانياً انشاء مناطق واسعة منزوعة السلاح عند حدود الدول العربية وإسرائيل ، وثالثاً تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، ورابعاً تقديم معونة إلى الدول العربية لاستخدامها في التنمية الاقتصادية . حتى اذا ما قدم مقترحاته الأربعة ، اختتم حديثه بقوله (وأهم من كل هذا ، يتعين على إسرائيل أن تعترف

بوحدة الدول العربية ، كما يتعين عليها إعادة جميع الأراضي التي استولت عليها بالقوة فى عام ١٩٦٧ الى أصحابها) .

وهر شهر كامل على صبيحة القس بيريجان الأولى ، باسم الرأى العام الأمريكى فى الحادى والعشرين من أكتوبر . وجاء الشتاء الأمريكى القارس ليرغم المواطن الأمريكى على الشعور بأزمة الطاقة كما لم يشعر بها فى حياته المرفهة . حتى اذا ما كان يوم العشرين من نوفمبر ، بدأت مصادر وزارة الخارجية الأمريكية نفسها تنوه بأن معاناة المواطن الأمريكى من شتاء قارس ، ومن زيادة أسعار البنزين ، ومن احتمال حظر استخدام السيارات الخاصة فى أيام الآحاد (ستكون المحك الحقيقى للسياسة الأمريكية التقليدية فى التأييد المطلق لاسرائيل) بعد أن أثرت قرارات دول البترول العربية بحظر ارسال البترول الى الولايات المتحدة فى طريقة الحياة التى اعتادها المواطن العادى .

قالت هذه المصادر أنه بعد ٢٥ عاما من الولاء الأمريكى الكامل لاسرائيل ، بدأ الرأى العام الأمريكى ، كما بدأت الكوادر المتوسطة من المسئولين الأمريكيين تحس بخيبة أمل (بسبب التكاليف الباهظة للسياسة الأمريكية تجاه اسرائيل ، والتى كلفت الولايات المتحدة عداء الدول العربية ، وهى دول لم تتسبب فى أية أضرار للشعب الأمريكى كما قال السيناتور وليم فونبرايت مرارا .

ومضت هذه المصادر تقول انه (بعد أن يرتجف الأمريكيون فى بيوتهم خلال هذا الشتاء فان الالتزام العاطفى تجاه اسرائيل قد يخف ، وقد يصبح فى الامكان اقامة علاقات أكثر اعتدالا مع اسرائيل وباقى دول العالم ، وخاصة اذا ما مضى حكام اسرائيل فى سياسة الرفض المتشددة لانسحاب من الأراضي العربية المحتلة) .

وظلت ظواهر التحول فى الرأى العام الأمريكى الرسمى تتناثر ، ولكن على أنها تصدر عن (مصادر وزارة الخارجية) ، طوال ما بقى من شهر نوفمبر وحتى منتصف ديسمبر ، كى يؤكد لها نفس وزير الخارجية ، هنرى كيسنجر بثورياته التى تضمنها شرحه للمشكلة أمام أعضاء الكونجرس الأمريكى فى ١٣ ديسمبر . ولعله مما يبرز مدى تحول الرأى العام فى الولايات المتحدة أن نعلم أن أول رجل رسمى جاهر به ، هو نفس كيسنجر اليهودى الذى فقد اثنى عشر من أفراد أسرته فى معسكرات الاعتقال النازية ، والذى كان عليه أن يقنع اسرائيل وأصدقاء اسرائيل بأن أى سلام دائم فى الشرق الاوسط يرتهن بحدوث تغييرات أساسية فى كلا السياستين الاسرائيلية والأمريكية . ولقد أجاد كيسنجر ، تحت

ضغط الرأي العام الذى بدأ ينفجر فى أمريكا ، بشرح الموقف فى نقاط
سبع هى ، كما قال :

أولا : ان المشكلة الآن تختلف تماما منذ حرب أكتوبر وحظر
البترول ، ولا يمكن حلها باعادة الموقف الى ما كان عليه من قبل أو حتى
عن طريق نظرية ميزان القوى .

ثانيا : ان العودة الى مواقف ٦ أكتوبر ليست فى صالح إسرائيل ،
فخسائرها وصلت الى واحد من كل ٤٩٤ من سكانها ، والعرب يحصلون
على أسلحة حديثة أكثر تعقيدا ، ويتقنون استخدامها ويحرمون إسرائيل
من فرصة القتال على جبهة واحدة فى الوقت الواحد .

ثالثا : ان عزلة إسرائيل الدبلوماسية بالرغم مما تبذله الولايات
المتحدة ، ستزداد ما لم يتم التوصل الى تسوية عامة ، فأوروبا أكثر اهتماما
باستقرارها الاقتصادى منها بأمن إسرائيل ، وأفريقيا السوداء قطعت
علاقاتها مع تل أبيب ، واليابان ومعظم الدول الآسيوية ستقطع علاقاتها
مع إسرائيل اذا استمرت فى الاتجاه الحالى ، وبغير حدوث تعديلات
أساسية فان إسرائيل ستنتهى الى عزلة دبلوماسية دولية ، دون أن يبقى
من صديق لها سوى الولايات المتحدة الأمريكية .

رابعا : أن مركز إسرائيل ، حتى فى الولايات المتحدة ، ان يكون
آمنا مالم تغير من سياستها ، فواشنطن ملتزمة بتأييد قرار مجلس الأمن
رقم ٢٤٢ الذى يدعو إسرائيل الى التخلي عن الأراضى التى احتلتها فى
حرب عام ١٩٦٧ ، والولايات المتحدة الآن ترغب فى أن تضمن رسميا
استقلال إسرائيل وسلامة أراضيها اذا أمكن الترتيب لعقد معاهدة سلام
جديدة بين المتحاربين .

خامسا : أن الولايات المتحدة ليست على استعداد للمخاطرة بخوض
حرب مع الاتحاد السوفيتى فى كل مرة يحدث فيها صدام بين العرب
واسرائيل ، وهى ليست بالقطع على استعداد لتحمل مثل هذه المخاطرة
اذا حدثت عودة للوضع الذى كان راهنا .

سادسا : ان موقف الكونجرس لا يوحى فى وضوح كاف بأنه
سيظل مؤيدا لارسال مزيد ومزيد من شحنات السلاح الى إسرائيل دفاعا
عن الترتيبات السياسية الهشة التى حدثت فى الماضى ، ولن يكون من
السهل كذلك الحصول على ضمان أمريكى آخر حتى بالنسبة لإسرائيل ،
ما لم يتم التوصل الى معاهدة سلام متفق عليها بين إسرائيل وبين الدول
العربية .

سابعاً : ان مثل هذه التسوية ، اذا قدر للتفاوض أن يتوصل اليها ، لابد أن تضمنها الولايات المتحدة وسائر الدول الكبرى ، وقد تكون هذه آخر فرصة لاسرائيل تعقد فيها سلاماً لا يفرض عليها .

وبعد هذا الشرح للمشكلة ، وافق كيسنجر على أن هذا كله له وقع الصدمة والألم على اسرائيل ، ولكنه بتذرع بنقطة أبرزها بقوله (تخيلوا ما سيحدث في العالم اذا كان ثمة استياء عام وبطالة عامة يمكن ردهما الى تصليب اسرائيل وعنادها) .

هذه النقطة بالذات ، وبصدورها عن نفس وزارة الخارجية ، ظلت مثار نقاش في المجالس الخاصة كمصدر للقلق ودعوة صريحة الى الامعان في تدبر الأمر والنظر اليه من الزوايا الأخرى التي كانت تغفل من قبل ، عن عمد في أغلب الأحيان .

حتى اذا ما احتدم هذا النقاش ، وجد قادة الرأي العام الأمريكي أن عليهم حسم الأمر ، ولذا تقرر عقد مؤتمر اعلامي عام للصحفيين ورجال الفكر والاعلام ، في ليلة الثالث عشر من مايو عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه ١٣٠٠ منهم لمناقشة ما اذا كان هناك انحياز يهودي تجاه قضية الشرق الأوسط . وكانت النتيجة التي انتهى اليها المؤتمر هي الخروج باعتراف خطير هو أن تغطية الصحافة الأمريكية لأبناء الأزمة تميزت بالافتقار الى الواقعية ، وبالانحياز الى اسرائيل .

قال الكاتب الأمريكي الكبير بول جاكوبى (ان ما نحن بصدده الآن هو بالفعل انحياز أمريكي عام ، وفي اطار هذا المضمون يمكن أن نقول أيضاً أنه انحياز غربي عام) . وهو اعتراف ضمنى بأن أوروبا أيضاً كان يجرفها بدورها تيار هذا الانحياز .

وقالت الكاتبة فيفيان جورنك (لقد اقتنعت بعد زيارة لمصر استغرقت ستة شهور من عام ١٩٧١ بأن المراسلين الأجانب في القاهرة انما يرسلون « الكليشيهات » المزروعة في رؤوسهم مسبقاً) .

وقال رتشارد سميث ، أكبر محرري مجلة نيوزويك (اننى أعتقد بأن هناك بالفعل انحيازاً من جانب الصحافة في معالجة هذه القضية ، واننى أوجه اللوم على ذلك الى المجموعة اليهودية فى أمريكا ، لمطالبتها بأبناء اسرائيل وبخلق علاقات عامة أفضل معها ، وبالتشكيك فى العرب) .

وقالت هيلين توماس ، مراسلة وكالة يونايتد برس (اننا نملك قدرة وقوة البحث عن الحقيقة . ونحن لانريد أن نكون بالضرورة محبوبين ، بقدر ما نريد أن نكون على صواب) .

وتوالت الكلمات وكلها تدور حول نفس المحور ، لتتبلور أخيرا فى غرض استقر عليه رأى المؤتمر ، هو (رؤية كيف يمكننا أن نؤدى عملنا بشكل أفضل) .

ولقد بدأ قادة الرأى الأمريكى هؤلاء يؤدون عملهم بشكل أفضل ، ترتب عليه الاسراع بعجلة تحول الرأى العام الأمريكى الى طريق الصواب ، والاسراع بالتالى الى تطوير الفكر فى الولايات المتحدة على نحو كان كافيا ، الى جانب ما سببته أزمته الهزيمة الاسرائيلية والوفاق الأمريكى السوفيتى ، فى التحول الأمريكى الذى نفرد له هذا الفصل من الكتاب .

وكان طبيعيا أن تحس الأطراف المعنية ، بآثار هذا التحول .

فأما رد الفعل بين يهود أمريكا فقد عبر عنه برترام جولد ، الرئيس التنفيذى للجنة اليهودية الأمريكية ، فى ١٧ مايو عام ١٩٧٤ ، بأن (هناك دلائل جديدة على وجود موجة عداة لليهود والحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة) وان كان قد حذر من عواقب وصم كل من يختلف مع اليهود بتهمة العداة للسامية .

وأما فيما بين أمريكا والعرب ، فقد كشف عنه رونالد زيجلر ، المتحدث الأمريكى الصحفى باسم البيت الأبيض ، بما أعلنه من (أن الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون سيزور الشرق الأوسط فى وقت قريب ، ويأمل أن يزور فى جولته مصر وسوريا والسعودية والاردن والكويت) ، وبما قرره المتحدث الرسمى المصرى من (أن مصر ترحب بهذه الزيارة ترجو ان تسفر عن نتائج ايجابية فى اتجاه التغيير الذى طرأ على سياسة الولايات المتحدة بعد حرب أكتوبر) .

وأما فى اسرائيل فقد بدأ الاسرائيليون ، حكومة وشعبا ، يشعرون بالكآبة والقنوط فى مواجهة تطورات أحسوا بأنه لم يعد فى وسعهم أن يسيطروا عليها ، وتنتابهم العصبية ازاء اعتمادهم شبه الكلى على الولايات المتحدة التى بدأت تفاجئهم بما يوحى بضغطها عليهم ، وتذهلهم الاتصالات السريعة الخطى بين واشنطن وموسكو والقاهرة .

لقد أصبح التحول الأمريكي حقيقة واقعة . وإذا كان قد ترقبه عليه سىء ، فهو أولا انفجار من الداخل فى اسرائيل بدأ بتبادل الاتهامات وانتهى بسقوط الحكومة الاسرائيلية ، وثانيا باعتدال الميزان الأمريكى فى معاملته مع مصر مقارنة باسرائيل .

ويدل استقراء التطورات على أن الرأى الحكومى الأمريكى قد استقر على التحول تحت ضغط الهزيمة العسكرية التى نزلت باسرائيل خلال الاسبوع الأول من القتال ، وأن هذا التحول أخذ فى الرسوخ حتى اكتسب صفة المبدأ بتوالى عوامل الضغط الأخرى التى سببتها أزمة الوفاء فأزمة صحوة الرأى العام الأمريكى .

وفى اليوم الأول من نوفمبر ١٩٧٣ كانت جولدا مائير فى واشنطن لتوصيخ وجهة النظر الاسرائيلية للرئيس نيكسون ، وصفوة ما يقال عن نتائج تلك الزيارة هو أنها أعادت اسرائيل الى حجمها الحقيقى . وإذا كان ما دار خلال الزيارة مازال سرا من حيث التفاصيل ، فإن النتائج توحى بها نتيجة زيارة اسماعيل فهمى ، مبعوث الرئيس السادات ، للرئيس الأمريكى ابتداء من نصف اليوم الأول من نوفمبر . فبعد أن سمع نيكسون وجهة النظر المصرية قال انه سيعود لزيارة مصر حتما ، وأن موقف مصر ايجابى ، وأن الزيارة جاءت فى مرحلة هامة من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، وأن الأمريكين يصرون على أن الظروف التى أدت الى هذه الحرب يجب أن تنتهى . حتى اذا ما انتهت المحادثات ، رافق كل من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته كسينجر المبعوث المصرى حتى سيارته فى حديقة البيت الأبيض ، حيث تصافح الجميع بحرارة .

وفى الثامن من نوفمبر ، بعد أن انتهت زيارة كسينجر للرئيس السادات للاتفاق على وسائل تطبيق القرار ٢٤٢ بعد وقف اطلاق النار ، صرح كسينجر بأن مصر وأمريكا اتفقتا على مبدأ عودة العلاقات الدبلوماسية كاملة بينهما فى وقت قريب يفترض أن تكون قد تمت فيه خطوات معينة فى طريق السلام على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وفى الحادى والعشرين من نوفمبر حضر الى مصر ٢١ من أعضاء الكونجرس الأمريكى ، ومعهم سبعة من المستشارين ، لتقصى الحقائق فى الشرق الأوسط . وبعد أن سمعوا عشرات الاجابات من الرئيس السادات لعشرات الأسئلة التى توجهوا بها اليه ، صرحوا بأن الرأى

العام الأمريكى والحكومة الأمريكية كانت تنظر الى أزمة الشرق الأوسط من جانب واحد دون باقى الجوانب ، وانهم سعداء بالمأمهم بأطراف القضية أخيرا .

وفى السادس من ديسمبر أكد نيكسون فى اجتماع له مع ٣٧ من أعضاء مجلس النواب الديمقراطيين أنه (يجب على إسرائيل أن تدرك أن واشنطن هى صديقها الوحيد بين الدول الكبرى ، وأن سياسة الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها من الدول العربية ليست سياسة عملية) .

وفى الرابع من فبراير ١٩٧٤ حضر ديفيد روكفلر ، رئيس مجلس إدارة بنك تشيز مانهاتن الأمريكى ، ليعرض على الرئيس السادات : أولا تمويلا متوسط الأجل قدره ٨٠ مليون دولار لاستخدامه فى الأغراض الاقتصادية التى تحددها مصر ، وثانيا ، انشاء مكتب للبنك فى القاهرة لا يعتبر فرعاً للبنك انما تقتصر مهمته على ايجاد الوسائل لدعم العلاقات المصرفية بينه وبين البنوك المصرية .

وفى السابع والعشرين من فبراير وصّـل الى القاهرة روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير مع خمسة من كبار مستشاريه لا ليقول ، بايعاز من أمريكا ، ان مصر تعاني شبه جفاف مالى مما لا يشجع البنك على تقديم قروض لبناء السد العالى ، كما حدث ذات مرة من قبل ، بل ليقول بايعاز من نفس أمريكا ، ان مصر تعاني شبه جفاف مالى مما يلزم البنك بتقديم قروض للبناء والتعمير ، بما يعتبر أضخم عملية يقوم بها البنك بحماس بعد مساهمته فى تعمير أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ، مع وضع قناة السويس واستصلاح الأراضى واستغلال كهرباء السد العالى فى المرتبة الأولى .

وفى اليوم الأول من شهر مارس ١٩٧٤ صرح كيسنجر ، وزير خارجية أمريكا ، بقوله فى أكبر مؤتمر صحفى من نوعه (يسرنى أن أؤكد اليوم أن عصرا جديدا قد بدأ بين بلادى ومصر ، والفضل الأول فى هذا يرجع الى الرئيس السادات) وبهذا التصريح وصلت الثقة بين مصر وأمريكا الى خاتمته ، بعد أزمة ثقة زاد عمرها دبلوماسيا على ثمانى سنوات .

وفى الثانى عشر من يونيو ١٩٧٤ ، كان الرئيس ريتشارد نيكسون بالقاهرة مع قرينته ، ليس فى أول زيارة تجىء فى أعقاب التغييرات العالمية الواسعة والعميقة التى فرضتها حرب أكتوبر فحسب ، بل وأيضا فى أول زيارة رسمية يقوم بها رئيس أمريكى لمصر . وقد لا يكون فى

صفحات هذا الكتاب محال لتفصيل ما عبرت عنه هذه الزيارة ، بيد أن بعض المؤشرات عن حقيقة التحول الأمريكي ومدهاء خليقة بأن تجده لنفسها مجالا هنا مع صدى وقعها بين مصر والمصريين .

سبقت الرئيس الأمريكي ثمانى طائرات خاصة نقلت من واشنطن بعض أفراد السكرتارية والحرس الخاص والمعدات الخاصة بهم ، وأوقفت حركة الطيران بميناء القاهرة الجوى ساعتين ونصف الساعة فى الموعده المحدد لوصول نيكسون . وتم تركيب محطة لاسلكية حيثما تقرر أن يقيم لتتيج له الاتصال المستمر والمباشر مع البيت الأبيض ومختلف أنحاء العالم عن طريق الأقمار الصناعية . وقامت مؤسسة الكهرباء بتغذية قصور اقامته بثلاثة مصادر كهربائية مختلفة لضمان استمرار التيار الكهربائي . وأعدت سبعة مراكز صحفية لتغطية الزيارة باللاسلكى والتلكس من مطار القاهرة وقصور القبة ورأس التين والمنتره وفنادق شيراتون وهيلتون وفلسطين . وروعى أن يرافق سائق القطار الذى سينقل الرئيس الأمريكى من القاهرة الى الاسكندرية خبير عالمى لضمان مواجهة أى عطل ميكانيكى . كما روعى أن ترافق القطار طائرة هليكوبتر كحلقة وصل بين أجهزة القطار اللاسلكية وبين محطة اللاسلكى الأرضية الرئيسة . وأن يتبع القطار ، وبنفس سرعته ، قطار خاص مجهز بغرفة عمليات ضمت مجموعة من الأطباء المصريين والأمريكيين .

وحيثما انتقل الرئيس الأمريكى مع قرينته ، كانت الحفاوة الرسمية والشعبية وكان الهتاف المصرى المنبعث من القلب ، يعبر عن مدى ما تعتمر به نفوس الشعب المصرى المنتصر من عشق للسلام وبغض حتى للحرب التى انتصر فيها والتى أثبتت عن جدارة أنه قدیر على الانتصار فى غيرها . وفى هذا الصدد قال نيكسون (لقد زرت الكثير من بلاد العالم ، ولكنى لم أر مثل الحفاوة التى تمس القلب مباشرة والتى قوبلت بها فى مصر) . وقال (ان عدد من خرجوا لاستقبالى فى القاهرة والاسكندرية وحدها يزيدون على ثلاثة أمثال تعداد إسرائيل) . وقال (من اليسير جدا أن تجمع الجماهير لاستقبال زائر ، ولكنك لا تستطيع أبدا أن تتحكم فى مشاعرهم أو فيما تكنه قلوبهم من حرارة أو فتور) .

لقد تبودلت بين الرئيسين ، السادات ونيكسون ، الكلمات والخطب والمناقشات فى عديد من المناسبات سواء بحضور المئات من ممثلى الاعلام والصحافة فى العالم أو أثناء الجلسات الخاصة ، ولكن محور الحديث لم يخرج أساسا عن ضرورة تحقيق السلام العادل والدائم فى الشرق الأوسط ، وضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة ،

وضرورة استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه السياسية . ضرورات ثلاث كانت محور الأحاديث في شرفة قصر القبة بمجرد وصول نيكسون ، وفي مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس السادات في حديقة القصر في نفس اليوم ، وفي الليل بعد انتهاء المأدبة ، وفي القطار الذي نقل الرئيسين في اليوم التالي الى الاسكندرية ، وفي قصر رأس التين الذي نزل به ضيف مصر ، وفي الطائرة الهليكوبتر التي نقلت الرئيسين في اليوم الثالث الى منطقة الأهرام ، وفي مكتب الرئيس السادات بقصر عابدين ، ثم في المؤتمر الصحفي الذي انعقد بقاعة المسرح بقصر عابدين والذي أعلن فيه الرئيسان ايمانهما معا بالضرورات الثلاث كأساس لحل أزمة الشرق الأوسط ، والذي حرص فيه نيكسون على التنويه بأن التحول الأمريكي تجاه الموقف بين العرب واسرائيل أصبح حقيقة واقعة ، وأن العلاقات بين مصر وأمريكا قد عادت الى طبيعتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا و . . . ذريا .

واذا كانت زيارة الرئيس الأمريكي لمصر لم تجاوز الثلاثة أيام فقد أمكن خلالها محو آثار العديد من سنوات الجفاء وسوء الفهم وسوء الظن .

• • ما بعد نيكسون • •

ما كانت اسرائيل لترى التحول الأمريكي الذي ألمحنا في ايجاز اليه وتكتفى بمجرد متابعته . وما كانت جماعات الضغط الصهيوني في الولايات المتحدة عموما ، وداخل الكونجرس بوجه خاص ، لتتابع مراحل هذا التحول وهي مكتوفة اليدين . واذا كانت اسرائيل وكانت جماعات الضغط الصهيوني قد آثرت الانتظار قبل أن تضرب ضربتها ، فقد كان ذلك على مضض ولأسباب كانت تبرر التريث وتراه في صالح اسرائيل .

كانت جماعات الضغط قد أعدت عدتها للتخلص من نيكسون • • بعد شهر وثلاثة أيام من بدء القتال . ففي الثاني من نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأت الأنباء تتناثر عن أن مؤيدي اسرائيل داخل الكونجرس وخارجه

(١) جاء في الحولية اليهودية الامريكية . الصادرة في مطلع عام ١٩٧٧ ، احصاء لعدد يهود العالم حتى نهاية عام ١٩٧٦ هو ، ١٤ مليون و ١٤٥ ألف يهودي . وتبلغ نسبة الذين يعيشون منهم في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ٥ مليون و ٨٤٥ ألف يهودي ، وفي أوروبا ٣٤٥ر٠٥٠٠ يهودي موزعون كالاتي :
٤٦٨٠ر٠٠ بالاتحاد السوفيتي و ٥٠ر٠٠٠ بفرنسا و ٤١٠ر٠٠٠ بانجلترا .

كانوا على وشك شن حملتهم ضد سياسة (نيكسون - كيسنجر) فى الشرق الأوسط ، وأن اسرائيل بادرت بحثهم على تجنب ذلك فى تلك المرحلة لأسباب كان لها ما يبررها ، منها أن الحكومة الأمريكية قدمت كميات ضخمة من الأسلحة لاسرائيل ، ومنها ضغط أمريكا على الاتحاد السوفييتى من أجل وقف إطلاق النار ، ومنها تجنب أغضاب نيكسون فى تلك المرحلة الدقيقة ، ومنها أن الولايات المتحدة هى المصدر الوحيد للسلاح وأنها كانت تسعى فعلا لرفع التسليح الاسرائيلى الى مستويات أعلى حتى مما كانت عليه قبل الحرب ، ومنها أن الموقف المالى فى اسرائيل قد بلغ من الخطورة حدا قاتلا وأن نيكسون طالب الكونجرس باعتماد ٢٢٠٠ مليون دولار كمخصصات دفاعية اضافية لاسرائيل ، ومنها أن أصدقاء اسرائيل كانوا يقلون يوما بعد يوم فى أفريقيا ، وينحون الى موقف الحياد فى أمريكا اللاتينية ، ويتخذون موقفا أقرب الى العداء فى أوروبا .

ثم كان موقف (نيكسون - كيسنجر) من الفصل بين القوات فى الجبهة السورية ، وازغام أمريكا لاسرائيل على الاذعان لشروط سوريا مع المصارحة بأنها تسعى لتحقيق الأمن والسلام وليس لفرض وجهات نظر أحد الأطراف (تقصد اسرائيل) على أى طرف آخر ، وبأن (اتفاقية فصل القوات أهم وأخطر لاسرائيل من الاحتفاظ بمدينة القنيطرة والتلال الثلاثة التى تحيط بها) كما قال كيسنجر لجولدا مائير فى صراحة تامة .

وكانت فرصة الضغط التى يحتفظ بها مؤيدو اسرائيل ، تتمثل فيما عرف ولا زال باسم (قضية ووترجيت) التى كانت منذ أثبتت تتراقص كالسيف ، المعلق فوق عنق نيكسون . ولقد ظلت جماعات الضغط عند رأى الحكومة الاسرائيلية فى التريث قبل العمل على الاطاحة بحكم نيكسون ، حتى اختتم الرئيس الأمريكى صور تحوله بزيارته لمصر . ثم بايفاده مبعوثيه لاسترضاء مصر على نحو ما ألمحنا اليه . فعند هذا الحد نفذ صبر اسرائيل ومؤيديها ، واستقر الرأى على التخلص من نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر معا .

وبدأ استغلال قضية ووترجيت كقضية قومية تستوجب محاكمة نيكسون ، عن طريق الضغط الصهيونى داخل الكونجرس وخارجه ، ونشر استطلاعات الرأى المضللة لتوحي بأن رأى الأغلبية يتصاعد بطلب المحاكمة .

وضاقت بالرئيس نيكسون الأرض بما رحبت ، فلم يجد غير أن يلقي فى الخامس من أغسطس ١٩٧٤ بقنبلة مدمرة فى صورة اعتراف

بأنه حجب فعلا معلومات كان من شأنها الكشف عن هذه الفضيحة في حينها ، وأن تستره على الفضيحة وان لم يكن مقصودا فقد أضر بموقفه كرئيس للولايات المتحدة .

وفي فجر التاسع من أغسطس أعلن نيكسون استقالته ، وتسليمه السلطة الى نائبه جيرالد فورد ، وعن أمله في أن تكون استقالته بداية لانتقام الجروح التي عانت منها أمريكا لأمد طويل . وضمن بيان الاستقالة الذي لم يستغرق أكثر من سبع عشرة دقيقة ، حرص نيكسون على أن يؤكد بأن (هناك في الشرق الأوسط مائة مليون عربي كان معظمهم يعتبروننا عدوا لهم طوال أكثر من عشرين عاما ، ولكنهم الآن ينظرون إلينا كأصدقاء) . كما حرص على أن يوصي الشعب الأمريكي بقوله (لابد لنا أن نعمل على استمرار هذه الصداقة حتى يعود السلام أخيرا الى الشرق الأوسط ، وحتى لا يصبح مهد الحضارة لحداتها) .

وتراقص السؤال في كل من العالم العربي واسرائيل :

(وماذا بعد نيكسون ؟) .

وجاء الجواب سريعا ..

في العاشر من أغسطس ، بعد يوم واحد من استقالة نيكسون ، أكد الرئيس الأمريكي جيرالد فورد أثناء اجتماعه بالسفراء العرب في واشنطن في نفس ساعة دخوله البيت الأبيض تقريرا (أن كيسنجر سوف يواصل جهوده في المنطقة كما كان يفعل أيام الرئيس نيكسون) . ثم بادر في نفس اليوم ببعث رسالة الى الرئيس السادات أكد فيها أنه (سيعمل على دعم العلاقات القائمة بين مصر والولايات المتحدة والتي أرسى مبادئها الرئيس الأمريكي السابق نيكسون) . ولعل في هذا ما حدا بأسحق رابين الى اذاعة البيان الاسرائيلي المشبط للعزائم والذي نوه بأن (السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط تملئها المصالح الأمريكية ، وليس هناك أي سبب يبعث الى الاعتقاد بأنها يمكن أن تتغير قريبا أو حتى على المدى البعيد) .

ولقد صدق حدس رئيس الحكومة الاسرائيلية . فبعد يوم واحد آخر ، في الحادي عشر من أغسطس اذيعت فحوى الرسائل التي أرسلها الرئيس الجديد جيرالد فورد الى كل من الرئيس الجزائري هواري بومدين ، والرئيس السوري حافظ الأسد ، والملك الحسن ملك المغرب ، والرئيس اللبناني سليمان فرنجيه ، والتي أكدت التزام الرئيس

الأمريكي (بمواصلة الجهود السابقة من أجل إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط) .

أما في رسالته الخاصة الى الرئيس السادات ، فقد حرص جيرالد فورد على أن يؤكد ، بكل ما في الوضوح والاصرار من معنى ، أولا (أن الولايات المتحدة ملتزمة بقوة بمتابعة استراتيجيتها الدبلوماسية الساعية نحو سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ، بنفس القوة التي ميزت جهودها عبر الشهور التسعة الأخيرة ، أي منذ السادس من أكتوبر صانع العجائب ومحول المقادير ، وثانيا (ان الدكتور كيسنجر قد أحاطه تماما بالجهود التي بذلها خلال تلك الشهور ، وأنه يشعر بالسعادة لأن هنري كيسنجر كوزير للخارجية سيواصل اداء دور مهم في هذه القضية وفي غيرها من جوانب السياسة الأمريكية ، كما سيظل العمل على تحقيق السلام في الشرق الأوسط في قمة أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وثالثا (ان السلام في الشرق الأوسط لم يعد بعيد المنال ، وهو ما يرجع الى حد بعيد لقدرة الرئيس السادات كرجل دولة) وأخيرا انه يتطلع الى تحقيق الزيارة التي كان الرئيس السادات يزعم للقيام بها للولايات المتحدة قرب نهاية هذا العام) .

كانت الدلائل كلها تدل على أن التحول الأمريكي قد رسخت أقدامه وازداد عوده صلابة . ففي السادس عشر من أغسطس ، بعد أقل من أسبوع من اضطلاع جيرالد فورد بالحكم الأمريكي ، اتخذت الولايات المتحدة قرارا بالقيام بتحريك سريع لحل أزمة الشرق الأوسط . وفي نفس الوقت ، على صعيد ما بين مصر وأمريكا خاصة ، قررت أمريكا أن تستفيد مصر من قانون تصدير فائض المحاصيل الزراعية كمعونة ، ومدها بنصف مليون طن من القمح منها مائة ألف طن بصفة عاجلة رغم وجود عجز ضخيم من محصول هذا العام ، وأن تزور القاهرة بعثة أمريكية في ٩ سبتمبر لبحث مجالات التعاون الإداري والمالي ، وبعثة التعليم الطبي في ٢٣ سبتمبر ، وبعثة عاجلة للتعاون الثقافي في ٢٤ أكتوبر . وأن يتم بصفة عاجلة فتح خمسة بنوك أمريكية في مصر لتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية فيها . وأن تتم الموافقة فورا على الطلبات التي تقدمت بها ٢٣ شركة أمريكية والتي عرضت فيها الاشتراك في تخطيط مدن القناة .

حدث كل هذا خلال الأسبوع الأول من تنحي نيكسون عن الرئاسة ودخول جيرالد فورد البيت الأبيض ليحتل مكانه .

السوق الأوروبية المشتركة

برزت في العالم ، بعد الحرب العالمية الثانية ، قوتان رئيسيتان هما : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي . في حين تراجعت بعدهما بريطانيا والدول الأوروبية الى مكانة أضعف مما كانت عليه قبل الحرب .

فبات من الضروري ، أن تعمل تلك الدول (التي تدور في فلك الولايات المتحدة وأطلق عليها الدول الغربية) على توثيق العلاقات السياسية فيما بينها وتوحد قراراتها الاقتصادية والسياسية لاستعادة مكانتها على خريطة المواقف الدولية ، بوحدة شاملة تجابه القوتين الرئيسيتين ، وعلى أن تكون عامل نوازن بينهما ، مع التمسك بهما وبالعلاقاتها ومصالحها مع الولايات المتحدة الأمريكية .

لذلك قامت السوق الأوروبية المشتركة ، بعد توقيع معاهدة روما في ٢٥ مارس ١٩٥٧ بين كل من : ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج . وبشرت وجودها الفعلي منذ أول يناير ١٩٥٨ ، كنواة للوحدة الأوروبية الشاملة ، كوحدة ذات شخصية اعتبارية متمتعة بالأهلية القانونية والقوى المعنوية بين الدول الأعضاء ، من خلال تنظيم متناسق لمباشرة الاختصاصات في مواجهة الدول الأعضاء .

وتنص معاهدة روما ، على تكوين أربع هيئات رئيسية لمباشرة مهام وأعمال السوق ، وهي : اللجنة التنفيذية - مجلس الوزراء - محكمة العدل الأوروبية - البرلمان الأوروبي .

ثم انضمت الى عضوية السوق ، كل من : بريطانيا والدانمارك وأيرلندا واليونان . وتم تشكيل البرلمان الأوروبي بالانتخاب الحر المباشر ، لاختيار ٤٣٤ عضوا من الدول الأعضاء ليمثلوا حوالي ٢٠٠ مليون مواطن في بريطانيا وأوروبا الغربية . وأسفرت نتيجة تشكيل البرلمان الأوروبي ، عن تمثيل جميع القوى والتيارات السياسية . لذلك كانت للسوق مواقف مؤثرة متباينة الاتجاهات السياسية ، خاصة بالنسبة لتطورات مشكلة الشرق الأوسط ومساعي مصر من أجل تحقيق السلام ، لعادل الدائم بالمنطقة .

وكان لنتائج حرب أكتوبر . أثرها البالغ على أعضاء السوق ، مما دفعهم الى تطوير علاقتهم بالدول العربية ، والمشاركة الجادة في

ايجاد الحل السلمى فى الشرق الأوسط . ومرجع ذلك الى قوة تأثير الدبلوماسية المصرية فى استقطاب رأى العام الأوروبى ، وتحويل مجرى قضية السلام التى تسعى اليه مصر ، لتخرجها من اطارها الاقليمى ، لتشغل اهتمامات المجتمع الدولى .

مواقف السوق

- فى ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، أصدرت لجنة السياسة الخارجية للسوق ، بيانا ناشدت فيه موافقة الأطراف المتحاربة على وقف القتال والتمهيد لاجراء مفاوضات لحل النزاع ، وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . الذى يدعو الى انسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة .

- فى ١٥ أكتوبر ، وجه وزراء خارجية السوق رسالة الى السكرتير العام للأمم المتحدة ، برغبتهم فى أن يتحقق وقف إطلاق النار بأسرع ما يمكن . وأيد البرلمان الأوروبى تلك المطالب ما عدا هولندا . وقد جاء هذا التحرك وفقا لاتجاه مصر .

- بعد وقف إطلاق النار (٢٢ أكتوبر) ، طلب الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو ، عقد مؤتمر قمة أوروبى قبل نهاية عام ١٩٧٣ ، لتنسيق المواقف ازاء مشكلة الشرق الأوسط .

- فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، أصدر وزراء خارجية السوق بيانا عن ضرورة انسحاب القوات المتحاربة ، الى المواقع التى كانت عندها يوم ٢٢ أكتوبر (وهو مما كانت تطالب به مصر) ، وأوضحوا فى بيانهم الأسس الرئيسية التى يجب أن تستند اليها التسوية ، على النحو التالى :

١ - عدم الاستيلاء على الاراضى بالقوة ، وضرورة قيام اسرائيل بانهاء احتلالها للأراضى التى استولت عليها منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

٢ - احترام السيادة والتكامل الاقليمى والاستقلال كل دولة فى المنطقة وحققها فى الحياة بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .

٣ - يجب أن تؤخذ فى الاعتبار - عند اقامة سلام عادل ودائم - الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

- كانت السوق الأوروبية المشتركة ، بمثابة عامل ضغط ايجابي على اسرائيل ، للانصياع لارادة المجتمع الدولي ، فى اقرار الحقوق العادلة لجميع شعوب منطقة الشرق الأوسط وتأييد الحقوق العربية والفلسطينية .

أمام الحقيقة

وأمام الحقيقة ، يجب أن نقف متأملين ، ولا ندع الضباب يعجزنا ويصرفنا عن جوهر الأحداث ، حتى لا يتركنا نهبا للزيف بعيدا عن الواقع ، الذى قد يكون مرا أحيانا .

ولو تركنا مشاعر المغالاة التى اشتهر بها الشرقيون ، وجردنا الأحداث من شوائبها ، لتقف الحقائق عارية ، فسنجد أننا ضخمنا من النصر السياسى الذى أحرزناه عام ١٩٥٦ . . وأخفينا من العيوب ما أسلمنا الى مصيرنا المظلم الذى حاق بنا فى نكسة عام ١٩٦٧ .

ولعل تضخمنا لقرع الطبول لما أسميناه نصرا عام ١٩٥٦ ، هو الذى صرفنا عن سماع صوت الحق ، وظلت أسماعنا صماء حتى عام ١٩٦٧ ، ومن ثم لم نفق من غفلتنا الا على آلام النكسة المريرة . ورغم الكبرة التى أرقدت الأمة العربية فى عشرة من عشرات التاريخ عام ١٩٦٧ ، فان الحقائق لم تختف وراء الستار طويلا . وسرعان ما ظهرت على السطح بثور النقائص والعيوب والمثالب ونواحي الضعف . . وكان لزاما الوقوف أمام هذه الحقائق بشجاعة .

وكان من المؤكد ، أن الأرض التى ضاعت منا ، لن يتركها العدو لنا الا اذا خلعناه منها خلعا ، وأقصيناه عنها مرغما . فليس فى عرف المحتل أخلاقيات المتصوفين ، وليس فى طباع المستعمرين تساهل المحبين .

وقد تأكد ذلك فى بيان ٣٠ مارس ، وفى جميع خطب الرئيس السادات حتى ما قبل ٦ أكتوبر بأيام قليلة .

وهنا تجب الإشارة الى موقفين يجب التفرقة بينهما ، لنستخلص منهما محصلة للقول الذى نريده . . وهما : موقفنا نحن الأمة العربية وعلى رأسها مصر ، وموقف اسرائيل عام ١٩٥٦ .

خلاصة موقفنا أننا هزمنا ، وأجبرنا على الانسحاب من سيناء ،
وتعرضنا لغزو مشترك من قوات فرنسا وانجلترا واحتلت بورسعيد .
وبجهد من قواتنا المسلحة ، وبفضل موقف دولي موحد ، التفتت فيه
وجهتنا نظر كل من روسيا وأمريكا ، وأجبرت الدول المعتدية على
الانسحاب .

وخلاصة موقف اسرائيل ، أنها أجبرت على الانسحاب أمام الموقف
السياسي الدولي .

غير أن ما أعقب عام ١٩٥٦ ، كان عجباً . . فقد انصرفنا نحن الى
التغنى بالانتصارات ، وظللنا نردد لها بلا وعي ، ونضخمها حتى اقتنع
شعبنا أننا أتينا بما لم يأت به الأوائل . . بينما انصرف عدونا الى
طريق آخر ، طريق التخطيط بالأسلوب العلمي . وكان مبعث ذلك أنه
وضع لنفسه خطة ، ومن ثم عكف على تركيز كل الجهد في تطوير قواته
الجوية بالدرجة الأولى ، وتطوير جميع الأسلحة الأخرى خلال فترة زمنية
محددة .

وحسبنا أن نتذكر أقوال قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية
آنذاك ، لنرى أنهم اتخذوا لهم ديناً جديداً أسموه الخطة ، التي جعلوها
نصب أعينهم . وعلى حد قول بعضهم :

(كنا نصبح بالخطة ونمسي بالخطة ، وننام بالخطة ، حتى
أصبحت الخطة لنا ديناً لا نحيد عنه) .

وقد نشر على العالم في أوائل الستينات ، كتاب « خنجر اسرائيل »
الذي كتبه الصحفي الهندي « كارنجيا » ، والذي لم يكن الا ترجمة
لخطة اسرائيل الاستراتيجية ، والتي تسربت الى أيد غير اسرائيلية
بطريقة غير معلومة الى الآن .

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية في بيروت ، وتداولته
الأيدي العربية ، ولكنها لم تستوعب منه الا كونه ضمن سلسلة
التهديدات الاسرائيلية حتى وقع عدوان ١٩٦٧ . . ففاجأتهم الحقيقة
المرّة ، هي أن الوثيقة التي ترجمت كانت الوثيقة التي تحوى حقيقة
خطط اسرائيل الاستراتيجية .

وعندما سئل « موسى ديان » عن ذلك وكيف لم يحرك ساكناً
أو يغير الخطة بعدما تكشفت أبعادها . . فقال في استهتار بالغ :

(قليل من العرب من يقرؤون ، واذا قرأوا لا يفهمون ، واذا فهموا لا يعملون) .

ان أى قارئ لكتاب « خنجر اسرائيل » ، يعجب اذ يجده صورة طبق الأصل من الأحداث التى توالى علينا عام ١٩٦٧ ، رغم أنه نشر قبل وقوعها بسنوات .

خلاصة القول ، أن اسرائيل انصرفت الى كثير من العمل وقليل من الكلام ، وانصرفنا نحن الى كثير من الدعاية وقليل من العمل . ورغم أنه كان بين أيدينا خطة اسرائيل فى تطوير استراتيجيتها ، فقد استحوذت علينا عمليات المقارنة بين اعداد السلاح ، دون أن نركز الجهد على من خلف السلاح .

والأمم أمام الأحداث الجسم ثلاثه أنواع : نوع يخطط ويعمل لتحقيق هدف بعيد . . ونوع تسوقه الأحداث ليضع خططا مرتجلة يساندها عمل هزيل . . ونوع لا يخطط ولا يعمل ولكن يكتفى بالمشاهدة أو الكلام .

ونحن بعد ٦ أكتوبر ، قد تكشف لنا أن قادتنا أصبحوا مخططين أكثر منهم خطباء ، وذوى حنكة فى الادارة أكثر منهم مرتجلين للأعمال العشوائية . ومن ثم أتت انتصارات أكتوبر ، قمة للتخطيط وليس للارتجال . وتبين لنا أن القرارات الحربية ذات الطابع المصيرى فى حياة الشعوب ، لا ينفرد بتخطيطها رجل واحد أو حفنة رجال ، بل يضع خيوطها هيئات من الأركان ذوى التخصصات المختلفة وعلماء ومستشارون وقادة وسياسيون .

الجديد فى الأمر

وانتصرنا فى حرب أكتوبر ، وكان النصر مبينا . . لأننا حركنا قضيتنا من ثلاجة اللا سلم واللا حرب ، الى مسرح الأحداث .

واهتزت اسرائيل أمام الهزيمة ، فأعقب العمليات العسكرية حرب أخرى بين جنرالاتها ، وراح كل منهم يلقي بلوم الفشل على الآخر ، وإلى جانب آلاف القتلى والجرحى من جنودها ، ضاع من عتادها الكثير ، فوق رمال سيناء . واهتز جهاز الحكم السياسى بها ، وأسند قياده الى طاقم جديد . ولكن الدروس المستفادة من المعركة لم تضع هباء ، بل وضعت

محل دراسة وتمحيص ، وعكفت على تحليلها لجان متخصصة لتتلافى
أرجه التقصير في المستقبل .

وكانت بين انتصارنا وهزيمة اسرائيل ، حقائق يجب ألا تغيب عن
البال . . ومنها : أن ما تحقق في الجولة ، لعربية الاسرائيلية الرابعة ،
ليس الا مرحلة واحدة ، استطعنا فيها مع كسر جمود القضية ، تحرير
جزء من أراضي سيناء ، وانهاء أسطورة الجيش الذي لا يقهر .

ولكن الجزء الذي حررناه من أراضينا ، لا يمثلها كلها بل هو
بعض من كل . بل نكون غير مسرفين ان قلنا أنه قياسا على ما بقي ،
فهو بعض قليل بالنسبة الى كبير . . وهذا ما عبر عنه الرئيس السادات،
بقوله في ٢٦ يونيو ١٩٧٤ :

(ان انتصار أكتوبر هو مجرد خطوة على طريق النصر ، ويعتبر
خطوة جسارة والحمد لله . وبقي أن نواصل المسيرة بالروح نفسها لتدليل
ما بقي من صعاب) .

نعم . . بل عديد من الصعاب . .

فالسعى وراء السلام في منطقة الشرق الأوسط ، واسترداد حقوق
شعب فلسطين ، يتطلب اجتياز السدود والتغلب على عقبات لها جذور
صراع تاريخية بين مصر واسرائيل .

الباب الرابع

التعاون العربي الأفريقي

أفريقيا • • القارة السوداء

فى مؤتمر برلين الاستعماري ، قامت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا ، بتقسيم أفريقيا فيما بينهم ، فأقاموا الحدود السياسية المصطنعة ، وفرقوا الشعوب والقبائل ومزقوا وحدتهم ودفعوا الأفارقة الى الحروب كالعبيد لتحقيق أطماعهم وسياساتهم •

وظلت أفريقيا ، عبر هذه القرون ، تحت وطأة الاستعمار الذى جثم على أرضها ، فسلبها حريتها وخيراتها وثروتها • • وبقيت على هذا الحال ، تعاني من التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، الى أن بدأت الشعوب الافريقية تهفو الى حياة الأحرار ، فقامت بثوراتها ضد المستعمرين ، الذين سرعان ما انسحبوا من أفريقيا دولة تلو الأخرى •

وبنجاح الثورات الافريقية ، خرجت الشعوب المنتصرة الى الحرية والحياة تزفر التخلف الذى فرضه عليها الاستعمار ، وقد جمع الهدف الواحد شعوب تلك الدول ، فركز آمالها وأهدافها فى الحرية والاستقلال والرخاء •

وعلى أثر هذه الثورات التحررية الافريقية ، ابتدأ العمل الفعلى من أجل وحدة أفريقيا ، للدفاع عن كيان دول القارة واستقلالها •

السلام وأفريقيا

وتحقيقا للسلام • • واحترام حقوق الانسان وميثاق الأمم المتحدة ، واحترام سيادة جميع الدول والعدالة والالتزامات الدولية والاعتراف بحق المساواة بين جميع الأجناس وحق تقرير المصير ، والقضاء على جميع صور الاستعمار وتصفيته فى قارة أفريقيا ، والقضاء على سياسة التمييز والتفرقة العنصرية • •

وتشجيعا لوحدة وتضامن الدول الافريقية ، برزت سياسة الزعيم جمال عبد الناصر فى مختلف المجالات الدولية بالنسبة لأفريقيا ، وخصها

بكثير من المباحثات والمؤتمرات ، حتى برزت مصر فى دفاعها عن شعوب أفريقيا وقد اتسمت سياستها بالصراحة ووضوح الحق . ومن أجل افريقيا ، كانت هذه المؤتمرات :

- فى أبريل ١٩٥٥ .٠ انعقد مؤتمر الشعوب الأفريقية والآسيوية فى باندونج .

- فى ديسمبر ١٩٥٧ .٠ مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى وساعدت قراراته الحركات التحررية الأفريقية ، وعبأت مشاعر شعوب القارة ضد الاستعمار .

- فى أبريل ١٩٥٨ .٠ مؤتمر أكرا . الذى دعا اليه « قوامى نكروما » بعد استقلال غانا .

- وفى ١١ - ١٥ أبريل ١٩٦٠ .٠ انعقد المؤتمر الثانى ، لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية فى مدينة « كوناكرى » لتعزيز حركات النضال ضد الاستعمار ، وتحقيق التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، وتأكيد قضية فلسطين ، واعتبار اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد الأمن والتقدم فى الشرق الأوسط .

- فى ٤ - ٧ يناير ١٩٦١ .٠ انعقد مؤتمر الدار البيضاء ، بدعوة من ملك المغرب ، لتخطيط أسس أفريقيا وتشكيل ملامح التضامن الأفريقى ، بين دول أفريقيا المستقلة التى تلاقى ارادتها مع الارادة العربية الحرة .٠ وقرر المؤتمر « الميثاق الافريقى » وانشاء قيادة افريقية عليا مشتركة لضمان الدفاع الجماعى عن أفريقيا وعن كل دولة على حدة .

- فى الشهور الأولى من عام ١٩٦١ ، انعقدت مؤتمرات :

✳ مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية فى برازافيل والمكونة من ١٢ دولة منها : الكاميرون وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد ، والكنغو برازافيل ، موريتانيا والنيجر والسنجال وفولتا العليا .

✳ مجموعة دول منروfia (فى شهر مايو) ، والمكونة من ٢٠ دولة أفريقية اجتمعت فى منروfia عاصمة ليبيريا وكانت تضم مجموعة دول برازافيل بالإضافة الى ليبيريا ونيجيريا وسيراليون

والصومال وتوجو ٠٠ ومثل هؤلاء جميعا رؤساء دولهم . كما
مثلت أثيوبيا وليبيا وتونس بوفود على مستوى عال .

وكانت هدف هذه المؤتمرات ، الرغبة الأكيدة الشاملة لدول
أفريقيا فى تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية .

- وفى يوليو ١٩٦٢ ٠٠ انعقد مؤتمر أقطاب أفريقيا ٠٠

- وفى ديسمبر ١٩٦٢ ٠٠ انعقد مؤتمر لاجوس ٠٠

- وفى ٢٢ - ٢٥ مايو ١٩٦٣ ٠٠ انعقد مؤتمر القمة الافريقى فى
أديس أبابا (من ٣٢ دولة تشمل ٢٠٠ مليون أفريقى) ٠٠ وكانت
قرارات المؤتمر تدعيما للخطة الثورى التحررى . واتفق المؤتمر
على اقامة « منظمة الوحدة الأفريقية » وتضم دول القارة الأفريقية
ومدغشقر والجزر المجاورة للقارة ، وتنحصر أهداف هذه المنظمة فى :

* تقوية وحدة دول أفريقيا وتضامنها .

* تنسيق وتقوية تعاونها وجهودها ، لتحقيق حياة أفضل
لشعوب أفريقيا .

* الدفاع عن سيادتها وسلامة أراضيها واستقلالها .

* القضاء على الاستعمار بجميع أشكاله فى أفريقيا .

* تشجيع التعاون الدولى ، مع الأخذ فى الاعتبار بميثاق الأمم
المتحدة والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

* انشاء صندوق خاص لتقديم المعونة العربية والمالية لحركات
التحرير الوطنية المختلفة .

* تحدد يوم ٢٥ مايو « ليكون يوم تحرير أفريقيا » .

- وفى ١٧ - ٢١ يوليو ١٩٦٤ . انعقد بالقاهرة ، مؤتمر القمة
الأفريقى ، من ملوك ورؤساء الدول الافريقية ٠٠ وكان فى مقدمة
ما بحثه من موضوعات أن تكون أديس أبابا مقرا لمنظمة الوحدة
الافريقية وتصفية الاستعمار فى القارة الافريقية . كما قرر المجلس
الآتى بالنسبة لموضوع التفرقة العنصرية :

* مطالبة الدول ، وخاصة التى تقوم بينها وبين حكومة جنوب
أفريقيا علاقات ، بالتعاون فى مجال مقاطعة جنوب أفريقيا .

✳ مناشدة جميع الدول المنتجة للبترول بالكف عن تزويد جنوب أفريقيا بالبترول ومنتجاته .

- وفي ٥ - ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ انعقد مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز بالقاهرة وحضره ملوك ورؤساء دول أفريقيا ، وكان من ضمن قراراته ، تأييد الجهود التي تبذلها منظمة الوحدة الافريقية من أجل اقرار السلام في جمهورية الكونجو . وتوقيع عقوبات على البرتغال بمساعدة ثوار أنجولا والاعتراف بحكومتها الثورية ومحاربة الاستعمار القديم والجديد . وعزل الدول التي تتبع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية .

-- هذا ولم يهدأ زعماء القارة الافريقية ، في سبيل هدفهم الاسمي وهو التحرر الكامل لجميع دول أفريقيا من ربة كل مستعمر مسيطر . . . وتعددت الزيارات والمباحثات والمؤتمرات الثنائية والتصريحات بضرورة تقريب وجهات النظر بين الدول الافريقية المختلفة ، حتى يمكنها الصمود في وجه الاستعمار والعمل بقوة لتحقيق أهداف شعوبها في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل النضال الافريقي .

أفريقيا . . والتنظيم الدولي

ولم يكن اعلان استقلال الدول الافريقية ، يعنى الا الوقوف على أول عتبات الحرية . . وكان من الضروري العمل المستمر لنمو الحرية بالطريق الكامل الصحيح القادر على الصمود والمؤكد لصلاحية البقاء .

كما أن المحاولات المتعددة التي بذلت - وما زالت تبذل - من أجل الوحدة الافريقية ، تمثل عاملين من أهم عوامل التطور في تاريخ ما بعد الاستقلال القصير . ولقد جلبت الحرية معها في أفريقيا ، احساسا في كثير من الأوساط الافريقية ، بالتكافل بين الدول والحاجة الى مواجهة المشاكل بمجهودات موحدة .

ومن هنا كانت ، المواجهات الصريحة والاندفاع للدول الافريقية ذات السيادة لتدعيم أواصر التعاون والوحدة ، من أهم العوامل التي بعثت الحياة في أفريقيا .

ولم يكن هناك ، عقب اقرار ميثاق الأمم المتحدة (عام ١٩٤٥) وإتفاقية لندن عام ١٩٤٦ غير ثلاث دول افريقية مستقلة وذات سيادة ، ممثلة كاعضاء في هذه المنظمة الدولية (٥١ عضوا) . . الا ان هذا الوضع

قد تغير تماما ، فأصبحت أفريقيا (عام ١٩٦٣) يمثلها ٣٢ دولة ، وزاد عددها (عام ١٩٦٥) ليصبح ٣٦ دولة .

وتمكنت دول أفريقيا ، كمجموعة جغرافية واحدة ، من أن تحصل على تمثيل متكافئ في أفرع هيئة الأمم المتحدة ، وخاصة مجلس الأمن .

اللقاء الأفريقي العاشر

وفي لقاء القمة الأفريقي العاشر (٢٥ مايو ١٩٧٣) ، والذي انعقد في أديس أبابا ، أحرزت القضية العربية حظها من التأييد والنجاح . وقد أرسلت ليبيا ، بذاكرة خاصة الى رؤساء الدول الأفريقية المشتركة في هذا المؤتمر ، ضمنيتها مواقف بعض الدول الأفريقية من الكيان الصهيوني جاء فيها :

« أن الكيان الصهيوني ، يشكل استعمارا عنصريا يدهم أفريقيا والشرق الأوسط ، وأنه قاعدة للاستعمار والرأسمالية ، ويشكل خطرا يفوق خطر الأنظمة العنصرية في أفريقيا والمتمثلة في البرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا ، لأنه يقوم على الاستيطان والتدمير .

هذا علاوة على كونه يحتل جزءا من أراضي أكبر دولة أفريقية هي مصر » .

وطلبت المذكرة أن تحدد الدول الأفريقية مواقفها من اسرائيل العدو الصهيوني للعرب والأفريقيين .

وقد ظفرت قضية الشرق الأوسط ، في اللقاء الأفريقي العاشر ، بالنجاح والتأييد الكاملين وبمكاسب لم تظفر بها من قبل . ولم تكن هذه المكاسب ، مجرد تصعيد في الموقف الأفريقي ، على أثر فشل لجنة العشرة الأفريقيين ، الذين تولوا الحوار مع مصر واسرائيل حول القضية ، في محاولة لحياء مهمة الوسيط الدولي « يارنج » الرامية الى الحل السلمي . وإنما كانت طبيعية لتحرك الدبلوماسية السريع وللجهود البارزة الواسعة التي بذلها الرئيس محمد أنور السادات ، خلال اليومين اللذين قضاهما في أديس أبابا ، والتي التقى فيها بأكثر من ٢٠ رئيسا أفريقيا في لقاءات ثنائية ، أوضح فيها حقائق كثيرة كانت خافية على بعض الدول الأفريقية ، واستطاع أن يزيل آثارا عميقة تركها التحرك الاسرائيلي في أفريقيا ، كما شرح لهم تطورات الموقف في قضية الشرق الأوسط ، وجهود مصر من أجل السلام .

ولم تسمح ظروف الرئيس السادات ، بحضور جلسات العمل في المؤتمر ، وألقى خطابا هادئا ، اعتبر وثيقة دولية في ادانة اسرائيل ، والربط بين عنصريتها وعنصرية جنوب أفريقيا ، ومصالح الاستعمار في القارة الافريقية . وعاد الرئيس السادات الى القاهرة ، وبقي السيد « حسين الشافعي » نائب رئيس الجمهورية السابق ، ليكمل المهمة على طريقين :

– اللقاءات الثنائية التي تكمل التحرك الدبلوماسي السريع بين رؤساء أفريقيا .

– العمل في جلسات المؤتمر ، بعد أن أصبح الطريق معبدا بدبلوماسية الرئيس السادات .

ويصدر المؤتمر قرارا افريقيا جماعيا ، على هيئة اعلان سياسي خاص بقضية الشرق الأوسط جاء فيه :

« نظرا لقلقنا البالغ ، ازاء الموقف المؤسف الذي يسود الشرق الأوسط .. وهو موقف يشكل تهديدا خطيرا لاستقلال وأمن ووحدة أراضي القارة الافريقية ، فقد ساندنا مصر والدول العربية الأخرى التي تحتل اسرائيل أراضيها ، في نضالها المشروع من أجل استعادة جميع هذه الأراضي ، وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولهذا الغرض شكلنا عام ١٩٧١ ، لجنة تضم ١٠ من رؤساء الدول ، بهدف المساعدة على التوصل الى حل للمشكلة ، والمساهمة بالتالي في الحفاظ على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وسنواصل مساعداتنا الفعالة والايجابية لمصر وسائر الدول العربية ، الى أن تتحرر جميع أراضيها ، التي احتلت أثر العدوان الاسرائيلي في يونيو عام ١٩٦٧ ، وفقا للمسئوليات التي ترتبها المبادئ الأساسية لمنظمة الوحدة الافريقية على أن تتخذ على المستوى الافريقي بصفة فردية أو بصفة جماعية ، عقوبات سياسية واقتصادية ضدها ، تمشيا مع المبادئ الواردة في ميثاق كل من منظمة الوحدة الافريقية والأمم المتحدة » .

وهكذا أيقن رؤساء الدول الافريقية – بعد لقاءات الرئيس السادات معهم – بعدالة القضية .. وباتت اسرائيل بعد هذا المؤتمر معزولة تماما ، ولا تملك جيوبا خطرة في افريقيا .

وهكذا كان مؤتمر مايو ١٩٧٣ بأديس أبابا ، تمهيدا لسلسلة ورائعا لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في سبتمبر ١٩٧٣ بالجزائر والذي كان واقعا معبرا ، يشهد باصرار كل ما صدر من قرارات وسياسات افريقية .

مشاركة مصر

فى حركات التحرر الأفريقية

وعلى مدى السنين الماضية ، كانت مصر تمثل حقيقة الانطلاقة
الثورية التحريرية . . واستطاعت أن تدعم بفاعلية وإيجابية ، الحركات
الثورية الأفريقية ، لضمان القضاء على الاستعمار والتخلص منه فى
كل مكان .

وبدأت حكومة الثورة المصرية ، فى مضمار سحق الاستعمار ،
قمة يدها لمساندة الحركات التحريرية فى قارة أفريقيا . . منها :

- الاعتراف بحق تقرير المصير للسودان .
- مساندة قضايا تونس والجزائر ومراكش .
- فتحت أبوابها لزعماء أفريقيا الأحرار .
- نفذت الى قلب القارة الأفريقية ، عن طريق اذاعتها الموجهة بجميع
اللغات واللهجات الأفريقية ، لتغذية المد التحررى بمزيد من النشاط
الثورى .

— أيدت غانا فى نضالها ، ووقفت بجانب قضايا الكاميرون وتوجولاند
ونيجيريا وغيرها .

— ساعدت بالمعونة العسكرية السودان وليبيا وتونس بجانب
معاونتها الكبرى للجزائر .

— فتحت كلياتها العسكرية لأبناء أفريقيا ، وفتحت لهم معاهدها
وجامعاتها وشجعتههم بالمنح والبعثات .

— وقفت مع الصومال فى قضية استقلالها ، وقدمت لجيش الصومال
الوطنى الجديد بعد الاستقلال (منتصف ديسمبر ١٩٦٠) هدية من
الأسلحة والمعدات العسكرية ، تكفى لتسليح ٥٠٠٠ جندي . . علاوة
على المعونات الاقتصادية والمادية التى منها قرض بخمسة ملايين من
الجنهات .

— وقفت مع الكونجو من أجل وحدته وحريته ، أثناء الصراع
الاستعماري لتمزيق استقلاله (٢٤ يونيو ١٩٦٠) . . وتزعمت
فى مجلس الأمن قضية انسحاب القوات البلجيكية المستعمرة من
جمهورية الكونجو . . وساهمت مصر فى انعقاد مؤتمر وزراء
خارجية الدول الأفريقية المستقلة فى ليوبولدفيل (٢٥ أغسطس
١٩٦٠) للاحتفاظ بوحدة الكونجو والتبديد بمتاورات الاستعمار

- الهادفة الى تقسيم اراضى جمهورية الكونجو .. وقطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع بلجيكا وأمت شركاتها .
- قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع حكومة جنوب أفريقيا ، التى تتبع سياسة التمييز والتفرقة العنصرية .
- كشفت النوايا التسليية الاسرائيلية فى غينيا ونيجيريا ومالى وغانا .. وقدمت لهم المعونات الاقتصادية اللازمة .
- قطع العلاقات مع البرتغال لموقفها العدوانى من شعب انجولا .
- أصبحت القاهرة تموج بالنشاط الأفريقى ، واستقبلت وفودا كثيرة من دول أفريقيا المستقلة وعديدا من الزعماء الوطنيين لدول أفريقيا المناضلة من أجل التحرر .. فزار مصر زعماء من أنجولا ومن المحميات البريطانية وسوازيلاند وباسوتولاند وبتشولاند ، ومن النيجر وساحل العاج والسنجال وموريتانيا .. وغيرها .

التسلل الصهيونى فى أفريقيا

جعلت الصهيونية العالمية ، كل همها - منذ نشأتها - فى أن تسيطر كلية على الاستعمار العالمى ، وتحركه لتحقيق مصالحها وأهدافها التوسعية .. وقد نجحت تماما ، اذ ثبت فعلا أن الاستعمار قد أصبح العوبة فى يد الصهيونية .

ويهدف المخطط الصهيونى الاستعمارى ، الى توغل اسرائيل داخل دول آسيا وأفريقيا ، حتى تتخلص من الحصار القوى الذى فرضه من حولها ، جميع الدول العربية .

وقد برز هنا دور مصر ، فقد وقفت فى وجه الصهيونية والاستعمار والقضاء على التسلل الاسرائيلى فى آسيا وأفريقيا ، قبل أن يصل الى أعماق القارتين .. كما نجحت مصر فى أن تكشف الى دول الوطن العربى وللعالم أجمع ، المخطط الاسرائيلى الاستعمارى وأبرزت الخطر الصهيونى على حركات التحرر الافريقى وتمكنت من صد التوغل الاسرائيلى .

ومصر مرتبطة تماما بأفريقيا ، بحكم موقعها فى شمال شرق القارة .. وثمة تقارب مطلق بين المصالح العربية والمصالح الافريقية ، نظرا لأن (٧٣٪) من مساحة الوطن العربى (يعيش عليها ، ثلثا تعداد الشعب العربى) تقع فى قارة أفريقيا .. كما كان لنجاح ثورة مصر (يوليو ١٩٥٢) مفهوم عملى ، لما يجب أن يكون عليه النضال الثورى من أجل التحرر ، فأخذت شعوب القارة الافريقية ، تزداد تطلعا نحو مصر وترسم خطاها الثورية .



الرئيس السادات

يلقى خطابه في مؤتمر القمة الافريقي في أديس أبابا

ويعتبر التسلسل الاسرائيلي ، أسلوبا جديدا للاستعمار ، لجأ اليه عندما أحس بتقلص نفوذه . ولذا فقد مهد لاسرائيل - وجه الاستعمار الجديد - لتنتشر نفوذها الاقتصادي والسياسي ، في الدول التي يريد الاستعمار ابقاء سطوته ونفوذه عليها .

فمع بداية الحركات التحررية لشعوب أفريقيا ، ومع تطلعات الدول الحديثة الاستقلال ، نجد التسلسل الاسرائيلي يأخذ أشكالا مختلفة من أهمها ما كان على هيئة قروض واعانات فنية وشركات احتكارية . . . وغالبا ما كان يعقب كل ذلك ، فتح باب البعثات والزيارات الرسمية والرحلات السياحية الدعائية الى اسرائيل . ومن ضمن ما يهدف اليه المخطط الاستعماري الاسرائيلي :

- قيام اسرائيل بدورها في تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية للدول الاستعمارية مع الدول التي لا ترغب في التعامل مباشرة مع الاستعمار .

- تعمل اسرائيل على تدعيم علاقاتها السياسية ، مع الدول الافريقية ، عن طريق علاقاتها الاقتصادية ، لتضمن اعتراف هذه الدول بها عقب استقلالها مباشرة .

- ايجاد أسواق لتجارة اسرائيل .

- كان للخطوط البحرية الاسرائيلية ، دور خطير في شرق وغرب أفريقيا ، كما أتاح لها اقامة علاقات تجارية مع كثير من الدول الافريقية .

- نشر الدعاية الصهيونية ومحاربة القومية العربية ، وحصر مصر بصفة خاصة والدول العربية الأخرى بصفة عامة عن الدول الإفريقية .

امكانيات

القارة الأفريقية

تعتبر دول القارة الأفريقية ، من الدول الصغيرة الفقيرة النامية ، ويعتمد الانتاج فيها على انتاج المواد الخام . ومع قدم استغلال ثروات دول القارة ، الا أنها ما زالت تحتفظ في أرضها ، بكميات هائلة من الثروات الطبيعية .

وتمتلك أفريقيا ، من مجموع ما يملكه العالم :

٩٦ ٪	الماس
٦٩ ٪	الكوبالت
٦٣ ٪	الذهب
٤٨ ٪	الانتيمون
٣٧ ٪	المنجنيز
٣٤ ٪	الكروميت
٣٢ ٪	الفوسفات
٢٤ ٪	النحاس

كما بلغ مخزون الحديد ، المتأكد وجوده في باطن القارة ٥٧٢٢١ مليون طن ، ومن الفحم ٤٥٠٠ مليون طن . علاوة على كميات ضخمة من المعادن الأخرى كاليورانيوم والنيكل والبتروول وغيرها ، كما أن مساحة غاباتها تمثل ٢٧٪ من مجموع غابات العالم .

وبتحليل امكانيات أفريقيا الحالية ، فإن مكونات التجارة الخارجية توضح المدى الذي تصلح له هذه المنتجات للتبادل .

اسرائيل

في أفريقيا

استطاعت اسرائيل ، أن تحقق وجودها مع الدول الأفريقية الحديثة الاستقلال ، باعتبارها دولا صغيرة نامية ، تحتاج الى مساعدات ومعونات ، تقيم وجودها في المجتمع الدولي .

وقد عرفت اسرائيل احتياجات الدول الإفريقية ، فتقدمت بعروضها وقامت بتنفيذها . وقبلت الدول الإفريقية المساعدات الاسرائيلية ، ليس لأنها على خلاف مع العرب ولكن لأن العرب لم يعرضوا عليهم شيئا ايجابيا .

وكان نشاط اسرائيل فعالا فى تثبيت ارتباطها بالدول الافريقية، حتى أن مصر، لم تستطع اقناع الدول الأفريقية، بادانة اسرائيل، فى مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة الأول فى «أكرا» (ابريل ١٩٥٨)، ومؤتمر الشعوب الافريقية فى «أكرا» أيضا (ديسمبر ١٩٥٨) . . . وكل ما أمكن لمصر الوصول اليه، هو قرار بضرورة حل الخلاف بين العرب واسرائيل .

وأسرعت اسرائيل، فى تدبيرة احتياجات الدول الأفريقية، من الخبرات البشرية والتمويلية، وفى امتصاص انتاجها من المواد الخام . . . دون أن تقدم - أى اسرائيل - أدنى مساعدات لاقامة صناعات انتاجية فى أى دولة افريقية، فلم تخرج مساعداتها عن عمليات بناء الفنادق والمنازل (وليس المصانع) وعن مساعدات زراعية، دون أى أسهم حقيقى منها، فى تنمية موارد واقتصاديات تلك الدول، حتى تستطيع أن تأخذ مكانها بمفردها فى الاقتصاد العالمى .

وتعتبر أول تجربة لاسرائيل مع أفريقيا (١)، يوم استقلال دولة «غانا» (٦ مارس ١٩٥٧)، وأرسلت اسرائيل ممثلا عنها فى احتفالات الاستقلال . وبقي الوزير الاسرائيلى فى «أكرا» حيث قدم لحكومة غانا مشروع اتفاق تبادل تجارى وتقديم المساعدات الفنية للدولة الجديدة . . . وكانت أول شحنة أرسلتها اسرائيل الى غانا لتدعيم الاتفاق التجارى بينهما فى (مايو ١٩٥٧)، وكان أهم ما تضمنته الشحنة ألف طن أسمنت ومواد لازمة لمشروعات البناء واستجابت غانا لهذا النشاط، فكانت أول بعثة تجارية رسمية ترشحها غانا - لهذا الغرض - الى دولة أجنبية بعد الاستقلال، كانت من ثلاثة وزراء زارت اسرائيل فى (أغسطس ١٩٥٧) .

ثم كانت أول معاهدة صداقة لاسرائيل مع دولة أفريقية . . . أبرمت مع ليبيريا فى (١٩٥٩)، ومن هنا كانت بداية تسلل اسرائيل الى أفريقيا، التى كانت تقوم به من خلال السلطات الاستعمارية، مع الدول الأفريقية حديثة الاستعمار .

وفيما يلى بيان لأهم ما أبرمته اسرائيل من معاهدات مع الدول الأفريقية :

(١) « فى مواجهة اسرائيل » تأليف سامى منصور .

الدولة	تاريخ استقلالها	تاريخ توقيعها المعاهدة
أثيوبيا	-	٨ فبراير ١٩٦١
توجو	٢٧ أبريل ١٩٦٠	١ يوليو ١٩٦١
مدغشقر	٢٦ يونيو ١٩٦٠	٣١ أغسطس ١٩٦١
داهومي	١ أغسطس ١٩٦٠	٢٨ سبتمبر ١٩٦١
النيجر	٣ أغسطس ١٩٦٠	٢ فبراير ١٩٦٢
فولتا العليا	٥ أغسطس ١٩٦٠	١١ يونيو ١٩٦١
ساحل العاج	٧ أغسطس ١٩٦٠	٢ مايو ١٩٦٢
جمهورية وسط أفريقيا	١٣ أغسطس ١٩٦٠	١٢ يونيو ١٩٦٢
جابون	١٧ أغسطس ١٩٦٠	١٥ مايو ١٩٦٢
مالي	٢٢ سبتمبر ١٩٦٠	٢٤ نوفمبر ١٩٦٠
تنجانيقا	٩ ديسمبر ١٩٦١	٢٣ أبريل ١٩٦٢

أما في مجال التجارة الخارجية الدولية .. فقد استطاعت اسرائيل عقد (٨٠٠) اتفاقية للتجارة والدفع مع دول أفريقية (من سنة ١٩٥٨ الى سنة ١٩٦٦) ، بل أمتد نطاقها الى التعاون الفني وإنشاء الغرف التجارية المشتركة ، بالإضافة الى نشاط الملحقين التجاريين الاسرائيليين في العواصم الأفريقية .

وكانت اسرائيل ، توفر ما كان ينقصها من خبرات ، من الدول الصناعية المتقدمة ، لكي تقدمها للدول الافريقية .. بل لقد استفادت اسرائيل لنفسها كثيرا ، خاصة تدريب اعداد من قواها البشرية ، الذين اعدتهم للقيام بهذا الدور في أفريقيا ، نيابة عن الدول المتقدمة صناعيا ، تحت قناع جديد .

وقد تحقق لاسرائيل ، ارتفاع نمو معدل تجارتها مع أفريقيا .. لقد ارتفعت بنسبة ١٣٦٪ في سنة ١٩٦٦ ، وبنسبة ١٧٪ في سنة ١٩٦٧ التي شهدت زيادة الصادرات على الواردات مع أفريقيا لأول مرة .

ويبين الجدول التالي ، حجم تجارة اسرائيل مع دول افريقيا (احصائيات عن عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦١) .. كدليل على توسع تجارة اسرائيل الخارجية مع الدول الافريقية ، وامتداد ذراعها الاقتصادي الى أعماق القارة السوداء :

تجارة اسرائيل مع افريقيا

الواردات

(بالجنيهات)

المصادرات

(بالجنيهات)

الدولة	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٠	١٩٦١
أوغندا	٢٣ر٠٠٠	١٣ر٠٠٠	١٣٣ر٠٠٠	٢٦٩ر٠٠٠
تنجانيقا	-	٨٠ر٠٠٠	..	١٢٩ر٠٠٠
انجولا	-	٢ر٠٠٠	..	-
جابون	-	-	..	٣٥٧ر٠٠٠
غانا	٨٦٣ر٠٠٠	١ر٠٢٨ر٠٠٠	٥٦٣ر٠٠٠	٧٧١ر٠٠٠
غينيا	-	-	٢٦٣ر٠٠٠	١ر٢٠٤ر٠٠٠
اتحاد جنوب افريقيا	٧٧٩ر٠٠٠	١ر١٩١ر٠٠٠	٤ر٠١٣ر٠٠٠	٣ر٨٧٩ر٠٠٠
اتحاد روديسيا ونياسلاند	١٨٨ر٠٠٠	٢٨٣ر٠٠٠	١٤٦ر٠٠٠	١٥٦ر٠٠٠
مدغشقر	٦٠١ر٠٠٠	١١٨ر٠٠٠	١٨٠ر٠٠٠	-
أثيوبيا	٣٩٦ر٠٠٠	٥٣٧ر٠٠٠	١ر٣٧٤ر٠٠٠	١ر٢٠٤ر٠٠٠
ساحل العاج	-	-	-	٩٤٢ر٠٠٠
ليبيريا	٢٢٧ر٠٠٠	٢٣٣ر٠٠٠	-	٦٠ر٠٠٠
مالي	-	١٢ر٠٠٠	..	-
موزمبيق	٤١ر٠٠٠	٢٦ر٠٠٠	٤١٣ر٠٠٠	٧٢٥ر٠٠٠
نيجيريا	٧١٤ر٠٠٠	١ر٠٧٨ر٠٠	٤٧ر٠٠٠	١٤١ر٠٠٠
الصومال	-	٢٦ر٠٠٠	-	-
الفرنسي	-	-	-	-
السنغال	-	٦٧ر٠٠٠	..	-
الكونغو البلجيكي	٥٢ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠	١٣ر٠٠٠	-
الكونغو الفرنسي	-	-	-	٧ر٠٠٠
الكامرون	٣٧ر٠٠٠	٣ر٠٠٠	-	٢٢ر٠٠٠
كينيا	٣٧٣ر٠٠٠	١٥٨ر٠٠٠	..	-
دول أخرى	٢٦٥ر٠٠٠	٣٢٤ر٠٠٠	١ر٦٥٧ر٠٠٠	٦٠٣ر٠٠٠
الاجمالي	٤ر٧٠٧ر٠٠٠	٥ر٣٢٠ر٠٠٠	٩ر٨٣٢ر٠٠٠	١٠ر٩٤٧ر٠٠٠

وقد تغيرت معدلات ونسب التبادل بين اسرائيل وأفريقيا ، بعد عام ١٩٦١ ، لكنها لم تستمر كثيرا بعد ذلك وظلت نسب التجارة شبه ثابتة . ثم شهدت الفترة التالية هبوطا مع دول القارة حتى وصلت الى أدنى مستوى وذلك وفقا للمؤشرات التالية :

صادرات اسرائيل الى دول أفريقيا

السنة	(مليون دولار)
١٩٦٦	١٧ر
١٩٦٧	٣ر ٢٠
١٩٦٨	٨ر ٢٢
١٩٦٩	٥٨ر ٢٦
١٩٧٠	٩٣ر ٢٣

أما واردات اسرائيل من أفريقيا ، فقد شاهدت السنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ هبوطا ملحوظا ، بلغت نسبته ٣٢٪ من مجموع الواردات الاسرائيلية .

هذا وقد بلغ عدد الافريقيين الذين تلقوا تدريبهم على أيدي الاسرائيليين (سواء في دولهم أو بارسالهم في منح أو بعثات الى اسرائيل) وذلك عن الفترة من سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٧٢ :

- ٩٠٠٠ متدرب (من ٣٨ دولة افريقية) .
- ٤٠٠٠ منحة اسرائيلية .

كما تروج اسرائيل دعايتها من خلال ٣٨ ساعة اذاعية توجهها ١١ لغة أفريقية ، كما استخدمت عشرات الصحف ، حيث توجد ٣٢ صحيفة ومجلة أفريقية تخدم اغراض اسرائيل الدعائية ، هذا بجانب جهود القنصليات والبعثات الاسرائيلية والمعارض الرسمية والمؤتمرات ، وذلك عدا ٤٠ شركة تجارية على نظام المشاركة بين اسرائيل وبين الدول الافريقية مع احتفاظ اسرائيل بسيطرتها الادارية على هذه الشركات والتي توجهها لخدمة الأهداف الاقتصادية الاسرائيلية .

أفريقيا .. وحرب أكتوبر

كان موقف أفريقيا ، يتحرك الى الأمام ، في وعى مطلق وتفهم تام لما كان يحدث في المنطقة العربية بعد العدوان الاسرائيلي (٥ يونيو ١٩٦٧) ، وقد ساعد على تفتيح أبعاد قضية الشرق الأوسط ،

الدبلوماسية الهادئة التي يتمتع بها الرئيس السادات والتي نشرها فوق سماء المؤتمرات واللقاءات الثنائية التي جمعت الرؤساء الأفريقيين .. والتي كان من أبرزها مؤتمر القمة الأفريقي (مايو ١٩٧٣) بآديس أبابا ، ومؤتمر دول عدم الانحياز (سبتمبر ١٩٧٣) . بالجزائر .

ولقد استطاع الرئيس السادات أن يبرز للرؤساء والشعوب الأفريقية ماهية الخطر الإسرائيلي في القارة ، مركزا على ما تضمنه الموقف الأفريقي الشامل من إجراءات تستهدف التوصل الى مواقف دولية تنصاع اليها إسرائيل وتستجيب لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة المختلفة فيما يخص مسألة الشرق الأوسط .

هذا وقد تم تنسيق العلاقات المتبادلة بين منظمة الوحدة الأفريقية وجامعة الدول العربية ، من خلال لجنة سباعية من الدول الأفريقية ، بهدف التنسيق والعمل المشترك في مختلف مجالات التعاون الاقتصادي والسياسي والمواقف المشتركة ودعم وحدة العمل من أجل الأهداف الموحدة .

ويعتبر وجود إسرائيل في المنطقة العربية ، من أهم المسائل التي واجهتها الدول الأفريقية المستقلة ، منذ (عام ١٩٦٠) ، حينما اجتاحت القارة موجة الاستقلال ، وأخذت الدول الأفريقية تحتل مكانها في المجتمع الدولي ، منذ بدأ انعقاد مؤتمرات القمة الأفريقية وإقرار الميثاق الأفريقي وإنشاء منظمة الوحدة الأفريقية .

واخذ الموقف الأفريقي طريقا موحدا ، يتسع وينمو بازدياد عدد الدول الأفريقية التي راحت تقطع علاقاتها مع إسرائيل ، اذانة لعدوانها واحتلالها بالقوة الأراضي العربية .. فكان قرار قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدول الأفريقية وإسرائيل ، هو أول خطوة على طريق الالتزام والتضامن الأفريقي .

وهناك دول أفريقية لم تعترف أصلا بإسرائيل وهي :

مصر - السودان - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا - الصومال - غينيا بيساو .

وبعدئذ ، كان شكل قطع العلاقات الأفريقية مع إسرائيل على هيئة موجات مرحلية ..

أولها : قبل نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

فقد قطعت الدول الأفريقية الآتية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل :

- غينيا (٥ يونيو ١٩٦٧) .
- أوغندا (٣٠ مارس ١٩٧٢) .
- تشاد (٢٧ نوفمبر ١٩٧٢) .
- الكونغو الشعبية (٢١ ديسمبر ١٩٧٢) .
- النيجر (أول يناير ١٩٧٣) .
- مالي (٥ يناير ١٩٧٣) .
- بوروندي (١٦ مايو ١٩٧٣) .
- توجو (٢١ سبتمبر ١٩٧٣) .
- زائير (٤ أكتوبر ١٩٧٣) .

الثانية : خلال حرب أكتوبر المجيدة :

- داهومي (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- رواندا (٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- فولتا العليا (١٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- الكاميرون (١٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غينيا الاستوائية (١٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- تانزانيا (١٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- ملاجاش (٢٠ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أفريقيا الوسطى (٢١ أكتوبر ١٩٧٣) .
- أثيوبيا (٢٣ أكتوبر ١٩٧٣) .
- نيجيريا (٢٥ أكتوبر ١٩٧٣) .
- جامبيا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- زامبيا (٢٦ أكتوبر ١٩٧٣) .
- غانا (٢٨ أكتوبر ١٩٧٣) .
- سيراليون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- السنغال (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .
- ليبيريا (٢ نوفمبر ١٩٧٣) .
- ساحل العاج (٣ نوفمبر ١٩٧٣) .
- بوتسوانا (٨ نوفمبر ١٩٧٣) .

وقد جمدت علاقاتها مع اسرائيل ، الدول الافريقية الآتية :

— جابون (٢٩ أكتوبر ١٩٧٣) .

— كينيا (أول نوفمبر ١٩٧٣) .

أما الدول الافريقية التي ما زالت علاقاتها مع اسرائيل . . فهي :

مالاوى — موريشيوس — ليسوتو — سوازيلاند .

وهي ما يطلق عليها في أفريقيا « دول الحوار » مع النظم العنصرية

البيضاء في أفريقيا الجنوبية وروديسيا .

التعاون العربى الأفريقى

وقد طلبت مصر من مجلس جامعة الدول العربية (أول سبتمبر ١٩٧٤) ضرورة القاء الضوء على المخططات الصهيونية التي راحت تظهر نذرها في اجواء الدول الافريقية ، بهدف اعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة بين اسرائيل ودول القارة الافريقية ، والتي ظهرت دلائلها على هيئة حملات دعائية صهيونية مضادة تهدف الى خلق ثغرة في التضامن العربى الافريقى ، أدت الى ظهور ردود فعل عكسية في بعض الدول الافريقية .

ولعل ذلك من المظاهر التي تتبعها حكومة اسرائيل ، لاسترجاع الثقة التي فقدتها بحرب أكتوبر .

وقد ناقش مجلس الجامعة العربية ، موضوع التعاون العربى الافريقى ، على ضوء توصيات المؤتمر الافريقى الذى عقد فى (٢٣ يناير ١٩٧٤) وكان من أهم هذه التوصيات : —

— انشاء المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا ، وزيادة رأسماله الذى يبلغ ٢٣١ مليون دولار . . وقد جاء فى مذكرة أمانة الجامعة ، أن وثائق التصديق على اتفاقية انشاء المصرف ، قد تم ايداعها بالفعل ، من قبل الأردن والبحرين والمملكة العربية السعودية وقطر (مجموع اكتتابها جميعا ٧٢ مليون دولار) . الا أن قيام المصرف ، يستلزم أن تودع وثائق التصديق ، باقى الدول (مجموع مساهمتها ١٥٥ مليون دولار على الأقل) ، أى بنسبة ٥٠٪ من رأسمال المصرف .

— انشاء صندوق برأسمال (٢٠٠ مليون دولار) ، لتقديم القروض اللازمة للدول الافريقية ، بفائدة رمزية ولمدد معقولة ، على أن تحدد منظمة الوحدة الافريقية الاهداف المحتاجة ومبالغ القروض . . وقد

أبلغت الدول المصدرة للبترول الأمانة العامة للجامعة العربية ،
بمساهماتها في الصندوق على النحو التالي ٠٠ دولة الامارات
العربية المتحدة (٢٠ مليون دولار) ، المملكة العربية السعودية
(٤٠ مليون دولار) ، الجزائر (٢٠ مليون) ، سلطنة عمان
(٥ ملايين) ، العراق (٣٠ مليون) ، قطر (١٠ ملايين) ، الكويت
(٣٠ مليون) ، ليبيا (٢٣ مليون) ٠٠ وبذلك يكون مجموع
المساهمات (١٧٨ مليون دولار) ، سدد منها حتى (سبتمبر
١٩٧٤) ٦٠ مليون فقط هي مجموع مساهمات المملكة العربية
السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة .

ولابد من الاسراع فى تأسيس تلك المؤسسات الضرورية للتنمية
الاfrيقية لأن الدوائر الصهيونية ، بدأت فى الفترة الأخيرة ، وبصورة
دائمة . الاساءة الى التعاون العربى الافريقى ، فأوعزت الى بعض الصحف
الاوربية والافريقية للتشكيك فى أهداف هذا التعاون وأسلوبه .

وفى مجال التصدى الى هذه الحملات الصهيونية وابطال مفعولها،
طلبت مصر ، من مجلس الجامعة ، مواجهة المخطط الصهيونى الرامى
لإعادة العلاقات المقطوعة بين اسرائيل والقارة الأفريقية ، والتي تهدف الى
خلق ثغرة فى التضامن العربى الأفريقى .

ومن هنا كان على مكاتب الجامعة العربية والسفارات العربية فى
العواصم الافريقية ، أن تتحرك اعلاميا وتقوم بتوضيح المجهود العربى
للتعاون مع أفريقيا ، وان يصدر بيان سياسى (من الجامعة العربية)
يؤكد تضامن الشعوب العربية مع الشعوب الافريقية ، وتقديم الدعم
المالى لحركات التحرير الأفريقية .

وكل هذه المسائل تحتاج الى الاسراع فى التنفيذ ، لا تقديرا لموقف
القارة الأفريقية ودورها السياسى الفعال ، خلال معارك اكتوبر المجيدة
فحسب ٠٠ بل بسبب ما تحملته الدول الأفريقية من زيادة أسعار
البترول .

ان عامل الوقت مهم جدا ، بالنسبة الى التعاون مع أفريقيا ٠٠ وعلى
الدول العربية أن تدرك أهمية عامل الزمن ، ولا سيما وقد بدأت تظهر
فى الصحف الأفريقية ، دعوات صريحة لإعادة العلاقات مع اسرائيل ،
وتحريضها على إعادة الخبراء الاسرائيليين ، بحجة أن العرب لم يفعلوا
بعد شيئا .

وذلك حتى لا تفقد الدول العربية ما كسبته . ويتحول النجاح الى النقيض . . فالدول الافريقية ، دول نامية وفقيرة ، وتتطلع الى تحقيق معدلات من التقدم والنمو فيها . . والمغريات الاقتصادية كثيرة ومتنوعة ، ومطمع كبير لاسرائيل والصهيونية العالمية .

العرب . .

وكسب السوق الافريقية

يعتبر التجمع العربى أساسا ضروريا لكسب السوق الافريقية ، بعد طرد اسرائيل منها ، نتيجة للتعاون الافريقى العربى فى أعقاب حرب أكتوبر المجيدة * .

ومن الطبيعى أن السلع التى تستوردها الدول العربية ، تقبـع مجموعة كبيرة منها ضمن مجموعة الصادرات الافريقية ، كما أن مجموعة كبيرة من السلع التى تصدرها الدول العربية ، تقع ضمن بنود الاستيراد الافريقى * .

وقد بلغت الصادرات العربية الى مجموع الدول الافريقية (سنة ١٩٦٨) حوالى ٩٢ مليون دولار ، وهو ما يقابل نسبة ١١٩٪ تقريبا من حجم التجارة الخارجية للدول العربية (عدا الجزائر واليمن الشمالية) * .

ويمكن مضاعفة أرقام التجارة الخارجية بين الدول العربية وأفريقيا اذا قامت الدول العربية بتوجيه تجارتها الى القارة ، أو أقيمت المشروعات المشتركة على الخامات المتوافرة فى أفريقيا ، والتوسع فى المال العربى ، والخبرة المصرية بوجه خاص .

كما يجب أن تنشط الدول العربية المنتجة للبترول وتوجه اهتماماتها ، لخلق أنشطة اقتصادية جديدة فى الدول الافريقية ذات الامكانيات الطبيعية الضخمة . . فكل ما ساهم به رجال المال العربى ، قاصر على دور رأس المال فى بعض مؤسسات التمويل الاقليمية كالبنك العربى الافريقى وبنك التنمية الافريقى ، وصناديق التنمية العربية (فى الكويت وأبو ظبى) * .

ويمكن أن ينطلق التعاون العربى من الواقع الحاضر الذى أثمرته
حرب أكتوبر المجيدة ، بقيام المشروعات الاقتصادية المشتركة بين الدول
العربية والأفريقية ، على أوسع مدى وبأقصى سرعة .

خاصة وأن الأسواق الأفريقية ، تحتاج - فى الوقت الحاضر وبعد
طرد إسرائيل منها - الى الانتاج العربى والى التخطيط العربى . .
لاستغلال الثروات الأفريقية ، بما يعود بالفائدة الاجتماعية والتنمية
الاقتصادية على الشعوب الأفريقية .

المعبور الاقتصادي

من أهداف أكتوبر العشرة :

- لقد بدأنا بحرب أكتوبر ، مرحلة جديدة من حياة هذا الشعب العريق ، أعيد تلخيص مهامها على النحو الآتي :
- ٣ - الانفتاح الاقتصادي في الداخل والخارج ، الذي وقر كل الضمانات للأموال التي تستثمر في التنمية .
- ٩ - المجتمع المفتوح الذي ينعم برياح الحرية .

الرئيس السادات

« ورقة أكتوبر »

الاقتصاد المصرى المجهد

وصف « روبرت ماكنمارا » رئيس البنك الدولى للانشاء والتعمير، الاقتصاد المصرى بأنه اقتصاد مجهد ومنهك * ولم يكن السبب المباشر لهذا الاجهاد أو الانهاك ، عملية الاعداد للحرب (١) ، خلال السنوات الست التى انقضت بين نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ حتى معارك ٦ أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وانما تمتد جذور هذا الاجهاد الواضح ، الى تراكمات عديدة * وكان من ضمن ما تخلف عنها : -

- ارتفاع الأسعار *
- اختلال الهيكل الانتاجى ، وقصوره عن الوفاء بالاحتياجات المحلية.
- مشكلة المديونية تجاه العالم الخارجى (٢) *
- عجز الميزان التجارى ، والخلل الظاهر فى ميزان المدفوعات وسوء توزيع التجارة الخارجية *
- ظهور أزمة الطاقات العاطلة *
- هروب رؤوس الأموال الاستثمارية *
- ضيق الموارد المتاحة من العملات الحرة *

ويتأثر الاقتصاد المصرى (تمثلا باقتصاد الدول النامية) ، بالتغيرات التى تعرض - ويتعرض - لها الاقتصاد الدولى * وتتمثل أهم مجالات التأثير فى :

(١) ذكر الرئيس السادات فى ورقة أكتوبر أن « عبء الانفاق العسكرى ، قد هبط بمعدل التنمية فى مصر من ٦٧٪ ، وهى النسبة التى سادت الفترة من ١٩٥٦ الى ١٩٦٥) الى أقل من ٥٪ سنويا *

(٢) أوضح الاستاذ مصطفى كامل مراد عضو مجلس الشعب ، فى ندوة عقدت بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع (مايو ١٩٧٤) * أن القروض المستحقة على مصر ، تصل الى ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى للدول الغربية ، وألف مليون للدول الشرقية ، وتحمل مصر من ١٦٠ - ١٧٠ مليون جنيه فوائد وأقساط لها * ويلاحظ أن جزءا كبيرا « حوالى الثلث » من حصيلة الصادرات يذهب لخدمة هذه الديون ، ولا يستخدم فى تمويل الواردات مما يؤدى الى زيادة التضخم *

- ارتفاع أسعار الواردات الخارجية الحيوية .
 - زيادة تكاليف الائتمان والتسهيلات المصرفية المرتبطة بالتضخم فى معدلات أسعار الفائدة فى بنوك أوروبا الغربية .
 - ارتفاع تكاليف الخدمات غير المنظورة ، خاصة أسعار النقل البحرى .
 - تغير أنماط الانتاج العالمى ومعدلاته ، فى معظم الدول الصناعية الرئيسية خضوعا للانكماش الاقتصادى الذى فرضته المتغيرات الدولية أخيرا .
 - اضطراب اسواق النقد الدولية ، والانخفاض المستمر فى أسعار غالبية العملات الحرة ، وعدم استقرار أسعار الصرف .
- الا أن الاقتصاد المصرى ، قد تمكن من مواجهة الظروف والضغوط المحلية ، بجانب التغيرات الاقتصادية الدولية ، بقدر كبير من الواقعية والمرونة ، بل أنه ظل صامدا - على مدى تلك السنوات - بصورة مشرفة أذهلت أعداء التقدم المصرى ، فى نفس الوقت الذى سجلت فيه ، أكبر نصيب من الثقة فى مصر والأمة العربية كلها .

وظل الاقتصاد المصرى ، يمتص أى أعباء إضافية ، بشتى الوسائل ويجهد خارق ، حتى لا تزيد الأعباء على الشعب المصرى . . فمثلا : اذا كانت أسعار بعض السلع قد ارتفعت ، فإن ذلك يدخل فى نطاق الحدود التى لم يكن من الممكن السيطرة عليها ، بحكم موجة الغلاء الكبيرة التى تجتاح العالم كله . . بل وبقي ، على الرغم من كل ذلك ، مستوى الأسعار فى مصر أقل بكثير ، عما يماثله فى دول العالم المختلفة .

السير . . نحو الانفتاح

- حتى عام ١٩٥٢ ، كان معظم المشروعات الاقتصادية فى أيدي الأجانب ، مما جعل الاقتصاد المصرى تابعا للخارج وفاقدا لاستقلاله .
- ومن عام ١٩٥٢ الى عام تأميم قناة السويس ١٩٥٦ ، توقف انسياب رؤوس الأموال الأجنبية الى مصر .
- ومن عام ١٩٥٧ حتى ١٩٧٠ ، اتبعت مصر سياسة الانغلاق الاقتصادى بسبب :

- حصار الدول الغربية للاقتصاد المصرى .
- صدور قوانين التأمين الاشتراكية عام ١٩٦١ .
- توجيه معظم تجارة مصر الخارجية نحو الدول الشرقية وبعض الدول النامية .
- وفى أوائل السبعينات ، طفر الاقتصاد فى دول العالم متطورا الى الانفتاح الاقتصادى العالمى .
- وفى الفترة ما بين عام ١٩٧١ والرابع الأخير من عام ١٩٧٣ ، كان على الاقتصاد المصرى أن يساير السياسة الاقتصادية العالمية ، فطرات عليه بعض التغيرات ، بفتح باب الاقتصاد المصرى قليلا على العالم . وشاهدت السياسة الاقتصادية المصرية فى هذه الفترة :
- اصدار قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧١) .
- انشاء البنك المصرى الدولى ، كبنك مصرى له الحرية المطلقة فى التعامل بالعملات الحرة داخل البلاد وخارجها .
- توقيع اتفاق التجارة التفضيلى بين مصر والسوق الأوروبية المشتركة .
- تسوية مستحقات عدد من الدول الأجنبية ، التى تجمد سدادها لفترة طويلة ، ومنها إيطاليا والمانيا الغربية وأمريكا .
- وبعد انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة ، وبصدور ورقة أكتوبر التى قدمها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات والتى بايعه عليها الشعب المصرى بالاجماع .. دخل الاقتصاد المصرى الى مرحلة الانفتاح العالمى .

العبور الاقتصادى

والانفتاح الاقتصادى ، هو السياسة الجديدة التى يسلكها الاقتصاد المصرى لاجتذاب الاستثمارات والخبرات الأجنبية دون أى خوف .. ويعنى ذلك ، الانفتاح على العالم شرقه وغربه ، فان تنويع العلاقات الاقتصادية الدولية ، يعنى الحرية السياسية .

وتقول ورقة أكتوبر :

« ان لدينا قطاعات الاقتصاد القومى الثلاثة : القطاع العام والقطاع الخاص والقطاع التعاونى . وبسياسة الانفتاح الاقتصادى ، يتسع المجال أمام الاستثمارات العربية والأجنبية . وهذا كله فى اطار من التخطيط الذى يرسم أهدافا استراتيجية لتغيير صورة البلاد تغييرا جذريا ، ويضع الخطط التفصيلية ، التى تكفل تحقيق هذه الاهداف » .

وفى تقديم قانون استثمار المال العربى والأجنبى والمناطق الحرة (الصادر برقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤) ، المعدل فى اطار ورقة أكتوبر ، وفى ظل سياسة الانفتاح الاقتصادى ، يقول الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء (١) :

« ليس الانفتاح الاقتصادى ، أيديولوجية جديدة ، تعبر عن تغيير مسار السياسة الاقتصادية ، عن الخط الذى هداانا فى السنوات الماضية . بل هو استمرار فى المسار ، يؤيده واقع التجربة الوطنية والممارسة الفعلية ، لادارة الاقتصاد القومى خلال سنوات عديدة ، خضنا خلالها معارك اقتصادية واجتماعية وسياسية وحربية . وتزودنا خلالها بنتائج التجارب ، وزادت أثرها ثقتنا بالنفس وبالأرض التى نخطو عليها ، وتفتح وعينا لما يدور حولنا داخل المجتمع المصرى ، وفى محيطنا العربى ، وعلى الصعيد العالمى .

... أن الانطلاق نحو أعلى مراحل التنمية الشاملة ، يتطلب جهودا ضخمة ، وتمويلا يتعدى حجم مدخراتنا الوطنية .

وعليه ، فإن الانفتاح . . دعوة الى تعبئة رؤوس الأموال المحلية غير المستغلة ، والأجنبية غير المشروطة كى تشكاتف دون قيد أو حرج ، دون تشكك أو تردد ، من أجل الاسراع بتنفيذ مشروعات التنمية فى كافة القطاعات ، وذلك فى اطار شركات القطاع العام والقطاع الخاص والمشروعات المشتركة . . دعوة الى الأجهزة المسئولة ، كى تطبق روح القانون ونصه فى تشجيع استثمار المال العربى والأجنبى » .

وتتجه ورقة أكتوبر الى موضوع الاستثمارات الخارجية ، بتشجيع رؤوس الأموال العربية . . فتقول :

(١) ملحق الأهرام الاقتصادى (١٥ مايو ١٩٧٤) .

« اننا نريد للتعاون الاقتصادي العربي ، أن يدخل مرحلة نشطة قوية » .

« اننا نوفر للمستثمر العربي ، كل الضمانات التشريعية ، ونوفر له ما هو أهم من ذلك ، وهو القدرة الاستيعابية للاقتصاد المصرى ، فى ظل استقرار سياسى واجتماعى وتنمية اقتصادية مطردة » .

فقد كانت الأمة العربية كلها « خط مواجهة » منذ اللحظات الأولى لقتال أكتوبر المجيد ، وتميزت مشاركتها بالفاعلية والتنسيق . وحدد الملوك والرؤساء العرب ، موقفهم من المعركة ، وبدأت مرحلة جديدة ومجدية فى العمل الموحد ، لتبرز التضامن وحشد الطاقات وتعزيزها من أجل المعركة .

وتنبه العرب ، الى ضرورة استثمار قدراتهم وامكانياتهم فى كل مجال ممكن ، والى ضرورة خلق المناخ الاقتصادى المناسب لاستثمار الفوائض العربية فى الوطن العربى ، وتسهيل انتقال رؤوس الأموال العربية داخل الوطن العربى .

واعتبر الاستثمار فى أى قطر عربى استثمارا وطنيا ، ومن ثم وجب ضرورة توفير الضمانات الكافية له داخل هذه الدول . وتشير ورقة أكتوبر الى أهمية ذلك عندما تقول :

« اننا نعتقد أن هذه الاستثمارات ، سوف تجد لدينا بيئة مستقرة آمنة » .

ذلك لان ثبات الأوضاع واستقرار الأنظمة الاقتصادية ، سيظل مطلباً ضرورياً ، اذا ما أريد لرأس المال العربى والأجنبى أن يسهم فى تنمية مصر ورخائها .

وثمة خطوات ايجابية عربية ، عرفت طريقها الى التعامل مع سائر الدول الأجنبية ، محطمة جدران الخوف والعزلة الاقتصادية ، موجهة دفتها - بلا رهبة - نحو اقتصاد متفتح ، يطل بكل ثقة وثبات وجراءة ، على العالم الحر .

وهبت على مصر نسيمات التحرر الاقتصادى . وبما لا يؤثر على البصمات الأساسية للاشتراكية المصرية ، انفتحت الأبواب على مصراعها ، لتستقبل موجات جديدة من رؤوس الأموال العربية والأجنبية ، التى استلهمت روح أكتوبر ، فمضت على خطاها .

ومع سياسة الانفتاح الاقتصادى ، أصدرت مصر عدة قوانين وقرارات اقتصادية ، تستهدف تحقيق التقدم ، الذى بات على مصر ، أن تلحق به بعد نصر أكتوبر العظيم . ومن أهمها :

١ - قانون استثمار رأس المال العربى والأجنبى وإنشاء المناطق الحرة . .
لزيادة الضمانات والحوافز والتيسيرات ، للمستثمرين العرب والأجانب ، بكافة وسائل التدعيم والثقة . كما تقرر تطوير هيئة استثمار المال العربى والمناطق الحرة ، بما يكفل سرعة البت فى المشروعات التى يقدمها المستثمرون ودعمها بالكفاءات المدربة على مواجهة طلبات واستفسارات المستثمرين .

٢ - إنشاء جهاز التعاون الاقتصادى العربى والدولى ، ويتمتع بشخصية قانونية مستقلة ، ومن أهم اختصاصاته :

(أ) اقتراح السياسة العامة الخاصة بالتعاون الاقتصادى مع الدول العربية والأفريقية والدول الأخرى بصفة عامة . ووضع الخطط والبرامج لتنفيذ ما تم إقراره من سياسات ومتابعة تنفيذها وتقييم نتائجها .

(ب) التنسيق بين مشروعات خطط وبرامج التعاون الاقتصادى والفنى ، التى تقترحها القطاعات المختلفة ، على ضوء الأهداف والأولويات التى تحدد ضمن السياسة العامة للدولة .

(ج) دعم وتشجيع الاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر والمناطق الحرة بها ، طبقا للسياسة والاطار العام لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والقوانين والقرارات الصادرة .

(د) الإعداد والإشراف على عقد الاتفاقات الثنائية والإقليمية والدولية المتعلقة بالاستثمارات العربية والأجنبية .

(هـ) اقتراح مشروعات القوانين والقرارات المنظمة والمشجعة للاستثمارات العربية والأجنبية فى مصر ومتابعة تنفيذها .

(و) الإشراف والتوجيه والمتابعة ، فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالمشروعات العربية المشتركة والمشروعات العربية الأجنبية المشتركة ، التى تساهم فيها مصر .

(ز) الإشراف والتوجيه والمتابعة ، بالنسبة لعلاقات مصر مع هيئات التمويل الدولية والإقليمية وهيئات ضمان الاستثمار (البنك

الدولى للانشاء والتعمير والمنظمات التابعة له - صندوق النقد
الدولى - بنك التنمية الافريقى - الصندوق العربى للانماء
الاقتصادى والاجتماعى - المؤسسة العربية لضمان الاستثمار -
صناديق الانماء الوطنية فى الدول العربية) .

(ح) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات التعاون الفنى والاقتصادى
مع حكومات الدول العربية والافريقية ودول العالم بصفة عامة .

(ط) الاشراف على علاقة مصر مع المنظمات الاقليمية والدولية
المختصة بتقديم المعونات الفنية والاقتصادية ، ومع المجلس
الاقتصادى لجامعة الدول العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية
العربية ومع مجلس الوحدة الافريقية .

(ي) الاعداد والاشراف على عقد اتفاقات قروض التعاون الاقتصادى
مع حكومات الدول الأجنبية ، وعلى عقد اتفاقات جدولة هذه
الديون ، وعلى عقد اتفاقات التعويضات ، ومتابعة تنفيذ هذه
الاتفاقات .

(ك) الاشراف على الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والمناطق
الحرّة .

٣ - تشكيل لجنة عليا للتعاون الاقتصادى العربى والدولى -

٤ - انشاء السوق الموازية . . . وهى سوق شبه حرّة ومستقلة عن السوق
الرسمية ، وتتولى شراء وبيع العملات الحرّة ، بأسعار وبشروط
مختلفة عن مثيلتها فى السوق الرسمية . وقد تحدتت الأسعار
التشجيعية التى يتم التعامل بها فى السوق ، على أساس السعر
الرسمى للعملة الحرّة ، مضافا اليها علاوة ٥٠ فى المائة بالنسبة
لسعر الشراء ، ٥٥٪ بالنسبة لسعر البيع . وتتكون موارد السوق
الموازية من الحصيلة المحققة عن :

(أ) مدخرات وتحويلات المصريين والسياحة الفردية أو الجماعية .

(ب) تحويلات مواطنى الدول العربية لغير أغراض الاستثمار .

(ج) الصادرات السلعية ، (ما عدا السلع التقليدية كالقطن والأرز
والبصل والبطاطس والبتروول والأسمنت) .

(د) ٥٠٪ من الزيادة عن الهدف المقرر للتصدير السنوى فى الموازنة
النقدية بالعملات الحرّة بالنسبة للغزل والمنسوجات القطنية .

هذا سواء كانت المتحصلات الواردة للسوق الموازية على هيئة بنكنوت أو تحويلات من الخارج أو أية وسيلة من وسائل الدفع المصرية المقبولة ، وسواء كانت مدفوعة من مصريين أو أجانب ، وذلك باستثناء ما يحول الى البلاد كاستثمارات غير مقيمة .

وتقوم السوق الموازية ، بتمويل المدفوعات غير المنظورة للأفراد والقطاع الخاص ، والمبالغ المسموح بها عند السفر للخارج ، وكذلك واردات القطاع الخاص وقطاع السياحة ، وواردات شركات التجارة الخارجية اللازمة للقطاع الخاص والسياحة ، التي تستوردها الشركات لمقابلة احتياجات الأسواق العامة .

هذا وقد شكل الرئيس السادات ، لجنة عليا لمحاربة أعداء الانفتاح ، الذين يتربصون به داخل مكامنهم البيروقراطية . أما بتحويل المساعدات الاقتصادية الى منافع شخصية لا تعود بفائدة على المجتمع ، أو بعرقلة تنفيذ المشاريع الاقتصادية الجديدة .

مصالح الاقتصاد القومي

ومن الطبيعي أن الاستقرار المطلوب للاستثمارات العربية والأجنبية ، لا بد له ، كى يتحقق ، ان يلمس المستثمر وضوحا فى الخط الاقتصادى وضمانات تكفل له الحماية وحرية الحركة .

ومن المسلم به - أيضا - أن يتم ذلك بالشكل الذى لا يضر بمصالح الاقتصاد القومى .

ولذلك فقد أقرت التعديلات ، التى أدخلت على قانون الاستثمار العربى والأجنبى ، بما يكفل تحديد المجالات التى يسمح فيها بالاستثمار ، وإيضاح وتحديد الأوايات التى تمنح لطلبات الاستثمار على ضوء مجالات استخدامها ، وتحدد قوائم تعدها هيئة الاستثمار ويعتمدها مجلس الوزراء ، فى مجالات الصناعة والتعدين والقوى المحركة والسياحة والنقل .

أما بالنسبة لمشروعات الامتداد العمرانى ، المقصود بها الاستثمارات فى مبان جديدة ، فلا يعتبر شراء العقار أو أى أرض خلاء فعلا ، كمشروع استثمارى ، الا اذا كان ذلك بقصد البناء ، وليس بقصد إعادة بيعها ، للاستفادة من الزيادة فى قيمتها العرضية ، بشرط أن يتم البناء فعلا خلال المدة التى يحددها مجلس إدارة هيئة الاستثمار .

وقد أوجبت التعديلات الجديدة :

- ١ - أن يكون الاستثمار في مصر ، على هيئة مشاركة مع رأس المال المصرى العام أو الخاص ، وذلك لاتاحة الفرصة لرأس المال المصرى لكسب خبرات جديدة .
- ٢ - بالنسبة للأسكان (الادارى وفوق المتوسط) بغرض الاستغلال التجارى فقد سمح بها فقط للعرب والمصريين دون الأجانب .
- ٣ - انشاء شركات استثمار .
- ٤ - السماح بانشاء بنوك الاستثمار وبنوك الأعمال وشركات التأمين .
التي يقتصر نشاطها على العمليات التى تتم بالعملات الحرة . ولا تقوم بالعمليات التى تتم بالعملة المحلية ، الا اذا كانت على هيئة مشروعات مشتركة مع رأس مال مصرى محلى .
- ٥ - يجوز أن ينفرد رأس المال العربى أو الأجنبى فى مجالات بنوك الاستثمار وبنوك الأعمال ، متى كانت فروعاً تابعة لمؤسسات مركزها الرئيسى فى الخارج .
- ٦ - يتمتع المال المستثمر فى مصر (ولو كان المالك مصرى الجنسية وأيا كان محل اقامته) بعدم جواز التأميم أو المصادرة أو الحراسة أو تجميد الأموال أو الحجز عن غير الطريق القضائى .
- ٧ - لا يخضع العاملون بهذه المشروعات ، للقواعد المنظمة للسفر بالنسبة لنشاط المشروع .
- ٨ - تعفى الآلات والمعدات ووسائل النقل اللازمة ، لبعض المشروعات الموافق عليها ، من الضرائب والرسوم الجمركية . ويصدر هذا الاعفاء بقرار من وزير المالية بناء على طلب هيئة الاستثمار . ويجوز منح هذه المزايا للمال المستثمر ولو كان مصرى ، لتحقيق المساواة بين المال الأجنبى المملوك لغير مصرى ، والأجنبى المملوك لمصرى .
- ٩ - يسمح للخبراء والأجانب القادمين للعمل فى مشروعات هذا القانون ، بتحويل حصه لا تتجاوز ٥٠٪ من مجموع ما تقاضوه الى الخارج .

التكامل العربى

كان لا بد من قانون الاستثمار ، فى اطار الانفتاح الاقتصادى ،
لاهمية التقارب مع دول العالم عامة ، ومع الدول العربية بوجه خاص .
اذ يعتبر القانون دعوة شرعية ، للاستثمارات العربية والأجنبية ، فأحاطها
بضمانات من المزايا والاعفاءات الضريبية وضد الحراسة والتأميم وخلافه .

وقد قام مجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، بدراسة المشاكل التى
تحد من التكامل الاقتصادى العربى ، وبحث الجوانب المتعددة للمشاكل
التجارية والاقتصادية ، التى يتعرض لها الوطن العربى . وأسفرت الدراسة
عن التوصيات الآتية :

١ - تعبئة فوائض الأموال العربية وتوجيهها للاستثمارات داخل المنطقة
العربية .

٢ - على الدول المضيفة للاستثمارات ، أن تقدم التسهيلات والضمانات
اللازمة للدول المستثمرة ، من أجل خلق المناخ المناسب لتشجيع
الاستثمارات . ولذلك فان الدول العربية التى لم توقع أو تصدق
بعد ، على اتفاقية تشجيع استثمار الأموال العربية ، مدعوة الى
التوقيع عليها .

٣ - دعوة صناديق التنمية العربية ، الى تخصيص جزء أكبر من مواردها ،
 لتمويل المشروعات ذات الأهمية أو المشروعات التى تشترك فيها عدة
دول .

٤ - توسيع مجال نشاط المؤسسات التمويلية ، وان تستخدم أساليب
جديدة للاقراض ، مثل الاقراض البرنامجى ، وتقديم التسهيلات
الائتمانية اللازمة للتصدير ، وتوحيد واعادة جدولة الديون الخارجية .

٥ - دعوة الدول العربية التى لم توقع اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، الى
أن تبادر الى ذلك .

٦ - العمل على تنسيق الاستثمارات والتجارة بين الدول العربية ، على
أساس التوزيع العادل والتكامل الاقتصادى .

٧ - الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة ، مع الاهتمام بالدراسات
الاقتصادية ، وتوفير الموارد المالية اللازمة لها .

الرخاء .. مستقبل الأجيال

كان تطوير الاقتصاد المصرى ، أحد المطالب الأساسية قبل ٦ أكتوبر .. ثم أصبح من أهم الضرورات الحتمية ، بعد نصر ٦ أكتوبر المجيد .

ولذلك كانت الخطوة الأولى فى طريق التطوير ، هو دفع عجلة الانفتاح الاقتصادى المصرى ، وتسييره بالحكمة التى نادى بها الرئيس السادات .. بقوله :

« ان العمل الداخلى ، يجب أن يكون على مستوى كفاءة ومقدرة يوم ٦ أكتوبر » .

ان الارادة المصرية ، التى حققت العبور العظيم ، قادرة - بغير شك - على أن تعبر مصر ، حاجز التخلف الاقتصادى الذى فرض عليها من قبل ، الى حياة الرخاء والرفاهية الاقتصادية .

الباب السادس

التعمير .. وتطهير القناة

مدن القناة ودورها التاريخي

كانت منطقة قناة السويس دائما محورا من أبرز محاور النهضة المصرية ، والحركة التحررية المصرية ، منذ شق القناة في عام ١٨٦٩ الى معركة النصر عام ١٩٧٣ .

وكان الدور الذي شاء القدر أن يسند له الى تلك المنطقة في قصة النهضة المصرية والحركة التحررية ، بحكم موقعها الجغرافي بالدرجة الأولى ، هو امتصاص صدمات العدوان المتتالية بالصمود والتضحية والبذل والفداء .

ويشهد التاريخ المعاصر أن المنطقة الباسلة لعبت دورها هذا على نحو مثالي منذ حفرتها أطافر المصريين ، مروراً بأحداث المقاومة الكبرى للغزو البريطاني على يد عرابي عام ١٨٨٢ ، الى المقاومة المسلحة للاحتلال البريطاني عام ١٩٥١ ، فالى صد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، ثم الى النكسة الكبرى في يونيو عام ١٩٦٧ مع ما تبعها من حرب الاستنزاف حتى انجاز العبور في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وحتى بعد العبور ، كان هناك التسلل الاسرائيلي خلال الثغرة ، وانتشار العدو جنوبا في محاولة يائسة لاحتلال مدينة السويس ، رد فيها على أعقابها المرة تلو المرة بعد العدوان الوحشي المركز الذي وجهه الى المدينة الصامدة من الجو والبر ، رغم وقوفها عزلاء الا من المقاومة الشعبية . حتى اذا ما اقتنع العدو بأن المدينة أمنع من عقاب الجو ، فترت همته ولم يجد غير الاستسلام لقرار الانسحاب قانعا من الغنيمة بالسلامة .

وهكذا ، عند ظهر الثامن والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، بعد مائة يوم من محاصرة المدينة الباسلة ومحاولة دخولها أكثر من مرة انتهت جميعا بالفشل الذريع ، انسحبت القوات الاسرائيلية من حيث كانت تربض في الأدبية وجبل عتاقة وعلى تخوم السويس . حتى اذا ما كانت السادسة من مساء نفس اليوم تسلمت مصر المنطقة من قوات الطوارئ وبدأت قواتنا المسلحة في ازالة الألغام ثم دخلت المدينة .

وإدراكاً من القيادة السياسية في مصر للدور الطبيعي والتضحيات التي بذلها أهالي منطقة القناة وخاصة سكان مدنها الثلاث ، استحدثت في مصر تشكيل وزارة جديدة باسم وزارة التعمير . اسند قيادتها الى المهندس المعماري الكفاء عثمان أحمد عثمان ليضطلع برد الجميل لأهله بإعادة الحياة الى مدن القناة وإعادة تخطيطها على أساس علمي جديد .

وفي ٢٦/٧/٧٤ صدر أول قانون للتعمير في مصر . وقد أعطى هذا القانون لوزير الاسكان والتعمير سلطة التصرف في النقد الأجنبي المخصص للوزارة في الميزانية النقدية للدولة أو الناتج عن القروض ، وعدم التقيد بأية قواعد متبعة في هذا المجال ، كما أعطاه سلطة الاعتمادات والحق في إصدار لائحة مالية لأعمال التعمير ، دون التقيد بالقواعد المطبقة في الحكومة أو القطاع العام بشأن أعمال الشراء والمناقصات والمقاولات والتعاقد مع بيوت الخبرة في الداخل والخارج .

• • السويس

المدخل الجنوبي للقناة

كانت معظم مباني السويس التي أصبحت أطلالا ، تحكى في صمت رهيب قصة من أبشع قصص التدمير اللانساني ، بعد أن تعاملت مع كل أسلحة الدمار الحديثة ، وكأنما أثبت ألا أن تشارك شعب المدينة في صياغة الملحمة التي دحرت كل محاولات العدو لدخولها والسيطرة عليها . وعندما يقال أن معركة كبرى للتعمير قد بدأت في أعقاب انتصارات أكتوبر، فلعل فيما انتهت اليه مدينة السويس من تدمير ما يعبر عن صدق هذا الرأي ، وعن أن التعمير المنشود يتطلب معركة فعلا .

كانت في السويس (٥٢٥) ألف وحدة سكنية ، لم يتبق منها غير (٩٥٠٠) وحدة معظمها حطام وأطلال . وبلغت الأرقام بلغت خسائر المباني في السويس قرابة أربعين مليوناً من الجنيهات .

وبلغة الأرقام أيضاً بلغت الخسائر في المرافق أكثر من ٢٠ مليون جنيه ، وفي الشوارع والطرق بعد أن دمرت أكثر من ٤ ملايين جنيه ، وفي المباني التعليمية حوالي ٣ مليون جنيه ، وفي المساجد والكنائس حوالي مليون جنيه ، وفي ميناء السويس أكثر من ٦ مليون جنيه ، وفي ميناء الأدبية حوالي ٢ مليون جنيه ، وفي ميناء البترول مالا يقل عن مليون جنيه ، وفي مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالي

جنيه ، وفى مرافق النقل والمواصلات بما فيها السكك الحديدية حوالى مليونين من الجنيهات . واذا كانت هذه الأرقام تمثل بعض متطلبات التعمير ، فهى تقدم صورة لمدى مالحق بمدينة السويس من تدمير .

ولقد بدأت معركة التعمير بالنسبة للسويس ، كاستهلاك لتعمير منطقة القناة كلها ، بمجرد توقيع اتفاقية انسحاب العدو . فقد تقرر فتح طريق القاهرة - السويس للتحركات المدنية ابتداء من صباح الثلاثاء ٢٩ يناير ١٩٨٤ ، وصدرت التعليمات الى كل المسؤولين فى قطاعات الخدمات بأجهزة الدولة لسرعة تزويد المدينة العملاقة بكل احتياجاتها من الخدمات العاجلة ابتداء من نفس الصباح ، كما صدرت التعليمات بأن يتم استبدال جميع من كانوا بها طوال مرحلة الصمود من رجال الأمن والسكرباء والتليفونات والصحة ، بعد أن ظلوا طوال الأيام المائة صامدين داخل المدينة رافضين الخروج منها .

وكان الدمار الذريع يقتضى تخطيطا محكما وشاملا . ولذا انتقل الى السويس بعد ٣٦ ساعة فقط من الانسحاب ، اثنا عشر وزيرا يرافقهم كبار المسؤولين لدراسة الأوضاع على الطبيعة ، توطئة لوضع خطة تنفيذية لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة يشترك فى تحديدها أعضاء المجلسين الشعبى والتنفيذى وكبار المواطنين من أهل السويس . ومع قافلة الوزراء وصلت قافلة أخرى من خمس وثلاثين سيارة كبيرة تحمل الأطباء والممرضين والفنيين المزودين بالأدوية والمعدات الطبية والأجهزة الجراحية ، وقافلة ثالثة من ست سيارات محملة بالوقود والمؤن والغذاء .

وقضى الوزراء الاثنا عشر طوال يوم ٣٠ يناير ١٩٧٤ فى المدينة يتجولون فى مناطقها لحصر الاحتياجات التى تتطلبها معركة التعمير ، كما عقدوا مؤتمرا شعبيا حضره جميع أهالى السويس للادلاء بأرائهم ، حتى اذا ما عادوا الى القاهرة فى مساء نفس اليوم أصدر الرئيس أنور السادات بعد الاستماع الى ملاحظاتهم توجيهاته بأن تعطى الأولوية الأولى ، بدءا بمدينة السويس . وبناء على ذلك اجتمع مجلس الوزراء فى صباح اليوم التالى ٣١ يناير ١٩٧٤ ، واستمع الى تقارير الوزراء الاثنى عشر . كل فى حدود اختصاصه ، كى يصدر فى نهاية الاجتماع قراراتين يقضى أولهما بتشكيل لجنة عليا برئاسة رئيس الوزراء وعضوية نواب رئيس الوزراء والوزراء ومحافظى مدن القناة لاعداد خطة شاملة لتعمير منطقة القناة ، ويقضى الثانى بأن ينتقل مجلس الوزراء الى مدينة السويس كاملا لمتابعة مناقشاته الواسعة على الطبيعة حول تعمير السويس ولاصدار القرارات الفورية التى تتطلبها خطة العمل .

وبدأت المعركة . فقررت القوات المسلحة أن تتعاون مع الأجهزة المدنية فى تنفيذ خطة العمل العاجلة التى تم اقرارها ، والتى شملت تطهير نرعة السويس واصلاح شبكات المياه والانارة والتليفونات والسكك الحديدية فى المدينة ، واجراء حصر شامل للمبانى التى تهدمت أو أصيبت .

وبروح أكتوبر العظيم ، بدأت الخطوات التنفيذية لتشغيل موانئ السويس والأدبية وبور توفيق ، مع تطهير مداخلها لاعادة الحياة الى هذه المرافق فى أسرع وقت ممكن .

وسرت نغمات النصر التى ألهمت دماء البلاد كلها الى الاسكندرية ، فأعلنت عروس البحر الأبيض المتوسط أن مجموعة عمل قد تقرر تشكيلها برئاسة وزير النقل البحرى وعضوية مجموعة من الخبراء ، وانتقالها الى منطقة السويس للمساهمة فى تشغيل موانئها .

وتوالت الاجتماعات الوزارية ، ومطالب شعب المدينة التى شاعت حرب أكتوبر أن تجعل منها رمزا لبسالة الشعب المصرى وصموده ، وقرارات وتوجيهات الرئيس أنور السادات ، حتى تبلورت الخطة بالنسبة لمدينة السويس فى أربع مراحل يستغرق تنفيذها حوالى ثمانى سنوات يتغير فى نهايتها وجه المدينة شكلا وموضوعا ، تغييرا جذريا .

تقرر أن تستغرق المرحلة الأولى سنة واحدة ، وهى المرحلة العاجلة لاعادة الحياة الطبيعية الى المدينة ، وتتضمن تعميرا سريعا للمرافق والاسكان بالمدينة ، ووضع تخطيط اقليمى عام لها يبدأ تنفيذه ببدء العام التالى .

وتقرر أن تشمل المرحلة الثانية بناء المدينة الحالية على الشاطئ الغربى وفقا للتخطيط الاقليمى العام المقترح ، واعادة الصناعات التى دمرت بسبب الحرب ، والمرافق التى تخدم المدينة الحالية ، مع ربطها بالشاطئ الشرقى .

وتقرر أن تستغرق المرحلة الثالثة عامين ، وان تشمل التوسعات التى يتطلبها إنشاء المدينة الجديدة ، والتخطيط السكنى اللازم للشاطئ الشرقى فوق أرض سيناء فى مواجهة مدينة السويس الحالية ، مع تطوير الخدمات والمرافق بحيث تناسب الحجم الجديد للمدينة واستيعاب الهجرة والعمالة المنتظرة ، وإنشاء (ميناء السويس العالمى) .

وتقرر أن يستغرق تنفيذ المرحلة الرابعة النهائية ثلاث سنوات ، تتم فيها اقامة المناطق الصناعية التى سيستقر الرأى على اقامتها ، ومناطق للتجارة العالمية يكتمل بها الميناء العالمى ، وإنشاء (مطار السويس الدولى) .

ولضمان تنفيذ مراحل الخطة الأربع فى ظل متابعة دقيقة ، وكما هو الحال فى المعارك الحربية ، تقرر انشاء غرفة عمليات رئيسية للتعمير تضم مندوبين عن الوزارات المشتركة فى معركة التعمير ، وتتبعها غرف عمليات فرعية بمواقع العمل جميعا لمتابعة العمليات ميدانيا وعلى الطبيعة .

حدث كل هذا النشاط المتعدد الصور ، بين مؤتمرات وقرارات وتخطيط ، خلال فترة لم تتجاوز أسبوعين منذ بدء نزوح العدو الاسرائيلى عن منطقة السويس فى العشرين من يناير . وفى الحادى عشر من فبراير عقد وزير التعمير أول مؤتمر صحفى بغرفة عمليات التعمير المركزية لمنطقة السويس ، ليعلن أن خطة تعمير المنطقة سيبدأ تنفيذها اعتبارا من نفس اليوم . لانجاز المرحلة الأولى خلال العام المقرر لها ، وعلى أساس بلوغ السويس فى نهاية المرحلة الرابعة شكلها الجديد بعد تطويرها لتصبح مساحتها عشرة أمثال المساحة الحالية .

وفى نفس المؤتمر الصحفى أعلن وزير التربية والتعليم أن الدراسة ستبدأ بالمدينة فورا ، وأن مبلغ ثلاثة ملايين و ١٥٦ ألفا من الجنيهات قد اعتمدت لإنشاء ٤٧ مدرسة ابتدائية بها ألف فصل ، وإعادة بناء ١١ مدرسة اعدادية وثلاث مدارس ثانوية ومدرسة صناعية .

تم توالى بيانات مندوبى سبع عشرة وزارة ، لتحديد مشروعات العام الأول التى اختصت بها المنطقة الباسلة ، وليتوجها أولا بيان مندوب وزارة النقل البحرى باعتماد خطة عاجلة بناء على توجيهات الرئيس السادات . لتشغيل موانئ الأدبية وبور توفيق وبور ابراهيم خلال أربعة أشهر ، تعود بعدها الموانئ الثلاث للعمل بمعدل ٧٥٪ من طاقتها ، وثانيا بيان مندوب وزارة الزراعة باتخاذ الاجراءات الفورية التى تكفل إعادة ٢٥ ألف فلاح الى سبع قرى لزراعة ٣٠ ألف فدان .

واذا كانت خطة إعادة الحياة الزراعية الى منطقة السويس قد تمت ، وقبل الوقت المحدد لها ، فقد تمت بالمثل ، وفى مدد قياسية بدافع من الروح المعنوية التى كانت السسمة البارزة فى معركة التعمير ، انجازات تشغيل الموانئ الثلاث طبقا لما حددته الخطة ، وفى خلال ثلاثين يوما فقط تم تطهير المسطحات المائية وعمل الجسات اللازمة للتأكد من صلاحية الأرصفة ، وفى خلال شهرين أمكن انتشال الوحدات الغارقة واعداد الورش لاصلاح السفن وتزويد الموانئ الثلاث بالمنشآت القاطرة ، وبذا أمكن التمهيد للمرحلة الأخيرة من الخطة والتى تخصص لها مبلغ خمسة عشر مليوناً من الجنيهات ، والتى عادت بها الموانئ الى حالتها الأولى قبل ١٩٦٧ ، مع اعداد ميناء بور ابراهيم للصناعات البحرية واعداد ميناء الأدبية ليكون ميناء عالميا .

وعلى طول خطوات التنفيذ ، كان الرئيس السادات يتابع مراحل الانجاز أولا بأول ، حتى اذا ما قيل له أن الخطه قد قطعت أولى مراحلها بنجاح ، أصدر توجيهاته فى الثانى من مارس ١٩٤٧ بمنح تصاريح العودة الى السويس فورا لأربع فئات من المواطنين هم الذين يتطلبهم دوع عجلة التعمير قدما ، على أن تتكون الفئة الأولى من التجار المكلفين وى ناجر يرغب فى العودة الى بلده ، والفئة الثانية من الموظفين والعاملين سواء فى القطاع العام والشركات أو مصالح الدولة ، والفئة الثالثة من المهنيين المتخصصين فى أعمال المرافق ، والفئة الرابعة من عمال الهدم والبناء .

ويرفع الستار عن الهدف الأخير الكبير الذى لم تكن هذه الخطط الابتدائية غير الخطوة الأولى فى الطريق اليه . وفى ٢٨ مارس ١٩٧٤ ، زارت اللجنة الاستشارية للتخطيط مدينة السويس لتراجع على الطبيعة امكانات التواصل الى ذلك الهدف الأخير . حتى اذا ما اطمأنت الى أن لا عائق هناك يحول دون تحقيق الهدف ، أعلنت أن المدينة سيتم تقسيمها الى خمسة أقسام ، يحوى كل منها ما يكفيه ذاتيا من مرافق الخدمات ، على أساس الوصول بسكان المدينة الى ٧٥٠ ألف مواطن فى عام ١٩٩٠ ثم الى مليون مواطن فى عام ٢٠٠٠ ، وعلى أساس رفع خطوط السكك الحديدية من وسط المدينة ومن قلب القطاع العريض .

بور سعيد •• المدخل الشمالى للقناة

لم تسلم بورسعيد من العدوان ، سواء فى عام ١٩٦٧ أو عام ١٩٧٣ أو ما بينهما خلال عمليات الاستنزاف . وفى الواقع ، تحملت هذه المدينة الباسلة ما لم تتحمله مدينة أخرى فى العالم ، بما تعرضت له من ضرب خسييس خلال عدوان ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وأخيرا حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وعلى غير الحال مع مدينة السويس ، خرجت بورسعيد من المعركة ، بفضل انتصارات السادس من أكتوبر التى حطمت من معنويات طيران اسرائيل بقدر ما حطمت من طائراته ، دون مساس جدى بمبانيها ومرافقها . ولما كانت نسبة الدمار الشامل قد اقتصرت على ٣٠٪ ، فقد كان يكفى المدينة من اللمسات السريعة ما يعيدها الى حياتها الطبيعية .

وكما حدث فى السويس ، انتقل الى بورسعيد فى ٢٤ فبراير ١٩٧٤ عشرة من الوزراء فى دراسة ميدانية لاحتياجات المدينة الباسلة ومراجعة

خطة التعمير التي وضعت من أجلها . وكان في مقدمة ما تقرر ، وبدأ تنفيذها على الفور ، إعادة تشغيل الميناء بعد شهر واحد لاستقبال السفن التي تحمل امدادات قوات الطوارئ الدولية ، وغيرها من السفن التي لا يزيد غاطسها على ٢٨ قدما ، بشرط أن تخطر الجهات المسؤولة قبل وصولها بأربع وعشرين ساعة .

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده الوزراء العشرة ، أذيعت القرارات التي أصدرها الرئيس السادات بصفة عاجلة ، وفي مقدمتها أن يعاد تعمير بورسعيد على أساس أن تكون مدينة حرة من جهة ، وخط دفاع أول حصين من جهة أخرى ، وأن يكون مفهوم التعمير شاملا لكل تغيير اجتماعي واقتصادي .

وفي نفس المؤتمر ، بعد أن أدلى شعب بورسعيد بمطالبه ، تقرر أن تبدأ الدراسة في بورسعيد من سبتمبر ١٩٧٤ وأن تعد ٤٠ مدرسة لاستقبال أبناء مائة ألف من المهجرين كدفعة أولى ، ورفع قوة محطة الكهرباء لمواجهة التوسعات القادمة ، واصلاح المستشفيات والمجاري ، وتجفيف جزء من بحيرة المنزلة لمد طريق فوقه بدذ من طريق بورسعيد القنطرة القديم . وكخطوة أولى اعتمد مبلغ مليون و ٨٠٠ ألف جنيه للاصلاحات التي تقرر أن تتم قبل أكتوبر ١٩٧٤ .

ومن بين ما تقرر في الخطة ، كان تطهير الميناء يحتل رأس قائمة المشروعات العاجلة . ولذا ماحل منتصف فبراير حتى كانت الجهود المصرية الحالصة قد أتمت انتشار ٢٥ وحدة بحرية صغيرة من قاع الميناء ، تضم قاطرات ولنشات وناقلات مياه وأوناشا عائمة بدأ العمل في اصلاح ستة عشرة وحدة منها ، كما بدأ مسح قاع الميناء بجهاز الجسات الصوتية للتأكد من تطهيره ، وتجهيز إحدى الكراكات الكبيرة لبدء تطهير البوغاز .

حتى اذا ما كان يوم العشرين من مارس ، بعد شهرين فقط من بدء الانسحاب الاسرائيلي ، عقد مؤتمر لأصحاب الخبرات من أبناء بورسعيد لاستعراض صورة المدينة التي ستكون عليها في المستقبل بعد تنفيذ خطة التعمير الموضوعة لها . وعلى طول يومين كاملين في دراسة الخطة ، تعددت الآراء موصية بالتعديلات التي انتهت بالخطة الى ما بدأ تنفيذه فوراً .

في صدد التوسيع العمراني ، تقرر أن تمتد رقعة المدينة غربا الى دمياط بمساحة ٤٥ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة ، وجنوبا الى القنطرة بمساحة ٤٢ ألف فدان ، وشرقا حتى اتجاه بورفؤاد بمدى ٢٠ كيلو مترا .

وبالنسبة للميناء ، تقرر زيادة عدد الأرصفة بما يكفل استئقبال ٥٠ باخرة كبيرة فى وقت واحد .

وحول تحويل بورسعيد الى مدينة حرة ، تقرر تطوير الميناء ليكون تجاريا صناعيا حرا مع البدء بما بين بورفؤاد ومنطقة الشط ، مع ازالة ثلاثة أرباع مساكن المدينة ليعاد تخطيطها من جديد .

وفى مجال الصناعة ، تقرر اعادة الصناعات التى كانت قائمة من قبل ، واطافة مئات الصناعات الجديدة التى يقتضيها تطوير المدينة .

وفى محيط السياحة ، تقرر انشاء مطار دولى فى منطقة بورسعيد ، ومطار آخر عالمى شرق بورفؤاد ، وفنادق من الدرجة الأولى ، وبركة للصيد ، وبلاج جديد بطول عشر كيلو مترات ، وحى كامل للبنوك العالمية .

وكلون جديد من الحياة الانتاجية ، تقرر ادخال الزراعة الى بورسعيد لأول مرة فى تاريخها ، بضم مساحة قدرها مائة ألف فدان اليها تخصص لزراعة احتياجات المدينة وتقام عليها قرى نموذجية .

ولتوفير الاكتفاء الذاتى لمنطقة بورسعيد الحديثة فى مجال التعليم ، تقرر انشاء جامعة بورسعيد ، على أن تبدأ بكليات للهندسة ، والهندسة البحرية ، وبناء السفن ، والتجارة ، والزراعة ، مع اتخاذ اللغات الأجنبية أساسا فى جميع مراحل التعليم .

هذه الخطة المتكاملة ، مع خطة تطوير السويس ، والى جانب تعمير مدينة الاسماعيلية ، كانت تشكل المعنى الكامن وراء اعتبار ما جرى فى منطقة القناة (معركة تعمير) لا تقل فى ضراوتها وحيويتها عن معركة التحرير .

الشعب * * * ومعركة التعمير

أدرك الشعب المصرى بحسه الصادق أن ازالة آثار العدوان الاسرائيلى عن منطقة القناة ، لون من ألوان التحدى عليه أن يتقبله ، وان يقبل عليه بنفس الروح التى سادت كل معارك التحدى التى فرضت عليه ، والتى اختتمت بمعارك السادس من أكتوبر .

أدرك الشعب المعطاء ان تعمير منطقة القناة معركة لا تخص الحكومة وحدها ، بل هى أيضا مسئولية التنظيم السياسى وال جماهيرى بكل فئاته ومهنة ، وأن على كل قادر على المساهمة أن يشارك بخبرته ، فان لم يكن من ذوى الخبرة فبجهده وساعده .

ولمست الحكومة رغبة الشعب فعملت على تنظيمها ، وأصدرت لذلك فى الاول من نوفمبر ١٩٧٣ تعليمات بمنع سفر جميع فئات العمال الفنيين ، وبخاصة عمال التشييد والبناء والانشطة الاقتصادية ، حتى لا يقتصر جهد المشاركة فى التعمير على البعض . وكان من الطبيعى أن تستثنى التعليمات العاملين فى فروع شركات القطاع العام المصرى فى الخارج ، الذين كان يجب أن يعودوا الى عملهم بعد انتهاء المأموريات المكلفين بها أو الاجازات الممنوحة لهم .

وكما أتاححت معركة التحرير الفرصة أمام الشباب المصرى ، بالقوات المسلحة من جهة وعلى اتساع الجبهة الداخلية من جهة أخرى ، للمشاركة بالدم والجهد والروح لاسترداد الأرض ، قرر التنظيم الشبابى تنفيذ رغبته فى خوض معركة التعمير عن طريق تجربة جديدة ، هى تشكيل كتائب تعمير تخوض معركتها فى مدن القناة وغيرها من المناطق المحررة فى سيناء .

ولم يضع الشباب وقتا ، فتم تدريب الفوج الأول من طلاب الجامعات والمدارس الثانوية الذين تطوعوا للالتحاق بكتائب التعمير لمدة عشرة أيام ، على أعمال النجارة والسباكة والبناء والتوصيلات ورفع الأنقاض واصلاح المرافق . وفى السابع من نوفمبر ، كان أول فوج من طلائع التعمير ، مكونا من شباب تسع محافظات ، يخوض معركته فى بورسعيد برفع الأنقاض واصلاح الطرق ، كى يستبدل بغيره بعد عشرة أيام من العمل الشاق .

ولقد نجحت التجربة أيما نجاح ، بعد أن مضت سواعد الشباب المصرى تزيل الأنقاض وتمهد الأرض للبناء . وكان فى نجاحها ما أوحى بالتوسع فى الانتقال بالجهود الشبابية فى ضروب أخرى من التعمير المستهدف للنهضة المصرية اقتصاديا واجتماعيا ، فصدر قانون الخدمة العامة الذى يقضى بتكليف خريجي الجامعات والمعاهد العليا فى أداء ضريبة العرق من أجل الوطن قبل التحاقهم بوظائفهم . وفى المؤتمر الصحفى الذى عقدته وزيرة الشئون الاجتماعية فى الرابع والعشرين من يناير ١٩٧٤ ، أعلنت الوزيرة أن جميع تعيينات الخريجين من الشباب تعتبر باطلة ابتداء من ذلك اليوم بعد موافقة مجلس الوزراء على قانون الخدمة العامة ، وأن على إدارات المستخدمين عدم تسليم العمل لأى خريج يخضع لأحكامه الا بعد حصوله على شهادة اتمام الخدمة الاجتماعية ، وأن على النقابات المهنية عدم قبول انضمام أى خريج لعضويتها ما لم يكن قد حصل على هذه الشهادة ، وأن الأولوية لتنفيذ القانون ستعطي لمدين السويس والاسماعيلية وبورسعيد .

وبمقتضى هذا القانون قضى من تنطبق عليهم شروطه من الخريجين شهرا فى التدريب ، ثم تسلموا تكليفهم رسميا بمدن القناة اعتبارا من السادس عشر من مارس ولمدة أحد عشر شهرا .

وعلت الصيحات : (لماذا يقتصر هذا التشريف على الطلبة وحدهم ، ثانويين وجامعيين ؟) وجاء الجواب سريعا ، فتقرر انشاء لجان للتعمير على مستوى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربى ولجان المحافظات والمراكز والقرى ، لتعبئة الجماهير وحشدتها باعتبار أن تعمير مدن القناة مهمة رئيسية ترتبط بمعركة السادس من أكتوبر وما حققته من انتصارات .

وكان طبيعيا بعد توفر هذا الحشد الكبير من الأيدى العاملة تطوعا ، والذي جمع بين الحقل والمصنع والجامعة فى صف واحد ، أن تتسع الآمال فى مجال الانشاء والتعمير فتشمل آفاقا جديدة ، وأن تعيد الوزارات النظر فى خططها وتصوراتها لما يجب أن تكون عليه منطقة القناة .

فى وزارة الري ، تقرر انشاء شبكات ضخمة للري والصرف ، وعدد من محطات الطلمبات للتوسع الزراعى فى ٢٣٠ ألف فدان من أراضى سيناء بين القناة وبحيرة البردويل ، وانشاء جسور واقية من طغيان البحر الأبيض المتوسط بطول ٣٠ كيلو مترا تبدأ من بورفؤاد وتنتهى عند رمانة ، وتغذية سيناء من ترعة الاسماعيلية بعد توسيعها لتستوعب ٣٠ مليون متر مكعب من المياه بدل ١١ مليون متر كانت تستوعبها من قبل ، واقامة ثلاث قناطر جديدة على ترعة الاسماعيلية وشق ترعة من أمامها تمر فى صحراء الصحاحية ثم عبر نفق تحت القناة لتغذية شبكة سيناء ، وانشاء شبكات أخرى من الترع والمصارف غرب القناة لمشروعات التوسع فى ٦٠٠ ألف فدان تدخل ضمنها أراضى سهل بورسعيد ومساحات شاسعة على ضفتى القناة ، وشق قناة من بورسعيد الى دمياط لتربط مدن القناة بكل محافظات الدلتا بعد أن تخترق ٥٦ ألف فدان تجفف من بحيرة المنزلة .

وفى وزارة استصلاح الأراضى تقرر استصلاح وزراعة ٩٠٠ ألف فدان فى سيناء بالموالح والخضروات ومحاصيل الاعلاف .

وفى وزارة الكهرباء تقرر مضاعفة قوة خط الكهرباء بين التبين ومدينة السويس لمواجهة الاحمال الجديدة التى ستتطلبها التوسعات العمرانية والزراعية والصناعية .

وعلى هذا النحو من التطلعات عدلت باقى الوزارات من خططها ، لدرجة التفنن والابتكار أحيانا ، بعد أن تحولت معركة التعمير الى مباراة فى ايفاء منطقة القناة بعض حقها فى تعويضها عما عانت من دمار صمدت له صمود الأبطال .

تم حدث التطور التاريخي انذى انتقل بمنطقة القناة ، لأول مرة في تاريخها ، الى الوضع الذى لا تيسر لها أسباب انصمود فحسب ، بل ويعاونها أيضا على أن تكيل للعدو بمثل كيئه ذاتيا . وفى الثالث من فبراير ١٩٧٤ ، طلب الرئيس أنور السادات أن تتم إعادة تعمير منطقة القناة وفق استراتيجية تراعى فيها الأسس العسكرية الى جانب الأسس الاقتصادية والاجتماعية .

رأى الرئيس عن حكمة أن عملية التعمير ليس معناها مجرد إقامة عدد من الوحدات الجديدة من المباني لسكنى المواطنين ومباشرة أعمالهم ، وأن الوضع الخاص للمنطقة يقتضى أن توضع فى المقام الأول الاعتبارات المميزة لها ، وفى مقدمتها أنها تطل على مجرى ملاحى عالمى ، وأن مصر تعرضت فى تاريخها الحديث لأكثر من هجوم عسكرى من ناحية القناة ، وأن الأمر يقتضى من ثم أن تكون للمباني السكنية الجديدة طبيعة عسكرية خاصة ، وأن تقام المصانع على نحو يكفل لها الدفاع فى المرتبة الأولى . ولقد اقتضى هذا التوجيه السيد مراجعة خطط ودراسات التعمير من جديد . وفى نفس الوقت ، قرر مجلس الوزراء فى اجتماعه يوم السادس من فبراير أن تقوم مختلف الوزارات بنقل أجهزتها التنفيذية الى مدن القناة لكنى تباشر عملها من هناك فورا ، وان يراعى فى كافة مشروعات التعمير ما طلبه الرئيس ، وان احتمالات تجدد القتال قائمة دائما وفى أية لحظة ، وأن تتم دراسة المشروعات فى هذا الاطار وتنفيذها بالتنسيق الكامل مع القوات المسلحة .

ولم تقتصر مراجعة الخطط والدراسات على الاسكان والتعمير ومقتضياتهما فقط ، بل شملت أيضا الجانب الاقتصادى على أسس صناعية تخلع على منطقة القناة من السمات ما يكفى لرد الدين الذى طوقت به عنق الوطن كله بصمودها البطولى وامتصاصها صدمات العدوان المتكرر الذى تعرضت له .

فى الصناعات العامة تقرر أن تتضمن الخطط تشغيل مصنع السماد الذى تم تدميره فى السويس بطاقة انتاجية قدرها ٢٥٠ ألف طن ، ومصنع ورق الكرافت بطاقة انتاجية ١٨ ألف طن ، وإقامة مصنع للاسمنت بطاقة انتاجية مليون طن ، ومصنع المجير قوته ١٠٠ ألف طن .

وفى الصناعات البحرية تقرر انشاء ترسانات وأحواض عائمة فى كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس لسفن حمولة ١٢٠ ألف طن .

وفى الصناعات الغذائية تقرر إقامة ثلاثة مشروعات لتبريد الأغذية بالمدن الثلاث بقوة ١٠ آلاف طن لكل مشروع ، ومصنع للزيوت ينتج ١٢

ألف طن زيت و ٢٠ ألف طن كسب ، ومحطة لفرز الموالح بالاسماعيلية طاقتها الانتاجية ١٠ آلاف طن ، ومحطات لصناعة الزيوت بسيينا والاسماعيلية بطاقة ٦٠٠ طن ومصانع لتجفيف الخضر واللحوم والأسماك وتعليبها بطاقة ١٠ آلاف طن ومصانع لتعبئة الفاكهة وأخرى لصناعة البيرة بطاقة ٢ مليون لتر .

وفي صناعات الغزل والنسيج تقرر انشاء وحدة غزل لانتاج ٥ آلاف طن غزل في السنة ، ووحدة نسيج لانتاج الأقمشة الثقيلة بطاقة ٣ ملايين متر ، ووحدة لانتاج شبك الصيد النايلون .

وفي الصناعات البترولية تقرر انشاء مصنع لتكرير البترول في السويس ، ومصنع للمبتروكيماويات ، ومصانع للغازات الصناعية في كل من السويس وبورسعيد .

وفي صناعات المناجم تقرر انشاء صناعات للنحاس والمنجنيز والقصدير والتنجستين والرخام ورمل الزجاج والطفلة الكربونية والفوسفات والحديد والفحم والرمل السوداء والجبس والكبريت .

وفي الصناعات الكهربائية والالكترونية تقرر انشاء مصنع لانتاج الأجهزة اللاسلكية والالكترونية والراديو والتليفزيون .

وكان معنى هذه القرارات الجديدة أن النية كانت تتجه ليس الى مجرد تعويض منطقة القناة عن سنوات العناء فقط ، بل والى أن تصبح سيينا مع مدن القناة اقليما واحدا ، متكاملا اقتصاديا واجتماعيا ، حصينة من الواجهة العسكرية ، ترتبط بدلتا النيل .

حول التمويل والمساهمات الخارجية

كانت خطط التعمير تدرس منذ اليوم الأول لانسحاب القوات الاسرائيلية ابتداء من منطقة الكيلو ١٠١ بطريق السويس . وكانت نتائج الدراسات تبحت ولم يمر أكثر من أسبوع من بدء الانسحاب ، وفي اجتماع مشترك بين وزارتي الاسكان والتعمير شارك فيه رؤساء مؤسسات وشركات المقاولات وهيئات المياه والمجارى وغيرها من الأجهزة ، فأُسفرت المناقشات عن أن الطاقة التنفيذية التي كانت متاحة في ذلك الوقت لدى الشركات والمؤسسات تمكناها من البدء فوراً في تنفيذ مشروعات بنحو ستة ملايين جنيه شهريا ، وان هذه الطاقة يمكن مضاعفتها الى ١٢ مليون جنيه

شهريا فى حالة تزويد جهاز المقاولات بمعدات اضافية لأغراض التعمير ،
ثم الى أربعة أمثالها فى حالة تقرير الاعتمادات الاضافية اللازمة للتوسع فى
ميكنة شركات المقاولات ، مع توفير الامكانيات اللازمة من مواد البناء المنتجة
محليا أو المستوردة من الخارج . وعلى هذا الأساس قرر مجلس الوزراء
بجلسته فى ٣١ يناير ١٩٧٤ اعتماد ٢٠ مليون جنيه كدفعة أولى للبدء
فورا فى التنفيذ ، على أساس تدبير نصف هذا المبلغ باعادة النظر فى
مشروعات قطاعات الصحة والتعليم والتشييد والصناعات والمواصلات
بالنسبة للجمهورية ، واعتماد النصف الآخر ضمن ميزانية ١٩٧٤ .

ووضعت خطة عاجلة لتحديد أوجه انفاق المبلغ المعتمد ، على أساس
البدء بالأهم فالمهم ، فكان على رأس قائمة الانفاق الاسراع بالاجراءات
التنفيذية لصرف التعويضات لمن أضراروا من أهل المنطقة الباسلة بسبب
الحرب ؛ وفى مجال الري والانتاج الزراعى تطهير مجرى ترعة السوييس
وترميم الجسور لتوصيل مياه الشرب للمدينة خلال شهر واحد ؛ واقامة
كبارى مؤقتة على ترعة الاسماعيلية ، وتطهير المصارف ليشرع الفلاحون
فى زراعة أراضيهم .

واعتمدت وجوه أخرى للانفاق العاجل . ففي مجال الكهرباء قررت
الخطة تدعيم وحدات الديزل القائمة بوحدات متنقلة ، وسرعة اصلاح خطوط
الضغط العالى ومحطات المحولات .

وفى قطاع النقل قدرت تلفيات خط سكة حديد الاسماعيلية بورسعيد
بنحو ١١ مليون جنيه ، فتم اعتماد مليون جنيه لعمليات الترميم الأولى ،
كما تقرر أن يسند لشركة المقاولين العرب ترميم مينائى بور ابراهيم
والأدبية فى حدود مليونين من الجنيهات .

وتضمنت الخطة بالنسبة للصناعة البدء بتشغيل مصنع السماد
بطاقة ربع مليون طن سنويا باستثمارات ٦ ملايين جنيه .

وتقرر اعتماد ٧٠٥ آلاف جنيه لترميم المساجد والكنائس مع ترك
مسجد وكنيسة بدون ترميم فى كل مدينة من المدن الثلاث رمزا للعدوان ،
كما تقرر ترميم مبانى وزارات العدل والداخلية والتربية والتعليم وتزويد
كل مدينة بمركز لتدريب عمال المبانى بما تبقى من المبلغ المعتمد .

ثم حدث الانقلاب الكبير فى التخطيط عندما طالب الرئيس السادات
بأن يجرى التعمير وفق استراتيجيات اقتصادية وعسكرية كما سبق القول .
فبعد اعادة النظر فى متطلبات تنفيذ هذا التوجيه الجديد السديد ، أعلن
وزير التعمير ان الدراسات الشاملة أسفرت عن أن تعمير القناة وسيناء

سوف يتكلف (٣٦٠٠) مليون جنيه خلال السنوات الخمس ١٩٧٨/٧٤ ،
وان موارد مصر تكفى للوفاء بثالث هذا المبلغ على أساس توجيه جانب
كبير من اعتمادات المجهود الحربى الى مشروعات التعمير . وقد وزعت هذه
المبالغ على النحو التالى :

٤٥٠	مليون جنيه	لتعمير مدينة بورسعيد .
٢٨٠	»	» لتعمير مدينة الاسماعيلية .
٦٤٠	»	» لتعمير مدينة السويس .
١٥٠	»	» لانشاء خمسة أنفاق على طول القناة .
٢٢٠	»	» لانشاء الموانئ بمدن القناة الثلاث .
٣٥٠	»	» لانشاء المناطق الحرة ببورسعيد والسويس .
٣٥٠	»	» للمصانع .
٢٨٣	»	» للطاقة الكهربائية .
٢٧٠	»	» للزراعة وإستصلاح الأراضى .
٣٤	»	» للرى والصرف .
٣٥	»	» لمشروعات الثروة الحيوانية والسمكية .
١٠٦	»	» للمواصلات والطرق .
٣١٠	»	» للمشروعات السياحية .

وعلى ضوء ضخامة هذا المبلغ وما سوف يلقيه من عبء كبير على
كاهل الاقتصاد الوطنى ، بدأ يتراقص فى سماء الفكر المصرى سؤال عادل
وملح : (هل نحن مسئولون عما أصاب منطقة القناة من الدمار ؟) .
وكانت الاجابة واضحة ولا تحتاج الى تفكير أو تردد ، فنحن لم نسع الى
الحرب وانما غيرنا هو الذى اعتدى علينا واحتل أراضينا ودمر مدتنا ،
وهذه حقيقة يدركها العالم كله ، بقدر ما يدرك أن المسئولية تقع أساسا
على هذا الغير المعتدى وعلى من وقف معه وعاونه فعلا أو قولا . ومن جهة
أخرى فإن فتح قناة السويس ، وتعمير منطقة هذه بالتبعية ، لا يخدم
مصر بقدر ما يخدم العالم كله ، وبالتالي فإن مسئولية إعادة الملاحة الى
القناة وتعمير منطقة القناة تمتد الى العالم كله . واستنادا الى هاتين
الحقيقتين ، وتطبيقا للقانون الدولى فى نفس الوقت ، فإن من حقنا أن
نحصل على تعويضات حرب من الذين تسببوا ظاهرا أو باطنا فى اغلاق
القناة وتدمير منطقتها .

واجتمع مجلس الوزراء ليصدر قراره ، بعد ست ساعات من المناقشات بدعوة بلاد العالم للاسهام فى مشروعات تطهير القناة وتعمير مدنها . واذا كانت عقدة الذنب قد أخذت بتلابيب الدول التى ظهرت اسرائيل ايجابيا أو سلبيا منذ قيامها ، فقد كان لانتصارات السادس من أكتوبر فضل احيائها فى نفوس تلك الدول ، خصوصا بعد أن فتحت الدول العربية القادرة خزائنها للمشاركة فى تضييد جراح مصر .

وانهالت العروض ، بعضها هبات وبعضها قروض وبعضها فى صورة مساهمة بالخبرات . وقبلت مصر بعضها واعتذرت شاكرة عن قبول البعض الآخر .

تقدمت فرنسا بعرض للاسهام بالخبرة الفنية والتمويل فى مشروعات التعمير بمحافظات القناة وسيناء ، وتقدمت ألمانيا الاتحادية فى نفس اليوم بمشروعات صناعية متكاملة فى سيناء ، من بينها اقامة مصانع ومناجم لاستغلال الموارد الطبيعية والمواد الأولية . ومن حيث التصنيع ، تضمن العرض الفرنسى مشروعا من شركة رينو ، كما تضمن العرض الألمانى مشروعا من شركة مرسيدس ، لاقامة مصنعين لانتاج السيارات بالمنطقة الحرة التى ستقام فى بورسعيد .

وبدعوة من الحكومة الإيرانية ، سافر نائب رئيس وزراء مصر الى ايران فى العشرين من مايو ، ليعود بعد ستة أيام بتقرير مفصل عن اتفاقات بلغ حجمها ألف مليون دولار ، تضمنت بالنسبة لمنطقة القناة أولا المساهمة فى تعمير مدينة بورسعيد بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار لتمويل عمليات بناء المدارس والمستشفيات والتعمير والاسكان والمياه والمجارى والطرق كقرض بشروط اثتمانية سهلة وبسعر فائدة منخفضة ، وثانيا المساهمة فى مد خط جديد لأنابيب البترول بين السويس وبورسعيد لنقل البترول الى أوروبا على أساس انه مشروع متعدد الأطراف يمكن أن تساهم فيه الدول المعنية ، مع امكانية اقامة عمليات تصنيع بترولية الى جانب الخط . وكان توجيه الرئيس السادات هو أن تعطى ايران أسبقية أولى فى المناطق الحرة ببورسعيد بعد ان قبل شاه ايران فكرة أن يكون لبلاده منفذ على البحر الأبيض المتوسط ، وأن لا تكون علاقات مصر بايران مقتصرة فى النواحي التجارية والاقتصادية بل تمتد لتشمل آفاقا أخرى أكثر اتساعا بما فيها المجال الثقافى أيضا .

وما كان للنخوة العربية أن تسمع بعروض ايران دون أن تدخل الحلبة ، فلم تمض أيام ثلاثة حتى أعلنت الكويت استعدادها للمساهمة فى تعمير منطقة القناة باعادة بناء مدينة بورسعيد كلها ، مهما بلغت التكاليف .

واستمر التقدم بالعروض . ففي الثاني من يونيو ١٩٧٤ وصل وزير خارجية الدنمارك ليوقع مع مصر اتفاقيتين ، نصت احدهما على أن تقدم الدنمارك لمصر قرضا قيمته تسعة ملايين من الدولارات بدون فوائد ، على أن يبدأ سداده بعد ٢٥ سنة .

وفي اليوم التالي مباشرة وصل ممثل لعدد من البنوك الأجنبية ، هو المالى الكبير زاميتاكس ، ليقرر أن البنوك التى يمثلها قررت تقديم قرض مقداره ٣٠٠ مليون دولار للبنك المركزى المصرى ، وأن سندات هذا القرض ستطرح على بنوك العالم فى منتصف أغسطس . ولم يفت المالى الكبير أن ينوه بأن هذا المبلغ هو مجرد (فتح نفس) ، وبأنه يتوقع أن يرتفع القرض بعد فترة الى ٣٠٠٠ مليون دولار .

وعندما تحركت أمريكا ، فى اطار التحول الأمريكى الذى سبق أن فصلنا أسبابه فى فصل آخر من هذا الكتاب ، رأت ايفاد وزير خزانتهما للتعرف على مطالب مصر بالنسبة للاستثمارات الأمريكية ، مع الحرص على دراسة المشروعات التى أعدتها مصر لتعمير منطقة القناة وبخاصة المشروعات الصناعية والبترولية والزراعية والمناطق الحرة والموانئ ومشروعات السياحة والخدمات . وضمن بيانه الذى أذاعه بالقاهرة فى السادس عشر من يولية ١٩٧٤ ، قرر أن أمريكا ستراعى أفساح المجال لاستثمار رؤوس الأموال الأمريكية فى منطقة القناة وأنه استطاع أن يتفهم مشروعات التعمير وسيوفد عددا من خبراء أمريكا الى القاهرة لاجراء دراسات تفصيلية عن هذه المشروعات ، كما طلب اتاحة الفرصة أمام الصحفيين الأمريكيين للتعرف على ما عرفه هو ونقله الى الشعب الأمريكى ليدرك مدى قيمة هذه المشروعات .

وبعد أسبوع واحد من زيارة وزير الخزانة الأمريكى لمصر ، تقدم ستون مكتبا هندسيا من تسع دول كبرى بمشروعات ، بعضها بغطاءات ، لاعادة تخطيط بورسعيد التى كان معظم الاهتمام الخارجى موجهها اليها ، بعد أن اطمأنت تلك المكاتب الى أقبال العالم بأمواله للمساهمة فى تعميرها .

وازاء العروض الأمريكية السخية ، هبت النخوة العربية من جديد تنحدى على نحو أذهل العالم . ففي الأول من أغسطس قرر الملك فيصل أن يقدم الى شعب مصر هدية مقدارها ألف مليون دولار تسلم الى الحكومة المصرية على دفعتين ، الى جانب قرض بلا فوائد قيمته خمسمائة مليون دولار تسدده مصر على أقساط طويلة الأجل . ووفاء من مصر تقرر أن يكون إحدى أحياء مدينة السويس باسم « حى الملك فيصل » وسيكون الحى بمدخل المدينة حيث يجرى انشاء :

• ٣٠٠٠ وحدة سكنية اقتصادية •

• ١٠٠ وحدة سكنية حرفية •

• ٤٠٠ وحدة سكنية ريفية •

كما تقرر أن يبني حي جديد في الاسماعيلية يحمل اسم الشيخ خليفة بن حمد آل ثان حاكم قطر الذي تبرع بمبلغ ٥٠ مليون دولار لهذا الغرض على أن يقوم الشباب بانشائه وتكون الأولوية للسكن فيه للشباب أنفسهم •

كما تبرع حاكم أبو ظبي بمبلغ ١٠٠ مليون دولار لأغراض التعمير •

ورغم هذه العروض بالمال أو المساهمة، لم تصدر من مصر كلمة واحدة تستدر ثقة العالم باقتصادها استمطارا للمزيد من العروض ، بل التزمت كما هي عاداتها الصمت تاركة الواقع يحدث عن نفسه • ولقد تحدث الواقع على لسان وزارة التجارة الأمريكية ، في تقرير هام أصدرته بعد الدراسة العميقة الواعية •

أكد هذا التقرير الذي صدر في السابع والعشرين من سبتمبر ١٩٧٤ ان الاقتصاد المصري يتحسن باستمرار نتيجة السياسة المصرية بعد السادس من أكتوبر ، وأن الظروف الاقتصادية في مصر تتحسن بسبب الاستثمارات الضخمة والمساعدات التي حصلت عليها مصر بعد أن أصبحت محل ثقة دول العالم أجمع •

وذكر التقرير أن عددا كبيرا من الشركات الأمريكية يعمل بالفعل على الاستفادة من المناخ المتحسن ، وأن كثيرا من المنشآت والمؤسسات أعربت عن رغبتها في المشاركة في تعمير منطقة قناة السويس التي تتطلب استثمارات بآلاف الملايين من الدولارات ، وأن المناقشات تجري على قدم وساق حول مشروعات استثمارية تزيد قيمتها على ثلاثة آلاف مليون دولار ، وتتراوح بين مجمعات صناعية ضخمة للبتروكيماويات وتكرير البترول واقامة المناطق الحرة على طول قناة السويس •

بهذا الاقتصاد المتين ، والمساهمات العربية وغير العربية في شتى صورها ، أمكن الاستقرار على مشروعات ثابتة لتعمير المنطقة حسب خطط واضحة تجعل منها اقليما جديدا تماما عمرانيا واقتصاديا وصناعيا وسياحيا واجتماعيا •

واعتبرت خطط عام ١٩٧٤ مرحلة أولية في معركة التعمير ، وبلغ حجم الاستثمارات التي خصصت لها مائة مليون جنيه •

ووضعت خطط معدلة لعام ١٩٧٥ لتكون بمثابة مرحلة انتقالية ،
وتحدد حجم استثمارات بمبلغ ٢٨٠ مليون جنيه .

واعتبرت خطط العاميين معا منطلقا لخطة خمسية كبيرة يبدأ تنفيذها
من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨٠ ، بتكاليف حجمها ١٢٠٠ مليون جنيه .

وهكذا يمكن القول بأن المنطقة الباسلة لم تضح هباء بطولاتها التي
عانت بسببها ما عانت من تدمير وتشريد ، وأن الوطن لا ينسى تضحيات
أبنائه في سبيل الاستمساك بما عرف عن مصر من اصرار وإباء .

تطهير القناة

في السنوات التي سبقت الستينيات كانت قناة السويس تتحكم في
بناء ناقلات البترول بالذات ، فكانت كل ترسانات العالم البحرية تسأل ،
ومشروعاتها لا تزال رسوما على الورق ، عن المواصفات التي تتيح لناقلاتها
الجديدة عبور قناة السويس . وبذا كان بناء الناقلات وتطوير القناة
يسيران جنبا الى جنب بما يشبه الرتابة ، فكان غاطس القناة يزيد قدما
كل عام ، فيزيد معه غاطس كل ناقلة جديدة بنفس المقدار . وعندما
أنفقت مصر بعد تأميم القناة ٩٢ مليون جنيه ليزيد عمق القناة من ٣٥
قدما الى ٣٨ قدما مرة واحدة ، بدأ يومها ان القناة قد أحرزت على صناعة
الناقلات تفوقا يصعب اللحاق به قبل عشرين عاما .

ثم حدث في منتصف الستينات أن تمكنت الترسانة البحرية
اليابانية لأول مرة من بناء ناقلات بترول حمولتها ٢٥٠ ألف طن ، ومنذ
ذلك الحين بدأ النقاش حول مستقبل قناة السويس ، وتصورت بعض
الآراء أن قصب السبق قد أفلت منها تماما ، وأن عليها أن تتخلى عن دورها
كأنبوب الزيت الى العالم الغربي وأن تقنع بوظيفة متواضعة كمعبر ملاحى
لسفن البضائع . وكان على رأس ما قدمته تلك الآراء المتشائمة من أسانيد ،
ان اقتصاديات التشغيل أكدت أنه حتى الناقلات فوق المتوسطة حمولة ١٥٠
ألف طن تأخذ طريقها عبر القناة ، وأنه لم يعد هناك من ثم مبرر لارتباط
حجم سفن وناقلات المستقبل بمستقبل القناة . وفي نفس الوقت ، كانت
أكثر الآراء تفاؤلا ترى أن أهمية القناة كأنبوب للزيت لن تمتد أكثر من
عشرة أو خمسة عشر عاما أخرى على أكثر تقدير ، هي السنوات الباقية
من عمر وحدات الأسطول العالمى لناقلات البترول المتوسطة والصغيرة التي
بنيت فيما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٦٠ ، خصوصا وأن ما يتم (تخريده)

من هذه الوحدات يجرى استبداله ، كاتجاه شامل فى ترسانات العالم ،
بوحدة من فوق ١٥٠ ألف طن .

وفى مواجهة الموقف ، أعلنت هيئة القناة قبل عام ١٩٦٧ عن عزمها
على تعميق القناة الى ٤٠ قدما عام ١٩٦٨ ، ثم اضافة عشرة أقدام ، أخرى
خلال السنوات الأربع التالية حتى يتاح للناقلات حمولة ١٠٠ ألف طن
استخدام القناة . ولكن اغلاق القناة أفسد هذه المشروعات ، مما أدخل
على النفوس القلق من جديد ، خصوصا بعد أن أعلنت هيئة القناة فى عام
١٩٧١ ، بعد أربع سنوات من وقف الملاحة فى القناة ، أن تطهيرها يقتضى
سنة أشهر ليصل عمقها الى مجرد ٣٤ قدما ، تزداد الى ٣٨ قدما ثم الى
٤٠ قدما بعد ستة أشهر أخرى ، وأن نفقات التطهير حسب تقديرها فى
ذلك العام سوف تتجاوز المائة مليون دولار .

ثم كان أكتوبر العظيم . وانسحب العدو الاسرائيلى بعد التلكؤ
المفتعل الى مسافة تكفل للقناة الأمن عند الشروع فورا فى تطهيرها . واذا
كان الرئيس السادات قد أعلن عن استعداد لفتح القناة للملاحة الدولية
بمجرد انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ، فقد أردف اعلانه ،
والعدو ما زال يتعثر منسحبا بقلوله من حيث أتى ، بقرار لا يقل شجاعة
عن قرار المعركة ، هو أن تطوير القناة لن يتوقف عند حد ، وانها سوف
تتطور مع مشروعات بناء الناقلات العملاقة أيا كانت الأحجام التى تصل
اليها ، حتى تظل القناة أرخص وأقصر الطرق بين الشرق والغرب ، خصوصا
وأن جغرافية القناة تقبل التوسع تجاه الشرق توسعا غير محدود .

وكما هى العادة ، لم يصدر الرئيس السادات قراره هذا عفوا أو
لمجرد التحدى ، بل بعد حسابات دقيقة أكدت أن استسلام مصر للخطر أزاء
مشروعات تطوير الناقلات العملاقة لن يؤدي فقط الى فقدان القناة لمركزها
السياسى ، بل وسيفقدتها أيضا غائدها الذى يشكل مرور البترول ٧٥٪
منه . وإلى جانب هذه الحقيقة ، أسفرت الحسابات والدراسات عن عوامل
أخرى .

لقد بدا واضحا منذ اللحظة الأولى أن كلا من الولايات المتحدة
الأمريكية والاتحاد السوفييتى يتهافتان على السعى للاسراع بتطهير
القناة . وإذا كان دافع الروس هو ادراكهم لمزايا القدرة على ارسال
أساطيلهم عن أقصر طريق الى المحيط الهندى ، فقد كان دافع الأمريكين
رغم قلة مكاسبهم من الناحية الاستراتيجية ، هو ما يروونه فى إعادة فتح
القناة أولا من تحقيق خطوة أولى مجددة فى سبيل اقرار تسوية سياسية
دائمة فى الشرق الأوسط ، وثانيا من عائد كبير على مصالح العالم الغربى

الذى تصر أمريكا على أن تنزعمه ، بعدما نزل بهذا العالم من أضرار ثبت أن مرجعها اغلاق قناة السويس في وجه الملاحة الدولية .

ثبت أن اغلاق القناة ، فضلا عما ترتب عليه من زيادة المسافة بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح بنسبة ٧٠٪ ، قد أدى الى زيادة هائلة في تكاليف النقل حاق أثرها بكل الدول المستهلكة للبترول دون استثناء .

وثبت من آخر تقرير لبنك إنجلترا عن أثر القناة على اقتصاديات أوروبا ، أن اغلاق القناة قد أثر على ميزان المدفوعات البريطاني بما يعادل ٢٥٠ مليون دولار سنويا ، وأن الحكومة الفرنسية تحملت في برنامج تعويض شركات الزيت عن الزيادة في تكاليف النقل ما يعادل ١٣٥ مليون دولار كل عام ، وأن ألمانيا تكبدت نتيجة هذه الزيادة ما يعادل ١١٠ ملايين دولار سنويا ، وأن نصيب إيطاليا من هذه الزيادة بلغ ٢٥ مليون دولار . وعندما يجمال تقرير بنك إنجلترا آثار اغلاق القناة على أوروبا فهو يضع في اعتباره أن استهلاك هذه الدول الأربع يعادل ثلثي استهلاك أوروبا من الزيت ، وأن خسارة أوروبا من ثم تصل الى بليون دولار سنويا .

وثبت من آخر تقرير اقتصادى للأمم المتحدة ، أعدته مجموعة من الخبراء العالميين الاقتصاديين بتكليف من سكرتارية مؤتمر التجارة والتنمية في جنيف ، أن اغلاق قناة السويس منذ عام ١٩٦٧ قد كلف العالم خسائر اقتصادية تصل الى سبعة آلاف مليون دولار حتى نهاية عام ١٩٧١ ، بالإضافة الى ١٧٠٠ مليون دولار سنويا خلال عامي ٧٢ ، ١٩٧٣ ، وأن إعادة فتح القناة سوف يخفض تكاليف شحن البترول من الخليج العربى والبحر الأحمر الى دول أوروبا بنسبة كبيرة ، وأن النظرية التى ترددت حول امكان الاستعاضة عن القناة باستخدام ناقلات البترول العملاقة قد ثبت فشلها خاصة بعد ارتفاع تكاليف بناء وتشغيل هذه الناقلات منذ عام ١٩٧٠ ، وأن أسعار الشحن البحرى قد ارتفعت دون مبرر بسبب اغلاق القناة التى ستظل أكثر الطرق البحرية اقتصادا لسنوات بعيدة قادمة خاصة بعد تعميقها ، دون أن ينال من ذلك أن خط الأنابيب بين السويس والاسكندرية سيكون أقل تكلفة من القناة نفسها فى نقل البترول الخام الى أوروبا .

وثبت من تقارير الخبراء التى انهالت على الصحف العالمية بمجرد بدء انسحاب العدو ، أن موجة من الحذر قد بدأت تسود رأس المال العامل فى نقل الزيت ، تجاه بناء الناقلات العملاقة ، مصدرها أن الغاطس فى معظم الموانئ بما فيها غاطس ميناء لندن الذى يعتبر أعرق موانئ العالم (٥٢ قدما)

ستعجز عن استقبال هذه الناقلات ، كما أن خزانات الزيت في هذه الموانئ لن تقدر أبداً على استيعاب حمولة ناقلة واحدة من هذه الناقلات العملاقة .

وثبت من هذه التقارير أن الانقلاب الذي أحدثته الناقلات العملاقة ترك أسوأ الآثار على أسعار النقل وسوقها العالمية بعد أن أصبح في مقدور هذه الناقلات قبول أسعار أقل من جداول أسعار النقل العالمي ، وإن سوق النقل الدولية تحولت بذلك إلى مضاربات لم يصمد فيها سوى الاحتكارات الضخمة ، مما هدد بطرد رؤوس الأموال المتوسطة من السوق العالمية وانزل الخراب بأكثر من بيت بحري في العالم .

كما ثبت من هذه التقارير أن أبسط إشارة لقرب حدوث تسوية سياسية في الشرق الأوسط ، كانت تكفي دائماً لايقاظ الاهتمام من جانب صناعة الملاحة البحرية ، وأن شركات الناقلات البترولية منذ اليوم التالي للسادس من أكتوبر قد بدأت في اخراج الخرائط والرسوم من أضاويرها ، وبدء عملية تقويم جديدة لبناء الناقلات (وفي الذهن القناة) ، كما كان الحال قبل عدوان ١٩٦٧ .

وبعد ، فتلك كانت بعض نواتج الحسابات التي خامرت الذهن المصري في صدد إعادة فتح القناة ، ولذا لم تتردد وزارة التخطيط في إدراج ١١ مليون جنيه للبدء فوراً في تطهير القناة ضمن مشروع خطة التنمية لعام ١٩٧٤ التي قدمتها لمجلس الشعب في العشرين من ديسمبر ١٩٧٣ .

ولم يكن من اليسير الاستجابة فوراً لما يخامر النفوس من شوق إلى فتح القناة ، إذ كان يجب قبل هذا أن يتم تنفيذ خطة التعمير العاجلة التي تحدد لانتهائها شهر فبراير ١٩٧٤ ، والتي كانت تتضمن انشاء المساكن والمرافق والطرق اللازمة لاستقبال من سيعملون في مشروعات تطهير القناة . وفي هذه الأثناء لم يضع الوقت هباء ، إذا توالى الاتصالات بين كل من المهندس عثمان أحمد عثمان وزير التعمير ، والمهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة القناة ، للتنسيق بين مشروعات التطهير ومشروعات التعمير على الضفتين الشرقية والغربية للقناة ، ولايجاد صيغة من النكامل بين الاثنين وخاصة فيما يتعلق بانشاء الانفاق الخمسة التي ستمر تحت القناة للربط بين ضفتيها .

وبحلول الأول من فبراير كانت خطة التعمير العاجلة على وشك الانتهاء ، كما كان المبلغ المعتمد للتطهير قد تعدل بجلسة مجلس الوزراء يوم ٣١ يناير ليصبح ١٥ مليون جنيه ، منها عشرة ملايين بالعملة الأجنبية ، لبدء المرحلة الأولى من عملية تطهير القناة التي قدرت تكاليفها

الاجمالية بحوالى ٦٠ مليون جنيه ، والمتوقع أن تحقق دخلا سنويا قدره ٢٥٠ مليون جنيه . فأما خطة مرحلة التطهير هذه فكانت تستهدف رفع العوائق وتطهير المجرى الملاحي بحيث يكون صالحا خلال ستة شهور على أكثر تقدير لمرور الناقلات حمولة ٧٠ ألف طن ، وهى ذات الحمولة التى كانت تمر بها قبل اغلاق القناة اثر عدوان ١٩٦٧ ، وأما خطة التطوير التى وضعت لتعقب خطة التطهير ، فقد تقرر ان تبدأ مع بدء الخطوات الأولى لاعادة الملاحة الى القناة وتنتهى مع الضغط خلال ستة الى سبعة أعوام ، على مرحلتين تقرر ضمنا أن تستهدف أولاها زيادة القطاع المائى من ١٨٠٠ الى ٣٢٠٠ متر مربع بغاطس ٥٣ قدما ، وأن تستهدف المرحلة التالية لذلك زيادة القطاع الى ٤٢٠٠ متر مربع بغاطس يصل الى ٦٧ قدما . واذا كانت مرحلة التطوير الأولى ستسمح بمرور السفن حمولة ١٥٠ ألف طن ، فسوف تسمح المرحلة الثانية بمرور الناقلات العملاقة حمولة ٢٦٠ ألف طن . أما من حيث التكاليف ، فقد كان التقدير الأول لمشروع التطوير حوالى ٥٠٠ مليون جنيه ، منها ٢٨٠ مليونا بالعملة الأجنبية .

وعن ثقة تامة بمستقبل القناة ، انهالت العروض على مصر تطلب المساهمة فى المشروع الضخم . عروض من الدول العربية وبنك التنمية الكويتى والبنك الدولى ومختلف الدول صاحبة المصلحة فى اعادة فتح القناة وتطويرها ، وفي مقدمتها دول أوروبا واليابان . كما لم تعد تكاليف التطوير تشكل أية متاعب بعد هذه العروض ، فان مشكلة الأيدى العاملة لم يكن لها أى اعتبار بالنسبة للمشروع ، نظرا لما تملكه هيئة القناة من ثروة بشرية لا تقدر بمال . واذا كان عدد من الدول الأفريقية والعربية والصديقة قد استعان ببعض الخبراء والفنيين من الهيئة لمعاونتها فى فترة توقف الملاحة ، فقد عادوا فور الاشارة باستئناف العمل .

وافتح سلاح المهندسين المصرى ميدان العمل فى الحادى عشر من فبراير ، برفع الألغام والقنابل من مجرى القناة فى القطاع الممتد من القنطرة حتى مدينة بورسعيد شمالا ، كمرحلة أولى لتمكين هيئة قناة السويس من بدء عملها فى التطهير ، كما استقر رأى على أن يتم العمل فى تلاحق مستمر فى كل منطقة تنتهى القوات المسلحة من تطهيرها من القنابل والمفرقات والألغام فى المجرى الملاحي وعلى جانبي القناة ، على أن يكون الهدف الذى يسعى اليه الطرفان هو اخراج ١٤ سفينة محتجزة بمنطقة جنوب البحيرات وسفينة واحدة ببحيرة التمساح ، حتى يتسنى فتح القناة بأسرع ما يمكن وفى أقل وقت لخدمة الملاحة العالمية .

ومضت خمسة أيام على بدء العمل الجاد الشاق ، ولمس العالم كله الجهد المصرى المبذول فبدأ يتحرك جديا لوضع عروضة التمويلية موضع

التنفيذ . وكانت اليابان فى مقدمة الصف ، وفى التاسع عشر من فبراير وقعت مع مصر اتفاقا تحصل مصر بمقتضاه على قرض قيمته ١٤٠ مليون دولار كمساهمة فى أعمال تطهير وتطوير القناة .

وفى الأمم المتحدة ، بدأ يسود اتجاه قوى نحو انشاء مجموعة اقتصادية دولية تساعد فى إعادة فتح وتوسيع قناة السويس ، كما أظهرت المجموعة الأمريكية استعدادها للقيام بهذا العمل والتعاون مع البنك الدولى .

وضاعفت الأموال التى بدأت تتجه الى مشروعات القناة من سرعة ايقاع تنفيذ الخطة العاجلة ، لدرجة أنه بحلول السابع والعشرين من فبراير كانت هيئة القناة قد تمكنت من تطهير ميناء بورسعيد من العوائق التى كانت غارقة فيه ، بانتشال ٢٥ وحدة بحرية تابعة لها وبدأت فى ترميمها واصلاحها ، كما كان سلاح المهندسين قد قام برفع الألغام والقنابل والمواد الناسفة من الميناء . وعند هذه الحدود الأولى من تطهير القناة ، تنالت طلبات عنصر جديد ، هو المرشدون الأجانب الذين كانوا يعملون بالهيئة قبل عدوان ١٩٦٧ ، والذين رحبوا بالعودة للعمل فى القناة بمجرد استئناف الملاحه فرحبت الهيئة بطلباتهم .

كانت الدلائل كلها تدل على أن مشروعات إعادة فتح القناة ستجعل من مشروع فرديناند ديلسبس الأصلى لحفر القناة مجرد مشروع قزم ، وأن القناة فى صورتها الجديدة ، بعد سنوات التطوير ، ستكون ممرا مائيا يليق باحتياجات العصر ، ويلبى حاجة قارات العالم لا الى معبر للنفط فحسب ، بل كملتقى تنصل عنده القارات لتتبادل المنافع ، وتتقارب الثقافات فى عالم اختزلت فيه المسافات ولم يعد له مركز واحد فقط .

هذه الحقائق وغيرها أدركتها الدول الكبرى ، ولم يكن غريبا بعدها أن تتقدم كل من انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية عارضة المساهمة فى مشروعات تطهير المجرى الملاحي عمليا بكاسحات الألغام . ولم تتردد مصر فى القبول ، فالمجرى عالمى انتفاعا وأن كان مصريا امتلاكاً ، ومن حق الدول المنتفعة به أن تساهم فى اعداده لخدمة البشرية من جديد .

وكانت أجهزة هيئة القناة قد بدأت فى الخامس والعشرين من مارس فى ازالة السد الحجرى الذى أقامه العدو عند منطقة الدفرسوار خلال وجوده بها لسد مجرى القناة ، والذى كان مكونا من كتل خرسانية واحجار تزن الواحدة منها ما بين خمسة وعشرة أطنان جعلت منه جسرا ضخما ، حجمه ٣٠٠ ألف متر مكعب وطوله بين الضفتين حوالى ٢٥٠ مترا وعرضه عند المسطح ٢٠ مترا وعند القاع مائة متر . حتى اذا ما تقرر قبول مساهمة كل من انجلترا وأمريكا فى تطهير القناة بأسطولييهما ، وما اقتضاه ذلك

من دفع عجلة الاعداد لعملية تطهير المجرى ، نقرر الاستعانة بجهود شركة
المقاومين العرب للاشتراك مع هيئة قناة السويس فى ازالة السد .

وبدأت الجهود لرفع الأحجار فى مسافة ٦٠ مترا وسط السد لتيسير
حركة المعدات البحرية الصغيرة أولا داخل القناة . كما بدأت الكراكة
خوفو التى كانت محجوزة فى البحيرات المرة ، بعد أن تم اصلاح عنابرها
التي كان العدو قد أشعل النار فيها عملها فى ازالة الجزء المغمور من
السد تحت الماء . وفى نفس الوقت ، بدأ رفع أحجار جسم السد بالأوناش
وجرها بالجرارات الى خارج المجرى ، وانتشال عشرة عوائق كبيرة و ٥٥
عائقا كانت تعترض مجرى القناة .

وفى السابع من ابريل ١٩٤٧ وصلت ميناء بورسعيد أول مجموعة من
القطع البحرية الأجنبية التى اشتركت فى عملية التطهير ، وكانت عبارة
عن أربع كاسحات ألغام بريطانية ، لتجد الميناء معدا من كل الوجوه
لاستقبالها ، بأعداد المراتب وتوفير الوقود والمياه والمواد التموينية اللازمة
لتشغيل قاطرات التطهير والقطع البحرية والأطقم العاملة عليها .

ثم وصلت باقى القطع البحرية البريطانية والامريكية تباعا . وبدأت
سلسلة من الاجتماعات بين خبراء هيئة القناة والخبراء البريطانيين
والأمريكيين لاعداد الترتيبات النهائية للبدء فى عملية التطهير ، تقرر بعدها
نفسيم العملية الى قسمين ، يتعلق الأول بتطهير شواطئ القناة من الألغام
انغارقة فيها أو المدفونة على جانبيها بمعرفة سلاح المهندسين ، ويقضى
القسم الثانى بتطهير المجرى الملاهى وقاع القناة من القنابل والألغام والقطع
البحرية وغيرها من العوائق انغارقة فيه ، وذلك بمعرفة الوحدات البحرية
البريطانية والأمريكية بالمشاركة مع هيئة قناة السويس .

وبدأ سلاح المهندسين فى انجاز مهمته فى زمن مثالى . وكانت خطته
تتلخص فى تحديد مواقع الألغام والقنابل باستخدام مجسات خاصة ثم
نسفها فى مواقعها خشية انفجارها أثناء نقلها ، وقد تخصصت لهذه
العملية مجموعات من الأفراد على مستوى عال من الخبرة فى نسف
المتفجرات ، المدفونة على جانبي القناة فى القطاعات الشمالى والأوسط
والجنوبى من القناة .

والجدير بالذكر ان الطائرات بعد أن مسحت ميناء بورسعيد انحدرت
على طول القناة صوب الجنوب فى نطاق ممر جوى فوق القناة عرضة
أربعة أميال ، يحدده هوائى ضخمة شرقى بورسعيد وآخر غربها على
الساحل ، وتوجهها خمس محطات رادارية أيضا على جانبي القناة ، منها
ثلاث محطات متنقلة .

وتأتى بعد ذلك عملية تفجير اللغم بوحدة من طرق ثلاث ، أولاها خداع الألغام الممغنطة بقضيب تجره الطائرة فوق سطح الماء فينجذب اللغم اليه مغناطيسيا وينفجر ، والثانية خداع الألغام الصوتية بمحرك تجره الطائرة أيضا فوق سطح الماء فيجذب صوت دورانه اللغم الى المحرك وينفجر ، أما الثالثة فلم يكن لها غير المغامرة البشرية . فهي تختص بالأغام المضغط ، أشد أنواع الألغام فتكا والتي لم تبتكر وسيلة للإنجاة منها حتى اليوم ، فهي ترقد فوق القاع وتنجذب لناعية القوة الضاغطة عليها والناجمة عن ضغط أية سفينة أو لنش على الأمواج تحته ، فيتأثر بها اللغم الحساس ، ويندفع من القاع الى السطح حيث ينفجر في مسبب القوة الضاغطة .

هذا النوع الفتاك من الألغام كان يجب أولا تحديد موقعه ، وقد تصدت لهذه العملية ثلاث من صائدات الألغام البريطانية هي (يوسنجنون) ، و (ويلتون) و (ماكستون) . وكان بكل صائدة ستة من أجهزة البحث ، سونار ورادار وراديو ، لبعضها شاشات فى حجم شاشة التليفزيون مقاس ١٩ بوصة ، ومهمتها جميعا الاشتراك فى تفتيش القاع عاملة بالأشعة الصوتية التى ترتد حاملة نتيجة البحث ومحددة مكان اللغم الراقد فوق القاع ، كى يبدأ العنصر البشرى أخطر عملية فوق سطح الأرض ، هى التخلص من اللغم .

هذه العملية انفردت بها مصر ، واسندتها الى قواتنا من الضفادع البشرية .

كانت غرفة العمليات فوق سطح صائدة الألغام ، بمجرد اكتشافها اللغم وتحديد موقعه ، توجه اليه قاربا من المطاط يحمل مجموعة من الضفادع البشرية كان يظهر بدوره كنقطة مضيئة فوق شاشات الأجهزة الستة ، بعد أن تحدد للقارب العمق والاتجاه والموقع الذى يكمن عنده اللغم ، تماما كما توجه الطائرات المقاتلة الى طائرة العدو بتحديد الارتفاع والاتجاه والمسافة .

ويوجه الضفادع البشرية جهاز سونار يحملونه معهم الى حيث أرشدت غرفة عمليات السفينة الصائدة ، حتى اذا ما ظهر اللغم فوق شاشة الجهاز ، وتم بذلك تحديد مرقده فوق القاع ، هبط أحد الضفادع الى القاع ومعه الجهاز ، وحبل اتصال يربط ما بينه وبين القارب . حتى اذا ما وصل الى مكان اللغم دفن الى جانبه شحنة متفجرة عليها مفجر زمنى ، لتفجير الجسم القاتل بعد الوقت الكافى لابتعاد الضفدع والقارب عن منطقة الخطر .

وأقبلت أعياد يوليو ١٩٧٤ ، وأقبل معها عرضان جديدان ، الأول موافقة من البنك الدولى للانشاء والتعمير على تقديم قرض قيمته ٥٠ مليون دولار لهيئة قناة السويس للمساهمة فى مشروعات اعادة فتح القناة ،

مع وعد بتقديم قرض آخر لتوسيع القناة وتعميقها ، والثاني مجموعة من كسحات الألغام والسفن السوفيتية للقيام بعمليات تطهير القناة في القطاع الجنوبي بمنطقة خليج السويس بالتعاون مع القوات المصرية . وقبلت مصر العرضين ، وقد وجدت فيهما دفعا جديدا للاسراع في تنفيذ الخطة .

وتم تطهير القطاع الشمالى من القناة بين بورسعيد والاسماعيلية . وكان يجب بعد هذه المرحلة أن تنتقل السفينة (أبديل) ، سفينة قيادة صائدات الألغام البريطانية ، الى البحيرات المرة لتباشر عملها من هناك فى تطهير القطاع الجنوبي بين الاسماعيلية والسويس . وخفقت القلوب ، فهاهى أول سفينة تعبر القناة من بابها الشمالى حتى الاسماعيلية ، لأول مرة منذ ١٩٦٧ .

وتعين أحد المرشدين المصريين لتوجيه السفينة كما هي العادة ، هو المرشد سامى عثمان . وعندما صعد الى السفينة استقبله ربانها قائلا (لقد سمعنا عنك قبل أن نراك ، وعرفنا انك من أكفأ المرشدين المصريين الذين نعتبرهم أكفأ المرشدين العالميين) . وعندما لاحت بوادر الخجل على وجه المرشد المصرى ، قال الربان البريطانى : (هذه هي الحقيقة التى عرفتتها من كل الموانى العالمية) .

وتحركت (أبديل) من عرض البحر لتدخل المجرى المائى . وعند مرورها بميناء بورسعيد ودعها من حضروا عملية العبور بالهتاف ، والدموع تكاد تطفر من عيونهم فرحا بتطهير هذه المسافة من القناة ، وانطلقت القاطرات تحيى السفينة الرائدة بصفاراتها حتى غابت عن الأنظار ، لتصل الى الاسماعيلية فى سلام ودون حادث من أى نوع .

وبعد ما استعرضناه عن عملية تطهير القطاع الشمالى من قناة السويس من الألغام المبتوثة فيه ، لن يتعذر علينا تصور ما رسمته خطة المرحلة الأولى الموضوعية لاعادة القناة الى ما كانت عليه عام ١٩٦٧ ، تمهيدا لتوسيعها وتعميقها لخير العالم كله .

لن يتعذر علينا تصور عملية تطهير القطاع الجنوبي ، بين الاسماعيلية والسويس ، مما به من ألغام . . بالطائرات الهليكوبتر الأمريكية ، فصائدات الألغام البريطانية ، ثم الضفادع البشرية المصرية .

أو تصور عملية انتشال العوائق الغارقة والتى تسد المجرى بأحجامها وأوزانها التى تشمل ما بين علبة البولوبيف الفارغة والسفينة الكبيرة . . فلقد كشف الفحص الدقيق ، الى جانب ما لا يكاد يدخل تحت حصر من علب الصفيح والمواسير وأجزاء الطائرات وسيارات النقل والدبابات والقاطرات والمعديات والكرافات ، أن هناك عشر سفن و ٣٠ دبابة .

أو تصور عملية اخراج السفن التي ظلت محتجزة في القناة منذ ٦ يونيو ١٩٦٧ .٠ فقد كانت هناك خمس عشرة سفينة سد عليها الطريق وهي تعبر من السويس الى بورسعيد ، منها أربع بريطانية ، اثنتان لكل من أمريكا والسويد وبولندا وألمانيا الغربية ، وسفينة واحدة لكل من فرنسا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا .

أو تصور ما كان يملؤ قلوب أبناء منطقة قناة السويس ، رجالا ونساء ، شيوخا وأطفالا ، وهم يعودون الى مدنها الباسلة بعد نعيمها وقناتها بعد تطهيرها .٠ لقد شاركوا في معارك تاريخنا المعاصر بأروع ما تكون المشاركة بالنفس والنفيس ، في سخاء ودون تردد ، وحق لهم ما بذله ويبذله الوطن كله من أجل النهوض بمستوى مدنها واعادة الحياة الى قناتها .

الباب السابع

ورقة أكتوبر

بين الميثاق وبينان ٣٠ مارس

لم يتقدم الرئيس « أنور السادات » الى الشعب بورقة أكتوبر فى شهر أكتوبر ، بل بعده بشهور . واذا كان الرئيس قد اختار للورقة هذا الاسم فلأن ما جاء بها - بعد الانتصار العسكرى - على رأس معطيات أكتوبر العظيم .

وعندما طرحت ورقة أكتوبر للاستفتاء فى ١٥ مايو ١٩٧٤ ، أكدت النتائج التى أذيعت رسميا بعد ٢٤ ساعة من طرحها اجماع جماهير الشعب عليها ، كما أكدت اقبال الجماهير غير العادى على الاستفتاء بعد دراسة الورقة مليا ، اذ لم يزد عدد المتخلفين عن ١٨٦٥٦٨ مواطن فقط من بين كل الناخبين ، وهى أعلى نسبة للتصويت والمشاركة عرفتھا مصر فى تاريخها . وللتاريخ ، نسجل هنا أن النتائج كانت كما يلى :

عدد الناخبين المقيدين بجداول الانتخاب	٨٤٤٢١٢٢ر
عدد الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم	٨٢٥٥٥٥٤ر
عدد الأصوات الصحيحة	٨٢٥٠٦٥١ر
عدد الأصوات غير الصحيحة	٤٩٠٣ر
عدد الأصوات التى وافقت	٨٢٤٦٩٣٧ر
عدد الأصوات غير الموافقة	٣٧١٤ر

واذا كان معنى هذه النتيجة هو أن جماهير الشعب قد أيدت ورقة أكتوبر بنسبة ٩٩ر٩٥٪ من الأصوات ، فان ثمة دلالات أخرى عدة ، من الناحية الموضوعية ، توحى بها هذه النتيجة وتمتد الى آفاق بعيدة وعميقة التأثير فى حياة مصر ومستقبلها .

من هذه الدلالات أن جماهير الشعب تجدد البيعة مؤيدة للرئيس السادات .

ومنها أن نفس النتيجة ، وباعتبار أن منجزات حركة التصحيح هى الأساس الثانى الذى تستند اليه ورقة أكتوبر ، توضح أن الشعب يؤيد بحماس الخط السياسى فى دولة المؤسسات « الأمر الذى يقطع بأن ثورة ٢٣ يوليو قد وصلت الى مرحلة نجاحها الأخير ، مرحلة الاستقرار والنظام وتقنين مبادئ الثورة .

ومنها أن انتصارات السادس من أكتوبر كانت دافعا الى انطلاقة شعبية عارمة ، لما فى المعدلات العالية للاقبال على الاستفتاء من اشارات واضحة الى أن الشعب قد نفى عن نفسه السلبية نهائيا ، وأنه بدأ يشارك بحماس فى العمل القومى .

ومنها أن انتهاء الاستفتاء الى هذا التأييد الساحق يجعل من ورقة أكتوبر من حيث الشكل ، وثيقة ملزمة للشعب أفرادا وفئات ، ومواطنين ومسؤولين ، كما يجعل منها اختيارا شعبيا - بالديموقراطية المباشرة - لمفاهيم وحلول قضايا المصير والمبادئ ووسائل التطبيق .

ورقة أكتوبر والمواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر تصبح بين أيدينا ثلاثة مواثيق أساسية ، هى ميثاق العمل الوطنى ، وبيان ٣٠ مارس ، ثم ورقة أكتوبر . ولعله من المفيد ، قبل أن نبدأ باستعراض ورقة أكتوبر من حيث المضمون ، أن نلقى بعض الضوء على موقعها الحقيقى من الميثاقين اللذين سبقاها ، لنرى هل هى إضافة أو تعديل أم امتداد لهما . وأول ما سوف يطالعنا فى هذا الصدد هو أن المواثيق الثلاثة لا تتفق فى طبيعتها . فالى جانب أوجه المقارنة التى قد يقتضيها الحديث عن هذه الورقة بالذات ، يحسن أن نلم مسبقا بالفوارق الرئيسية التالية بين المواثيق الثلاثة .

ومع الإيجاز الكلى ، يمكن القول بأن ميثاق العمل الوطنى يعتبر الوثيقة السياسية الأساسية التى تبين أهداف النضال العربى فى الحرية والاشتراكية والوحدة . كما يمكن تقسيم محتويات الميثاق الى جانبين رئيسيين ، تناول أحدهما (المبادئ) وقدم الثانى وسائل (التطبيق) .

فمن بين المبادئ مثلا (حتمية الحل الاشتراكى) كعنصر يستهدف خلق مجتمع الكفاية والعدل عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات وإزالة التناقضات بين القوى الاجتماعية سلميا وبالحوار الديموقراطى . ومن المبادئ أيضا (تحالف قوى الشعب العاملة) وضمنان خمسين فى المائة للفلاحين والعمال فى المجالس السياسية والشعبية المنتخبة . كما أن من بين هذه المبادئ (الوحدة العربية) كهدف أسمى لنضالنا .

ومن التطبيقات التى قدمها الميثاق ، كل ما يتعلق بالتطبيق الاشتراكى من مضاعفة للدخل القومى ، ومشاكل الزراعة والتصنيع

بالريف ، ودور رأس المال الوطنى والأجنبى . كما أن من بين التطبيقات طرق وأساليب بلوغ الهدف الأسمى وهو الوحدة الوطنية .

ثم أن الميثاق ، من جهة أخرى ، يعتبر فى جانبه الفكرى الوثيقة الأساسية السياسية التى تحكم بمبادئها كل ما أتى بعدها ، أو ما قد يأتى بعدها ، من وثائق ، بل وتحكم بمبادئها أيضا ما يجب أن يتضمنه الدستور . ومن هنا نرى أن مبادئ الميثاق لا تتغير ، حتى لو غيرت الظروف الطارئة من التطبيق كما حدث عندما حتمت الظروف المتغيرة خروج بيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر . ولقد عبرت هذه الورقة عن هذه الحقيقة بقولها (ان المبادئ الأساسية لا تتغير بتغير الظروف والا لما كانت ترقى الى مرتبة المبادئ ، وانما الذى يتغير هو التطبيق) .

أما عن بيان ٣٠ مارس ، فيمكن القول بأنه صدر تعبيرا عن مرحلة خاصة من مراحل نضالنا الوطنى . فعندما حلت نكسة الخامس من يونية ١٩٦٧ ، وخرجت جماهير (٩ و ١٠ يونيه) تطالب بالتغيير ، جاء بيان ٣٠ مارس ليعبر عن طبيعة هذه المرحلة الجديدة من حيث اعطاء الأولوية للمعركة ، بحيث لا يعلو صوت فوق صوت الاعداد لها فى مرحلة الصمود ورفض الهزيمة ، فى شكل برنامج عمل هدفه حشد القوى الوطنية والعربية ، ووسائل اقامة الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، وتحديد المهام الرئيسية لدعم بناء الدولة الحديثة ، واثاحة دفعة أكبر للتنمية الشاملة ، ورسم آمال الغد فى خطوط عريضة رشحها البيان للدستور الجديد ، والعمل على تحقيق سيادة القانون .

ونحن لو أمعنا النظر لوجدنا أن بيان ٣٠ مارس قد استنفذ أغراضه . فانتخابات الاتحاد الاشتراكى تحققت ، والمبادئ المقترحة للدستور نقل الشعب أهمها الى الدستور الدائم يوم أعلن إرادته ، ومبدأ سيادة القانون وجد طريقه الى التطبيق وأصبح شعارا . ومن هنا فإن بيان ٣٠ مارس لم يعد صالحا بذاته اليوم ، وان كان علينا أن ننظر اليه كوثيقة أساسية تعبر عن مرحلة تاريخية معينة على طريق نضالنا ، وكحلقة النجاة التى تعلقت بها الإرادة الوطنية فى مجابهة مراكز القوى وكفالة شرعية الثورة حينما عهد الشعب الى الرئيس محمد أنور السادات بمسئولية الحكم .

الطبيعة العامة لورقة أكتوبر

ولعل طبيعة ورقة أكتوبر تبدو لنا أكثر وضوحا بعد هذا التصوير الخاطف لطبيعتي الميثاق وبيان ٣٠ مارس . وعلى وجه التعميم ، يمكن القول بأن ورقة أكتوبر قد جاءت بدورها تسجيلا للدروس المستفادة من ظرف معين هو ما ترتب على انتصارات أكتوبر العظيمة ، وتصورا لاستثمار هذا الظرف بتطبيقات لاحقة للمبادئ السابقة .

وثمة ما يخلق بنا التنويه عنه دفعا لما قد يتسلل الى الذهن من لبس . ذلك أن أبرز ما تتسم به طبيعة ورقة أكتوبر هو أنها تقوم أول ما تقوم على تنقية تجربتنا مما علق بها من سلبيات وقصور ، فى حكمة بالغلة بين تيار العمل الوطنى وبين الظروف الجديدة التى أصبحنا نعيشها ويعيشها العالم من حولنا عموما ، والتى غيرت وجه التاريخ فى مصر والعالم ولآجال طويلة بعد أكتوبر بوجه خاص ، مما قد يوحى عن تعثر فى الفهم بأن ما أرسى قواعده ما سبقها من موثيق قد عفا عليه الدهر . وليس الأمر كذلك .

ان ورقة أكتوبر ان كانت بطبيعتها تسعى الى انتشارال الجماهير ماديا ومعنويا من عثرات الماضى ، فان من أكبر حسناتها اصرارها على ربط هذه الجماهير فكريا بما سبق الورقة من مبادئ ، ونظرتها الى موثيق الثورة على أنها لا تنسخ بل تكمل بعضها البعض ، لدرجة استشهادهما بما جاء بالميثاق فى أكثر من موضع ، وتفسيرها ذلك بأن (تاريخ الأمم التى تتقدم هو التاريخ المفصل وليس المقطع الأوصال) . واذا كان هناك ما يجب أن نؤمن به بعد هذا ، فهو أن عجلة التطور ، ما كان منه بالأمر وما نتطلع اليه اليوم ، تجرى بتداخل موثيق الثورة الثلاث ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس وورقة أكتوبر ، وأن التطورات ترتبط تبعا لتغير الظروف ببعضها البعض عضويا فى تواصل وبلا ثغرات ، وأن الذين يجرحون الميثاق من ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر ، والذين لا يحسنون فهم ورقة الميثاق من ثم لا يخدمون ورقة أكتوبر والذين لا يحسنون فهم ورقة أكتوبر لا يؤمنون بالميثاق .

وحتى ثورة ٢٣ يوليو لم تشجبها ورقة أكتوبر كما كان يتبادر الى الذهن القاصر ، ولم تجردها أو تمسها بتجريح . واذا كانت الورقة قد وقفت من الثورة موقف التأييد والتمجيد ، فلعل مبعث ذلك حرصها على تقديم اجابة شافية ومسبقة لكل جدل أثير قبلها أو قد بشار بعدها

حول الأهداف الحقيقية لحركة التصحيح التي أمسك بزمامها الرئيس أنور السادات ، أو تصوير هذه الحركة على أنها حركة مستقلة جذريا عما قبلها .

ان ورقة أكتوبر عندما تعرض منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا ، بمثل الحرارة والوضوح اللذين يلتمسهما المواطن وهو يستعرض الورقة بعمق وتفهم منزّه عن الهوى ، وعندما تطالب (أن يكون هذا العرض موضوع دراسة ولا سيما من الشباب الذين لم يعيشوا فترة ما قبل الثورة حتى يقدرُوا الأبعاد الحقيقية لما أنجزته ، فهي انما ترقى بثورة ٢٣ يوليو ، بعد الايمان بجوهر الرسائل السماوية ، الى مرتبة الدعوة لسلطة تحالف قوى الشعب الغاملة لبناء الحرية والاشتراكية والوحدة ، وتهبط بمن يحاول الفصل بين ثورة مصر ومستقبل مصر الى مرتبة الافلاس الفكرى ، لسبب بسيط هو أن استقراء الخلفية النضالية للرئيس السادات ، يكشف عن ايمان هذا الانسان العربى الأصيل بالثورة التى شارك فى تفجيرها ، وفى تحمل مسئولية أعظم القرارات خطورة قبل أن يمسك بيده زمام الأمر كله .

لقد كان للثورة فضل ارساء قواعد الحرية والاشتراكية ، ولكن ضمان استمرار واستقرار هذه القواعد يستلزم تطوير تطبيقها كي تنمو من مرحلة ثورة الى نظام مستقر وطيد الأركان . واذا كان فى هذا ما ينفى تماما فكرة أن ورقة أكتوبر بطبيعتها قد هونت من شأن الثورة بطرحها سلبيات الماضى على الجماهير ، فان الورقة لم يفتها التنويه بما ترمى اليه من التنديد بهذه السلبيات ، بما قرّرت من أن هدفها هو (أن تصبح الثورة نظاما للحياة ومجموعة سائدة من القيم والمبادئ تستمد استقرارها من هندستها الداخلية وتناسقها الذاتى واتساعها لآمال الجماهير وحركتها وليس من اجراءات استثنائية تحميها) .

لقد تحدثت ورقة أكتوبر فى الباب الثالث عن مهام شتى ، بعضها ضخيم يرتب للمستقبل مصر سنة ٢٠٠٠ ، وبعضها يتناول المشاكل العاجلة للجماهير . واستقراء سطور هذا الباب يبين أن أهم الأسس التى سترتكز عليها استراتيجية العمل فى الجبهة الداخلية هى تحقيق هدفين ، أولهما العمل على تحرير الأرض وتأكيد الحق العربى ، وهما أعز أهداف ثورة ٢٣ يوليو ، والثانى بناء مصر الثورة على الأسس الاقتصادية بكل أبعادها أملا فى اللحاق بالعصر وتأكيدا لحق المواطن فى حياة كريمة تليق بشعب تأكدت أصالته ، مما يعتبر بدوره دعما لمبادئ الثورة وأخذا بمبادئها .

وتتخذ ورقة أكتوبر من انتصاراتنا برهاناً على أن تحركنا الثورى قد وصل الى قمته ، والى أننا قد استفدنا من أخطائنا فتعلمنا الدرس ، وعرفنا كيف نحسب الحساب ونرسم الخطط ، ونمسك بزمام المبادرة سياسياً وعسكرياً لأول مرة منذ قامت اسرائيل . وهذا صحيح ، فبعد التصميم طوال السنوات الست الحالكة على تصحيح أخطائنا ، ويوم أدركنا بعد الحسابات الدقيقة أننا قادرون على استثمار هذا التصحيح ، أطلقنا فى الوقت المناسب الشرارة لتؤتى ضوؤها ، ولتقنعنا بأننا عندما نقرر أن نحقق شيئاً فإننا قادرون على تحقيقه . وعلى هذا الأساس رسمت ورقة أكتوبر للأجهزة التنفيذية أسلوب التحرك ، وحساب الحساب ورسم الخطة ، والامساك بزمام المبادرة ، حتى تتحرك كل هذه الأجهزة لتعوض لظون وللجماهير ما فات خلال سنوات الكفاح والنضال .

لقد أتاحت لنا حرب أكتوبر فرصة لا تعوض لتحقيق تطوير حقيقى وفعال فى موقفنا من عالم يحلق بسرعة هائلة الى القمر ويطوف بين الكواكب والنجوم ، دون لفطة الى الوراء للأخذ بيد من يفوته البركب .

ونحن لو أضفنا الى ذلك أن عناصر الاقتصاد العالمى تتغير بدورها بنفس السرعة وفى أكثر من اتجاه ، وأن الجمود فى موقف حاضر أو الرضاء بواقع اليوم معناه التخلف عن عالم الغد ، لاتضح أنه لا مفر من تطوير عمليات (التطبيق) بالنسبة لكافة (المبادئ) التى اعتنقناها ورسخت فى نفوسنا ، ليس فقط بالقدر الكافى للتغلب على السلبيات ، بل وأيضاً بما يفسح لنا مكاناً بين ركب الحضارة العالمية .

ورقة أكتوبر تعتبر بطبيعتها هذه ، ليس فقط الثمرة الأولى والأساسية للنصر العظيم ، بل هى تجسيد أيضاً لروح السادس من أكتوبر ، يستهدف بالدرجة الأولى بث هذه الروح فى كافة نواحي الحياة المصرية بما توجه الورقة الأنظار اليه ، عن صدق وعن حق ، من أننا (ما دمنا قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع بنفس المستوى فى كل مجال) .

بهذه الروح تتألق ورقة أكتوبر بالجدية التامة فى انبثاقها من بؤرة الثقة الكاملة بالنفس ، لتجدد معالم الطريق الى استراتيجيات دقيقة وشاملة لكافة الأجهزة تقوم على التخطيط السليم بعد الظرف الجديد . ولعلنا لاحظنا أن هذه العناصر الثلاثة ، الجدية والثقة بالنفس والاستراتيجية الشاملة ، كانت نفس العناصر التى حققت لنا النصر فى المجال العسكرى .

ويبقى ما تجدر الإشارة إليه في صدد ورقة أكتوبر من حيث طبيعة بنائها . ذلك أنها لم تحاول أن تقسم موضوعاتها على نحو جامد اصطناعي يقيم بين هذه الموضوعات خطوطا جامدة ينتقل القارئ عبرها من فصل الى فصل ، بل هي تركت نفسها على سجيته . ولذا فما لم يستعرض قارئها ما جاء بها ككل متماسك مترابط ، فستعذر دراستها ومن ثم تقييمها عن قصور في استيعابها . مثال ذلك أن من يعنى بالفلسفة الاجتماعية سيظلم الورقة لو اقتصر على استعراض ما جاء بها تحت عنوان (التنمية الاجتماعية) ، وسيفوته الكثير مما تضمنته الأقسام الأخرى من كل ما يتصل أوثق الاتصال بالجانب الاجتماعي .

لقد أشارت ورقة أكتوبر بوضوح الى أنها (استراتيجية حضارية شاملة لبناء الدولة العصرية والمجتمع الحديث) . وهي بهذا الوصف وبسببه جاءت المشاكل متشابكة متداخلة ، تعرض الوضع أو تدلى بالرأى حيثما يجب أن يعرض طالما اقتضى السياق الفكرى الإشارة اليهما ، وبغض النظر عن العنوان الذى اختير لمادة القسم من الباب ، أو حتى الباب من الكل . ولعل فى هذا واحدا من الأسباب ، الى جانب السبب الرئيسى وهو أن الورقة فى حد ذاتها تعتبر إحدى ثمرات حرب أكتوبر ، التى تحتم علينا القاء الضوء على الورقة على وجه الشمول فى هذا الفصل من الكتاب .

ورقة أكتوبر والتنمية الاقتصادية

تقول ورقة أكتوبر أن (التنمية بالنسبة لنا هى قضية حياة أو موت ، ونجاحنا فى معركة التنمية هو الذى سيحدد كل أوضاعنا المحلية والدولية) . ولا شك أن أولى دعائم هذه التنمية هى التنمية الاقتصادية بالذات ، كما لا شك أن اعتبار التنمية هدفا حيويا يعتبر فى حد ذاته تجسيدا للجدية فى معالجتها .

لقد كانت الحجة الأساسية التى ترددها الدول المتقدمة فى المؤتمرات الدولية الخاصة بالتنمية الاقتصادية للدول المتخلفة ، هى أن الدول النامية لا تعطى التنمية الاقتصادية أولوية أساسية بين أهدافها ، وبالتالى فإنها لا تستحق أن تنال أولوية قصوى من حيث الدعم الاقتصادى . ومن هنا كان أعلى ما يبعثه رنين ورقة أكتوبر من دقات أجراسها هو أن المهمة التى ينبغى أن تلى المعركة مباشرة ، بنفس قوة وحسابات وتصميم المعركة ، هى مهمة التنمية الاقتصادية ، باعتبارها (قضية حياة) تسمح

لنا أن نلج أبواب سنة ٢٠٠٠ ونحن فى وضع أفضل ، أو (قضية موت)
يتركنا مترامنين على أعتاب هذه السنة وما زلنا راسفين فى أغلال التخلف .

لقد كنا فى حاجة حقيقية الى التنمية الاقتصادية دائما ، ثم زادت
الحاجة الى هذه التنمية بسبب المعركة ضد العدوان . ويكفى أن نعلم أن
الاقتصاد المصرى تحمل منذ ١٩٦٧ ما يزيد على ٥٠٠٠ مليون جنيه انفاقا
عسكريا مباشرة ، وما يقارب هذا المبلغ من الخسائر ومن فرص الربح
التي ضاعت بسبب العدوان ، كى ندرك معنى ما أفصحت عنه ورقة
أكتوبر من أن (التنمية بالنسبة لنا هى قضية حياة أو موت) .

ولقد كان يمكن التخفيف من وقع الآثار التى ترتبت على الانفاق
العسكرى والخسائر وفرص الربح المضيعة ، وكلها عوامل طارئة على مجرى
التنمية الاقتصادية فى الوطن ، لولا ما اقترن بهذه العوامل من عوامل
أخرى جانبية فادحة ، هى التخلف فى عمليات الاحلال والتجديد فى
المرافق الأساسية والوحدات الانتاجية والخدمات ، مما يضاعف من العبء
الضخم الذى يتعين على اقتصادنا حمله فى المرحلة المقبلة فى هذا المجال
وحده . فاذا أضيف الى ذلك أن التقديرات لحتميات تعمير المناطق النسي
أصابها العدوان بشكل مباشر قد تجاوزت ٣٠٠٠ مليون جنيه ، لأدركنا
الحكمة فيما ذهبت اليه ورقة أكتوبر عن بعد نظر من (أن الرخاء يحتاج
منا الى عمل كثير طويل وشاق ! ، وعن دقة موفقة فى الحسبان من أن
(السبيل الأساسى لمواجهة هذا كله هو الارتفاع السريع بمعدلات التنمية ،
فما نحققه من تنمية فى عام يزيد من قدراتنا فى العام التالى) وعن اصرار
ونرشيد من أن (هدف الارتفاع بمعدل التنمية الى أعلى مما كانت عليه
قبل ١٩٦٥ هو الهدف الأول والحيوى والضرورى فى مرحلة التقدم
والبناء) .

وفى القائها الأضواء على مقومات التنمية الاقتصادية ، تشير ورقة
أكتوبر فى أكثر من موضع من أقسامها الى التنمية الزراعية ، ولعل فى
هذا ما يدخل الحيرة على نفس المواطن المصرى الذى كادت تختم على سمعه
صيحات الدعم الصناعى طوال مرحلة ما قبل المعركة ، وضرورة التركيز
على انهالك الجهد وبذل النفس والنفيس لانتاج ما بين الابدرة والصاروخ ،
مما يقتضينا التطرق الى الوضع الزراعى فى البلاد بنفس اليجاز .

لقد كادت تضيق فى زحمة التصنيع الحقيقية الكبرى ، وهى أن
العبء الأكبر فى قضية التنمية الاقتصادية عامة يقع على كاهل القطاع
الزراعى ، وأن على ما ينتجه هذا القطاع من فائض غلاته يتوقف الى حد
كبير تمويل القطاعات الأخرى وفى مقدمتها الصناعة .

لقد أصبحت مشكلة المشاكل التي تواجه الزراعة بعد التهالك بالدرجة الأولى على حركة التصنيع ، هي التفاوت الكبير بين معدل نمو الموارد الأرضية ومعدل نمو الموارد البشرية ، ففي بداية هذا القرن كانت مساحة الأرض الزراعية نحو خمسة ملايين فدان ، وكان عدد السكان وقتذاك نحو عشرة ملايين نسمة . وفي عام ١٩٥٢ زادت مساحة الأراضي المنزرعة الى ٨ر٥ مليون فدان ، في حين زاد عدد السكان الى ٢١٥ مليون نسمة . أما اليوم فاذا كانت المساحة المنزرعة قد ارتفعت الى ٦ ملايين من الأفدنة ، فقد ارتفع عدد السكان في نفس الوقت الى حوالي ٣٦ مليون نسمة . وبالحسابات التي آمن بنظريتها الرئيس أنور السادات وطبقها في كل خطواته ، يمكن أن نرى كيف تهاوى نصيب الفرد من الأرض الزراعية عبر المراحل الثلاث من نصف فدان ، الى أقل من ثلث فدان ، فالى سدس فدان .

لقد تناثرت في أبواب ورقة أكتوبر الآراء المعبرة عما يعتبره الرئيس أنور السادات من آمنيات النهوض بمستوى التنمية الاقتصادية مباشرة والانسان المصري بالتعبية . على أننا لن يعيينا حصر هذه الأمنيات أولا في توفير المزيد من الغذاء والكساء كما وكيفما بما يناسب المواطنين الذين يتزايد عددهم ويتزايد في نفس الوقت معدل استهلاكهم ، وثانيا في زيادة الصادرات حجما وهيكلًا مع خفض الواردات بما يدعم الميزان التجاري ، وثالثا في تدعيم القدرة الشرائية للقطاع الزراعي باعتباره أكبر مستهلك للانتاج الصناعي مما يدفع عجلة التصنيع ويوفر بالتالي أكبر قدر ممكن من مستلزماته وخاماته ، ورابعا في توفير المزيد من فائض الدخل والمدخرات اللازمة لتمويل الانتاج والخدمات باعتبارهما عناصر أساسية في التنمية .

واذا كان هناك ما تمليه هذه الأمنيات فليس خير حتمية التنمية الزراعية لصالح التنمية الاقتصادية .

ولقد كانت هناك محاولات سابقة لدعم التنمية الاقتصادية عن طريق دعم التنمية الزراعية ، ولكنها كانت مبتورة وواهنة بدليل نظرة ورقة أكتوبر اليها على أنها من أوجه القصور الماضية ، وفي هذا الصدد يكفي أن نشير الى أن التنمية الزراعية الحقة في تصور ورقة أكتوبر ينبغي أن تشمل مجالين رئيسيين ، هما التنمية الرأسية ، والتنمية الأفقية معا .

فأما التنمية الرأسية فيقصد بها زيادة الكفاية الانتاجية واستخلاص أقصى انتاج ممكن من الموارد الزراعية المتاحة ، مما يقتضى التخطيط والتنفيذ

على أساس واضح المعالم والحدود بعد الحساب الدقيق الذى أوصت به ورقة أكتوبر ، وباعتبار ان الزراعة هى أولا السبيل الى حياة النثر رخاء وصناعة أرقى مستوى ، وثانيا القوام لحياة ستة من كل عشرة من السكان . وأما التنمية الأفقية فيقصد بها زيادة مساحة الرقعة المنزرعة عن طريق استصلاح الأراضى ، بعد أن عجزت المحاولات فى مواجهة التناقص المستمر فى الأراضى القديمة ، وتدهور متوسط نصيب الفرد منها نتيجة للعممران وزيادة السكان ، لافتقارها الى دراسة المشروعات على أسس سليمة من الدقة والواقعية ، وتحديد الأهداف ووضوحها ، والمتابعة والتقويم السليم ، وترشيد العمليات وفق الأساليب العصرية .

وفى الحديث عن التنمية الاقتصادية نادت ورقة أكتوبر بما عرف باسم (الانفتاح) ، وهو الاصطلاح الذى أثار من التساؤلات بعدد ما أنار من آراء متضاربة .

لقد تقاعسنا بعد هزيمة ١٩٦٧ عن التركيز على السلع الاستهلاكية ، وتحولنا بجهودنا الكاملة تقريبا الى المشروعات الطويلة الأجل والتي قد تجيء بعائد كبير ولكن بعد وقت طويل . ولقد كان فى ذهننا ونحن نضع هذا التصور أن نبدأ فى جنى ثمار هذه المشروعات بعد تحرير الأرض ونجد القدرة بذلك على مواجهة أعباء ما بعد التحرير بعائد هذه المشروعات ، بما فيها مجمع الحديد والصلب ومصنع الألومنيوم وغيرها .

ثم جاءت ورقة أكتوبر لترسم للجماهير خطة العمل حتى سنة ٢٠٠٠ ، ونوهت بالانفتاح الاقتصادى كمشارك فى تحمل أعباء مرحلة ما بعد الحرب وحتى نهاية القرن العشرين . وإذا كان هذا الانفتاح لا يعتبر وليد اليوم ، اذ بدأ التفكير فيه والاعداد له منذ أوائل ١٩٧٢ فى تردد شبه معوق ، فان الثقة بالنفس التى أحيتها استراتيجيات حرب أكتوبر فانتهدت بنا الى الانتصار ، جعلت من الانفتاح الاقتصادى استراتيجية للتنمية الاقتصادية لا يعثرها الخوف الباعث على التردد .

لقد ثبت واقعا أنه ما من دولة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، تستطيع فى هذا العصر أن تعيش بمعزل عن المجتمع العالمى . وثبت أنه حتى لو استطاعت أية دولة أن تكفى نفسها بنفسها ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، فان مثل هذه الدولة لو انعزلت عن العالم فسوف يقضى عليها بالتخلف أو على الأقل بالعرج المعوق . وإذا كان هذا صحيحا ، بدليل السوق

الأوروبية المشتركة ، والتبادل الاقتصادى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، فهو أكثر من صحيح بالنسبة للدول النامية باعتبارها أشد حاجة الى التعاون مع المجتمع العالمى فى كافة نواحي الحياة عامة ، وفى مجال التنمية الاقتصادية بوجه خاص ، حتى تلحق بالركب الحضارى كخطوة أولى ثم تسايره كخطوة أخيرة .

وورقة أكتوبر لا ترسى مبدأ جديدا على حياة الشعب الاقتصادية بهذا الذى تقرر من حتمية الانفتاح الاقتصادى ، بل هى تقرع الجرس لتنبيه الجماهير الى واحد من مبادئ الميثاق التى آمنت بها الجماهير ظل شسبه معطل ، هو (أننا نقبل المساعدات غير المشروطة والقروض ، كما نقبل الاستثمار المباشر فى النواحي التى تتطلب خبرات عالمية فى مجالات التطوير الحديثة ونقول : هذا بالدقة هو خطنا) .

وإذا كانت ورقة أكتوبر فى هذه الناحية من تعاليمها قد نوهت بأن الانفتاح على العالم الخارجى لن يتأتى بعضا سحرية تحرر الاقتصاد والتجارة الخارجية من القيود ، وتقيم نظام التصدير والاستيراد على أساس تبادل دولى حر يراعى فيه نظام المدفوعات وسعر الصرف مع توافر الثقة فى الأسواق الخارجية باعتبارها المرآة العاكسة للمركز الاقتصادى وللقيمة الحقيقية للمنقد فى المبادلات الدولية ، وإذا كانت قيمة الجنيه المصرى قد ارتفعت بعض الشيء بعد السادس من أكتوبر ، فقد حرصت الورقة على أن تربط ، وأن يكن تنويها ، بين الانفتاح الاقتصادى وبين عوامل عدة فى مقدمتها ما قيل ، كطريق لتحقيق أهداف الورقة ، عن تعويم الجنيه المصرى ، فإن مثل هذا التعويم لا يجب أن يترك فيه الجنيه دون طوق نجاة .

وطوق النجاة هذا المبحث اليه ورقة أكتوبر أيضا وان يكون بطريق غير مباشر ، عندما نوهت بأن صادراتنا محدودة ، وأن حاجتنا شديدة الى الواردات الأجنبية التى تشمل ما بين رغيف الخبز والآلات وقطع الغيار ، ثم عندما نوهت الى ضرورة تحسين اقتصادياتنا وخفض مديونياتنا وزيادة انتاجنا . ولا شك أنه الى أن يكتمل البناء الجديد للهيكल الاقتصادى ، وتتوافر تماما الثقة التى نادت بها ورقة أكتوبر ، فلن يتأتى لنا ترك الجنيه المصرى حرا فى المبادلة وقابلا للتحويل كعملة قوية يساندها الاقتصاد الذى اتخذت منه الورقة أساسا للتنمية .

وورقة أكتوبر تصمم بالسخرية عقدة الخوف من الاستثمارات الأجنبية كطريق الى الانفتاح الاقتصادى ، وتزدري المتشككين فى جدوى

المساعدات الأجنبية . وإذا كان الميثاق قد نوه بأنه (بسيادة الشعب على أرضه واستعادته المقدرات أموره ، يمكنه أن يضع الحدود التي يستطيع من خلالها أن يسمح لرأس المال الأجنبي بالعمل في بلاده) ، أو إذا كان قد قرر عن ادراك (أن شعبنا في نظرتة الواعية يعتبر أن المساعدات الأجنبية واجب على الدول السابقة في التقدم نحو تلك التي ما زالت تناضل للوصول) ، فقد حسمت ورقة أكتوبر الأمر بأننا (نرحب بالاستثمار الأجنبي لما يحمله معه من معركة تكنولوجية متقدمة تحتاج إليها . وظروف عالم اليوم بعد إعادة تشكيل العلاقات الدولية ، وظهور افطاب دولية متعددة ، والمكانة التي أصبحت لمصر والعرب بعد حرب أكتوبر ، كلها أمور تتيح لنا فرصا للاستفادة من الاستثمار الأجنبي لا يمكن بأمانة الوطنية أن نضيعها) . ودفعنا لأي شك أو تشكيك فيما تنجبه إليه ورقة أكتوبر ، طرحت الورقة الحقيقة التي تمخضت عنها ، ضمن ما تمخضت عنه ، انتصارات أكتوبر العظيم ، وهي (اننا قادرون على معرفة ما هو في مصلحتنا . ولا ينبغي أن تركبنا عقدة الخوف على أنفسنا) . كما أنها استدركت فصارحت العالم شرقه وغربه بحقيقة سياستنا الشجاعة المتحررة ، وهي (أن الانفتاح الذي أعلنه هو انفتاح على العالم كله ، شرقه وغربه ، لأننا ندرك تماما أن تنوع علاقاتنا الاقتصادية الدولية هو الأساس لحرية حركتنا السياسية) .

وتمة ما هو جدير بالوقوف عنده قليلا في صدر الانفتاح الاقتصادي عن طريق استثمار رأس المال الأجنبي ، وذلك هو ما قد يخامر الأذهان ، عن حسن أو سوء ظن ، من أن هذا الانفتاح يجب أن يرتبط بقوانين ، هو أن عبرته ليست بالقوانين ، بل بالثقة بنا في أسواق المال الدولية ، أولا لجلبه وثانيا لحكمه . والجواب فيما يختص بجلب رأس المال الأجنبي وهي ثقة تتوافر بتحقيق السلام في ربوعنا والاستقرار السياسي في علاقاتنا والتحرر التام لاقتصادنا . وإذا كانت فنادقنا قد غصت بعد انتصارنا بممثلي رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال من الأجانب ، فقد قبعوا في فنادقهم متريثين ينتظرون ، ويدرسون الأمور عن كثب ، ويكملون على الطبيعة ما ستنتهي إليه أمور مصر من حيث السلام والاستقرار والتحرر الاقتصادي .

كما أن الجواب فيما يختص بحكم رأس المال هذا وتطويعه لمصالحنا لا ترتبط عبرته بدورها بإصدار القوانين ، فهو سيدخل الى البلاد أما في صورة اعتمادات ائتمانية أو في شكل معونات . والقاعدة في مثل هذه الأمور أنها لن تعمر ، تلقائيا ، لغير الأمد القصير الذي نعتمد بعده على

أنفسنا ومواردنا ، لسبب بسيط هو أننا بتنفيذنا لتعاليم ورقة أكتوبر بالحساب الدقيق والتخطيط السليم ، سيصبح اقتصادنا قويا . فنحن لا نقبل أن نظل ، شعبا من السائلة عالة على الغير كما هو الحال بين إسرائيل والولايات المتحدة مثلا . ثم انه لا غضاضة فى تقبل أى اعتماد ائتمانى أو معونة بعد ظروف قهرية كظروف الحرب وما سبقها من اعداد ، فاذا كانت أمريكا قد وقفت نفس الموقف مع أوروبا الغربية ، بما عرف باسم مشروع مارشال عقب الحرب العالمية الثانية ، فلقد كان ذلك لأمد قصير لم تجد دول أوروبا طواله غضاضة من أى نوع ، بل هى ظلت راضية عنه سعيدة به حتى وقفت بإمكانياتها الخاصة عملاقا اقتصاديا وسياسيا بين العملاقين الأمريكى والسوفيتى .

وتبقى بعد هذا الدعامة الأساسية الثالثة التى حددتها ورقة أكتوبر كعنصر جوهري من عناصر التنمية الاقتصادية ، وهى القطاعان العام والخاص .

وفى صدد القطاع العام ، تستشهد الورقة أيضا بمواثيق الثورة ونرى أنها واضحة من حيث دعوتها الى التأميم الشامل والى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الأساسية . بل هى تشير أيضا الى بعض المبادئ الدستورية التى نقلها الدستور عن الميثاق ، والتى تؤكد أن الأساس الاقتصادى هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات .

والورقة لم تنزه القطاع العام عن سلبيات الماضى ، فهى تطالب القطاع العام بالمزيد من الترشييد ، والمزيد من الانطلاق ، والمزيد من التخلص من المعوقات والأساليب التى قللت من كفاءته ، حتى يقوى على أداء دوره فيما رسمته الورقة لمستقبل مصر خلال ما بقى من القرن العشرين ، وهو دور لا يختلف اثنان فى مدى أهميته .

فى ظل سياسة الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص والقطاع التعاونى ، سيكون القطاع العام بحكم تكوينه الأداة الأساسية لتنفيذ أية خطة للتنمية ، وفى تولى المشروعات الأساسية التى لا يقوى على مثلها غيره بحكم التزامه المباشر .

ومن حيث التحرر الاقتصادى ، يعتبر القطاع العام الأداة الرئيسية للتعبير عن ارادتنا الوطنية فى تشكيل اقتصادنا القومى ، وليس هناك غيره ضمانا رئيسيا لأن تظل القرارات الاقتصادية الهامة قرارات مصرية ، وتجسيدا لاستقلالنا الاقتصادى فى اطار القوانين الثابتة التى تكفل

الاستقرار بسائر القطاعات دون اللجوء الى اجراءات استثنائية بغية
كتلك التي كادت تؤدي بمصر والتي تم العدول عنها .

وارتكازا على قاعدة ثابتة خير ما يمثلها هو القطاع العام ، سيقوم
ضلعا التنمية الاقتصادية ، القطاع الخاص والاستثمارات الأجنبية ،
بشكل المثلث الاقتصادي الذي لا غنى عنه لدولة نامية .

وأما في صدد القطاع الخاص ، فقد حرصت الورقة على إيتائه ما هو
حدير به من أهمية وما يجب أن يحظى به من اهتمام ، بما وجهت الأنظار
اليه من أن كل عمل جاد يستهدف التنمية يجب أن يدخل في حسابه
استثمار كل الموارد البشرية ، بالاستفادة من كل مبادرة فردية خلاقة
وقادرة على العطاء ، وبتشجيع المدخرات على دخول ساحة الاقتصاد
الوطني ، بعد أن طرحت مبادئ الميثاق من حسابها نظرية التأمين الشامل
وقصر الساحة على القطاع العام وحده .

وإذا كانت ورقة أكتوبر قد ركزت على القطاع العام كقاعدة أساسية
للتنمية ، فقد أبرزت أهمية القطاع الخاص بما نادت به من ضرورة الوفاء
باحتياجاته وتوفير كل الظروف التي تشجعه على مضاعفة نشاطه
الانتاجي ، بعد أن تعاقبت عليه القرارات المتناقضة فصرفته الى
الاستثمارات الطفيلية ودفعت أصحابه الى أنماط استهلاكية مسرفة .

ورقة أكتوبر والتنمية الاجتماعية

تعتبر ورقة أكتوبر ، من حيث مادتها في جملتها ، (فلسفة للتنمية
دات وجه انساني) . وإذا كان هذا هو الاصطلاح العالمي الذي يطلق
على الجهود التي تعتبر الانسان غايتها الأولى ، فان ورقة أكتوبر لم تتردد
في النظر الى الانسان (رصيدها الأساسي) على حده تعبيرها ، وتعتبره
الممثل للمستوى الحضاري من جهة ومستوى التقدم الوطني من جهه
أخرى .

وعندما تؤكد ورقة أكتوبر أنه (لا بد أن تلقى التنمية الاجتماعية
بصيبتها الحق في استراتيجية الحضارة الشاملة) ، وأن (الحضارة الشاملة
لا يمكن أن تكون فنية اقتصادية خالصة ، بل لابد أن تكون اجتماعية
في نفس الوقت) ، فان استيعاب أوجه الحكمة في هذا الاصرار ، وفيما
طرحت الورقة كأهداف للتنمية الاجتماعية ، يقتضيها استعراض بعض
جوانب الخلفية التي كانت تفتش ذهن صاحب الورقة وهو يصوغ ويقنن
أركانها .

ونحن فى هذا لن نعود الى بعيد ، اذ يكفى أن نلاحظ أننا فى خلال العشرين عاما الأخيرة كنا منهمكين فى عمليتين أساسيتين ، أولاهما التحرر من السيطرة الأجنبية ، وثانيتهما التمسير سواء من ناحية رأس المال أو الإدارة أو العمل . ولقد كانت هاتان العمليتان فى مقدمة ما ركز عليه الميثاق من مبادئ ، كما أنه من الانصاف أن نعترف بأنه كان هناك تطوير دون ريب فى هذين الاتجاهين ، أتاح تكوين قاعدة السيطرة على دعائهما الفكر المصرى والارادة المصرية .

وعلى طول الطريق الى تكوين هذه القاعدة كان هناك التزام واضح .. اعنقته القاعدة نفسها بعد تكوينها فى محاولتها تطبيق مبادئ الميثاق ، هو تحقيق عملية جديدة بالغة الأهمية اتخذت لنفسها بدورها اتجاهين أساسيين هدفهما الموازنة بين حاجتين ، أولاهما اشباع مباشر لحاجات الجماهير ، والثانية ارساء القواعد لمستقبل أفضل . وبمعنى آخر ، كان الجيل الحاضر يعمل لنفسه بمشروعات قصيرة الأجل سريعة العائد من جهة ، ويرسم خطط النمو للجيل التالى بمشروعات طويلة الأجل تؤتى أكلها بعد حين من جهة أخرى .

فأما من حيث اشباع حاجات الجيل الحاضر مباشرة وبالمشروعات قصيرة الأجل ، فيمكن القول بأننا قطعنا شوطا لا بأس به على طريق النجاح .

فالعامل والفلاح أصبحا يأكلان ويلبسان ويعيشان بوجه عام على نحو أفضل ، وأفراد الفئات الأخرى أصبح طريقهم الى تحقيق تطلعاتهم أكثر وضوحا مما كان من قبل ، الجميع بين عمال وفلاحين وفئات أخرى أصبحوا يحسون بأن لهم الحق فى العمل والكسب والمشاركة وزيادة الدخل وأداء دور فى المجتمع .

وأما من حيث تحقيق آمال المستقبل بالمشروعات طويلة الأجل ، فصفوة ما يقال هو أنه كانت هناك جهود وتضحيات قابلتها الجماهير بأمل فلسفى وصبر جميل ، ولكنها لم تؤت أكلها أو هى آتت به ولكن على غير ما كانت الجماهير ترجو وتأمل .

كانت هناك مشروعات الحديد والصلب ، والسد العالي ، واستكشاف البترول ، واستصلاح الأراضى ، ومجمعات الصناعات الثقيلة ، ومراكز ومؤسسات الانتاج الغذائى والكسائى والترفيهى . وكانت أهداف هذه المشروعات ليس فقط التنمية الاقتصادية ، بل التنمية الاجتماعية بالدرجة

الأولى ، ولكن ، الى جانب هذه المشروعات الضخمة وغيرها ، كانت هناك
فى نفس الوقت خسائر ، وانحرافات ، وحاجة ماسة الى الترشييد لوقف
التسيب والسلبيات من جهة ، وتحسين السلوكيات من جهة أخرى .

وبدأت تتراقص علامات الاستفهام فوق رؤوس الجماهير . هل تحقق
ما كنا نحلم به للمستقبل . . ؟ وما الذى لم يتحقق . . ؟ ولماذا لم
يتحقق . . ؟ وكيف السبيل الى تحقيقه ؟

وتتابعت التجارب لايجاد الحلول . وتتابعبت بتتابعها القرارات تلغى
أو تعدل أو تضيف الجديد ، حتى أصبحت كشبكة أحاطت بالمواطن من
كل صوب ، فراح يدق أبواب وزارات الخدمات حائرا بحثا عن المرفق
المسئول . أهى وزارة العمل . . ؟ أم وزارة الصحة . . ؟ أم وزارة
الثقافة . . ؟

وفى حمى تساؤلات المواطنين لأنفسهم (أين نحن) ، استقرت
الآراء كلها عند جواب واحد ، هو أن عناصر التطبيق لمبادئ الميثاق لم
تكن بالواضحة ولا بالمتكاملة ولا بالتناسقة ، وأن كل ما صدر من قرارات
كان مبعثه اجتهادات فردية متناثرة لا رابط بينها ، وأن كل شئ فى
حاجة الى اعادة التقييم . . . تقييم للصناعات ودورها فى الانتاج ، تقييم
للتعليم ، للخدمات الاجتماعية ، للثقافة . . . الخ .

تقييم لكل السياسات التى كانت تستخدم بين كل حين وآخر فى
مجال التنمية الاجتماعية للانسان المصرى ، وتقييم للمتغيرات التى شملت
العالم ولم نعرها نحن التفاتا ، ولوسائل التطبيق للمبادئ التى رسم
خطوطها الميثاق فجمع وأوعى .

وكان السؤال الجديد الذى أصبح يخامر الأذهان فى غلالة من الشك
والياس هو (هل نستطيع ؟) .

وجاءت ورقة أكتوبر لتحيب الآمال بما بشرت به من أننا (ما دمنا
قد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع فى كل مجال) .
ولم تقل الورقة (اننا نستطيع) ، بل هى قالت (يجب أن
نستطيع) . وبمعنى آخر ، لم تقدم الورقة هذه (الاستطاعة) أملا
مجردا ، بل هى قدمتها فرضا واجبا .

لقد اتخذت ورقة أكتوبر ما بين الريف والمدينة من فوارق اجتماعية
مثالا لنواتج سواء التطبيق لأعر مبادئ الميثاق ، الا وهو رفع مستوى

القرية اجتماعيا الى مستوى المدينة ، مما لا يتأتى عن غير طريق رسم استراتيجية شاملة ومحكمة للتنمية الاجتماعية .

فى هذا الشأن قالت المادة السابعة من نصوص وثيقة التنمية الدولية (أن الهدف النهائى للتنمية يجب أن يحقق تحسينا مطردا لرفاهية الفرد وأن يعود بالنفع على الناس جميعا ، اذ أنه لو دامت الفوارق فى الامتيازات ، والتباين بين الثروات ، والظلم الاجتماعى ، فسوف تفشى التنمية فى تحقيق غايتها الأساسية) .

وبناء على هذا الذى حذرت منه وثيقة التنمية الدولية ، وكبرهان على أن التنمية أيا كانت معدلاتها وأيا كان نصيبها من النجاح لا تعتبر غاية فى حد ذاتها بل وسيلة لهدف أسمى ، نصت المادة الرابعة من دستورنا بتوجيه من مبادئ الميثاق ، على أن الأسس الاقتصادية (لجمهورية مصر العربية) هو النظام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل ، بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات) .

وانطلاقا من هذه النصوص السامية أكدت ورقة أكتوبر فى صراحة تامة (أن من حق الأقاليم علينا ، وهى التى ما زالت مصدر ثرائنا القومى الرئيسى ، ومنبع ذخيرتنا البشرية ، الا نتركها تقاسى من آثار ذلك الفاقد المستمر لحساب العاصمة لجرد أن العواصم بطبيعتها أعلى صوتا وأقرب الى عيون وآذان الحكام .

وبهذا النقد المذهب ألقت ورقة أكتوبر الضوء على التباين الفاضح بين القرية والمدينة وبين الريف والحضر .

هذا التباين يعتبر ظاهرة عاصرتها كل المجتمعات فى العالم النامى ، حيث تقوم المدينة كمجتمع استقطاب تشتد الحيوية فيه ، وتتسع الفرص لأوفى جزاء فى ظروف أشد راحة وأكثر رخاء . ولكن الظروف تغيرت فى العالم كله ، بحيث أصبحت الهجرة من الريف مصدر قلق تخشى الدول تفاقم خطورته لما يخلق من مشاكل نبهت ورقة أكتوبر اليها بقوة ووضوح ، واقترحت لها حولا تركت للمخططين تنفيذها وهم يرسمون الخريطة الجديدة لمصر .

لقد بذلت فيما مضى ، وعلى نحو جدى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو باعادة توزيع الأرض على الفلاحين ، محاولات للنهوض بمجتمعنا الريفى وتطويره اجتماعيا ، ولكن تلك المحاولات لم تحقق ما كان مرجوا من الآمال . وليس سرا أن السبب الأول كان مرجعه الى نسيان شاغلى مراكز

القوى وأصحاب السلطة وأولى النفوذ لمساقط رؤوسهم ، وتنكرهم لأهليتهم وذويهم ، وتركهم الريف مهملاً لا يكاد يحصل على معشار ما كان يخصص لمرافق العمران في الدولة كلها من أوجه الانفاق .

وهكذا حدث أنه في حين كان قانون الإصلاح الزراعي أول ما حققته الثورة تقريباً في سعيها لرفع مستوى التنمية الاجتماعية في البلاد ، بردها للفلاح شيئاً من اعتباره ، وتحريره من الكثير مما رزح تحته عبر قرون طويلة ، فقد أثبت الانحرافات والسلبيات التي سادت البلاد طوال فترة من أقسى فترات ما بعد الثورة إلا أن تحول ، ان عفوا وان عمدا ، دون التطبيق المثمر لأحد أهداف الثورة الستة وأحد مبادئ الميثاق في نفس الوقت ، إلى أن جاءت ورقة أكتوبر لتضع للأمور حداً ، ولتوصي عن استمرار مبعثه الايمان بافساح مكان للريف في خريطة مصر المستقبل .

ونحن اذا كنا قد اخترنا من ريفنا المنهار صورة تبرز مدى الحاجة إلى التنمية الاجتماعية الحقة ، فعلى أساس المبدأ الذي نادت بتطبيقه ورقة أكتوبر من أن استراتيجية العمل التي تنادي بها تهدف أساساً إلى تضييق الفوارق بين الطبقات ، ولأن النجاح في تطبيق هذا المبدأ على النحو المرجو يهيئ للبلاد ، ريفاً وحضراً ، فرصة متكافئة للانتفاع بما نوهت به الورقة من سبل النهوض بالتنمية الاجتماعية .

ولعل أهم ما نوهت عنه ورقة أكتوبر من السبل المشار إليها ، في صراحة ووضوح ، « مشكلة التعليم والتثقيف » . ولا مفر من الاعتراف بأننا بقدر ما أسرفنا كثيراً في مجالات معينة ، بقدر ما قترنا على التعليم والثقافة اللذين كان المفروض أن يعطيانا المحصلة الحقيقية للتنمية المنشودة في النهاية .

وإذا كانت ورقة أكتوبر قد نصت بحق على أن العلم والثقافة هدفان متلازمان ، ويتطلبان فهماً أكثر عمقا مما تعودناه ، كما يستوجبان إعادة النظر في استراتيجيتهما وفلسفتهما ، فلأنهما في العالم كله على وجه التعميم ، وفي الدول النامية بوجه خاص ، يمران اليوم بأزمة خطيرة مردها ما بدأ ينبثق من تساؤلات مستمرة حول تبرير الأموال الطائلة التي تنفق فيهما ، بالقياس إلى العائد منهما ، وما بدأ يثيره الخريجون أنفسهم من شكوك عندما يجدون أنفسهم ضائعين في سوق العمل ، ويلمسون على الطبيعة الفارق الشاسع بين حقائق الأمر الواقع وبين نطاعات الشباب العريضة . كما تتزايد هذه الشكوك من جهة أخرى ،

عند تقييم اسهام التعليم فى عملية التنمية ، أو دور المتعلمين فى بناء حضارة المجتمعات .

أن ما نلمسه اليوم يبرز بقوة انعزال معاهد التعليم عن حاجات البيئة ، وانفصام المناهج والبرامج عن متطلبات التنمية ، والاندفاع المقلق نحو اغراق ساعات العمل المكتبى بفيضان من الزاهدين فى العمل اليدوى . وإذا كان هناك من سبب فهو اندفاع المجتمع ، تحت ضغط عقد النقص التى أورثتنا اياها عهود الاستعمار الوافد من الخارج والاستعباد الذى كان منتشرا فى الداخل ، نحو لون من التعليم النظرى خصصت له الحكومات المتعاقبة نسبة عالية من ميزانياتها المحدودة للتوسع فى اقادة المدارس والمعاهد والجامعات التقليدية .

ثم ترتب على التهام هذه المدارس والمعاهد والجامعات للجانب الأخر من ميزانياتنا المحدودة ، أن أصبحنا اليوم أمام متناقضات تعارض ما نص عليه الميثاق والدستور من أن التعليم حق لكل مواطن ، بعد أن انقلب الهرم التعليمى رأسا على عقب بشكل ضيق من قاعدته وأوسع من قمته . بسبب حرمان الغالبية العظمى من أبناء الشعب من حقهم المشروع فى حد أوفى من التعليم ، وارتفاع الأمية تبعا لذلك الى نسبة مخيفة لمجرد ارضاء رغبات قلة محدودة دون مبرر عادل أو سبب معقول .

هكذا استحوالت شعارات مجانية التعليم وديمقراطيته الى مجرد لافتات زائفة . ولعلنا نلمس أننا بذلك كنا نمضى بالفوارق بين الطبقات صعدا بدل أن نقضى عليها اذابة أو حتى تضييقا .

وصحيح أنه كانت هناك محاولات لاعادة الهرم التعليمى الى وضعه الصحيح ، بقرارات لمحو الأمية تحددت لها أكثر من مدة زمنية ، ولكنها كانت مشروعات على الورق ولا تحقق غرضا ولا توصل الى حل مجد ، فى نفس الوقت الذى واجهت فيه الحكومات الجيش تلو الجيش من خريجين لا يحتاج الى أكثرهم المجتمع ، لتجد نفسها مضطرة الى فرضهم بقرارات رسمية على مختلف الوزارات والمؤسسات ، فحملت الميزانيات أعباء ثقلا ، وأنزلت بأداة العمل أضرارا معوقة ، وتسببت فى رفع تكاليف الانتاج .

لهذه الأسباب وما ماثلها حرصت ورقة أكتوبر على سرد عناصر استراتيجية التعليم والتثقيف ، كاستجابة صريحة للشعور العام بالحاجة الماسة الى ثورة اصلاحية جريئة ، بعد أن فشلت كل الوسائل الارتجالية

المؤقتة في الماضي ، وبعد أن انتهت تلك الوسائل الى تجريح مبادئ الميثاق والدستور ، وعرقلة مجرى التنمية وشل حركة التفكير العام ، وابعاد السواد الأعظم من أبناء الشعب عن الاسهام الواعي المستنير في مجريات الأمور ، وتمكين الأقلية من التحكيم في مصائر الأكثرية دون حق أو تفويض .

ولهذه الأسباب أيضا عنيت ورقة أكتوبر بأكثر ما عنيت ، بطرح ما يكفي لاقالة العشرة القائمة حاليا من مبادئ سامية في تعبيرات صريحة ، مثل (زوال المسافة بين الفكر والعمل ، لايجاد الفرد المتعلم المستنير) ، (عدم صب التعليم في قوالب واحدة) ، (ربط أنواع معينة من التعليم بالبيئة) ، (توثيق الصلة بين الجامعات والمعاهد على اختلافها وبين مواقع العمل) ، (القضاء على فكرة الفارق الاجتماعي بين تعليم وتعليم) . (الأخذ بما أصطلح على تسميته بنظرية التعليم المستمر) ، وهكذا .

بل لقد ذهبت ورقة أكتوبر في عرضها لمبادئ التنمية الاجتماعية عن طريق التعليم والتثقيف الى ما هو أبعد ، بطرحها مبدأين أساسيين . فالورقة أولا تعتبر أن (الاتفاق على البحث العلمي التكنولوجي بمثابة الاستثمار في صناعة ثقيلة ، لأنه استثمار لا يساعد فقط على التنمية في المستقبل القريب ، ولكنه يضمن استمرارها وتساعد معدلاتها في المدى الطويل) . وهي ثانيا تطلب (أن يستهدف البحث العلمي والتكنولوجي تطوير التكنولوجيا المستوردة للواقع المصري وأن يكتشف حلولاً لمشكلاتنا المحدودة) . وبذلك العبارات المقتضبة بلورت الورقة خلاصة أحدث ما انتهت اليه بحوث المتخصصين من رجال العلم والاجتماع والاقتصاد ، كما لم يفتها التحذير من أن يجعل منا التطبيق عبدا للآلة ، أو أن نغفل عن تفادي التطبيق العفوى أو الجزافي للتكنولوجيا على نحو يحرماننا من أن نكون سادة أنفسنا .

ورقة أكتوبر لا تخلع هذه الأهمية الكبيرة على التعليم والتثقيف لغاية مجردة ، بل لغرض أسمى هو ايجاد رصيد من القوى البشرية ذات القدرة على تحقيق مطالب البلاد في التنمية ، بدليل اعتبارها الاتفاق في هذا السبيل (بمثابة الاستثمار في صناعة ثقيلة) ، مما يجبرنا الى لقاء نظرة على نوع استخدامنا للقوى البشرية التي قدمها لنا التعليم والتثقيف حتى الآن . ولسوف ترسم أمامنا صورة مفزعة حقا .

سوف نرى دون حاجة الى حسابات أو تقييم أننا قد أسأنا استخدام هذه القوى . فعندما نلاحظ أن هناك حشدا كبيرا من مهندسى البترول وخريجي كليات الزراعة مثلا لا مكان لهم فى ساحة العمل ، فى نفس الوقت الذى تلح حاجتنا فيه الى عمال البناء والخبرات الفنية والادارية ، فإن ما سوف نستخلصه من هذا لن يكون الا أن هناك خللا فى استخدام الطاقة البشرية التى هى فى الأصل عماد الدولة الأساسى . كما أننا عندما نلاحظ أن الدول العربية فى حاجة ماسة الى مدرسين للغة العربية ، وأننا عاجزون عن سد هذه الحاجة لدرجة المساومة فى عددهم وتوزيعهم مما يعنى أننا لا نملك منهم العدد الكافى ، وأننا فى نفس الوقت نقرر أن يعود المعار منهم بعد ثلاث أو أربع سنوات كى يعطى الفرصة لزميل له مما يعنى أن هناك فائضا من المدرسين ، فإن معنى هذا بدوره أن هناك خللا فى البناء وفى التخطيط . والخلاصة أن النوعيات التى يجب توافرها غير موجودة ، وأن هناك سوء توزيع للعمالة .

هذه الحقيقة لمستها ورقة أكتوبر . ولم يكن اعتباطا أو رمية بغير رام أن تقول الورقة فى موضع منها أن (لا بد أن تستهدف سياسة التنمية الاجتماعية توفير أكبر قدر ممكن من فرص العمل) ، أو أن تقول فى موضع ثان أن (القوى العاملة التى تزيد عن فرص العمل المتاحة لا بد أن تنظم الدولة ظروف عملها فى الخارج على النحو الذى يحفظ كرامة المواطن ويصون قيمة عملهم ، أو أن تلح فى موضع ثالث فى (أن تتفرغ لجنة عليا لاعادة توزيع العمالة فى كل أجهزة الدولة بحيث لا تبقى أماكن تشكو اكتظاظ العمل وأماكن يشكو المواطنون من تأخير مصالحهم فيها لقلة العاملين) .

وتفاهم أوضاع العمالة عندنا يجعل من تنفيذ ما تطالب به ورقة أكتوبر مهمة شاقة وخطيرة ، خصوصا بعد أن عولج الأمر حتى اليوم بمعالجة أشبه بالهواية ، أن كان قد عولج حقا . والمشكلة أن كانت تبرز كأحد أركان استراتيجية التنمية عندنا فسيكون لها انعكاس واضح على كثير من أركان الاستراتيجية الشاملة التى توصى ورقة أكتوبر بأن تكون الموجه لسياستنا فى التصنيع والزراعة والتعليم والتدريب ، بدل الحلول الأشبه بالمسكنات التى سادت الموقف طوال ما قبل أكتوبر فلا هى تستأصلت الداء ولا هى قضت على جرثومة التخلف ، بل اكتفت بشعارات خادعة مؤداها أن ميادين العمالة خارج حدودنا كفيلة بامتصاص الزائد عن حاجتنا من الخريجين الى أمد غير محدود ، أو أن سياستنا فى فرض العمالة الزائدة على وزاراتنا ستحقق الفرص وترضى طموح المتعلمين وتطلعاتهم .

ورقة أكتوبر والديمقراطية السياسية

من ثنايا ما استعرضناه حتى الآن مما رسمته ورقة أكتوبر لاستراتيجية الغد ، نستطيع أن نرى أن الهدف الذى لا خلاف عليه هو الانسان المصرى الآمن على يومه وغده ، المتمتع بالفرصة المتكافئة ، صاحب الحق السياسى فى بلده دون رادع الا القانون . واذا كانت ورقة أكتوبر قد اتخذت من الانسان المصرى محورا للرجاء والأمل ، فلأنه صاحب الحق فى الاضطلاع بالمهام الأساسية ، وصاحب الحاجة بالتالى الى الظروف المواتية التى تتيح له بالفعل أن يخلق عالمه الأفضل .

وهذه الظروف لن تتاح له ما لم تتح له قبل ذلك حياة ديمقراطية سليمة . واذا كانت ورقة أكتوبر قد طالبت ضمن ما طالبت به أن تتوفر للمواطن المصرى تلك الحياة الديموقراطية ، فلأنها فى الواقع لم تتوفر له بالدرجة الكافية من قبل ، رغم ما نص عليه الميثاق ونص عليه الدستور من كل ما يجعل من الديموقراطية أمرا حتميا .

أن الحقائق العلمية المسلم بها فى علم السياسة وعالمها أن الديموقراطية لا تتحقق بمجرد وجود دستور مكتوب أو وثيقة عليا مهما أطلق عليها من تسميات . ومن المسلم به أيضا فى هذا المقام أن وجود مؤسسات سياسية أو دستورية لا يشكل وحده الضمان الكافى لقيام واستمرار النظام الديموقراطى . ولذا لم يحظ الانسان المصرى بالحياة الديموقراطية السليمة التى تتيح له صوغ عالمه الأفضل .

لقد هيات لنا التجربة المصرية عناصر القوة الموصلة الى الديموقراطية السياسية فى مجموعة من القيم والعلاقات كان المفروض أن تكون ضمير المستقبل وحكمه . فمن هذه العناصر أولا الادراك العميق واليقظ لأهمية التنمية الشاملة كقضية حياة أو موت ، وثانيا الادراك بأن هدف التنمية النهائى يجب أن يكون خدمة القاعدة الاجتماعية الأوسع ، وثالثا الرؤيه الواضحة لدور القاعدة الشعبية باعتبارها أداة صنع المستقبل التنفيذية ، ورابعا الوعي الكامل بأننا جزء من العالم ولسنا فيه مجرد موقع أو مكان .

ولكن عناصر القوة هذه سارت الى جانبها عناصر قصور حالت عن حسن أو سوء نية دون بلوغ الهدف ، منها أولا المفارقة ما بين الديموقراطية الاجتماعية والديموقراطية السياسية التى لم يتحقق لها الكثير ، وثانيا المفارقة بين حق الفرد أو الصفوة فى الاختيار السياسى نيابة عن الأمة وحق

الأمة في الزام الفرد أو الصفوة باختياراتها ، وثالثا المفارقة ما بين القدرة الهائلة للمؤسسات السلطانية التنفيذية ، والحرمان من ثقل مناسب تناله مؤسسات التمثيل الشعبى والسياسى .

وفىما بين عناصر القوة وعناصر القصور ، وبعد ما انتهت اليه التجربة المصرية من الافتقار الى الديموقراطية السياسية الحقة التى تطالب بها اليوم ورقة أكتوبر ، يثبت لنا بالقطع أنه (لا ديموقراطية بدون ديموقراطيين) وأن الديموقراطية تتطلب كشرط مسبق وأساسى أن تكون السلطة السياسية وديعة بين أيدي من يؤمنون بها ويدافعون عنها ، وأن يكون مسند السلطة فى الأمة هو ارادتها ومشيتها النابعة عن الأمة بأسرها وليس عن قطاع خاص تحتكره مجموعة معينة عن اعتقاد باطل بأن كراسى السلطة حق مكتسب لها .

كل هذا آمنت به ورقة أكتوبر كما يمكن أن نستشف من بين سطورها فى أكثر من موضع . وكل هذا رسمت له الورقة العلاج الحق فى أهداف عشرة تعطى لقوى المجتمع متحالفة حقها السياسى دون خوف من انقضاى قوة على أخرى . فالورقة تلزمنا بالحفاظ على الاتحاد الاشتراكى اطارا لحوار قوى المجتمع السياسية ، ولا تحول دون أن يكون للرأسمالية الوطنية منبرها وبرنامجها داخل التحالف ، بل هى لا ترى بأسا فى أن يكون لقوى الشعب الأوسع منابرها وبرامجها أيضا على أن يكون ذلك بالحوار وليس بالانابة .

وفى نفس الوقت ، توصى ورقة أكتوبر بأن ينتهى للمؤسسات التمثيل الشعبى ، وهى الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ، دور أكثر توازنا مع مؤسسات السلطة التنفيذية ، وأن يتحقق للمثقف المصرى دور المشاركة عن طريق المجالس القومية ، ليس فقط كمجرد خبرات مجمعة وانما أيضا كأجهزة استقبال لتطلعات مختلف طوائف الشعب التى تنظمها النقابات ، حتى تكون بمثابة لجان مركزية لمؤتمرات المهنيين كل فى تخصصه ، وحتى يتحقق ما هو مرجو من التواصل بين التخطيط وحقائق الواقع .

ورقة أكتوبر وسيادة القانون

لقد فطر الانسان على عشق الحرية . تسكره رياحها ، ويشعر فى ظلها بمثل تباشير دفاء الربيع ، وتقوى فى نفسه بفضلها عوامل الأمل .

ولقد تتطلب الحرية خيالا لارتياذ آفاقها ، ولكنها لا تقوم بالقطع على

الأوهام . فلكي يخلق المجتمع على جناح الحرية فى السماء ، لا بد أن ترتكز
حريته الى قاعدة راسخة فوق الأرض .

واذا كان من المؤكد أن انتهاك حرية الانسان لا يحتمل التبرير فى
أى ظرف وبأية دعوى ، فانه فى نفس الوقت يتعارض مع كل المثل المعصرة ،
ومع كل نظريات وفلسفات التحرر على اختلاف محتواها الاجتماعى ، ولعل
هذا وأمثاله كان السبب فى واحد من الفلسفات الست التى قامت عليها
ثورة ٢٣ يوليو وهو اقامة مجتمع حرصت الثورة على أن تقرر فيه الكفاية
بالعدل . وبهذا جعلت الثورة من العدل ركيزة للحرية فوق الأرض أودعت
ميزانها ، كما هو الحال فى كافة المجتمعات قديمها وحديثها وأيا كانت
مبادئها ، يدا واحدة هى يد القانون . ولعلنا نلاحظ بذلك مدى الرابطة
التى لا انفصام لها ، والتى توثق ما بين الحرية وسيادة هذا القانون .
فهل حظى القانون دائما بسيادته هذه ؟

أن ما من واحد فينا الا ويكتنز فى ذهنه صورة أو أكثر من صور
انتهاك القانون ، أو الشرعية ، أو حرية الانسان . وما من واحد فينا الا
ويعلم أن سجون أجهزة القمع ومعتقلات السياسيين وغرف الاستجواب لم
نخل من جرائم اكتشاف بعضها ولم تكتشف خبايا بعضها الآخر بعد .
وأن حيننا من الدهر غير بعيد أتى على مصر لم يكن المواطن المصرى فيه يشعر
بأمن من أى نوع على نفسه وماله بدعاوى ظاهرها الحفاظ على مسار مبادئ
الثورة وباطنها التشبث بمراكز القوى . ظاهرها الايجابية وباطنها
السلبية . وهى حقيقة دفعت الرئيس أنور السادات الى اجراء حركة
التصحيح على أسس جوهرها ازاحة مراكز القوى (حفاظا على ايجابيات
الماضى وتصحيحا لسلبياته) واذا كانت سنوات الهزيمة قد حالت دون
السير فى الأمر قدما لسبب أو لآخر ، فقد جاءت ورقة أكتوبر بعد النصر ،
وبعد أن عرف الشعب نفسه ، لتلقى بزمام الأمور جميعا فى يد هذا
الشعب ، دون أن ترضى عليه بالأضواء التى تمكنه من التخطيط لاستراتيجية
شاملة ينهض عن طريقها بشأن نفسه الى حيث يجب أن يكون .

ترفض ورقة أكتوبر رفضا قاطعا الوقوف عند حد تنحية مراكز القوى
عن الطريق ، وتنادى بانطلاق حركة التصحيح (الى تحقيق جوهرها
الأهم ، بالعمل على ارساء سيادة القانون ، واعزاز كلمة القضاء) .

وقصة شجب سيادة القانون ودحر كلمة القضاء تقدم صورة من
أكثر صور الانحراف ودوس الحريات شناعة فى العهد الأخير ، كانت
ولا شك فى ضمير صاحب الورقة بتفاصيلها المزرية ، كما كانت الدافع

الى اعتباره سيادة القانون واعزاز كلمة القضاء جوهر الحركة التصحيحية هدفه اقالة عشرات قضاء الحريات .

ونحن اذا تحدثنا عن قضاء الحريات فانما نعنى بذلك القضاء الادارى لمجلس الدولة ، فقد كانت المحاكم العادية منذ قيام القضاء عام ١٨٧٥ والقضاء الاهلى عام ١٨٨٢ ممنوعة بموجب قوانين انشائها من تاويل قرارات جهات الادارة ومن وقف تنفيذها أو الغائها ، ولم تكن تملك ازاءها غير الحكم للمضروور بتعويض لم يكن مهما بلغ مقداره بالوسيلة المثلى لكفالة الحرية الشخصية أو الحريات عموما .

كان يكفل هذه الحريات ويصونها تخويل القضاء ولاية الغاء القرار الادارى اذا كان فيه انتهاك أو تهديد لهذه الحريات . وكان مجلس الدولة قد اضطلع بممارسة هذه الصلاحية منذ انشائه عام ١٩٤٦ الى جانب صلاحياته الأخرى فى الافتاء والتشريع . وكان لأحكامه التى استهل بها عهده فى حماية حقوق الموظفين والهيئات صدى بث الطمأنينة والارتياح فى نفوس جميع فئات الشعب ، بما جعل منه ملاذا لكل لاجئ وحصنا حصينا للحريات . بل لقد بلغ سلطان مجلس الدولة الى حد بسط رقابته على القوانين الصادرة عن البرلمان والسلطة الشرعية ، ففضى فى أحكام متتالية خالدة ترجع الى عام ١٩٤٨ باختصاصه بفحص القوانين من ناحية ومطابقتها لأحكام الدستور شكلا وموضوعا من ناحية أخرى ، نصا وروحا . حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو لتفتح بقيامها الشجرة التى حتمت فتحها المتغيرات والتى تسببت خلالها مراكز القوى تنشر بين الناس أوبئتها .

ولسنوات عدة كانت هناك شرعيتان متناقضتان . شرعية كانت وظلت فى ظل الدستور الملكى قائمة ، وشرعية الثورة التى تحولت الى حركة تغيير شاملة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا . ولقد أدرك مجلس الدولة ذلك من أول الأمر ، فحاول جاهدا التوفيق بين الشرعية القائمة ومتطلبات الحركة الجديدة . ولم يكن التوفيق سهلا وسط سلسلة المتناقضات ، وفى ضرورة التقيد بمواد الدستور الملكى بما كان له من شرعيته وقديسيته ، فى مواجهة ثورة تبغى الابقاء على نفسها وترفض بطبيعتها القيود والحدود .

ووجد مجلس الدولة حلا مؤقتا لذلك فى ازدواجية التشريع . . . تشريع عادى يصدره مجلس الوزراء فى شكل مراسيم وقوانين منسوبة خطأ أو صوابا الى ما نص عليه الدستور الملكى فى صدد التشريع فى غياب البرلمان ، ثم استنادا الى نظرية الضرورة بعد اعلان سقوط ذلك الدستور ،

وتشريع آخر توري في صورة (أوامر) أو (بيانات) كانت تصدر عن مجلس الثورة أو من القائد العام للقوات المسلحة وتعتبر بطبيعتها ومن حيث مصدرها بمنأى عن الرقابة القضائية فلا سيادة للقانون عليها .

ونستدرك فنقول ان ما كان يصدر عن الثورة كان أمرا محتوما . فالثورة كان يجب أن تحمي نفسها أولا ، وتطبق المبادئ التي قامت عليها ومن أجلها ثانيا . ولذا لم يكن هناك مفر من تغاضي القانون عن أوامر وبيانات الثورة رغم ما كان لها من أثر بالغ الخطورة في حياة البلاد . كإعلان سقوط دستور ١٩٢٣ في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ ، وإعلان حل الأحزاب والهيئات السياسية في ١٧ يناير ١٩٥٣ ، وإعلان الدستور المؤقت لفترة الانتقال في ١٠ فبراير ١٩٥٣ . وإعلان النظام الجمهوري وسقوط حقوق أسرة محمد علي في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وإعلان مصادرة أموال الملك السابق في سبتمبر ١٩٥٣ ، وإعلان مصادرة أموال أفراد الأسرة المالكة السابقة وممتلكاتهم في ٨ نوفمبر ١٩٥٣ ، وغير ذلك من إعلانات حثمت الثورة صدورها كي تشق بها الطريق الى غاياتها ، الى أن جاء أخيرا إعلان الدستور المؤقت في ١٠ فبراير ١٩٥٣ ليقرر (أن يتولى قائد الثورة في مجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير التي يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها) .

واتسعت الشجرة التي أتاحت لبعض القوى وسائل الانحراف ، فقد كان معنى هذا بلغة القانون أن تلك التدابير لا تخضع لرقابة القضاء من حيث إمكان طلب الغائها أو حتى استحقاق التعويض عنها ، رغم ما كان القضاء قد استقر عليه سابقا من أن الحرمان من الإلغاء والتعويض معا أمر لا تملك السلطة التنفيذية فرضه حتى ولا بقانون ، والا كان ذلك القانون باطلا لمخالفته للمحق الطبيعي الذي كفلته جميع الدساتير ، وهو حق الانتصاف باللجوء الى القضاء .

وهكذا أقر المجلس مستسلما صحة العديد من القوانين المانعة من حق التقاضي ، أو التي أخرجت من ولايته القضائية رد الحقوق المهددة الى أصحابها واستندت التظلم فيها الى جهات لا يتوافر لها ما يتوافر للتقاضي أمام جهات القضاء فضلا عن أنها نفس الجهات التي أهدرت الحق مما يجعل منها خصما وحكما .

وهكذا ، وسط تغول السلطة الادارية وتصاعد نفوذها وجبروتها ، وانكماش الحماية القضائية وضموورها ، ضاعت الشرعية وتبخرت سيادة القانون ، وتحكمت النزوات والاهواء ، وانتهكت الكرامات والحريات ،

وحرسست أو صودرت الأموال ، وضربت القيود على الحقوق ، بل وبم
تسلم قدسية القضاء ذاته من الاعتداء لدرجة أنه أمكن بجرة قلم احالة
العديد من خيرة رجاله الى التقاعد وعلى نحو لم يسبق له بدوره مثيل .

وعندما تنصح ورقة أكتوبر بأنه (لا بد أن يزول الخوف ، وأن تختفى
بذور الشك ، وأن تتراجع الحزازات والأحقاد ، وأن يحس كل فرد أنه آمن
على يومه وغده ، وعلى نفسه وأهله ورأيه وماله) ، عندما تنصح الورقة
بهذا فانما تقصد بذلك دون شك ما عرف باسم (الحراسات) التي أنزلت
أفدح الضرر بالفرد وأهله وماله ، وأفقدته الشعور بالأمن على يومه وغده ،
بعد أن ابتدعتها مراكز القوى اضطرابا في أول الأمر ثم تنفيذا لمخططاتها
في العمل على تفويض وحدة الأمة بدافع من الحزازات والأحقاد .

وتبرز فداحة شأن الحراسة هذا ، منذ فرض في أكتوبر ١٩٦١
وما تلاء من حراسات على الأموال والممتلكات ، لو علمنا أنه طبق على
١٥٥٥٨ حالة تأثر بها ما يربو على عشرين ألف نفس بين رجال ونساء
وشيوخ وأطفال . ثم يبرز مدى مخالفة هذا النظام لروح العدالة والانصاف
لو علمنا أنه حتى الدول المعادية لنا وجدت من العدالة والانصاف رادعا
عن فرضه علينا .

فالتاريخ يروى أن الجنرال مكسويل ، عقب اعلان الحماية على مصر
أثناء الحرب العالمية الأولى وبصفته حاكما عسكريا ، فكر في فرض الحراسة
على أموال وممتلكات أسر بعض من شايعوا الحديو السابق عباس من المصريين
فنفوا الى خارج البلاد ، مستندا في ذلك الى ما أتبع أزاء رعايا دولتي ألمانيا
والنمسا ، ولكن حسين رشدي باشا ، رئيس الوزراء وقتذاك ، اعترض
استنادا الى أن الحراسة بمفهومها في القانون العام لا تفرض الا على رعايا
دول الاعداء وفي حالة الحرب ، وأن المصريين لا يعتبرون أعداء لبلادهم .

والتاريخ يروى أن الجنرال اللنبي طلب في عام ١٩٢٢ فرض هذه
الحراسة على أموال وممتلكات سعد زغلول وأصحابه الذين نفوا الى جزيرة
سيشيل . ولكن لويد جورج ، رئيس الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ،
رفض ذلك استنادا الى نفس المبدأ مما دعا السلطة العسكرية الى الاكتفاء
بالاحتفاظ على حسابات البعض في المصارف والبنوك لفترة انتهت بالافراج
عن المنفيين في سبتمبر ١٩٢٣ .

ولهذين السببين على الأقل كانت الحراسة التي فرضت عام ١٩٦١
لا تعدو بدعة سياسية ما أنزل القانون بها من سلطان ، لسبب واضح

ومنطقي هو أنه لأول مرة في تاريخنا يفرض المصري الصميم هذا النظام المقيت على ابن جلدته المصري الصميم ، وكأنه عدو ، كى يجد من فرضت عليه الحراسة نفسه مع زوجته وأبنائه محروما بين عشية وضحاها من كافة وسائل العيش وأسباب الحياة .

وحتى السادس من أكتوبر ، رغم محاولات التصفية لأكثر من مرة ، ظلت الحراسات على الأموال والممتلكات قائمة بمآسيها ومخازيها التي كشفت عنها لجنة الاقتراحات البرلمانية في تقريرها الخطير بمجلس الشعب ، ورغم أن ما انتهت إليه هذه اللجنة كان يدين في صراحة تامة نظام الحراسة على الأموال والممتلكات .

قالت اللجنة في تقريرها أنه (حينما صدر دستور ١٩٦٤ كان من المعين تصفية نظام الحراسات ورد الأموال والممتلكات الى أصحابها في حدود ما نص عليه الميثاق ، غير أن مراكز القوى في ذلك الوقت والتي كان تتبوأ برئاسة الوزارة ، رأت أن خير تصفية للحراسات هي مصادرة الأموال بالقانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الذي انعقد قبل انعقاد مجلس الأمة مباشرة . وترى اللجنة ان هذا القانون قد جاء مخالفا للدستور ، بل لجميع المبادئ الدستورية التي أجمعت على حماية الملكية الخاصة) .

ثم قررت اللجنة أنه (اذ ينص دستور مصر الدائم على حماية الملكية الخاصة مسترشدا في ذلك بالميثاق الذي سبق صدور هذا القانون ، فان اللجنة ترى أن هذا القانون باطل ويتعين الغاؤه والغاء كل ما ترتب عليه من آثار وأوامر وقرارات) .

ويجربنا ما تبين من بطلان القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ الى التنويه بما كان عليه الكثير من القوانين من فوضى أساءت الى سمعة التشريع في البلاد ، مما دفع ورقة أكتوبر الى الحث على (وضع الضوابط التي يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح ، ويمارسها في طمأنينة) .

استجابة لأهواء مراكز القوى ، لم يكن التشريع يتفق في الشكل ولا في المضمون مع سمو رسالته وجسامة مسؤوليته ، أو يصدر بهدف تحقيق مصلحة عامة عن طريق تنظيم أحوال المجتمع الذي يخاطبه وتسوده أحكامه . والى جانب العبث الفاضح الشائن الذي قضى على مستقبل مواطن ضابط ، والبطلان الواضح في القانون ١٥٠ لسنة ١٩٦٤ سالف الذكر ، حفلت تشريعات ما قبل السادس من أكتوبر بالكثير من الحالات خلا فيها لأصحاب الأمر والنهي أن يعفوا أنفسهم من رقابة القضاء ، وحرمان أفراد

الشعب بالتالى من ضمانة أساسية يدافعون بها عن حق مساوٍ أو ظلم نزل بهم ، كما فيما تضمنته بعض القوانين من تحصين قرارات فصل الموظفين بغير الطريق التأديبى من رقابة القضاء على مشروعيتها ، وما جرى من هذا القبيل فى شأن قوانين وقرارات الحراسات التى سبق أن أشرنا إليها .

وزاد من الأمر سوءا على سوء ، صدور التشريعات بتوجيه من فئة بعيدة عن روح العدالة والقوانين هى التى كانت تحتل مراكز القوى ، وبأسراف تمشى مع تقلب نزواتهم وتصاعد مطامعهم وتشعب أهوائهم ، حتى لقد بلغت التشريعات التى صدرت فى عام ١٩٥٥ ستمائة وخمسين قانونا بخلاف مائة وواحد وثلاثين أمرا عسكريا . ونحن لو عرفنا أن ما صدر من التشريعات بعد ذلك بخمس سنوات ، وفى عام ١٩٦٠ ، بلغ مائتين وثمانية وأربعين قانونا بالإضافة الى ألفين ومائة واثنين وثلاثين قرارا جمهوريا ، للمسنا كيف أن الاسراف فى اصدار التشريعات كان متصلا على نحو تاه فى تلافيه المواطن وضاعت بين ثناياه حقيقة المقصود من التشريع بسبب ما كان يعقبه من الغاء أو تعديل بالحذف أو الاضافة .

بل تعدى العبث بالتشريعات ، الى الجانب السياسى من حياة الفرد ، واحدا من أعز أركان الحرية هو حرية الرأى ، الأمر الذى ندد به الرئيس أنور السادات فى ورقة أكتوبر بقوله (اننى أؤمن بأنه لا معنى للحرية السياسية بالنسبة للجائع الذى يضطر الى بيع صوته فى الانتخابات ، ولكنى أؤمن أيضا بأنه لا جدوى للقامة العيش اذا فقد الانسان أهم ما يميزه وهو الحرية السياسية) .

لقد صدر الميثاق ليكون بمثابة عهد أو اتفاق بين مختلف قوى الشعب على أن تعيش معا فى سلام ، داخل اطار حوار ديموقراطى هدفه الوصول الى تذويب الفوارق بين الطبقات ، وقد اتفقت هذه القوى على أن الحل الاشتراكى هو الحل الحتمى المحقق للهدف . ومن هنا يختلف الاتحاد الاشتراكى عن التنظيمات السياسية الأخرى فى أنه تنظيم ديموقراطى يقوم على الانتخاب ، وأنه منبر لآراء مختلف قوى التحالف وليس رأى طبقة بعينها من مختلف طبقات الشعب . فهل تركت مراكز القوى لتحالف قوى الشعب حريته السياسية فى ممارسة حرية رأيه داخل الاتحاد الاشتراكى ؟ .

لقد تحولت عضوية هذا الاتحاد السامى الغرض ، وهى اختيارية أصلا ، الى نوع من العضوية الاجبارية نتيجة إدخال صيغة تكاد تكون

واحدة على كل قوانين النقابات المهنية ، هى أن العضوية العاملة شرط
للمرشح لمجالسها . بل لقد تطرف القانون الخاص بنقابة المهن الزراعية
مثلا فاعتبر العضوية العاملة شرطا لخصور جلسات الجمعية العمومية ،
وللمرشح لمجالس التشكيلات النقابية العمالية والجمعيات التعاونية
الزراعية .

وقانون تنظيم الصحافة ، الصادر فى ظل الاتحاد القومى ، وهو
تنظيم سياسى يختلف مفهومه عن الاتحاد الاشتراكى ، ظل حتى السادس
من أكتوبر يتطلب الحصول على ترخيص من الاتحاد الاشتراكى لمزاولة
مهنة الصحافة دون الاكتفاء بالقيود فى نقابة الصحفيين ، كما ظل فى حاجة
الى الحصول على ترخيص باصدار جريدة دون الاكتفاء بالشروط التى يفرضها
قانون المطبوعات .

وحتى قانون مجلس الأمة السابق لم يكتف بالعضوية العاملة فى
الاتحاد الاشتراكى كشرط للمرشح ، بل ذهب الى المطالبة بتقديم شهادة
بذلك دون اكتفاء ببطاقة العضوية .

والتطلعات الشعبية لا يخدم أوارها فى النفوس عن رغبة فى الانتماء
أن لم يكن الى مجلس الأمة فالى الصحافة أو مجالس النقابات . وإذا كان
الطريق الى أى منها بابه العضوية العاملة فى الاتحاد الاشتراكى ، فلا مفر
من العضوية الجبرية فى الاتحاد الاشتراكى ، والاتحاد تحت سيطرة مراكز
القوى ، وقبول العضوية مشروط بقبول ما تقبله مراكز القوى ورفض
ما ترفضه . والنتيجة أن تنطلق الأفواه فى مجلس النواب ومجالس
النقابات ، والأقلام فى الصحافة ، مرددة ما تريد مراكز القوى ترديده
عن مشايعة تكسب منها الأفواه والأقلام أو على الأقل لا تضار ، فالمضرة
لن تقع الا فى حالة واحدة هى ابداء صاحب رأى لرأيه الحقيقى .

ولا نقول أن هذا كان شأن كل أعضاء مجلس الأمة أو مجالس النقابات
أو ساحة الصحافة ، ولكن على هذا النحو كان عدد كبير من الأعضاء فى
الميادين الثلاثة . وعلى هذا النحو بالتالى انفتح الباب على مصراعيه للمنفاق
السياسى ، وأصبح من المألوف أن يكون لنفس الشخص رأى اثنان ، أحدهما
معلن فى الاجتماعات العامة يتشدد بالاشتراكية وحقوق الجماهير وبأنه
ليس فى الامكان أبدع مما كان ، والآخر وقف على المجالس الخاصة لا يكف
عن الانتقاد . كما أنه على هذا النحو أصبح اصطلاح حرية الجماعة شعارا
زائعا اختاره الطغاة لخنق حرية الفرد .

وبسبب هذه السلبية في نظام الاتحاد الاشتراكي والتي تمس تنظيمه ، بل ومفهومه . فقد شفع الرئيس محمد أنور السادات ورقة أكتوبر بورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي وقدمها الى الأمة في أغسطس ١٩٧٤ .

وعلى ضوء ما ورد بهذه الورقة بزغت ظاهرة صحية تعبر عن حرية الرأي وحرية الفكر ، بين الفئات التي تناولتها بالمناقشة والاستماع والنقد . وفي هذا المجال ترددت في مصر نغمة لم يسمع بها شباب الثورة وتوارت تحت الانقراض منذ زمن ، تلك هي نغمة احياء تشكيل الأحزاب ، وتحويل الاتحاد الاشتراكي الى حزب اشتراكي . سواء باطلاق حرية تكوين الأحزاب السياسية ، على العموم ، أو بالتمسك بتكوين حزبين فقط بغرض وجود الرأي المعارض دائما ، لترشيد المجتمع الى أخطائه .

ورقة أكتوبر وتطبيق المواثيق الأساسية

بورقة أكتوبر ، بعد أن أدلى الشعب برأيه فيها على نحو الذي افتتحنا به هذا الفصل من كتابنا ، تخرج الى حيز وجودنا وثيقة تحكم سياستنا المستقبلية ، وعهد بالانجاز والممارسة يلتزم به المواطنون كما تلتزم به أجهزة الدولة .

لقد كانت مواثيق الثورة التي صدرت قبل ورقة أكتوبر تخضع لظروف العمل الوطني ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، وترسم الطريق أمامه . أما ورقة أكتوبر فتتميز بأنها تنظر الى ظروف العمل الوطني نظرة أعم وأشمل ، وتعتبر أن كل عمل وطني داخل أية دولة من الدول ، والظروف الدولية المحيطة بالدولة ، لم يعد قادرا على أن يتجاهل ما يجري حوله من متغيرات ، بعد أن أصبح للقوى الخارجية عسكريا وسياسيا واقتصاديا دورها الأساسي في العلاقات الدولية المباشرة وغير المباشرة ، وبعد أن لم تعد أية دولة تملك العيش بمعزل عن هذه الظروف ، أو أن تتغاضى عن المواءمة بين حركتها في كافة المجالات وبين حركة الدول الأخرى القريبة والبعيدة على السواء .

ومن هنا تبرز الميزة الكبرى لورقة أكتوبر . فهي ان كانت قد عرضت على وجه الدقة ظروفنا وامكانياتنا ، وأكدت أن مصر تعتبر (قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لها وزنها ويعمل حسابها) ، فهي لم يفتها شرح المتغيرات كما لم يفتها رسم الطريق لها في اطار الحفاظ الكامل على مبادئنا النابعة من وحي اخلاقياتنا .

ومن جهة أخرى ، اتسم عرض المسائل الشائكة المعقدة التي حوتها ورقة أكتوبر ، كورقة عمل ، بالصراحة والشجاعة والنقاء النام من الحسابيات ، دون محاولة للتحلل من المسؤولية عن أخطاء الماضي ، أو تردد في تأكيد العزم على تصحيح ما فسد وتقويم ما أعوج منذ بدء التجربة الثورية عام ١٩٥٢ .

وبنفس الصراحة والشجاعة مضى الأفراد ومضت أجهزة الدولة في تطبيق مبادئ ورقة أكتوبر ، فسقطت قرارات فرض الحراسة على الأفراد ، والغيت الرقابة على الصحف ، وفتح باب القصر الجمهوري لكل تظلم ، وبدأت إعادة النظر في وضع الاتحاد الاشتراكي ، وباختصار ، بدأ (التطبيق) السليم لمبادئ الميثاق وبيان ٣٠ مارس في ضوء المتغيرات الجديدة ، بعد أن عبثت مراكز القوى بكل مبدأ تقريبا .

تقول الورقة على لسان الرئيس محمد أنور السادات (ان شعبنا بالغ رشيد لا يحتاج لوصاية أحد) . ولقد بادر الشعب بالبرهنة على صحة رأى الرئيس ، بمبادرته الى ارساء القواعد ، والتخطيط للاستراتيجية الشاملة التي رسمت صورتها في الأذهان ورقة أكتوبر .

القسم الخامس

على أبواب الجّولة الخامسة

الفصل الأول

النضال السلمى

• حي على السلام

السلام كالحرية • • يؤخذ ولا يعطى •

والسلام هو الحق ، سبحانه وتعالى • • والانسان من روح الله ،
فيها أيتها الحروب ، كم من الأرواح زهقت بسببك !؟

« والاستراتيجية » هي الأهداف العليا • • أما « التكتيك » فهو
الوسائل اللازمة للوصول الى هذه الأهداف والتي يلزم لتحقيقها
الايمان بها مع سرعة الحركة ومواكبة الظروف والمرونة المطلقة ، لمجابهة
المواقف بجرأة وشجاعة ومقدرة • • هذا بجانب سرعة المناورة والصبر
على تحمل مشاق الطرق الوعرة • ولا يمكن أن تتحقق الأهداف دفعة
واحدة ، بل يلزم لتحقيقها التمسك بعنصرين أساسيين هما : الوقت
والصبر •

ولم تخرج هذه المبادئ ، عن بعض الصفات التي كان يتسم بها
الرئيس السادات المخطط لاستراتيجية السلام المصرية ، والذي اختار
طريق الحرب لفتح السبيل نحو السلام العادل الدائم لمصر وشعوب
المنطقة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين ، والقضاء التام على مشاكل
الشرق الأوسط •

استراتيجية السلام المصرية

تقول الحكمة الصينية القديمة :

« رحلة الألف ميل ، تبدأ بخطوة واحدة » •

وكما يقول المثل التركي :

« طالما أنت تمشي فالطريق لا ينتهى » •

أما اذا توقفنا عن السير وانتابنا الخوف أو أجبرنا على الخوف ،
فان التوقف في منتصف الطريق ، أشبه بمن يسير وهو واقف ، ويدور
حول نفسه •

ولذلك ، بدأ الرئيس السادات التحرك ، باسم الشعب المصرى
الذى يؤيد ويدعم موقفه - للخروج على السلبية السياسية ، التي يدور

-حولها كثير من أصدقاء مصر ، الذين ينادون بشعارات براقية ، ويتسترون بغباء الماضي ويدورون حول أنفسهم دون أن يحققوا هدفا يخرجهم من مشاكلهم .

فقد ظلموا سادرين فى حوارات جوفاء بلا طائل ، ولم يفكروا أبدا فى تخطى حواجز التخلف التى انكسرت منها زوايا الرؤية الصحيحة حتى نسوا - أو تناسوا - فضائل مصر .

وكان على مصر ، أن تتحرك بحرية ومرونة دون أى معوقات أو خوف .

ووضعت مصر خطة العمل السياسى المكتف الشاق ، بكل صراحة رئيسها السادات وصدقه ووضوحه وقوة ايمانه بالحق والعدل .

وتتلخص عناصر الموقف المصرى لتحقيق الأهداف العربية فى :

- ١ - أن تكون التسوية شاملة .
- ٢ - أن تستعيد الشعوب العربية ، جميع أراضيها المحتلة منذ عام ٦٧ .
- ٣ - أن تضمن حقوق الشعب الفلسطينى ، باعتبار أن المشكلة الفلسطينية هى جوهر النزاع .
- ٤ - أن تتيح لجميع دول وشعوب المنطقة ، أن تنعم بالأمن والأمان داخل حدودها .

وانطلاقا من نصر أكتوبر المبين ، ارتكزت استراتيجية السلام المصرية ، على أسس وخطوط واضحة هى :

- ١ - دعم القوة الذاتية المصرية ماديا ومعنويا .
- ٢ - كسب رأى العام العالمى الى جانب مصر .
- ٣ - تشجيع الاتجاهات التى تتمشى مع الجهود المصرية الصادقة من أجل السلام العادل والشامل .
- ٤ - تحقيق المشاركة الكاملة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، الذى كان طابع مواقفها الدولية ، التحيز الكامل للمواقف الاسرائيلية .
- ٥ - تجاوز الخلافات الناشئة فى العالم العربى التى تعوق مسيرة السلام . . تلك المسيرة التى تؤدى بالأمة العربية الى كل ماتصبوا اليه من أهداف .

استقطاب القوة المؤثرة

من المسلم به ، أن الولايات المتحدة الأمريكية ، تساند إسرائيل في جميع عناصر بقائها ، حيث شاعت الصهيونية العالمية أن تكون . . لأنها الحليفة المفضلة التي ترتبط بها بقران أبدي لا انفصام فيه .

ومن نافلة القول ، أن يتخيل أى سياسى محنك ، أنه من الممكن أن تتخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن إسرائيل ، أو حتى تدير ظهرها اليها ، لأن الاعتراف الدولى بدولة إسرائيل ، قد أوجدها على خريطة منطقة الشرق الأوسط .

وذلك ما تعلنه دائما وتجاهر به الولايات المتحدة الأمريكية في كل وقت ومكان . وهو ما صرح به الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى في كتاب استراتيجية السلام (عام ١٩٦٠) ، فجاء رأيه في موقف دول الشرق الأوسط ، كالآتي :

(ان طبيعة الشرق الأوسط في الأجيال القادمة سيحددها عامل لم يكن موجودا منذ قرن مضى ، وهو دولة إسرائيل . ولقد حان الوقت الذى ينبغى فيه أن تدرك المنطقة ودول العالم ، أن إسرائيل قد وجدت لتبقى . ويجب أن تشمل كل المفاوضات بين الولايات المتحدة والعرب هذه الحقيقة) .

ويقول الرئيس السادات :

(فى حرب أكتوبر وضحت الحقيقة وهى أن القوتين العظميين في هذا العالم لن يسمحا بأن يتغير الوضع قبل إسرائيل) .

وعليه ، ومن نفس هذا المنطلق ، تأسست رؤية الرئيس المصرى محمد أنور السادات عند شق الطريق نحو السلام الشامل الراسخ . واستند التحرك المصرى الدولى ، على هذا العامل ، الذى يمثل واقعا لا يمكن تجاهله أو إسقاطه ، لتحقيق استراتيجية السلام المصرية .

مسيرة مبادرات السلام

وتوالى المبادرات السلمية السياسية ، على مدى احدى عشرة سنة ، انطلاقا من وقت قبول القرار ٢٤٢ (سنة ١٩٦٧) ، الى التعاون مع جونار يارنج فى جهوده لتنفيذ هذا القرار ، الى قبول مبادرة روجرز ، الى حرب رمضان / أكتوبر المجيدة ، الى مبادرات السادات للسلام العادل الدائم الشامل ، الذى حققته اتفاقيتى كامب ديفيد (سنة ١٩٧٨) .

وكانت مصر تواصل العمل من أجل تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط ايماناً منها :

- بالمبادئ التي قامت على أساسها هيئة الأمم المتحدة .
- ومبادئ مجموعة عدم الانحياز ، وقد أسهمت مصر في ارسائها ، والتي تنادى بعلاقات دولية عادلة ، في اطار تحرير الشعوب واستقلالها ، وفي مواجهة تقلب العلاقات بين القوى العظمى .
- وتعتبر حركة عدم الانحياز ، الطريق الوحيد لضمان أمن وسلامة دول العالم الثالث في مواجهة سياسات التكتل والأخلاف والاستقطاب .
- مبادئ منظمة الوحدة الأفريقية .
- قرارات مؤتمرات القمة العربية .

ان حرب رمضان / أكتوبر لم تنشب فقط من أجل حل القضية المصرية الاسرائيلية ، بل أيضا لحل الصراع العربي الاسرائيلي ، واستخلاص الحقوق العربية المشروعة بما فيها الحق الفلسطيني .

ولا تقل معركة السلام ضراوة عن معركة القتال وكذلك كانت ادارة معركة السلام ، تحتاج الى نفس المقومات التي تحتاجها معركة الحرب ، كالقوة والشجاعة والمرونة وغيرها من العناصر التي تتكون منها مبادئ الحرب .

وولت مصر السادات جهدا ، نحو قبلة السلام . ونورد فيما يلي أبرز الخطوات التي مهدت لتحقيق السلام الشامل ، القائم على العدل ، والذي يكفل له الدوام والاستقرار .

١ - مبادرة السلام الأولى (٤ فبراير ١٩٧١) :

قال الرئيس السادات بعد تسلمه مهام الرئاسة بأربعة أشهر ، أن جمهورية مصر العربية تعتبر نفسها ملزمة بمسئولية واحدة لا بديل لها ، وهي تحرير جميع الأراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ . وأن الالتزام المقدس لكل أمة ، هو التزامها تجاه حريتها في اطار مبادئ القانون الدولي ، وعلى أساسه فان عليها أن تحتفظ لنفسها بحرية وحق التصرف فيما تواجهه .

كما أعلن قائلا :

(اننا نضيف الى كل الجهود الرامية الى حل الأزمة ، مبادرة مصرية جديدة ، نعتبر العمل بمقتضاها ، مقياسا حقيقيا للدرجة في تنفيذ قرار مجلس الأمن .

اننا نطلب أن يتحقق في هذه الفترة التي نمتنع فيها عن اطلاق النار ، وقد حددتها الرئيس بآلا تزيد عن ثلاثين يوما من انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية على الشاطئ الشرقي لقناة السويس ، وذلك كمرحلة اولى من خلال جدول زمني وضعه بعد ذلك ، لتنفيذ بنود القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . واذا تحقق ذلك في هذه الفترة ، فاننا على استعداد للبدء فورا في مباشرة تطهير مجرى قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

ونحن نعتقد أننا بهذه المبادرة ننقل جهود السفير جونار يارنج ، ومن الألفاظ الغامضة الى الاجراءات المحددة لتنفيذ قرار مجلس الأمن) .
(. . لقد أديننا واجبنا تجاه العالم وتجاه السلام ، بأقصى ما نستطيع . ولقد حان الوقت الذى يجب أن يؤدي فيه غيرنا ، واجبه تجاه العالم والسلام) .

وكان السادات يوجه كلمته عبر حدود مصر ، مخاطبا الضمير العالمى بتقديم هذا العمل الذى يعود بالنفع العميم على كل الدول التى تأثر اقتصادها باغلاق قناة السويس بسبب العدوان .

وفى أول مايو ١٩٧١ . . حدد الرئيس السادات مفهوم الانسحاب الجزئى المقترح فى مبادرته ، بأنه تحرك اجرائى مرتبط بالحل الكامل على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بكل بنوده وأدلهـا الانسحاب من جميع الأراضى التى احتلت أثر العدوان وفى ٥ مايو ١٩٧١ . . طلبت مصر أن يتم الانسحاب على مرحلتين :

ـ الأولى : انسحاب القوات الاسرائيلية ، الى خط يمتد من العريش الى رأس محمد . . ثم يبدأ العمل فى تطهير قناة السويس .

ـ الثانية : انسحاب اسرائيل ، الى الحدود الدولية ومن غزة .
على أن يتم تحديده موعده لالنتهاء من كل مرحلة .

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧١ ، وأمام مجلس الشعب ، حدد السادات بأن الانسحاب يشمل الأرض المصرية وكل الأراضى العربية المحتلة . . وأنه لابد من عبور القوات المصرية الى الضفة الشرقية لقناة

السويس ، تحقيقا للسيادة المصرية على أرضها . . وأن وقف إطلاق النار المقصود فى هذه المبادرة يجب أن يكون محددا بما لا يزيد على ستة أشهر والا فان غير ذلك معناه القبول بوقف إطلاق نار دائم .

٢ - المبادرة الثانية (١٥ فبراير ١٩٧١) :

وفىها أعلنت مصر - مرة أخرى - عن استعدادها لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل ، اذا أوفت بالتزاماتها فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

ووجه ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، الى المندوبين الدائمين لمصر واسرائيل ، مذكرة بشأن الخطوات اللازمة لتحقيق تسوية سلمية يقبلها الجانبان ، وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، طلب فيها أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب الى الحدود الدولية ، مقابل تعهد مصر بعقد اتفاقية سلم مع اسرائيل .

ووافقت مصر على ما جاء بالمذكرة ، بينما رفضت اسرائيل . وفى ١٣ ديسمبر ١٩٧١ ، صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، باستنكار عدم امتثال اسرائيل لمبادرة السلام ، التى قام بها المبعوث الخاص للسكرتير العام ، لاقرار سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط بينما عبرت عن تقديرها لرد مصر الايجابى .

وعلى ذلك ، كان على مصر مواصلة استعداداتها لتجهيز قواتها المسلحة فى سرية مطلقة ، على أعلى مستوى من الاعداد للحرب ، وخوض معركة المصير . وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وعبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف ، وأحرزت النصر لمصر والعرب .

٣ - المبادرة الثالثة (١٦ أكتوبر ١٩٧٣)

بينما كان القتال مستمرا ، فى معارك شرسة ، كفلت النصر المحقق للقوات المسلحة المصرية ، أعلن السادات فى مجلس الشعب ، يوم ١٦ أكتوبر ، مبادرته الثالثة للسلام والذى قال فيها :

١ - اننا قاتلنا وسوف نقاتل لتحرير أراضينا التى أمسك بها الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، ولايجاد السبيل لاستعادة واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين . ونحن فى هذا نقبل التزامنا بقرارات الأمم المتحدة فى الجمعية العامة ومجلس الأمن .

٢ - اننا على استعداد لقبول وقف اطلاق النار على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى المحتلة فورا وتحت اشراف دولي ، الى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

٣ - اننا على استعداد فور اتمام الانسحاب من كل الاراضى ، أن نحضر مؤتمر سلام دولي في الأمم المتحدة . وسوف أحاول جهدي أن أقنع به رفاقي من القادة العرب المسئولين مباشرة عن ادارة الصراع مع العدو ، كما اننى سأحاول جهدي أن أقنع به ممثلى الشعب الفلسطينى ، وذلك لكى يشارك معنا ومع مجتمع الدول ، فى وضع قواعد وضوابط السلام فى المنطقة ، يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة .

٤ - اننا على استعداد (هذه الساعة بل هذه الدقيقة) أن نبدأ فى تطهير قناة السويس ونفتحها أمام الملاحة الدولية ، لكى تعود الى أداء دورها فى رخاء العالم وازدهاره . ولقد أصدرت الأمر بالفعل الى رئيس هيئة قناة السويس ، بالبدء فى هذه العملية غداة اتمام تحرير الضفة الشرقية للقناة . وقد بدأت بالفعل ، مقدمات للاستعداد لهذه المهمة .



وفى ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، الداعى الى وقف اطلاق النيران ، فى مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة ، وذلك فى المواقع التى احتلها كل طرف . على أن تبدأ المفاوضات فورا ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وقبلت مصر القرار فى نفس يوم اقراره .

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ ، صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٤ ، أعرب فيه عن أمله فى أن تحرز مباحثات السلام فى جنيف . تقديما سريعا نحو اقرار السلام المنشود .

واتفقت الأطراف على أن يرأس هذه المباحثات ، كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، بجانب الموافقة على مناقشة اشتراك دول أخرى من الشرق الأوسط فى المرحلة الأولى للمؤتمر .

وفى ١٨ يناير ١٩٧٤ ، تم توقيع الاتفاقية المصرية الاسرائيلية الأولى بشأن فك الاشتباك فى منطقتى سيناء والجولان .

وفي أول سبتمبر ١٩٧٥ ، وافقت مصر واسرائيل على اتفاقية فك الاشتباك الثانية في سيناء .

وقد نص في كل اتفاقية ، على أن كلا منهما تشكل ، في إطار مؤتمر السلام خطوة نحو سلام نهائي عادل ودائم وفقا للقرار رقم ٣٣٨ .

وقد ترتب على هاتين الاتفاقيتين : إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية . . واسترداد بعض حقول البترول في سيناء . . وتحول الموقف الأمريكي بالنسبة للفلسطينيين .

٤ - البيان الأمريكي - السوفيتي

لعقد مؤتمر جنيف للسلام

(٢ أكتوبر ١٩٧٧)

كان سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية ، وأندرية جروميكو وزير الخارجية السوفيتي ، يرأسان مؤتمر جنيف الخاص بالشرق الأوسط .

وعندما تبادلوا وجهات النظر بشأن الموقف غير الآمن في منطقة الشرق الأوسط ، أصدرنا بيانا باسم دولتيهما ، بأن كلا منهما مقتنع بأن المصالح الحيوية لشعوب هذه المنطقة ، تحتاج بصصفة عاجلة الى تقوية السلام ، وتحقيق تسوية عادلة ودائمة ، للصراع العربي الاسرائيلي ، ومشكلة الشرق الأوسط .

على أن تضم التسوية جميع الأطراف المعنية لحل كل المسائل المتعلقة مثل : انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ . . وحل المشكلة الفلسطينية وضمان الحقوق المشروعة للفلسطينيين وانتهاء حالة الحرب وإنشاء علاقات سلام طبيعية على أساس الاعتراف المتبادل وذلك من خلال المفاوضات في إطار مؤتمر جنيف للسلام ، على أن تبدأ أعمال المؤتمر في وقت لا يتجاوز ديسمبر ١٩٧٧ .

كما أوضح البيان بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مستعدان للمساهمة في ضمان القرارات النهائية للمؤتمر . .

وقد باءت محادثات السلام في جنيف بالفشل ، لما تعرضت له من مناورات وتعويق وتسيويق من الطرف الاسرائيلي ، مما أدى الى أن

يعلن السادات عن عدم استعداد مصر ، لتكرار مؤتمر نزع السلاح الذى استمر خمسة وعشرين عاما ، وأن مصر تريد أن تذهب الى مؤتمر جنيف للاتفاق الكامل على مضمون الحل ، بعد التخلص من اثار التفاهات المعوقة .

ولم تسفر المباحثات عن أى شىء يذكر .

وفى ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس السادات ، أمام مجلس الشعب أنه مستعد للسفر الى آخر هذا العالم ، ومستعد للسفر الى اسرائيل لمناقشتهم فى الكنيست بشأن السلام العادل الدائم .

وأصدر مجلس الشعب بيانا جاء فيه :

(ان مصر التى تقدم هذه المبادرة ، لتثبت لهذا الجيل والأجيال القادمة ، أننا فى سبيل السلام ، لم نجد بابا موصدا الا وطرقناه ، ولا طريقا مسدودا الا حاولنا فتحه ، ولا فرصة سانحة الا سعيينا اليها . فقد واجهت مصر أربع حروب تلقت فيها طلقات الرصاص بصدرها خوضا لتحدى الحرب . . . ومصر الآن تواجه الطعنات وحملات التشهير من بعض الأصدقاء ، وتتلقاها أيضا بصبرها خوضا لتحدى السلام . واذا كانت بعض الاعتراضات العربية ، هى من باب العودة الى الاسفاف واذا كانت من باب فرض الوصاية ، فان مصر ترفض هذه الوصاية .

ان مصر قد سددت أكثر من نصيبها فى القضية العربية بالعملة الوحيدة التى لا تقبل المزايدة ، ودفعته بدماء أبنائها) .

هـ - المبادرة الخامسة

القدس (١٩ - ٢١ نوفمبر ١٩٧٧)

كان السادات يفكر فيما لا يمكن التفكير فيه أبدا . فقد قرر - فعلا - الذهاب الى اسرائيل ، لمواجهة شعبها بالحقائق كاملة .

حقا ، كان القرار مذهلا ، وبدى كالغير مصدق من كل العالم دولا وشغوبا . . . فقد فاق كل تصور ، أن يتوجه رئيس أكبر دولة عربية الى أرض الخصم ، ومازالت حالة الجرب قائمة بينهما .

وفى يوم ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، فوجئ العالم بوصول السادات الى اسرائيل ، بقدمين ثابتتين وبايمان راسخ بالسلام الشامل ، التى تستفيد منه جميع الشعوب .

وكان من الطبيعي عدم تصديق قيام الرئيس المصري بمخاطرة التوجه الى خصمه في عقر داره . واعتبر العالم أجمع ، أن هذا الكلام لا يخرج عن كونه مناورة سياسية من السادات . . . الا أنه في يوم ٢٠ نوفمبر ، شاهد العالم بأسره الرئيس السادات وهو يقف أمام الكنيست الاسرائيلي ، يوجه خطابه الى الشعب . . . بكل شموخ العزة والكبرياء المصري . . . وأخذت حقيقة هذا الموقف التاريخي تسبق أحلام الناس .

وأعلن الرئيس السادات في خطابه ، أن مصر لا تسعى الى سلام جزئي أو عقد اتفاق منفرد . . . وقال :

(لقد جئت اليكم لكي نبني معا ، السلام الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو اسرائيلي) .

وكان هدف هذه المبادرة : تأكيد النية في السعي الى السلام . . . وازالة حواجز الشك القائمة في منطقة الشرق الأوسط . . . وتحطى عقبة الاجراءات والدخول مباشرة الى جوهر المشكلة . . . والتركيز على تأكيد وجهة النظر العربية . . . والتمسك بالقدس العربية وعدم الاعتراف بضمها الى اسرائيل . . . وفي ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ ، أعلن الرئيس السادات أمام مجلس الشعب ، أنه قد اتفق مع المسئولين الاسرائيليين على :

١ - الاتجاه داخل المؤتمر الى بحث المسائل الموضوعية بجدية دون تعويق بسبب الاجراءات الشكلية .

٢ - استبعاد فكرة الاستيلاء على الأرض من أجل الأمن ، والبحث عن توفير الأمن للجميع في ظل أوضاع عادلة .

ويعلق الرئيس كارتر ، على تلك المبادرة ، في خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس (١٨ سبتمبر ١٩٧٨) . . . فيقول :

(ونحن جميعا نتذكر أمام توفير السلام التي أوحى بها مبادرة السادات . . . تلك الزيارة العظيمة والتاريخية التي أثارت العالم ، الى القدس في نوفمبر الماضي . . . والتجاوب الحار لرئيس الوزراء بيجين والشعب الاسرائيلي والوعد المشترك بينهما علنا ، بأنه لن تكون هناك حرب جديدة . . . وقد تعززت هذه الآمال عندما رد بيجين الزيارة للاسماعيلية في يوم عيد الميلاد) .

٦ - عقد مؤتمر القاهرة التحضيرى

لمباحثات جنيف (٣ ديسمبر ١٩٧٧)

وجهت مصر الدعوة لهذا المؤتمر ، الى أطراف النزاع . . وهم :
سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والولايات
المتحدة والاتحاد السوفيتى واسرائيل والسكرتير العام للأمم المتحدة .

وكان الهدف من هذا المؤتمر ، هو الاعداد الجيد لمؤتمر جنيف
لضمان نجاحه ، والوصول الى تسوية شاملة لنزاع الشرق الأوسط ،
باحلال السلام العادل والدائم فى المنطقة ، وحل المشكلة الفلسطينية .

ورفعت أعلام المدعوين فى المؤتمر أمام فندق مينهاوس ، وفوجئت
مصر برفض سوريا والأردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد
السوفيتى حضور المؤتمر .



ومن المؤسف أن نذكر موقفا أثناء القاء السادات لخطابه فى
البرلمان الأوروبى بلوكسمبرج (فى ١٠ نوفمبر ١٩٨١) . فقد رفع
العضو الراديكالى الايطالى ماريو كابانا ، لافتة كتب عليها « يجب
الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ولا لكامب ديفيد » .

وعندئذ خرج الرئيس المصرى عن نص خطابه ، وقال لأعضاء
البرلمان :

— اننى لم آت الى هنا لكى أبيع لكم كامب ديفيد .

فظوى العضو اللافتة ، ورفع بدلا منها علم فلسطين ، فنظر اليه
السادات قائلا :

— كنت أتمنى أن تكون معنا عندما رفعنا هذا العلم فى مينهاوس .
جنباً الى جنب مع علم اسرائيل ، لكن أحدا لم يحضر هذا المؤتمر .

وصفق الجميع لرد الرئيس المفحم بما فيهم العضو الايطالى نفسه .



وكالمعتاد ، كان على مصر أن تتحمل المسئولية بمفردها وتواصل
المسيرة .

٧ - مباحثات السادات - بيجن

الاسماعيلية (٢٦ ديسمبر ١٩٧٧)

وتم فيها الاتفاق على تشكيل لجتين : لجنة سياسية تعقد في القاهرة ولجنة سياسية تعقد في القدس ، ويرأسهما وزراء الخارجية والدفاع .

وقد أعلن السادات في المؤتمر الصحفي في الاسماعيلية :

(. . . أننا لانسعى الى اتفاق للفصل أو اتفاقية مؤقتة ، إنما نحن هنا من أجل السلام ، السلام الحقيقي والتسوية الشاملة) .

كما أعلن بيجن :

(ان اسرائيل تود أن يكون السلام شاملا مع كل جيرانها في الشمال والجنوب والشرق) .

وفي ١٧ يناير ١٩٧٨ ، اجتمعت اللجنة السياسية في القدس .

وفي ١٩ يناير ١٩٧٨ ، اضطر السادات الى اصدار تعليماته الى وفد مصر بالعودة الى القاهرة ، بعدما تبين من متابعة المواقف الاسرائيلية ومن تصريحات رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير الخارجية ، أنها تعمد الى تمسيح الموقف ، وطرح حلول جزئية لايمكن أن تؤدى الى اقرار سلام عادل ودائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط .

٨ - اجتماع كارتر والسادات

واشنطن (٢ - ٨ فبراير ١٩٧٨)

وتوجه السادات الى واشنطن للاجتماع بالرئيس الأمريكى كارتر للتشاور في مجريات الموقف الذى توقف بسبب المزاوغات الاسرائيلية .

وفي ٦ فبراير ١٩٧٨ ، ألقى السادات خطابا أمام نادى الصحافة القومى بواشنطن قال فيه :

(. . . يتعين أن أخبركم بكل اخلاص ، أن أحداث الأسابيع القلائل الماضية ، قد سببت لنا بعض القلق . فقد اختارت الحكومة الاسرائيلية ، العودة الى الدوائر المفرغة للجدل حول كل كلمة وفصلة ، لقد عادوا مرة أخرى الى التكتيكات القديمة والأفكار البالية) .

(٠٠ وما هو مطلوب هو تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل أجزائه ، ولقد أعلننا أننا على استعداد لقبول الآتى :

- ١ - انتهاء حالة الحرب وما يترتب عليها .
 - ٢ - إقامة العلاقات السلمية .
 - ٣ - توفير كل الضمانات الأساسية لأمن كل دولة .
 - ٤ - السماح بالمرور البرىء خلال مضيق تيران .
 - ٥ - احترام حق كل دولة فى المنطقة فى الحفاظ على سيادتها ، وتكامل أراضيها واستقلالها السياسى .
- وأنه يظل على الطرف الآخر ، اظهار رغبته بتحمل التزاماته داخل اطار التسوية الشاملة . وبطريقة أكثر تحديدا ، فهو مطالب بقبول الآتى :

- ١ - الانسحاب من كل الأراضى العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ وفقا لمبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب .
- ٢ - تمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقه الطبيعى فى تقرير مصيره .

- ٣ - توفير الضمانات اللازمة لأمن الدول العربية .
- وفى ٨ فبراير ١٩٧٨ ، أذاع البيت الأبيض البيان الأمريكى المصرى حول أسس التسوية ، فى أعقاب الاجتماع الختامى بين الرئيسين كارتر / السادات .

وجاء فى البيان المبادئ العريضة ، التى تحدد مشاركة الولايات المتحدة فى السعى نحو السلام ٠٠ وهى :

- سوف تظل الولايات المتحدة ، أمينة على التزاماتها التاريخية بأمن إسرائيل ، وحق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام ، داخل حدود آمنة ومعترف بها .

- مساعدة الأطراف على تحقيق تسوية شاملة عن طريق التفاوض ، سوف يظل أمرا له أهميته القصوى فى السياسة الأمريكية . ولن يدخر الرئيس كارتر جهدا فى السعى نحو الطريق التى تكفل دفع عملية السلام الى الامام .

- ان اقرار السلام ، يجب أن يتجاوز مجرد انهاء حالة الحرب ، وينبغي أن يكفل علاقات طبيعية وسامية بين اسرائيل وجيرانها .
- ان قرار السلام ، يجب أن يكون شاملا ، ويجب أن ينص عليه في معاهدات سلام بين اسرائيل وجيرانها .
- ينبغي أن تبني التسوية ، على أساس جميع مبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، بما في ذلك انسحاب القوات الاسرائيلية من اراض محتلة عام ١٩٦٧ ، وحق كل دولة في المنطقة في العيش في سلام ، داخل حدود آمنة ، ومعترف بها . وينطبق القرار رقم ٢٤٢ على كافة جبهات الصراع .
- لا يمكن أن يكون هناك سلام دائم وعادل ، بدون حل المشكلة الفلسطينية .
- وقد أكد الرئيس السادات ، أن الباب لا يزال مفتوحا للتفاوض ، وأن مصر ستستمر في القيام بدورها لتأكيد استمرار عملية التفاوض في جو بناء من أجل السلام .

وقد التزم كارتر والسادات ، بأن يظلا على اتصال شخصي ، خلال القنوات الدبلوماسية والاتصالات المباشرة ، لضمان استقرار التفاهم الكامل بينهما لتحقيق السلام الشامل والدائم في منطقة الشرق الأوسط .

٩ - اجتماع ليدز ببريطانيا

(يوليو ١٩٧٨)

وأثناء عقد جلسات اللجنة السياسية ، اتضح لمصر أن اسرائيل تعمل على كسب الوقت ، بتمسكها بمبدأ التوسع والاستيطان ، واصرارها على الاحتفاظ بما احتلته سنة ١٩٦٧ من اراض عربية . وحصلت الدبلوماسية المصرية ، على تأييد واسع لموقف مصر بانسحابها من تلك اللجان . الا أن مصر رفضت استئناف أي مباحثات ، وطلبت أن تقوم الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل ، حتى يمكن بدء المباحثات مع اسرائيل .

وفي يوليو ١٩٧٨ ، اجتمع وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة في ليدز ، بشأن ايجاد حلول للمشكلة .

١٠ - مفاوضات كامب ديفيد

(من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨)

وفي ٥ سبتمبر ١٩٧٨ ، تدخل الرئيس كارتر شخصيا بدعوة مصر واسرائيل للتفاوض بشأن حل النزاع القائم بينهما بشأن تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بكل بنوده والوصول الى سلام دائم وشامل .

وقبل الدعوة ، الرئيس السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، وكل منهما يمثل شعبه .

وبدأت اجتماعات كامب ديفيد ، بحضور جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل ، للسعى وراء اقامة السلام الدائم الشامل المستقر في منطقة الشرق الأوسط .

وتحول الحلم المستحيل الى حقيقة واقعة .

فخلال الثلاثين سنة الأخيرة ، من حرب فلسطين ١٩٤٨ حتى مفاوضات كامب ديفيد ١٩٧٨ ، خاضت مصر أربعة حروب قاسية ، وتم العدوان عليها أكثر من مرة ، من أجل حقوق شعب فلسطين ، وموقف مصر بالنسبة للمشكلة الفلسطينية مبدئي وثابت . وفقدت مصر الكثير عزيزا وغاليا ، من الطاقات البشرية والمادية . كما دفعت شعوب منطقة الشرق الأوسط ثمنا من الآلام والكراهية وازاقة الدماء .

وقد مارست مصر ، الكفاح حربا وسلما . وكلها كانت على مراحل من النضال الشاق المضني ، كل مرحلة تمهد لمرحلة تالية ، يتعين على مصر الاتجاه اليها ، حتى وصلت الى مفاوضات السلام الدائم في كامب ديفيد بالمشاركة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وبذلك تكون مصر قد وصلت أخيرا - وليس آخرا - الى هدفها المنشود وهو السلام العادل الشامل ، بعد بذل الجهد والتعب والعرق . . فكان هذا النجاح الرائع ، الذي لا بد أن تعلم أنه ليس هناك ما هو أصعب ، الا الاحتفاظ به .

الفصل الثاني

اتفاقيات كامب ديفيد

سلام الاتفاق

كان من قدر مصر ، أن تتكبد بنفسها مسئولية السير بمفرداتها على طريق السلام العادل الدائم فى منطقة الشرق الأوسط - مع تجاوزها عن العراقيل والعقبات ، التى كان يثيرها السليبين الأصفار ، لاعاقة المسيرة .. وكأنه قد عز عليهم أن تنجح مصر دوتهم ، فى مساعيها لتحقيق السلام الراسخ ، الذى سيعيد اليهم النفع والخير ، غير أنهم لايتفهمون !!

وتحركت مصر السادات بخطى واثقة نحو الهدف ، بعد التغطية الدولية اللازمة التى قامت بها الدبلوماسية المصرية واللقاءات الشخصية الثنائية مع الدول ذات الثقل الدولى . وبذلك استطاع السادات أن يضم الى جانب مصر ، الراى العام العالمى - الذى يقدر موافقته وشجاعته - بعد أن تجسدت أمام بصره وسمعه ، حقيقة وعدل المطالب العربية .

لقد كان نصر رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ والعبور العظيم ، عبورا الى العالم أجمع بمفاهيم جديدة . فكان من اليسير أن يعترف المجتمع الدولى ، بسلامة الخط الذى بدأته مصر ، وأن يدرك بأحاسيسه ووعيه ، ضرورة مساندة هذا الاتجاه الصحيح ، الهادف الى السلام واسترداد جميع الحقوق العربية وكل ما ينص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . ومن هذا المنطلق ، أرسل الرئيس الأمريكى كارتر ، دعوته الى السادات رئيس مصر ، والى مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، للاجتماع بهما فى كامب ديفيد ، للوصول الى نهاية جذرية لحل مشكلة الشرق الأوسط ، والنزاع العربى الاسرائيلى .

واجتمع الطرفان على مائدة المفاوضات ، بحضور الرئيس كارتر بصفة الولايات المتحدة الأمريكية شريكا كاملا فى هذه المفاوضات . وبهمة المقدمين على عمل جدى ، وفى ظل التفرغ المطلق للوصول الى القرار السليم ، بدأت المفاوضات يوم ٥ سبتمبر ١٩٧٨ واستغرقت حتى يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

ودارت الحوارات والمباحثات خلال الثلاثة عشر يوما ، فى جو متوتر من هذا الموقف الصعب ، المشحون برواسب أحداث الماضى التى مرت بها شعوب المنطقة . فكان كل جانب مصرا مترصدا ، يتلقف كل

كلمة - بل وأى نقطة أو فصلة بين كلمات كل جملة بتوجس وتشكك حتى غلب على ظن كارتر ، احتمال عدم نجاح هذه المفاوضات .

التوقيع النهائي على السلام

واستطاع السادات وبيجين ومستشاروهما المجتهدون ، التغلب على كل الصعاب ، حتى تم الوصول الى الصيخ النهائي لاتفاقيتين ، وقعا عليهما وعلى وثائقيهما ، كما وقع الرئيس كارتر كشاهد على التوقيع .

وكان عنوان وثيقة الاتفاقية الأولى : « اطار عمل للسلام في الشرق الأوسط » وهى تتعلق بتسوية شاملة بين اسرائيل وجميع جيرانها ، بالاضافة الى قضية الشعب الفلسطينى ومستقبل الضفة الغربية وغزة .

أما وثيقة الاتفاقية الثانية فعنوانها : « اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » التى تعيد الى مصر الممارسة التامة لسيادتها على سيناء ، وتخصيص بعض مناطق أمنية لحماية جميع الأطراف ، كما تنص على أن تعترف مصر باسرائيل اعترافا دبلوماسيا تاما ، حالما تتم اسرائيل انسحابا مؤقتا لقواتها المسلحة ، من غالبية مناطق سيناء ، خلال فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة أشهر ، بعد عقد معاهدة السلام التى سيتم التفاوض بشأنها بصورة شاملة وذلك فى موعد أقصاه ثلاثة أشهر من يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ . واتفق على أن يتم انسحاب جميع القوات الاسرائيلية من سيناء فى موعد أقصاه ثلاث سنوات بعد توقيع المعاهدة .

ونجحت قمة كامب ديفيد لتحديد الأسلوب العملى لتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، وفقا للتفسير العربى والدولى فجاءت الاتفاقيتان لتحقيق تماما الأهداف العربية ، التى اتفقت عليها جميع الدول العربية فى مؤتمرات القمة العربية .

ونجحت مصر فى تحقيق المشاركة الفعلية للولايات المتحدة الأمريكية فى جهود السلام ، بعد أن كانت - قبل ذلك - فى موقف المتحيز الكامل لاسرائيل .

ووافق مجلس الشعب بالأغلبية المطلقة على الاتفاقيتين ، مما يدل على رغبة الشعب المصرى الأكيدة ، فى تحقيق سلام شامل بالمنطقة .

ما حققته الاتفاقيتان

وأثمرت قمة كامب ديفيد ، اتفاقيتان تعطيان التفاؤل بإمكانية الوصول الى نقطة تحول فى الشرق الأوسط وخاصة الدول العربية وذلك بعد التغلب على المسائل الصعبة المعقدة ، التى كانت كامنة فى صميم الثلاثين عاما من العداء العربى الاسرائيلى .

وأصبح السلام حقيقة لا مجرد حلم .

وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية ، ملتزمة بسلام شامل وعادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

ويوفر اطار العمل من أجل السلام ، فرصة لم يسبق لها مثيل لشعوب الشرق الأوسط ، للتحرر من شبح الضغوط والتهديدات الخارجية . وللتحول بعيدا عن النزاع ، الذى يخلق جوا من القلق والتوتر والرعب الذى انتاب العرب والاسرائيليين زمنا طويلا .

فقد أرسيت الاتفاقية المبادئ والأسس التى يمكن أن يستخدمها جميع جيران اسرائيل الراغبين فى التفاوض بشأن السلام والأمن ، على أساس التطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ .

كما نصت الاتفاقيتان على اعتراف اسرائيل ، بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، كما التزمت اسرائيل خطيا باشتراك الشعب الفلسطينى فى جميع جوانب المشكلة الفلسطينية بجانب استعادة مصر لسيادتها على سيناء حتى الحدود المعترف بها دوليا ، دون أى التزام من جانب مصر بالدخول فى أى أحلاف مع أية دولة سواء مع الولايات المتحدة أو غيرها ، فستظل مصر دولة من دول عدم الانحياز ، لا يربطها الا التزامها الوحيد وهو اتفاقية الدفاع العربى المشترك ، ويون أن يكون فوق الأراضى المصرية أى وجود أجنبى أو أية قواعد عسكرية أمريكية .

وقد جاءت مواد ونصوص الاتفاقيتين واضحة تماما . كما تدل كل كلمة على معناها الحقيقى فقط ، لتلافى أى التباس أو غموض أو تداعى للمعانى أثناء التنفيذ . ولا ينسى أحد ، أن كلمة « أراض » فى القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، التى جاءت فى مبدأ :

« انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض المحتلة فى النزاع الأخير » بعيدة عن التحديد اللازم الذى توضحه كلمة « الأراضى » اذا حلت محلها وكأن صائغ القرار قد وضع مجلس الأمن فى مظنة

التحيز لاسرائيل ، التي قد تتجه نواياها للاحتفاظ بأجزاء من الأرض المحتلة تحت ظل ما تعنيه كلمة « أراضى » .

الا أن المفاوض المصرى فى كامب ديفيد ، أصر على تصحيح الكلمة ، ونجح فيما أراده ، فأصبحت كلمة الأراضى هى المتبادلة بعد ذلك فى جميع الاتفاقيات والوثائق .

الموقف العربى

يقول الرئيس السادات فى خطابه يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠ أمام مجلس الشعب :

« وقبل أن يجف مداد هذه الاتفاقيات ، وقبل أن يقرأها أئمة الشرك والجهالة ، بدأوا فى الهجوم على مصر ، وبدأوا فى شجب ما لم يقرأوه بعد .. »

فقد شنت الأنظمة الرافضة فى بعض الدول العربية ، وبمعنى أصبح ، افتعلوا حملات عنيفة ضد مصر دون تعقل وتبصر فأصبحوا أدوات صماء فى أيدي الهادفين الى هدم العلاقات العربية وتفتيت وحدة العرب . وحسب أى قارئ ، أن يمر بعينه على نصوص اتفاقية كامب ديفيد ، ليتأكد من أنها تطابق تماما ، قرارات بيانات القمم العربية فى مؤتمراتهم من حيث اجماعهم على :

— الحل السلمى للمشكلة .

— استرداد الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

— اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

وقد حققت اتفاقية كامب ديفيد الأولى ، جميع هذه المتطلبات فيما جاء فى مقدمة الوثيقة .

« ان الأساس المتفق عليه ، لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها ، هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه » .

« من أجل تحقيق اقامة سلام ، بروح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فان اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادئ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ » .

وقد أعلن السادات في خطابه أمام مجلس الشعب يوم ٢ أكتوبر ١٩٧٨ ، بأن :

« هذا هو ما استطاعت مصر من أن تحققه في هذه المرحلة ، وان استطاعت اللات بتحالفا معا الاتحاد السوفيتى ، أن تحقق المزيد ، فنحن لها مؤيدون ومصفقون وشاكرون . واذا استطاعت أية قيادة عربية أن تصل بنا الى كل آمالنا ، فنحن أول من يقول لها نعم بكل الاخلاص والنقاء والتأييد الصادق » .

كما يعلق السادات - لاحقا - أمام مجلس الشعب يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠ ، موجهها كلامه الى الراضين :

« اذا كانت كامب ديفيد غير مناسبة ، فأين البديل المناسب الذى يقترحونه ونحن أول من ينفذه » .

وعرضت اتفاقيتى كامب ديفيد ووثائقهما ، على مجلس الشعب مع تقرير اللجنة الخاصة التى شكلت لدراستها ، ووافق عليها المجلس .

وأرسل التقرير الى الجانب المصرى للاسترشاد بما جاء فيه خلال مراحل المفاوضات ، خاصة وقد تضمنت وثائق كامب ديفيد أساس التفاوض .

ويقول الرئيس كارتر ، فى خطابه أمام الجلسة المشتركة لمجلس الكونجرس يوم ١٨ سبتمبر (اليوم التالى لتوقيع الاتفاقيتين) :

« ونود أن نتشاور فى هاتين الوثيقتين وما تعنيانه ، مع جميع الزعماء ، وخاصة الزعماء العرب . ويسعدنى أن أقول لكم الليلة ، أن الملك حسين ملك الأردن ، والملك خالد ملك العربية السعودية ، قد وافقا الآن على استقبال وزير الخارجية (سيروس فانس) الذى سيسافر غدا ليشرح لهما شروط اتفاقية كامب ديفيد ، وليضمن دعمهما لتحقيق الآمال والأحلام الجديدة لشعوب الشرق الأوسط » .

غير أن الحملات المعاكسة ، قد ازدادت شدة وضراوة على مصر قلب الأمة العربية ، وتجسدت فى :

- قطع العلاقات السياسية مع مصر .
- نقل جامعة الدول العربية من مقرها فى القاهرة الى تونس .
- تعليق عضوية مصر فى المؤتمر الاسلامى .
- قطع المعونات والمساعدات الاقتصادية عن الشعب المصرى .

– أصدروا قرارهم بسحب ودائعهم وأرصدتهم من البنوك المصرية ، بهدف تخريب الاقتصاد المصرى .

– محاولة تشويه صورة مصر ، بمحاولات الضغط على المجتمع الدولى ، لتعليق عضوية مصر فى بعض الهيئات والمنظمات الدولية .

ولم يصدر عن مصر ، أى رد فعل تجاه تلك الحملات فهى تعلم تماما الخواء الذى يحيط بالرافضين ، وتدرك بيقينها أن مسيرة التاريخ عامة ، ومسيرة مصر خاصة ، سوف تلفظ كل عبث رافض ، تنفضه سموم الحاقدين .

ويكفى مصر ، أنها الدولة الوحيدة التى تناضلت وتناضل عمليا من خلال خطة عمل للوصول الى تحقيق السلام العادل الشامل الدائم فى منطقة الشرق الأوسط مع تركيزها على مصير الشعب الفلسطينى ، وحقوقه المشروعة ، حتى كلل الله مسعاها باتفاقيات السلام ، محققة بها كل ما كانت تبغيه الدول العربية .

ولكم تعثرت المفاوضات بسبب مشكلة فلسطين ، الا أن السادات قد استطاع أن يستخلص للشعب الفلسطينى اعترافا مكتوبا من اسرائيل ، بحقه فى الحكم الذاتى وبحقه فى تقرير مصيره . . . وكان ذلك واجبا والتزاما مفضلا على عائق السادات ، فكان كثيرا ما يعلن – جنى فى الكنيسة الاسرائيلى – أن مصر لا تقبل حلا منفردا لأرضها المحتلة فى سيناء ، فبغير حل المشكلة الفلسطينية فلن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط . . . ومواد وثائق السلام فى كامب ديفيد ، تشير بما لا يقبل أى شك ، ليس فقط الى حق تقرير المصير ، بل تجاوز ذلك الى اقامة كيان فلسطينى يمثل دولتهم القائمة بذاتها .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها للجهود التى تبذلها مصر من أجلهم . الأمر الذى حدا بإسرائيل أن ترفض الاعتراف بتلك المنظمة ، ورفضت التعامل معها ، ووصفتها للمجتمع الدولى ، أنها منظمة لاتريد السلام .

وتمادت المنظمة فى غيها وحملاتها الفارغة . . . وكأنها قد نسيت – بل تناسيت – أن مصر كانت وراءها تساندها وتدعمها بل وهيأت لها التمرکز فى القاهرة عند تأسيسها عام ١٩٦٤ ، بل كانت مصر هى التى خططت لتعبئة الشعب الفلسطينى واقامة أجنحته العسكرية ، فى بداية الستينات ، لتثبت للمجتمع الدولى أن هذا الشعب مفتري عليه ولايزال متواجدا ، بعد أن أشاع الاسرائيليون أنه انتهى أو سوف ينتهى ، لأن الكبار يموتون والصغار سوف ينسون .

كما أبرزت مصر حركة تحرير فلسطين على المستوى العالمى بل قدمت لها للمجتمعات الدولية ، ووضعت بذرتها لعضويتها كمستمع فى هيئة الأمم المتحدة . . . وغير ذلك من مساندات ومواقف عديدة .

ولم تعر مصر أدنى اهتمام لتلك الصغائر التى تصدر عن الأقزام . . . واندفعت الى الأمام لتواصل تحقيق أهدافها المصيرية . دون نظرة أو رجعة الى الوراء .

القدس . . ومشاعرنا الدينية والتاريخية

يرتبط المواطن بأرضه بوشائج عاطفية كبيرة ، لأنها المكان الذى نبت فيه تاريخه ، والنبع الذى استقى منه شخصيته الدينية ، وذكريات آبائه وأجداده . . فالأرض قطعة من روح الانسان ، فتصبح رمزا لحبه وتعلقه بالحياة فوق أديمها .

ولا يعلو أى شئ على حب المواطن العربى ، للمقدسات الدينية التى تزخر بها الأرض المقدسة فى الضفة الغربية ، لأنه حب قدسى مدفعم بالمشاعر الدينية . . ذلك الحب الذى يؤكد أن حاضرننا امتداد لذلك الماضى البعيد الذى عاشته الأمة العربية فى حضارتها المجيدة .

فيوجد بالقدس :

— الحرم الابراهيمى الشريف ، على جبل حوريا ، ويضم المسجد الأقصى (بدأ فى بنائه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وأتمه ابنه الوليد) ويوجد بالقرب من المسجد الأقصى ، جدار « البراق » الذى يقدهه المسلمون لعلاقته بأسراء النبى الكريم من مكة الى بيت المقدس . . ومسجد الصخرة ، وعدد من المنشآت الدينية ، من بينها أربعة مساجد أخرى . وكانت رقعة الحرم مهملة مهجورة منذ القرن الخامس الميلادى ، الى أن جاء الخليفة عمر بن الخطاب فأمر باظهار الصخرة وتنظيفها ، وبنى فى ناحية منها مسجدا .

وفى جبل الزيتون مدافن شهداء المسلمين وأوليائهم مثل :
رابعة العدوية وسلمان الفارسي .

— كنيسة القيامة . . وهى من أهم الأماكن الدينية للمسيحيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم فى جميع أنحاء العالم . وقد أنشئت على المكان الذى يعتقد أن السيد المسيح صلب فيه . وبدأ انشاء هذه الكنيسة سنة ٣٣٥ م ، عندما جاءت الملكة هيلانه الرومانية لزيارة بيت المقدس ، بعد أن اعتنقت هى وابنها الديانة المسيحية .

-- كنيسة المهد . . ولد السيد المسيح فى مغارة أصبحت تعرف فيما بعد باسم مغارة المهد . وقد أنشأت الملكة هيلانة ، كنيسة فوق تلك المغارة . ويوجد فى آخر المغارة باب يؤدى الى مصلى القديس يوسف . وهى بمدينة بيت لحم .

-- طريق الآلام . . وهى الطريق التى سلكها السيد المسيح بعد أن حكم عليه بالصلب . ويقع الطريق فى القدس القديمة . وهى تبدأ من مبنى الروضة وتنتهى بالجلجلة فى كنيسة القيامة .

-- جبل الزيتون . . المحيط بالقدس . وكان السيد المسيح يتردد كثيرا على هذا الجبل ، حيث توجد ثمان شجرات زيتون ، يعتقد أنها من أيام السيد المسيح . بالإضافة الى مغارة الجسمانية التى كان يأوى اليها السيد المسيح للراحة .

وهذا الجبل ممتلئ بالكنائس ، ومنها كنيسة مريم المجدلية ، وكنيسة مريم البتول ، وكنيسة الابانا .

-- الحرم الابراهيمى . . بمدينة الخليل حيث دفن أبو الأنبياء ابراهيم الملقب بخليل الرحمن .

-- جبل التجربة . . فى أريحا ، ويعتقد أن السيد المسيح صعد اليه وآوى فى أحد مغاوره .

وكان المفاوض المصرى دائم التمسك ببقاء القدس عربية ، والتأكيد بما يفيد ذلك وبكل وضوح ، فى جميع المفاوضات والمباحثات . . لأن القدس قد تجمعت فيها أهم وأعز مقدسات الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والاسلام .

وقد توصلت مصر الى النص المباشر بذلك ، فى اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، كما تم تدعيم ذلك الاصرار ، فى خطاب متبادل اتفق عليه بين الجانب المصرى والاسرائيلى ، والولايات المتحدة الأمريكية .

وثائق مؤتمر قمة كابل ديفيد

الوثيقة الأولى

إطار السلام فى الشرق الأوسط

اجتمع محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، ومناحيم بييجين ، رئيس وزراء إسرائيل ، بجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى كامب ديفيد ، من الخامس من سبتمبر (ايلول) حتى السابع عشر من سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٨ ، واتفقا على إطار العمل التالى ، للسلام فى الشرق الأوسط . وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الاسرائيلى للتقيد به .

مقدمة

ان السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب ان يسترشد بما يلى ، ان الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها . هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه .

بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة ، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة ، فان الشرق الأوسط ، مهد الحضارة ، ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة ، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام . ان شعوب الشرق الأوسط تتوق الى السلام ، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة الى نشدان السلام ، ومن أجل ان تتمكن هذه المنطقة من ان تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .

ان مبادرة الرئيس السادات التاريخية ، المتمثلة بزيارته للقدس ، والاستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب اسرائيل ، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بييجين الى الاسماعيلية ، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان ، بالاضافة الى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدولتين ، هاتين المهمتين ، قد أوجدتا فرصة للسلام لا سابق لها ، يجب ان لا تضيع ، اذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة ان يتجنب مآسى الحرب .

ان نصوص ميثاق الأمم المتحدة ، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية ، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول . .

من أجل تحقيق اقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فان اجراء مفاوضات مقبلة بين اسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادئ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ان السلام يتطلب احتراماً للسيادة ، وسلامة اقليمية واستقلالاً سياسياً لكل دولة فى المنطقة ، وحققها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، خالية من التهديدات أو أعمال العنف . وان التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه ان يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الاقتصادى وفى المحافظة على الاستقرار وفى ضمان الأمن .

ان الأمن يتعزز بعلاقات سلمية ، ويتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية . وبالإضافة الى ذلك ، وبموجب شروط معاهدات السلام ، تستطيع الأطراف على أساس التبادل ، ان تتفق على ترتيبات أمنية خاصة ، مثل مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق محدودة التسليح ، ومحطات انذار مبكر ، وتواجد قوات دولية ، واقامة اتصال متبادل ، وتدابير مراقبة متفق عليها ، وترتيبات أخرى يوافقون على انها مفيدة .

إطار العمل

مع أخذ هذه العوامل فى الاعتبار ، فان الطرفين مصممان على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط . من خلال عقد معاهدات سلام ، تستند الى قراراتى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بجميع أجزائهما . ان هدف الطرفين هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة . وهما يعترفان بانه اذا كان للسلام ان يدوم ، فانه يجب ان يتناول جميع الذين تأثروا بصورة عميقة بالنزاع . ولهذا فانهما يتفقان على ان إطار العمل هذا باعتباره ملائماً ، قد قصدا به ان يشكل أساساً للسلام . ليس فقط بين مصر واسرائيل ، بل أيضاً بين اسرائيل وكل من جيرانها . الذين هم على استعداد للتفاوض بشأن السلام مع اسرائيل على هذا الأساس . ومع وجود هذا الهدف ماثلاً فى ذهن ، فقد اتفقا على المتابعة كما يلى :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

١ - على مصر واسرائيل والاردن ، وممثلى الشعب الفلسطينى • ان يشتركوا فى مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها • ولتحقيق ذلك الهدف ، يجب ان تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل :

(أ) ان مصر واسرائيل تتفقان على انه من أجل ضمان انتقال سلمى ومنظم للسلطة ، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف ، يجب ان تكون هناك ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة ، لمدة لا تتجاوز خمس سنوات • ومن أجل توفير حكم ذاتى تام للسكان ، فان الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية ، سوف تنسحب حالما يجرى انتخاب سلطة حكم ذاتى انتخاباً حراً ، من قبل سكان هذه المناطق ، لتحل محل الحكومة العسكرية القائمة • ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الانتقالية ، ستدعى حكومة الاردن الى الاشتراك فى المفاوضات على أساس اطار العمل هذا • ويجب ان تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتباراً مناسباً لمبدأ الحكم الذاتى من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية فى آن معا •

(ب) ستتفق مصر واسرائيل والاردن على كيفية انشاء سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وغزة • وقد يتضمن وفداً مصر والاردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، أو فلسطينيين آخرين ، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة •

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة • وسيجرى سحب القوات الاسرائيلية المسلحة ، وستتم اعادة تمركز القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمنية معينة •

وستتضمن الاتفاقية أيضاً ترتيبات لضمان الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام • وسيتم انشاء قوة بوليس محلية قوية ، قد تشمل على مواطنين أردنيين اضافة الى ذلك ستشارك القوات الاسرائيلية والقوات الاردنية فى دوريات مشتركة ، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان أمن الحدود •

(ج) وعندما يتم انشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الادارى) فى الضفة الغربية وغزة ، وتباشر هذه السلطة أعمالها ، ستبدأ

فترة الخمس سنوات الانتقالية . وفى أسرع وقت ممكن ، ولكن فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية ، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتيهما بجيرانهما ، ولعقد معاهدة بين اسرائيل والاردن فى نهاية الفترة الانتقالية .

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين . وسيعقد اجتماع للجنة مستقلة ولكن مرتبطتين . احدهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن اسرائيل وممثلين عن الاردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين اسرائيل والاردن ، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل اليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة .

ان المفاوضات ستركز على جميع نصوص ومبادئ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى : موقع الحدود ، وطبيعة ترتيبات الأمن ، ويجب أيضا ان يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة . وبهذه الطريقة سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق .

١ - المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المتعلقة ، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من ان يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتماشى مع بنود اتفاقهم .

٤ - المشاركة حسبما ذكر أعلاه ، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن .

(د) جميع الاجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن اسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما ورائها .

وللمساعدة في توفير مثل هذا الأمن ، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتي . وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شئون الأمن الداخلي مع الضباط الاسرائيليين والاردنيين والمصريين المعتمدين .

(هـ) أثناء الفترة الانتقالية ، سيشكل ممثلو مصر واسرائيل والاردن وسلطة الحكم الذاتي ، لجنة مستمرة لتبت بالاتفاق في كيفية معالجة ادخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ، مع الاجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب . كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك .

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما ، ومع الأطراف الأخرى المعنية ، على وضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ فوري وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر واسرائيل

١ - تتعهد مصر واسرائيل بالا تلجأ الى التهديد بالقوة أو استعمالها لتسوية النزاعات وان أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

٢ - لكي يتم تحقيق السلام بينهما ، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما في غضون ثلاثة أشهر من توقيع اطار العمل هذا ، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى في نفس الوقت في التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة بقصد تحقيق سلام شامل في المنطقة ، وسيحكم اطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، مفاوضات السلام بينهما . وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمني لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة .

مبادئ مرافقة

١ - تعلن مصر واسرائيل ان المبادئ والنصوص المشروحة أدناه يجب ان تنطبق على معاهدات السلام بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها : مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٢ - ان الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كذلك القائمة بين دول في سلام مع بعضها . ومن أجل هذه الغاية يجب ان يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة . وتشمل الخطوات التي ستتخذ في هذا الصدد .

(أ) الاعتراف الكامل .

(ب) ازالة المقاطعة الاقتصادية .

(ج) الضمان بأن مواطني الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة .

٣ - يجب أن يتقضى الموقعان الامكانيات من أجل تطور اقتصادى فى اطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصدقة الذى هو هدفهما المشترك .

٤ - يمكن انشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية .

٥ - ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين .

٦ - سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بالا تخرق نصوصها . وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها . وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى اطار العمل هذا .

عن حكومة جمهورية مصر العربية عن حكومة اسرائيل

شاهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الوثيقة الثانية

اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل

اجتمع الرئيس محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ومناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل مع جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى كامب ديفيد من ٥ الى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ واتفقوا على الاطار التالى للسلام فى الشرق الأوسط ، وهم يدعون أطراف النزاع العربى - الاسرائيلى الأخرى الى الانضمام اليه .

ان البحث عن السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشده بالآتى :

ان القاعدة المتفق عليها للتسوية السلمية للنزاع بين اسرائيل وجيرانها هو قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه . . وسيرفق القراران رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بهذه الوثيقة .

بعد أربعة حروب خلال ثلاثين عاما ورغم الجهود الانسانية المكثفة فى الشرق الأوسط مهد الحضارة ومهبط الأديان العظيمة الثلاثة لم يستمتع بعد بنعم السلام ، ان شعوب الشرق الأوسط تتشوق الى السلام حتى يمكن تحويل موارد الاقليم البشرية والطبيعية الشاسعة لمتابعة أهداف السلام وحتى تصبح هذه المنطقة نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .

ان المبادرة التاريخية للرئيس السادات بزيارته للقدس والاستقبال الذى لقيه من برلمان اسرائيل وحكومتها وشعبها وزيارة رئيس الوزراء بيجين للاسماعيلية ردا على زيارة الرئيس السادات ومقترحات السلام التى تقدم بها كل من الزعيمين ، وما لقيته هذه المهام من استقبال حار من شعبى البلدين كل ذلك خلق فرصة للسلام لم يسبق لها مثيل وهى فرصة لا يجب اهدارها ان كان يراد انقاذ هذا الجيل والأجيال المقبلة من مآسى الحرب . .

وان مواد ميثاق الأمم المتحدة والقواعد الأخرى المقبولة للقانون الدولى والشرعية تتوفر الآن مستويات مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول .

وأن تحقيق علاقة سلام وفقا لروح المادة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة. واجراء مفاوضات في المستقبل بين اسرائيل وأى دولة مجاورة مستعدة للتفاوض بشأن السلام والأمن معها هى أمر ضرورى لتنفيذ جميع البنود والمبادئ فى قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ان السلام يتطلب احترام السيادة والوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحققها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها غير متعرضة لتهديدات أو أعمال عنف . وأن التقدم تجاه هذا الهدف من الممكن أن يسرع بالتحرك نحو عصر جديد من التصالح فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون على تنمية التطور الاقتصادى وفى الحفاظ على الاستقرار وتأكيد الأمن .

وان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون بين الدول التى تتمتع بعلاقات طيبة . . وبالإضافة الى ذلك فى ظل معاهدات السلام ويمكن للأطراف - على أساس التبادل - الموافقة على ترتيبات أمن خاصة مثل مناطق منزوعة السلاح ومناطق ذات تسليح محدود ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية وقوات اتصال واجراءات يتفق عليها للمراقبة والترتيبات الأخرى التى يتفقون على أنها ذات فائدة .

ان الأطراف اذ تضع هذه العوامل فى الاعتبار مصممة على التوصل الى تسوية عادلة شاملة ومعمرة لصراع الشرق الأوسط عن طريق عقد معاهدات سلام تقوم على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل فقراتها .

وهدفهم من ذلك هو تحقيق السلام وعلاقات حسن الجوار وهم يدركون أن السلام لكى يصبح معمرا يجب أن يشمل جميع هؤلاء الذين تأثروا بالصراع أعمق تأثير .

لذا فانهم يتفقون على أن هذا الاطار مناسب فى رأيهم ليشكل أساسا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب بل وكذلك بين اسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ممن يريدون استعدادا للتفاوض على السلام مع اسرائيل على هذا الأساس .

ان الأطراف اذ تضع هذا الهدف فى الاعتبار ، قد اتفقت على المضى قدما على النحو التالى :

١ - ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والاردن وممثلو الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل

جوانبها ، ولتحقيق هذا الهدف فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية ينبغي أن تتم على ثلاث مراحل :

(أ) الضفة الغربية وغزة :

(أ) تتفق مصر واسرائيل على أنه من أجل ضمان نقل منظم وسلمي للسلطة مع الأخذ في الاعتبار الاهتمامات بالأمن من جانب كل الأطراف يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وغزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات ولتوفير حكم ذاتي كامل لسكان الضفة الغربية وغزة فإن الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية منهما ستنسحبان بمجرد أن يتم انتخاب سلطة حكم ذاتي من قبل السكان في هذه المنطقة عن طريق الانتخاب الحر لتحل محل الحكومة العسكرية الحالية والمناقشة تفاصيل الترتيبات الانتقالية فإن حكومة الاردن ستكون مدعوة للانضمام للمباحثات على أساس هذا الاطار ويجب أن تعطى هذه الترتيبات الجديدة الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الأراضي واهتمامات الأمن الشرعية لكل من الأطراف التي يشملها النزاع .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة . . وقد يضم وفدا يضم مصر والاردن وممثلي الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين طبقا لما يتفق عليه .

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسئوليات سلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة وسيتم انسحاب للقوات المسلحة الاسرائيلية وسيكون هناك اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى في مواقع أمن معينة وستضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلي والخارجي والنظام العام .

وسيتم تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين أردنيين . . بالإضافة الى ذلك ستشارك القوات الاسرائيلية والاردنية في دوريات مشتركة وفي تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) وستبدأ الفترة الانتقالية ذات السنوات الخمس عندما تقوم سلطة حكم ذاتي « مجلس اداري » في الضفة الغربية وغزة في أسرع وقت ممكن دون أن تتأخر عن العام الثالث بعد بداية

الفترة الانتقالية . . وستجرى المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن بحلول نهاية الفترة الانتقالية ، وستدور هذه المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتميين لسكان الضفة الغربية وغزة .

وسيجرى انعقاد لجنتين منفصلتين ولكنهما مترابطتان . . احدي هاتين اللجنتين تتكون من ممثلي الأطراف التي ستتفاوض وتوافق على الوضع النهائي للضفة وغزة وعلاقتها مع جيرانها . وتتكون اللجنة الثانية من ممثلي اسرائيل وممثلي الأردن والتي سيشترك معها ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن ووضعة في تقديرها الاتفاق الذي تم التوصل اليه بشأن الضفة الغربية وغزة .

وستركز المفاوضات على أساس جميع النصوص والمبادئ لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

وستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى موضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن . . ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباتهم العادلة وبهذا الأسلوب سيشترك الفلسطينيون في تقرير مستقبلهم من خلال :

١ - أن يتم الاتفاق في المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن وممثلي السكان في الضفة الغربية وغزة على الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة والمسائل البارزة الأخرى بحلول نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - أن يعرضوا اتفاقهم للتصويت من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - إتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان في الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التي سيجزمون بها أنفسهم تمشياً مع نصوص الاتفاق .

٤ - المشاركة - كما ذكر أعلاه - في عمل اللجنة التي تتفاوض بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن .

(د) سيتم اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها . . وللمساعدة على توفير مثل هذا الأمن ستقوم سلطة الحكم الذاتي بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية .

وتشكل هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة ٠٠ وستكون
قوة الشرطة على اتصال مستمر بالضباط الاسرائيليين والأردنيين
والمصريين المعينين لبحث الأمور المتعلقة بالأمن الداخلى .

(هـ) خلال الفترة الانتقالية يشكل ممثلو مصر واسرائيل والأردن وسلطة
الحكم الذاتى لجنة تعقد جلساتها باستمرار وتقرر باتفاق الأطراف
صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية
وغزة فى ١٩٦٧ مع اتخاذ الاجراءات الضرورية لمنع الاضطراب
وأوجه النمزق ويجوز أيضا لهذه اللجنة أن تعالج الأمور الأخرى
ذات الاهتمام المشترك .

(و) ستعمل مصر واسرائيل مع بعضهما البعض ومع الأطراف الأخرى
المهتمة لوضع اجراءات متفق عليها للتنفيذ العاجل والعادل والشامل
لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر واسرائيل :

١ - تتعهد مصر واسرائيل بعدم الالتجاء للتهديد أو لاستخدام القوة
لتسوية المنازعات ، وسيتم تسوية أى نزاع بالطرق السلمية طبقا
لأحكام المادة ٣٣ لميثاق الأمم المتحدة .

٢ - فى سبيل تحقيق السلام فيما بينهما يوافق الطرفان على التفاوض
بنية حسنة بهدف توقيع معاهدة سلام بينهما خلال ثلاثة أشهر
اعتبارا من تاريخ توقيع هذا الاطار . وفى ذات الوقت يدعون
أطراف النزاع الأخرى الى العمل فى نفس الوقت للتفاوض
وللتوصل الى معاهدة سلام مماثلة تستهدف تحقيق تسوية شاملة
فى المنطقة . أن الاطار الخاص بتوقيع معاهدة سلام بين مصر
واسرائيل سيحكم مفاوضات السلام الخاصة بتلك الأطراف .
سيستفق الطرفان على ترتيبات وجدول تنفيذ التزامهم وفقا
للمعاهدة .

(ج) المبادئ المرتبطة :

١ - تعلن مصر واسرائيل أن المبادئ والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن
تطبق على معاهدة السلام بين اسرائيل وبين كل من جيرانها مصر
والأردن وسوريا ولبنان .

٢ - على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كذلك القائمة بين
الدول التى هى فى حالة سلام كل منها مع الأخرى .

وعند هذا الحد ينبغي أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق الأمم المتحدة ، ويجب أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

- (أ) اعتراف كامل .
- (ب) إلغاء المقاطعات الاقتصادية .
- (ج) الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية في اللجوء للقضاء .
- ٣ - يجب على الموقعين استكشاف امكانيات التطور الاقتصادي في إطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة في جو السلام والتعاون والصداقة التي تعتبر هدفا مشتركا لهم .
- ٤ - يجب إقامة لجان للدعوى القضائية للحسم المتبادل لجميع الدعاوى القضائية المالية .
- ٥ - يجري دعوة الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات بشأن موضوعات متعلقة بشكليات تنفيذ الاتفاقيات واعداد جدول زمني لتنفيذ تعهدات الأطراف .
- ٦ - سيطلب من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة المصادقة على معاهدات السلام وضمان عدم انتهاك نصوصها ، وسيطلب من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التوقيع على معاهدات السلام وضمان احترام نصوصها ، كما سيطلب منهم مطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التي يحتويها هذا الاطار .

عن حكومة جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

عن حكومة اسرائيل
مناحم بييجين

عن حكومة الولايات المتحدة
جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة

١٧ سبتمبر ١٩٧٩

اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل

من أجل تحقيق السلام . . وافقت مصر واسرائيل على التفاوض بنية صادقة بهدف التوصل الى معاهدة سلام بينهما خلال ٣ أشهر من تاريخ هذا الاتفاق .

وتم الاتفاق على مايلي :

- أن تجرى المفاوضات تحت علم الأمم المتحدة ، فى المكان أو الأماكن التى يتفق عليها الجانبان .

- أن يتم تطبيق كل مبادئ قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى حل النزاع بين مصر واسرائيل .

- أن يتم تنفيذ بنود معاهدة السلام فى فترة بين عامين و ٣ أعوام من تاريخ توقيع المعاهدة ، فيما لو لم يتفق الطرفان على شىء آخر .
وقد أتفق الجانبان على المسائل التالية :

(أ) ممارسة مصر لسيادتها الكاملة على المنطقة التى تمتد الى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين فى فترة الانتداب .

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء .

(ج) استخدام المطارات الجوية التى يخلفها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ - للأغراض المدنية فقط بما فى ذلك الاستخدام التجارى المحتمل من جانب جميع الدول .

(د) حرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج السويس وقناة السويس على أساس اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتى تنطبق على جميع الدول .

اعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات دولية مفتوحة أمام جميع الدول لحرية الملاحة وحرية المرور البرى والطيران فوقها .

- (هـ) إنشاء طريق سريع يربط بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات مع ضمان حرية المرور السلمي فيه لكل من مصر والأردن .
- (و) أن تتم مرابطة قوات عسكرية على النحو المبين فيما يلي :

مرابطة القوات :

(أ) لن ترابط مايزيد على فرقة واحدة (ميكانيكية أو مشاة) في القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد بما يقرب من ٥٠ كيلو مترا شرق خليج السويس وقناة السويس .

(ب) قوات الأمم المتحدة والبوليس المدني فقط المزودة بأسلحة خفيفة ، لممارسة مهام البوليس العادية وسوف ترابط في منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة ، يتراوح عمقها ما بين ٢٠ و ٤٠ كيلو مترا .

(ج) في المنطقة الممتدة على مسافة ٣ كيلو مترات شرق الحدود الدولية تكون هناك قوات عسكرية اسرائيلية لاتزيد عن أربع كتائب مشاة ومراقبو الأمم المتحدة .

(د) وحدات حرس حدود لاتزيد على ثلاث كتائب تقوم بمعاونة البوليس المدني في صيانة النظام في المنطقة التى لم ترد عالية .

وتعيين المناطق المذكورة عاليه سوف يكون حسبما يتم الاتفاق عليه خلال مفاوضات السلام . ومحطات الانذار المبكر قد توجد لضمان الالتزام ببنود الاتفاقية .

وتتمركز قوات الأمم المتحدة في :

(أ) في المنطقة فى سيناء التى تبعد عن البحر المتوسط بعشرين كيلومترا والقريبة من الحدود الدولية .

(ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران - ولن يتم سحب هذه القوات الا فى حالة موافقة مجلس الأمن على سحبها بالأغلبية المطلقة .

وبعد أن يتم توقيع اتفاقية السلام وأثر اتمام الانسحاب المرحلى ، تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل بما فى ذلك : الاعتراف الكامل - متضمنا علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية .

وانهاء المقاطعة الاقتصادية ورفع القيود على حرية انتقال البضائع والأشخاص . على أن يتمتع مواطنو كل من الدولتين بحماية القوانين المطبقة في دولتهم .

- الانسحاب المرحلي :

ان تنسحب جميع القوات الاسرائيلية بعد فترة تتراوح بين ٣ و ٩ أشهر من توقيع الاتفاقية الى شرق الخط الممتد من نقطة العريش حتى رأس محمد ، وسيتم تعيين هذا الخط على وجه التحديد من الاتفاق بين الجانبين .

عن جمهورية مصر العربية	عن حكومة اسرائيل
محمد أنور السادات	مناحم بيجين

شهد التوقيع . . .

جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

١٧ سبتمبر ١٩٧٩ .

نص الخطابات المتبادلة

الملحقة بوثائق كامب ديفيد

بين كارتر والسادات وبيجين بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢

(أ) حول القدس

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

أكتب اليكم لاعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بشأن القدس

١ - نعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب احترام واعادة الحقوق العربية الشرعية والتاريخية فى المدينة .

٢ - ان القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .

٣ - ان من حق السكان الفلسطينيين فى القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة بوصفهم جزءا لا يتجزأ من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية .

٤ - ان القرارات الصادرة من مجلس الأمن وخاصة القرارات رقم ٢٤٢ . ورقم ٢٦٧ يجب أن تطبق بشأن القدس وتعتبر كافة الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة لاغية وغير قائمة ويجب ابطال آثارها .

٥ - يجب أن تتوافر لجميع الشعوب حرية الوصول الى القدس وممارسة الشعائر الدينية وحق زيارة الأماكن المقدسة بدون أى تمييز أو تفرقة .

٦ - يجوز وضع الأماكن المقدسة لكل دين من الأديان الثلاثة تحت إدارة واشراف ممثل هذا الدين .

٧ - ينبغى ألا تقسم الوظائف الضرورية فى المدينة . ويمكن اقامة

مجلس بلدى من كل من العرب والاسرائيليين للاشراف على تنفيذ هذه الوظائف . وبهذه الطريقة فانه لن يتم تقسيم المدينة .

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كارتر من رئيس الوزراء بيجين :

يشرفنى ان ابلغكم يا سيادة الرئيس بان البرلمان الاسرائيلى « الكنيست » اصدر قانونا فى ٢٨ يونيو عام ١٩٦٧ يقضى بان يكون من سلطة الحكومة عن طريق مرسوم تصدره - اخضاع اى جزء من ارض اسرائيل الكبرى للقانون والقضاء والسلطة الادارية للدولة على النحو المبين فى المرسوم .

وقد قامت حكومة اسرائيل على اساس هذا القانون باصدار مرسوم فى يوليو ١٩٦٧ ينص على ان القدس مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم وأنها عاصمة لدولة اسرائيل .

رسالة رقم (٣)

الى الرئيس السادات من الرئيس كارتر :

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتي توضح الموقف المصرى بشأن القدس . وقد ارسلت نسخة من هذه الرسالة الى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاحاطته علما بها .

ان موقف الولايات المتحدة بشأن القدس يظل هو نفس الموقف الذى أعلنه السفير جولد بيرج أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو عام ١٩٦٧ وهو ما أكدته من بعده السفير بوست أمام مجلس الأمن فى أول يوليو ١٩٦٩ .

(ب) حول المستوطنات

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتير من الرئيس السادات :

الحاقا باطار التسوية فى سيناء الذى ينبغى التوقيع عليه هذا المساء أود أن أؤكد من جديد موقف جمهورية مصر العربية بشأن المستوطنات .

١ - يجب اجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقا لجدول زمنى خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام .

٢ - لذلك فان موافقة حكومة اسرائيل ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى تعتبر شرطا مسبقا لبدء مفاوضات السلام التى تستهدف الوصول الى معاهدة سلام .

٣ - فى حالة فشل اسرائيل فى الوفاء بهذا الالتزام فان اطار التسوية سيكون لاغيا وغير قائم .

رسالة رقم (٢)

الى الرئيس كارتير من رئيس الوزراء مناحم بييجن :

أتشرف أن أبلغكم أنه خلال الأسبوعين التاليين لعودتى الى اسرائيل سأطرح على البرلمان الاسرائيلى (الكنيست) مشروع قرار للمبت فيه يتضمن الاجابة على السؤال التالى :

اذا تمت خلال المفاوضات الخاصة بإبرام معاهدة سلام بين مصر واسرائيل تسوية جميع المشاكل المتعلقة هل تؤيدون اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المناطق التى يقيمون فيها شمال وجنوب سيناء أم أنكم تؤيدون بقاء هؤلاء المستوطنين فى تلك الأماكن ؟

ان التصويت على هذا السؤال - سيدى الرئيس - سيتم بحرية تامة بعيدا عن جميع تقاليد البرلمان المتبعة التى تقضى بأن يتقيد النائب برأى حزبه وذلك برغم أن الائتلاف الحكومى بتأييد ٧٠ نائب من بين

١٢٠ نائباً هم كل الكنيست وفي اعتقادي أنه سيكون في استطاعة كل عضو في الكنيست سواء من المؤيدين للحكومة أو في مقاعد المعارضة الادلاء بصوته بوحى من ضميره الشخصى .

رسالة رقم (٣) :

من الرئيس كارتير الى الرئيس السادات بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢ الى الرئيس السادات من الرئيس كارتير :

مرفق بهذه الرسالة نسخة من الرسالة التي بعث بها الى رئيس الوزراء مناخم بييجين موضحاً كيفية طرح قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لاتخاذ قرار بشأنها في وقت لاحق .

وفيما يتعلق بهذه القضية فأنا أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على أجلاء جميع المستوطنين الاسرائيليين من سيناء طبقاً لجدول زمني خلال الفترة المحددة لتطبيق معاهدة السلام تعتبر شرطاً مسبقاً لأي مفاوضات من أجل ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

رسالة رقم (٤) :

نص رسالة كارتير الى بييجن بتاريخ ١٩٧٨/٩/٢٢

الى رئيس الوزراء بييجين من الرئيس كارتير :

لقد تسلمت رسالتكم بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ توضحون فيها كيفية طرح قضية مستقبل المستوطنات الاسرائيلية في سيناء على الكنيست كي تتخذ قراراً بشأنها .

ومرفق هنا نسخة من رسالة الرئيس السادات الى حول هذا الموضوع .

(ج) حول الضفة الغربية وغزة

رسالة رقم (١)

الى الرئيس كارتر من الرئيس السادات :

الحاقا على اطار السلام في الشرق الأوسط أكتب لكم هذه الرسالة لأحيطكم علما بموقف جمهورية مصر العربية بشأن تطبيق التسوية الشاملة .

أنه من أجل ضمان تنفيذ البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ومن أجل حماية الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني فإن مصر ستكون على استعداد للاضطلاع بالدور العربي الذي تحدده هذه البنود وذلك بعد المشاورات مع الأردن وممثلي الشعب الفلسطيني .

رسالة رقم (٣)

الى رئيس الوزراء بيبين من الرئيس كارتر :

أحيطكم علما هنا أنكم أبلغتموني بما يلي :

(أ) أنكم ستفسرون وتفهمون عبارات « الفلسطينيين » أو « الشعب الفلسطيني » الواردة في كل فقرة من وثيقة اطار التسوية المتفق عليها باعتبارها تعنى « عرب فلسطينيون » .

(ب) ان الحكومة الاسرائيلية ستفهم تعبير « الضفة الغربية » في أي فقرة يرد فيها من وثيقة اطار التسوية على أنه يعنى « يهودا والسامرة » .

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧

في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، صوت مجلس الأمن على مسودة قرار قدمتها بريطانيا ، وأقرها بالإجماع . وفيما يلي نص القرار :

ان مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط . واذ يؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب والحاجة للعمل من أجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن .

واذ يؤكد كذلك أن جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفق المادة الثانية من الميثاق .

١ - يشبث أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يجب أن يشمل تطبيق المبدأين التاليين كليهما .

✳ انسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلت في النزاع الأخير

✳ انتهاء كل تمسك بصفة المحاربة أو في حالة الحرب وإيلاء الاحترام والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة وحقوقها في أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة .

٢ - يشبث كذلك الضرورة .

(أ) لضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية في المنطقة .

(ب) لتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(ج) لضمان الحرية الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باتخاذ اجراءات بما فيها انشاء مناطق مجردة من السلاح .

٣ - يطلب الأمين العام انتداب ممثل خاص ليذهب الى الشرق الأوسط لاقامة ومواصلة الاتصالات مع الدول المعنية بغية تشجيع الاتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفق النصوص والمبادئ الواردة في هذا القرار .

٤ - يطلب من الأمين العام موافسة مجلس الأمن ، في أقرب وقت ممكن ، بتقرير عن سير جهود الممثل الخاص .

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣

أن مجلس الأمن :

- ١ - يدعو جميع أطراف القتال الحالى الى وقف كل اطلاق للنيران، وانهاء كل نشاط عسكري فورا ، فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اعتماد هذا القرار وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن .
- ٢ - ويدعو الأطراف المعنية الى البدء فور وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن ١٩٦٧/٢٤٢ بكل اجزائه .
- ٣ - ويقرر أن يبدأ فور وقف اطلاق النار ، اجراء المفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الرعاية المناسبة بهدف اقرار سلم عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

الفصل الثالث

معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل
والاتفاق التكميلي

المعاهدات من قدم التاريخ

لعل اقدم معاهدة سلام فى تاريخ البشرية ، هى المعاهدة التى أبرمها (عام ١٢٦٩ ق م) فرعون مصر « رمسيس الثانى » مع « حاتوسيليس » ملك الحيثيين .

وقد نقشت هذه المعاهدة باللغة الهيروغليفية على حائط معبد الكرنك ، وهى تشمل نصوصا فريدة فى أهميتها لتاريخ العلاقات الدولية، اد تتضمن معانى الصداقة الأبدية ، والسلم الدائم ، والسلامة الإقليمية، وعدم الاعتداء وتبادل المجرمين والمساعدة المتبادلة .

ويوجد نموذج مجسم لهذه المعاهدة باللغة المسمارية ، فى البهو المؤدى الى مجلس الأمن ، من اهداء جمهورية تركيا الى هيئة الأمم المتحدة .

معنى المعاهدة :

والمعاهدة أو الميثاق أو العهد ، يعنى اتفاقا أو محالفة . وقد تتم المعاهدة بين طرفين فتعرف بالمعاهدة الثنائية ، أو بين أكثر من طرفين وتكون معاهدة جماعية .

وقد تكون مدة سريان المعاهدة غير محددة التاريخ ، فتكون لها صفة الاستمرار فهى معاهدة دائمة ، أو محددة الأجل بتاريخ معين متفق عليه ضمن النصوص فتسمى معاهدة مؤقتة .

واذا كان هناك تقارب بين طرفين أو أكثر من حيث القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية ، فتكون المعاهدة متكافئة ، أما اذا تفاوتت القوى وتباعدت ، فتميز طرف لانفراده وتفوقه فى تلك القوى ، فتصبح المعاهدة غير متكافئة .

وقد لا تتوفر الثقة المطلقة بين طرفي المعاهدة ، فيطلبون ضمانا من دولة قوية ، فتكون معاهدة الضمان . ومن الأرجح أن تباشر الضمان دولة قوية « الدولة الضامنة » ، التى تأخذ على عاتقها ، الزام المتعاهدين علم احترام شروط المعاهدة وتقييدهم بها . وغالبا ما يكون موقف الدولة الضامنة حساسا ، ولذا لا تقبل أى دولة أن تقوم بدور الدولة الضامنة الا اذا كانت :

- دولة لها مصلحة مباشرة في احترام المعاهدة والالتزام بشروطها .
- دولة تربطها بدولتي التعاقد صداقة خاصة .

وتعتبر معاهدة « بلوا » (عام ١٥٠٥ م) ، أول معاهدة ضمان في تاريخنا الحديث ، وكانت بين فرنسا وملك أراجون . وقامت انجلترا بدور الدولة الضامنة ، والتزمت بدور المشرف المنفذ لتطبيق شروط المعاهدة ، ووعدت بأن تضمن احترام المتعاهدين للشرط وعدم خروجهما عليها .

وقد يتجاوز الضمان حدود تعهد الدولة الواحدة ، الى ضمان مجموعة من الدول ، فيسمى الضمان الجماعي ، الذي طبق في ميثاق عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى . كما طبق ميثاق هيئة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي ميثاق الضمان الجماعي العربي .

أحلاف الجاهلية

ومن أهم أحلاف الجاهلية :

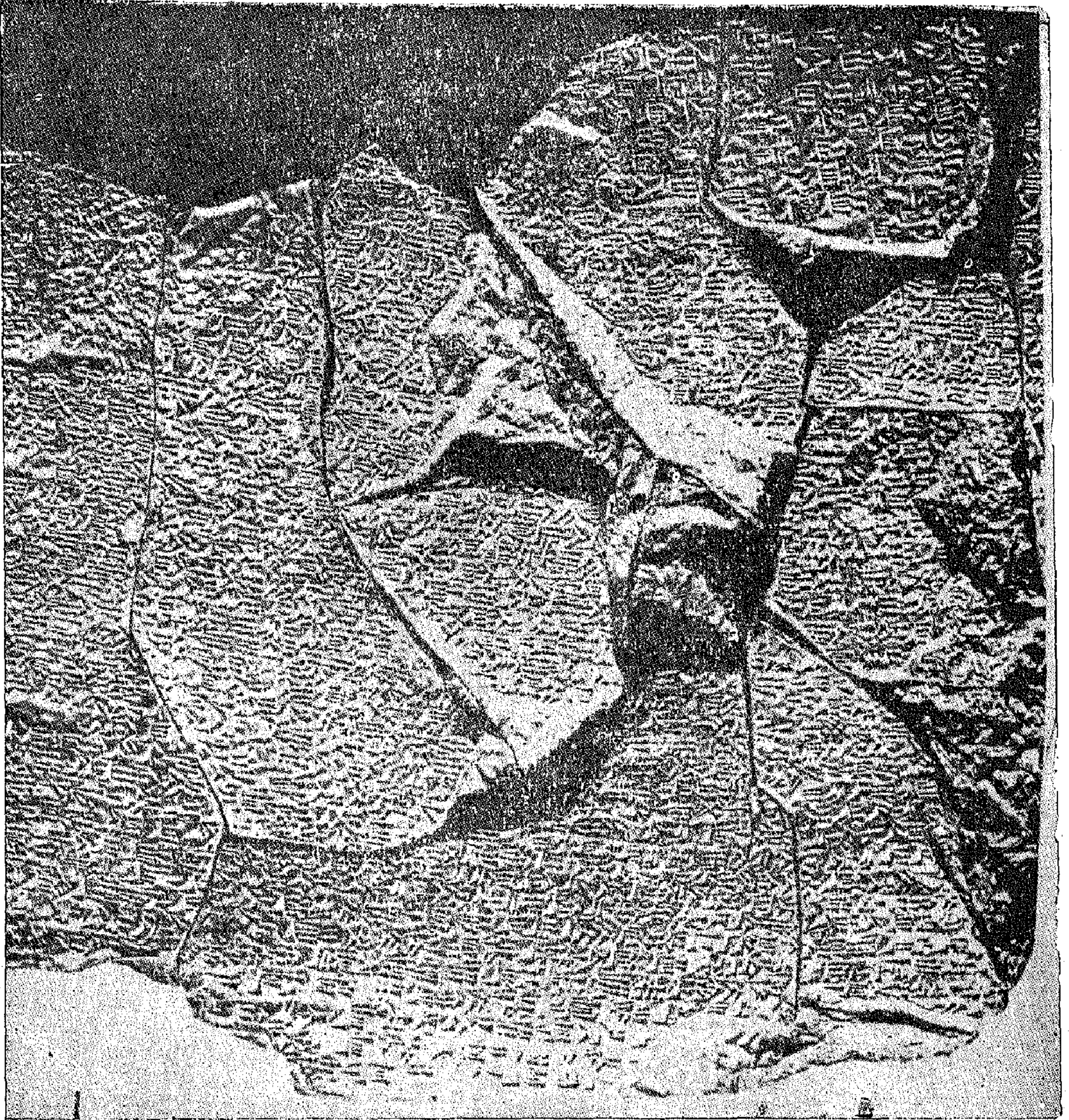
- حلف الأحلاف . . عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية والمطلب ونوفل ، بهدف جمع ما تفرق من شملهم . وسمى بالمطبيين لأنهم غمسوا أيديهم في طيب ، جاءوا به الى الكعبة وأقسموا عليه ألا ينقصوا حلفهم .

- حلف الأحلاف . . عقده بنو عبد الدار مع سادة القبائل الموالية لهم للتصالح مع قريش ، بعد أن كادت الحرب أن تضيع من شأنها واتفق فيما بينهم على أن يكون اللواء لبنى عبد الدار والسقاية لبنى عبد مناف .

- حلف الفضول . . استمرت حرب الفجار بين هوزان وقريش أربع سنوات كان القتال فيها يدور لعدة أيام ، وفيما عداها كان العرب يكفون عن القتال لتصريف شئونهم وتجارتهم .

وقد اشترك في هذه الحرب ، الرسول محمد وهو في حدائته . . فكان يجمع السهام التي كانت ترميها قبيلة هوازن ، ويعطيها لجده عبد المطلب ليردها الى صدور مقاتلي هوازن .

وفي هذه الحرب ، قتل عبد المطلب وهاشم ، وتشنت بعدهما العرب لصراعهم على الزعامة والسيادة . فرأى الزبير بن عبد المطلب ، أن



أقدم معاهدة سلام في العالم وقعتها مصر عام ١٢٦٩ قبل الميلاد

يعيد جمع الشمل ، وتعاهدوا على مناصرة المظلومين حتى يظهر الحق وينالوه . وقد حضر الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا الحلف .

وكان العرب يوثقون عهودهم ، بلعق الدم ثم بسوائل أخرى فى لون الدم . وكانوا يغمسون أيديهم فى الماء ، فكأنما أمسك بعضهم بيد بعض ، وكأنهم أرادوا أن يسرى العهد فى جسدهم .

المعاهدات فى الاسلام

فى صدر الاسلام ، كان معظم الأحلاف والعهود بين المشركين وبين النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، وضده بالذات ، لأن الوحي هبط بالاسلام عليه لذاته .

وكان هناك صلح الحديبية ، وهو عهد بين محمد النبى الكريم وبين كفار قريش ، عقد فى شهر ذى القعدة عام ٦ هجرية ، عند بئر الحديبية بالقرب من مكة . ويعتبر هذا الصلح نقطة الانطلاق الجوهرية لانتشار الدعوة المحمدية .

فقد خرج المسلمون ، بعد احرامهم بالمدينة ، وطريقهم مكة للزيارة وقد سبقهم خبر بين الناس بأن محمدا لا يبغى قتالا . ولكن المشركين من قبائل قريش فى مكة ، توجسوا خيفة وتوقعوا أمرا ، وصمموا قائلين :

— لا يدخلن محمد علينا مكة فيظن العرب أنه دخلها علينا عنوة .

وبعثوا برسول ليتقصى الخبر ويستطلع الأمر . فقال له النبى محمد عليه الصلاة والسلام :

— انا لم نجىء لقتال ولكن جئنا معتمرين ، وأن قريشا قد نهكتهم الحرب وأجهدتهم ، فان شاءوا ماردتهم (هادنتهم) مدة ويخلوا بينى وبين الناس .

وعاد رسول قريش وأخبر قومه بالأمر .

وبعد مشاورة الصحابة ، أوفد الرسول الكريم عثمان بن عفان ليخبرهم بسبب قدومهم . وكان عثمان ينتمى الى بنى أمية ، احدى بطون قريش التى يرأسها أبو سفيان . وبذلك يعتبر عثمان من أقرباء أقوى رجل فى قريش .

ولاقت قريش عثمان مرحبة به ، وأنبأهم بعزم المسلمين . ولما طالت غيبة عثمان ، حسب المسلمون أن شرا قد لحقه ، وراجت بينهم اشاعة

قتله ، فتحمسوا لقتال قبائل مكة ، حتى فاجأهم قدوم عثمان وقص عليهم ما حدث .

وأرسلت قريش ، سهيل بن عمرو ، مبعوثا عنها . فلما رآه النبي الكريم ، هتف قائلا :

– لقد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل .

وقال الرسول الكريم :

– أكتب يا علي .. هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل ابن عمرو .. وقرر الاتفاق شروطا ملزمة للطرفين .

وهكذا عقد الرسول الكريم هذا الصلح ، حرصا منه على السلام وتجنب الحرب ، ولطمئنانه الى صلح يكفل له الأمن من جانب قريش ، حتى يصل الى حرية الدعوة في ظلال الاسلام .

وروى ابن هشام : أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لم تمض له سوى مدة قليلة في المدينة ، حتى اجتمع له اسلام أهل المدينة من العرب ولم يبق دار من دور الأنصار ، الا أسلم أهلها ، عدا أفراد من قبيلة الأوس .

فكتب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم .

لقد كان بالامكان أن تؤتى هذه المسألة العادلة ، ثمارها فيما بين المسلمين واليهود ، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم من حب الغدر والخديعة ، فكان المسلمون بذلك في حل مما التزموا به تجاههم .

والأصل أن مشروعية فرض الجهاد ، حكم تبليغي لا يخضع لأي نسخ أو تبديل ، وكذلك أصل مشروعية الصلح والمعاهدات فهو ثابت لا يجوز ابطاله أو اجتثاثه من أحكام الشريعة الاسلامية ، وهو يخضع للسياسة الشرعية أو ما يسمى بـ « حكم الامامة » ، وتتحكم فيه ظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم . والميزان المحكم في ذلك ، أنما هو بصيرة الامام العادل ، بجانب اعتماده الدائم على مشاورة المسلمين والاستفادة من خيراتهم وآرائهم .

فاذا رأى الحاكم أنه من الخير للمسلمين أن لا يجابهوا أعداءهم بالحرب والقوة ، بعد التشاور ، فله أن يجنح الى سلم معهم لا يصادم

نصا من النصوص الشرعية الثابتة . وله أن يحمل رعيته على القتال ، اذا ما رأى المصلحة والسياسة الشرعية السليمة في ذلك الجانب . وهذا ما اتفق عليه عامة الفقهاء ، ودلت عليه مشاهد كثيرة من السيرة النبوية الشريفة . والصحيح الذى اتفق عليه الفقهاء ، أن الشورى مشروعية ولكنها ليست بملزمة للحاكم المسلم ، وليس عليه أن يأخذ بأراء الأكثرية لو خالفوه الرأى . . ويقول الامام القرطبى فى كتاب الجامع لأحكام القرآن :

« المستشير ينظر فى اختلاف الآراء ، وينظر أقربها الى الكتاب والسنة ان أمكنه ، فاذا أرشده الله تعالى الى ما شاء منها عزم عليه وأنفذه . »

معاهدة السلام

بين مصر واسرائيل

كانت اتفاقيات كامب ديفيد . . كإطار شامل وعادل للسلام فى الشرق الأوسط . . تمثل صرحا عظيما ومنطلقا حيويا لدفع عجلة السلام قدما ، بدون ابطاء أو توقف ، لتحقيقه بشكل عملى .

وقد نص فى مقدمة اتفاق إطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، على موافقة الطرفين على التفاوض بنية حسنة ، بهدف عقد معاهدة سلام بينهما ، فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاق (يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) .

وفى الفترة ما بين ١٢ أكتوبر الى ٤ ديسمبر ١٩٧٨ ، عقدت مباحثات بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة بوصفها شريكا كاملا فى السلام ، فى « بلير هاوس » بواشنطن ، بهدف الوصول الى اتفاق شامل للسلام بإثارة موضوعات فرعية سبق بحثها فى كامب ديفيد .

ودارت المباحثات فى حلقة مفرغة ، لجأ اليه الجانب الاسرائيلى بإثارة موضوعات فرعية سبق بحثها فى كامب ديفيد .

ولعل اسرائيل قد تناست ، أن مصر تتحمل مسئولية خاصة فى المنطقة ، جعلتها فى أول صفوف المحاربين ، حين كانت الحرب هى الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الموقف ، كما جعلتها فى أول صفوف المفاوضين حين سنحت الفرصة . . وأن مصر لا يمكن أن تقبل أى موقف يحاول فيه أحد أطراف النزاع أن يأخذ فى يده مقاليد التصرف والتحكم . . فكان

أن رفضت مصر أى تسوية فى قضية السلام ، وتعثر سير المباحثات حتى غلب الظن على فشلها المؤكد .

ورأى الرئيس كارتر ، أن تجميد المباحثات لا يفيد مطلقاً قضية السلام فى الشرق الأوسط ، فكان عليه أن يتحرك شخصياً كشريك كامل لحسم العقبات ولتفهم وجهة نظر كل من الطرفين . فقرر أن يقوم بزيارة مصر واسرائيل يوم ٥ مارس ١٩٧٩ .

وبعد انتهاء زيارة الرئيس الأمريكى ، وقبل مغادرته مطار القاهرة الدولى يوم ١٣ مارس ، صرح كارتر بأنه قد تم تحديد كل عناصر اتفاق السلام ، ووجه دعوته الى مصر واسرائيل للتوقيع على الاتفاق فى واشنطن .

ونجحت مساعى كارتر مع السادات وبيجين ، وتم التوقيع النهائى على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وملحقاتها فى واشنطن ٢٦ مارس ١٩٧٩ . وذلك بعد ستة أشهر من الاستغراق المطلق فى العمل الجاد المتواصل ، الذى أسفر عن :

١ - معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها الثلاثة .

٢ - اتفاق تكميلى - على شكل خطاب موقع عليه من السادات وبيجين - موجه الى الرئيس كارتر ، بشأن إقامة الحكم الذاتى الفلسطينى الكامل فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة انتقالية مدتها خمسة أعوام ، تمهيداً لتقرير الشعب الفلسطينى لمصيره .

٣ - تفسيرات رسمية لبعض المواد ، تعتبر جزءاً لا يتجزأ من المعاهدة .

٤ - الرسالة المرسلة من جمهورية مصر العربية الى الرئيس الأمريكى بشأن تبادل السفراء بين مصر واسرائيل .

وقد حصلت مصر على تعهد قاطع من الرئيس الأمريكى ، بأن تستمر الولايات المتحدة فى الاضطلاع بدور الشريك الكامل ، والقيام بجهد مكثف للتوصل الى حل عادل للمشكلة الفلسطينية .

السلام العادل الدائم :

لم تشط مصر أو تخرج - فى اتفاقيات ومعاهدة السلام - عن التزاماتها العربية . فكلها تحقق الأهداف المصرية والعربية ، التى

أجمعت عليها الأمة العربية ، فى قرارات مؤتمرات القمة العربية ، على
الأخص قرارات مؤتمر الرباط (أكتوبر ١٩٧٤) .

كما تتماشى مع التطبيق العملى لقرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة
١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ ، والتي وافقت عليهما مصر والدول
العربية ، على مراحل وفترات مختلفة على مدى ١٣ سنة .

وتحقق معاهدة السلام واتفاقياتها المرتبطة بها شكلا وموضوعا
أهدافا كثيرة من أهمها :

بالنسبة لمصر :

١ - انتهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، بمجرد تبادل التصديق
على المعاهدة .

٢ - انسحاب القوات الاسرائيلية من الأرض المصرية ، التى احتلتها
سنة ٦٧ ، على أن يتم الانسحاب دون تدمير المنشآت والطرق
والمطارات والموانئ . واستعادة مصر لممارسة سيادتها كاملة على
سيناء .

٣ - تصفية جميع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء .

٤ - تأكيد أن ترتيبات الأمن فى سيناء التى وضعت على أساس التبادل
بين الطرفين ، هى ترتيبات مؤقتة .

٥ - تأكيد التزام مصر القومى والتاريخى الى الأمة العربية والتضامن
العربى .

٦ - نظرا لتمسك مصر بسياسة عدم الانحياز ، فقد تم الاتفاق على حق
مصر فى اختيار الدول التى ستتبع لها قوات الطوارئ الدولية
لحفظ السلام بالمنطقة . وذلك حتى تضمن مصر عدم اشتراك
الدول الكبرى فى تلك القوات .

٧ - عودة القوات المسلحة المصرية ، بالحجم والتسليح التى كانت عليه
قبل ١٩٦٧ ، بما يكفل قدرتها على تنفيذ مهامها وتأمين سلامة
مصر .

٨ - رفض التعهد بامداد اسرائيل بالبتروىل ، الا اذا دخلت فى العطاءات
الدولية بالنسبة للكميات الفائضة عن حاجة مصر .

بالنسبة للشعب الفلسطيني

- ١ - الاعتراف بالحقوق المشروعة .
- ٢ - اقامة حكم ذاتي كامل في الضفة الغربية بما فيها مدينة القدس الشرقية وقطاع غزة ، بعد مرحلة انتقالية مدتها خمس سنوات ، تتم خلالها مفاوضات يشارك فيها ممثلون المنتخبون من الشعب الفلسطيني . على أن تتم تلك المراحل وفقا لجدول زمني ، ينتهي ببدء انسحاب القوات الاسرائيلية الى خارج الضفة والقطاع أو الى مواقع محددة يتفق عليها .
- ٣ - تأكيد ارتباط التسوية على الجبهة المصرية ، بتسوية القضية الفلسطينية . وذلك بالتوقيع على الاتفاق التكميلي الخاص بالضفة وغزة ، في نفس وقت توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية وبين نفس الأطراف .
- ٤ - مشاركة مصر ، في جميع المفاوضات الخاصة بمستقبل الشعب الفلسطيني .

بالنسبة لعرب المواجهة

تطبيق مبدأ الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الأراضي العربية التي احتلت سنة ١٩٦٧ ، وممارسة السيادة الكاملة عليها ، تنفيذاً لقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ورقم ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣ .

وقد تم التأكيد على ذلك في مقدمة المعاهدة ، على أن « اطار السلام »، لم يقصد به أن يكون أساسا للسلام بين مصر واسرائيل فقط ، بل يسرى أيضا كأساس للسلام بين اسرائيل وجيرانها (الأردن وسوريا وممثلي الشعب الفلسطيني) اذا رغبوا في التفاوض .

التصديق على المعاهدة

وفقا للقرار الجمهوري رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩ ، حول مجلس الشعب بجلسته يوم ٥ ابريل ١٩٧٩ ، المعاهدة ووثائقها والاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتي في فلسطين (الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة) ، الى اللجنة المشتركة من لجان العلاقات الخارجية والشئون العربية والأمن القومي والتعبئة القومية للقيام بالدراسة اللازمة ، حتى يتسنى للمجلس مناقشتها وقرارها ، تطبيقا للمادة ١٥١ من الدستور .

وسرح رئيس اللجنة ما قامت به من بحث ودراسة ، أمام مجلس الشعب بجلسة يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩ . ثم أخذ رأى ممثلى الشعب فى المعاهدة وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وذلك نداء بالاسم ، ووافقت الأغلبية (كان عدد الموافقين ١٥ عضوا ، وامتنع عضو واحد عن التصويت) . فصدر قرار المجلس بالموافقة على معاهدة السلام المصريه الاسرائيلية ووثائقها والاتفاق التكميلى مع التحفظ بشرط التصديق .

وصدر القرار الجمهورى رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩ ، لدعوة الناخبين يوم ١٩ ابريل ١٩٧٩ ، لبدء الرأى فى الاستفتاء على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى ، وعلى عدد من المواضيع لتصحيح المسار الديمقراطى .

وفى يو ٢٠ ابريل ١٩٧٩ ، أعلنت نتيجة الاستفتاء ، فكان عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت بالموافقة ٩٩٪ .

وباسم الشعب ، صدق الرئيس السادات يو ٢١ ابريل ١٩٧٩ على معاهدة السلام وملحقاتها ، وعلى المحضر المتفق عليه بشأن بعض المواد ، وعلى الخطاب المشترك الموجه من رئيس مصر ورئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس الأمريكى ، بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى .

كما قامت اسرائيل من جانبها باتخاذ اجراءات التصديق اللازمة بدءا بموافقة الكنيست يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ ، وقرار حكومة اسرائيل بالتصديق على الوثائق الخاصة بالمعاهدة يوم ١ ابريل ١٩٧٩ ، تم توقيع رئيس دولة اسرائيل (كشاهد على ذلك) الذى أمر بالتصديق عليها بختم الدولة يوم ٢٣ ابريل ١٩٧٩ .

وتم تبادل وثائق التصديق بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، الشريك الكامل للطرفين .

وأصبح اتفاق السلام نافذ المفعول . .

وتبددت الى الأبد ظلمات السنين الغائرة ، وأشرق على الشعب المصرى نور الحياة من جديد .

.. وأخيرا وليس آخرا

وأخيرا . . انتصرت مسيرة السلام العادل الدائم الذى يكفل الأمان لمصر ، والتنمية والرخاء لشعبها الصامد ، ويمهد الطريق الديمقراطى ، لييسط الحرية للانسان المصرى .

وليس آخرًا . . لأن مصر قد حققت السلام ، بالعمل الجدى الذى بدأ بالقوة والردع ، وانتهى بالتفاوض السلمى لتحقيقه .
وليس هناك أصعب من الحصول على السلام ، الا الاحتفاظ به . .
وهذا فرض وواجب على الجيل الحاضر وأجيال المستقبل .
وسوف يصبح تيار السلام ، الذى سرى فى ربوع مصر المباركة ،
تيار التاريخ القادم فى كل مكان .

أهمية سيناء العسكرية

تعتبر سيناء ، مدخل مصر الشرقى ، والحائط الدفاعى العظيم .
وتقع بين قارتى آسيا وأفريقيا . وتعتبر حلقة الوصل بين شقى العروبة
فى الشرق والغرب ، وعلى أرضها تلتقى مصر والأردن وشبه الجزيرة
العربية .

وسيناء ، شبه جزيرة مساحتها ٦١٠٠٠ كم^٢ ، مثلثة الشكل
تقريبًا ؛ طول القاعدة ٢٠٠ كم ، تمتد على ساحل البحر الأبيض
المتوسط ، من بور فؤاد غربًا الى رفح شرقًا . ورأس مثلث سيناء عند
منطقة رأس محمد فى أقصى الجنوب ويبعد ٣٩٠ كم تقريبًا عن ساحل
البحر الأبيض المتوسط .

ويحد شبه جزيرة سيناء :

— الحد الغربى . . وطوله ٥١٠ كم تقريبًا ، على امتداد خليج السويس
وقناة السويس .

— الحد الشرقى . . بطول ٢٤٠ كم تقريبًا ، على الساحل الغربى لخليج
العقبة .

— الحد الخط الوهمى للحدود السياسية بين سيناء وفلسطين . . بطول
٢١٥ كم تقريبًا ، ويمتد من طابا على رأس خليج العقبة حتى رفح على
ساحل البحر الأبيض المتوسط .

ومن الناحية العسكرية ، تنقسم سيناء الى جزئين ، لكل منهما
قيمته الاستراتيجية المتميزة :

١ — المثلث الجنوبى : وتدخل فيه الهضبة الوسطى وجبال الطور
وتعتبر شرم الشيخ ، مفتاح المثلث الرئيسى ، فهى التى تتحكم تمامًا فى
كل خليج العقبة ، عن طريق مضيق تيران . كما تتحكم شرم الشيخ فى

السهلين الساحليين بحكم التقائهما عندها ، ومضيق مدخل خليج العقبة عند جزيرتى تيران وصنافير ، مع وجود الشعب المرجانية التى تقلل من عمق المضيق ، وتجعل الملاحة فى المياه الاقليمية المصرية وحدها ، أى فى مضائق تيران الأكثر صلاحية للملاحة ، مما أعطاها أهمية عسكرية خاصة بالنسبة لمصر .

٢ - المستطيل الشمالى : ويتفوق بأهميته الاستراتيجية المميزة . ويمتد بمحاذاة الطريق البرى ، ويحتوى على المحاور الثلاثة الأساسية للحركة فى سيناء كلها ، والتى يستحيل تحريك القوات الميكانيكية خارجها .

ودائما ما كان المستطيل الشمالى بموقعه وتضاريسه ومحاوره - طريق الحرب ومسرحها لتحكمه فى كل سيناء . كما هو طريق التجارة قديما وحديثا .

وتعتبر هذه المحاور بامتدادها من الشرق الى الغرب ، من أهم طرق المواصلات والحركة المدنية والعسكرية . وهذه المحاور هى :

(أ) المحور الشمالى . . من القنطرة لیتجه شمال شرق ، موازيا لسهل الطينة الرخو ، فيمر ب : بالوظة - الفرما - بير العبد - العريش ثم رفح ، ويضيق هذا الطريق عند رمانه .

(ب) المحور الأوسط . . يمتد بين الاسماعيلية فأبو عجيلة ثم العوجة (داخل اسرائيل) وهو العمود الفقرى فى المحاور الثلاثة لصلاحيته التامة لتحريك القوات الميكانيكية الثقيلة . ويزيد من أهميته أنه يؤدى شرقا الى قلب هضبة فلسطين الداخلية ، وغربا الى قلب الدلتا مباشرة .

(ج) المحور الجنوبى . . يمتد بين السويس والقسيمة ، ولا يصلح الا لتحريك الحملات الخفيفة .

الطريق الحربى القديم

وعادت سيناء بأكملها الى أحضان أهلها المصريين . فمنذ عهد يزيد على ٥ آلاف سنة ، امتزج البدو بممثلى الادارة المصرية . حتى كان عهد الأسرة الحادية عشر عندما تمصرت سيناء تماما . وهذا يؤكد بوضوح ، أن مصر جعلت سيناء أرضا مكملة لها منذ فجر التاريخ . وتدل على ذلك ، أقدم آثار الوجود المصرى فى سيناء والتى اكتشفت فى وادى المغارة . ومنها لوحات فرعونية تعتبر أقدم أثر انسانى من نوعه ، تدل على أن

الفراعنة بسطوا سلطانهم على سيناء . كما توجد أقدم النقوش الفرعونية وهو ما سمي (بصخرة سمرخت) وهو سابع ملوك الأسرة الأولى ومن بين اللوحات العديدة في وادي المغارة ، لوحتين للملك سنفرو من الأسرة الثالثة .

ولما طبقت مصر الفرعونية في استراتيجيتها العسكرية مبدأ : « هاجم حتى لا تهاجم » : أقام مؤسس الأسرة الثانية عشر ، الاستحكامات الدفاعية والحصون المنيعة ، وأرسلت إليها الحاميات على امتداد حدود مصر الشرقية والشمالية الشرقية . . وذلك حتى ينقل الفراعنة الحرب وساحتها الى ما وراء سيناء حتى لا يضطرون الى الحرب في داخل وادي النيل .

وقد سلك تحتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٧٦ ق م) الطريق الحربى القديم (القنطرة - رفح) عبر سيناء ، لتأمين حدود مصر الشرقية . وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك .

ويعتبر هذا الطريق أهم الطرق الحربية في العالم القديم ، وكان يعرف بطريق حورس ، وقد اهتم الفراعنة ، وخاصة في الأسرة التاسعة عشر ، بحفر الآبار في أماكن متعددة منه وبناء القلاع لتقيم فيها الحاميات .

كما سلك نفس الطريق :

- رمسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق م) ، عندما قاد جيشه لتأديب جيوش مملكة خيتا ، وانتصر عليهم فى معركة قادش .
- الاسكندر الأكبر (٣٣٢ ق م) عندما جاء لغزو مصر والشام فدخل مصر من البحر قرب بورسعيد ، ودخلها من البر عن طريق الشمال عند العريش .
- عمرو بن العاص وجيش المسلمين (١٨ هـ = ٦٣٩ م) ، فقد دخل مصر من طريق الفرما الشمالى .

خطوط الدفاع الاستراتيجية فى سيناء

وثمة ثلاثة خطوط دفاعية أساسية عن مصر ، بامتدادها من الشمال الى الجنوب هى :

- ١ - خط الدفاع الأول . . يقع قرب الحدود السياسية لمصر ، ويكاد يوازيها ويمتد أساسا من رأس خليج العقبة حتى

العريش ويعلو الخط فى قطاعه الجنوبى ، ما بين رأس النقب والقسيمة ، قوس من المرتفعات الجبلية أو شبه الجبلية . ويبعد هذا القطاع عن طريق التحركات العسكرية الأساسية .

ويؤلف هذا القطاع ، سلسلة هضبية تصل ما بين هضبة التية فى حلب سيناء ومرتفعات وسط النقب فى جنوب اسرائيل . أما القطاع الشمالى لهذا الخط ، فيبدأ من القسيمة وينتهى بالعريش . وهو متوسط الارتفاع كثير المنخفضات . ويمثل الممر الطبيعى بين سهول سيناء وسهل فلسطين . ولذلك يعتبر مركز الخط فى الخط كله ، اذ تجتمع فيه نهايات محاور سيناء الاستراتيجية الثلاثة .

ويعتبر خط الدفاع الأول ، أكثر تعرضا للخطر ، لعدم تمتعه بالعمق الاستراتيجى الكافى . كما أنه يقع فى منطقة استراتيجية حرجية حيث تنقارب فى دائرة واحدة حدود مصر واسرائيل والأردن والسعودية .

وتوجد فى خط الدفاع الأول ، مواقع ذات أهمية استراتيجية حيوية . وهى :

– الكونتلا . . بموقعها عند بداية أحد رواق وادى العقبة ، فوق هضبة عالية مشرفة ، تسيطر على المنخفضات والطرق والأودية المحيطة بها . كما يوجد بها مصادر المياه الوحيدة فى المنطقة . . . فهى تمثل بذلك نقطة حصينة للغاية .

– القسيمة . . التى تسيطر على طريق سيناء الجنوبى الى السويس .

– العريش . . التى تسيطر على المحور الشمالى الممتد من القنطرة الى اسرائيل ، كما تسيطر على الطريق الموصل الى أبو عجيبة .

٢ – خط الدفاع الثانى . . ويقع على بعد يتراوح بين ٣٢ و ٧٥ كم من قناة السويس . ويتميز الخط بجباله الوعرة فى قطاعه الجنوبى ، ثم يتحول فى الشمال الى بحر من الرمال والمستنقعات السبخة مما يجعل الخط بأكمله غير صالح للاختراق أو العبور الا من خلال خمس فتحات محددة مما يجعل الخط متحكما فى التحركات من شرق سيناء الى غربها .

ومن بين هذه الفتحات ، اثنتان أساسيتان هما :

– ممر متلا على المحور الجنوبى ، ويبدأ من علامة الكيلو ٣٢ على طريق شرق القناة/نخل ، وينتهى عند علامة الكيلو ٦٣ . وهو عبارة عن أرض محدودة بين جبل الراحة شمالا وجبل الحيطان جنوبا . ويعتبر

ممر متلا الفتحة الجبلية الحاكمة ، ومن هنا تبرز أهمية هذا الممر الدفاعية عن السويس والقناة ثم القاهرة .

مضيق جفجافة على المحور الأوسط ، بين جبلي الختمية وبلق جنوبا ، وجبل المغارة ومنطقة الكشبان الرملية شمالا . وهو أقوى وأهم مواقع سيناء الاستراتيجية .

أما الثلاث فتحات الثانوية . . فهي :

- وادي السدر ، جنوب ممر متلا ويوازيه .
- ويفصل وادي سدر جبل الراحة شمالا ، عن كتلة الهضبة الوسطى جنوبا .

- ممر الجدي ، الذي يفصل بين جبل أم خشيب وجبل حيطان . ويقع شمال ممر متلا .

- ممر الختمية ، الذي يفصل بين جبل الختمية وجبل أم خشيب .
ويمتد خط الدفاع الثاني نحو الشمال ، بعد مضيق الجفجافة وجبل المغارة عبر نطاق الكشبان الأساسي ، حتى بحيرة البردويل كمانع أخير على نهاية الخط .

ويتفاوت عرض بحيرة البردويل بين أقل من كيلو متر وبين ١٥ كيلو مترا ويبلغ تنفث نيرانها لتغطي مياه القناة حينما تشاء إسرائيل .
وأقامت الاستحكامات وقواعد للصواريخ ومحطات الرادار عند الممرات ، وأنشأت المستوطنات في سيناء .

وكانت مصر تستعد للحرب ، ووضعت القيادة السياسية والعسكرية التخطيط الجيد لحرب أكتوبر .

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ - ١٠ رمضان ، وبمفاجئة لم تتوقعها إسرائيل بل العالم بأسره ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر ، كانت طائرات القوات الجوية المصرية تملأ السماء فوق القناة متجهة باصرار وعزيمة نحو المواقع الاسرائيلية في سيناء . وفي نفس الوقت ، عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس لتقتحم بجرأة فائقة ، حصون خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة . ولم يجد جنود إسرائيل مفرا سوى الهرب وهم في فزع وذهول ، مما رأوه بأعينهم ولمسوه بأنفسهم ، من براعة المقاتل المصري وجسارته . وبعد ساعة واحدة من لحظات العبور ، رفرف العلم المصري فوق حصون خط بارليف مكان العلم الإسرائيلي . وتقدمت القوات المصرية في أعماق سيناء ورسخت الأقدام المصرية في سيناء . . وكان النصر لمصر .

وكانت مصر تواقعة الى السلام الشامل العادل المستقر ، فخاضت مرة أخرى أخطر المعارك السلمية من أجل ادراك السلام .

وبنصر أكتوبر المجيد ، استعادت مصر جزءا من شبه جزيرة سيناء ، واستردت بقيتها بعد اتفاقية كامب ديفيد التي وقعتها مصر واسرائيل في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

طولها ١٠٠ كيلو مترا .

ويمثل خط الدفاع الثاني في أهميته ، المحور الأوسط ، الذي يقع عند تقاطعها مضيق جفجافة .

قناة السويس * * خط الدفاع الأخير

تعتبر قناة السويس أهم وآخر خط دفاع عن مصر كلها ، حيث يتقارب بحراها (الأبيض المتوسط والأحمر) ، وتتخللها بحيرات داخلية (المرة والتمساح) مما يوطد ويقوى مناعتها .

وهي مانع مائي فريد مميز بالغ الطول . وتصب في قناة السويس ، نهايات محاور الحركة الثلاث عند القنطرة والاسماعيلية والسويس .

وتتميز قناة السويس ، كمانع استراتيجي بالآتي :

- يحدها شاطئ شديد الانحدار .
- يختلف فيها منسوب المياه عدة مرات في اليوم الواحد ، بسبب المد والجزر . . ولذلك أثره الهام عند التخطيط للعبور . وتنفيذه .
- سرعة التيار ، وتغير اتجاهه كل ٦ ساعات . . مما يؤثر على تخطيط العبور .
- انخفاض سطح الماء بمقدار ٢ متر عن حافة الشاطئ .
- وتجري قناة السويس لنحو ٤٠ كيلو مترا فيما بين بورسعيد والقنطرة ، في مضيق مختنق بين سهل الطينة . وإذا تحققت السيطرة بما يقوى الدفاع عن القنطرة ، فيمكن التحكم في بورسعيد دفاعا وهجوما ، مما يجعل تقدم أى قوات هجومية محكوم عليها بالفشل .

ويتضح مما تقدم ، مدى أهمية سيناء من الناحية الجيواستراتيجية .
(الجغرافيا العسكرية) ، مما يستوجب اعطاء الأهمية القصوى لأمن سيناء
الاستراتيجي الذي يعد من أهم مبادئ الأمن القومي المصري .

وضع سيناء

(من حرب ١٩٦٧ حتى حرب ١٩٧٣)

في ٧ نوفمبر ١٩٥٦ ، وافقت فرنسا وانجلترا ، على انتهاء العمليات
الحربية ، وأجلت قواتهما عن الأراضي المصرية في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ .
وأرادت اسرائيل الاحتفاظ بقطاع غزة ، ولكنها اضطرت للجلاء عنها في
٥ ديسمبر ١٩٥٧ ، بعد تدخل الاتحاد السوفيتي .

وكانت الجمعية العمومية لهيئة الأمم ، قد قررت في ٥ نوفمبر
١٩٥٦ ، انشاء قوة طوارئ دولية تحت قيادة الأمم المتحدة لوقف النزاع
بين مصر وقوات العدوان الثلاثي . وتمركزت قوات الطوارئ في موقعها
بين المتحاربين على حدود سيناء وفي خليج العقبة وشرم الشيخ وغزة ،
وعلى طول خطوط الهدنة ، وذلك بعد جلاء القوات الاسرائيلية .

وقد امتدت قوات الطوارئ في الجانب المصري ، دون اسرائيل التي
رفضت مرابطة القوات في جانبهم .

وكانت موافقة مصر على قوات الطوارئ على أساس وجودها المؤقت ،
بحيث يمكن لمصر طلب سحبها اذا اقتضت الظروف .

وفي ١٤ مايو سنة ١٩٦٧ ، أعلنت حالة الطوارئ في القوات
المسلحة المصرية ، وطلبت مصر من هيئة الأمم ، سحب قوات الطوارئ
الدولية .

وفي ٢٢ مايو تم اغلاق خليج العقبة أمام السفن الاسرائيلية والسفن
التي تحمل مواد استراتيجية لاسرائيل .

وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بدأت الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة ،
واحتلت اسرائيل سيناء بأسرها حتى الضفة الشرقية لقناة السويس ،
حيث أقامت على طولها خط بارليف وحصونه المنيعة ، ودعمته بمواسير
النابالم .

معاهدة السلام

بين مصر واسرائيل

كانت معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية التي تم التوقيع عليها يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ المنطلق الى انهاء حالة الحرب ، واسترداد الأرض المصرية السليبة عام ١٩٦٧ ، بعد انسحاب القوات الاسرائيلية بأكملها عن سيناء ، وعلى مراحل يتفق عليها بين مصر واسرائيل .

على أن يتم ذلك بعد التصديق الرسمي على المعاهدة ، طبقا للأصول الدستورية المبرعية في دولة كل طرف .

الانسحاب الاسرائيلي من سيناء

يمثل هذا الانسحاب ، التطبيق الكامل للمعاهدة في شقها العسكري وجاء في المادة الأولى (فقرة ٢) من معاهدة السلام المصري الاسرائيلي :

٢ - تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) .

وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء » .

واشترطت لاقامة علاقات طبيعية وودية ، بين مصر واسرائيل ، اتمام الانسحاب المرحلي (المنصوص عليه في البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن) . على أن يتم الانسحاب الى ما وراء حدود مصر وفقا لاتفاقية عام ١٩٠٦ .

وكان من نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أن ارتفع العلم المصري ، على ضفة قناة السويس الشرقية لبسط السيادة العسكرية المصرية ، فوق مساحة تمتد بطول القناة وبعمق ١٠ كيلو مترا في سيناء .

ثم انتهت اسرائيل من تنفيذ أول مراحل الانسحاب في ٢٦ مايو ١٩٧٩ ، من خط العريش/رأس محمد .

وعادت سيناء بأكملها الى السيادة المصرية ، بانتهاء آخر مرحلة للانسحاب يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢ .

وكان ذلك في عهد الرئيس محمد حسني مبارك ، الذي تمسك بحق مصر الواضح في اتفاقية السلام . ودخلت سيناء المصرية عهدا جديدا ، لحمتها السلام والأمن والاستقرار ، وسداته الرخاء والخير العميم .

وعادت مصر الى وادى القمر (وهو الاسم الذى اشتهرت به سيناء) ولم تبق الا طابا المصرية ، التى تقع فى آخر الحدود الدولية لمصر وتطل على خليج العقبة .

منطقة طابا

تم تحديد خط الحدود الدولية الشرقية لمصر ، وفقا لاتفاقية القسطنطينية بين حكومتى مصر وتركيا ، ويمتد بين رأس طابا ورفع . . كما نص عليه الذكريتو العثمانى سنة ١٨٩٢م والمصاحب لفرمان عباس حلمى الثانى ، الذى تقرر أن سيناء المحدودة شرقا بخط يصل من رفح الى رأس العقبة ، هى جزء طبيعى من مصر .

وقد تشكلت لجنة مشتركة من المصريين والأتراك (سنة ١٩٠٦) قامت بتعليم نقط الحدود على الطبيعة بـ ٩١ علامة على شكل هرم ناقص . وتم تثبيت أول علامة فى رأس طابا يوم السبت ٣١ ديسمبر ١٩٠٦ وأعطيت رقم ٩١ ، وثبتت آخر علامة على تل الجرائم بساحل رفح فى ٩ فبراير ١٩٠٧ وأعطيت رقم ١ .

ولكن طرف التفاوض الاسرائيلى ، رأى أن هناك اختلافا فى خط الحدود بالنسبة لمنطقة طابا ، اذ اختلف الخط المحدد على الأرض عن الخط المحدد على الخريطة ، بحوالى كيلو متر و ٢٠ مترا . واستند الجانب الاسرائيلى فى ذلك ، الى كتاب وضعه نعوم شقير سكرتير اللجنة المصرية التركية التى حددت الحدود ، وفيه أعطى وصفا للخريطة مخالفا لما جاء فى اتفاقية سنة ١٩٠٦ .

وفى اجتماعات اللجنة الفنية المصرية الاسرائيلية ، أصر كل جانب على موقفه . كما أن مجموعتى اللجنة العليا الانسحاب ، برئاسة كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى ، وايريل شارون وزير الدفاع الاسرائيلى لم يقتنع كل منهما بوجهة نظر الآخر .

ويوم ١٥ مارس ١٩٨٢ ، قدم نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصرى خلال زيارته لاسرائيل ، اقتراحا وافق عليه وأقره مناحم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى ، الذى نص على :

١ - أن يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية الى خط الحدود الدولية الذى تراه مصر .

٢ - أن تتقدم الشرطة المدنية المصرية في هذا القطاع (المنطقة ج) الى الخط الذي تراه اسرائيل .

٣ - أن تنشأ بعد ذلك منطقة حدود مختلف عليها ، الى أن يتم الاتفاق على أساس حل الخلاف الفنى حول تحديد خط الحدود .

ومن المعروف دوليا ، أن « منطقة حدود مختلف عليها » لا تعطي حقا للسيادة لأى من الدولتين المتنازعتين على هذه الأرض .

وتحولت منطقة طابا - التى تشملها مساحة كيلو متر و ٢٠ مترا - الى منطقة خلاف الى أن يتم التوصل الى اتفاق بشأنها . ونظرا لعدم نجاح التوفيق ، لتمسك الجانب الاسرائيلى برأيه ، فقد تحول الخلاف الى التحكيم الدولى . وتعتبر نتيجة التحكيم ملزمة لكل طرف .

مقاهدة السلام

بين

جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل

والملاحق والخرائط الملحقة بها

والمحضر المتفق عليه

معاهدة السلام بين جمهورية مصر

ودولة إسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة اسرائيل ..

الديباجة

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لاقامة سلام عادل وشامل ودائم
فى الشرق الأوسط وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

اذ تؤكدان من جديد التزامهما « باطار السلام فى الشرق الأوسط
المتفق عليه فى كامب دافيد » ، المؤرخ فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ..

واذ تلاحظان أن الاطار المشار اليه انما قصد به أن يكون أساسا
للسلام ، ليس بين مصر واسرائيل فحسب ، بل أيضا بين اسرائيل وأى
من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من
أجل السلام معها على هذا الأساس ..

ورغبة منهما فى انهاء حالة الحرب بينهما واقامة سلام تستطيع فيه
كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ..

واقترعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل يعتبر
خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة والتوصل الى تسوية
النزاع العربى الاسرائيلى بكافة نواحيه ..

واذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى فى النزاع الى الاشتراك فى
عملية السلام مع اسرائيل على أساس مبادئ اطار السلام المشار اليها
آنفا واسترشادا بها ..

واذ ترغبان أيضا فى انماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا
لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية
فى وقت السلم ..

قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرية لسيادتهما من
تنفيذ الاطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ..

المادة الأولى

- ١ - تنتهى حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .
- ٢ - تسحب اسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .
- ٣ - عند اتمام الانسحاب المرحلى المنصوص عليه فى الملحق الأول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) .

المادة الثانية

ان الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هى الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة فى الملحق الثانى وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة . ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر بما فى ذلك مياهه الاقليمية ومجاله الجوى .

المادة الثالثة

- ١ - يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون التى تحكم العلاقات بين الدول فى وقت السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيها واستقلاله السياسى .

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر فى أن يعيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها .

(ج) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ، أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وبحل كافة المنازعات التى تنشأ بينهما بالوسائل السلمية .

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر . كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان . كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التى ستقام بينهما ستضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع المتميزة المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع . كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الآخر الخاضعين للاختصاص القضائى بكافة الضمانات القانونية ويوضع البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها - بالتوصل الى اقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

المادة الرابعة

١ - بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضى المصرية والاسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الأول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يوقع عليها الطرفان .

٢ - يتفق الطرفان على تركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الاول ويتفق الطرفان على ألا يطلب سحب هؤلاء الأفراد وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم الا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما فى ذلك التصويت الايجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

٣ - تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الأول .

- ٤ - يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر فى ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

المادة الخامسة

- ١ - تتمتع السفن الاسرائيلية والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا اسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من اسرائيل واليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشؤون المتعلقة باستخدام القناة .
- ٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو ايقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى . كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من وإلى أراضيها عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

المادة السادسة

- ١ - لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .
- ٢ - يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .
- ٣ - كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التى يكونان من أطرافها بما فى ذلك تقديم الاخطار المناسب للأمن العام للأمم المتحدة وجهات الايداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .
- ٤ - يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزامات تتعارض مع هذه المعاهدة .
- ٥ - مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى

من التزاماتهما الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

المادة السابعة

- ١ - تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة .
- ٢ - اذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال الى التحكيم .

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على انشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية .

المادة التاسعة

- ١ - تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها .
 - ٢ - تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ .
 - ٣ - تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .
 - ٤ - يتم اخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة .
- حررت فى واشنطن دى.سى فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ،
٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ من ثلاث نسخ باللغات العربية والعبرية والانجليزية ، وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى هو الذى يعتد به .

عن حكومة جمهورية مصر

محمد أنور السادات

عن حكومة دولة اسرائيل

مناحم بيجين

شهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

ملحق (١)

البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن

المادة الأولى

أسس الانسحاب

١ - تقوم اسرائيل باتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء في موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ - لتوفير الأمن لكلا الطرفين سيصاحب تنفيذ الانسحاب على مراحل ، الاجراءات العسكرية وانشاء المناطق الموضحة في هذا الملحق وفي الخريطة رقم (١) والمشار اليها فيما بعد بكلمة « المناطق » .

٣ - يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين :

(أ) الانسحاب المرحلي حتى شرق خط العريش / رأس محمد كما هو مبين على الخريطة رقم (٢) وذلك خلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائي من سيناء الى ما وراء الحدود الدولية في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٤ - تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة من أجل الاشراف على وتنسيق التحركات والتوقيعات أثناء الانسحاب ، وأحكام الخطط والجدول الزمنية وفقاً للضرورة في حدود القواعد المقررة في الفقرة (٣) أعلاه ، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضحة في المادة (٤) من المرفق لهذا الملحق .

وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب اتمام الانسحاب الاسرائيلي النهائي من سيناء .

المادة الثانية

تحديد الخطوط النهائية والمناطق

١ - بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلا الطرفين بعد الانسحاب النهائي فان الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (١) يتم انشاؤها وتنظيمها على الوجه التالي :

(أ) المنطقة « أ » :

١ - المنطقة « أ » يحدها من الشرق الخط « أ » (الخط الأحمر) ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتواجد فى هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة ومنشأتها العسكرية وكذا تحصينات ميدانية .

٣ - تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

(أ) ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ،

(ب) لواء مدرع واحد ،

(ج) سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية ،

(د) سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض / جو وحتى ١٢٦ مدفع مضاد للطائرات عيار ٣٧ مم فأكثر ،

(هـ) حتى ٢٣٠ دبابة ،

(و) حتى ٤٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع ،

(ز) اجمالى حتى ٢٢ ألف فرد .

(ب) المنطقة « ب » :

١ - المنطقة « ب » يحدها من الشرق الخط « ب » (الخط الأخضر) ومن الغرب الخط « أ » (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - توفر الأمن فى المنطقة « ب » وحدات حدود مصرية من أربع

كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة ، وتتكون العناصر الرئيسية لكتائب الحدود الأربع من اجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد .

٣ - يمكن اقامة نقاط انذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحداث الحدود على ساحل هذه المنطقة .

٤ - تنشأ في المنطقة « ب » تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع .

(ج) المنطقة « ج » :

١ - المنطقة « ج » يحدها من الغرب الخط «ب» (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتمركز في المنطقة «ج» قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط .

٣ - تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة .

٤ - توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة «ج» وتؤدي وظائفها المحدودة في المادة السادسة من هذا الملحق .

٥ - تتمركز قوات الأمم المتحدة أساسا في معسكرات تقع داخل مناطق التمرکز التالية والموضحة على الخريطة رقم (١) ، على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر :

(أ) في ذلك الجزء من المنطقة في سسيناء التي تقع في نطاق ٢٠ كم تقريبا من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية .

(ب) في منطقة شرم الشيخ .

(د) المنطقة « د » :

١ - المنطقة «د» يحدها من الشرق الخط «د» (الخط الأزرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (١) .

٢ - تتواجد في هذه المنطقة قوة اسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الأمم المتحدة .

- ٣ - لا تتضمن القوة الاسرائيلية فى المنطقة «د» دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ أرض/جو .
- ٤ - تتضمن العناصر الرئيسية لكثائب المشاة الاسرائيلية الأربع حتى ١٨٠ مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع وإجمالى حتى ٤٠٠٠ فرد .
- ٥ - يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط. والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقا للقوانين والنظم المعمول بها فى كل دولة .
- ٦ - تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والأسلحة المسموح بها والمحددة فى هذا الملحق .

المادة الثالثة

نظام الطيران العسكرى

- ١ - تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع ، لمصر واسرائيل فوق المنطقتين « أ » و « د » فحسب ، كل فى منطقته .
- ٢ - تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر واسرائيل فى المنطقتين « أ » و « د » فقط ، كل فى منطقته .
- ٣ - تقلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط فى المنطقة «ب» ويمكن الاحتفاظ فى المنطقة «ب» بعدد ٨ طائرات منها .
- يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائفها فى المنطقة «ب» .
- ٤ - يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائف الشرطة العادية فى المنطقة «ج» .
- ٥ - يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى هذه المناطق .
- ٦ - دون المساس بأحكام هذه المعاهدة ، يقتصر النشاط الجوى العسكرى فى المناطق المختلفة أو فى المجال الجوى الواقع فوق مياهها الإقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق .

المادة الرابعة

النظام البحري العسكرى

- ١ - يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر واسرائيل التمرکز والعمل على سواحل المنطقتين « أ » و « د » كل فى منطقته .
- ٢ - يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن تتمركز وتعمل فى المياه الاقليمية للمنطقة « ب » لمعاونة وحدات الحدود فى أداء وظائفها فى هذه المنطقة .
- ٣ - تؤدى الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا وظائف الشرطة العادية داخل المياه الاقليمية للمنطقة « ج » .
- ٤ - ليس فى هذا الملحق ما يعتبر انتقاصا من حق المرور البرى للقطع البحرية لكلا الطرفين .
- ٥ - يمكن أن تقام فى المناطق المختلفة موانئ ومنشآت بحرية مدنية فقط .
- ٦ - دون المساس بأحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحرى العسكرى فى المناطق المختلفة وفى مياهها الاقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد فى هذا الملحق .

المادة الخامسة

نظام الانذار المبكر

- يمكن لكل من مصر واسرائيل انشاء وتشغيل نظم انذار مبكر فى المنطقتين « أ » ، « د » كل فى منطقته .

المادة السادسة

عمليات الأمم المتحدة

- ١ - يطلب الطرفان من الأمم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للإشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع أى خرق لأحكامه .
- ٢ - يتفق الطرفان ، كل فيما يخصه ، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبى الأمم المتحدة :

(أ) تشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط «ب» وداخل المنطقة «ج» .

(ب) التحقق الدورى من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين فى الشهر على الأقل ، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .

(ج) اجراء تحقق اضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين .

(د) ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران وفقا للمادة الخامسة من معاهدة السلام .

٣ - تنفذ الترتيبات المقررة عالية لكل منطقة بواسطة قوات الأمم المتحدة فى المناطق « أ » ، «ب» ، «ج» وبواسطة مراقبى الأمم المتحدة فى المنطقة « د » .

٤ - يرافق أطقم التحقق للأمم المتحدة ضباط اتصال من الطرف المختص .

٥ - نخطر قوات الأمم المتحدة ومراقبوها كلا الطرفين بالنتائج التى يتوصلون اليها .

٦ - تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون فى مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الأخرى الضرورية لأداء واجباتهم .

٧ - لا تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية .

٨ - يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة .

٩ - يتفق الطرفان على أن تقوم الأمم المتحدة بوضع ترتيبات القيادة التى تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسئولياتها .

المادة السابعة

نظام الاتصال

١ - عقب حل اللجنة المشتركة يتم انشاء نظام اتصال بين الطرفين ، ويهدف هذا النظام الى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم فى تنفيذ الالتزامات وفقا لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء

التنفيذ ، كما تقوم بحالة المسائل التي لم يبت فيها الى السلطات العسكرية الأعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها .

كما يهدف أيضا الى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء أو سوء فهم من قبل أى من الطرفين .

٢ - يقام مكتب اتصال مصرى فى مدينة العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى مدينة بئر سبع ويرأس كل مكتب ضابط من البلد المعنى يعاونه عدد من الضباط .

٣ - يقام اتصال تليفونى مباشر بين المكاتبين وكذا خطوط تليفونية مباشرة بين قيادة الأمم المتحدة وكلا المكاتبين .

المادة الثامنة

احترام النصب التذكارية للحرب

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة فى ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة ، وهى النصب المقامة بواسطة اسرائيل فى سسيناء والنصب التى ستقام بواسطة مصر فى اسرائيل ، كما سيسمح كل طرف الوصول الى هذه النصب .

المادة التاسعة

الترتيبات المؤقتة

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان رقم (٢) و (٣) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين الى ما وراء خط الانسحاب المرحلى ، وكذا حركة قوات الطرفين والأمم المتحدة حتى الانسحاب النهائى .

مرفق الملحق (١)

بشأن تنظيم الانسحاب من سيناء

المادة الأولى

مبادئ الانسحاب

١ - يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين في المادة الأولى من الملحق (١) . ويتضمن هذا المرفق تحطيط وتوقيت الانسحاب . وتقوم اللجنة المشتركة باعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقديمها الى كبير منسقى قوات الأمم المتحدة بالشرق الأوسط قبل شهر من ابتداء أى مرحلة من مراحل الانسحاب .

٢ - اتفق الطرفان على المبادئ التالية بشأن ترتيب التحركات العسكرية :

(أ) على الرغم مما تقضى به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانية من هذه المعاهدة ، وحتى يتم انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الخطين (ي و م) الحاليين الذين انشأ بناء على الاتفاقية المصرية/الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ والمشار اليها فيما بعد باتفاقية عام ١٩٧٥ ، الى خط الانسحاب المرحلى ، فان جميع الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك فى هذا المرفق .

(ب) مع انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية تدخل قوات الأمم المتحدة فورا للمناطق المخلاة لاقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو موضح على الخريطين (٢) ، (٣) على التوالي بغرض الابقاء على الفصل بين القوات . ويكون داخل قوات الأمم المتحدة سابقا لتحرك أى أفراد آخرين الى داخل هذه المناطق .

(ج) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقة « أ » تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقا لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق .

(د) خلال فترة سبعة أيام بعد اخلاء القوات الاسرائيلية المسلحة لآية مساحة واقعة فى المنطقتين « أ » و « ب » تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقا لأحكام المادة الثانية من الملحق (١) .

(هـ) تدخل الشرطة المدنية المصرية الى المساحات المخلاة عقب دخول الأمم المتحدة مباشرة لآداء الوظائف العادية للشرطة .

(و) تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية فى خليج السويس وفقا لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق .

(ز) وباستثناء تلك التحركات المشار اليها أعلاه فان أعمال الانتشار للقوات المسلحة المصرية والأنشطة الموضحة فى الملحق (١) تكون سارية المفعول فى المناطق المخلاة بعد أن تتم القوات المسلحة الاسرائيلية انسحابها الى مسا وراء خط الانسحاب المرحلى .

المادة الثانية

المراحل الفرعية للانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى

١ - يتم الانسحاب الى خط الانسحاب المرحلى على مراحل فرعية كما هو منصوص عليه فى هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (٣) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الأسبوع التى يبدأ احتسابها من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة :

(أ) المرحلة الفرعية الأولى :

خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة العريش بما فى ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار اليها بالمنطقة (١) على الخريطة (٣) .

(ب) المرحلة الفرعية الثانية :

خلال ثلاثة شهور ، تنسحب القوات الاسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط « م » المقرر بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ والخط «أ» والمشار اليها بالمنطقة (٢) على الخريطة رقم (٣) .

(ج) المرحلة الفرعية الثالثة :

خلال خمسة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق وجنوب المنطقة (٢) والمشار اليها بالمنطقة (٣) على الخريطة رقم (٣) .

(د) المرحلة الفرعية الرابعة :

خلال سبعة شهور ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من منطقة الطور - رأس الكنيسة والمشار اليها بالمنطقة (٤) على الخريطة رقم (٣) .

(هـ) المرحلة الفرعية الخامسة :

خلال تسعة أشهر ، تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلي بما فى ذلك منطقة سانت كاترين والمناطق شرق ممرى الجدى وميتلا والمشار اليهما بالمنطقة (٥) على الخريطة رقم (٣) ويكتمل بذلك الانسحاب الاسرائيلى الى ما وراء خط الانسحاب المرحلي .

٢ - تنتشر القوات المصرية فى المناطق المخلاة من القوات المسلحة الاسرائيلية وفقا لما يلى :

(أ) ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة فى سيناء وفقا لاتفاقية عام ١٩٧٥ فى الأجزاء من المنطقة « أ » التى تقع داخل المنطقة (١) وذلك حتى اتمام الانسحاب المرحلي . وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة « أ » حتى حد المنطقة العازلة المؤقتة .

(ب) يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة من الملحق (١) على امتداد سواحل المناطق (٢) و (٣) و (٤) عقب اتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالى .

(ج) تنتشر كتيبة واحدة من وحدات الحدود المصرية الموضحة فى المادة الثانية من الملحق (١) فى المنطقة (١) عقب اتمام المرحلة الفرعية الأولى . كما تنتشر كتيبة ثانية فى المنطقة (٢) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثانية . وتنتشر كتيبة ثالثة فى المنطقة (٣) عقب اتمام المرحلة الفرعية الثالثة . والكتيبتان

الثانية والثالثة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشر فى أى من المناطق المخلاه بعد ذلك بجنوب سيناء .

٣ - يعاد توزيع قوات الأمم المتحدة فى المنطقة العازلة (١) المقررة بمقتضى اتفاقية عام ١٩٧٥ لتمكين انتشار القوات المصرية الموضح فى السابق وذلك عقب اتمام المرحلة الفرعية الأولى ، وفيما عدا ذلك تستمر فى اداء مهامها وفقا لأحكام الاتفاقية المشار إليها فى الأجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى اتمام الانسحاب المرحلى ، وفقا لما هو موضح فى المادة الأولى من هذا المرفق .

٤ - يمكن للقوافل الاسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسى للطرق الواقع شرق العريش لاخلاء القوات الاسرائيلية ومعداتنا حتى اتمام الانسحاب المرحلى . وتتحرك القوافل فى ضوء النهار بعد تقديم اخطار بذلك ، بأربع ساعات الى مجموعة الاتصال المصرية وقوات الأمم المتحدة ، وتصاحبها قوات الأمم المتحدة . وسيتم ذلك وفقا للتوقيينات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة . ويصاحب القوافل ضابط اتصال مصرى لتأمين التحركات دون عائق ويمكن للجنة المشتركة أن توافق على ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل .

المادة الثالثة

قوات الأمم المتحدة

١ - يطلب الطرفان توزيع قوات الأمم المتحدة وفقا للضرورة لأداء الوظائف الواردة فى هذا المرفق حتى موعد اتمام الانسحاب النهائى ، ولهذا الغرض يوافق الطرفان على اعادة توزيع قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة .

٢ - تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما فى وسعها لمنع أية مخالفة لأحكامه .

٣ - عندما توزع قوات الأمم المتحدة تبعا لأحكام المادتين الأولى والثانية من هذا المرفق ، تباشر مهمة التحقق فى المناطق محدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (١) ، وتقيم نقاط مراجعة ، ودوريات استطلاع ونقاط مراقبة فى المناطق العازلة المؤقتة الموضحة بالمادة الثانية أعلاه ، والوظائف الأخرى لقوات الأمم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للخط المرحلى موضحة فى المادة الخامسة من هذا المرفق .

المادة الرابعة

اللجنة المشتركة والاتصال

١ - تعمل اللجنة المشتركة المشار إليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة ، وحتى تاريخ اتمام الانسحاب الاسرائيلي النهائي من سيناء .

٢ - تتكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة المشتركة ممثلين للأمم المتحدة لحضور اجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالأمم المتحدة أو اذا طلب أى من الطرفين وجود الأمم المتحدة ويتم التوصل الى قرارات اللجنة المشتركة باتفاق كل من مصر واسرائيل .

٣ - تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة في الملحق (١) وفى هذا المرفق . ولهذا الغرض وبالاتفاق بين الطرفين وتقوم بما يسلى :

(أ) تنسيق التحركات العسكرية الموضحة فى هذا المرفق وتشرف على تنفيذها .

(ب) تتناول بالبحث وتسعى الى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (١) وهذا المرفق وتناقش أية مخالفات تبلغ اليها بواسطة قوات الأمم المتحدة ومراقبيها ، وتحيل الى حكومتى مصر واسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها .

(ج) تساعد قوات الأمم المتحدة ومراقبيها فى تنفيذ مهامهم . وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك ، كما هو وارد فى الملحق رقم (١) وفى هذا المرفق .

(د) تنظم وضع العلاقات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار إليها فى الملحق (١) وهذا المرفق .

(هـ) تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية فى سيناء من اسرائيل الى مصر .

(و) توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر واسرائيل واعادتها .

(ز) تنظم اقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش رأس محمد ، وفقا لأحكام المادة الرابعة من الملحق (٣) .

(ج) توالى أعمالها عن طريق استخدام أطقم اتصال مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة اتصال دائمة وسوف تمارس أنشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة .

(ط) توفر الاتصال والتنسيق مع قيادة الأمم المتحدة التي تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الاتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلي مع قوات الأمم المتحدة المتمركزة في مناطق معينة أو مراقبي الأمم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة لتوفير أية مساعدة مطلوبة .

(ي) تناقش مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة .

٤ - تعقد اجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الأقل وفي حالة طلب أحد الطرفين أو قيادة الأمم المتحدة عقد اجتماع خاص ، فيتم عقد هذا الاجتماع خلال ٢٤ ساعة .

٥ - تجتمع اللجنة المشتركة في المنطقة العازلة حتى اتمام الانسحاب المرحلي ، ثم تجتمع في مدينتي العريش وبيير سبع بعد ذلك بالتبادل ، على أن يعقد أول اجتماع لها ليس متأخرا عن اسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة .

المادة الخامسة

تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها

١ - تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الأمم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية ، وذلك غرب خط الانسحاب المرحلي ومتاخمة له كما هو مبين في الخريطة رقم (٢) ، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الاسرائيلي وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلي .

وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية في هذه المنطقة .

٢ - تقوم قوة الأمم المتحدة بتشغيل نقاط مراجعة ودوريات استطلاع، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الالتزام بأحكام هذه المادة .

٣ - وطبقا للترتيبات التي أتفق عليها الطرفان والتي سيتم تنسيقها في اللجنة المشتركة ، يتولى أفراد اسراييليون ادارة منشآت حربية فنية في أربع مواقع محدودة وموضحة على :

الخريطة رقم (٢) ومشار إليها بـ (ف ١) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٧١٦٣٩٤٠ (ف ٢) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٩٣٥١٥٤١ (ف ٤) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٥٩٣٣١٥٢٧ (ف ٤) (احدثى) .

المركز على الخريطة ٦١١٣٠٩٧٩ (وذلك طبقا للمبادئ التالية :

(أ) يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيون واداريون مسلحون بالأسلحة الصغيرة اللازمة لحمايتهم (مسدسات ، بنادق ، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة ، قنابل يدوية وذخيرة) كالاتى :

ف ١ / ما لا يزيد على ١٥٠ فرد .

ف ٢ ، ٣ / ما لا يزيد على ٣٥٠ فرد .

ف ٤ / ما لا يزيد على ٢٠٠ فرد .

(ب) لا يحمل الأفراد الاسراييليون أسلحة خارج المواقع ، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الأسلحة الشخصية .

(ج) سيدخل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر واسرائيل لأجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية فى المنطقة العازلة ، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الأقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت من الأسلحة والأفراد داخلها ، ويقوم الطرف الثالث بإبلاغ الطرفين فوراً عن أى تحول لأى منشأة عن دورها فى أعمال المسح البصرى والالكترونى والمواصلات .

(د) يجوز القيام بامداد المنشآت وزياراتها لأغراض فنية وادارية واستبدال الأفراد والأجهزة المقساومة فى المواقع دون تعطيل

وذلك من خلال نقاط مراجعة الأمم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمرافقة بواسطة قوة الأمم المتحدة فحسب .

(هـ) يسمح لإسرائيل أن تدخل في منشآتها الفنية المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والأفراد .

(و) يسمح لإسرائيل بما يلي وطبقا لما تحدده اللجنة المشتركة :

١ - الإبقاء داخل منشآتها على معدات مكافحة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الادارية ذات العجل والمعدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة .

٢ - صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصلات التي تخدم هذه المواقع سواء بداخلها أو بداخل المنطقة العازلة وفي كل من مواقع المنشآت الثلاثة (ف١، ف٢/ف٣، ف٤) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربيتين ذات العجل وغير مسلحتين وبما لا يتجاوز اثني عشر فردا غير مسلحين ومعهم المعدات الضرورية فقط بما في ذلك المعدات الهندسية الثقيلة اذا ما دعت الحاجة لها . ويجوز اتمام عمليات الصيانة هذه ثلاث مرات أسبوعيا باستثناء المشاكل الخاصة وبعد اعطاء الأمم المتحدة اخطارا مسبقا بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات الأمم المتحدة .

(ز) يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ساعات النهار فقط ويكون الدخول اليها والخروج منها على الوجه التالي :

١ - ف١/عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقى أبو عجيلة وجبل لبنى (كيلو متر ١٦١) كما هو موضح على الخريطة رقم ٢ .

٢ - ف٢، ف٣/عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة الى جبل كاترين (الخريطة ٢) .

٣ - ف٢ ، ف٣ ، ف٤ / من خلال طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممرا جويا وفي الأوقات وطبقا لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة .

وتقوم قوة الأمم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر فى مواقع الهبوط وخارج نطاق المنشآت .

(ح) تخطر اسرائيل قوة الأمم المتحدة قبل ساعة على الأقل من قيامها
بأى تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليهما .

(ط) يحق لاسرائيل اخلاء المرضى والجرحى واستدعاء الخبراء
الطبيين والأطقم الطبية فى أى وقت بعد إعطاء بلاغ فوري الى
قوة الأمم المتحدة .

٤ - تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادئ المشار اليها أعلاه
وكل الأمور الأخرى الواردة فى هذه المادة التى تتطلب التنسيق بين
الطرفين .

٥ - يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انسحاب القوات الاسرائيلية
من خط الانسحاب المرحلى أو فى وقت يتم الاتفاق عليه بين
الطرفين .

المادة السادسة

أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية

يحدد الطرفان أسلوب التصرف فى المنشآت والموانع العسكرية
طبقاً للأسس الآتية :

١ - تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع قبل
انسحاب اسرائيل من أية منطقة بالاعداد لقيام أطقم الاتصال
والأطقم الفنية المصرية والاسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع
المنشآت المناسبة للاتفاق على حالة المنشآت والمواد التى ستسلم الى
الجانب المصرى ولترتيب عملية التسليم . وستعلن اسرائيل فى
ذلك الوقت عن خططها فيما يتعلق بكيفية التصرف فى هذه
المنشآت والمواد التى بداخلها .

٢ - تتعهد اسرائيل أن تنقل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق
الأساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة سليمة بما فى ذلك
المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانئ . وتقدم اسرائيل لمصر
المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت وتسمح للأطقم
الفنية المصرية بمراقبة تشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة
عملها لمدة تصل الى أسبوعين قبل التسليم .

٣ - عندما تخلى اسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشير الأطقم الفنية المصرية ادارة هذه المنشآت والمعدات المعاونة لها طبقا لعملية استسلام منظمة وسابقة الاعداد بواسطة اللجنة المشتركة . وتتعهد مصر بأن تستمر فى توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حاليا عند مختلف نقاط المياه لحين انسحاب اسرائيل الى ما وراء الحدود الدولية ، الا اذا تم الاتفاق على خلاف ذلك فى اللجنة المشتركة .

٤ - تتعهد اسرائيل بازالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما فى ذلك الموانع وحقول الألغام فى المناطق التى تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعا للأسلوب التالى :

(أ) تزال أولا الموانع العسكرية من المناطق القريبة من السكان والطريق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة .

(ب) بالنسبة للموانع وحقول الألغام التى لا يمكن ازالتها أو تدميرها قبل الانسحاب الاسرائيلى ، تقوم اسرائيل بتقديم خرائط مفصلة الى مصر والأمم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفى موعد لا يتجاوز ١٥ يوما قبل دخول قوات الأمم المتحدة الى هذه المناطق .

(ج) يقوم المهندسون العسكريون المصريون بالدخول الى هذه المناطق بعد دخول قوات الأمم المتحدة لاجراء عمليات ازالة هذه الموانع طبقا لخطة تقوم مصر بتقديمها قبل التنفيذ .

المادة السابعة

النشاط الاستطلاعى

١ - يتم النشاط الجوى الاستطلاعى خلال الانسحاب على الوجه التالى :

(أ) يطلب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الاستمرار فى طلعات الاستطلاع الجوى وفقا للاتفاقات السابقة حتى اتمام الانسحاب الاسرائيلى النهائى .

(ب) تغطي الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكد من حجم القوات والتسليح وللتأكد من أن القوات الاسرائيلية قد انسحبت من المناطق المبينة في المادة ٢ من الملحق (١) ، والمادة الثانية من هذا المرفق والخريطين (٢) ورقم (٣) ، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد بناء ذلك ، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أى من الطرفين أو بناء على طلب من الأمم المتحدة .

(ج) تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيسية لتنظيم كل

طرف كما هي موضحة في الملحق (١) وفي هذا المرفق .
٤ - يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحدة أن تستمر في عملياتها طبقا للاتفاقات السابقة وحتى اتمام انسحاب اسرائيل من المنطقة الواقعة شرق ممرات الجدى ومتلا . . وبعد ذلك تنتهى مهمة البعثة .

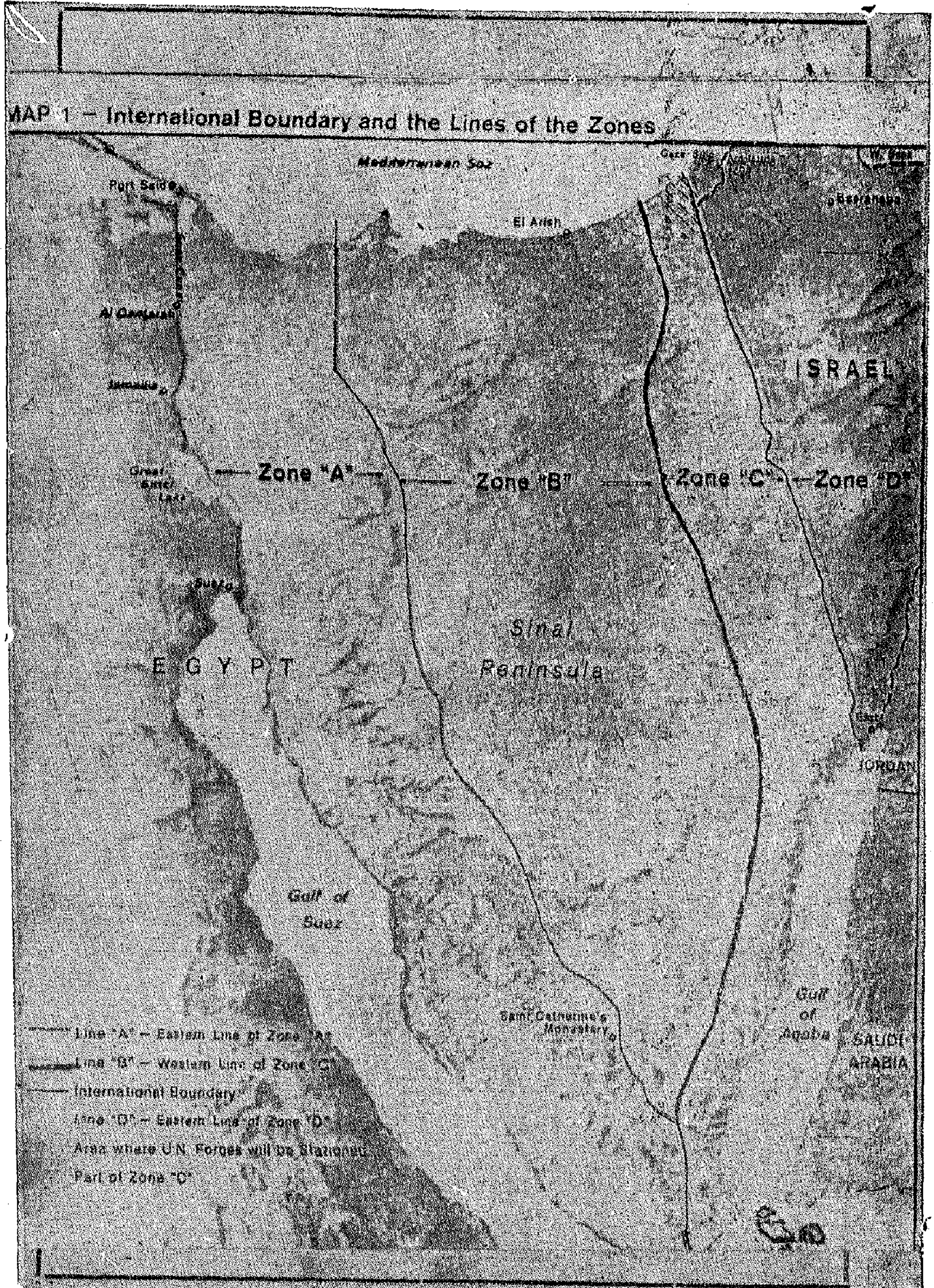
المادة الثامنة

ممارسة السيادة المصرية

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على الأجزاء التى يتم إخلاؤها فى سيناء بمجرد انسحاب اسرائيل من هذه الاجزاء ، كما هو منصوص عليه فى المادة (١) من هذه المعاهدة .

ملحق (٢)

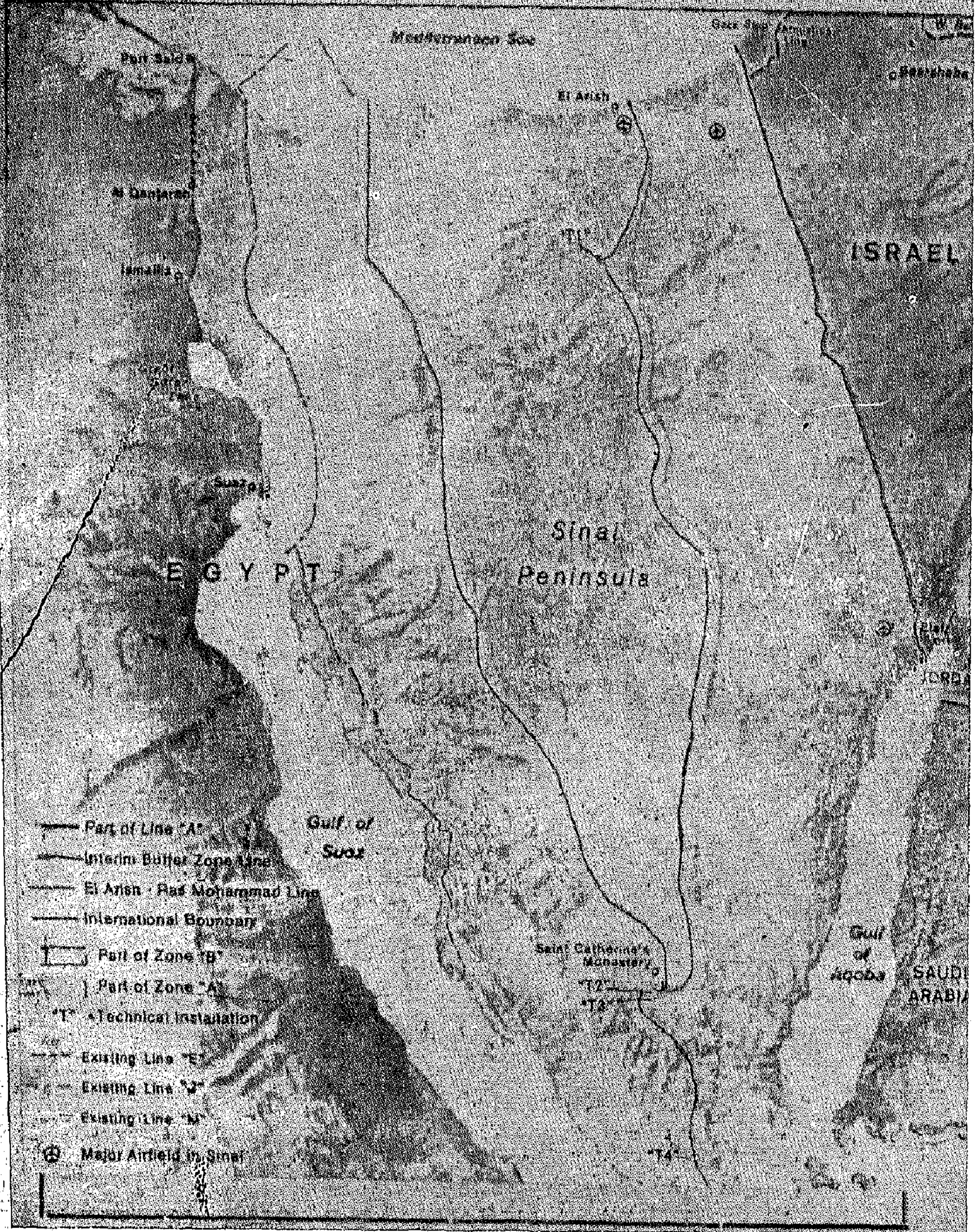
الخريطة رقم (١)



الحدود الدولية وخطوط المناطق

الخريطة رقم (٢)

MAP 2 - Lines and Zones Effective when Israeli Forces are on the El Arish - Ras Mohammad Line



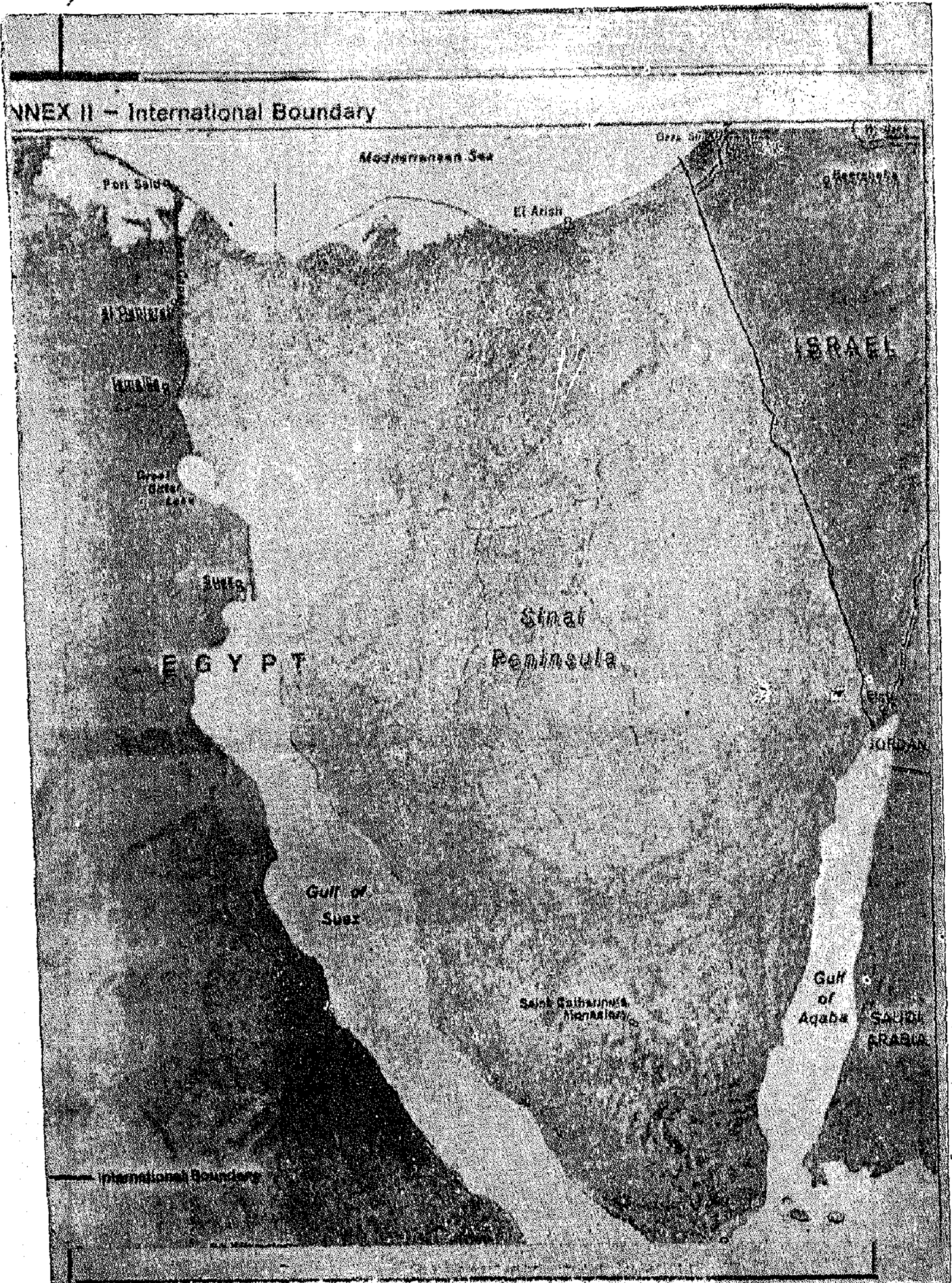
الخطوط والمناطق السارية عند انسحاب
اسرائيل الى خط العريش - رأس محمد

الخريطة رقم (٣)

AP 3 - Sub-Phases of Withdrawal to the El Arish-Ras Mohammad Line



المراحل الفرعية للانسحاب الى خط العريش - رأس محمد



خريطة الحدود الدولية

ملحق (٤)

بروتوكول بشأن علاقات الطرفين

المادة الأولى

العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

يتفق الطرفان على اقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتبادل السفراء عقب الانسحاب المرحلي .

المادة الثانية

العلاقات الاقتصادية والتجارية

١ - يتفق الطرفان على ازالة جميع الحواجز ذات الطابع التمييزي القائمة في وجه العلاقات الاقتصادية العادية ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية لأي منهما عقب اتمام الانسحاب المرحلي .

٢ - يدخل الطرفان في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلي بغية عقد اتفاق تجارة يستهدف انماء العلاقات الاقتصادية ذات النفع المتبادل بينهما .

المادة الثالثة

العلاقات الثقافية

١ - يتفق الطرفان على اقامة علاقات ثقافية عادية بعد اتمام الانسحاب المرحلي .

٢ - يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافي في كافة الميادين أمر مرغوب فيه وعلى أن يدخل في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد اتمام الانسحاب المرحلي بغية عقد اتفاق ثقافي .

المادة الرابعة

حرية التنقل

١ - عقب اتمام الانسحاب المرحلى يسمح كل طرف لمواطنى وسيارات الطرف الآخر بحرية الانتقال الى اقليمه والتنقل داخله وذلك طبقا للقواعد العامة التى تطبق على مواطنى وسيارات الدول الاخرى : ويمتنع كل طرف عن فرض قيود ذات طابع تمييزى على حرية تنقل الأشخاص والسيارات من اقليمه الى اقليم الطرف الآخر .

٢ - كما يسمح بالدخول دون اعاقا الى الأماكن ذات القيمة الدينية والتاريخية وذلك على أساس تبادلى وغير ذى طابع تمييزى .

المادة الخامسة

التعاون فى سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار

١ - يقر الطرفان أن هناك مصلحة متبادلة فى قيام علاقات حسن الجوار ويتفقان على النظر فى سبيل تنمية تلك العلاقات .

٢ - يتعاون الطرفان فى انماء السلام والاستقرار والتنمية فى المنطقة ، ويوافق كل منهما على النظر فى المقترحات التى قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقا لهذا الغرض .

٣ - يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر .

المادة السادسة

النقل والمواصلات

١ - يقر الطرفان بأن الحقوق والمزايا والالتزامات المنصوص عليها فى اتفاقيات الطيران التى يكونان من أطرافها تنطبق على كل منهما ، وبصفة خاصة الواردة فى الاتفاقية الدولية للطيران المدنى لعام ١٩٤٤ (اتفاقية شيكاغو) والاتفاق الدولى بشأن خدمات النقل الجوى لعام ١٩٤٤ .

٢ - عقب اتمام الانسحاب المرحلي لا ينطبق أى اعلان لحالة الطوارئ الوطنية الذى يعلنه أحد الطرفين وفقا للمادة ٨٩ من اتفاقية شيكاغو فى مواجهة الطرف الآخر على أساس تمييزى .

٣ - توافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ التى سوف تخليها اسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما فى ذلك امكان استخدامها تجاريا بواسطة كافة الدول .

٤ - يدخل الطرفان فى مفاوضات فى أقرب وقت ممكن وفى موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد اتمام الانسحاب المرحلي وذلك لغرض ابرام اتفاق طيران مدنى .

٥ - يقوم الطرفان باعادة فتح الطرق وخطوط السكك الحديدية بين بلديهما وصيانتها ، كما ينظران فى اقامة طرق وسكك حديدية اضافية . كما يتفق الطرفان أيضا على اقامة وصيانة طريق برى بين مصر واسرائيل والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة مرور الأشخاص والسيارات والبضائع بين مصر والأردن وذلك على نحو لا يمس بالسيادة على الجزء من الطريق الذى يقع داخل اقليم كل منهما .

٦ - عقب اتمام الانسحاب المرحلي تقام بين الطرفين وسائل اتصالات بريدية وتليفونية وتلكس وصور بالراديو ومواصلات سلكية ولاسلكية وخدمات نقل الارسال التليفزيونى عن طريق الكابلات والراديو والأقمار الصناعية وذلك وفقا للاتفاقيات واللوائح الدولية المنطبقة .

٧ - عقب اتمام الانسحاب المرحلي ، يسمح كل طرف بالدخول المسموح به عادة الى موانئه لسفن وبضائع الطرف الآخر ، وكذلك للسفن والبضائع المتجهة الى الطرف الآخر أو القادمة منه بنفس الشروط المنطبقة بصفة عامة على سفن وبضائع الدول الأخرى . وسوف ينفذ حكم المادة ٥ من معاهدة السلام عقب تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

المادة السابعة

التمتع بحقوق الإنسان

يؤكد الطرفان التزامهما باحترام ومراعاة حقوق الانسان والحريات الأساسية للجميع ، وسوف يدعمان هذه الحقوق والحريات وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

المادة الثامنة

المياه الاقليمية

مع مراعاة أحكام المادة ٥ من معاهدة السلام ، يقر كل طرف بحق
سفن الطرف الآخر في المرور البرىء في مياهه الاقليمية طبقا لقواعد
القانون الدولى ٢

محضر متفق عليه

للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة

للملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام

المادة الأولى

ان استئناف مصر لممارسة السيادة الكاملة على سيناء المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة الأولى تتم بالنسبة لكل منطقة بمجرد انسحاب إسرائيل من هذه المنطقة .

المادة الرابعة

من المتفق عليه بين الأطراف أن تتم إعادة النظر المنصوص عليها في المادة ٤ فقرة (٤) عندما يطلب ذلك أحد الأطراف ، وعلى أن تبدأ في خلال ثلاثة أشهر من طلبها ولكن لا يجرى أى تعديل الا باتفاق كلا الطرفين .

المادة الخامسة

لا يجوز تفسير الجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة على أنها تنتقص مما جاء بالجملة الأولى من تلك الفقرة . ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لما جاء بالجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة التي تقضى بما يلي :

« يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوى من وإلى أراضييه عبر مضيق تيران وخليج العقبة » .

المادة السادسة (فقرة ٢)

لا تفسر أحكام المادة السادسة بما يخالف أحكام اطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب دافيد .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لأحكام المادة السادسة (فقرة ٢) من المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة .

المادة السادسة (فقرة ٥)

من المتفق عليه بين الأطراف أنه لا توجد أى دعوى بأن لهذه المعاهدة أولوية على المعاهدات والاتفاقيات الأخرى ، أو للمعاهدات والاتفاقيات الأخرى أولوية على هذه المعاهدة .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالفة لأحكام المادة السادسة (فقرة ٥) من هذه المعاهدة التى تنص على ما يلى :

« مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة وناقذة » .

الملحق الأول

تقضى المادة السادسة (فقرة ٨) من الملحق الأول بما يلى :

« يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبوا الأمم المتحدة ويتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » .

وقد اتفق الطرفان على ما يلى :

« فى حالة عدم الوصول الى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فإنهما يتعهدان بقبول أو تأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين » .

الملحق الثالث

تنص معاهدة السلام والملحق الثالث لها على اقامة علاقات اقتصادية طبيعية بين الأطراف - ووفقا لهذا فقد اتفق على هذه العلاقات سوف

تشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر الى اسرائيل - وأن يكون من حق اسرائيل الكامل التقدم بعطاءات لشراء البترول المصرى الأصل الذى لا تحتاجه مصر لاستهلاكها المحلى - وأن تنظر مصر والشركات التى لها حق استثمار بترولها فى العطاءات المقدمة من اسرائيل على نفس الأسس والشروط المطبقة على مقدمى العطاءات الآخرين لهذا البترول .

عن حكومة

عن حكومة

اسرائيل

جمهورية مصر العربية

مناحم بيجين

محمد أنور السادات

شهد التوقيع

جيمى كارتر

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الخطابات المصاحبة للمعاهدة

الخطابات الخاصة بتبادل السفراء

(١) نص خطاب الرئيس السادات الى الرئيس كادتر

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

استجابة لرجائكم ، أستطيع أن أؤكد أنه فى خلال شهر واحد بعد اتمام انسحاب اسرائيل الى الخط المؤقت طبقا لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، مصر سوف ترسل سفيرا مقيما لدى اسرائيل ، وسوف تستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر .

المخلص

محمد أنور السادات

السيد الرئيس

البيت الأبيض

(٢) نص خطاب الرئيس كادتر الى رئيس وزراء اسرائيل

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه فى خلال شهر من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء طبقا لما

تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا مقيما
فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر .

وسأكون ممتنا اذا ما أكدتم لى أن هذا الاجراء يعد مقبولا من
حكومة اسرائيل .

السيد مناحم بيچين

رئيس وزراء دولة اسرائيل

المخلص

جيمى كارتر

(٣) نص خطاب رئيس وزراء اسرائيل الى الرئيس كارتر

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

يسرنى أن أؤكد لكم أن حكومة اسرائيل توافق على الاجراء الموضح
بكتايكم المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والذي ينص على ما يلى :

« لقد تلقيت كتابا من الرئيس السادات يفيد بأنه ، فى خلال شهر
من اتمام اسرائيل لانسحابها الى الخط المؤقت فى سيناء ، طبقا لما
تقضى به معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، فان مصر ستوفد سفيرا
مقيما فى اسرائيل وستستقبل سفيرا اسرائيليا مقيما بمصر » .

المخلص

مناحم بيچين

السيد الرئيس

البيت الأبيض

الخطابان المتطابقان الموجهان من الرئيس جيمى كارتر الى الرئيس
محمد أنور السادات والسيد مناحم بييجين رئيس وزراء اسرائيل بشأن
الالتزامات الأمريكية تجاه الطرفين :

(١)

عزيزى السيد الرئيس

٢٦ مارس ١٩٧٩

أود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى
الولايات المتحدة أنه :

فى حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر
واسرائيل فإن الولايات المتحدة ستقوم - بناء على طلب أحد الأطراف أو
كليهما - بالتشاور مع الأطراف فى هذا الشأن وستتخذ الاجراءات
الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة .

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب
الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة .

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم
المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس
الأمن التابع للأمم المتحدة . وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها
لاحصول على موافقة مجلس الأمن على هذا الاجراء . وإذا لم يتمكن
مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهدة ، فإن رئيس
الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان
انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة .

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

عزيزى السيد رئيس الوزراء

٢٦ مارس ١٩٧٩

أود أن أؤكد لكم ، وذلك رهنا باستيفاء الاجراءات الدستورية فى الولايات المتحدة أنه :

فى حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل فان الولايات المتحدة ستقوم - بناء على طلب أحد الأطراف أو كليهما - بالتشاور مع الأطراف فى هذا الشأن وستتخذ الاجراءات الأخرى التى تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة .

وستقوم الولايات المتحدة بعمليات الاستطلاع الجوى بناء على طلب الأطراف طبقا للملحق رقم ١ من هذه المعاهدة .

وتعتقد الولايات المتحدة أن مواد المعاهدة الخاصة بتمركز أفراد الأمم المتحدة فى المنطقة المحدودة التسليح يمكن ويجب أن تنفذ بواسطة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها للحصول على موافقة مجلس الأمن على هذا الاجراء . وإذا لم يتمكن مجلس الأمن من اقامة الترتيبات التى تتطلبها المعاهدة ، فان رئيس الولايات المتحدة سيكون على استعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان انشاء واستمرار قوة بديلة مقبولة مكونة من دول متعددة .

المخلص

جيمى كارتر

صاحب السعادة

مناحم بيجين

رئيس وزراء دولة اسرائيل

التصديق على معاهدة السلام

بين

جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل
وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بالحكم الذاتى
الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة

١ - قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

بشأن الموافقة على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة
اسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتى الكامل
فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس
سنة ١٩٧٩ .

رئيس الجمهورية :

بعد الاطلاع على الفقرة الثانية من المادة ١٥١ من الدستور .

قرر :

(مادة وحيدة)

ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل
وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتى الكامل فى
الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن فى
٢٦ مارس ١٩٧٩ ، مع التحفظ بشرط التصديق .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ (٥ أبريل ١٩٧٩) .

« أنور السادات »

٢ - المذكرة التفسيرية لقرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩

٨ أبريل ١٩٧٩

مذكرة

للعرض على السيد رئيس الوزراء

تم توقيع اتفاق سلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى ١٣٩٩ هجرية الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، ويتألف هذا الاتفاق من شقين : أولهما معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، والثانى اتفاق تكميلى على شكل خطاب مشترك بشأن اقامة الحكم الذاتى الفلسطينى الكامل فى الضفة الغربية وغزة .

وفيما يلى موجز بأحكامها الرئيسية :

تتألف المعاهدة من ديباجة وتسع مواد ، الحقت بها الوثائق التالية :

- ملحق رقم (١) وهو البروتوكول الخاص بانسحاب اسرائيل وترتيبات الأمن .

- وملحق رقم (٢) خاص بالخرائط .

- وملحق رقم (٣) هو البروتوكول الخاص بتطبيع العلاقات .

- ومحضر متفق عليه بالتفسيرات الرسمية لبعض مواد المعاهدة وملاحقها .

٢ - وقد نصت المعاهدة على أن مقصدها الرئيسى هو اقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الأوسط ، وأن أساس هذا السلام هو قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ والالتزامات التى تضمنها اطار

السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨ (الفقرتان ١ و ٢ من الديباجة) .

٣ - وقد حرصت المعاهدة على أن تؤكد على أن عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل إنما هو خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل الى تسوية للنزاع العربي / الاسرائيلي بكافة نواحيه ، وأن المبادئ التي يستند اليها اقامة السلام بين مصر واسرائيل إنما قصد بها أن تكون أساسا للسلام أيضا بين اسرائيل وأي من جيرانها العرب كل فيما يخصه (الفقرتان ٤ و ٦ من الديباجة) .

٤ - والخاصية الرئيسية للسلام الذي تقيمه هذه المعاهدة وتنتهي به حالة الحرب بين مصر واسرائيل هي أنه سلام تحكمه - في اقراره وتحقيقه والعلاقات التي تترتب عليه - ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في وقت السلم (الفقرة ٧ من الديباجة ، والمادة الثالثة فقرة ١) .

٥ - والخاصية الرئيسية الثانية لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل هو ارتباطها بالحل الشامل للنزاع العربي / الاسرائيلي على النحو الذي يتحقق به سلام شامل ودائم في منطقة الشرق الأوسط . ففي نفس الوقت الذي توقع فيه مصر معاهدة للسلام مع اسرائيل فانها توقع أيضا اتفاقا تكميليا يستهدف تمكين الشعب الفلسطيني من اقامة سلطته الوطنية الذاتية تمهيدا لممارسته لحقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة . واذا كان هذا الربط يترجم عن موقف مبدئي لمصر وهو أن جوهر النزاع ولبه وسببه هو المشكلة الفلسطينية ، ومن ثم فلا بد من الربط المتكامل بين أية خطوة على طريق السلام الشامل وبين الخطوات الأخرى المكملة لها ، فإن هذا الربط ليس ربطا شكليا ، وإنما هو ربط عضوي جددت في الاتفاق التكميلي خطواته ومراحله وأهدافه وغاياته .

٦ - وتأخذ الأحكام الخاصة بانسحاب اسرائيل من سيناء مكان الصدارة بين مواد المعاهدة (المادة الأولى) . ووفقا لهذه الأحكام فإن انسحاب اسرائيل من سيناء شامل سواء في شموله للقوات الحربية والمدنية أي انتهاء المستعمرات أو في شموله لأراضي سيناء بأسرها . كما يترتب على هذا الانسحاب استئناف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على كل جزء تنسحب منه اسرائيل (المادة الأولى فقرة ٢ من

المعاهدة والفقرة الخاصة بالمادة الأولى في المحضر المتفق عليه بشأن التفسيرات الرسمية) .

وأخيرا فإن النقطة التي يتم الانسحاب الى ما ورائها هي الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب (المادة الثانية من المعاهدة) وبالرغم من أن وصف الحدود الدولية إنما هو في إطار الحدود بين مصر واسرائيل فقد حرصت مصر أن تحتفظ تماما بحيث لا يمس أو يفسر مثل هذا النص بوضع قطاع غزة (الفقرة الأولى من المادة الثانية) .

٧ - وقد تضمنت المعاهدة بيانا بالمبادئ الرئيسية التي تحكم العلاقات بين مصر واسرائيل بعد انتهاء حالة الحرب بينهما . فذكرت المادة الثالثة من المعاهدة كمبدأ أساسي أن العلاقات بين مصر واسرائيل تحددها أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم ، ثم أشارت - بصفة خاصة - الى مبدأ احترام السيادة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي ، واحترام حق كل طرف في العيش في سلام داخل حدوده الآمنة المعترف بها ، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية . وأوردت الفقرة الثانية من المادة الثالثة أمثلة للأفعال التي يتعهد كل طرف بعدم ارتكابها وهي جميعها تفريعات عن مبدأ عدم استخدام القوة وأفعال العنف ضد سلامة الأراضي أو مواطني الطرف الآخر وممتلكاته تفرضها الأحكام العامة للقانون الدولي ، ووردت نصوص مماثلة لها في اتفاق الهدنة بين مصر واسرائيل ، وفي رد مصر على مذكرة يارنج ، وفي اعلان الأمم المتحدة الخاص بمبادئ القانون الدولي بشأن العلاقات الودية والتعاون بين الدول الذي تم اقراره بالإجماع في الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٧٠ .

٨ - قد وردت ترتيبات الأمن في المادة الرابعة من المعاهدة ، والسماح الرئيسية لهذه الترتيبات أنها من ناحية تستهدف توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين على أساس التبادل المتفق عليه ، ومن ناحية أخرى فإنها ذات طابع مؤقت إذ تفترض منذ التوقيع على المعاهدة أنها سيعاد النظر فيها بناء على طلب أحد الطرفين بغية الاتفاق على تعديلاتها الذي سيحتمه تطور العلاقات بينهما بعد انتهاء حالة الحرب وزوال عوامل عدم الثقة وعدم الشعور بالأمن التي نجمت عن الحروب العديدة بينهما . وقد حرصت مصر على أن تتضمن التفسيرات الرسمية الواردة في المحضر المتفق عليه على أن تتم إعادة

النظر في ترتيبات الأمن خلال ثلاثة شهور من طلب أحد الأطراف بذلك .

٩ - تؤكد المادة الخامسة من المعاهدة على حرية الملاحة في قناة السويس ومضيق تيران . وقد ورد هذا المبدأ كمبدأ من مبادئ التسوية السلمية في قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وفي قبول مصر لمذكرة يارنج ، وهو نتيجة لانتهااء حالة الحرب التي كانت تستند اليها مصر في قيود الملاحة التي تفرضها على السفن والبضائع الاسرائيلية في قناة السويس ومضيق تيران .

١٠ - وقد اشتملت المادة السادسة على عدة فقرات تؤكد عزم الطرفين على تنفيذ التزاماتها بمقتضى معاهدة السلام بحسن نية ، واتخاذ التدابير التي تكفل انطباق المعاهدات المتعددة الأطراف التي قد يكونان من أطرافها على العلاقات فيما بينهما بعد أن كانت مصر تتحفظ عند انضمامها الى هذه المعاهدة بالنسبة لانطباقها على العلاقات بينهما وبين اسرائيل كنتيجة لعدم اعتراف مصر باسرائيل ووجود حالة الحرب بينهما .

وقد سجلت المادة السادسة في فقرتها الأولى مبدأ رئيسيا تفسر على أساسه وفي ضوء الفقرات الأخرى للمادة ، وهو أن المعاهدة لا تمس ولا يجوز تفسيرها على أي نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

وقد حرصت مصر على أن تسجل في التفسيرات الرسمية الواردة في المحضر المتفق عليه أن النص في آخر الفقرة الثانية من المادة السادسة على أن البدء في تنفيذ التزامات المعاهدة بصرف النظر عن أي فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أي وثيقة خارج المعاهدة لا يمكن أن يفسر على أي نحو يتناقض مع أحكام اطار السلام المتفق عليه في كامب دافيد . كما حرصت مصر على أن تسجل في هذه التفسيرات الرسمية أن التعارض بين التزامات المعاهدة والتزامات الأخرى للطرفين لا يمس بذاته وضعها كالتزامات يتعين تنفيذها ، وحرصت على أن تسجل أنه ليس هناك أي أداء بوجود أولوية لهذه المعاهدة على أية معاهدات أخرى .

ومما تجدر ملاحظته أن الفقرة الخامسة من المادة السادسة من المعاهدة تؤكد - بشكل قاطع - عدم المساس بالمادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة التي تعطي لأحكام الميثاق الصدارة بين المعاهدات بما في ذلك

أحكام الفصل الثامن من الميثاق الخاص بالترتيبات والمنظمات الاقليمية
وحق الدفاع الشرعى الجماعى الذى تنظمه معاهدات الدفاع المشترك .

١١ - التزم الطرفان بمقتضى المادة السابقة على أن يتفاوضا لحل أى
خلاف بشأن تطبيق المعاهدة أو تفسيرها ، وأنه اذا لم يتيسر حل
هذه الخلافات عن طريق المفاوضات فتحل بالتوفيق أو تحال الى
التحكيم .

١٢ - كما حرصت مصر على أن تضمن المعاهدة نصا هو نص المادة
الثامنة الذى يقضى بأنه ستنشأ لجنة تعويضات لتسوية
التعويضات

١٣ - وقد اشتملت المادة التاسعة على ما يعرف بالأحكام الختامية ووفقا
لهذه الأحكام حدد تاريخ تبادل وثائق التصديق عليها ، وانها
تحل محل اتفاق فك الاشتباك الثانى المعقود بين مصر واسرائيل
فى سبتمبر ١٩٧٥ .

١٤ - كما تتضمن الأحكام الختامية للمعاهدة أن كافة البروتوكولات
والملاحق والخرائط الملحقة بالمعاهدة تعتبر جزءا لا يتجزء منها .
وأنه يتم ايداع نصها لدى الأمين العام للأمم المتحدة وفقا للمادة
١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة وانها حررت من ثلاث نسخ باللغات
العربية والانجليزية والعبرية التى تعتبر جميعها متساوية
الحجية ، وأنه فى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الانجليزى
هو الذى يعتد به .

١٥ - أما الاتفاق التكميلى بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة فيتضمن
الأحكام التالية :

(أ) أن الخطاب منبثق عن اطار السلام الشامل الموقع فى كامب
ديفيد فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ .

(ب) أن تدخل مصر واسرائيل فى مفاوضات خلال شهر من
التصديق على اتفاقية السلام ، وذلك للاتفاق على قواعد
الانتخابات وصلاحيات الحكومة الفلسطينية الذاتية ، ويمكن
أن يتضمن الوفد المصرى فى المفاوضات عناصر فلسطينية .

(ج) أن الدعوة مفتوحة للأردن للانضمام الى هذه المفاوضات .

(د) أن تسعى مصر واسرائيل الى الانتهاء من هذه المفاوضات خلال
عام بحيث تجرى الانتخابات بأسرع ما يمكن ، ثم تقدم

الحكومة الفلسطينية الذاتية خلال شهر واحد بعد اجراء الانتخابات .

(هـ) أن الهدف هو اعطاء الضفة الغربية وغزة حكما ذاتيا كاملا .

(و) تلغى الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية التابعة لها بمجرد أن تقوم الحكومة الذاتية الفلسطينية ، وفي نفس الوقت يتم انسحاب بعض القوات الاسرائيلية . ويعاد تمركز القوات الباقية في أماكن محدودة خارج المناطق السكنية .

(ز) تتعهد الولايات المتحدة بالمشاركة الكاملة والفعالة في جميع مراحل المفاوضات .

١٦ - وتشمل ملحقات المعاهدة على الوثائق التالية :

(أ) الملحق رقم (١) وهو البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلي وترتيبات الأمن ، ويتناول أسس الانسحاب وتحديد المناطق وتسليحها وهو يشتمل على تسعة مواد وبه مرفق يبين مبادئ الانسحاب ويشتمل أيضا على ثمانية مواد وعدد ٣ خرائط ، الأولى تبين الحدود الدولية وتحديد المناطق ، والخريطة الثانية تبين الخطوط والمناطق في الفترة التي تكون فيها قوات اسرائيل على خط العريش - رأس محمد ، والخريطة الثالثة تبين تفاصيل انسحاب الاسرائيليين الى خط العريش رأس محمد .

(ب) الملحق رقم (٢) خريطة تبين الحدود الدولية للدولتين ،

(ج) الملحق رقم (٣) بروتوكول بشأن علاقات الطرفين الدبلوماسية والقنصلية والاقتصادية والتجارية والثقافية وحرية التنقل والتعاون في سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار والنقل والمواصلات ، وهو يشتمل على ثمانية مواد .

(د) كذلك وقع مع المعاهدة محضر متفق عليه بين الجانبين المصري والاسرائيلي بشأن المواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام .

تفضلوا بقبول فائق الاحترام

(د . بطرس بطرس غالي)

وزير الدولة للشئون الخارجية

نص قرار (١) مجلس الشعب بجلسته المعقودة

يوم ١٠ ابريل ١٩٧٩

بالموافقة على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلي

« ووفق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها ، وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى العامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، والموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ م التحفظ بشرط التصديق » .

(١) تم أخذ رأى على القرار بدءاً بالاسم وبلغ عدد الموافقين ٣٢٩ عضواً ، وغير الموافقين ١٥ عضواً ، وامتنع عضو واحد عن التصويت .

قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٧ لسنة ١٩٧٩

بدعوة الناخبين الى الاستفتاء

رئيس الجمهورية •

بعد الاطلاع على الدستور •

وعلى القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية والقوانين المعدلة له •

قرر

(المادة الأولى)

الناخبون المقيدة أسمائهم فى جداول الانتخاب بالتطبيق لأحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ ، المشار اليه ، مدعوون للاجتماع فى مقار لجان الاستفتاء الفرعية المختصة ، وذلك لإبداء الرأى فى الاستفتاء على الموضوعات الآتية :

أولا : معاهدة السلام وملحقاتها بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل ، والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقع عليهما فى واشنطن فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ ، والصادر بالموافقة عليهما القرار الجمهورى رقم ١٥٣ لسنة ١٩٧٩ ، واللذان وافق عليهما مجلس الشعب بتاريخ ١٠ من ابريل ١٩٧٩ •

ثانيا : اعادة تنظيم الدولة على الأسس التالية ، تدعيما للديمقراطية •

١ - حل مجلس الشعب والدعوة الى انتخابات عامة فى الموعد الذى حدده الدستور •

٢ - اطلاق حرية تكوين الأحزاب •

٣ - اعلان حقوق الانسان المصرى •

٤ - الالتزام بالحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى
والاشتراكية الديمقراطية .

٥ - شعار الدولة هو العلم والايمان .

٦ - الشرعية الدستورية فى الدولة تقوم على مبادئ وانجازات ثورتى
٢٣ يوليو و ١٥ مايو ٠٠ فى :

(ا) انتماء مصر العربى حقيقة وهى صير .

(ب) الالتزام بسياسة عدم الانحياز .

(ج) القضاء على الفساد الحزبى والاقطاع وتطهير الحياة السياسية

(د) الالتزام بنسبة الخمسين فى المائة للعمال والفلاحين فى جميع
التنظيمات .

(هـ) الالتزام بالسلوك الأخلاقى الذى ينبع من ديننا ومن القيم
الأساسية لأرض مصر .

(و) الالتزام فى كل الظروف بسيادة القانون .

٧ - الدستور هو الوثيقة الأساسية الوحيدة التى يقوم عليها نظام الدولة
وتعديله بالاسلوب الدستورى - هو الطريق الوحيد للتعبير عن
متطلبات مرحلة التطور للشعب .

٨ - انشاء مجلس للشورى يكون بمثابة مجلس العائلة لمصر ويضم
ممثلين عن كل فئات الشعب وهيئاته .

٩ - تقنين الصحافة كسلطة رابعة ضامنة لحريتها وتأكيدا على
استقلالها .

المادة الثانية

تجرى عملية الاستفتاء المشار اليها فى المادة السابقة يوم الخميس
الموافق ١٩ من أبريل سنة ١٩٧٩ وتبدأ الساعة الثامنة صباحا وتنتهى فى
الساعة الخامسة مساء بالكيفية المنصوص عليها فى قانون تنظيم مباشرة
الحقوق السياسية .

المادة الثالثة

توقف جلسات مجلس الشعب اعتباراً من تاريخ نشر هذا القرار
بالجريدة الرسمية .

المادة الرابعة

على وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار .

المادة الخامسة

ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية .
صدر برئاسة الجمهورية في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ ،
الموافق ١١ من أبريل سنة ١٩٧٩ م .

النتائج الرسمية للاستفتاء الشعبى الذى أجري

يوم ١٩ أبريل ١٩٧٩

على معاهدة السلام وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص بإقامة الحكم
الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة •

أعلن السيد وزير الداخلية يوم ٢٠ أبريل ١٩٧٩ النتائج الرسمية
التالية للاستفتاء :

- ١ - عدد الناخبين المدعوين لبدء الرأى وهم جملة
الأشخاص المقيدة أسمائهم فى جداول الانتخاب
بالتطبيق لأحكام القانون ١٠٩٩٨٦٧٥ ناخباً
- ٢ - عدد من حضر منهم واشترك فى عملية الاستفتاء ٩٩٢٠٢٦٠ ناخباً
- ٣ - عدد الآراء الصحيحة التى أعطيت ٩٩١٠٦٢٦ صوتاً
- ٤ - عدد الآراء الباطلة ٩٦٣٤ صوتاً
- ٥ - عدد آراء الموافقين ٩٩٠٥٣٨٠ صوتاً
- ٦ - عدد آراء غير الموافقين ٥٢٤٦ صوتاً
- ٧ - النسبة المئوية لعدد الحاضرين الى عدد الناخبين
المدعوين ٩٠.٢٠٪
- ٨ - النسبة المئوية لعدد آراء الموافقين الى عدد الآراء
الصحيحة التى أعطيت ٩٩.٩٥٪

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على
معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها
الموقع عليها فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب
الاسرائيلى يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية فى سيناء •

باسم الشعب
محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصري في الاستفتاء الذي جرى في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ م .

وحيث أننا نوافق على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل وملحقاتها الموقع عليها في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة أننا نقبلها ونؤيدها ونصدق عليها .

واشهدا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على المحضر المتفق عليه للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليهما في واشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩ والمسلم الى الجانب الاسرائيلي يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية في سيناء .

باسم الشعب
محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصري في استفتاء الذي جرى في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ .

وحيث أننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية الخامسة والسادسة والملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام الموقع عليه في واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة أننا نقبلها ونؤيدها ونصدق عليها .
واشهادا على ذلك وقعت هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م .

بأمر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

تصديق السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧٩ على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة إسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية المتضمن الاتفاق التكميلي الخاص بإقامة الحكم الذاتي الكامل في الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه في واشنطن بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، والذي سلم الى الجانب الاسرائيلي يوم ٢٥ أبريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء الميدانية في سيناء .

باسم الشعب

محمد أنور السادات

رئيس جمهورية مصر العربية

بعد الاطلاع على معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل وملحقاتها وعلى الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، الموقع عليهما فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م .

وبعد الاطلاع على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٩٧٩ م . وموافقة الشعب المصرى فى استفتاء الذى جرى فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩ أبريل ١٩٧٩ .

وحيث اننا نوافق على الخطاب المشترك الموجه من رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس حكومة اسرائيل الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المتضمن الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة الموقع عليه فى واشنطن بتاريخ ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ الموافق ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

لذلك نعلن بمقتضى هذه الوثيقة اننا نقبله ونؤيده ونصدق عليه

واشهدا على ذلك وقعنا هذه الوثيقة وأمرنا بوضع خاتم الجمهورية عليها .

القاهرة فى ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هـ

الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٧٩ م

بأمر

رئيس الجمهورية

وزير الدولة للشئون الخارجية

— الخطاب الموجه من السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء الى السيد مناخم بيجين رئيس وزراء اسرائيل بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٧٩

بشأن تبادل وثيقة التصديق الخاصة بالخطاب المشترك المؤرخ في
٢٦ مارس ١٩٧٩ الموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

٢٩ أبريل ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء

بالإشارة الى تبادل وثيقة التصديق المتعلقة بالخطاب المشترك
المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ والموجه الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من
الرئيس محمد أنور السادات عن حكومة جمهورية مصر العربية ورئيس
الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل .

أؤكد أن الوثيقة المشار اليها تقرأ تمشياً مع الخطاب المشترك
المؤرخ ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ والمرفق صورة منه .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

صاحب السعادة

السيد مناحم بيجين

رئيس وزراء اسرائيل

وثائق التصديق الاسرائيلية

معاهدة سلام

بين

دولة اسرائيل و جمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

حيث أن : الكنيست وافق في الثانى والعشرين من مارس ، ١٩٧٩ ، على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وحيث أن : المعاهدة المذكورة أبرمت بواشنطن ، مقاطعة كولومبيا ، فى السادس والعشرين من مارس ، ١٩٧٩ ، ووقع عليها فى اليوم نفسه رئيس الوزراء مناحم بييجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنور السادات ، عن حكومة جمهورية مصر العربية ، وجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بصفته شاهدا :

وحيث أن : المادة التاسعة من المعاهدة المذكورة تنص على أن توضع موضع التنفيذ بمجرد تبادل وثائق التصديق عليها :

وحيث أن : حكومة اسرائيل قررت فى الأول من أبريل ، سنة ١٩٧٩ ، بمقتضى السلطة التى يخولها لها القانون ، أن تصدق على معاهدة السلام المذكورة :

وحيث أن : النص الحرفى لمعاهدة السلام المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :

بناء عليه : تعلن بموجب هذه الوثيقة أن حكومة اسرائيل تصدق على معاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية :

وكشاهد على ذلك : وقعت أنا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل
بامضائي على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل ،
ويتم ذلك في القدس في الثالث والعشرين في نيسان ، عام خمسة آلاف
وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق العشرين من ابريل ، عام ألف وتسعمائة
وتسع وسبعون .

امضاء

(اسحاق نافون)

امضاء مصدق

(موشي ديان)

وزير الخارجية

وثيقة التصديق الاسرائيلية بتاريخ ٢٠ ابريل ١٩٧٩ على الوثائق
المصاحبة لمعاهدة السلام الموقع عليها بواشنطن يوم ٢٦ مارس ١٩٧٩
والمسلمة الى الجانب المصرى يوم ٢٥ ابريل ١٩٧٩ بمقر بعثة سيناء
الميدانية فى سيناء .

وثائق مرافقة لمعاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر العربية

وثيقة تصديق

حيث أن : الكنيست وافق فى الثانى والعشرين من مارس ١٩٧٩ ،
على الوثائق المرفقة لمعاهدة السلام بين دولة اسرائيل وجمهورية مصر
العربية التالى ذكرها :

١ - محضر متفق عليه للمادة الأولى والرابعة والخامسة والسادسة
والملاحق الأول والثالث لمعاهدة السلام .

٢ - خطاب من جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ،
لرئيس الوزراء مناحم بييجين بشأن تنفيذ معاهدة السلام .

٣ - خطابات متبادلة بين الرئيس جيمى كارتر ورئيس الوزراء
مناحم بييجين ، بشأن تبادل السفراء بين دولة اسرائيل وجمهورية
مصر العربية .

وحيث أن : المحضر المتفق عليه المذكور قد وقع عليه بواشنطن ،
مقاطعة كولومبيا فى السادس والعشرين من مارس ١٩٧٩ ، من قبل رئيس
الوزراء مناحم بييجين عن حكومة اسرائيل ، والرئيس محمد أنور السادات
عن حكومة جمهورية مصر العربية ، والرئيس جيمى كارتر بصفته شاهدا .

وحيث أن : الخطابات المذكورة قد وقع عليها أيضا فى السادس
والعشرين من مارس ١٩٧٩ .

وحيث أن : حكومة اسرائيل قررت في الأول من ابريل ١٩٧٩ ،
بمقتضى السلطة التي يخولها لها القانون ، أن تصيدق على الوثائق
المذكورة .

وحيث أن : النص الحرفي للوثائق المذكورة مرفق بهذه الوثيقة :

وبناء عليه : نعلن بموجب هذه الوثيقة أن حكومة اسرائيل تصدق
على الوثائق المذكورة المرافقة لمعاهدة السلام :

وكشاهد على ذلك : وقعت أنا اسحاق نافون ، رئيس دولة اسرائيل
بامضائي على هذه الوثيقة ، وأمرت بالتصديق عليها بختم دولة اسرائيل .

وتم ذلك في القدس في الثالث والعشرين من نيسان عام خمسة ألف
وسبعمائة وتسع وثلاثون ، الموافق للعشرين من أبريل عام ألف وتسعمائة
وتسع وسبعون .

امضاء

(اسحاق نافون)

امضاء مصدق

(موسى ديان)

وزير الخارجية

الخطاب الموجه من السيد / مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل الى السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٧٩ بشأن موافقة حكومة اسرائيل على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمى كارتر والذي سبق أن وافق عليه الكنيست الاسرائيلي يوم ٢٢ مارس ١٩٧٩ .

القدس في ١٩ ابريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور خليل

أود أن أؤكد أنه فى ١ ابريل ١٩٧٩ قامت حكومة اسرائيل بالموافقة على الخطاب الموجه الى الرئيس جيمى كارتر والذي وافق عليه الكنيست فى ٢٢ مارس ١٩٧٩ والموقع فى ٢٦ مارس من قبل رئيس الوزراء مناحم بيجين عن حكومة اسرائيل والرئيس محمد أنور السادات عن حكومة جمهورية مصر العربية والمتعلق بتطبيق نصوص الوثيقة المعنوية « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » .

المخلص

مناحم بيجين

سعادة الدكتور مصطفى خليل

رئيس الوزراء ووزير الخارجية

جمهورية مصر العربية

الفصل الرابع

اقرار الحقوق المشروعة
للشعب الفلسطيني

الموقف المصرى

فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، أقامت اسرائيل دولتها على أشلاء فلسطين العربية ، وتشرد الشعب الفلسطينى مطرودا من وطنه ، لتظهر أمام العالم ، مشكلة اللاجئين .

واحتجت الشعوب العربية ، وعلى رأسها مصر ، فاعدوا جيشا من المتطوعين . ثم نشبت حرب فلسطين .

وقد كان لمصر دور هام مؤثر فى تلك الحرب ، اذ اشترك الجيش المصرى فى تلك الحرب ، وحقق أولى خطوات النصر ، لولا مساعدات الدول التى اعترفت باسرائيل التى أمدتها بالأسلحة والمعدات بعد الهدنة الأولى ، بجانب الخيانات العربية ، التى أدت الى تصدع الجبهة العربية .

وظلت الحرب قائمة بين الدول العربية وبين اسرائيل ، أكثر من ثلاثين عاما لم تبخل مصر خلالها بإمكاناتها المادية والبشرية ، دون الدول العربية الأخرى ، من أجل الحقوق الفلسطينية ، التى كانت من الأسباب الرئيسية ، لنشوب حروب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مع اسرائيل .

واستطاعت مصر ، بثقلها السياسى والدبلوماسى ، أن تجذب انتباه العالم ، الى أهداف حركة التحرير الفلسطينية ، وأن تثبت للمجتمع الدولى ، أن الشعب الفلسطينى لا يزال موجودا .

الى أن تعددت المنظمات الفلسطينية ، وتحركت من داخلها ، الأحزاب العربية ، فانقسم الفلسطينيون على أنفسهم ، وتصارعت أنظمتهم المتكاثرة فيما بينها ، حتى غطت أخبار صراعاتهم المستمرة ، على القضية نفسها . وتحول انتباه العالم الى صراع المنظمات وتاهت القضية الفلسطينية .

غير أن مصر ، لم تتخل قط عن ايمانها بحقوق شعب فلسطين ، وأصبحت قضيتهم من أهم المبادئ التى كانت مصر تتمسك بها ، بجانب مشاكلها السياسية الخاصة . واقترحت مصر فى عام ١٩٧٢ ، على الفلسطينيين ، أن يشكلوا حكومة مؤقتة فى المنفى ، تجسد كيانهم وتعبر عن ارادتهم فى المجتمع الدولى . الا أن تعدد آراء القوى المسيطرة على مصير شعب فلسطين ، حال دون التنفيذ .

وفى المخاطرة الكبرى التى قام بها الرئيس السادات بزيارة القدس .
أوضح فى خطابه أمام الكنيست الاسرائيلى (يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧) بكل
جرأة وثبات ، لحكومة وشعب اسرائيل ، أن القضية الفلسطينية هى لب
النزاع فى الشرق الأوسط وجوهر مشكلته . . وأنه لا يمكن أن تتم أية
تسوية للنزاع القائم فى هذه المنطقة ، قبل حل القضية الفلسطينية
حلا عادلا ، يقوم على استعادة حقوق الشعب الفلسطينى الوطنية .

وقال السادات :

(ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم
تعد اليوم موضع تجاهل أو انكار من أحد .

. . حتى الولايات المتحدة ، اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ،
وأن تعترف بأن للشعب الفلسطينى حقوقا مشروعة ، وأن المشكلة
الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهرة ، وطالما بقيت معلقة دون حل ، فإن
النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليبلغ أبعادا جديدة) .

وتبلغ مبادرات السادات من أجل السلام ذروتها ، عندما وجهت
الولايات المتحدة الدعوة ، لكل من مصر واسرائيل ، لعقد قمة كامب ديفيد
(من ٥ سبتمبر حتى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) لمباحثة اقرار السلام فى
الشرق الأوسط بمشاركتها .

وقد ركز السادات خلال مباحثاته ، على موضوع الفلسطينيين الذين
يعيشون فى منطقة النزاع .

وعلى الرغم من ذلك ، أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية ، رفضها
للجهود التى تبذلها مصر من أجلهم . ونتيجة لهذا الرفض ، رفضت
اسرائيل بدورها ، الاعتراف بمنظمة التحرير ، أو التعامل معها ، وأظهرتها
أمام دول العالم ، على أنها منظمة ارهابية لا تهدف الى السلام . . ونجحت
اسرائيل ، فى جذب اهتمام المجتمع الدولى الى صفها على حساب الشعب
الفلسطينى ، بسبب رعونة ممثليه ورفضهم التدخل المصرى الذى يسعى
لايجاد تسوية سلمية شاملة لقضيتهم .

ولم تنظر مصر ، فى أى وقت ، الى المشكلة الفلسطينية على أنها
قضية انسانية ، تحتاج الى التأييد الأدبى والمادى فحسب ، انما كانت
تعتبرها قضية متشابكة الجذور مع قضايا الشعب المصرى ذاته .

كامب ديفيد والتسوية الفلسطينية

واستمرت مصر في مسيرة السلام الشامل ، لايمانها بالتزامها القومي
ازاء الإنسان الفلسطيني .

وتم التوقيع النهائي على اتفاقيتي كامب ديفيد للسلام . وفيهما
التطبيق اللازم لتنفيذ نصوص ومبادئ القرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ،
وفيهما اعتراف اسرائيل بالحقوق الفلسطينية ، والنص على مرحلة انتقالية
تمهد لمرحلة تقرير مصير الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع
غزة . كما اتفق على فتح باب التعامل السلمي لتحقيق تعايش فلسطيني
اسرائيلي بعد الاعتراف المتبادل بينهما والذي سيتم بين الطرفين في نفس
الوقت .

ويرتكز القسم الفلسطيني بوثيقة كامب ديفيد ، على الأسس الآتية ،
لكي تكون أساسا لمفاوضات الحكم الذاتي الكامل :

- اعتراف اسرائيل بحقوق الشعب الفلسطيني وبضرورة
التفاوض معه .

- اقامة سلطة فلسطينية على مراحل ، تحل محل الادارة
الاسرائيلية .

- اتخاذ ترتيبات انتقالية ، لبدء اجراءات انسحاب القوات
الاسرائيلية من الضفة الغربية وقطاع غزة .

- الأمن هو أمن جميع الأطراف .

كما نص في الخطابات المتبادلة بين مصر واسرائيل ، والموافقة ضمن
وثائق الاتفاقيتين . . على :

- تحديد واضح للقدس ، يؤكد على أن القدس العربية جزء
لا يتجزأ من الضفة الغربية ، ويجب احترام الحقوق الشرعية والتاريخية
للقدس .

- التأكيد على ضرورة اجلاء المستوطنين الاسرائيليين من المستوطنات .

- استعداد مصر للاضطلاع بدورها العربي ، لضمان تنفيذ البنود
المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة ، ومن أجل حماية الحقوق الشرعية
للفلسطينيين وذلك بعد المشاورات مع الاردن وممثلي الشعب الفلسطيني .

الاتفاق التكميلي للحكم الذاتى

ومن الوثائق الهامة ، المرفقة بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ،
الاتفاق التكميلي والخطابات الخاصة بالحكم الذاتى الكامل .

وينص الاتفاق بين مصر واسرائيل على :

(. . .) تشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة
الغربية وقطاع غزة . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات ، خلال شهر من تبادل
وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا لاطار السلام فى الشرق
الأوسط ، فان المملكة الأردنية الهاشمية ، مدعوة للاشتراك فى
المفاوضات) .

وبدأت بالفعل مفاوضات الحكم الذاتى ، التى استمرت عاما كاملا
(من مايو ١٩٧٩ حتى مايو ١٩٨٠) ثم تعثرت . . . بسبب المواقف
السلبية للمنظمات الفلسطينية ، التى تعددت القوى المتحكمة فيها ،
تلك المنظمات الراضية للجهود المصرية التى أثمرت تلك المفاوضات
والاتفاقات . . . بجانب عمليات العنف والارهاب من جانب الفدائيين
الفلسطينيين ، التى كدرت صفو المجتمع الدولى ، وانعكست آثارها السيئة
على السلطات الاسرائيلية ، فتعثرت المفاوضات وسرعان ما توقفت .
وعادت المشكلة الفلسطينية ، الى اطار الدائرة المفرغة التى كانت عليه من
قبل .

لماذا قاطعتم السلام ؟

قبل نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، بربع قرن من الزمان ، كان الانسان
العربى يرى بكل حواسه ، صورته المهانة والملطخة بعار الهزيمة ، وهو
يطرق جميع أبواب المجتمع الدولى ، متسولا استعادة أرضه المحتلة ،
واسترداد كرامته الوطنية المنتهكة . . . دون أن يظفر الا بقرارات التأييد
وبيانات المساندة ، التى كانت تتكوم كلها ، تحت أقدام المختصب
الصهيونى ، بلا نتيجة .

وبعد احراز النصر ، عادت للانسان العربى ذاته غير مهانة .

ونجحت مصر فى مباحثات كامب ديفيد ، وتم التوقيع على اتفاقيتى
السلام بين مصر واسرائيل ، بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية . وكان
من أبرز بنودها تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، وهو
ما كانت تصبو اليه الدول العربية وتقرره بمؤتمرات القمة العربية

العديدة . . تلك القرارات التي كانت مصر تحرص على التمسك بها ، ولم تخرج عنها في جميع مباحثاتها .

غير أن الدول العربية ، سارعت برفض اتفاقيتي السلام ، قبل الاطلاع على مضمونهما . . وأعلنوا جميعا مقاطعتهم لمصر .

وكان يجب أن تكون المقاطعة مبنية على تقدير مدروس ، وتفهم دقيق لأهداف الاتفاقيتين . . فتجارب الحرب لا يعرف أهوالها الا من اكتوى بها ، ومعرفة الطبيعة البشرية ، التي تسير مع تطور التاريخ - هما الصفتان اللازمتان لتكوين حكم صحيح . . بيد أن الدول الرافضة للسلام ، مازالت سجيئة وراء أكوام الشعارات البالية ، الخالية من كل معنى .

نصوص وثائق السلام

كان من الضروري أن يتضمن هذا الباب ، بنصوص اتفاقيتي كامب ديفيد للسلام ووثائقيهما المكملة لهما . . ومعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ووثائقها المرفقة بها ، والتي منها تنظيم عملية الانسحاب الاسرائيلي من كل سيناء ، والخطاب التكميلي لاتفاق الحكم الذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة .

وذلك حتى يعيها ويتفهمها الشعب العربي - خاصة بعد أن طبقتها مصر - عسى أن تدرك حكوماته الرافضة لكل انجاز ايجابي تقوم به مصر ، حقيقة مضمونها ، ويطابقونه على جميع قرارات مؤتمرات القمة العربية . ليستردوا ادراكهم ووعيهم ، ويعودوا الى رشدهم السياسي ، قبل أن يفوتهم قطار السلام .

**الاتفاق التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل
فى الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به**

(أ) الاتفاق التكميلي والخطابات المتعلقة بالحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة .

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر واسرائيل قد اتفقتا على ما يلي :

تستذكر حكومتا مصر واسرائيل انهما قد اتفقتا فى كامب دافيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٩ الوثائق المرفقة والمعنونة « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب دافيد » و « اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

وبغية التوصل الى تسوية سلمية شاملة وفقا للطارين المشار اليهما آنفا تشرع مصر واسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا لـ « اطار السلام فى الشرق الأوسط » فإن المملكة الأردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات . ولكل من وفدى مصر والأردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك .

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل اجراء الانتخابات على الشرائط الخاصة باقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجلس الادارى) ، وتحديد سلطاتها ومسئولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى . وفى حالة اذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر واسرائيل .

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا بصفة مستمرة وبحسن نية من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن . كما تتفق الحكومتان على أن الغرض من المفاوضات هو اقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان .

الرئيس

البيت الأبيض

ولقد حددت مصر واسرائيل لنفسيهما هدفا للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم اجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الاطراف قد توصلوا إلى اتفاق . وتنشأ سلطة الحكم الذاتى المشار اليها فى « اطار السلام فى الشرق الأوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية . ويتم سحب الحكومة العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو منصوص عليه فى « اطار السلام فى الشرق الأوسط » . وحينئذ يتم انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة واعادة توزيع القوات الاسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة .

ويؤكد هذا الخطاب أيضا مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة ستشارك اشتركا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات .

مع خالص التحية ،،،

عن حكومة
اسرائيل
مناحم بيجين

عن حكومة
جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

٢ - خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الموجه الى وزير خارجية الولايات بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٧٩ بشأن المستوطنات التي أقامتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة .

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٣ فبراير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس :

انه فيما يتعلق بالمحادثات الراهنة بشأن أحكام « اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » الخاصة بمفاوضات الضفة الغربية وغزة ، أود أن أشير الى المذكرة التى تقدم بها وفد مصر اليكم يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، والمتضمنة خطوات ينبغى اتخاذها من جانب الحكومة الاسرائيلية بهدف خلق جو يؤدى الى التنفيذ السليم للأحكام المذكورة .

وأود أن أكرر أن حكومة مصر تعتبر مثل هذه الخطوات ذات أهمية بالغة فى جهودنا المشتركة نحو المضى قدما لوضع أحكام الاطار المتعلقة بالضفة الغربية وغزة موضع التنفيذ .

وأود أيضا أن تحيطونى علما بنتيجة اتصالاتكم مع الجانب الاسرائيلي فى هذا الصدد .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

وزير الخارجية

٣ - خطاب السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الموجه الى وزير خارجية الولايات المتحدة بتاريخ ٢٤ فبراير ١٩٧٩ بشأن تقارير ومقترحات اللجنة التي شكلها مجلس الوزراء الاسرائيلي لوضع المفهوم الاسرائيلي للحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة *

* * *

جمهورية مصر العربية

رئيس الوزراء

٢٤ فبراير ١٩٧٩

عزيزى الوزير فانس :

أود أن أشير الى المعلومات الخاصة بمفاهيم اسرائيلية معينة بشأن الحكم الذاتى المقرر فى اطار كامب ديفيد للضفة الغربية وقطاع غزة ، وأشير بصفة خاصة للمعلومات المتعلقة بتقارير ومقترحات لجنة شكلها مجلس الوزراء الاسرائيلي .

وفى هذا الصدد ، أود أن أحيطكم علما أن حكومة مصر تعتبر مثل هذه التقارير والمفاهيم كما نشرت أو أذيعت غير مقبولة كلية حيث أنها تشكل خروجاً خطيراً عن نص وروح اطرآت كامب ديفيد ، وعلاوة على ذلك تمثل هذه التقارير استفزازاً آخر للسكان الفلسطينيين بالضفة الغربية وقطاع غزة ، بل وللشعب الفلسطينى ككل فى الحقيقة . ومن المؤكد أنها تشكل تهديداً خطيراً للغاية لعملية السلام برمتها .

مصطفى خليل

رئيس الوزراء

وزير الخارجية

٤ - خطاب من وزير خارجية الولايات المتحدة الى السيد وزير الدولة للشئون الخارجية بتاريخ ١٥ أبريل ١٩٧٩ يتضمن الرد على خطابات السيد الدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء ووزير الخارجية الخاصة بالقضايا المتعلقة بالمفاوضات المقبلة الخاصة باقامة الحكم الذاتي الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

القاهرة ، مصر

١٥ أبريل ١٩٧٩

عزيزى الدكتور بطرس

قام السفير ايلتس بابلاغى باقتراحكم بالرد على الخطابات المتعددة الموجهة لى من رئيس الوزراء فى خلال اجتماعنا فى كامب ديفيد فى فبراير فيما يتعلق بمواضيع خاصة بالمفاوضات .

ويتعلق عدد من هذه الخطابات بنقاط معينة كانت محل تفاوض وقت تحريرها الا أنها حلت بعد التوصل الى اتفاق على عناصر المعاهدة ككل . وأعتقد أنكم توافقوننى على أن هذه الخطابات تمت معالجتها فى اطار المفاوضات النهائية .

وفىما يتعلق بالخطابات التى تعالج موضوعات خاصة بالمرحلة القادمة من المفاوضات فأنى أود أن أؤكد لكم اننا سنولى آراء حكومتكم المعبر عنها فى تلك الخطابات كامل عنايتنا .

المخلص

سيروس فانس

سعادة الدكتور بطرس غالى

وزير الدولة للشئون الخارجية - القاهرة

القسم السادس

قناة السويس وسيناء

الفصل الأول

قناة السويس .. الهرم الرابع

قدماء المصريين وحفر القناة

من أشنع الغلطات ، التي يحتفظ بها التاريخ ، اعتبار فرديناند ديليسبس ، أول من فكر في حفر قناة تربط بين البحرين الأبيض والأحمر . . . وواقع الأمر ، أن فكره لم يتعد إعادة حفر قناة السويس فلا يمكن مطلقا أن يسبق فكره فكر قدماء المصريين ، الذين تم في عهدهم ربط هذين البحرين بقناة بحرية عبر الأراضي المصرية .

ففي عهد الملك سنوسرت الثالث ، أحد ملوك مصر الفرعونية ، شقت أول قناة صناعية عرفها التاريخ ، لتصل بين البحر الأبيض المتوسط (وكان يسمى بحر الشمال) وبين البحر الأحمر (وكان يسمى بحر أروتري) ، وذلك عن طريق نهر النيل وفروعه . . . وافتتحت قناة سنوسرت (أو قناة سيزوستريس) عام ١٨٧٤ ق م .

ثم أهملت تلك القناة ، ثم أعيد فتحها عدة مرات ، وكان ذلك :

- عام ١٣١٠ ق م ، في عهد سيتي الأول .
- عام ٦١٠ ق م ، في عهد نخاو .
- عام ٥١٠ ق م ، في عهد دارا الأول ، وأطلق عليها قناة الفرس .
- عام ٢٨٥ ق م ، في عهد بطليموس الثاني .
- عام ١١٧ م ، في عهد الامبراطور الروماني تراجان ، وأطلق عليها قناة الرومان .
- عام ٦٤٠ م ، في عهد القائد الاسلامي عمرو بن العاص ، وأطلق عليها قناة أمير المؤمنين .

وأغلقت القناة نهائيا ، في بداية عهد الدولة العباسية .

وفي ٣٠ نوفمبر ١٨٥٦ م ، استطاع فرديناند ديليسبس ، الحصول على فرمان من والى مصر محمد سعيد باشا ، على حفر قناة السويس .

وبدأ الحفر في ٢٥ ابريل ١٨٥٩ م ، بأيدي ٢٠ ألف عامل مصري شهريا ، واستشهد - خلال مدة الحفر - أكثر من ١٢٠ ألف مصري ،

بسبب طغيان ديليسبس وتقصيره فى تغذية العمال المصريين ، حتى أصيبوا بأمراض الجوع (كان ديليسبس يصرف لكل عامل رغيفا واحدا من الخبز كل يوم) ، وإهماله فى توفير أماكن لايوائهم ، فأمااتهم العوامل الجوية الصحراوية صيفا وشتاء . . وكان ذلك خروجاً منه عما اتفق عليه مع والى مصر .

وفى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م ، أفتتحت قناة السويس للملاحة الدولية ، وكان عرضها ٢٢ متراً وعمقها نحو ١٣ متراً ، وكانت السفن تسير فيها ببطء حتى لا تضطرب المياه فتسبب انهيار جوانب القناة .

وكانت أول قافلة تعبر القناة فى يوم الافتتاح ، ٧٧ سفينة ، منها ٥٥ سفينة حربية . وعلى رأس تلك القافلة ، كانت تسير السفينة الحربية المصرية ايجل (النسر) ، وعليها الخديوى اسماعيل وملك أوروبا المدعوون .

وكانت مساحة القطاع المائى للقناة ٣٠٤ متراً مربعاً ، وعمق مجراها الملاحي ٨ متراً ، وأقصى غاطس مسموح به للسفن ٢٢ قدماً ، أى لا يسمح بمرور أية سفينة تزيد حمولتها عن ٤٤٠٠ طناً .

ووضح فكر فرديناند ديليسبس ، الهادف الى الاستعمار ، بتكوين شركة قناة السويس الدولية ، بالأسهم التى كانت تمتلك أغلبها فرنسا وإنجلترا ، واستطاعت بوسائلها وأساليبها الاستعمارية ، أن تنهب من مصر كل نصيبها من الأسهم ، بأبخس الأسعار . ولم يكن مسموحاً لأى مصرى ، مهما بلغت كفاءته البحرية ، باختراق حجاز المرشدين الأجانب . وكانت الشركة - وهى وسط أراض مصرية صميمة - بمثابة دولة أخرى داخل الدولة المصرية .

وكان من المفروض أن تستمر الامتيازات التى اقتنصتها الشركة من دماء مصر ، لمدة ٩٩ عاماً ، حتى نقضها (يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦) قرار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ، بتأميم شركة قناة السويس ، لصالح شعب مصر . وفى لحظة اذاعة القرار ، كان المصريون يسيطرون على جميع ممتلكات الشركة ، وأصبحت قناة السويس مصرية فى كل شئ : موقعها ومياهها وادارتها ومرشديها .

وكان قد تم انسحاب جميع المرشدين الأجانب بأوامر من الشركة المنحلة . بهدف عرقلة الملاحة الدولية وتعطيلها ، حتى يتشفى العالم فى مصر . . ولكن الادارة المصرية سبقت نواياهم ، وقام رجال القوات البحرية المصرية . بجميع عمليات الارشاد بكفاءة وجدارة ، حازت على اعجاب

المجتمع الدولي ، ولم يتعطل مرور قوافل السفن في قناة السويس المصرية وشهد العالم بقدرة المصريين في الادارة الحكيمة والارشاد المحكم .

– وفي عام ١٩٥٦ ، تعطلت الملاحة في قناة السويس بسبب العدوان الثلاثي على مصر ، الذي اشركت فيه اسرائيل ، انجلترا وفرنسا .
وبعد العدوان تم تطهير القناة ، بمعاونة الأمم المتحدة .

– وفي حرب ١٩٦٧ ، تعطلت الملاحة في القناة ، وظلت مغلقة لمدة ٨ سنوات ، عانت فيها مصر ودول العالم ، من كثير من الظروف العصيبة ، اذ طالت رحلة السفن للتجارة الدولية ، وتباطأت حركة الملاحة بشكل ملحوظ ، لاضطرار السفن وناقلات البترول ، للسير في الطريق البحري القديم ، من أوروبا الى الشرق ، حول رأس الرجاء الصالح (وطوله ١١٣٣٣ ميلا) والذي كان قد أصبح بفضل قناة السويس (٦٠٦٩ ميلا) .

حتى جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ ، وسيطرت القوات المسلحة المصرية ، على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وصدرت تعليمات الرئيس السادات ، بالبدء في مشروعات تطهير القناة وتطويرها ، وفقا لتطويع الناقلات ذات الحمولات الضخمة ، والتغيرات العلمية الهائلة ، بالنسبة لنوعيات السفن فظهرت سفن الحاويات ، وحاملات المركبات المتحركة ، وحاملات الصنادل البحرية والسيارات ، وسفن الدحرجة . هذا بالإضافة الى صدور اتفاقية تعديل خطوط الشحن (عام ١٩٦٨) ، حيث وجد أن الحجم الأمثل للناقلات هو ما بين ٢٥٠ ألف طن و ٣٠٠ ألف طن .

وقامت اليابان بالتنفيذ ، مستخدمة أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة .

واستعادت القناة سابق أهميتها :

وفي ٥ يونيو ١٩٧٥ ، أعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، بالقدر الذي يسمح بمرور السفن المتوسطة الحمولات بكامل شحنتها ، أما السفن العملاقة فكانت تمر في القناة وهي فارغة .

لقد فتحت القناة للملاحة والتجارة الدولية ، بالارادة المصرية الصميمة ، وأعادت الخير للعالم أجمع . وتم هذا الانجاز ، بما فرضته القوات المسلحة المصرية ، من ارادة أذهلت العالم ، وشارك المجتمع الدولي مصر ، وهي تمارس عملية من أهم آثار انتصار أكتوبر المجيد .

وكانت اسرائيل تزعم دائما ، بل وأشاعت فى العالم كله ، أن قناة السويس قد فقدت أهميتها الى الأبد ، وأنه لن تمر فيها سفن بالقدر الذى كانت عليه قبل ١٩٦٧ . ووصل بها الأمر الى مجاهرة المسئولين بها بالتصريح الآتى : اذا أرادت مصر أن تفتح القناة ، فعليها أن تتفاوض معنا لكى نسمح ، وحتى ندخل شركاء فيما سيعود من القناة .

وحطمت القوات المصرية كل ذلك ، وتحطمت الأسطورة ، وفرض الانسحاب على اسرائيل .

ومنذ معركة اكتوبر ، ومصر تسير بجدية الى الأمام فى كل اتجاه . وكان العمل فى مشروعات تطوير قناة السويس ، يجرى على قدم وساق ، وتستخدم فيه أحدث ما أنتجه العصر من التكنولوجيا .

وكان افتتاح قناة السويس فى ٥ يونيو ١٩٧٥ ، مثبتا للتاريخ ، أن يوم الهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، قد انمحي وولى الى الأبد ، وأن ٥ يونيو الجديد ، قد أصبح عيدا للقوات المسلحة ، التى أثبتت بكل المقاييس ، كفاءتها وجدارتها ، وقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء ، بروعة أداء القوات المصرية ، وبتضحيات رجالها الأبطال .

وشارك العالم فى كل مكان ، مصر فى احتفالاتها بيوم افتتاح القناة (٥ يونيو ١٩٧٥) وهو مولد الفتح الجديد ، بعد أن قوى الظن بالأعداء وبطانتهم ، بأن قناة السويس لن تستعيد مكانتها . . كما كان أيضا انتصارا عظيما على أفكار المغرورين وعلى أحلام الموهومين ، وبداية موفقة للصحة الكبرى لشعب مصر وللأمة العربية بأكملها .

واستعادت قناة السويس مكانتها وأهميتها ، أكثر من ذى قبل . . بل وعادت مزدهرة لتشارك فى رخاء العالم . . ولم تفتح لتبقى على حالها السابق ، بل وضعت لها مشاريع التطوير ، لاضفاء تكنولوجيا العصر الحديث ، على جميع ما تشمله القناة من مرافق حيوية .

مشروع تطوير القناة

وفى عام ١٩٦٦ ، بدأت هيئة قناة السويس ، دراسة مشروع ضخم لتطوير القناة . وكانت الهيئة ، قد أنشأت (فى عام ١٩٦١) ، مركزا للأبحاث ومركزه الاسماعيلية ، ليكون اداة فعالة فى دراسة المشروعات اللازمة لتطوير القناة وفقا لأحدث الأساليب العلمية ، وليسائر ما يماثله من مراكز عالمية ، حتى تقابل القناة التطورات الهائلة فى مجالات التكنولوجيا الحديثة ، ولتبقى القناة قادرة على الوفاء باحتياجات التطوير

العالمى فى أحجام وحمولات السفن ، ولمسايرة التصميمات المستمرة على أنواع جديدة من السفن والناقلات . لتتناسب مع أنواع البضائع المطلوب شحنها ، بما يحقق أقل مستوى لتكاليف الشحن ، مع رفع القدرة اللازمة لزيادة الحمولات ، وخضوع كل ذلك الى دراسات الجدوى الاقتصادية .

ويقوم المركز ، بعمل الدراسات النظرية والعملية والتجارب العملية واجراء البحوث الدقيقة الخاصة بالتربة المتعلقة بمواد البناء والانشاء ، وتحسين الكفاية الانتاجية ، للماكينات والأجهزة المختلفة والمهمات ومعدات القياس وتطويرها .

وبالمركز أقسام متخصصة فى كل نوع من الأبحاث ، وهى :
الهيدروليكا ، المتعلقة بمشروعات المجرى الملاحي والقنوات الملاحية والشواطىء . . وأبحاث المواد ، اللازمة للبناء والانشاءات ، وتدريب الفنيين على أعمال الاشراف بالمواقع ، والعاملين بالتجارب العملية والمشروعات الهندسية . . أبحاث التربة ، وهذا القسم مجهز بأحداث الأجهزة الدقيقة لدراسة أنواع التربة والأساسات والتنقيبات الاختبارية . . أبحاث الأجهزة لتحسين كفاءة الأجهزة والماكينات والمهمات الكهربائية وأجهزة القياس وتطويرها وإيجاد أنسب الطرق لصيانتها وتشغيلها . . الأرصاد الجوية ، ومهمة هذا القسم التنبؤ بحالة الجو التى تؤثر على الملاحة فى القناة . وقد أعدت محطات رصد على أعلى مستوى من الدقة تعمل ٢٤ ساعة يوميا . وبها أجهزة لقياس سرعة الرياح وغزارة المطر ، ودرجة حرارة الشمس . ويتبع هذا القسم ، محطة أرصاد رئيسية بالاسماعيلية ، وأخرى ببورسعيد ، وثلاث محطات فرعية فى الكاب وكبريت والدفرسوار . . وأخيرا قسم الخدمات ، لخدمة العمل فى جميع الأقسام الأخرى ، ويشمل المكتبة العلمية وقاعة المحاضرات ومعمل للتصوير الفوتوغرافى .

وكان من أهم ما أنجزه المركز منذ انشائه :

- دراسة تطوير القناة .
- اجراء تجارب على عمليات التوقف الفجائى للناقلات العملاقة فى القناة .
- اختيار أنسب أنواع التكسيات لجوانب القناة .
- عمل دراسات الجدوى الاقتصادية لمشروعات الهيئة .
- عمل دراسات رسوم المرور فى القناة .

— عمل دراسات تحديد التلوث ومقاومته فى القناة والموانىء .

— عقد عدة مؤتمرات دولية .

وكان قد بدىء فعلا فى تنفيذ مشروع التطوير ، فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، ولكن حرب يونيو ١٩٦٧ عطلت عمليات التنفيذ ثم توقفت نهائيا ، بعد أن تعطلت الملاحة فى القناة .

وعقب عودة الملاحة فى القناة (فى ٥ يونيو ١٩٧٥) بدأت هيئة القناة ، فى تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع المعدل الجديد ، الذى يتواءم مع التطورات الهائلة فى أحجام وحمولات وأنوع السفن والناقلات وغيرها من أنواع السفن المستحدثة ، التى لم تكن موجودة قبل حرب ١٩٦٧ .

وكانت هيئة قناة السويس قد عهدت الى بيوت الخبرة العالمية ، بدراسة الجوانب الفنية والاقتصادية المتعلقة بمشروع تطوير القناة على ضوء كل جديد مستحدث ، ونتج عن ذلك تعديل مشروع التطوير القديم المقدم فى عام ١٩٦٦ ، حتى يسمح بعبور الناقلات التى حمولتها ٢٦٠ ألف طن بكامل شحنتها ، والناقلات حمولة ٣٠٠ ألف طن بشحنات جزئية ، والناقلات ذات الحمولات الأكبر فارغة وبغاطس حتى ٦٧ قدما .

وقد أكدت الدراسات ، أن تنفيذ مشروع التطوير ، سيحقق زيادة كبيرة فى إيرادات القناة ، كما أعلنت بيوت الخبرة الأجنبية ، أنه أحسن مشروع استثمارى فى مصر ، يحقق أرباحا تتراوح ما بين ٣٠ و ٤٠ ٪ سنويا .

وبدأت الخطوات التنفيذية ، وانطلقت أجهزة هيئة قناة السويس ، لتعمل بأقصى طاقاتها وقدراتها ، ولتسبق الزمن لسرعة انجاز أولى مراحل المشروع .

وتم ازالة ١٠٦ مليون متر مكعب من الرمال بالضفة الشرقية للقناة ، وازالة خط بارليف ونقاطه الحصينة ، وقام بالتنفيذ ٩ شركات مصرية متخصصة ، عملت فى ٢٩ موقعا للعمل . وتم ازالة ١٣١ كيلو مترا من التكسيات القديمة لجوانب القناة ، ونفذت ذلك ٣ شركات مصرية وشركة يابانية . وكذلك تم ازالة ٧٠٠ شمعة رباط قديمة ، وقد عاونت معدات الهيئة فى تنفيذ ذلك . ثم ازالة ٦٨ قيسونا قديمة ، فى مناطق الانتظار بمدخل القناة ، وقام بالتنفيذ شركة يابانية .

كما تم انشاء ١٥٤ كيلو مترا من التكمسيات الجديدة ، لحماية جوانب القناة ، وتم بناء ١٠٠٠ شجرة رباط جديدة ، ونفذت ذلك ٥ شركات مصرية كما تم انشاء ٩٧ قيسونا جديدا ، ونفذت ذلك احدى شركات هيئة القناة .

وتمت أعمال التطهير بالحفر تحت الماء بالكراكات ، وبلغ حجم هذا العمل حوالي ٦٠٠ مليون متر مكعب ، ونفذت ذلك ٦ شركات أجنبية وأسطول كراكات الهيئة ، وعمل بالمشروع ٤٠ كراكة مصرية وعالمية .

كما تم بناء ٢٠ حوضا للترسيب ، على امتداد الجانب الشرقي للقناة ونفذت ذلك الشركات التي قامت بأعمال الحفر الجاف .

وقد استغرق تنفيذ هذا الجانب من التطوير ، ٤ سنوات ونصف ، انتهت في ديسمبر ١٩٨٠ . وتم افتتاح هذه المرحلة في ١٦ ديسمبر ١٩٨٠ . وبذلك دخلت قناة السويس ، عصر عبور الناقلات العملاقة . وأصبحت القناة تساوي ٤ أضعاف القناة عام ١٩٥٦ ، و ٢ ونصف ضعف القناة عام ١٩٧٥ . وقد تكلفت ما يعادل ١٢٧٠ مليون دولار .

كما تم تنفيذ الانشاءات الآتية :

- ٣ تفرعات جديدة : تفرعة بورسعيد وطولها ٣٧ كيلو مترا . وتفرعة التمساح وطولها ٥ ونصف كيلو مترا . وتفرعة الدفرسوار وطولها ١٠ كيلو مترا .
- تطوير وتحسين تفرعة البلاح وطولها ١٠ كيلومتر ، وتفرعة كبريت وطولها ٦ كيلومتر .
- أصبحت القناة مزدوجة لمسافات مجموعها ٦٨ كيلو مترا ، من مجموع طول قناة السويس الذي بلغ بعد التطوير ١٩٥ كيلو مترا .
- تطوير أسطول كراكات الهيئة وقاطراتها .

وبعد الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى لتطوير القناة ، قامت هيئة قناة السويس ، بتطوير مناطق انتظار السفن بالبحيرات المرة ، حيث بدأت احدى الشركات اليابانية (في ٧ ديسمبر ١٩٨١) في توسيع وتعميق مناطق الرباط الجديدة بالبحيرات المرة ، بحجم عمل بلغ ١٩ مليون مترا مكعبا . وقد انتهت الشركة اليابانية ، من تنفيذ هذا العمل في مارس ١٩٨٣ .

ويستمر التطوير عاما بعد عام ، لتساير قناة السويس ، التدفق المستمر فى تطور أحجام وحمولات السفن ، مع التطوير الدائم لاعداد المجرى الملاحي وتمريعاته ، لاستقبال أضخم الناقلات العملاقة ، وعبورها القناة فى سهولة ويسر ، مما يحقق دخلا كبيرا لموارد مصر والتي تمثل فيه إيرادات هيئة قناة السويس ، المرتبة الثالثة .

ويوضح الجدول التالى تطور إيرادات قناة السويس ، منذ عودة الملاحة (عام ١٩٧٥) الى عام ١٩٨٠ الذى انتهى فيه تنفيذ المرحلة الأولى من التطوير :

السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
الإيرادات (بالمليون جنية)	٩٩	٣٥٦	٤٢٧	٥١١	٥٨٧	٦٥٦

وتعتبر قناة السويس ، رافدا للسلام وشرينا للازدهار ، والتعاون بين البشر .

وقد حققت القناة منذ افتتاحها بعد نصر أكتوبر والعبور المجيد ، تقدما ملحوظا فى عدد السفن العابرة ، وتزايدا مستمرا فى الحمولات التى تعبر بها . مما يدل على قوة وقدرة قناة السويس ، فى خدمة الملاحة الدولية ، وتزايد الخدمات التى تيسرها هيئة القناة للسفن العابرة .

وبلغت إيرادات قناة السويس ، خلال العام المالى ٨٦ - ٨٧ ، مليارا و ١٠٦ مليون دولار ، مقابل ٩٨٠ مليون دولار فى العام السابق . ولا شك فى أن هذه الزيادة ، محصلة لسياسة مصر الحكيمة ، وروعة أداة هيئة القناة فى تشجيع وتطوير القناة ، لمرور السفن والناقلات فوق العملاقة . وهكذا ستظل قناة السويس موردا أساسيا متزايدا من موارد الدخل القومى فى مصر .

مميزات قناة السويس .

تمتاز قناة السويس بموقعها الاستراتيجى الحيوى ، فهى تربط أربعة طرق بحرية عظيمة هى : المحيط الاطلسى والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى .

وتعتبر قناة السويس ثالث وأطول الممرات البحرية العالمية ، بعد ممر لورانس البحرى فى أمريكا الشمالية ، والقناة البحرية عند بحر البلطيق فى الاتحاد السوفيتى .

كما تعتبر حلقة الاتصال بين مراكز الانتاج فى أوروبا الغربية وأسواق الاستهلاك فى جنوب وشرقى آسيا . وقد بلغ ما تم نقله عبر قناة السويس ١٤ ٪ من حجم التجارة الدولية ، و ٣٢ ٪ من البضائع المتداولة فى موانئ الخليج العربى ، و ٣٢ ٪ من البضائع المنقولة لموانئ جنوب آسيا .

وفيما يلى أهم الخصائص الأساسية للقناة :

الطول الكلى	١٩٥ كم
طول الاجزاء المزدوجة	٦٨ كم
عرض صفحة القناة	٣٦٥ مترا
عرض المجرى الملاهى	١٤٠ مترا
العرض عند ٦٦ مترا	١٦٠ مترا
مساحة القطاع المائى	٣٦٠٠ متر مربع
أقصى غاطس	٥٣ قدما
أقصى حمولة	١٥٠٠٠٠ طن
الطول من الشمندورات المضاة الى ميناء بورسعيد	١٨ كيلو مترا
الطول من منطقة الوقوف الى مداخل القناة الجنوبى	١٥ كيلو مترا
الطول من بورسعيد الى الاسماعيلية	٧٨ كيلو مترا
الطول من الاسماعيلية الى بورتوفيق	٨٤ كيلو مترا

وتتم الملاحة فى قناة السويس ، ليلا ونهارا طول العام . وتعبّر السفن فى ٣ قوافل يومية ، قافلتان من بور سعيد الى السويس ، وأخرى من السويس الى بور سعيد . ويبلغ متوسط زمن عبور كل سفينة بالقناة ١٥ ساعة . هذا وتوفر قناة السويس من ١٧ ٪ الى ٦٦ ٪ من المسافة البحرية بين الشرق والغرب . وبالتالي يؤدى هذا التوفير فى المسافات ، الى توفير الوقود المستخدم فى السفن بنسبة تتراوح من ٥٠ ٪ الى ٧٠ ٪ .

المراقبة الإلكترونية للملاحة

تطلب مشروع تطوير القناة ، تنفيذ مشروع مراقبة الملاحة ، بأحدث الوسائل الإلكترونية ، على امتداد القناة من مسافة ٣٠ كيلو مترا شمال بور سعيد فى البحر الأبيض المتوسط ، حتى مسافة ٣٠ كيلو مترا جنوب السويس فى خليج السويس .

ويهدف هذا المشروع الى زيادة الأمان أثناء عبورها ، والسماح بزيادة أعدادها . وقد بلغت تكلفة هذا المشروع ، ١٧ مليون دولار ، ويتكون من أربعة أجزاء :

- الشبكة الرادارية . . لتحديد مواقع السفن ، بنقل الصورة الرادارية وتحويلها الى صورة تليفزيونية ملونة ، عن طريق ٣ محطات : فى بورفؤاد ، وفى بورتوفيق ، والأخيرة فى البحيرات المرة .
- الشبكة اللاسلكية لتحديد الموقع . . وتتكون من ٣ محطات فى بورسعيد ، وفى مدينة العاشر من رمضان ، والأخيرة فى رأس سدر بسيناء .
- شبكة أجهزة الحسابات الإلكترونية . . وتنقسم الى ثلاثة أقسام : الرئيسية فى بور سعيد ، والثانية فى بور توفيق ، والأخيرة فى الاسماعيلية .
- شبكة الاتصالات اللاسلكية . . وتقوم بالاتصال بجميع المسئولين عن الملاحة فى القناة .

القناة سنة ٢٠٠٠

من أهم مميزات قناة السويس ، امكان توسيعها وتعميقها فى أى وقت . ومن هنا ، قامت هيئة قناة السويس ، بواسطة خبراءها الفنيين ، بوضع خطة مستقبلية ، بإنشاء قناة جديدة موازية للقناة الحالية ، عن طريق التفريعات ، وذلك بطول ١٧٦ كيلو مترا كمرحلة أولى ، والذي تم تنفيذها فعلا فى ديسمبر ١٩٨٠ .

أما المرحلة الثانية ، فتمتد بطول ٦٣ كيلو مترا : من الكيلو ١٧ الى الكيلو ٥١ ، أى وصل تفرعة بورسعيد بتفرعة البلاح ، ومن الكيلو ١٣٣ الى الكيلو ١٦٢ ، أى وصل تفرعة البحيرات المرة الصغرى بالبحر الأحمر .

وتؤدي قناة السويس ، دورها المؤثر الفعال فى مجالات التجارة الدولية . . وذلك بفضل موقعها المميز بين قارات العالم الانتاجى والاستهلاكى * وقد استطاعت هيئة قناة السويس ، بمجهود وطاقة أبنائها المخلصين لمصر ، والمفعمين بحب القناة ذاتها ، استطاعت تنفيذ أكبر خطة للارتقاء بخدمات القناة الملاحية ، لاستقبال السفن وناقلات البترول العملاقة . كما حققت إيرادات مرتفعة من النقد الأجنبى ، لرفع مستوى الدخل القومى ، بهدف اعلاء شأن الانسان المصرى ، الذى حمل الانسان أمانة تشغيل هذا المرفق العالمى بالقدره والمقدرة الفائقة وبالعامل الشاق ، فى صمت وحب ، لتبقى قناة السويس فى تطوير دائم ، وعلماء خفايا مرتفعاً نحو سماء الله جل جلاله ، ليعرف المجتمع العالمى ، أن قناة السويس ستبقى دائماً لمصر والمصريين ، ورمزا للخلود .

الفصل الثاني

سيناء .. أرض القمر والفيروز

المسح الجيولوجي

منذ بدأت مراحل تحرير سيناء ، قامت هيئة المساحة الجيولوجية ، بوضع خطط قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى ، لتخطيط استغلال خامات سيناء ، التي كانت موجودة قبل حرب ١٩٦٧ ، ولاكتشاف المزيد من هذه الخامات ، ووضع برامج فنية لعملية لحصر المواد التعدينية الفلزية واللافلزية ، الى جانب البترول . مواد البناء والانشاء والمياه الأرضية ، وغيرها من الأغراض الهامة التي كان يلزم معرفتها ضرورة سبر أغوارها ، بأحدث الوسائل التي هيأتها التكنولوجيا المتطورة .

وقام مشروع الاستشعار من بعد ، بعمل خريطة جديدة لشبه جزيرة سيناء والتي تغطي مساحة ٦٤ ألف كيلو متر مربع ، وذلك باستخدام الصور الفضائية المجمعة ، من القمر الصناعي « أرتس - ١ » . وقد توصل البحث الى عدد من الحقائق والاستنتاجات والتوصيات العملية .

وتتركز قيمة هذه الخريطة ، في بعض التطبيقات العملية للأغراض الآتية :

- حساب كمية المياه الأرضية المخترنة ، وبيان خطوط الصرف التي تجري فيها مياه الأمطار المتجمعة في الروافد الصغيرة ، والتي تنقلها بدورها في الوديان الكبيرة . وبذلك أصبح التخطيط لمشروعات المياه الأرضية ، أكثر وضوحا .
- التقديرات الخاصة بمساحة الأراضي السهلية المنبسطة ، الممتدة على طول خطوط الصرف ، والتي يمكن القيام باستصلاحها .
- التعرف على مختلف المواقع في سيناء ، لايجاد الحل اللازم لمشكلة النقل .
- استخلاص الخريطة التركيبية لسيناء ، والتي تشير الى تحديد مواقع تجمعات أهم المواد الخام الرئيسية مثل : الغاز الطبيعي والبترول ورواسب الرمال السوداء ورواسب النحاس والمنجنيز والحديد والمعادن النادرة ، علاوة على تكوينات الحجر الرملي (أجود أنواع الجرانيت - الكاولين - الفوسفات - رواسب الرصاص والكبريت) والفحم الملح الصخري .

هزايا موقع شبه جزيرة سيناء

تقع شبه جزيرة سيناء قرب المركز الجغرافى للشرق الأوسط وغرب آسيا ، وهى منطقة من العالم ، ينمو فيها النشاط الاقتصادى بسرعة كبيرة . ونتميز بالنسبة لموقعها بـمميزات تتفوق بها على غيرها . . . فهى قريبة من المملكة العربية السعودية والعراق ، أولى وثانية دول العالم البترولية ، كما أنها قريبة جدا من الدول الأخرى ، كالمملكة الأردنية الهاشمية والدول الأفريقية الواقعة شرق أفريقيا وغيرها من الدول التى تمثل أسواقا كبيرة بالنسبة لمصر .

وتتمتع شبه جزيرة سيناء ، باحتوائها على أربعة شواطئ : البحر الأبيض المتوسط وخليج السويس والعقبة والبحر الأحمر علاوة على شاطئ قناة السويس ، مما يوفر لها فرصا فريدة للتجارة ، ويوفر مدى كبيرا لفرص النشاط السياحى .

ومما لا شك فيه ، أن القدر الذى سيناله هذا الجزء الهام من مصر ، من التنمية والتعمير والتطوير الصناعى والزراعى والسياحى ، سيقرب مصر كثيرا الى مركز الشرق الأوسط ، ويجعل سيناء منطقة جذب للسائحين الأوروبيين ، ويزيد الفرص التجارية ويؤدى الى اقتصاد قوى .

وتحيط سيناء بعض المواقع التاريخية والدينية والصحية والسياحية وتقع بين مناطق الاستجمام فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى . . . ولذلك ، فإن موقع سيناء يجعلها فى وضع متميز ، يوفر للسائح النواحي الترفيهية الجبلية والشاطئية والدينية والصحية ، فأماكن مثل كاترين وسرابيط الخادم والبلوسيوم وعين الجديرات ، تقدم فرصا أوسع للسائحين ، الذين يستجمعون فى المناطق المجاورة لسيناء ، خاصة وأن الطائرات تقرب المسافات وتختصر الوقت . . . فمثلا : تستغرق المسافة بين الشاطئ المرجانى والتاريخى فى منطقة عيون موسى وبين مطار القاهرة أقل من ساعة من المدة التى تستغرقها الرحلة من مطار القاهرة الى الاسكندرية ، وكذلك الرحلة بين المطار والبحيرات المرة تقل حوالى ساعتين عن تلك المدة التى تستغرقها الرحلة ما بين القاهرة والاسكندرية .

كما أن السياحة فى المنطقة الجنوبية الشرقية من سيناء ، تناسب السائحين الموسرين القادمين من السعودية واليابان وأوروبا ، بينما هى تناسب فى المنطقة الشمالية الغربية القادمين من القاهرة لقضاء إجازاتهم . أما السياحة فى شمال وجنوب هضبة سيناء ، فهى للباحثين

اعداد اقتراحات عمل للاسراع بمشروعات التعمير والتنمية ذات الأولويات الكبيرة . وقد حظى موضوعان بالاهتمام المكثف خلال دراسة تعمير سيناء فى المرحلة الأولى :

١ - تحليل احتمالات المياه الجوفية والسطحية ، وتكلفة تنمية هذه الامكانيات وتدعيمها بمياه النيل أو باستخدام المياه المحلاة ، وتكلفة النظم البديلة من حيث نقل مياه النيل ومياه صرف الاراضى الزراعية فى الدلتا الى سيناء .

٢ - تحليل قدرات الأرض مع التركيز الخاص على تحديد الاراضى فى كافة أنحاء سيناء ، التى تستجيب بدرجة كبيرة للرى . وتقدير المساحات المحتملة لهذه الاراضى فى مختلف المناطق الفرعية من شبه الجزيرة . كما تحددت الأماكن المناسبة للسياحة والصناعة ومختلف الاستخدامات الحضرية ، والسياسات المقترحة للحفاظ على الأماكن . كما درست الأسس التى يلزم توفرها لاقامة المستوطنات الجديدة أو التوسع فيها .

وقد استغرقت الدراسة ثلاث سنوات ونصف ، وأصدرت اللجنة بأبحاثها وأعمالها ، موسوعة دراسات تنمية سيناء فى سبع مجلدات .

- فيعرض المجلد الرئيسى من التقرير النهائى للدراسة الخاصة بتنمية سيناء (المرحلة الأولى) ما يلى :

١ - استراتيجىة مقترحة لاستيطان وتنمية شبه جزيرة سيناء .

٢ - مجموعة مقترحة من المشروعات والبرامج .

٣ - صورة عامة للنتائج المتوقعة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م ، فى حالة تنفيذ الاستراتيجية الموصى بها .

وكانت الأفكار البديلة التى تم وضعها وتقييمها بدقة ، والتى تم بحثها خلال المراحل الأولى لعملية التخطيط ، كما يلى :

- تركيز أكبر على الصناعة مع زراعة أقل .

- أدنى حد ممكن من استخدام المياه المنقولة .

- التركيز على التنمية فى الشمال الشرقى .

- تركيز أكبر على الشواطىء .

- التركيز المبكر على السياحة .

- التركيز على انشاء عدد قليل من المستوطنات الكبيرة .
- تركيز أكبر على الزراعة المتناثرة .
- تأثير أكبر للاتجاهات الماضية (قبل حرب ١٩٦٧) على الأعمال المستقبلية .
- وتقدم المجلدات الستة الأخرى ، علاوة على ما يزيد عن ٤٠ ورقة عمل ، سبل انجاز الاستراتيجية المقترحة .
- وقد قامت الحكومة المصرية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ، بتمويل الدراسة . هذا كما اشترك في الدراسات مندوبون من « معهد الصحراء بالقاهرة » و « مركز الاستشعار من البعد بالقاهرة » .

التنمية الشاملة

وقد عرضت الموسوعة ، تصورا لسياسة طويلة الأجل ، لوضع تخطيط شامل لسيناء بأكملها ، ووضحت الخطوط العريضة والضرورية لهذا التخطيط ، ليكون منطلقا لدراسات تفصيلية ، فى شتى المجالات من : زراعة - تعدين - بترول - صناعة سياحية - ثروة سمكية .

وبذلك ، تكون تلك الدراسات نواة أساسية للتنمية الشاملة ، وركيزة متينة بنيت عليها الشروط والمواصفات الخاصة بالتخطيط الشامل الاقليمى الجارى تنفيذه ، على أسس سليمة مع الاستفادة الكاملة من التكنولوجيا الحديثة فى مجالات التنمية والتعمير . بجانب الاستفادة الكاملة من جميع موارد سيناء ، بما يتيح إقامة مجتمعات متكاملة جديدة ، وتنمية المجتمعات الموجودة فعلا ، مع التركيز على مجالات الطاقة والصناعات والثروة المعدنية والثروة السمكية والتنمية الزراعية والحيوانية والخدمات ومشروعات البيئة الأساسية والمشروعات السياحية .

وسيناء صحراء ، يتطلب تنميتها الى كميات ضخمة من المياه ، وقد اقترحت الاستراتيجية الموصى بها ، نقل مياه النيل بما فى ذلك مياه الصرف من الدلتا الى مناطق عديدة فى كل أنحاء شبه الجزيرة . ومع ذلك فانه من الممكن استخدام المياه الجوفية (ومعظمها قليل الملوحة) على نطاق أوسع من ذى قبل .

وعدد السكان فى سيناء قليل ، وتدعو الحاجة الى وجود عدد أكبر من السكان لتحقيق التنمية الكاملة فى هذه المنطقة المترامية الأطراف . وقد خلصت الدراسات الى ضرورة تعمير سيناء بعدد من السكان ، يقدر بحوالى مليون نسمة ، بحلول عام ٢٠٠٠ م . ولذلك ، بات من الضرورى

النجاح فى توفير بيئة مناسبة للمعيشة ، تساعد على جذب المهاجرين من الدلتا والوادي . وتهدف الحكومة المصرية الى اقامة حوالى اثنى عشر مدينة جديدة لتوطين السكان الجدد ، فى مواقع ذات امكانيات طيبة للتنمية الاقتصادية . حتى يمكن تطوير سيناء ، لتكون بمثابة معبر برى الى الشرق الأوسط ، وكمنطقة تصدير لمصر .

كما اوضحت الدراسات ، تقديرات حجم الاستثمارات للقطاعين العام والخاص حتى عام ٢٠٠٠ م .

وعلى ضوء دراسة الموارد الطبيعية المتاحة فى سيناء ، أمكن وضع التصور التالى :

١ - قيام مركز كبير للتجمع السكانى فى منطقة العريش ، وفى السهل الساحلى حتى رفح ، بحيث يتضمن نشاط السكان ما يتصل بالنواحي الزراعية والصناعية والسياحية .

٢ - انتشار مراكز التجمع السكانى ، على محور العريش / القنطرة شرق ، ليقوم السكان بنشاط الصيد والزراعة والسياحة .

٣ - قيام صناعات فى منطقة القنطرة شرق ، ونشاط استزراع فى منطقة شرق البحيرات المرة ، وصناعات تعدينية فى غرب سيناء .

٤ - تنمية زراعية فى سهل القاع ، مع اعتبار مدينة الطور مركزا لهذا النشاط .

٥ - قيام نشاط سياحى كبير على الشاطئ الغربى لخليج العقبة .

٦ - قيام نشاط زراعى فى وسط سيناء .

خطوات التنفيذ

وتم تقسيم مشروعات تعمير سيناء ، وفقا لخطوات تنفيذها ، الى المجموعات الآتية :

١ - مشروعات تحتاج الى اجراءات ادارية ، منها تنظيم عبور القناة ، وتأسيس شركة استثمارية للثروة السمكية فى بحيرة البردويل

٢ - مشروعات تحتاج الى دراسات حقلية وتجميع بيانات أولية، مثل عمل احصاء سكانى للتعرف على خصائص سكان سيناء ، والراغبين فى العودة اليها .

٣ - مشروعات تحتاج الى تجميع بيانات مكثفة ، لوضع برامج حفر الآبار والمياه الجوفية وتحليل جودتها .

٤ - مشروعات تحتاج الى أعمال انشائية بسيطة ، كحماية المناطق من مخاطر السيول وتعميم مداخل بحيرة البردويل .

٥ - مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية البسيطة منها : انشاء رصيد للمصيد بمنطقة الطور والعريش . وتشغيل تربينات الغاز لتوليد الكهرباء واستخدام الطاقة الشمسية .

٦ - مشروعات دراسات ما قبل الجدوى ، ذات الأعمال الانشائية الكبيرة منها : تقييم وعمل خرائط لتحديد كميات الرمل الزجاجي والكاولين ، والحصول على الفيرومجنيز لاستخدامه في صناعة الصلب محليا وتصديره للخارج ، واستغلال مناجم الفحم في المغارة ، ونتاج مواد البناء في العريش .

٧ - مشروعات تحتاج الى دراسة تخطيطية في مجال التنمية الاقليمية منها :

دراسات تجميع مياه الأمطار ، والتنمية السمكية في بحيرة البردويل ، واقامة شبكة للأرصاء الجوية ، وتثبيت الكثبان الرملية .

٨ - مشروعات جارية ، يلزم نهوها طبقا للبرامج الزمنية المحددة لها منها :

تركيب المضخات على الآبار الموجودة ، واستكمال خطوط المياه العذبة ، وتمهيد طريق السويس الساحلى لجنوب سيناء وطرق وادى تيران ومطار العريش .

٩ - مشروعات تحتاج الى سرعة الانجاز ، كاعادة طريق الحج القديم الموصل بين الشط أمام نفق الشهيد أحمد حمدي ، الى نخل ثم طابا على خليج العقبة ، وطوله ٢٢٥ كيلو مترا منها ١١٠ كيلو مترا مرصوفة حتى نخل والباقي مدقات صحراوية ، وهو يربط بين مصر والسعودية ، بطريق برى لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام ، كما يساعد على انشاء المجتمعات العمرانية على محور هذا الطريق .

نهاية عزلة سيناء

نفق الشهيد أحمد حمدي

ولربط سيناء بالدلتا ووادي النيل ، تم انشاء نفق الشهيد أحمد حمدي (١) ، الذي يعتبر احدى المعجزات الهندسية ، لينهى عزلة سيناء عن باقي الوطن ، ويكون شريان الحياة اليها ، متمثلا في طريق المواصلات ، وشبكات تغذية للمياه ، وخطوط الكهرباء ، وليجعل العبور من أفريقيا الى قارة آسيا في ثلاث دقائق .

وقد افتتح النفق عام ١٩٨١ ، وهو أكبر نفق دائري في العالم ، وطوله ١٦٤ كيلو متر ، ويبلغ قطره الخارجى ١١٨ مترا والداخلى ١٠٤٠ متر ، ويبلغ طوله الشامل (النفق ومداخله) ٤٢٠ كيلو مترا وقد بنى هيكله الخارجى من الميلا من ، وهو مزود بمجموعة من الأجهزة الميكانيكية الحديثة .

ويتكون النفق من حلقات من الخرسانة المسلحة ، سمكها ٦٠٠ ملميمتر ، وتصل قدرة تحملها للضغط الى ٤٥ مترا ، وعدد هذه الحلقات ١٥ حلقة طول كل منها ١٢٠ متر بزنة ٣ أطنان .

وبالنفق طريقان كبيران لمرور العربات ، وهو يمتد تحت قناة السويس في منطقة الشلوفة ، على بعد ١٧ كيلو مترا من شمال مدينة السويس .

ويوجد بالمدخل الغربى للنفق ، مركز تحكم رئيسى مزود بأربعة أجهزة لضمان المراقبة ، وبأجهزة تليفزيونية وأجهزة تكييف وأجهزة تحكم ضوئى داخل وخارج النفق ، وأجهزة تحديد درجة اتجاه الرياح فى داخل النفق . وقد روعى عند تصميم نظام التهوية فى داخل النفق ، تلافى الأخطار التى يمكن أن تنجم عن أى تدمير أو تخريب . وبلغت تكاليف النفق ١٠٥ مليون جنيه .

اقامة المعديات

وتم انشاء معدية مزدوجة عند القنطرة شرق ، بالاضافة الى معدية الاسماعيلية ثم معدية الدفرسوار ، ومعدة للأحمال الثقيلة بالقرب من الفردان . هذا علاوة على معديات عبر خليج السويس .

(١) اللواء المهندس وقائد سلاح المهندسين ، الذى استشهد فى حرب العبور عام ١٩٧٣ ، أثناء اشرافه على اقامة الكبارى على قناة السويس لتعبر من عليها القوات المسلحة المصرية .

وبذلك لم تعد سيناء منعزلة ، ولكنها ترتبط ارتباطا وثيقا ببقية أنحاء مصر ، عن طريق الممرات وعن طريق النفق ، وسدحات المياه والطرق وخطوط الكهرباء وأنابيب الغاز الطبيعي والموصلات الألكترونية والخطوط الجوية . . . وبذلك تستطيع سيناء أن تجذب المصريين القاطنين حول نهر النيل ، للاستجمام والدراسة والعمل ، وللسفر عن طريق سيناء الى شبه الجزيرة العربية والمملكة الأردنية الهاشمية . . . وكل ذلك من العوامل والتسهيلات التي تساعد على تكامل سيناء مع باقى أجزاء مصر .

هذا ومن الضرورى معاملة سيناء معاملة مميزة فى كافة النواحي ، لتوفير الحافز والدافع لباقي أبناء الوطن على التوجه اليها ، وتوطين مشروعاتهم فيها .

محافظتى شمال سيناء وجنوب سيناء

وكان الهدف من صدور القرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ ، انهاء عزلة سيناء ، بتقسيمها الى محافظتين هما شمال سيناء وجنوب سيناء . مع ضم مساحات منها الى محافظات بورسعيد والاسماعيلية والسويس ، لتعزيز الروابط بين المناطق الغربية من سيناء وبين المحافظات المجاورة لها كمحافظة السويس ومحافظة الاسماعيلية ومحافظة بورسعيد من ناحية الغرب ، وكذلك محافظات شرق الدلتا والبحر الأحمر ، والشرقية والقاهرة . . . وكلها تعتبر منطقة تأثير حيوية ، ولسوف تصبح سيناء جزءا متكاملًا من التنمية التى تشهدها منطقة التأثير الأكبر .

وأهم المدن فى سيناء الشمالية : العريش - بالوطة - رمانة - رابعة - نجيلة - الخربة - التلول - سلمانه - الروضة - سبيكة - الخروبة - قبر عمير - الشيخ زويد - أبو طويلة - أبو شتار - رفح .

أما أهم المدن فى سيناء الجنوبية : الطور - شرم الشيخ - أبو رديس - أبو زنيمة - نويبع - قرية طابا (آخر حدود مصر الدولية) .

وقد لعبت سيناء أدوارا دفاعية خالدة فى الماضى ، الا أن فراغها العمرانى كان دائما يشجع الطامعين على غزوها . وقد آن الوقت - بعد تحرير جميع أراضي سيناء - الى ضرورة فض عزلتها بتعميرها ، والعمل الجدى على تسير عجلة تنميتها ، لتجذب الكثير من السكان الجدد ، بجانب انشاء العديد من المشروعات الانتاجية بالاستفادة النامة من

مواردها الغنية المتوفرة ، واقامة ما يخصها من مجتمعات سكانية ، لتكون حاقزا على تشجيع هجرة السكان من الدلتا والوادي ، ليندمجوا مع أهل سيناء الأصليين . . حتى تعوض سيناء عن الاهمال والتخلف الذى عانت منه زمنا طويلا ، وحتى تصبح خطا دفاعيا محكما أمام أى عدوان عبر حدودها الشرقية .

توفير المياه العذبة

وفى مقال نشرته مجلة المهندسين ، ينادى المهندس محمد عبد الهادى سماحة ، أنه صار من الضروري توفير المياه العذبة اللازمة للشرب أو لأغراض التنمية المختلفة ، سواء للزراعة والرى والصناعة أو غيرها من الاستخدامات الحيوية المختلفة ، حتى تكون سيناء امتدادا طبيعيا للدلتا .

ومنذ مئات السنين ، كانت مياه النيل تصل الى سيناء . . فقد كان لنهر النيل عند دخوله فى منطقة الدلتا ، سبعة أفرع يدخل منها فرعان الى سيناء : فرع النيل البيولوزى ، الذى كان يمتد حتى قرب البحر الأبيض المتوسط ، ليصب فى بحيرة البردويل عند مدينة بلوز (الطينة) ، حيث يوجد الآن سهل الطينة الذى يتكون من طبقات رسوبية من طمى فرع النيل القديم . . وفرع التنتيك الذى كان يصب فى البحر الأبيض المتوسط عبر سيناء .

الا أن ظروفًا مورفولوجية ، أدت الى أن يصبح للنيل فرعان فقط هما : فرعى دمياط ورشيد . . وذلك نتيجة للتحكم البشرى فى تنظيم مياه النيل ، واقامة العديد من المباني عليه .

وتنحصر موارد المياه بسيناء فى مياه الأمطار والمياه الجوفية ، والتي ينتج عنها كميات من المياه لا تقى بأغراض التوسع والتنمية المطلوبة . ولهذا السبب كانت المياه على الدوام ، من أهم معوقات التنمية واقامة التكامل فى الماضى ، بين سيناء وبين الدلتا ووادي النيل .

الا أن وزارة الرى ، قد وضعت خططها لرى ٧٣٥ ألف فدان بسيناء .

— ٥٥ ألف فدان سيتم ريها عن طريق خط مواسير لنقل المياه من المعادى الى مدينة السويس ثم الى سيناء .

— ٢٥٠ ألف فدان سيتم ريها من ترعة الاسماعيلية ، بعد توسيعها وتعميقها ، ثم تنقل الى سيناء عبر سحارة تحت قنا السويس .

٣٠ ألف فدان سيتم ريها عن طريق سحارة تم تنفيذها عام ١٩٦٦ ، وأغلقت ليعاد تصميمها بعد حرب ١٩٧٣ ، لتتناسب مع توسيع وتعميق قناة السويس . وتم تنفيذها عام ١٩٧٩ لتنقل مليون ونصف متر مكعب من المياه يوميا لاستخدامات جنود القوات المصرية ، ولزراعة المساحة المقررة .

٤٠٠ ألف فدان ، ستروى عن طريق ترعة السلام التي ستمر تحت قناة السويس عبر سحارة ضخمة . وفي نوفمبر عام ١٩٧٩ بدأ العمل في هذه الترعة . وكان من المقرر انهاء المرحلة الأولى لرى ٢٠٠ ألف فدان غرب قناة السويس عام ١٩٨٥ ، الا أن الرئيس محمد حسنى مبارك حثهم على تقصير مدة التنفيذ الى النصف . وسيزود أكثر من ٦٠٪ من هذه المياه ، من مصرفى حادوس والسرو الأسفل بشرق الدلتا ، والباقي من مياه النيل من فرع دمياط التي تنساب هدرا الى البحر الأبيض المتوسط .

ويحتاج رى ال ٧٣٥ ألف فدان ، الى نحو ٤ مليار متر مكعب من المياه سنويا ، سيتوفر نصفها من مياه المصارف الذي سيعاد استخدامها ، والباقي من حصة مصر من مياه النيل . وتبلغ التكلفة نحو ٦٠٠ مليون جنيه بخلاف تكاليف شبكات الرى والصرف الفرعية داخل سيناء .

هذا وقد تم الانتهاء من المرحلة الأولى لتوصيل مياه النيل الى مدينة أبو رديس بمحافظة جنوب سيناء ، عبر سحارة ثمر فى نفق الشهيد أحمد حمدي . وسيبدأ تشغيل خط المياه مع نهاية ديسمبر ١٩٨٧ ، بطول ١٧٠ كيلومترا وبقطر ٦٠ مترا ، من خلال محطة ضخ غرب النفق ، الى محطات تقوية (روافع) بطول الطريق ، نظرا لتضاريس المنطقة المرتفعة ، حتى تصل الى أبو رديس ، وتكفى لضخ ٢٢ ألفا و ٥٠٠ مترا مكعبا .

وقد وضع التخطيط اللازم لتصل المياه - فى مرحلة لاحقة - الى باقى مراكز ومدن محافظة جنوب سيناء . . . هذا بالإضافة الى اصلاح وحدات تحلية المياه التي كانت معطلة ، لتعطى ١٧٥٠ مترا مكعبا من المياه يوميا . كما تم اضافة بئرين جديدين الى ال ٦ آبار الرئيسية ، لتصل الى ٨ آبار تغذى منطقتى الطور وشرم الشيخ .

أما فى منطقة دهب ، التي تعتمد على مياه الآبار ، فقد تم اقامة محطة تحلية رئيسية ، طاقتها ٥٠٠ مترا مكعبا يوميا . أما منطقة كاترين ، تعتمد على مياه الآبار بشكل منتظم .

وبذلك يكون قد تم حل مشكلة المياه على مستوى محافظة جنوب سيناء ، بنسبة ٨٠ ٪ .

سيناء أرض المستقبل

والتنمية الشاملة فى سيناء هى هدف المرحلة القادمة ، لأن سيناء هى محافظة المواجهة عسكريا وحضاريا . وتستهدف استراتيجية التنمية الشاملة ، التركيز على الأهداف الآتية :

- إقامة مستوطنات دائمة فى جميع أجزاء سيناء .
- تحقيق تكامل تام لسيناء مع باقى أجزاء مصر .
- الاستغلال الأمثل لموارد سيناء الطبيعية والبشرية .
- تتولى السلطات الحكومية ، اجراء استثمارات استراتيجية ، من شأنها جذب الاستثمار العام والخاص والدولى ، حتى يبدأ المسار للتنمية الكاملة . على أن يوجه الاستثمار ليشمل مجال تحسين البيئة والأنشطة المرتبطة به ، والاستثمار على نطاق واسع فى مجال السياحة الداخلية والدولية ، وفى مشروعات الرى والمياه ، وفى مجالات الصناعات الثقيلة والتعدين وصناعات انتاج السلع ، وصناعات البتروكيماويات والمواد المعدنية الأخرى .
- الاسراع فى فتح المناجم .
- تطوير حياة البدو وتوفير أسباب الراحة لهم ، والتى تشمل التعليم والرعاية الصحية والتأمينات الاجتماعية ، علاوة على أبواب العمل وفتحها لتشجيعهم على التكامل والاستيطان .
- دفع المصريين القاطنين حول نهر النيل ، على التعود على نظام الحياة الملائم لمناخ الصحراء والسواحل والجبال .
- تصميم وبناء مجتمعات جديدة تناسب البيئة الصحراوية وتلائم أساليب المستوطنين .
- استكمال شبكات النقل والمواصلات .
- الاعتماد على دراسات عملية للجدوى الاقتصادية لمشروعات التنمية ، تقوم بها محافظتا سيناء الشمالية والجنوبية ، باسهام الجامعات الاقليمية وبيوت الخبرة .

- تنفيذ مشروعات البنية الأساسية من الكهرباء والمياه والمرافق العامة والنقل والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية والموانئ والمطارات، باعتبارها كلها الدعامة الأساسية فى قيام المشروعات الانتاجية والخدمية .
- الاستغلال الأمثل للظروف المناخية والطبيعية لمنطقة خليج العقبة ، من الناحية السياحية التى تعتبر موردا اقتصاديا هاما .
- الاستغلال الأمثل للموارد التعدينية والبتروولية ، الموجودة بوفرة فى سيناء ، والتى تعتبر موردا اقتصاديا هاما على المستوى القومى .
- الاهتمام بنشر مراكز التدريب المهنى ، لتوفير العمالة الحرفية المدربة فى المشروعات ، خاصة الصناعى منها ، سواء الصناعات الاستخراجية أو التحويلية ، واعتبار التدريب هدفا اقليميا ، لتحقيق الانتعاش الاقتصادى .
- الخروج من أنماط الاستغلال والانتاج التقليدية ، فى مشروعات التنمية ، أو تطويرها فى صورة تتناسب مشروعات تنمية سيناء ، مثل : الرى بالرش أو التنقيط فى الزراعة ، وعدم اللجوء الى زراعة المحاصيل التقليدية ، واستخدام خامات البيئة المتوفرة ، من مواد البناء فى مشروعات التعمير المختلفة ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى المشروعات الصناعية .
- استغلال المياه الجوفية الوفيرة فى الزراعة . وكذا ترشيده استخدام مياه النيل التى تمر الى سيناء ، عبر قناة السويس من خلال أنابيب مياه داخل نفق الشهيد أحمد حمدي .
- وعلى ضوء ما تقدم ذكره ، استلزم الأمر وضع خريطة لمشروعات التنمية ، فى كل من محافظتى سيناء الجنوبية وسيناء الشمالية ، تحدد محاور التنمية ، على ضوء الاستراتيجية المستهدفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

الثروة المعدنية والبترول

كانت نقطة البدء فى مسح سيناء ، من أجل التوصل الى الامكانيات البتروولية والاحتمالات التعدينية ، هو المسح الاقليمى الشامل ، باستخدام صور القمر الصناعى « لاندسات » والذي وضحت بعد دراسة تفاصيل الصور ، الى تأكيد احتمالات ثلاث :

١ - موارد طبيعية يمكن استثمارها بالمجهود الذاتى - سواء بمعرفة القطاع الخاص أو القطاع العام ، وبدون تدخل من الأجهزة الحكومية .

٢ - موارد طبيعية ذات امكانات ملموسة ، ولكنها تحتاج الى بحوث نصف اقليمية للنظر فى وضعها النهائى .

٣ - موارد طبيعية تبدو امكاناتها محدودة ، أو أن هناك بديلا لها مستغلا فعلا فى الأراضى المصرية الأخرى (خامات الحديد) .

ومما لاشك فيه ، أن نتائج المسح ، تشير الى اختيار أنسب الوسائل للاستغلال الأمثل لموارد سيناء المعدنية والبتروولية .

البتترول والغاز الطبيعى

بدأ اكتشاف البترول فى شبه جزيرة سيناء عام ١٩١٨ م ، فى منطقة « أبو دربة » التى تقع فى الجزء الأول من المنطقة الساحلية الغربية . وكان ذلك الاكتشاف بمعرفة المساحة الجيولوجية المصرية . ثم توالى الاكتشافات طول هذا القرن ، بمعرفة عدد من شركات البترول الأجنبية ، التى حصلت على امتيازات البحث من مصر ، وذلك فى مناطق متفرقة من سيناء . وقد أسفر نشاط تلك الشركات ، عن اكتشاف ثلاثة حقول صغيرة هى : سدر (عام ١٩٤٦) ، وعسل (عام ١٩٤٧) ، ومطارنه (١٩٤٨) .

وكان النشاط الاستكشافى فى سيناء ، مركز فى المنطقة الساحلية الغربية ، ويرجع ذلك ، الى أن حوض خليج السويس يعتبر الحوض البترولى الأول فى مصر . واكتشف بعد ذلك حقول : فيران (١٩٤٩) ، وبلاعيم الأرضى (١٩٥٥) ، وأبو رديس (١٩٥٧) ، وبلاعيم بحرى (١٩٦١) . ومرجان (١٩٦٥) . ومنذ يونيو عام ١٩٦٧ ، توقف نشاط البحث عن البترول ، الا أن حقل « الطور » قد اكتشف خلال فترة الاحتلال الاسرائيلى .

وتم استرداد المنطقة الأولى من سيناء ، بعد اتفاقية فك الاشتباك الأول والثانى ، ثم مرحلتى الانسحاب الأخيرتين ، طبقا لمعاهدة السلام ، وعادت سيناء الى وطنها الأم . . . حيث ابتدأ نشاط البحث والتنقيب ، بمعرفة شركات مصرية وعالمية ، وانتقل معظم نشاطها الى قطاعات أخرى (لأن معظم حقول البترول ، فى القطاع الجنوبي الغربى من سيناء بمحاذاة خليج السويس) ، وتم تغطية قطاعات عديدة فى السهل

الساحلى الغربى ، ومنطقتى سهل القاع والطور . . وترتب على هذا النشاط اكتشاف البترول فى تركيب طينة البحرى فى الشمال الشرقى لبورسعيد . وفى عام ١٩٧٨ ، اكتشف حقل أكتوبر البحرى فى عروض حقل أبو رديس . . وفى عام ١٩٧٩ ، اكتشف حقل ١٩٥ غرب أبو رديس فى ناحية سيناء ، وكذلك حقل علما الذى عاد الى مصر . . وفى عام ١٩٨٢ . بدأ الانتاج فى حقل رأس بدران البحرى ، الذى يقع شمال بلاعيم ، وتم توصيله الى ساحل سيناء عن طريق الأنابيب . ويبلغ معدل انتاجه ١٥ ألف برميل يوميا . كما اكتشف البترول على بعد ٣٩ ميلا جنوب شرق الطور داخل خليج السويس .

ويقدر احتياطى البترول فى حقول سيناء ، بنحو ٣٦ مليون طن ، موزعة على العديد من الحقول التى تستغل حاليا بمعدلات لاتخل بهذا الاحتياطى وتحافظ على ثروتنا من البترول . ويبلغ متوسط انتاج حقول سيناء ١٠٨٢٠٠ برميل يوميا ، وهو ما يمثل حوال ٢٠٪ من اجمالى الانتاج المصرى .

هذا وتشير الدراسات المستقاة من صور الأقمار الصناعية والاستشعار عن بعد ، الى ترجيح احتمالات وجود البترول والغاز الطبيعى فى منطقتى المثلث الجنوبى ، وشمال سيناء .

وقد اكتشفت عدة آبار للغاز الطبيعى ، بمنطقة « جوز أبو رعد » جنوب رفح ، ويفتح ذلك آفاقا جديدة لتأمين الوقود والطاقة اللازمة لتشغيل محطات الكهرباء التى تغذى المنطقة .

مناطق سيناء التعدينية

ويمكن تقسيم سيناء الى أربع مناطق تعدينية ، هى :

١ - منطقة المثلث الجنوبى .

★ النحاس . . كان يستغل منذ العصور القديمة ، من جنوب سيناء قرب دير سانت كاترين (سهل السند والزقيطية) ، كما يوجد فى وادى أبى طليحات ، بالقرب من رأس النقب وجبل الحمراء ، وكذلك فى وادى سمر .

★ المنجنيز . . يوجد فى بعض طبقات الصخور الرسوبية ، فى منطقة شرم الشيخ ، وفى منطقة حويط ؛ وجارى دراسة جدوى استغلاله اقتصاديا .

★ التنجستين والفلسبار .. وقد اكتشفت خامات الـولفرام (التنجستين) ومعادن الفلسبار ، فى الجبال المتاخمة لخليج العقبة .

٢ - منطقة هضبات وسط سيناء .

★ المنجنيز .. ويوجد شرق أبى رينمه فى « أم بجمة » وما حولها ويعتبر هذا المنجنيز من أنقى الأنواع الموجودة فى العالم ، كما تعتبر كميات مناجمة من أضخم المخزون على مستوى العالم أجمع . وكان الانتاج يشحن لمسافة ٣٠ كيلومترا بالخط الهوائى، الى ميناء التصدير فى أبو زنيمة حيث يوجد مصنع « الفيرومنجنيز » اللازم لصناعة الصلب . وقد تم اسناد هذا المصنع الى شركة سيناء للمنجنيز ، لانتاج ١٤ ألف سبيكة الفيرومنجنيز ، بالاضافة الى ١٢ ألف طن حديد غفل . وقد بدأ بالفعل التشغيل لانتاج ١٨٠ ألف طن من خام المنجنيز سنويا .

ومن أهم مناطق مناجم المنجنيز أيضا : أبو حماطة - وادى الشلال وادى نضب الحسينين - الركايز - أم السيلالات . ويقدر الاحتياطي بحوالى ٥٥ مليون طن .

★ طبقات الكاولين .. تعتبر منطقة جبل سبع سلامة ، مصدر الخام الوحيد لمصانع الخزف والصينى ، اذ يبلغ انتاجه السنوى حوالى ٤٥ ألف طن . كما يستخدم فى صناعات أخرى مثل : الطوب الحرارى - المواسير - الأسمنت - المنسوجات - الورق - المطاط .

★ الرمال البيضاء (رمل الزجاج) .. ويوجد بمناطق أبو قفص ونش ومنطقة ما حول بير النصب الغربى . وقد بلغ الانتاج السنوى حوالى ٣٠ ألف طن ، تستخدم فى صناعة الزجاج والحراريات .

★ الطفلة الكربونية والمواد الفحمية .. وتوجد بمناطق : بدعة وثورة (شرق أبو زنيمة) . ويقدر الاحتياطي بحوالى ٧٥ مليون طن تصلح كوقود فى أفران توليد البخار وكمادة أساسية لانتاج بعض أنواع الكيماويات .

★ الحديد .. يوجد بمناطق قرب وادى نصيب وأم بجمة . وهو مازال تحت دراسة جدوى كميته الاقتصادية . وكان قد تم اكتشاف طبقة من الحديد الهيماتينى (أنقى أنواع الحديد) تم

تقدير احتياطيها بحوالى ٣ مليون طن . هذا وقد ظهرت بعض
الكشوف المشجعة فى جبل الحلال بجانب الفحم .

★ الفوسفات . . تم العثور على طبقة من الفوسفات الفقير نوعا ،
ولكنها تحتوى على آثار لخامات اليورانيوم والثوريوم . وينتشر
الفوسفات بكثرة حول هضبة العجمة .

★ البنتونيت . . ويتواجد بكثرة فى وسط سيناء ، وهو يستخدم
فى الزراعة والصناعة . وغير أن مصر تقوم باستيراده لاستخدامه
فى ماكينات الحفر للبحث عن البترول ، ولذلك فقد قامت
السلطات الحكومية بدراسة امكانات استغلاله .

★ كبريتات الصوديوم . . وقد اكتشف تواجد طفح كبريتات
الصوديوم ، فى أماكن تواجد خامات الفوسفات والبنتونيت ،
ويدخل فى الصناعات الكيماوية والدوائية . ويوجد بكميات تحقق
استغلاله فى وسط سيناء جنوب نخل والشرم .

★ الجبس والانهيدرايت . . ويوجدان فى مناطق وادى الربينة
(شرق السويس) ، ورأس ملعب (شمال حمامات فرعون) ،
ومنطقة الشط . وهو يصدر الى أسواق الشرق الأقصى . ويبلغ
متوسط انتاجه السنوى ، حوالى ٧٥ ألف طن .

★ الفيروز . . ويوجد فى مناطق شرقى أبو زنيمة (بوديان مغارة
وقنى وسراييط) . وكان يستغل منذ عهد قدماء المصريين الى
الوقت الحاضر . وتقوم السلطات الحكومية بدراسة أفضل الطرق
لاستغلاله بأسلوب اقتصادى مثمر .

★ الكبريت . . تشير الدلائل الى وجوده فى منطقة أبو دريه على
خليج السويس ، كما تظهر عدسات الكبريت أيضا ، فى وسط
سيناء قرب جبل بضيع وهضبة العجمة . وجارى دراسة جدوى
استغلاله اقتصاديا .

★ الفحم . . ويتوزع وجوده بين كثير من المواقع فى سيناء ، ولذلك
فانه يعتبر أكثر المصادر استغلالا . ويبلغ رصيده رواسب الفحم
فى ثلاث مناطق ، بنحو ١٠٠ مليون طن مؤكدة و ١٠٠ مليون أخرى
محتملة فى الصدارة كما وكيفا . أما فى منطقة جبل المغارة فقد
قدرت الاحتياطات القابلة للاستغلال بحوالى ٥١٨ مليون طن
مؤكدة ٣٥٨ مليوناً قابلة للاستخراج ، يضاف اليها ٣٦ مليوناً

محتملة . ويوجد الحقل الثانى فى منطقة بدعة وتور ويحقق استغلال ١٥ مليون طن مؤكدة ، و ٦٠ مليوناً محتملة . كما اكتشف أخيراً منجم فى عيون موسى ، ويأتى بنحو ٤٠ مليوناً . ونوعية الفحم المستخرج من المغارة و عيون موسى ، تصلح لتشغيل محطات القوى الكهربائية ومجمعات الحديد والصلب . أما فحم بدعة وتور فيصلح كمنتج للغاز بطاقة حرارية عالية جداً ، كما يستخدم فى الصناعات الكيماوية .

★ الزلط اللازم لصناعة البناء . ويوجد فى كل المتسعات الرحبة ، بين جبال سيناء الشمالية ، خاصة بمنطقة السر (السهل الممتد بين ريان وعنيزة وجبال الحلال وبلق) .

★ الأحجار الجيرية الصالحة لصناعة الجير فى القمائن ، وهى موجودة فى جميع الجبال الرسوبية فى شمال سيناء .

★ خامات الأسمنت وهى الطفلة والأحجار الجيرية النقية أو المخلوطة ، وتوجد فى كل مناطق شمال سيناء ، وقد ثبت صلاحيتها لصناعة الأسمنت . ونظراً للتطورات الحديثة على صناعة الأسمنت ، فقد ثبت صلاحية رواسب وادى العريش الطينية التى تجرفها السيول من أواسط سيناء ، لصناعة الأسمنت .

★ الرخام وتوجد نوعيات جيدة وبكميات ضخمة ، صالحة للاستغلال ، فى منطقة وادى الخمارات . كما توجد أنواع من الأحجار الجيرية الطحلبية القابلة للصقل والتلميع ، لاستخدامها كأحجار للزينة ، وذلك فى جبل المغارة وريان وبلق .

★ الدولوميت ويوجد بكثرة فى حواف جبل المغارة الشرقية والجنوبية ، وعند مدخل وادى العريش وجبل الحلال .

★ الألونيت وهو من الخامات الحرارية المستخدمة كخامات للألومنيوم والبوتاسيوم . وقد تم العثور عليه فى منطقة اللجمة ، وجارى عمل الدراسات اللازمة لتأكيد انتشاره .

★ الرصاص وقد عثر على خامات الرصاص فى جبل خرم ، بصورة تبشر باحتمال انتشاره فى شرق سيناء ، الأمر الذى يلزمه عمل مزيد من الأبحاث والدراسات .

٤ - المناطق الساحلية الشمالية .

★ الرمال السوداء . . . التى تحوى الكثير من العناصر المشعة ، وتعتبر أيضا خامات للحديد والتيتانيوم ومواد صنع الطوب الحرارى وأوراق الصنفرة . وقد ثبت وجود ملايين من الأطنان منها ، فى المنطقة الساحلية بين العريش وبور فؤاد ، وفيما بين العريش ورفح .

★ حجر الخفاف . . يترسب طبقات وأكواما على الساحل الجنوبي فى شمال سيناء ، من نواتج اليراكين فى جنوب أوروبا خاصة إيطاليا وجزر البحر الأبيض المتوسط . ويعتبر الحجر الخفاف ذا أهمية بانغة فى صناعة مواد البناء ، وجارى بالفعل بحث واستقصاء هذا الأمر .

★ الرمل . . . اللازم لعمليات البناء والتعمير ، ويوجد بكميات كبيرة جدا حول العريش .

★ ملح الطعام . . . ويوجد بالملاحات الموجودة حول صبخة البردويل وجنوب شرق بور فؤاد ، بجانب احتمال وجود أملاح البوروق . وغالبا يوجد الملح مغطى بطبقة من الأنهيدريت وكبريتات الكالسيوم .

لم تنل سيناء ، منذ أجيال طويلة ، حظها من جهود التنمية ، مثل ما نالته باقى مناطق مصر الأخرى ، وحتى تتكامل سيناء مع باقى مناطق مصر ، فإنه يلزم أن تكون هناك عدالة كاملة ، فى توفير كافة الخدمات الاساسية لسيناء مثل : الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية والثقافية والسياحية ورعاية الشباب والرياضة ، علاوة على خدمات التعمير والاسكان .

وبذلك ، نحقق الهدف المرتقب ، لما تتيحه سيناء من الفرص الاقتصادية العديدة ، التى تزيد من رخاء مصر . . . ومن أهم تلك الفرص :

- القرب من أسواق الشرق الأوسط .
- احتياطات البترول ووفرة المعادن المختلفة ، وما يثرتب عليها من انشاء الصناعات اللازمة لها ، وتشغيل الأيدي العاملة وتنشيط انشاء المستوطنات حولها .
- زيادة العائد من توافد السائحين على مواقع سيناء الجذابة للسياحة .

الثروة السمكية

تأتى حرفة صيد الأسماك ، فى المرتبة التالية بعد الزراعة والرعى ، لأنها حرفة يمارسها السكان طوال العام •

وتحيط البحار بسيناء من ثلاثة جوانب ، وتبلغ فى مجموعها ما يزيد عن ٧٥٠ كيلو مترا - علاوة على ما تضمه فى مصادر هامة للثروة السمكية - ممثلة فى بحيرة البردويل الطينية وقناة السويس وخليج السويس وبحيرة ملاحه بور فؤاد • وكلها مساحات رحبة لانتاج الثروة السمكية •

ويعتبر هذا النوع من الانتاج الغذائى ، احدى ركائز التنمية الشاملة ، التى تساهم الى درجة كبيرة ، فى سد النقص البروتينى ، لا فى سيناء وحدها ، بل وفى باقى أنحاء مصر •

علاوة على أن هذه الثروة ، تقوم أساسا على حرفة الصيد ، سواء فى البحر بعد استكمال ، ميناء العريش أو فى بحيرة البردويل ، وتهدف خطط التنمية ، الى تطوير انتاج صيد الأسماك ، واستقرار العاملين فى مجاله ، بإنشاء قرى الصيادين كقرى التلول الجديدة ، وإقامة المراسى المختلفة والثلاجات وكافة الامكانيات اللازمة لعملية الصيد والصيادين ، ومن المنتظر عند تطبيق نظام الاستزراع السمكى ، وتوصيل مياه الصرف للمناطق المزمع التوسع فيها والمتاخمة للبحيرات ، أن يرتفع معدل انتاج الفدان الى ما يزيد عن الطن من الأسماك ، نظرا لتوفر البيئة البحرية المناسبة للأنواع المختلفة من الأسماك والقشريات (الجمبرى) مما قد يتيح توفير الكميات اللازمة للاستهلاك المحلى علاوة على كميات للتصدير • علما بأن جملة المساحة المقدرة لهذه البحيرات ، تبلغ حوالى ١٦٠ ألف فدان •

بحيرة البردويل •

وقد اقترنت الثروة السمكية بسيناء ، ببحيرة البردويل التى تعتبر فعلا من أهم البحيرات المنتجة للأسماك ، حيث يوجد لها امتداد

فى بحيرة أخرى تسمى الزرائيق • وتعتبر البردويل ثانى البحيرات المصرية بعد بحيرة المنزلة ، حيث تشغل مساحة ١٦٤ ألف فدان تقريبا ، وتتصل بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بوغازين : بوغاز رقم ١ وبوغاز رقم ٢ ، ولهذين البوغازين فائدة عظيمة ، اذ أنهما يشكلان مصدر الثروة السمكية للبحيرة ، فعن طريقهما يدخل مياه البحر الى البحيرة وتجدد باستمرار عن طريق المد والجزر • وتحدث دورة المد والجزر ٤ مرات كل ٢٤ ساعة ، وعن طريقها تدخل زريعة صغار الأسماك من البحر الى البحيرة •

وتقع البحيرة فى أقصى الشمال لشبه جزيرة سيناء ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وتمتد على الساحل بمسافة ٨٣ كيلومترا وبعرض يتراوح بين ٢ و ٥ كيلومترا ، ويصل أقصى عرض لها ٣٠ كيلومترا عند مصفوق •

وفصل البحيرة عن البحر ، برزخ رملى يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ١٠٠٠ مترا ، عند منطقة القلس ، ويرتفع عن سطح البحر فيما بين ٢٠ و ٦٠ مترا • ومن أشهر أسنتها : لسان التلول والعفرة وماط وبليس ومحيسن • ومن معالم البحيرة وجود ٥١ جزيرة مساحتها حوالى ٣١٧ فدانا ، ومن أشهرها : جزيرة المحاسنة والوطواط والروميات والقلس •

وتنتج البحيرة أكثر من ٣٠٠٠ طنا سنويا ، من أجود الأسماك البحرية خاصة البورى والطوبان والجران والدنيس والوقار والقاروس • وقد تم تمويل مشروع الاستزراع البحرى لمنطقة بحيرة البردويل بطاقة انتاجية قدرها ٥ مليون أصبعية وزريعة جمبرية سنويا •

وللمحافظة على كفاءة البحيرة ، تم انشاء محطة أبحاث لبحيرة البردويل بالتلول (فى ابريل ١٩٨٥) لتخدم متطلبات البحث العلمى •

وقد أثبتت نتائج الأبحاث الأولية ، أن المخزون السمكى بالبحر الأبيض المتوسط والمنطقة شمال سيناء ، يقدر بحوالى ٢٠ ألف طن سردين على أعماق بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا ، و ٥٠٠٠ طن من سمك التونة على أعماق من ٥٠ و ١٠٠ مترا و ١٠ كيلو جرام / ساعة قشريات بحرية على أعماق ٥٠ مترا •

وجارى العمل حاليا ، لتوفير سفن صيد ، بطاقة انتاجية كبيرة تلائم الصيد بالبحر على أعماق كبيرة •

مصايد أخرى بسياء

توجد بحيرة ملاحية بور فؤاد التي تبلغ مساحتها ١٢ فدانا ،
ومعظم مسطحاتها ضحلة . وتتصل البحيرة بالبحر عن طريق بوزار ،
كما تتصل عن طريق قناة الملح المتفرعة من قناة السويس ببوزار
المواسير .

وقد وصل الانتاج السمكي لمحافظة سيناء الشمالية أكثر من
٤٠٠٠ طن ، كما وصل انتاج محافظة سيناء الجنوبية الى حوالى ١٦٠٠
طن سنويا .

كما يتم استغلال الثروة السمكية بالمناطق التالية :

- رأس سدر ورأس مطامر بطاقة انتاجية ١٠٠٠ طن خلال الموسم
سنويا .

- قطاع خليج السويس بطاقة انتاجية تتراوح بين ١٨٠ و ٤٠٠ طن
سنويا .

- خليج العقبة بطاقة انتاجية قدرها حوالى ٤٠٠ طن سنويا .

وتأتى مصايد خليجى السويس والعقبة ، فى المرتبة التالية
للبحيرات ، نظرا لضعف استغلالها .

وتعتبر الطور ، من أشهر مراكز الصيد على سواحل سيناء
الجنوبية ، حيث يعمل أسطول صيد صغير ، يمتد نشاطه الى العمق
ويمتد الى خليج العقبة والى قرب سواحل السعودية والسودان .

السياحة فى سيناء

تعد سيناء مركزا عالميا للسياحة بمختلف أنواعها .

والسياحة مصدر حيوى فى اقتصاد البلاد ، وكلما ازدادت الخدمات السياحية والطاقة الفندقية وتعددت التسهيلات السياحية ، تحقت للدولة نموا كبيرا فى الدخل والموارد بالعملات الأجنبية .

ولكثرة الآثار وتناثرها فى أرجاء شبه جزيرة سيناء ، أصبح من الضرورى وضع الخطة المتكاملة للتنمية السياحية لسيناء ، واجراء حصر للثروة السياحية ، والمناطق الواجب تنميتها سياحيا ، واعداد دليل شامل لتسجيل الآثار والمنشآت السياحية ، مع الاهتمام بالطرق والمطارات والاتصالات السلكية واللاسلكية لتيسير سبل الراحة للسائحين .

ويشير تقرير المجالس القومية المتخصصة عن ، الخطوط العامة للتنمية فى سيناء حتى سنة ٢٠٠٠ ، بأنه من المهم - من وجهة النظر السياحية - التركيز على الوثائق ، التى تثبت للسائح عراقة هذا الاقليم المصرى ، وأصالة ثروته السياحية وتنوعها ، وتميزها بسمات خاصة تنفرد بها دون سائر المناطق السياحية الأخرى .

وتشمل سيناء العناصر السياحية الآتية :

- السياحة الدينية الثقافية .
- السياحة التاريخية .
- السياحة العلاجية الاستشفائية .
- السياحة الترفيهية .
- السياحة العسكرية .
- سياحة الصحارى والواحات .
- المحميات النباتية والحيوانية .
- السياحة الرياضية .

ولايضاح تفاصيل ومنشآت كل عنصر سياحي ، رأى تقرير المجالس القومية المتخصصة ، أن يقسم سيناء الى منطقتين سياحيتين :

المنطقة السياحية الجنوبية :

ـ منطقة المغارة :

في وادى سيدر (شرق خليج السويس) وتعتبر النقوش الفرعونية بها ، أقدم وثائق للسياحة الثقافية بسيناء ، وتبلغ : ٤٥ نقشا ، منها ٢٢ من الدولة القديمة ، ٢٠ من الدولة الوسطى ، ٢ من الأسرة الثامنة عشرة من الدولة الحديثة . ولكثير من هذه النقوش طبعت محفوظة بالمتحف البريطانى .

وقد تحطم نصف هذه النقوش تقريبا ، على يد شركة انجليزية ، كانت تستخرج الفيروز من هذه المنطقة فى أوائل القرن العشرين . أما النصف الآخر فقد نقل الى المتحف المصرى منذ عام ١٩٠٥ م .

وفى وادى مكتب . . توجد آلاف من النقوش النبطية واليونانية والعبرية والعربية ، تعود الى فجر التاريخ المسيحى .

وتؤكد النقوش النبطية صلات مصر العربية، لأن الأنباط، عرب هاجروا من وسط شبه الجزيرة العربية حوالى عام ٥٠٠ ق.م ، واستوطنوا المنطقة التى تفصل بين الشام وشبه الجزيرة العربية وتمتد من الفرات الى البحر الأحمر . واستمرت الدولة النبطية حتى عام ١٠٦ م .

ـ منطقة سراييط الخادم :

بها الكثير من النقوش والآثار والمعابد التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة ، ويبلغ عددها ٣٨٧ نقشا من الدولتين الوسطى والحديثة .

كما يوجد معبد سنوسرت الأول وملحق به هيكل « سبد » منحوت فى الصخر ، وهيكل للآلهة « حتحور » (منذ عهد أمنمحات الثالث والرابع) . كما يوجد هيكل للملوك منفصل عن المعبد .

ومن أهم مايميز هذه المنطقة الأثرية ، اكتشاف الكتابات المعروفة بالنقوش السينائية والتى تعتبر أصل كل الأبجديات . وقد نقشها العمال الآسيويون الذين كانوا يعملون فى سيناء ، وذلك عن طريق اختزال المقاطع الهيروغليفية والاكتفاء بالحروف الأولى من أسماء الصور ، التى تعبر عن المعنى ، ومن مجموع تلك الحروف تكونت الأبجدية

السينائية من ٢٢ حرفا . ثم انتقلت تلك الأبجدية الى الشرق ، ومنها نشأت الكتابة الفينيقية التى هى أصل الأبجدية اليونانية ، وهى أصل جميع الأبجديات الأوروبية . كما تعبر النقوش السينائية ، أصل الكتابة الأرمنية وأصل الخط العربى .

ومن المقترحات المفيدة ، التى طرحت فى تقرير المجالس المتخصصة، اقامة متحف الهواء الطلق لآثار الأسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والثانية عشرة والثانية عشرة والثامنة عشرة . . . وذلك بمنطقة المغارة .

علاوة على اقامة متحف فى المنطقة نفسها ، تعاد اليه آثارها التى نقلت الى المتحف المصرى ، وتلحق به مكتبة تضم نسخا من الصور التى ألتقطت لآثار المنطقة الموجودة بالمتحف البريطانى .

وكذا انشاء متحف الهواء الطلق فى سراييط الخادم ، لمهد أول أبجدية عرفها الانسان ، ولآثار الأسرتين الثانية عشر والثامنة عشرة .

- جبل موسى وجبل سريال :

ويشترك الجبلان فى القداسة ، لأن نبي الله موسى تلقى كلمات الله عز وجل فى تلك المنطقة . . . ومن المرجح أن يكون جبل سريال هو المقصود . ولذلك من الضرورى اعتماد أى الجبلين مرجحا ، اعداده للاستغلال فى السياحة الدينية .

- طريق الخروج :

وهو الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام ، فى المرحلة الأخيرة من رحلته ، حتى وصل الى جبل « حوريب » الذى عرف بجبل موسى .

ولتحقيق الاستغلال السياحى ، يتطلب الأمر الى تحديد الطريق بكل دقة .

- دير سانت كاترين :

بنى هذا الدير ، فى القرن السادس الميلادى . ويقع فى سفح قمة جبل طور سيناء ، على أحد فروع وادى الشيخ ، حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام . . . والذى جاء ذكره فى القرآن الكريم . وقد شيد فى عهد الامبراطور الرومانى جستنيان . ويرتفع الدير حوالى ٥٠١٢ قدما عن سطح البحر ، وله سور ضخيم طوله ٨٥ مترا وعرضه

٧٥ مترا ومتوسط ارتفاعه ١١ مترا ، وسمك الحائط ٢ر٢٥ متر .
وقد بنى داخل السور ، عدة كنائس صغيرة للعبادة ، وقد حدثت به
نرميمات على مدى العصور المختلفة .

وعلى القمة الأخرى للجبل ، يقع دير القديسة كاترين ، ابنة الشريف
السكندري « كوستوس » ، الذى فصل الامبراطور « ماكسيمينوس »
رأسها ، لأنها استطاعت أن تقنع ٥٠ من حكمائه باعتناق المسيحية . وقد
استشهدت ولهذا سمى الدير باسمها . ويحتوى الدير على :

★ المكتبة . . . وهى تضم آلاف المخطوطات الأثرية العظيمة ، باللغات
السريانية واليونانية والعربية . وهى تقع فى الدور الثالث من بناء
قديم جنوب الكنيسة الكبرى . وتتكون من ثلاث غرف فى صف واحد ،
وتضم ٢٣١٩ من المخطوطات اليونانية (الهيلينية) ، و ٢٨٤ من
المخطوطات اللاتينية ، و ٨٦ مخطوطا بالسريانية والقبطية والأثيوبية
والسلافية والأمهرية والأرمينية والانجليزية والعربية والفرنسية والبولندية
وبها نحو ٦٠٠٠ مجلد من بينها مخطوطات تاريخية وجغرافية وفلسفية
علاوة على الكتب الدينية . وأكثر المخطوطات شهرة فى هذه المكتبة ،
كتاب « سيناء » الذى كتبه « أسبيوس » أسقف قيصرية تنفيذا لأمر
الامبراطور قسطنطين (عام ٣٣١ م) ، ثم أهداه « جستنيان » الى الدير
(عام ٥٦٠ م) .

ويوجد أيضا كتاب « الانبياء » الذى كتب فى عهد الامبراطور
« تيودوسوس » الثالث (عام ٧١٦ م) وتحمل كل ورقة من أوراقه
الأربعمائة ، عمودين من الكتابة بماء الذهب .

ومن أهم الوثائق التاريخية المخطوطة ، والتي أتفق على أهميتها،
والموجودة بالدير هو « كتاب الأم » ، الذى يعد سجلا تاريخيا عظيما
يصور الحالة الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ، فى قطاع الطور
وجنوب سيناء بوجه عام ، وذلك خلال العصر التركى . ويحتوى على
٥٦٧ ورقة ولغته العربية ، وفيه بعض النصوص بالتركية واليونانية .
ويسجل الكتاب بكل دقة ، الدعاوى والأحكام وصكوك المبايعات
والرهونات من النخيل والأراضى الزراعية ، سواء فى منطقة الطور أو فى
مدينة وادى فيران والمناطق الأخرى وضواحيها ، من أملاك الدير والرهبان
وأهل الطور .

كما يوجد عدد من الفرامانات التى أعطاها الخلفاء والولاة لرهبان
الدير .

وقد احتفظت المكتبة بعهد الأمان الذى أعطاه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، الى رهبان الدير لحماية أرواحهم و.موالهم فى ظل الدين الإسلامى وقد كتب العهد على بن أبى طالب ، وجاء فى نهايته : « شهد بهذا العهد ، على بن أبى طالب ، أبو بكر بن أبى قحافة ، طلحة ابن عبد الله ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، الزبير بن العوام ، وغيرهم من الصحابة . ويقال أن العثمانيين نقلوا أصل هذه الوثيقة الى الأستانة ، بعد الفتح العثمانى لمصر ، بمعرفة السلطان سليم الأول وأعطى الرهبان صورة منها مع ترجمتها بالتركية .

كما يوجد خطاب حماية من نابليون منحه للبدو فى أوائل القرن ١٩ بعد غزوه مصر . وبالمكتبة أيضا : نسخة للانجيل باللغة السريانية من القرن الخامس الميلادى ، وأقدم مخطوط طبى عربى فى العالم وهو كتاب الطبيب « على بن على » فى طب العيون .

★ مكتبة الأيقونات . . ويحتوى الدير ، على أندر وأعظم مجموعة من الأيقونات فى العالم أجمع ، والأيقونة عبارة عن صورة زيتية تعبر عن أهم الأحداث فى العهدين القديم والجديد . ويوجد منها حوالى ١٥٠ أيقونة ذات قيمة روحية وتاريخية وفنية ، وترجع الى القرن الثامن الميلادى ، ولم يمسها قرار « باولوس » بابا روما ، بأحراق جميع الأيقونات الموجودة فى كنائس العالم .

ولذلك ظلت الأيقونات الموجودة بالدير هى النسخ الأصلية .

وتعد أيقونة « العذراء » أقدم وأثمن ما بالدير ، حيث صنعت فى القرن السادس الميلادى ، وأيقونة « موسى » وهو يتلقى الوصايا العشر من تجلى الله ، على قمة الجبل ، وأيقونة « القديسة كاترين » .

★ الكنيسة الكبرى . . وهى من أقدم الآثار المسيحية فى صحراء سيناء ، وتعرف بكنيسة الاستمالة . وهى احدى كنائس العالم الهامة ، لما تحويه جدرانها من فسيفساء قديمة ، بالإضافة الى ما تحويه من التحف النادرة .

وبنيت فى عهد الامبراطور جستنيان (القرن السادس الميلادى) وتقع شمال شرق الدير ، ومبنية بالحجر ، وطولها حوالى ٣٨ مترا وعرضها ١٩ مترا وتقوم على اثني عشر عامودا يرمز كل منها ، الى شهر من شهور السنة ، أو ترمز الى الاثني عشر رسولا .

★ شجرة العليقة المقدسة . . وتوجد بداخل الدير ، حيث المكان الذى كلم منه موسى عليه السلام ربه فى وادى « طوى » كما جاء فى القرآن الكريم .

★ كنيسة العليقة المقدسة (كنيسة هيلين) . . وهي أقدم مكان بالدير ، وتوجد خلف كنيسة الدير الرئيسية . وتنمو العليقة بضعة أمتار خارج الكنيسة .

★ كنيسة الموتى (معرض الجماجم) . . ويوجد بالدير ، معرض لحفظ جماجم الموتى ويسمى كنيسة الموتى . وللمعرض قبو متسع تعلوه كنيسة ، ورصت فيه الجماجم فوق بعضها . كما يوجد بالدير ٦ مقابر خاصة بالرهبان والمطارنة .

★ مسجد الحاكم بأمر الله . . ويوجد على مسافة ١٠ متر أمام الكنيسة الكبرى فوق الجبل . وهو مسجد صغير بنى بالحجر الجرانيتي في عهد الخليفة الفاطمي الأمر (٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م) . وهو مكون من حجرة واحدة مساحتها حوالي ١٠ × ٧ أمتار ، ويحمل سقفها عمودين وله مئذنة بسيطة مربعة الشكل . ويوجد بالمسجد قطعتان أثريتان : مقعد يوضع عليه المصحف الشريف ، والمنبر الذي يعتبر من الآثار الباقية من العصر الفاطمي ، ومحفور عليه « لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير » .

★ أبنية الدير الأخرى . . ويوجد بداخل الدير ، معصرة للزيتون وأخرى للكروم ، ومخازن المؤن ، وطاحونتان وفرنان ومطبخ ومنازل للرهبان وحديقة بها أشجار الفاكهة ، و ٦ بئر هي : بئر موسى (ويقال أنه البئر الذي سقى منها موسى عليه السلام ، غنم بنات شعيب عند خروجه من مصر . . بئر اسطفانوس وماؤه عذب لشرب الرهبان ، وقد حفره اسطفانوس مهندس الدير . . بئر العليقة . . بئر مكاريوس . . بئر اللوزة . . وبئر مهجور .

كما يوجد أربعة ينابيع : ثلاثة منها أسفل الحديقة ، والرابع (بئر البركة) وهو نبع غزير يجري ماؤه في قناة تحت الأرض ، ليروي الجهة الشرقية من حديقة الدير .

— عيون موسى وحمامات فرعون :

وتوجد على بعد ٢٠ كيلو مترا شرق السويس في وادي الغرندل .

وقد ورد ذكر عيون موسى في القرآن الكريم : (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) .

(البقرة : آية ٦٠)

والكلام موجه من الله عز وجل الى سيدنا موسى عليه السلام ، حين طلب منه بنو اسرائيل ماء ليرتقوا به وتشرب منه دوابهم .

وتمتاز حمامات فرعون بمياهها الكبريتية . وقد انتهت بحوث وزارة الصحة الى أن مياهها تفوق مياه حلوان فى النتائج العلاجية .

وقد سجل علماء الحملة الفرنسية فى كتاب « وصف مصر » ، بيانات هامة عن تلك المنطقة وأن نابليون اكتشف بمنطقة العيون ترعة كانت مغطاه ، وأن مياه العيون كانت تنقل حتى شاطئ خليج السويس كما لاحظ أن المنطقة بين العيون والشط كانت مزروعة ، ومن الممكن أن المياه كانت تنقل اليها عن طريق قنوات مغطاة .

– طريق المحمل :

إذا كانت سيناء فى التاريخ القديم هى الطريق الحربى ، وفى التاريخ اليهودى هى طريق الخروج ، وفى التاريخ المسيحى هى الطريق الذى سلكته الأسرة المقدسة عند قدومها الى مصر ، فان بها فى التاريخ الاسلامى طريقا هو طريق المحمل ، وهو الطريق البرى الذى كان يسلكه الحجاج لعدة قرون .

ويبدأ هذا الطريق من العجروود (غرب السويس) الى النواطير بمدخل صحراء صحراء التيه ، فبئر القريض الى نقب دبة البغلة ثم نخل فنقب العقبة ومن هناك الى أرض الحجاز .

وقد استخدم هذا الطريق للحج منذ سافرت شجرة الدر (عام ١٢٤٨م) مع قافلة الحجاج الى مكة عبر سيناء . وقد اهتم السلطان قنصوه الغورى (١٥٠١ – ١٥١٦ م) بتمهيد ذلك الطريق ، وسجل ذلك على أحد الآثار الموجودة فى نقب دبة البغلة . وقد بنى السلطان الغورى : قلعة بناها (عام ١٥١٦) قبل معركة « مرج دابق » التى انتصر فيها العثمانيون عليه . وبنى قلعة أخرى فى العقبة ، وتشير نقوشها الى أن السلطان العثمانى مراد الثالث (١٥٧٤ – ١٥٩٥) قام بترميمها .

وقد مهد سلاطين مصر ، فى نهاية طريق الحج عبر سيناء ، طريقا فى الجبل المطل على العقبة ، وسمى الوادى الذى يصب فى الخليج على بعد ٢ كيلو متر من مصب طابا ، بالوادى المصرى ، لأنه منفذ الحجاج المصريين الى العقبة .

المنطقة السياحية الشمالية

– الطريق الحربى القديم (القنطرة – رفح) :

وهو أعرق الطرق التاريخية فى العالم ، ويسمى « طريق حورس » ، وقد شهد هذا الطريق ، من أحداث التاريخ ومعاركه ما لم يشهده أى طريق آخر ، كما سلكه الغزاة الذين دخلوا مصر خلال حقبة التاريخ المختلفة .

وسلكه تحتمس الثالث (١٤٧٩ – ١٤٧٦ ق م) لتأمين حدود مصر الشرقية ، وقد سجلت تفاصيل حملته هذه ، على جدران معبد آمون بالكرنك . وهو نفس الطريق الذى سلكه الاسكندر الأكبر عند غزو مصر (عام ٣٣٣ ق م) . كما التقت جيوش كيلوبترا (عام ٤٨ ق م) مع أخيها بطليموس تأهباً للقتال ، على مشارف هذا الطريق عند « الفرما » (بالوطة حالياً) على بضعة كيلو مترات شرق بورسعيد . وهو طريق الفتح العربى الذى سلكته جيوش العرب المسلمين بقيادة القائد الاسلامى عمرو بن العاص ، عندما فتح مصر ، وقد سلمت قلعة الفرما (٢ يناير ٦٤٠ م) بعد حصار دام شهراً . ولما أرادت مصر ، تحقيق وحدة الشرق العربى ، اتخذت الجيوش المصرية (١٨٣١ – ١٨٣٣ م) نفس الطريق القنطرة – قطيعة – بير مزار – العريش – الشيخ زويد – رفح .

وعبر هذا الطريق أيضاً ، قدمت الى مصر العائلة المقدسة (المسيح ابن مريم عليه السلام ومريم العذراء ويوسف النجار) من رفح الى الفرما . ويبدو أنها توقفت فى العريش ، وسلكت طريق الشاطئ شمال بحيرة البردويل . وقد أقيمت – فيما بعد – كنيسة بكل مكان توقفت فيه العائلة المقدسة .

وكان هذا الطريق ، يبدأ عند « سيلا » (ومكانها الآن « تل أبو صيفة » على بعد ٣ كم شرق القنطرة) ، ثم يتجه شمالاً الى « المجدول » جنوب الفرما مباشرة (ومكانها الآن « تل الحير ») ثم بير رمانة على مقربة من المحمدية ، ثم الحصن الذى كان منسوباً الى « سیتی » وأبدلت نسبته الى ابنه « رمسيس الثانى » (ومكانه الآن « قطيعة ») ، ثم بير العبد (جنوب بحيرة البردويل) ثم يتجه الى العريش ومنها الى الشيخ زويد ثم الى رفح .

ويزخر الأدب السياسى الأوروبى والعربى ، بمواد كثيرة عن هذا الطريق .

★ آثار ما قبل العصر الحجري فى أبى عويجلة ، وآثار العصر الحجري فى بير الحسنة : وقد عثر فى منطقة أبى عويجلة ، على أدوات من العصر السابق على العصر القديم ، وأدوات أخرى أقدم من عصر رجل الكهف الذى وجدت آثار من العصر الحجري المتوسط والأعلى بصـحراء النبه بوسط سيناء .

أما منطقة بير الحسنة ، فقد اكتشف بها موقع . يعود الى العصر الحجري الحديث .

★ مادين معارك الحروب الحديثة : وتشمل المواقع التى دارت بها الحروب الحديثة ، وبصفة خاصة مادين حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبعض المعارك السابقة عليها .

★★★

هذا رمن الضرورى اقامة محميات طبيعية ، للعناصر النباتية (فلورا) والحيوانية (فونا) ، وتتميز بها منطقة سيناء الجنوبية . وبذلك يمكن خلق هذا النوع من السياحة ، التى تجذب السائحين خاصة من الخارج ، للبحث والدراسة ، اذ أن بعض الحيوانات التى تعيش فى سيناء ، لا وجود لها فى الدول المصدرة للسياح . . كما أن الزهور والفواكه الجبلية والصحرارية لها طابع خاص ، كما يمكن الاكثار منها حول مناطق الآبار كعنصر جذب سياحى .

ثم من الممكن أن يقوم نوع جديد من السياحة هو « سياحة الصحارى والواحات » والتى اهتمت به دول المغرب العربى . . ويمكن أن يزور السياح - خلال هذا النوع من الرحلات - مخيمات البدو ، حيث تقام حفلات السمر ، وتعرض الفنون الشعبية لأهالى سيناء (كالرقص والتمثيل والغناء البدوى) ، وكذلك حضور حفلات أفراح البدو .

وقد حبا الله شبه جزيرة سيناء بالشواطىء الجميلة والجبال المتعددة الألوان والمياه المحيطة بها من ثلاثة جوانب . وكل هذه العناصر ، ذات جاذبية لا يمكن أن يقاومها السائح خاصة وكلها عناصر تطلع عليها شمس سيناء الدافئة والطبيعة الرائعة .

ومن كل ذلك تكون « السياحة الرياضية » ، التى تشمل سباق اليخوت ، ومسابقات صيد السمك فى الأماكن المناسبة على الشواطىء ، ثم رياضة تسلق الجبال .

كما يمكن انشاء مشتى عالمى بمدينة الطور ، لأن جوها شتاء من دروع الأجواء وأصحبها .

المراجع

أولا : مراجع حرب ٦ أكتوبر

صدر حتى الآن عديد من الكتب عن حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .
تناولت آثارها الفعلية وأبعادها المختلفة ومضاعفاتها المتوقعة على الصراع
العربي الاسرائيلي .

وقد فاقت هذه الكتب مثيلاتها ، التي صدرت في أعقاب حرب ٥
يونيو ١٩٦٧ . ولقد ضرب عدد الكتب عن الحرب الرابعة ، رقما قياسيا .
على الأخص بين دور النشر العربية ، وكان معظمها من تأليف وإعداد كتاب
عرب ، منهم طليعة المؤلفين العسكريين .

على عكس ما حدث فيما كتب عن حرب ٥ يونيو ، فقد ولدت
الهزيمة ، فقدان الثقة الشامل بين المثقفين العرب ، بجانب ما سببه الدور
المتخلف لوسائل الاعلام العربية ، فلم ينزل في أسواق الكتب العربية
الا أقل القليل . الذي لم يمس الا هوامش النكسة دون أى تعرض لأسباب
النكبة . هذا في الوقت الذي غمرت الأسواق العربية كميات هائلة من
الكتب الأجنبية الصهيونية الاتجاه ، والتي تمجد أسطورة الجيش الاسرائيلي
الذي لا يقهر ، وتروج لعظمة وقدرات أجهزة المخابرات الاسرائيلية . وقد
حاولت الترجمات العربية التي صدرت لهذه الكتب ، وكلها من صنيعة
وترجمة أقلام اسرائيلية ، ان تعمق الهزيمة في الوعي الشعبي العربي
وتضفي الوهن والضعف على نفسية الانسان العربي ، مثلما ورد في كتب :
« **وتحطمت الطائرات عند الفجر** » و « **لعبة الأهم** » و « **كيف ضاع الجولان** »
... وغيرها من الكتب التي اصدرها الغرب ، مشايخا ومتبنيا الرواية
الاسرائيلية للحرب ، بما فيها التنديد بالعرب والسخرية من قوتهم
وتداعي وحدتهم .

أما بعد حرب ٦ أكتوبر ، فالأمر جد مختلف ، فقد انعكست الآيسة
تماما ، فقد قلت الكتب التي صدرت عن الغرب ، في حين زاد ما صدر
تنها من جانب الكتاب العرب . ولا شك أن في ذلك ، دلالة واضحة على
المشايخة المطلقة لاسرائيل ، واستجابة منهم لرغبة الصهيونية العالمية الى
عدم الدعاية والترويج لانهيار أسطورة التفوق الاسرائيلي .

الا ان حقائق حرب اكتوبر ، قد فرضت موضوعيتها ، فاعترف معظم
دا صدر من كتب أجنبية ، بتفوق العرب وقدرتهم وانتصارهم ، وأكدت
انهيار الأسطورة الاسرائيلية ، والاندحار الساحق لجيش مؤسستها
العسكرية وأجهزة مخابراتها .

حتى كتابهم « **المجدال** » أى « **التقصير** » ، والذي صدر فى داخل
اسرائيل نفسها ، وقام بتأليفه سبعة من أشهر المراسلين الحربيين
الاسرائيليين العاملين فى صحف اسرائيل الرسمية ، والذين أصدروا
كتابهم هذا بعد الحرب مباشرة وعقب معاشتهم الواقعية لتجربة النار .
حتى هذا الكتاب ، الذى يعتبر عن لسانهم ، أول رواية كاملة وحقيقية عن
الحرب العربية الاسرائيلية ، فقد تمت مصادرتة بمجرد نزوله الى السوق ،
فى تل أبيب ، وأصبح هذا الكتاب الاسرائيلى ممنوعا من التداول فى
اسرائيل ذاتها ، لشموله شهادة اسرائيلية على الحقائق الاساسية التى
أسفرت عنها حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأهمها كفاءة الجندى العربى وقدرته
انقتالية ومهارته فى استعمال المعدات والأسلحة ، وسقوط ما أحاط
بالانسان العربى من تشويه بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وقد تولت المخابرات الاسرائيلية ، ترجمة هذا الكتاب وكلفت
بنشره وأصداره دار « **هانشميت** » الفرنسية تحت عنوان « **كيبور** » أى
« **الفقران** » بعد أن حذفت منه الكثير الذى يدين المؤسسة العسكرية
الاسرائيلية وأجهزتها ، وبعد أن حورت ما يشير الى مصير اسرائيل الذى
كان مهددا بالزوال والفناء ، لولا الدعم الأمريكى الاستثنائى ثم وقف
إطلاق النار .

ومن الطريف أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت ، قد
حصلت على نسخة من الكتاب الأصيل وترجمته ونشرته ووزعته باغراق
على انحاء العالم العربى (١) .

ولا ريب فى أن هناك مزيدا من الكتب التى صدرت عن حرب
أكتوبر ، فى مختلف الدول العربية والأوروبية والتى لم تصلنا حتى أعداد
كتابنا هذا للطبع .

وفيما يلى بيان بالكتب العربية والأجنبية التى حصلنا عليها ، فكانت
مرجعا لما ورد فى أبواب هذا الكتاب عن الجسولة العربية الاسرائيلية
الرابعة .

(١) عن مجلة « **جون أفريك** » التى تصدر فى باريس ، قالت : « **المفاجأة الغربية**
أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية فى بيروت سرعان ما حصلت على الكتاب وقامت بترجمته
الى العربية وتوزيعه بكميات ضخمة (٢٤٠٠٠ نسخة) فى الوطن العربى . . . بمعنى أنه
كتاب اسرائيل ممنوع فى اسرائيل ، يوزع فى العالم العربى لمعرفة الفلسطينيين . »

المراجع العربية

- حرب رمضان
لواء/حسن البدرى - لواء/طه المجدوب -
عميد أ.ح/ضياء الدين زهدى
- وثائق حرب أكتوبر
موسى صبرى
- التقصير (المجدال)
صحفيون اسرائيليون (ترجمة مؤسسة
الدراسات الفلسطينية - بيروت)
- حرب الساعات الستة
(واحتمالات الحرب الخامسة)
عبد الستار الطويلة
- وتحطمت الاسطورة عند
الظهر
احمد بهاء الدين
- وانطلقت المدافع عند الظهر
لواء أ.ح/محمد عبد الحليم أبو غزالة
- الحرب العربية الاسرائيلية
الرابعة - وقائع وتفاعلات
مجموعة من الباحثين (مركز الأبحاث -
منظمة التحرير الفلسطينية -
بيروت)
- عيد الغفران
هيئة الاستعلامات المصرية
- ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية
العالمية
د. جمال حمدان
- حرب الساعات الست
الشرارة طريق النصر
د. عبد الكريم درويش - د. ليلى ت كلا .
- حرب أكتوبر (دراسات فى
الجوانب الاجتماعية
والسياسية)
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
ومركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية بالأهرام
- ماذا حدث فى تشرين ؟
(وقائع معارك التحرير)
جان الكسان (دمشق)

- وماذا بعد أكتوبر ؟ الفريق/صلاح الدين الحديدي
- حرب أكتوبر فى الميزان الفريق/صلاح الدين الحديدي
- التسكرى
- أبطال الطيران فى العقيد طيار/على عثمان زيكو
- معارك رمضان
- خمسة فصول عن حرب السيد الشوربجي
- أكتوبر
- سرى جدا محمود عوض
- من حرب الأيام الستة الى (جاك كوبر) كمال السيد (بيروت)
- حرب الساعات الستة
- صراع الجنرلات فى اسرائيل محمد كعوش (بيروت)
- تقريو حرب تشرين المؤتمر القطرى الثامن لحزب البعث العربى الاشتراكى - القطر العراقى (بغداد)
- ماذا بعد تشرين ؟ كريم مروة (بيروت)
- الخلف المصرى طرب أكتوبر محمد جبر
- ٦ تشرين بين التسوية د.الياس فرج (بيروت)
- والتحرير
- الساعة ١٤٠٥ صلاح قبضايا
- الأمن الأوروبى والشرق حسين فهمى
- الأوسط
- عبور القناة وانتصار الارادة السيد فرج
- العربية
- اسرار حرب رمضان ابراهيم البرجاوى (بيروت)
- السويس مدينة تحت رياض سيف النصر
- الحصار
- وجاء العيد بعد العاشر من مصطفى بهجت بدوى
- رمضان
- حرب أكتوبر ١٩٧٣ محمد مصطفى الشعبينى
- واطارها الاجتماعى

- وتحطمت الطائرات في
سما، دمشق
- يوميات مقاتل في الجيش
الثالث
- اليوم السابع (يوميات
مذيع في جبهة القتال)
- ٦ أكتوبر « الحـرب
الليكترونية الأولى »
- حرب رمضان (أو حرب
الفجران)
- حرب تشرين (في مواقف
ومشاهد من خطوط النار)
- أدب المعركة
(حرب ٦ تشرين ٧٣)
- ماذا بعد حرب رمضان ؟
- وعادت القنيطرة
- معركة العبور
- ملحمة الشرارة
- ملحمة العبور
- العبور
- الزجل والدين والمعركة
- حرب أكتوبر في الأعلام
العالمى
- السلام في الشرق الأوسط
- دمة ديان (حرب تشرين
على جميع الجبهات)
- الحرب الرابعة والقرار
السياسى
- حرب أكتوبر
- الحرب العربية الاسرائيلية
الرابعة
- عبد الله الأسدى (دمشق)
- أمام سيد مصطفى
- حمدى الكنيسى
- محمد عبد المنعم
- السيد جعفر شرف الدين (بيروت)
- حسن الزين (بيروت)
- أحمد عطية (بيروت)
- د. أحمد صدقى الدجاني (بيروت)
- عدنان الملوحي (بيروت)
- أحمد حسيني
- عبد الفتاح شلبي
- عبد الفتاح شلبي
- حسين طنطاوى
- محمد هاشم السمان
- د. حمدى الطاهري (بيروت)
- د. نعيم شومسكى (نيويورك)
- العميد الأول الركن/ عزيز الأحمد
- مجلة « دراسات عربية » عدد خاص دار
الطليلة (بيروت)
- مجلة « قضايا عربية » عدد خاص أكتوبر
١٩٧٤ (بيروت)
- مجلة « السياسة الدولية » عدد خاص -
يناير ١٩٧٤ (دار الأهرام - القاهرة)

المراجع الأجنبية

- The Soviet Union And The Foy D. Kohlet —
October 1973 Middle East Leon Gouve —
(The Implications For Deten- Mose L. Harvey.
te).
- Insight on The Middle East The Insight Team of The Sun-
War. day Times Newspaper.
- The October War Riad N. Elrayyes Dunia
(Documents , Personalities Nahas (Al-Nahar Press Services,
Analyses And Maps). Lebanon).
- Armageddon in The Middle Dana Adams Schmidt.
East.
- Confrontation , The Middle Walter Laquer.
East and World Politics.
- The Fourth Arab-Israeli War Col. B.K. Narayan.
- La Vraie Guerre du Kippour. Walter Laquer.
- Les Jours Terribles d'Isra- Jean Claude Guillebond.
el.
- La Guerre du Kippour. Envoyes Speciaux du Sunday
Times.
- Les Palestiniens et la Crise
Israelo - Arabe J. Berque
- Kippour. 7 Journalistes Israeliens.
- Israel La Mort en Face. Jacque Derougie and Gerjean.

ثانيا : المراجع العامة

العربية

- القرآن الكريم
- صحيح البخارى
- صفوة البيان لمعانى القرآن
- معجم الفاظ القرآن الكريم
- المصحف الميسر
- الكتاب المقدس
- فقه السيرة
- معجم آيات القرآن
- بيانات وأحاديث وخطب
- خطب وتصريحات وأحاديث
- أسرار الثورة المصرية
- نحو بحث جديد
- فلسفة الثورة
- ميثاق العمل الوطنى
- بيان ٣٠ مارس
- ورقة أكتوبر
- رأى المسيحية فى اسرائيل
- أنور السادات (قصة ايمان
بالعسكرية المصرية)
- الشيخ/حسين محمد مخلوف
- مجمع اللغة العربية
- الشيخ/عبد الجليل عيسى
- د. محمد سعيد رمضان البوطى
- ترتيب : د. حسين نصار
- الرئيس/محمد حسنى مبارك
- الرئيس/محمد أنور السادات
- الرئيس/جمال عبد الناصر
- البابا شنودة الثالث
- حمدي لطفى

- عبد الناصر والقوات المسلحة
- دور القوات الجوية فى الجولة
- الدين والحياة
- معالم الطريق فى التطبيق
- مع المجاهدين
- تحت راية الاسلام
- مصر تحت السلاح
- فلسطين قلب العروبة
- نحن واسرائيل فى معركة المصير
- اسرار ١٩٤٨
- فلسطين والغزو الصهيونى
- هذا الحائط الشرقى العظيم يعود الى مصر من جديد
- التوسع الاسرائيلى (عرض وتحليل مشروعات السلام الاسرائيلى)
- التحلف الاستسلامى
- القوات المسلحة والسلام فى اليمن
- خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية
- كارثة فلسطين
- معركة النضال العربى
- مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية
- أيام وأيام
- عميد أ.ح/محمد جمال الدين محفوظ
- لواء مهندس/سعد شعبان
- د. عبد العزيز كامل
- مصطفى المستكاوى
- د. أحمد الشرباصى
- د. أحمد الحوفى
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- محمد فيصل عبد المنعم
- ابراهيم كروان
- أحمد كمال الطوبجى
- أحمد كمال الطوبجى
- عبد الله التل
- عبد الله التل
- أحمد يوسف القرعى
- د. حسين شريف (هنرى كيسنجر)
- محمد صبيح

- بطل لا تنسياه (عزيز محمد صبيح
المصري)
- كفاح شعب مصر محمد صبيح
- المعتدون واليهود محمد صبيح
- يوم الكرامة أمين سلامة
- الوحدة الوطنية د. سليمان محمد الطماوى
- الاسلام نظام انساني د. مصطفى الرافعى
- هنا فلسطين حسين الثريكي
- فلسطين بين الحقائق عقيد/أحمد عبد الوهاب
- والأباطيل
- هكذا ضاعت وهكذا تعود نقولا الدر
- يوميات هرتزل أنيس الصايغ (تيودور هيرتزل)
- التجربة والخطأ د. حليم وايزمان - مذكرات
- تجسيد الوهم (دراسية د. قدرى حفى.
- نفسية للشخصية
- الاسرائيلية)
- العرب فى الحاضر محمود حسين
- فلسطين تاريخا وعبرة شفيق أرشيدات
- ومصريا
- اليهود وفلسطين الشيخ/صبرى عابدين
- الولايات المتحدة الأمريكية د. كامل أبو جابر
- واسرائيل
- امريكا مستعمرة صهيونية صلاح دسوقي
- دراسات استراتيجية اللواء/حسن عبد الخالق مطاوع
- عسكرية عن فلسطين
- بتروال الوطن العربى محمد الحسينى مصلحى
- النفط العربى عبد الله الطريقي

- حـسـر ب البـتـرول فـى العـالـم د . راشـد البـراوى
العـربى ١٩٦٧
- حـر ب البـتـرول فـى الشـرق د . راشـد البـراوى
الـأوسـط
- البـتـرول العـسـرى وأزمـة د . محمـد طلعت الغنيمى
البـتـرول
- اقـتـصـاديات البـتـرول د . حـسـن عبـد الله
- البـتـرول والسياسة العربـية أمين شـاكر - سعـيد العـريـان - توفـيق مقـار
- التـسـابق عـلى البـتـرول بـير فونـتين
- التـطـور القـومى فـى أفـريقـيا د . عبـد العـزـيز الـرافـعى
- خـنـجـر اسـرائـيل كـارانبـجـيا
- الصـهـيـونية والعـنف حـسـن طـنـطاوى
- الصـهـيـونية العـالـمية عبـاس محمـود العـقـاد
- اسـرائـيل بـين المـسـير والمـصـير صـابر عبـد الرـحـمن طـعـمة
- الـيـهود فـى موكـب التـاريـخ صـابر عبـد الرـحـمن طـعـمة
- فـى مـواجـهة اسـرائـيل سـامى مـنـصـور
- الحـركـة الصـهـيـونية والعـالـم د . جـلال يـحـيى
العـربى
- اسـرائـيل الحـقيـقة والمـسـتـقبـل د . محمـود مـتـولى
- اسـرائـيليات أحمـد بهـاء الـديـن
- دـولة اسـرائـيل أحمـد بهـاء الـديـن
- طـريقـنا الـى القـدس عبـد المـنـعم الصـاوى
- سـيـاء الحـرب والمـكان عبـد الحـليم عـويس
- الصـابـرا أنيس مـنـصـور
- اعـتـداءات اسـرائـيل عبـد الخـالق حـسـونة
- طـريق النـكـبة سـامى الحـكيم
- نـظام الحـكم فـى اسـرائـيل د . عبـد الحـميد مـتـولى

- المشكلة الاسرائيلية وهــل
تجاهها اسرائيل محمود نعناعة
- أضواء على الصهيونية مصطفى السعدنى
- التاريخ الموحد للأمة العربية د . على حسنى الخربوطلى
- العرب واليهود د . على حسنى الخربوطلى
- الخطر اليهودى (بروتوكولات
حكماء صهيون) محمد خليفة التونسى
- تاريخ الشعب اليهودى هوارد مورلى ساشمار
- فلسطين بين عصبة الأمم
والأمم المتحدة على محمد على
- موجز القضية الفلسطينية على محمد على
- الهجرة اليهودية الى فلسطين وليم فهمى
- الاعلام العربى والاعلام
الصهيونى حافظ محمود
- أبحاث مختارة فى القومية
العربية ساطع الحصرى
- العالم العربى د . نجلاء عز الدين
- مصر الظاهرة عبد الرحمن زكى
- معركة المنصورة وأثرها فى
الحروب الصليبية عبد الرحمن زكى
- شاهد على حرب ٦٧ الفريق/صلاح الدين الحديدى
- الشرق الأوسط فى الميزان اللواء/محمد كمال عبد الحميد
- يقظة العالم اليهودى ايلي ليفى أبو عسل
- اليهود انتروبولوجيا د . جمال حمدان
- أسرار العسكرية الاسرائيلية معين أحمد محمود

- السياسة بين الأمم
- العرب تاريخ ومستقبل
- الطريق الى السويس
- الفتوحات العربية الكبرى
- أهداف الاستعمار في عدن
- الاستعمار الجديد
- متمر في الميدان
- صور من البطولة
- تاريخ غزوات العرب
- مذكرتان
- مذكرات أحمد عرابي
- الزعيم أحمد عرابي
- تكتيك الحرب النفسية
- القواعد والقوانين المنظمة للحرب
- الفكر الديني الاسرائيلي
- اسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة
- العدوان
- حرب السويس
- فتح السويس
- قصة الاستعمار في أفريقيا
- شمال أفريقيا في الحاضر والماضي والمستقبل
- أهداف اسرائيل التوسعية في البلاد العربية
- خيري حماد (مورجنتاو)
- خيري حماد
- خيري حماد (تشايلدرز)
- خيري حماد (جلوب)
- خيري حماد (جيليان كنيج)
- خيري حماد (نكروما)
- أحمد عطية الله
- د. حسين مؤنس
- الأمير شكيب أرسلان
- أمير اللواء/ محمد لبيب الشاهد باشا
- أحمد عرابي
- عبد الرحمن الرافعي
- عميد أ.ح/ عبد الرحيم عجاج
- يوزباشي/ عدلي الشريف
- د. حسن ظاظا
- أبكار السقاف
- أمين سعيد
- بول جونسون (مجموعة)
- محمود حسن ابراهيم
- د. شوقي الجمل
- أمين شاكر - سعيد العريان - مصطفى أمين
- اللواء الركن/ محمود شنيث خطاب

- حقيقة اسرائيل اللواء الركن/محمود شيت خطاب
- قناة السويس (حقائق محمد أبو نصير - عبد القادر حاتم
محمود يونس - د. حسنين مؤنس -
ووثائق
كمال عبد الحميد - مصطفى الحفناوى
- السيد محمود مدنى - عبد الرازق
حسن - محمد الخطيب - ابراهيم صقر
- عادل عامر
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات د. عبد الوهاب محمد المسيرى
الصهيونية
- سجل الارهاب اليهودى هيئة الاستعلامات المصرية
- نتائج التحقيق السرى فى جريدة الأهرام (نشرت سلسلة)
بريطانيا عن خبايا السويس
- الثورة فى ٢٠ عاما التوجيه المعنوى للقوات المسلحة
- الجهاد فى الاسلام جامعة الأزهر
- الكتب الرسمية الصادرة عن وزارة الخارجية المصرية
- سلسلة مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات
- سلسلة بيانات الولايات المتحدة السياسية (١٩٧٨)
- تقرير عن الخطوط العامة للتنمية فى سيناء المجالس القومية المتخصصة
حتى سنة ٢٠٠٠
- اعداد مجلة المهندسين
- مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
- المجلة المصرية للعلوم السياسية
- مجلة « السياسة الدولية » المصرية
- مجلة « الطليعة »
- مجلة « البترول » - المؤسسة المصرية العامة للبترول
- مجلة « الأهرام الاقتصادى »
- مجلة « نפט العرب »

- النشرة الاقتصادية - بنك مصر
- المجلة الاقتصادية - البنك المركزي المصري
- مجلة « عالم الفكر » الكويتية
- نشرات هيئة قناة السويس
- سلسلة دراسات فلسطينية - مركز الأبحاث (بيروت)
- الجرائد والمجلات المصرية والعربية والأجنبية
- نشرة وثائق هيئة الاستعلامات المصرية
- « الطاقة » - المكتبة العلمية لمجلة لايف
- مجموعة مجلة القوات الجوية

الأجنبية

- | | |
|--|-----------------------|
| — What Price Israel ? | Lilienthal |
| — On both sides of the hill. | John and David Kimsh. |
| — The Suez War. | Paul Jonson. |
| — Suez. | Michel Bar-Zohar. |
| — The Road to Suez. | Erskine Childers. |
| — Peace and Opinion. | Evan Luard. |
| — How Nasser did it ? | R. K. Karanjia. |
| — A Soldier With Arabs. | Sir. J.B. Glubb. |
| — Palestine Land of Promise. | Gollancz. |
| — World Dictatorship. | Hillary Cotter. |
| — Free Masonry. | Arnold Leese. |
| — Gothic Ripples. | » » |
| — Palestine Portrayed. | S.W. Gentle-Cacket. |
| — Meses And Monotheism. | Sigmund Freud. |
| — The Jewish Problem. | Louis Golding. |
| — American Jewish Year book (1943 - 1944). | |
| — Encyclopaedia Britanica. | |

المحتويات

تقديم : السيد الرئيس محمد حسنى مبارك	٥
مقدمة المؤلفين	٩

القسم الأول

الجولات العربية - الاسرائيلية ١١ - ٥٨

الباب الأول : مقدمة فلسطينية	١٣ - ٣٠
الأطماع اليهودية - البحث عن وطن - وعد « بلفور » الأسود - تحت الانتداب البريطانى - متى شعر العرب بالخطر الصهيونى ؟ - تقسيم الوطن العربى - اليهود وأمريكا - بوادر النكبة - استعداد اليهود - فلسطين وهيئة الأمم المتحدة - أنهار الدماء العربية - قيام دولة إسرائيل .	

الباب الثانى : حرب فلسطين	٣١ - ٣٦
الفدائيون المصريون - تحرك الجيوش العربية النظامية .	

الباب الثالث : حرب السويس	٣٧ - ٤٦
أفشل عدوان فى التاريخ - رد فعل التأمين - بدء العدوان .	

الباب الرابع : حرب ٥ يونيو	٤٧ - ٥٨
التخطيط الاسرائيلى - أما العرب - التمهيد المعنوى الاسرائيلى للعدوان - ماذا فعلت مصر ؟ نكسة الهزيمة - النظرة الدوائية - مغامرات اليهود - عواقب عربية - التوسع الاسرائيلى - الرفض العربى - حقيقة التاريخ .	

القسم الثانى

- الجولة العربية - الاسرائيلية الرابعة . . . ٥٩ - ١٧٦
- الباب الأول : مقومات النصر ٦١ - ٨٤**
- الاصرار المصرى - الصبر والصمت - مقدمات
المعركة - جدية العمل العسكرى - الاستفادة من
حرب الاستنزاف والمواجهة - تطوير القوات المسلحة
المصرية - حى على القتال - مظاهر الهزيمة
الاسرائيلية - من نتائج حرب أكتوبر - ما بعد
الحرب - التقصير . . من أقوالهم .
- الباب الثانى : ٦ أكتوبر والمفاهيم العسكرية الجديدة . ٨٥ - ١٥٩**
- فوق الأحداث - نظرة الى النتائج .
- الفصل الأول : التخطيط للمفاجأة ٩٣**
- بين المفاجأة . . والخداع - على مستوى الدولة -
على مستوى القيادة - على مستوى الجبهة -
التخطيط لساعة الصفر - محصلة المفاجآت .
- الفصل الثانى : ملحمة العبور ١١٥**
- الحرب عبر أوسع الموانع المائية - خط بارليف
وبيت العنكبوت - العبور واجتياح الخط - صناع
التاريخ .
- الفصل الثالث : ضربات الطيران ١٢٧**
- تحقيق السيطرة الجوية - نظرة الى الوراء -
التطوير كان الغاية - فى البدء . . كانت الضربة
المركزة - لغة الأرقام القياسية - ملحمة البطولات
- دروس لا تنسى - وسام شرف وفخار .
- الفصل الرابع : حرب المدرعات ١٤٥**
- موجات الدبابات المصرية .
- الفصل الخامس : جدار الصواريخ ١٥٣**
- غابة الصواريخ المصرية .
- الفصل السادس : معارك البحرية ١٥٩**

- الباب الثالث: : الجبهة فى الشرق** ١٦٥ - ١٧٦
- تخطيط مسبق - عوامل معنوية - أهمية هضبة
الجولان - المحاور الثلاثة - خصائص المعركة -
مراحل الصراع *

القسم الثالث

- الجولات العربية الاقتصادية** ١٧٧ - ٢٥٤

- الباب الأول : ضربة البترول** ١٧٩ - ٢١٨
- البترول والسياسة - البترول يحدد مواقف الدول
- البترول العربى والمصالح الأمريكية - الأهمية
الاستراتيجية للبترول العربى - الصهيونية
والبترول العربى - حقائق عن البترول -
الاستنزاف الاستراتيجى للبترول العربى - وقف
الاستنزاف - أهمية البترول للصناعة - سلاح
البترول - المقاطعة البترولية العربية - تحذير
للسياسة الأمريكية - تأثير سلاح البترول *

- الباب الثانى : رأس المال العربى** ٢١٩ - ٢٣٩
- العائدات البترولية - مخاوف أمريكا . . من قوة
العرب المالية - الاستثمارات العربية - منافذ
الاستثمار - مصالح العرب الاقتصادية - الهجوم
على الدول المنتجة للبترول - شركات الاستثمارات
والخدمات البترولية - اتساع صناعة التكرير -
حول استثمار الفائض - ضرورة دراسة المشاريع -
الأغنياء الجدد بين شعوب العالم *

- الباب الثالث : قناة السويس** ٢٣٩ - ٢٥٤
- لمحة تاريخية - الاحتلال عن طريق القناة - حرية
الملاحة الدولية فى القناة - تأمين قناة السويس -
مشروع ناصر لتطوير القناة - الثقة فى القناة . .
كممر مائى عالمى - الطين . . على رؤوس الأعداء -
اغلاق القناة . . وآثره على العالم - المستقبل للقناة *

القسم الرابع . . . ٢٥٥ - ٢٦٨

ثمرار حرب اَکتوبر

الباب الأول : بعث العسكرية المصرية ٢٥٧ - ٢٨٨

جولة النصر - انقوة السادسة - بعث العسكرية
المصرية - العسكرية المصرية فى الماضى - العسكرية
المصرية بعد عرابى - العسكرية المصرية بعد ثورة
يوليو ١٩٥٢ - العسكرية المصرية فى حجم جديد -
العسكرية المصرية فى اليمن أعباء على كاهل العسكرية
المصرية - عدوان يونيو ١٩٦٧ - العسكرية المصرية مع
السادات - وقفة مع الأبطال .

الباب الثانى : القيم الروحية ٢٨٩ - ٣١٦

القيم الروحية بين الاصلالة والاجتهاد - مهبط
الرسالات - محنة - الرجل بين الشعار والقدوة -
هنا . . . تجب انصلاة - الايمان والبطولات فى المعركة -
نوعية الحرب - اصوات ملحدة تعانق الهلال
والصليب - القيم الروحية فى ورقة أكتوبر .

الباب الثالث : التحول الأمريكي ووقف إطلاق النار . . . ٣١٧ - ٣٦٨

وقفه الجياد المصرية - أزمة هزيمة إسرائيل
عسكريا - جسر من الامداد العسكرى لاسرائيل -
مبادرة السادات للسلام - الشجرة أو قصة غزالة -
الفصل بين انقوات ٠٠ أول اختبار لنوايا أمريكا -
مباحثات الكيلو ١٠١ مباحثات جنيف العسكرية -
أزمة الوفاق الأمريكى السوفيتى - أزمة الرأى العام
الأمريكى - ما بعد نيكسون .

الباب الرابع : التعاون العربي الافريقي ٣٦٩ - ٣٩٠

أفريقيا •• القارة السوداء - السلام وأفريقيا -
أفريقيا •• والتنظيم الدولي - اللقاء الأفريقي
العاشر - مشاركة مصر في حركات التحرر
الأفريقية - التسلل الصهيوني في أفريقيا -
امكانيات القارة الأفريقية - إسرائيل في أفريقيا -
تجارة إسرائيل مع أفريقيا - أفريقيا •• وحرب
أكتوبر - التعاون العربي الأفريقي - العرب ••
وكسب السوق الأفريقية •

الباب الخامس : العبور الاقتصادي ٣٩١ - ٤٠٤
الاقتصاد المصرى المجهد - السير . . نحو الانفتاح
- العبور الاقتصادي - مصانع الاقتصاد القومى
- التكامل العربى - الرخاء . . مستقبل الأجيال .

الباب السادس : التعمير ٤٠٥ - ٤٣٤
مدن القناة ودورها التاريخى - السويس . . المدخل
الجنوبى للقناة - بور سعيد . . المدخل الشمالى
للقناة - الشعب . . ومعركة التعمير - حول التمويل
والمساهمات الخارجية - تطهير القناة .

الباب السابع : ورقة أكتوبر ٤٣٥ - ٤٦٨
بين الميثاق وبيان ٣٠ مارس - ورقة أكتوبر
والمواثيق الأساسية - الطبيعة العامة لورقة أكتوبر
- ورقة أكتوبر والتنمية الاقتصادية - ورقة
أكتوبر والتنمية الاجتماعية - ورقة أكتوبر
والديمقراطية السياسية - ورقة أكتوبر وسيادة
القانون - ورقة أكتوبر وتطبيق المواثيق الأساسية .

القسم الخامس

على أبواب الجولة الخامسة ٤٦٩ - ٤٧٠

الفصل الأول : النضال السلمى ٤٧١ - ٤٨٨
حى على السلام - استراتيجىة السلام المصرية -
استقطاب القوة المؤثرة - مسيرة مبادرات السلام
- البيان الأمريكى / السوفيتى لعقد مؤتمر جنيف
السلام - عقد مؤتمر القاهرة التحضيرى لمباحثات
جنيف - مباحثات السادات / بيجين (الاسماعيلية)
- اجتماع كارتر والسادات (واشنطن) - اجتماع
ليدز ببريطانيا - مفاوضات كامب ديفيد .

الفصل الثانى : اتفاقيات كامب ديفيد ٤٨٩ - ٥٢٢
سلام الاتفاق - التوقيع النهائى على السلام -
ما حققته الاتفاقيتان - الموقف العربى - وثائق
مؤتمر كامب ديفيد :

الوثيقة الأولى : اطار السلام فى الشرق الأوسط
الوثيقة الثانية : اطار عمل لعقد معاهدة سلام
بين مصر واسرائيل - اطار الاتفاق لمعاهدة سلام
بين مصر واسرائيل - نص الخطابات المتبادلة الملحقة
بوثائق كامب ديفيد - قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢
لسنة ١٩٦٧ - قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ لسنة
١٩٧٣ .

الفصل الثالث : معاهدة السلام بين مصر واسرائيل

والاتفاق التكميلي ٥٢٣ - ٦٠٦
المعاهدات من قدم التاريخ - معنى المعاهدة - أحلاف
الجاهلية - المعاهدات فى الاسلام - معاهدة السلام
بين مصر واسرائيل - السلام العادل الدائم :
بالنسبة لمصر . بالنسبة للشعب الفلسطينى .
بالنسبة لعرب المواجهة - التصديق على المعاهدة -
وأخيرا وليس آخرا - أهمية سيناء العسكرية -
العسكرية - الطريق الحربى القديم - خطوط الدفاع
الاستراتيجية فى سيناء - قناة السويس خط
الدفاع الأخير - وضع سيناء من حرب ١٩٦٧ حتى
حرب ١٩٧٣ - معاهدة السلام بين مصر واسرائيل
- الانسحاب الاسرائيلى من سيناء - منطقة طابا
- معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة
اسرائيل والملاحق والخرائط الملحقة بها والمحضر
المتفق عليه - ملحق (١) البروتوكول الخاص
بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن - مرفق
الملحق (١) بشأن تنظيم الانسحاب من سيناء
- ملحق (٢) الخرائط - ملحق (٣) بروتوكول
بشأن علاقات الطرفين - الخطابات المصاحبة
للمعاهدة - التصديق على معاهدة السلام - وثائق
التصديق الاسرائيلية .

الفصل الرابع : اقرار الحقوق المشروعة للشعب

الفلسطينى ٦٠٧ - ٦٢٢
الموقف المصرى - كامب ديفيد والتسوية
الفلسطينية - الاتفاق التكميلي للحكم الذاتى -

لماذا قاطعتم السلام ؟ - نصوص وثائق السلام -
التكميلي الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى
الضفة الغربية وقطاع غزة والوثائق المتعلقة به .

القسم السادس

قناة السويس وسيناء ٦٢٣ - ٦٧٢

الفصل الأول : قناة السويس الهرم الرابع . . . ٦٢٥ - ٦٣٨
قدماء المصريين وحفر القناة - واستعادت القناة
سابق أهميتها - مشروع تطوير القناة - مميزات
قناة السويس - المراقبة الالكترونية للملاحة -
القناة سنة ٢٠٠٠ .

الفصل الثانى : سيناء أرض القمر والفيروز . . . ٦٣٩
المسيح الجيولوجى - مزايا موقع شبه جزيرة سيناء
- موسوعة تنمية سيناء - التنمية الشاملة -
خطوات التنفيذ - نهاية عزلة سيناء : نفق
الشهيد أحمد حمدي - اقامة المعديات - محافظتى
شمال سيناء وجنوب سيناء - توفير المياه العذبة
سيناء أرض المستقبل - الثروة المعدنية والبترول
- مناطق سيناء التعدينية - الثروة السمكية -
بحيرة البردويل - مصايد أخرى لسيناء - السياحة
فى سيناء .

المراجع ٦٧٥

أولا : مراجع حرب أكتوبر ٦٧٧

ثانيا : المراجع العامة ٦٨٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدي: ١١٧٩٤ رمسيس

www.maktabetelosra..org

E-mail: info@egyptianbook.org

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٨٨٣ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9561 - 8



إن القراءة كانت ولا تزال وسوف تبقى، سيدة
مصادر المعرفة، ومبعث الإلهام والرؤية
الواضحة... وعلى الرغم من ظهور مصادر
حديثّة للمعرفة، وبرغم جاذبيتها ومنافستها
القوية للقراءة، فإننى مؤمنة بأن الكلمة
المكتوبة تظل هى مفتاح التنمية البشرية،
والأسلوب الأمثل للتعليم، فهى وعاء القيم
وحافظة التراث، وحاملة المبادئ الكبرى
فى تاريخ الجنس البشرى كله.

سوزان مبارك



الثنى ٤٠٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية

Bibliotheca Alexandrina



05333774